البداية والنهاية

للحافظ عماد الدين أبى الفداء إسماعيل

ابن عمر بن كثير القرشى الدمشقى

٧٠١ - ٧٧٤ هـ

تحقيق

الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركى

بالتعاون مع

مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية

بدار هجر

الجزء السادس

هجر

للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان

الطبعة الأولى

١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م

المكتب : ٤ ش ترعة الزمر - المهندسين - جيزة

☎ ٣٤٥٢٥٧٩ - فاكس ٣٤٥١٧٥٦

المطبعة : ٢ ، ٦ ش عبد الفتاح الطويل

أرض اللواء - ☎ ٣٤٥٢٩٦٣

ص . ب ٦٣ إمبابة

البداية والنهاية

[٣/١ظ] بسم الله الرحمن الرحيم (*)

سنة خمسٍ من الهجرةِ النبويةِ

غزوةُ دُومةِ الجَنْدلِ[١]، فى رَبيعِ الأوّلِ منها

قال ابنُ إسحاقَ[٢]: ثُم غَزا رسولُ اللَّهِ ﷺ دُومةَ الجَنْدلِ. قال ابنُ هشامٍ[٢]: فى ربيعِ الأولِ - يعنى مِن سنةِ خَمْسٍ - واسْتَعْمل على المدينةِ سِباعَ ابنَ عُرْفُطةَ الغِفارىَّ.

قال ابنُ إسحاقَ[٢]: ثُم رجَع إلى المدينةِ قبلَ أن يصِلَ إليها، ولم يَلْقَ كَيْدًا، فأقام بالمدينةِ بقيةَ سنتِه. هكذا قال ابنُ إسحاقَ.

وقد قال محمدُ بنُ عمرَ الواقدىُّ[٣] بإسنادِه، عن شيوخِه، [٤]عن جماعةٍ[٤]

(*) من هنا بداية الجزء الثالث من النسخة الأُحمدية.

(١) دومة الجندل: بضم الدال وبفتحها، هى ما بين بَرك الغماد ومكة،... وقيل أيضًا: إنها ما بين الحجاز والشام، والمعنى واحد وإن اختلفت العبارة، ودومة هذه على عشر مراحل من المدينة. معجم ما استعجم ٢/ ٥٦٤، ٥٦٥.

(٢) سيرة ابن هشام ٢/ ٢١٣.

(٣) مغازى الواقدى ١/ ٤٠٢ - ٤٠٤، وانظر دلائل النبوة للبيهقى ٣/ ٣٩٠، ٣٩١ والسياق له، وتاريخ الطبرى ٢/ ٥٦٤، حوادث السنة الخامسة.

(٤ - ٤) سقط من: ص.

مِن السَّلَفِ قالوا : أراد رسولُ اللَّهِ ﷺ أن يدْنُوَ إلى أدانى الشامِ ، وقيل له : إنّ ذلك مما يُفْزِعُ قَيْصَرَ . وذُكِر له أن بدُومةِ الجَنْدلِ جَمْعًا كثيرًا ، وأنهم يَظْلِمون مَن مَرَّ بهم[1] ، وكان بها سوقٌ عظيمٌ ، وهم يُريدون أن يَدْنوا مِن المدينةِ ، فندَب[2] رسولُ اللَّهِ ﷺ الناسَ ، فخَرج فى ألفٍ مِن المسلمين ، فكان يَسيرُ الليلَ ، ويَكْمُنُ النَّهارَ ، ومعه دليلٌ له مِن بنى عُذْرَةَ يُقالُ له : مَذكورٌ . هادٍ خِرِّيتٌ[3] ، فلما دَنا مِن دُومةِ الجَنْدلِ أخْبَره دليلُه بسَوائمِ[4] بنى تميمٍ ، فسار حتى هجَم على ماشيتِهم ورِعائِهم ، فأصابَ مَن أصاب ، وهَرَب مَن هَرَب فى كلِّ وَجْهٍ ، وجاء الخبرُ أهلَ دُومةِ الجَنْدلِ فتفرَّقوا ، فنزَل رسولُ اللَّهِ ﷺ بساحتِهم ، فلم يَجِدْ بها أحدًا ، فأقام بها أيامًا ، وبثَّ السَّرايا ، ثُم رجَعوا ، وأخَذ محمدُ بنُ مسلمةَ[5] رجلًا منهم ، فأتَى به رسولَ اللَّهِ ﷺ ، فسَأله عن أصحابِه ، فقال : هرَبوا أمسِ . فعرَض عليه رسولُ اللَّهِ ﷺ الإسلامَ ، فأسْلَم ، ورجَع رسولُ اللَّهِ ﷺ [٣/٢و] إلى المدينةِ .

قال الواقدىُّ[6] : وكان خروجُه ، عليه السلامُ ، إلى دُومةِ الجندلِ فى ربيعٍ

---

(١) بعده فى المغازى : « من الضافطة » . والضافط والضفاط : الذى يجلب الميرة والمتاع إلى المدن ... وكانت الضافطة يومئذ قومًا من الأنباط - أخلاط الناس من غير العرب - يحملون إلى المدينة الدقيق والزيت وغيرهما . انظر النهاية ٣/ ٩٤، ٩٥.

(٢) فى الأصل : « فبدر » .

(٣) الخريت : الماهر الذى يهتدى لأخْرات المفازة ، وهى طرقها الخفية ومضايقها . وقيل : إنه يهتدى لمثل خَرْتِ - ثقب - الإبرة من الطريق . النهاية ٢/ ١٩.

(٤) جمع سائمة ؛ وهى كل إبل أو ماشية ترسل للرعى ولا تعلف . الوسيط (س و م) .

(٥) فى الأصل ، م : « سلمة » .

(٦) مغازى الواقدى ١/ ٤٠٢، وانظر دلائل النبوة للبيهقى ٣/ ٣٩٠، وتاريخ الطبرى ٢/ ٥٦٤، حوادث السنة الخامسة .

الأولِ[1] سنةَ خمسٍ.

قال[2]: وفيه تُوُفِّيَت أمُّ سعدِ بنِ عُبادةَ، وابنُها[3] مع رسولِ اللَّهِ ﷺ في هذه الغزوةِ.

وقد قال أبو عيسى التِّرمذيُّ في «جامعِه»[4]: حدَّثنا محمدُ بنُ بَشَّارٍ، حدَّثنا يَحيَى بنُ سَعيدٍ، عن سَعيدِ بنِ أبي عَرُوبَةَ، عن قَتادةَ، عن سعيدِ بنِ المُسَيَّبِ: أن أمَّ سَعْدٍ ماتت والنبيُّ ﷺ غائبٌ، فلمَّا قدِم صلَّى عليها وقد مضَى لذلك شهرٌ. وهذا مُرْسَلٌ جيدٌ[5]، وهو يقْتَضِي أنه، عليه السلامُ، غاب في هذه الغزوةِ شهرًا فما فوقَه، على ما ذكَره الواقديُّ، رحِمه اللَّهُ[6].

(١) في م، ص: «الآخر».
(٢) أي الواقدي. نقله عنه ابن جرير الطبري في تاريخه ٢/ ٥٦٤.
(٣) أي؛ وكان ابنها غائبًا مع النبي ﷺ، آنذاك.
(٤) الترمذي (١٠٣٨).
(٥) سقط من: ص. وقال البيهقي في السنن الكبرى ٤/ ٤٨: وهو مرسل صحيح. وكذا قال الحافظ في التلخيص ٢/ ١٢٥.
(٦) حيث ذكر أنه خرج لخمس بقين من ربيع الأول، وقدم لعشرٍ بقين من ربيع الآخر.

غزوةُ الخَنْدَقِ (١ وهى غزوةُ ١) الأحزابِ

وقد أنزَل اللَّهُ تعالى فيها صَدْرَ سورةِ «الأحزابِ»، فقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا
ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ جَآءَتۡكُمۡ جُنُودٞ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا وَجُنُودٗا
لَّمۡ تَرَوۡهَاۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٩﴾ إِذۡ جَآءُوكُم مِّن فَوۡقِكُمۡ وَمِنۡ
أَسۡفَلَ مِنكُمۡ وَإِذۡ زَاغَتِ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلۡقُلُوبُ ٱلۡحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ
ٱلظُّنُونَا۠ ﴿١٠﴾ هُنَالِكَ ٱبۡتُلِيَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَزُلۡزِلُواْ زِلۡزَالٗا شَدِيدٗا ﴿١١﴾ وَإِذۡ يَقُولُ
ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورٗا ﴿١٢﴾ وَإِذۡ قَالَت
طَّآئِفَةٞ مِّنۡهُمۡ يَٰٓأَهۡلَ يَثۡرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمۡ فَٱرۡجِعُواْۚ وَيَسۡتَـٔۡذِنُ فَرِيقٞ مِّنۡهُمُ ٱلنَّبِيَّ
يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوۡرَةٞ وَمَا هِيَ بِعَوۡرَةٍۖ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارٗا ﴿١٣﴾ وَلَوۡ دُخِلَتۡ عَلَيۡهِم
مِّنۡ أَقۡطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُواْ ٱلۡفِتۡنَةَ لَأٓتَوۡهَا وَمَا تَلَبَّثُواْ بِهَآ إِلَّا يَسِيرٗا ﴿١٤﴾ وَلَقَدۡ كَانُواْ
عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ مِن قَبۡلُ لَا يُوَلُّونَ ٱلۡأَدۡبَٰرَۚ وَكَانَ عَهۡدُ ٱللَّهِ مَسۡـُٔولٗا ﴿١٥﴾ قُل لَّن
يَنفَعَكُمُ ٱلۡفِرَارُ إِن فَرَرۡتُم مِّنَ ٱلۡمَوۡتِ أَوِ ٱلۡقَتۡلِ وَإِذٗا لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلٗا ﴿١٦﴾
قُلۡ مَن ذَا ٱلَّذِي يَعۡصِمُكُم مِّنَ ٱللَّهِ إِنۡ أَرَادَ بِكُمۡ سُوٓءًا أَوۡ أَرَادَ بِكُمۡ رَحۡمَةٗۚ وَلَا يَجِدُونَ
لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرٗا ﴿١٧﴾ ۞قَدۡ يَعۡلَمُ ٱللَّهُ ٱلۡمُعَوِّقِينَ مِنكُمۡ وَٱلۡقَآئِلِينَ
لِإِخۡوَٰنِهِمۡ هَلُمَّ إِلَيۡنَاۖ وَلَا يَأۡتُونَ ٱلۡبَأۡسَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٨﴾ أَشِحَّةً عَلَيۡكُمۡۖ فَإِذَا جَآءَ ٱلۡخَوۡفُ
رَأَيۡتَهُمۡ يَنظُرُونَ إِلَيۡكَ تَدُورُ أَعۡيُنُهُمۡ كَٱلَّذِي يُغۡشَىٰ عَلَيۡهِ مِنَ ٱلۡمَوۡتِۖ فَإِذَا ذَهَبَ ٱلۡخَوۡفُ
سَلَقُوكُم بِأَلۡسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى ٱلۡخَيۡرِۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَمۡ يُؤۡمِنُواْ فَأَحۡبَطَ ٱللَّهُ

(١ - ١) فى م: «أو».

أَعْمَٰلَهُمْۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٩﴾ يَحْسَبُونَ ٱلْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُواْۖ وَإِن يَأْتِ
ٱلْأَحْزَابُ يَوَدُّواْ لَوْ أَنَّهُم بَادُونَ فِي ٱلْأَعْرَابِ يَسْـَٔلُونَ عَنْ أَنۢبَآئِكُمْۖ وَلَوْ
كَانُواْ فِيكُم مَّا قَٰتَلُوٓاْ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢٠﴾ لَّقَدْ [٣/ ٢ظ] كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ
أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْأَخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ وَلَمَّا رَءَا
ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُواْ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥۚ وَمَا
زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْهِۖ
فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُۖ وَمَا بَدَّلُواْ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ لِّيَجْزِيَ ٱللَّهُ
ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ
غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٤﴾ وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُواْ خَيْرًاۚ وَكَفَى ٱللَّهُ
ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴿٢٥﴾ وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ
ٱلْكِتَٰبِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ
فَرِيقًا ﴿٢٦﴾ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَٰرَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَـُٔوهَاۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ
كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ﴾ [الأحزاب: ٩- ٢٧]، وقد تكلَّمْنا على كلٍّ مِن هذه الآياتِ الكَريماتِ فى «التَّفسيرِ»[١]، ولِلَّه الحمدُ والمِنَّةُ، ولْنَذْكُرْ هـٰهنا ما يتعَلَّقُ بالقصةِ إن شاء اللَّهُ، وبه الثقةُ وعليه التُّكْلانُ.

وقد كانت غزوةُ الخَنْدقِ فى شَوَّالٍ سنةَ خمسٍ مِن الهجرةِ. نصَّ على ذلك ابنُ إسحاقَ، وعروةُ بنُ الزبيرِ، وقَتادةُ، والبيهقيُّ[٢]، وغيرُ واحدٍ مِن العلماءِ، سَلَفًا وخَلَفًا[٣].

---

(١) التفسير ٦/٣٨٤ - ٤٠١.

(٢) سيرة ابن هشام ٢/ ٢١٤، ودلائل النبوة ٣/ ٣٩٤، ٣٩٥، والمعرفة والتاريخ ٣/ ٢٨٥.

(٣) انظر الدرر لابن عبد البر ص ١٧٩، وتاريخ الإسلام للذهبى جزء المغازى ص ٢٨٣، ٢٨٤، وزاد المعاد ٣/ ٢٦٩، ٢٧٠.

وقد رَوى موسى بنُ عُقبةَ[1] ، عن الزُّهْرىِّ ، أنه قال: ثُم كانت وَقْعةُ الأحْزابِ فى شَوّالٍ سنةَ أربعٍ . وكذلك قال الإمامُ مالكُ بنُ أنسٍ ، فيما رَواه أحمدُ بنُ حَنْبلٍ ، عن موسى بنِ داودَ ، عنه[2] .

قال البيهقىُّ[3] : ولا اختلافَ بينَهم فى الحقيقةِ ؛ لأن مُرادَهم أن ذلك بعدَ مُضِىِّ أربعِ سنينَ وقبلَ استكمالِ خمسٍ . ولاشكَّ أن المُشْركين لما انصَرَفوا عن أُحدٍ واعَدوا المسلمين إلى بدرٍ العامَ القابلَ ، فذهَب النبىُّ ﷺ وأصحابُه كما تقدَّم[4] فى شعبانَ سنةَ أربعٍ ، ورجَع أبو سفيانَ بقريشٍ لجَدْبِ ذلك العامِ ، فلم يكونوا لِيأْتوا إلى المدينةِ بعدَ شهرَيْن ، فتعَيَّن أن الخَنْدقَ فى شَوَّالٍ مِن سنةِ خمسٍ . واللَّهُ أعلمُ .

وقد صرَّح الزهرىُّ بأن الخندقَ كانت بعدَ أحدٍ بسنتَيْن[5] ، ولا خلافَ أن أُحدًا فى شَوَّالٍ سنةَ ثلاثٍ ، إلا على قولِ مَن ذهَب إلى أن أولَ التاريخِ مِن مُحَرَّمِ السنةِ التاليةِ لسنةِ الهجرةِ ، ولم يَعُدُّوا الشهورَ الباقيةَ مِن سنةِ الهجرةِ مِن ربيعٍ الأولِ إلى آخرِها ، كما حكاه البيهقىُّ[6] ، وبه قال يعقوبُ بنُ سُفيانَ الفَسَوىُّ[7] ، وقد صرَّح بأن بدرًا [٣/٣و] فى الأولى ، وأحدًا فى سنةِ ثِنْتَيْن ، وبدرًا المَوْعِدَ فى شعبانَ سنةَ ثلاثٍ ، والخندقَ فى شوالٍ سنةَ أربعٍ . وهذا

---

(١) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٣/ ٣٩٢، ٣٩٣، عن موسى بن عقبة ، به .
(٢) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٣/ ٣٩٧، من طريق أحمد بن حنبل ، به .
(٣) دلائل النبوة ٣/ ٣٩٥.
(٤) تقدم فى ٥/ ٥٧٣.
(٥) انظر المعرفة والتاريخ ٣/ ٢٨٥، ودلائل النبوة ٣/ ٣٩٤.
(٦) دلائل النبوة ٣/ ٣٩٦، ٣٩٧.
(٧) المعرفة والتاريخ ٣/ ٢٨٦.

مُخالِفٌ لقولِ الجمهورِ ؛ فإن المشهورَ أن أميرَ المؤمنين عمرَ بنَ الخطابِ جعَل أولَ التاريخِ مِن مُحَرَّمِ سنةِ الهجرةِ[1] . وعن مالكٍ : مِن ربيعِ الأولِ سنةَ الهجرةِ[2] . فصارت الأقوالُ ثلاثةً . واللَّهُ أعلمُ .

والصحيحُ قولُ الجمهورِ أن أُحدًا في شوالٍ سنةَ ثلاثٍ ، وأن الخندقَ في شوالٍ سنةَ خمسٍ مِن الهجرةِ . واللَّهُ أعلمُ .

فأمَّا الحديثُ المُتَّفَقُ عليه في « الصحيحين »[3] مِن طريقِ عُبَيْدِ اللَّهِ ، عن نافعٍ ، عن ابنِ عمرَ ، أنه قال : عُرِضْتُ على رسولِ اللَّهِ ﷺ يومَ أُحدٍ وأنا ابنُ أربعَ عشْرَةَ سنةً فلم يُجِزْني ، وعُرِضْتُ عليه يومَ الخندقِ وأنا ابنُ خمسَ عشْرَةَ فأجازني . فقد أجاب عنه جماعةٌ مِن العلماءِ ، منهم البيهقيُّ[4] بأنه عُرِض يومَ أحدٍ[5] في أولِ الرابعةَ عشْرةَ ، ويومَ الأحزابِ في أَواخرِ الخامسةَ عشْرَةَ .

قلتُ : ويَحْتَمِلُ أنه أراد أنَّه لما عُرِض عليه في يومِ الأحزابِ ، كان قد اسْتَكْمل خمسَ عشْرةَ سنةً ، التي يُجازُ لمثلِها الغِلمانُ ، فلا يبْقَى على هذا زيادةٌ عليها . ولهذا لما بلَّغ نافعٌ عمرَ بنَ عبدِ العزيزِ هذا الحديثَ قال : إن هذا لَفَرْقٌ[6] بينَ الصغيرِ والكبيرِ . ثُم كتَب به إلى الآفاقِ[7] . واعتَمَد على ذلك جمهورُ

---

(١) أخرجه الطبرى فى تاريخه ٢/‏٣٨٩ حوادث السنة الأولى ، وابن عساكر فى تاريخ دمشق ١/ ٤٢. كلاهما من حديث محمد بن سيرين .

(٢) انظر المعرفة والتاريخ ٣/ ٢٥٠، وتاريخ ابن عساكر ١/‏٣٨.

(٣) البخارى (٢٦٦٤، ٤٠٩٧)، ومسلم (١٨٦٨) .

(٤) انظر دلائل النبوة ٣/‏٣٩٦.

(٥) فى ص : « الخندق » .

(٦) فى الأصل ، م : « الفرق » .

(٧) مسلم (١٨٦٨)، ودلائل النبوة ٣/ ٣٩٥.

العلماءِ. واللَّهُ أعلمُ.

وهذا سِياقُ القصةِ، مما ذكَره ابنُ إسحاقَ وغيرُه:

قال ابنُ إسحاقَ[1]: ثُم كانت غزوةُ الخندقِ فى شوالٍ سنةَ خمسٍ، فحدَّثنى يزيدُ بنُ رُومانَ، عن[2] عروةَ، ومَن لا أتَّهِمُ، عن عبدِ[3] اللَّهِ بنِ كعبِ ابنِ مالكٍ، ومحمدُ بنُ كعبٍ القُرَظِىُّ والزُّهْرىُّ وعاصمُ بنُ عمرَ بنِ قَتادةَ وعبدُ اللَّهِ بنُ أبى بكرٍ وغيرُهم مِن علمائِنا، وبعضُهم يُحَدِّثُ ما لا يُحَدِّثُ بعضٌ، قالوا: إنه كان مِن حديثِ الخندقِ أن نفَرًا مِن اليهودِ - منهم: سَلَّامُ بنُ أبى الحُقَيْقِ النَّضَرىُّ، وحُيَىُّ بنُ أخْطَبَ النَّضَرىُّ، وكِنانةُ [4]بنُ الربيعِ[4] بنِ أبى الحُقَيْقِ، وهَوْذَةُ بنُ قيسٍ الوَائلىُّ، وأبو عَمَّارٍ الوائلىُّ، فى نفَرٍ مِن بنى النَّضِيرِ ونفَرٍ مِن بنى وائلٍ، وهم الذين حزَّبوا الأحْزابَ على رسولِ اللَّهِ ﷺ - خرَجوا حتى قدِموا على قريشٍ مكةَ، فدَعَوهم إلى حربِ رسولِ اللَّهِ ﷺ وقالوا: إنا سنكونُ معكم عليه، حتى نستَأْصِلَه. فقالت لهم قريشٌ: يا معشرَ يهودَ، إنكم أهلُ الكتابِ الأولِ والعلمِ بما أصبَحْنا[5] نختَلِفُ فيه نحن ومحمدٌ، أفدِينُنا خيرٌ أم دِينُه؟ قالوا: بل دِينُكم خيرٌ مِن [٣/٣ظ] دينِه، وأنتم أَولى بالحقِّ منه. فهم الذين أنزَل اللَّهُ فيهم[6]: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ

---

(١) سيرة ابن هشام ٢/٢١٤ - ٢١٦، وتاريخ الطبرى ٢/٥٦٤ - ٥٦٦. حوادث السنة الخامسة.
(٢) فى السيرة: «ابن» وهو خطأ. انظر تهذيب الكمال ٣٢/ ١٢٢.
(٣) فى م: «عبيد». وانظر تهذيب الكمال ١٥/ ٤٧٥.
(٤ - ٤) سقط من: ص، والسيرة.
(٥) بعده فى الأصل: «مما».
(٦) التفسير ٢/٢٩١ - ٢٩٥.

﴿يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَٰؤُلَاءِ أَهْدَىٰ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا ﴿٥١﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَمَن يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا﴾ الآيات [النساء: ٥١، ٥٢]. فلمَّا قالوا ذلك لقريشٍ سَرَّهم ونشِطوا لِما دَعَوهم إليه مِن حربِ رسولِ اللَّهِ ﷺ، فاجْتَمعوا لذلك واتَّعَدوا له، ثُم خرَج أولئك النفرُ مِن يهودَ حتى جاءوا غَطَفانَ مِن قيسِ عَيْلانَ[1]، فدَعَوهم إلى حربِ النبيِّ ﷺ، وأخْبَروهم أنهم يكونون معهم عليه، وأن قريشًا قد تابعوهم[2] على ذلك واجْتَمَعوا معهم فيه، فخرَجت قريشٌ وقائدُها أبو سفيانَ، وخرَجت غَطَفانُ وقائدُها عُيَيْنَةُ بنُ حِصْنِ بنِ حُذَيْفَةَ[3] بنِ بَدرٍ، في بنى فَزارَةَ، والحارثُ بنُ عَوْفِ ابنِ[4] أبى حارثةَ المُرِّىُّ، في بنى مُرَّةَ، ومِسْعَرُ[5] بنُ رُخَيْلَةَ[6] بنِ نُوَيْرةَ بنِ طَريفِ ابنِ سُحْمةَ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ هِلالِ بنِ خُلاوةَ[7] بنِ أشْجَعَ بنِ رَيْثِ بنِ غَطَفانَ فيمَن تابعه مِن قومِه مِن أشْجَعَ. فلما سمِع بهم رسولُ اللَّهِ ﷺ وما أجْمَعوا له مِن الأمرِ، ضرَب الخندقَ على المدينةِ. قال ابنُ هشامٍ[8]: يُقالُ: إن الذى أشار

---

(١) فى الأصل، ص: «غيلان». وانظر جمهرة أنساب العرب لابن حزم ص ٢٥٥.

(٢) فى الأصل: «بايعوهم».

(٣) بعده فى ص: «بن حذيفة». وانظر المصدر السابق ص ٢٥٦.

(٤) سقط من: الأصل.

(٥) كذا فى النسخ، والسيرة. وفى تاريخ الطبرى، والاستيعاب ٣/ ١٣٩٢، وأسد الغابة ٥/ ١٦١، والإصابة ٦/ ٩٨: «مسعود».

(٦) فى ص: «دخيلة». قال أبو ذر الخشنى: رُوى هنا بالجيم والخاء المعجمة. ورخيلة بالخاء المعجمة والراء المضمومة، قيده الدارقطنى. شرح غريب السيرة ٣/ ٣.

(٧) فى الأصل: «حلاوة»، وفى ص: «خلاد». قال فى شرح غريب السيرة ٣/ ٣: كذا وقع هنا بالخاء المعجمة مضمومة ومفتوحة، وبالحاء المهملة كذلك، وبالخاء المعجمة هو الجيد.

(٨) سيرة ابن هشام ٢/ ٢٢٤.

به سَلْمانُ . قال الطبريُّ والسُّهيليُّ[1] : أولُ مَن حفَر الخنادقَ مِنُوشِهْرُ بنُ[2] إيرَجَ ابنِ أفْرِيدونَ[2] ، وكان فى زمنِ موسى ، عليه السلامُ .

قال ابنُ إسحاقَ[3] : فعمِل فيه رسولُ اللَّهِ ﷺ تَرْغِيبًا للمسلمين فى الأجرِ ، وعمِل فيه المسلمون ، وتخَلَّف طائفةٌ مِن المُنافقِين يعْتَذِرون بالضَّعْفِ ، ومنهم مَن يَنْسَلُّ خُفْيةً بغيرِ إذنِه ولا عِلْمِه ، عليه الصلاةُ والسلامُ . وقد أنزَل اللَّهُ تعالى فى ذلك قولَه تعالى[4] : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُوا۟ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا۟ حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ فَإِذَا ٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمُ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٢﴾ لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ۚ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا ۚ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قَدْ يَعْلَمُ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌۢ ﴾ [النور: ٦٢- ٦٤] .

قال ابنُ إسحاقَ[5] : فعمِل المسلمون فيه حتى أحْكَموه ، وارْتجَزوا فيه برجلٍ مِن المسلمين يقالُ له : جُعَيلٌ . سمَّاه رسولُ اللَّهِ [٣/٤و] ﷺ عَمْرًا ، فقالوا فيما يقولون :

---

(١) تاريخ الطبرى ١/ ٣٧٩. والروض الأنف ٦/ ٣٠٦.

(٢ - ٢) فى الأصل : « أبرخ بن الزيدون » ، وفى ص : « أيرح بن أفريدون » .

(٣) سيرة ابن هشام ٢/ ٢١٦، وتاريخ الطبرى ٣/ ٥٦٦، ٥٦٧، حوادث السنة الخامسة .

(٤) التفسير ٦/٩٥ - ٩٩.

(٥) سيرة ابن هشام ٢/ ٢١٧، وتاريخ الطبرى ٢/ ٥٦٧، حوادث السنة الخامسة .

سمَّاه مِن بعدِ جُعَيْلٍ عَمْرَا وكانَ للبائسِ يومًا ظَهْرَا[1]

وكانوا إذا قالوا : عمْرًا . قال معهم رسولُ اللَّهِ ﷺ : « عَمْرًا » . وإذا قالوا : ظَهْرًا[2] . قال معهم[3] : « ظَهْرًا »[2] .

وقد قال البخاريُّ[4] : حدّثنا عبدُ اللَّهِ بنُ محمدٍ ، حدَّثنا معاويةُ بنُ عمرٍو ، حدَّثنا أبو إسحاقَ ، عن حُمَيْدٍ ، سمِعْتُ أنسًا ، قال : خرَج رسولُ اللَّهِ ﷺ إلى الخندقِ ، فإذا المهاجرون والأنصارُ يَحْفِرون فى غَداةٍ باردةٍ ، ولم يَكُنْ لهم عَبيدٌ يَعْمَلون ذلك لهم ، فلمَّا رَأَى ما بهم مِن النَّصَبِ والجوعِ قال : « اللهم إنَّ العيشَ عيشُ الآخِرَهْ ، فاغفِرْ لِلْأنصارِ والمُهاجِرَهْ » . فقالوا مُجِيبِين له :

نحن الذين بايَعُوا محمدَا على الجهادِ ما بَقِينا أَبَدَا

وفى « الصحيحين »[5] مِن حديثِ شُعبةَ ، عن معاويةَ بنِ[6] قُرَّةَ ، عن أنسٍ ، نحوَه . وقد رَواه مسلمٌ مِن حديثِ حَمَّادِ بنِ سَلَمةَ[7] ، عن ثابتٍ ، وحُمَيْدٍ ، عن أنسٍ ، بنحوِه[8] .

---

(١) فى ص : « طهرًا » . والبائس هو الفقير ، والظهر : القوة والمعونة ، والضمير المستتر فى قوله : « سماه » وفى : « كان » راجع إلى النبى ﷺ ، والتقدير : وكان النبى ﷺ للبائس - أى الفقير - قوة ومعونة . وقد يجوز فيه وجه ثان ؛ وهو أن يكون الظهر هنا هو الإبل ، فيكون البيت على وجه آخر ، تقديره : وكان المال للبائس يومًا ظهرًا . شرح غريب السيرة ٣/ ٣.

(٢) فى ص : « طهرا » .

(٣) فى الأصل ، م : « لهم » .

(٤) البخارى (٢٨٣٤، ٤٠٩٩) .

(٥) البخارى (٣٧٩٥، ٦٤١٣) ، ومسلم (١٢٧، ١٨٠٥) .

(٦) فى الأصل : « عن » . وانظر تهذيب الكمال ٢٨/ ٢١٠.

(٧) فى الأصل : « مسلمة » . وانظر تهذيب الكمال ٧/ ٢٥٣.

(٨) رواية حماد عن ثابت عن أنس ، فى صحيح مسلم (١٣٠/١٨٠٥) . ورواية حماد عن حميد =

وقال البخاريُّ[1] : حدَّثنا أبو مَعْمَرٍ ، حدَّثنا عبدُ الوارثِ ، عن عبدِ العزيزِ ، عن أنسٍ قال : جعَل المهاجرون والأنصارُ يَحْفِرون الخندقَ حولَ المدينةِ ، ويَنْقُلون التُّرابَ على مُتونِهم[2] ، ويقولون :

نحن الذين بايعوا محمدًا ... على الجهادِ[3] ما بَقِينا أبدًا

قال : يقولُ النبيُّ ﷺ يُجيبُهم : « اللهم إنه[4] لا خيرَ إلا خيرُ الآخِرَهْ ، فبارِكْ في الأنصارِ والمهاجِرَهْ » . قال : يُؤْتَوْن بمِلْءِ كَفِّي مِن الشَّعِيرِ ، فيُصْنَعُ لهم بإهالةٍ[5] سَنِخةٍ[6] تُوضَعُ بينَ يدي القومِ والقومُ جِياعٌ ، وهي بَشِعةٌ في الحلْقِ ، ولها ريحٌ مُنْتِنٌ .

وقال البخاريُّ[7] : حدَّثنا قُتَيْبةُ بنُ سَعيدٍ ، حدَّثنا عبدُ العزيزِ بنُ أبي حازمٍ ، عن سهلِ بنِ سعدٍ ، قال : كنا مع رسولِ اللَّهِ ﷺ في الخندقِ ، وهم يَحْفِرون ، ونحن نَنْقُلُ التُّرابَ على أَكْتادِنا[8] ، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « اللهم لا عيشَ إلا

= عن أنس ، لم نجدها في صحيح مسلم ، انظر صحيح مسلم (١٢٧/ ١٨٠٥، ١٢٨/ ٠٠٠، ١٢٩/ ٠٠٠، ١٣٠/ ٠٠٠)، وتحفة الأشراف ١/ ١٨٠ - ١٨٣.

(١) البخاري (٢٨٣٥) دون قوله : « يؤتون بملء كفي ...»، (٤١٠٠) به .

(٢) المتون : جمع متن ، وهو الظهر .

(٣) في الأصل، م: « الإسلام». قال الحافظ في الفتح ٧/ ٣٩٥: في رواية عبد العزيز: « على الإسلام » ، بدل « الجهاد » . والأول أثبت .

(٤) سقط من : الأصل ، ص .

(٥) الإهالة بكسر الهمزة وتخفيف الهاء : الدهن الذي يؤتدم به ، سواء كان زيتا أو سمنا أو شحما . فتح الباري ٧/ ٣٩٥.

(٦) في الأصل : « سنحة » . وسنخة : أي تغير طعمها ولونها من قِدَمها . انظر المصدر السابق .

(٧) البخاري (٤٠٩٨) .

(٨) في الأصل : « أكبادنا » ، وفي ص : « أكتافنا » . قال الحافظ : وأكتاد بالمثناة جمع كتد ، بفتح أوله =

عيشُ الآخِرَهْ ، فاغفِرْ للمهاجرين والأنصارِ » . ورَواه مسلمٌ[1] ، عن القَعْنبىِّ ، عن عبدِ العزيزِ ، به .

وقال البخارىُّ[2] : حدَّثنا مسلمُ بنُ إبراهيمَ ، حدَّثنا شُعبةُ ، عن أبى إسحاقَ ، عن البَراءِ بنِ عازبٍ قال : كان رسولُ اللَّهِ ﷺ ينْقُلُ التُّرابَ يومَ الخندقِ حتى أغْمَرَ بطنَه - أو اغْبَرَّ بطنُه[3] - يقولُ :

واللَّهِ لولا اللَّهُ ما اهتدَيْنا ... ولا تصَدَّقْنا ولا صلَّيْنا

فأَنْزِلَنْ سَكِينةً علينا ... وثبِّتِ الأقْدامَ إن لاقَيْنا

إن الأُلَى قد بَغَوا علينا ... إذا أرادوا فِتنةً أَبَيْنا

ورفَع بها صوتَه : « أبَيْنا ، أبَيْنا » . ورَواه مسلمٌ ، مِن حديثِ شعبةَ به[4] .

ثُم قال البخارىُّ[5] : حدَّثنا أحمدُ بنُ عثمانَ ، حدَّثنا شُرَيْحُ بنُ مَسْلَمَةَ[6] ، حدَّثنى إبراهيمُ بنُ يُوسُفَ ، [٣/٤ظ] حدَّثنى أبى ، عن أبى إسحاقَ ، عن البَراءِ يُحَدِّثُ قال : لما كان يومُ الأحزابِ وخَنْدَق رسولُ اللَّهِ ﷺ ، رأيْتُه يَنْقُلُ مِن

= وكسر المثناة ، وهو ما بين الكاهل إلى الظهر ... وفى بعض النسخ : « على أكبادنا » بالموحدة ؛ وهو موجه على أن يكون المراد به ما يلى الكبد من الجنب . فتح البارى ٧/ ٣٩٤.

(١) مسلم (١٨٠٤) .

(٢) البخارى (٤١٠٤) .

(٣) قال الحافظ : كذا وقع بالشك بالغين المعجمة فيهما ، فأما التى بالموحدة فواضحٌ من الغبار ، وأما التى بالميم فقال الخطابى : إن كانت محفوظة فالمعنى : وارى التراب جلدة بطنه . فتح البارى ٧/ ٤٠١.

(٤) مسلم (١٨٠٣) .

(٥) البخارى (٤١٠٦) .

(٦) فى الأصل : « مسلم » . وانظر تهذيب الكمال ١٢/ ٤٤٨.

ترابِ الخَنْدقِ حتى وارَى عنى التُّرابُ[1] جِلْدَةَ بطنِه، وكان كثيرَ الشَّعْرِ، فسمِعْتُه يَرْتَجِزُ بكَلِماتِ عبدِ اللَّهِ بنِ رَواحةَ، وهو ينْقُلُ مِن الترابِ يقولُ:

اللهم لولا أنتَ ما اهتدَيْنا ... ولا تصَدَّقْنا ولا صلَّيْنا

فأنْزِلَنْ سَكينةً علَينا ... وثبِّتِ الأقدامَ إن لَاقَيْنا

(٢ إن الأُلَى قد بَغَوا علينا ٢) ... وإن أرادوا فِتنةً أبَيْنا

ثُم يَمُدُّ صوتَه بآخرِها.

وقال البيهقىُّ فى «الدلائلِ»[3]: أخبرَنا علىُّ بنُ أحمدَ بنِ عَبْدانَ، أخبرَنا أحمدُ بنُ عُبَيْدٍ الصَّفَّارُ، حدَّثنا إسماعيلُ بنُ الفَضْلِ البَلْخىُّ[4] حدثنا إبراهيمُ بنُ يوسُفَ البَلْخىُّ، حدَّثنا المُسَيَّبُ بنُ شَرِيكٍ، عن زِيادِ بنِ أبى زِيادٍ، عن أبى عُثمانَ، عن سَلْمانَ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ ضرَب فى الخندقِ وقال:

بسمِ اللَّهِ[5] وبه هُدِينا ... ولو عَبَدْنا غيرَه شَقِينا

(٦ يا حبَّذا ربًّا وحَبَّ دِينًا ٦)

وهذا حديثٌ غريبٌ مِن هذا الوجهِ.

---

(١) فى الأصل، ص: «الغبار». وهو لفظ رواية أخرى. انظر الفتح ٧/ ٤٠١.

(٢ - ٢) سقط من: ص. وفى الأصل: «إن الأولى رغبوا علينا». وهو لفظ بعض الروايات. انظر المصدر السابق.

(٣) دلائل النبوة ٣/ ٤١٤. وانظر سبل الهدى والرشاد ٤/ ٥١٧. وقد رُوى موقوفًا على أبى عثمان، رواه الحارث بن أبى أسامة. بغية الباحث (٦٨٨) وقال محققه: ضعيف.

(٤) فى م، ص: «البجلى».

(٥) بعده فى الأصل: «الإله».

(٦ - ٦) كذا فى النسخ، والسيرة الشامية. وفى الدلائل: «فأحب ربا وأحب دينا».

وقال الإمامُ أحمدُ[1] : حدَّثنا سُلَيْمانُ ، حدَّثنا شُعبةُ ، عن مُعاويةَ بنِ قُرَّةَ[2] ، عن أنسٍ ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ قال ، وهم يَحْفِرون الخَنْدقَ : « اللهم لا خيرَ إلا خيرُ الآخِرَهْ ، فأَصْلِحِ الأنصارَ والمُهاجِرَهْ » . وأخرجاه فى « الصحيحين »[3] مِن حديثِ غُنْدَرٍ ، عن شعبةَ[4] .

قال ابنُ إسحاقَ[5] : وقد كان فى حَفْرِ الخندقِ أحاديثُ [6]بلغَتْنى ، فيها مِن اللَّهِ تعالى عِبْرةٌ[6] فى تصديقِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، وتحقيقِ نبوتِه ، عايَنَ ذلك المسلمون ؛ فمِن ذلك أن جابرَ بنَ عبدِ اللَّهِ كان يُحَدِّثُ أنه اشْتَدَّت عليهم فى بعضِ[7] الخندقِ كُدْيَةٌ[8] ، فشَكَوها إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فدَعا بإناءٍ مِن ماءٍ ، فتَفَل فيه ، ثُم دَعا بما شاء اللَّهُ أن يَدْعُوَ به ، ثُم نضَح الماءَ على تلك الكُدْيةِ ، فيقولُ مَن حضَرها : فوالذى بعَثه بالحقِّ[9] لَانْهالَتْ حتى عادت كالكَثِيبِ ما تَرُدُّ فأسًا ولا مِسْحاةً . هكذا ذكَره ابنُ إسحاقَ مُنْقَطِعًا ، عن جابرِ بنِ عبدِ اللَّهِ ، رَضِىَ اللَّهُ عنه .

---

(1) المسند ٣/ ٢١٠.

(2) فى الأصل : « مُرة » . وانظر تهذيب الكمال ٢٨/ ٢١٠.

(3) البخارى (٦٤١٣) ، ومسلم (١٨٠٥) .

(4) سقط من : ص . والحديث عند أحمد فى المسند ٣/ ١٧٢، من طريق غندر عن شعبة بلفظ الصحيحين .

(5) سيرة ابن هشام ٢/ ٢١٧، ٢١٨. وانظر دلائل النبوة للبيهقى ٣/ ٤١٥.

(٦ - ٦) فى الأصل : « بلغنى فيها غيره » ، وفى م : « بلغتنى من اللّه فيها عبرة » ، وفى ص : « بلغنى فيها عبرة » . والمثبت من السيرة .

(7) فى الأصل ، ص : « حفر » .

(8) الكدية : قطعة غليظة صلبة لا تعمل فيها الفأس . النهاية ٤/ ١٥٦.

(9) بعده فى السيرة : « نبيًّا » .

وقد قال البخاريُّ[1] ، رحِمه اللَّهُ : [2]حدَّثنا خَلَّادُ بنُ يَحْيَى[2] ، حدَّثنا عبدُ الواحدِ بنُ أيمنَ ، عن أبيه قال : أتيْتُ جابرًا فقال : إنَّا يومَ الخندقِ نَحْفِرُ ، فعَرَضت كَيْدَةٌ[3] [٣/ ٥و] شديدةٌ ، فجاءوا النبيَّ ﷺ فقالوا : هذه كُدْيةٌ عرَضت في الخندقِ . فقال : « أنا نازلٌ » . ثُم قام وبطنُه مَعْصُوبٌ بحجرٍ ، ولبِثْنا ثلاثةَ أيامٍ لا نَذُوقُ ذَوَاقًا ، فأخذ النبيُّ ﷺ المِعْوَلَ فضرب ، فعاد كَثِيبًا أهْيَلَ أو أهْيَمَ[4] ، فقلتُ : يا رسولَ اللَّهِ ، ائذَنْ لى إلى البيتِ . فقلتُ لامرأتى : رأيتُ بالنبيِّ ﷺ شيئًا ما كان فى ذلك صبرٌ ، فعندَكِ شىءٌ ؟ قالت : عندى شَعيرٌ وعَناقٌ[5] . فذبَحتِ العَناقَ ، وطحَنَتِ الشَّعيرَ ، حتى جعَلْنا اللحمَ فى البُرْمَةِ[6] ، ثُم جِئْتُ النبيَّ ﷺ ، والعَجِينُ قد انكَسَر[7] ، والبُرْمَةُ بينَ الأَثافيِّ[8] قد كادت أن تنْضَجَ ، فقلتُ : طُعَيِّمٌ لى ، فقم أنتَ يا رسولَ اللَّهِ ورجلٌ أو رجلان . قال : « كمْ هو ؟ » . فذكَرتُ له ، فقال : « كثيرٌ طيبٌ ، قلْ لها لا تَنْزِعِ البُرْمَةَ ولا

---

(١) البخارى (٤١٠١) .

(٢ - ٢) سقط من : الأصل . وفى ص : « حدثنا خالد بن يحيى » . وانظر تهذيب الكمال ٨/ ٣٥٩.

(٣) فى م ، ص : « كدية » . وهى لفظ إحدى روايات البخارى . قال الحافظ : والكيدة : قيل : هى القطعة الشديدة الصلبة من الأرض . وقال عياض : كأن المراد أنها واحدة الكيد ، كأنهم أرادوا أن الكيد - وهى الجبلة - أعجزهم ، فلجئوا إلى النبى ﷺ . فتح البارى ٧/ ٣٩٦.

(٤) قال الحافظ : شك من الراوى ... والمعنى أنه صار رملًا يسيل ولا يتماسك ، قال اللَّه تعالى : ﴿ وكانت الجبال كثيبًا مهيلًا ﴾ أى ؛ رملًا سائلًا ، وأما أهيم فقال القاضى عياض :... هى بمعنى أهيل . وقد قال فى قوله تعالى : ﴿ فشاربون شرب الهيم ﴾ المراد الرمال التى لا يرويها الماء . الفتح ٧/ ٣٩٧.

(٥) العناق بفتح العين المهملة وتخفيف النون هى الأنثى من الماعز . المصدر السابق .

(٦) البرمة أى : القِدر مطلقا ، وجمعها برام ، وهى فى الأصل المتخذة من الحجر المعروف بالحجاز واليمن . النهاية ١/ ١٢١.

(٧) أى : لان ورطب وتمكن منه الخمير . الفتح ٧/ ٣٩٨.

(٨) الأثافى : الحجارة التى توضع عليها القدر وهى ثلاثة . المصدر السابق .

الخبزَ مِن التَّنُّورِ حتى آتِىَ » . فقال : « قوموا » . فقام المهاجرون والأنصارُ ، فلما دخَل على امرأتِه قال : ويحكِ ، جاء النبىُّ ﷺ بالمهاجرين والأنصارِ ومَن معهم . قالت : هل سألكَ ؟ قلتُ : نعم . فقال : « ادْخُلوا ولا تَضاغَطُوا[1] » .

فجعَل يَكْسِرُ الخبزَ ، ويَجْعلُ عليه اللَّحْمَ ، ويُخَمِّرُ البُرْمةَ والتَّنُّورَ إذا أخَذ منه ، ويُقَرِّبُ إلى أصحابِه ، ثُم يَنْزِعُ ، فلم يَزَلْ يَكْسِرُ الخبزَ[2] ويَغْرِفُ حتى شبِعوا ، وبقِىَ بقيةٌ ، قال : « كلى هذا وأَهْدِى ، فإن الناسَ أصابَتْهم مَجاعةٌ » . تفرَّد به البخارىُّ .

وقد رواه الإمامُ أحمدُ[3] ، عن وَكيعٍ ، عن عبدِ الواحدِ بنِ أيْمنَ ، عن أبيه أيمنَ الحَبَشىِّ مولى بنى مَخْزومٍ ، عن جابرٍ بقصةِ الكُدْيةِ ورَبْطِ الحجرِ على بطنِه الكريمِ .

ورَواه البيهقىُّ فى « الدلائلِ »[4] عن الحاكمِ ، عن الأصَمِّ ، عن أحمدَ بنِ عبدِ الجبارِ ، عن يونُسَ بنِ بُكَيْرٍ ، عن عبدِ الواحدِ بنِ أَيْمَنَ ، عن أبيه ، عن جابرٍ ، بقصةِ الكُدْيةِ والطَّعامِ ، وطَوَّله أَتَمَّ مِن روايةِ البخارىِّ ؛ قال فيه : لما علِم النبىُّ ﷺ بمقدارِ الطعامِ قال للمسلمين جميعًا : « قوموا إلى جابرٍ » . فقاموا ، قال : فلقِيتُ مِن الحياءِ ما لا يعْلَمُه إلا اللَّهُ ، وقلتُ : (٥)جاء بالخَلْقِ(٥) على صاعٍ مِن شَعيرٍ وعَناقٍ ! ودخَلْتُ على امرأتى أقولُ : افْتَضَحْتِ ؛ جاءكِ رسولُ اللَّهِ ﷺ

(١) أى : لا تزاحموا . الفتح ٣٩٨/٧ .

(٢) زيادة من : م .

(٣) المسند ٣/ ٣٠٠، ٣٠١.

(٤) دلائل النبوة ٣/ ٤١٥، ٤١٦.

(٥ - ٥) فى الأصل ، م : « جاءنا بخلق » .

بالخندقِ أجمعين . [٣/ ٥ظ] فقالت : هل كان سألك كمْ طعامُكَ ؟ قلتُ : نعم . فقالت : اللَّهُ ورسولُه أعلمُ . قال : فكشَفَتْ عنى غمًّا شديدًا . قال : فدخَل رسولُ اللَّهِ ﷺ فقال : « خُذِى ودَعِينى مِن اللحمِ » .وجعَل رسولُ اللَّهِ ﷺ يَثْرُدُ ويَغْرِفُ اللَّحمَ ، ثُم يُخَمِّرُ هذا ويُخَمِّرُ هذا ، فما زال يُقَرِّبُ إلى الناسِ حتى شبِعوا أجمعين ، ويَعودُ التَّنُّورُ والقِدْرُ أملأَ ما كانا ، ثُم قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « كلى وأَهْدِى » . فلم (١) نَزَلْ نأكُلُ ونُهْدى يومَنا أجمعَ (١) .

وقد رَواه كذلك أبو بكرِ بنُ أبى شَيْبةَ [٢] ، عن عبدِ الرحمنِ بنِ محمدٍ المُحاربىِّ ، عن عبدِ الواحدِ بنِ أيمنَ ، عن أبيه ، عن جابرٍ ، به ، وأبْسَطَ أيضًا ، وقال فى آخِرِه : وأخبرَنى أنهم كانوا ثمانِمِائةٍ أو قال : ثلاثَمائةٍ . وقال يونُسُ بنُ بُكَيْرٍ [٣] ، عن هشامِ بنِ سعدٍ ، عن أبى الزُّبيرِ ، عن جابرٍ ، فذكَر القصةَ بطولِها فى الطعامِ فقط ، وقال : وكانوا ثلاثَمائةٍ .

ثُم قال البخاريُّ [٤] : حدَّثنا عمرُو بنُ علىٍّ ، حدثنا أبو عاصمٍ ، حدَّثنا حَنْظَلَةُ بنُ أبى سفيانَ ، (٥) أخبرنا سعيدُ (٥) بنُ مِيناءَ ، سمِعْتُ جابرَ بنَ عبدِ اللَّهِ قال : لما حُفِر الخندقُ رأيْتُ (٦) مِن النبىِّ (٦) ﷺ خَمَصًا [٧] ، فانكَفَأْتُ إلى امرأتى ، فقلتُ : هل عندكِ شىءٌ ؟ فإنى رأيتُ برسولِ اللَّهِ ﷺ خَمَصًا شديدًا .

(١ - ١) فى الأصل ، م : « تزل تأكل وتهدى يومها » .
(٢) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٣/ ٤٢٢ - ٤٢٤ ، من طريق ابن أبى شيبة ، به .
(٣) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٣/ ٤٢٤ ، ٤٢٥ ، من طريق يونس بن بكير ، به .
(٤) البخارى (٤١٠٢) .
(٥ - ٥) فى الأصل ، م : « عن أبى الزبير حدثنا » . وانظر تهذيب الكمال ٧/ ٤٤٣ .
(٦ - ٦) كذا فى النسخ . وفى البخارى : « بالنبى » .
(٧) بعده فى البخارى : « شديدًا » . والخَمَص : خلوّ البطن وضموره . الوسيط (خ م ص) .

فأخْرَجَت إلىَّ جِرابًا فيه صاعٌ مِن شعيرٍ ، ولنا بُهَيْمةٌ داجِنٌ[(١)] فذبَحْتُها ، وطحَنَتْ[(٢)] ، ففرغَتْ إلى فَراغى ، وقطَّعْتُها فى بُرْمتِها ، ثُم وَلَّيْتُ إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ فقالت : لا تفْضَحْنى برسولِ اللَّهِ ﷺ وبمَن معه . فجئتُه فسارَرْتُه فقلتُ : يا رسولَ اللَّهِ ، ذبَحْنا بُهَيْمةً لنا ، وطَحَنّا صاعًا مِن شعيرٍ كان عندَنا ، فتَعالَ أنت ونفَرٌ معك . فصاح رسولُ اللَّهِ ﷺ فقال : « يا أهلَ الخندقِ ، إن جابرًا قد صنَع سُورًا[(٣)] ، فحَىَّ هَلًا بكم[(٤)] » . فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « لا تُنْزِلُنَّ بُرْمتَكم ، ولا تَخْبِزُنَّ عَجينَكم حتى أجِىءَ » . فجئتُ ، وجاء رسولُ اللَّهِ ﷺ يَقْدُمُ الناسَ ، حتى جئتُ امرأتى فقالت : بك وبك . فقلتُ : قد فعَلْتُ الذى قُلْتِ . فأخْرَجَت لنا عَجينًا ، فبصَق فيه وبارَك ، ثُم عمَد إلى بُرْمتِنا فبصَق وبارَك ، ثُم قال : « ادْعُ (٥)خبَّازةً فلْتَخْبِزْ معكِ(٥) ، واقْدَحى مِن بُرْمتِكم ولا تُنْزِلوها » . وهم [٣/٦٠و] ألفٌ ، فأُقْسِمُ باللَّهِ لقد أكَلوا حتى ترَكُوه وانحَرَفوا[(٦)] ، وإنَّ بُرْمتَنا لَتَغِطُّ[(٧)] كما هى ، وإنَّ عَجِينَنا ليُخْبَزُ[(٨)] كما هو . ورَواه مسلمٌ ، عن حَجّاجِ بنِ الشاعرِ ، عن أبى عاصمٍ ، به نحوَه[(٩)] .

---

(١) بهيمة داجن : أى سمينة ، والداجن التى تترك فى البيت ولا تفلت للمرعى ، ومن شأنها أن تسمن . الفتح ٧/ ٣٩٧.

(٢) بعده فى البخارى : « الشعير » .

(٣) السور بضم المهملة وسكون الواو بغير همز : الصنيع بالحبشية . والمراد : الطعام . الفتح ٧/ ٣٩٩. والنهاية ٢/ ٤٢٠.

(٤) حىّ هلا بكم : هى كلمة استدعاء فيها حث ، أى هلموا مسرعين . المصدر السابق .

(٥ - ٥) فى البخارى : « خابزة فلتخبز معى » .

(٦) أى ؛ مالوا عن الطعام . الفتح ٧/ ٣٩٩.

(٧) تغط : تغلى وتفور . المصدر السابق .

(٨) سقط من : الأصل ، م .

(٩) مسلم (٢٠٣٩) .

وقد رَوى محمدُ بنُ إسحاقَ هذا الحديثَ ، وفى سِياقِه غرابةٌ مِن بعضِ الوجوهِ ، فقال[1] : حدَّثنى سعيدُ بنُ مِيناءَ ، عن جابرِ بنِ عبدِ اللَّهِ ، قال : عمِلْنا مع رسولِ اللَّهِ ﷺ فى الخندقِ ، وكانت عندى شُوَيْهَةٌ[2] غيرُ جِدٍّ سَمينةٍ[3] . قال : فقلتُ : واللَّهِ لو صنَعْناها لرسولِ اللَّهِ ﷺ . قال : وأمَرْتُ امرأتى فطحَنَتْ لنا شيئًا مِن شعيرٍ ، فصنَعَت لنا منه خبزًا ، وذبَحْتُ تلك الشاةَ فشَوَيْناها لرسولِ اللَّهِ ﷺ ، فلما أمْسَيْنا وأراد رسولُ اللَّهِ ﷺ الانصِرافَ عن الخندقِ . قال : وكنا نَعمَلُ فيه نَهارًا ، فإذا أمْسَيْنا رجَعْنا إلى أهالينا . قال : فقلتُ : يا رسولَ اللَّهِ ، إنى قد صنَعْتُ لك شُوَيْهَةً كانت عندَنا ، وصنَعْنا معها شيئًا مِن خبزِ هذا الشعيرِ ، فأنا أحِبُّ أن تَنْصَرِفَ معى إلى منزلى . قال : وإنما أُرِيدُ أن ينْصِرفَ معى رسولُ اللَّهِ ﷺ وحدَه . قال : فلما أن قلتُ ذلك قال : « نعم » . ثُم أمَر صارخًا ، فصرَخ أن انصَرِفوا مع رسولِ اللَّهِ ﷺ إلى بيتِ جابرِ بنِ عبدِ اللَّهِ . قال : قلتُ : إنا للَّهِ وإنا إليه راجعون . قال : فأقْبَل رسولُ اللَّهِ ﷺ ، وأَقْبَل الناسُ معه ، فجلَس وأخْرَجْناها إليه . قال : فبَرَّك وسَمَّى اللَّهَ تعالى ثُم أكَل ، وتَوارَدَها الناسُ ، كلما فرَغ قومٌ قاموا وجاء ناسٌ ، حتى صدَر أهلُ الخندقِ عنها . والعجَبُ أن الإمامَ أحمدَ إنما رَواه مِن طريقِ سَعيدِ بنِ مِيناءَ ؛ عن يَعقوبَ ابنِ إبراهيمَ بنِ سعدٍ ، عن أبيه ، عن ابنِ إسحاقَ ، عنه ، عن جابرٍ مثلَه سواءً[4] .

قال محمدُ بنُ إسحاقَ[5] : وحدَّثنى سَعيدُ بنُ مِيناءَ أنه قد حُدِّث أن ابنةَ

---

(١) سيرة ابن هشام ٢/ ٢١٨، ٢١٩.

(٢) شويهة : تصغير شاة .

(٣) غير جد سمينة : أى ليست بكاملة السمن . شرح غريب السيرة ٣/ ٤.

(٤) المسند ٣/ ٣٧٧.

(٥) سيرة ابن هشام ٢/ ٢١٨.

لبَشِيرِ بنِ سعدٍ أختَ النُّعمانِ بنِ بَشِيرٍ قالت: دعتْنى أمِّى عَمْرَةُ بنتُ رَواحةَ، فأعْطَتْنى حَفْنةً مِن تمرٍ فى ثوبى، ثُم قالت: أى بُنَيَّةُ، اذهبى إلى أبيك وخالِك عبدِ اللَّهِ بنِ رَواحةَ بغَدائِهما. قالت: فأخَذْتُها وانطَلَقْتُ بها، فمرَرْتُ برسولِ اللَّهِ ﷺ وأنا ألْتَمِسُ أبى وخالى، فقال: «تَعالَىْ يابُنَيَّةُ، ما هذا معك؟». قالت: قلتُ: يا رسولَ اللَّهِ، هذا تمرٌ بعَثَتْنى به أمى إلى أبى؛ بَشِيرِ بنِ سعدٍ وخالى عبدِ اللَّهِ بنِ رَواحةَ يتغَدَّيانه. فقال: [٣/٦٣ظ] «هاتِيه». قالت: «فصبَبْتُه فى كَفَّىْ رسولِ اللَّهِ ﷺ، فما مَلأَتْهما، ثُم أمَر بثوبٍ فبُسِط له، ثم دَحا[1] بالتمرِ عليه، فتبَدَّد فوقَ الثوبِ، ثُم قال لإنسانٍ عندَه: «اصْرُخْ فى أهلِ الخندقِ أنْ هَلُمَّ إلى الغداءِ». فاجْتَمع أهلُ الخندقِ عليه، فجعَلوا يأكُلون منه، وجعَل يَزِيدُ، حتى صدَر أهلُ الخندقِ عنه وإنه لَيَسْقُطُ مِن أطرافِ الثوبِ. هكذا رَواه ابنُ إسحاقَ، وفيه انقِطاعٌ، وهكذا رواه الحافظُ البيهقىُّ[2] مِن طريقِه، ولم يَزِدْ.

قال ابنُ إسحاقَ[3]: وحُدِّثْتُ عن سَلْمانَ الفارسىِّ أنه قال: ضرَبْتُ فى ناحيةٍ مِن الخندقِ فغلُظَت علىَّ صخْرةٌ[4]، ورسولُ اللَّهِ ﷺ قريبٌ منى، فلمَّا رآنى أضْرِبُ ورأَى شدةَ المكانِ علىَّ، نزَل فأخَذ المِعولَ مِن يَدَىَّ، فضرَب به ضَرْبةً لمَعت تحتَ المِعْوَلِ بُرْقةٌ، ثُم ضرَب به ضَرْبةً أخرى فلَمَعت تحتَه بُرْقةٌ أخرى. قال: ثُم ضرَب به الثالثةَ فلمَعت بُرْقةٌ أخرى. قال: قلتُ: بأبى أنت

---

(١) فى الأصل: «دعا». ودحا: بسط ووسع، النهاية ٢/ ١٠٦.

(٢) دلائل النبوة ٣/ ٤٢٧.

(٣) سيرة ابن هشام ٢/ ٢١٩، وانظر دلائل النبوة للبيهقى ٣/ ٤١٧، ٤١٨.

(٤) زيادة من: م.

وأمى يا رسولَ اللَّهِ، ما هذا الذى رأيْتُ لَمَع تحتَ المِعْوَلِ (١ وأنت تضرِبُ ١)؟ قال: «أوَ قد رأيْتَ ذلك يا سلمانُ؟» قال: قلتُ: نعم. قال: «أمّا الأولى، فإنّ اللَّهَ فتَح علىَّ بها[٢] اليَمَنَ، وأما الثانيةُ، فإن اللَّهَ فتَح علىَّ بها[٢] الشامَ والمغرِبَ، وأما الثالثةُ، فإن اللَّهَ فتَح علىَّ بها المَشْرِقَ». قال البيهقىُّ[٣]: وهذا الذى ذكَره ابنُ إسحاقَ قد ذكَره موسى بنُ عُقبةَ فى «مغازيه»، وذكَره أبو الأسودِ، عن عروةَ.

ثُم رَوى البيهقىُّ مِن طريقِ محمدِ بنِ يونُسَ الكُدَيْمِىِّ[٤]، وفى حديثِه نظَرٌ، لكن رواه ابنُ جريرٍ فى «تاريخِه»[٥] عن محمدِ بنِ بَشّارٍ بُندارٍ[٦]، كلاهما عن محمدِ بنِ خالدِ بنِ عَثْمةَ، عن كَثيرِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ عمرِو بنِ عَوْفٍ المُزَنىِّ، عن أبيه، عن جَدِّه، فذكَر حديثًا فيه أن رسولَ اللَّهِ ﷺ خطَّ الخندقَ بينَ كلِّ عشَرةٍ أربعين ذِراعًا. قال: واحْتَقَّ[٧] المهاجرون والأنصارُ (٨ فى سَلمانَ ٨)، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «سلمانُ منا أهلَ البيتِ». قال عمرُو بنُ عَوْفٍ: فكنتُ أنا وسَلْمانُ وحُذَيْفةُ والنُّعمانُ بنُ مُقَرِّنٍ وستةٌ مِن الأنصارِ فى أربعين ذراعًا، فحَفَرْنا

(١ - ١) زيادة من: م.

(٢) فى م: «باب».

(٣) دلائل النبوة ٣/ ٤١٨.

(٤) المصدر السابق ٣/٤١٨ - ٤٢٠.

(٥) تاريخ الطبرى ٢/٥٦٧ - ٥٧٠. حوادث السنة الخامسة.

(٦) فى الأصل، م: «وبندار»، وفى ص: «وشداد». وبندارٌ لقبه. انظر تهذيب الكمال ٢٤/ ٥١١.

(٧) فى الأصل، ص: «تخاصم». واحتق؛ أى تخاصما فيه وادعى كل واحد منهما أن الحق معه. انظر الوسيط (ح ق ق).

(٨ - ٨) سقط من: ص.

حتى إذا بلَغْنا النَّدَى[(١)]، ظهَرت لنا صخرةٌ بَيضاءُ مَرْوَةٌ[(٢)]، فكسَرت حَديدَنا وشَقَّت علينا، فذهَب سلمانُ إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ وهو فى قُبَّةٍ تُرْكيةٍ، فأخْبَره عنها، فجاء فأخَذ المِعْوَلَ مِن سَلمانَ، فضرَب الصَّخْرةَ ضَرْبةً صدَعها، وبرَقت منها بُرْقَةٌ أضاءت ما بينَ لَابَتَيْها - يعنى المدينةَ - حتى كأنَّها مِصباحٌ فى جوفِ ليلٍ مُظْلمٍ، فكبَّر رسولُ اللَّهِ ﷺ [٣/٧و] تكبيرَ فَتْحٍ، وكبرَّ المسلمون، ثُم ضرَبها الثانيةَ فكذلك، ثُم الثالثةَ فكذلك. وذكَر ذلك سلمانُ والمسلمون لرسولِ اللَّهِ ﷺ، وسألوه عن ذلك النورِ، فقال: «لقد أضاء لى مِن الأولى قصورُ الحِيرةِ ومدائنُ كِسْرَى، كأنَّها أنيابُ الكِلابِ، فأخْبَرنى جبريلُ أن أُمَّتى ظاهرةٌ عليها، ومِن الثانيةِ أضاءتِ القصورُ الحُمْرُ مِن أرضِ الرومِ، كأنَّها أنيابُ الكِلابِ، وأخْبَرَنى جبريلُ أن أُمَّتى ظاهرةٌ عليها، ومِن الثالثةِ أضاءت قصورُ صَنْعاءَ، كأنَّها أنيابُ الكِلابِ، وأخْبَرَنى جبريلُ أنَّ أُمَّتى ظاهرةٌ عليها، فأبْشِروا». واسْتَبْشَر المسلمون، وقالوا: الحمدُ للَّهِ، موعودٌ صادقٌ. قال: ولما طَلَعَتِ الأحزابُ قال المؤمنون[(٣)]: ﴿هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٢٢]. وقال المُنافقون: يُخْبِرُكم أنه يُبْصِرُ مِن يَثْرِبَ قُصورَ الحِيرةِ ومدائنَ كِسْرَى، وأنها تُفْتَحُ لكم، وأنتم تَحْفِرون الخندقَ لا تَسْتَطيعون أن تَبَرَّزوا[(٤)]؟! فنزَل فيهم[(٥)]: ﴿وَإِذْ يَقُولُ

---

(١) فى الأصل، ص: «الثرى». وفى الدلائل: «الثدى». والندى: الثرى. وندى الأرض: نداوتها وبللها. اللسان (ن د ى).

(٢) فى الأصل، ص، والدلائل: «مدورة». والمرو: حجارة بيض براقة. وقال أبو حنيفة: المرو أصلب الحجارة. اللسان (م ر و).

(٣) التفسير ٦/ ٣٩٢، ٣٩٣.

(٤) فى الأصل: «تتزروا».

(٥) التفسير ٦/ ٣٨٩.

﴿ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا﴾ [الأحزاب: ١٢]. وهذا حديثٌ غريبٌ.

وقال الحافظُ أبو القاسمِ الطَّبَرَانيُّ[١]: حدَّثنا هارونُ بنُ مَلُّولٍ، حدَّثنا أبو عبدِ الرحمنِ، حدَّثنا عبدُ الرحمنِ بنُ زِيادٍ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ يزيدَ، عن عبدِ اللَّهِ ابنِ عمرٍو، قال: لما أمَر رسولُ اللَّهِ ﷺ بالخندقِ فَخَنْدَق على المدينةِ، قالوا: يا رسولَ اللَّهِ، إنا وجَدْنا صَفاةً[٢] لا نَسْتَطيعُ حَفْرَها، فقام النبيُّ ﷺ، وقُمْنا معه، فلمَّا أتاها أخَذ المِعْوَلَ، فضرَب به ضَرْبةً وكبَّر، فسمِعْتُ هَدَّةً[٣] لم أسْمَعْ مثلَها قط، فقال: «فُتِحت[٤] فارسُ». ثُم ضرَب أخرى فكبَّر، فسَمِعْتُ هَدَّةً لم أسمَعْ مثلها قطُّ، فقال: «فُتِحتِ[٤] الرُّومُ». ثُم ضرَب أخرى فكَبَّرَ، فسَمِعْتُ هَدَّةً لم أسمعْ مثلَها قطُّ، فقال: «جاء اللَّهُ بحِمْيَرَ أعْوانًا وأنصارًا».

وهذا أيضا غريبٌ مِن هذا الوجهِ، وعبدُ الرحمنِ بنُ زِيادِ بنِ أَنْعُمَ الأفْريقيُّ فيه ضَعْفٌ. فاللَّهُ أعلمُ.

وقال الطبرانيُّ أيضًا[٥]: حدَّثنا عبدُ اللَّهِ بنُ أحمدَ بنِ حنبلٍ، حدَّثنى سعيدُ ابنُ محمدٍ الجَرْميُّ، حدَّثنا أبو تُمَيْلَةَ[٦]، حدَّثنا [٧]نُعَيْمُ بنُ[٧] سعيدٍ العبديُّ[٨] أن

---

(١) ذكره الهيثمى فى المجمع ٦/ ١٣١، والحافظ فى الفتح ٧/ ٣٩٧. وعزاه كلاهما إلى الطبرانى.

(٢) الصفاة: الصخرة والحجر الأملس. النهاية ٣/ ٤١.

(٣) الهدة: صوت وقوع الشىء الثقيل. الوسيط (هـ د د).

(٤ - ٤) سقط من: الأصل.

(٥) المعجم الكبير ٣٧٦/١١ (١٢٠٥٢)، وقال الهيثمى فى المجمع ٦/ ١٣٢: ورجاله رجال الصحيح غير عبد اللَّه بن أحمد بن حنبل ونعيم العبدى وهما ثقتان.

(٦) فى الأصل، م: «أبو نميلة». وانظر تهذيب الكمال ٣٢/ ٢٢.

(٧ - ٧) سقط من: ص.

(٨) فى الأصل: «العزى»، وفى م، ص: «الغرى». والمثبت من مصدر التخريج.

عِكْرمةَ حدَّث عن ابنِ عباسٍ ، قال : احتَفَر رسولُ اللَّهِ ﷺ الخندقَ ، وأصحابُه قد شَدُّوا الحِجارةَ على بطونِهم مِن الجوعِ ، فلمَّا رَأَى ذلك رسولُ اللَّهِ ﷺ قال : « هل دَلَلْتُم على رجلٍ يُطْعِمُنا أَكْلَةً ؟ » قال رجلٌ : نعم . قال : « إمَّا لا[(١)] فتقَدَّمْ فدُلَّنا عليه » . فانطَلَقوا إلى[(٢)] الرجلِ ، فإذا هو فى الخندقِ يُعالِجُ [٣/ ٧ظ] نَصيبَه منه ، فأرسَلتِ امرأتُه أن جِئْ ؛ فإن رسولَ اللَّهِ ﷺ قد أتانا . فجاء الرجلُ يَسْعَى وقال : بأبى وأمى . وله مَعْزَةٌ ومعها جَدْيُها ، فوثَب إليها ، فقال النبىُّ ﷺ : « الجَدْىُ مِن ورائِها » . فذبَح الجَدْىَ ، وعمَدتِ المرأةُ إلى طَحِينةٍ لها فعجَنَتْها وخَبَزَتْ ، فأدْرَكَتِ القِدْرَ ، فثَرَدَتْ قَصْعَتَها ، فقَرَّبَتها إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ وأصحابِه ، فوضَع رسولُ اللَّهِ ﷺ أُصْبُعَه فيها ، وقال : « بسمِ اللَّهِ ، اللهم بارِكْ فيها ، اطْعَمُوا » . فأكَلوا منها حتى صدَروا ، ولم يَأْكُلوا منها إلا ثُلُثَها ، وبَقِىَ ثُلُثاها ، فسَرَّح أولئك العشَرةَ الذين كانوا معه ، أن اذهَبوا وسَرِّحوا إلينا بعِدَّتِكم . فذهَبوا ، فجاء أولئك العشَرةُ[(٣)] ، فأكَلوا منها حتى شبِعوا ، ثُم قام ودَعا لرَبَّةِ البيتِ ، وسمَّتَ[(٤)] عليها وعلى أهلِ بيتِها ، ثُم مشَوا إلى الخندقِ فقال : « اذهَبوا بنا إلى سلمانَ » . وإذا صخرةٌ بينَ يديه قد ضعُفَ عنها ، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « دعونى فأكونَ أولَ مَن ضرَبها » . فقال : « بسمِ اللَّهِ » . فضرَبها فوقَعتْ فِلْقَةٌ ثُلُثُها ، فقال : « اللَّهُ أكبرُ ، قصورُ الرومِ[(٥)] وربِّ الكعبةِ » . ثُم ضرَب أخرى فوقَعت فِلْقَةٌ ، فقال : « اللَّهُ أكبرُ ، قصورُ فارسَ وربِّ

---

(١) أصلها : إن وما ولا ، فأدغمت النون فى الميم . ومعناها : إن لم تفعل هذا فليكن هذا . النهاية ١/ ٧٢.
(٢) بعده فى م : « بيت » . وغير واضحة فى الأصل .
(٣) بعده فى المعجم : « مكانهم » .
(٤) أى دعا لها ولأهل بيتها بالبركة . انظر اللسان (س م ت) .
(٥) فى م : « الشام » .

الكعبةِ ». فقال عندَها المنافقون: نحن نُخَنْدِقُ على أنفسِنا، وهو يَعِدُنا قصورَ فارسَ والرومِ.

ثُم قال الحافظُ البيهقيُّ[1]: أخبرَنا عليُّ بنُ أحمدَ بنِ عَبْدانَ، أخبرَنا أحمدُ ابنُ عُبَيْدٍ الصَّفَّارُ، حدَّثنا محمدُ[2] بنُ غالبِ بنِ حربٍ، حدَّثنا هَوْذَةُ، حدَّثنا عَوْفٌ، عن مَيْمونِ بنِ أُسْتاذٍ الزُّهْرِيِّ[3]، حدَّثني البَراءُ بنُ عازبٍ الأنصاريُّ، قال: لما كان حينَ أمَرنا رسولُ اللَّهِ ﷺ بحَفْرِ الخندقِ، عرَض لنا في بعضِ الخندقِ صخرةٌ عظيمةٌ شديدةٌ، لا تأخُذُ فيها المَعاوِلُ، فشَكَوا ذلك إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ، فلما رآها أخَذ المِعْوَلَ وقال: « بسمِ اللَّهِ ». وضرَب ضَرْبةً فكسَر ثُلُثَها، وقال: « اللَّهُ أكبرُ، أُعْطِيتُ مَفاتيحَ الشامِ، واللَّهِ إني لأُبْصِرُ قُصورَها الحُمْرَ إن شاء اللَّهُ ». ثُم ضرَب الثانيةَ فقطَع ثُلُثًا آخرَ، فقال: « اللَّهُ أكبرُ، أُعْطِيتُ مَفاتيحَ فارِسَ، واللَّهِ إني لأُبْصِرُ قَصْرَ المدائنِ الأبْيضَ ». ثُم ضرَب الثالثةَ، فقال: « بسمِ اللَّهِ ». فقطَع بقيةَ[4] الحجَرِ، فقال: « اللَّهُ أكبرُ، أُعْطِيتُ مَفاتيحَ اليمنِ، واللَّهِ إني لأبْصِرُ أبوابَ صَنْعاءَ مِن مكاني الساعةَ ». وهذا حديثٌ غريبٌ أيضًا، تفَرَّد به مَيْمونُ بنُ [٣/ ٨و] أُستاذٍ هذا، وهو بَصْرِيٌّ[5] رَوَى عن البراءِ وعبدِ اللَّهِ بنِ عمرٍو، وعنه حُمَيْدٌ الطَّويلُ والجُرَيْرِيُّ وعَوْفٌ الأعْرابيُّ، قال أبو حاتمٍ[6]، عن إسحاقَ بنِ منصورٍ، عن ابنِ مَعِينٍ: كان ثِقةً. وقال عليٌّ

---

(١) دلائل النبوة ٣/ ٤٢١.

(٢) في الدلائل: « أحمد ». وانظر سير أعلام النبلاء ١٣/ ٣٩٠.

(٣) كذا في النسخ. وفي الدلائل: « الزهراني ».

(٤) في الأصل: « الله ».

(٥) في الأصل: « مصرى ». وانظر تهذيب الكمال ٢٩/ ٢٣١.

(٦) الجرح والتعديل ٨/ ٢٣٣.

ابنُ المَدينيّ[1] : كان يَحْيَى بنُ سَعيدٍ القَطَّانُ لا يُحَدِّثُ عنه .

[2]وقال النسائيُّ[3] : حدَّثنا عيسى بنُ يونُسَ ، حدَّثنا ضَمْرةُ ، عن أبى زُرْعةَ السَّيْبانيِّ[4] ، عن أبى سُكَيْنَةَ - رجلٍ مِن المُحَرَّرِين[5] - عن رجلٍ مِن أصحابِ النبيِّ ﷺ ، قال : لما أمَر رسولُ اللَّهِ ﷺ بحفرِ الخندقِ ، عرَضت لهم صخرةٌ حالت بينَهم وبينَ الحفْرِ ، فقام النبيُّ ﷺ وأخذ المِعْوَلَ ، ووضَع رِداءَه ناحيةَ الخندقِ ، وقال : « (وَتَمَّتْ كَلِمَاتُ[6] رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ) » [الأنعام : ١١٥] . فندَر[7] ثُلُثُ الحجرِ ، وسَلمانُ الفارسيُّ قائمٌ ينظُرُ ، فبرَق مع ضرْبةِ رسولِ اللَّهِ ﷺ بُرْقَةٌ ، ثُم ضرَب الثانيةَ ، وقال : « (وَتَمَّتْ كَلِمَاتُ[5] رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ) » . فندَر الثُّلُثُ الآخرُ وبرَقت بُرْقَةٌ ، فرَآها سلمانُ ، ثُم ضرَب الثالثةَ ، وقال : « (وَتَمَّتْ كَلِمَاتُ[5] رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ) » . فندَر الثُّلُثُ الباقى ، وخرَج رسولُ اللَّهِ ﷺ فأخَذ رِداءَه وجلَس ، فقال سلمانُ : يا رسولَ اللَّهِ ، رأيْتُك حينَ ضرَبْتَ لا تَضْرِبُ ضَرْبةً إلا كانت معها بُرْقَةٌ . قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « يا سلمانُ ، رأيْتَ ذلك ؟ » . قال : إى والذى بعَثك بالحقِّ يا رسولَ اللَّهِ . قال : « فإنى حينَ ضرَبْتُ الضَّرْبةَ الأولى رُفِعت لى مَدائنُ كِسْرَى وما حولَها ومَدائنُ كثيرةٌ ، حتى رأيْتُها بعينى » . فقال له مَن حضَره مِن أصحابِه : يا رسولَ اللَّهِ ، ادْعُ اللَّه أن[2]

---

(١) الجرح والتعديل ٨/ ٢٣٣.
(٢ - ٢) سقط من : ص .
(٣) النسائى (٣١٧٦) . حسن (صحيح سنن النسائى ٢٩٧٦) .
(٤) السيبانى - بفتح وكسر السين المهملة - نسبة إلى سَيْبان ، بطن من مراد . انظر تبصير المنتبه ٢/ ٨١٩ .
(٥) فى الأصل ، م : « البحرين » . وانظر تهذيب الكمال ٣٣/ ٣٦٧.
(٦) هكذا فى النسخ « كلمات » . وقد قرأ عاصم وحمزة والكسائى : (كلمت) على التوحيد . وقرأ الباقون : (كلمات) على الجمع . انظر حجة القراءات ص ٢٦٨.
(٧) ندر : أى ؛ سقط ووقع . النهاية ٥/ ٣٥.

(1) يَفْتَحَها علينا ويُغَنِّمَنا ذَرارِيَّهم ، ونُخَرِّبَ بأيدينا بلادَهم . فدَعا بذلك ، قال : « ثُم ضرَبْتُ الضَّرْبةَ الثانيةَ ، فرُفِعت لى مَدائنُ قَيْصَر وما حولَها ، حتى رأيْتُها بعينى » . قالوا : يا رسولَ اللَّهِ ، ادْعُ اللَّهَ أن يَفْتَحَها علينا ويُغَنِّمَنا ذَرارِيَّهم ، ونُخَرِّبَ بأيدينا بلادَهم . فدَعا ، ثُم قال : « ثُم ضرَبْتُ الضرْبةَ الثالثةَ ، فرُفِعت لى مَدائنُ الحبشةِ وما حولَها مِن القُرَى ، حتى رأيْتُها بعينى » . ثُم قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « دَعوا الحبَشةَ ما ودَعوكم ، واترُكوا التُّرْكَ ما ترَكوكم » . هكذا رَواه النسائىُّ مُطَوَّلًا ، وإنما رَوى منه أبو داودَ[2] : [٣/٨ظ] « دعُوا الحبَشةَ ما ودَعوكم ، واتْرُكوا التُّرْكَ ما ترَكوكم » . عن عيسى بنِ محمدٍ الرَّمْلىِّ ، عن ضَمْرةَ بنِ رَبيعةَ ، عن أبى زُرْعةَ يَحْيَى بنِ أبىعمرٍو السَّيْبانىِّ ، به (1) .

ثُم قال ابنُ إسحاقَ[3] : وحدَّثنى مَن لا أتَّهِمُ ، عن أبى هريرةَ أنه كان يقولُ حينَ فُتِحت هذه الأمْصارُ فى زمانِ عمرَ وزمانِ عثمانَ وما بعدَه : افتَتِحوا ما بَدا لكم ، فوالذى نفسُ أبى هريرةَ بيدِه ، ما افتَتَحْتم مِن مدينةٍ ولا تَفْتَحونها إلى يومِ القيامةِ ، إلا وقد أعْطَى اللَّهُ محمدًا ﷺ مَفاتيحَها قبلَ ذلك . وهذا مِن هذا الوجهِ مُنْقطِعٌ أيضًا ، وقد وُصِل مِن غيرِ وجهٍ ، وللَّهِ الحمدُ .

فقال الإمامُ أحمدُ[4] : حدَّثنا حَجّاجٌ ، (1) حدَّثنا لَيْثٌ (1) ، حدَّثنى عُقَيْلُ بنُ خالدٍ ، عن ابنِ شِهابٍ ، عن سعيدِ بنِ المُسَيَّبِ أن أبا هريرةَ قال : سمِعْتُ

(١ - ١) سقط من : ص .

(٢) أبو داود (٤٣٠٢) . حسن (صحيح سنن أبى داود ٣٦١٤) .

(٣) سيرة ابن هشام ٢/ ٢١٩.

(٤) المسند ٢/ ٤٥٥.

رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ : « بُعِثْتُ بجوامعِ الكَلِمِ ، ونُصِرْتُ بالرُّعْبِ ، وبينا أنا نائمٌ أُتِيتُ بمفاتيحِ خَزائنِ الأرْضِ ، فوُضِعت فى يدِى » . وقد رَواه البخاريُّ مُنْفَرِدًا به ، عن يَحْيَى بنِ بُكَيْرٍ ، وسعيدِ[1] بنِ عُفَيْرٍ ، كلاهما عن اللَّيْثِ ، به[2] ، وعندَه[3] ، قال أبو هريرةَ : فذهَب رسولُ اللَّهِ ﷺ وأنتم تَنْتَثِلونها[4] .

وقال الإمامُ أحمدُ[5] : حدَّثنا يزيدُ ، حدَّثنا محمدُ بنُ عمرٍو ، عن أبى سَلَمةَ ، عن أبى هُريرةَ قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « نُصِرْتُ بالرُّعْبِ ، وأُوتِيتُ جَوامِعَ الكَلِمِ ، وجُعِلتْ لىَ الأرضُ مسجدًا وطَهورًا ، وبينا أنا نائمٌ أُتِيتُ بمفاتيحِ خَزائنِ الأرضِ فَتُلَّتْ[6] فى يدى » . وهذا إسنادٌ جيدٌ قوىٌّ على شرطِ مسلم ولم يُخْرِجوه . وفى « الصحيحين »[7] : « إذا هلَك قَيْصَرُ فلا قَيْصَرَ بعدَه ، [8]وإذا هلَك كِسْرَى فلا كِسْرَى بعدَه[8] ، والذى نفسى بيدِه لتُنْفِقُنَّ كنوزَهما فى سبيلِ اللَّهِ » . وفى الحديثِ الصحيحِ[9] : « إن اللَّهَ زَوَى[10] لى [11]الأرضَ ؛ مَشارِقَها[11] ومَغارِبَها ، وسيَبْلُغُ مُلكُ أمتى ما زُوِىَ لى منها » .

---

(١) فى م : « سعد » ، وانظر تهذيب الكمال ١١/ ٣٦.

(٢) البخارى (٢٩٧٧) من رواية ابن بكير ، و(٧٠١٣) من رواية ابن عفير .

(٣) أى البخارى من رواية سعيد بن عفير دون رواية يحيى بن بكير .

(٤) تنتثلونها : أى تستخرجون الأموال وما فتح عليكم من زهرة الدنيا . انظر النهاية ٥/ ١٦.

(٥) المسند ٢/ ٥٠١، ٥٠٢.

(٦) تلت : أى ألقيت . وقيل : التل الصب ، فاستعاره للإلقاء . يقال : تل يتُل . إذا صب . وتل يتِل . إذا سقط . وأراد ما فتحه اللَّه تعالى لأمته بعد وفاته من خزائن ملوك الأرض . النهاية ١/ ١٩٥.

(٧) البخارى (٣١٢٠، ٣٦١٨) ، ومسلم (٢٩١٨) ، من حديث أبى هريرة ، والبخارى (٣١٢١، ٣٦١٩) ، ومسلم (٢٩١٩) من حديث جابر بن سمرة ، مع تقديم وتأخير .

(٨ - ٨) سقط من : ص .

(٩) رواه مسلم (٢٨٨٩) ، وأبو داود (٤٢٥٢) ، والترمذى (٢١٧٦) ، وابن ماجه (٣٩٥٢) ، بألفاظ متفاوتة .

(١٠) زوى : جمع . وانظر النهاية ٢/ ٣٢٠.

(١١ - ١١) فى ص : « مشارق الأرض » .

فصلٌ

قال ابنُ إسحاقَ[1] : ولما فرَغ رسولُ اللَّهِ ﷺ من الخندقِ ، أقْبَلت قريشٌ حتى نزَلت بمُجْتَمعِ الأَسْيالِ مِن رُومَةَ ، بينَ الجُرُفِ وزَغابةَ ، فى عشَرةِ آلافٍ من أَحابِيشِهم ومَن تَبِعهم من بنى كِنانةَ وأهلِ تِهامةَ ، وأقْبَلت غَطَفانُ ومَن تَبِعهم مِن أهلِ نَجْدٍ ، حتى نزَلوا بذَنَبِ نَقَمَى إلى جانبِ أُحدٍ ، وخرَج رسولُ اللَّهِ ﷺ والمسلمون ، حتى جعَلوا ظهورَهم إلى سَلْعٍ فى ثلاثةِ آلافٍ مِن المسلمين ، فضرَب هنالك عسكرَه ، والخندقُ بينَه [٣/٩و] وبينَ القومِ ، وأمَر بالذَّراريِّ والنساءِ فجُعِلوا فوقَ الآطامِ[2] . قال ابنُ هشامٍ : واستَعمَل على المدينةِ ابنَ أمِّ مَكْتومٍ .

قلتُ : وهذا معنى قولِه تعالى : ﴿ إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا ﴾ .

قال البخاريُّ[3] : حدَّثنا عثمانُ بنُ أبى شَيْبةَ ، حدَّثنا عَبْدَةُ[4] ، عن هشامِ ابنِ عُرْوةَ ، عن أبيه ، عن عائشةَ ﴿ إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴾ قالت : ذلك يومَ الخندقِ .

---

(١) سيرة ابن هشام ٢/ ٢١٩، ٢٢٠.

(٢) الآطام : القصور . ويقال : هى الحصون . واحدها أطم . شرح غريب السيرة ٣/ ٥.

(٣) البخارى (٤١٠٣).

(٤) فى م : « عبيد » . وهو عبدة بن سليمان الكلابى . انظر تهذيب الكمال ١٨/ ٥٣٠، ٥٣١.

قال موسى بنُ عُقبةَ[1] : ولما نزَل الأحزابُ حولَ المدينةِ أغْلَق بنو قُرَيْظةَ حصنَهم دونَهم .

قال ابنُ إسحاقَ[2] : وخرَج حُيَيُّ بنُ أخْطَبَ النَّضَرِىُّ حتى أتَى كعبَ بنَ أسدٍ القُرَظِىَّ صاحبَ عَقْدِهم وعهدِهم ، فلمَّا سَمِع به كعبٌ أغلَق بابَ حصنِه دونَ حُيَىٍّ ، فاستَأْذَن عليه ، فأبَى أن يَفْتَحَ له ، فناداه : ويحَك يا كعبُ ! افْتَحْ لى . قال : ويحك يا حُيَىُّ ! إنك امرُؤٌ مَشْئومٌ ، وإنى قد عاهَدْتُ محمدًا ، فلسْتُ بناقضٍ ما بينى وبينَه ، ولم أَرَ منه إلَّا وفاءً وصدقًا . قال : ويحك ! افْتَحْ لى أُكَلِّمْك . قال : ما أنا بفاعلٍ . قال : واللَّهِ إن أَغلقْتَ دونى إلَّا خوفًا على جَشِيشَتِك[3] أن آكُلَ معك منها . فأحْفَظَ الرجلَ[4] ، ففتَح له ، فقال : ويحك يا كعبُ ! جئتُك بعِزِّ الدَّهْرِ وبحرٍ طامٍ[5] . (6)قال : وما ذاك ؟(6) قال : جئتُك بقريشٍ على قادتِها وسادتِها ، حتى أنزَلْتُهم بمجتمعِ الأَسْيالِ مِن رُومَةَ ، وبغَطَفانَ على قادتِها وسادتِها ، حتى أنزَلْتُهم بذَنَبِ نَقَمَى إلى جانبِ أُحدٍ ، قد عاهَدونى وعاقَدونى على أن لا يَبْرَحوا حتى نَسْتَأْصِلَ محمدًا ومَن معه . فقال كعبٌ : جئتَنى واللَّهِ بذلِّ الدهرِ ، وبجَهَامٍ قد هَراقَ ماءَه[7] ، يُرْعِدُ ويُبْرِقُ ، وليس فيه

---

(١) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٣/ ٤٠٠، عن موسى بن عقبة .

(٢) سيرة ابن هشام ٢/ ٢٢٠، ٢٢١.

(٣) الجشيشة : هى أن تُطْحَن الحنطة طحنًا جليلًا ، ثم تُجعَل فى القدور ويلقى عليها لحم أو تمر وتطبخ ، وقد يقال لها : دَشِيشة . النهاية ١/ ٢٧٣.

(٤) أحفظ الرجل : أى أغضبه ، والحفيظة : الغضب . شرح غريب السيرة ٣/ ٥.

(٥) بحر طام : مرتفع الأمواج . وهو كناية عن كثرة الرجال .

(٦ - ٦) زيادة من : الأصل . وليست فى السيرة .

(٧) الجهام : السحاب الذى فرغ ماؤه . والمعنى : أى الذى تَعْرِضُه علىَّ لا خير فيه . انظر النهاية ١/ ٣٢٣.

شيءٌ ، ويحك يا حُيَيُّ ! فدَعْنى وما أنا عليه ؛ فإنى لم أَرَ مِن محمدٍ إلَّا صدقًا ووفاءً . وقد تَكَلَّم عمرُو بنُ سعدٍ القُرَظِيُّ فأحْسَن ، فيما ذكَره موسى بنُ عُقبةَ[(١)] ، ذكَّرَهم ميثاقَ رسولِ اللَّهِ ﷺ وعهدَه ، ومُعاقدتَهم إياه على نصْرِه ، وقال : إذا لم تنْصُروه فاتْرُكوه وعدوَّه . قال ابنُ إسحاقَ[(٢)] : فلم يَزَلْ حُيَيٌّ بكعبٍ يَفْتِلُ[(٣)] فى الذِّروَةِ والغارِبِ حتى سَمَحَ[(٤)] له - يعنى فى نقضِ عهدِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، وفى محاربتِه مع الأحْزابِ - على أن أعْطاه حُيَيٌّ عهدَ اللَّهِ وميثاقَه : لئن رجَعتْ قريشٌ وغَطَفانُ ولم يُصِيبوا محمدًا ؛ أن أدْخُلَ معك فى حصنِك حتى يُصِيبَنى ما أصابك . فنقَض كعبُ بنُ أسدٍ عهدَه ، وبَرِئ مما كان بينَه وبينَ رسولِ اللَّهِ ﷺ .

قال موسى [٣/ ٩ظ] بنُ عُقبةَ[(٥)] : وأمَر كعبُ بنُ أسدٍ وبنو قُرَيْظَةَ حُيَيَّ بنَ أخْطَبَ أن يَأْخُذَ لهم مِن قريشٍ وغَطَفَانَ رهائنَ تكونُ عندَهم . يَعْنِى لئلا ينالَهم ضَيْمٌ إن هم رجَعوا ولم يُناجِزوا محمدًا . قالوا : وتكونُ الرهائنُ تسعين[(٦)] رجلًا مِن أشرافِهم . فنازَلهم حُيَيٌّ على ذلك ، فعندَ ذلك نقَضوا العهدَ ، ومزَّقوا

---

(١) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٣/ ٤٠١ عن موسى بن عقبة .

(٢) سيرة ابن هشام ٢/ ٢٢١.

(٣) فى م ، والسيرة : « يفتله » . ويفتل فى الذروة والغارب : الغارب : مقدم السنام ، والذروة : أعلاه . والمعنى : أراد أنه مازال يخادعه ويتلطفه حتى أجابه ، والأصل فيه أن الرجل إذا أراد أن يُؤنِّس البعير الصعب ليَزُمَّه وينقاد له ؛ جعل يُمِر يده عليه ويمسح غاربه ، ويفتل وبَرَه حتى يَسْتَأْنِس ، ويضع فيه الزمام . انظر النهاية ٣/ ٣٥٠، ٤١٠.

(٤) فى الأصل ، م : « سمع » .

(٥) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٣/ ٤٠١، عن موسى بن عقبة .

(٦) كذا بالنسخ . وفى الدلائل : « سبعين » .

الصحيفةَ التى كان فيها العهدُ، إلَّا بنى سَعْيَةَ[1] أَسَدٌ وأَسِيدٌ وثَعْلبةُ، فإنهم خرَجوا إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ.

قال ابنُ إسحاقَ[2]: فلما انتهى الخبرُ إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ وإلى المسلمين، بعَث سعدَ بنَ معاذٍ، وهو يومَئذٍ سيدُ الأَوْسِ، وسعدَ بنَ عُبادةَ، وهو يومَئذٍ سيدُ الخزرجِ، ومعهما عبدُ اللَّهِ بنُ رَواحةَ وخَوَّاتُ بنُ جُبَيْرٍ، فقال: «انطَلِقوا حتى تأْتُوا هؤلاءِ القومَ فتنْظُروا أحقٌّ ما بَلَغَنا عنهم، فإن كان حقًّا فالْحَنوا لى لَحْنًا أعْرِفُه[3]، ولا تَفُتُّوا فى أعْضادِ المسلمين، وإن كانوا على الوفاءِ فاجْهَروا به للناسِ». قال: فخرَجوا حتى أتَوْهم.

قال موسى بنُ عُقبةَ[4]: فدخَلوا معهم حِصنَهم، فدَعَوهم إلى المُوادَعةِ وتجديدِ الحِلفِ، فقالوا: الآنَ وقد كُسِر جَناحُنا وأخْرَجهم؟! يُريدون بنى النَّضِيرِ، ونالوا مِن رسولِ اللَّهِ ﷺ، فجعَل سعدُ بنُ عُبادةَ يُشاتِمُهم، فأغْضَبوه، فقال له سعدُ بنُ مُعاذٍ: إنا واللَّهِ ما جئْنا لهذا، ولَمَا بينَنا أكْبرُ من المُشاتمةِ. ثم ناداهم سعدُ بنُ معاذٍ فقال: إنكم قد علِمْتم الذى بينَنا وبينَكم يا بنى قُرَيْظةَ، وأنا خائفٌ عليكم مثلَ يومِ بنى النَّضِيرِ أو أَمَرَّ منه. فقالوا: أكَلْتَ أَيْرَ أبيك. فقال: غيرُ هذا مِن القولِ كان أجملَ بكم وأحسنَ.

---

(١) مطموسة فى الأصل. وفى م، ص: «سعنة». وفى الدلائل: «شعية». والمثبت من أسد الغابة ١/ ٨٤، ١١٤، ٢٨٧.

(٢) سيرة ابن هشام ٢/ ٢٢١، ٢٢٢.

(٣) الحنوا لى لحنًا أعرفه: أى أشيروا إلىَّ ولا تفصحوا، وعَرِّضوا بما رأيتم. انظر النهاية ٤/ ٢٤١.

(٤) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٣/ ٤٠٣، عن موسى بن عقبة.

وقال ابنُ إسحاقَ[1] : نالوا مِن رسولِ اللَّهِ ﷺ ، وقالوا : مَن رسولُ اللَّهِ ؟ لا عهدَ بيننا وبينَ محمدٍ [2]ولا عقْدَ[2] . فشاتَمهم سعدُ بنُ مُعاذٍ وشاتموه ، وكان رجلًا فيه حِدَّةٌ ، فقال له سعدُ بنُ عُبادةَ : دَعْ عنك مُشاتَمتَهم ، لَمَا بينَنا وبينَهم أَرْبَى من المشاتمةِ[3] . ثُم أقْبَل السَّعدانِ ومَن معهما إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ فسَلَّموا عليه ، ثم قالوا : عَضَلٌ والقارَةُ . أى كغدرِهم بأصحابِ الرَّجيعِ ، خُبَيْبٍ وأصحابِه ، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « اللَّهُ أكبرُ ، أبْشِروا يا معشرَ المسلمين » .

قال موسى بنُ عقبةَ[4] : ثُم تقَنَّع رسولُ اللَّهِ ﷺ بثوبِه حينَ جاءه الخبرُ عن بنى قُرَيْظةَ ، فاضْطَجع ومكَث طويلًا ، فاشتَدَّ على الناسِ البلاءُ والخوفُ حينَ رَأَوه اضْطَجع ، وعرَفوا أنه [٣/ ١٠و] لم يَأْتِه عن بنى قُرَيظةَ خيرٌ ، ثم إنه رفَع رأسَه فقال : « أبْشِروا بفتحِ اللَّهِ ونصرِه » . فلما أن أصبَحوا ، دَنا القومُ بعضُهم من بعضٍ ، وكان بينَهم رَمْىٌ بالنَّبْلِ والحجارةِ ، قال سعيدُ بنُ المُسَيَّبِ : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « اللهم إنى أسألُك عهدَك ووعْدَك ، اللهم إن تَشَأْ لا تُعْبَدْ » .

قال ابنُ إسحاقَ[1] : وعظُم عندَ ذلك البلاءُ ، واشتَدَّ الخوفُ ، وأتاهم

---

(١) سيرة ابن هشام ٢/ ٢٢٢.

(٢ - ٢) زيادة من : ص .

(٣) هذا السياق مخالف لسياق موسى بن عقبة ، ولسياق محمد بن إسحاق عند الطبرى فى تاريخه ٢/ ٥٧٠، ٥٧١، والبيهقى فى الدلائل ٣/ ٤٢٩، ٤٣٠، ففى سياقهم أن سعد بن عبادة هو الذى شاتمهم . وهذا هو الراجح - والله أعلم - حيث وصف النبى ﷺ سعد بن عبادة فقال : « إن سعدا لغيور » . وكان شديد الغيرة ، وهذا يتناسب مع الحدة التى أظهرها هنا . أما سعد بن معاذ فكان حليفا لبنى قريظة ، فالأولى به الحلم فى هذا الموقف . كما قال لهم فى رواية موسى بن عقبة السابقة : أنا خائف عليكم مثل يوم بنى النضير أو أمر منه . فالله أعلم .

(٤) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٣/ ٤٠٣ عن موسى بن عقبة .

عدُوُّهم من فوقِهم ومِن أسفلَ منهم ، حتى ظنَّ المؤمنون كلَّ ظنٍّ ، ونجَمَ النفاقُ ، حتى قال مُعَتِّبُ بنُ قُشَيْرٍ أخو بنى عمرِو بنِ عَوْفٍ : كان محمدٌ يَعِدُنا أن نَأْكُلَ كنوزَ كِسْرَى وقَيْصَرَ ، وأحدُنا اليومَ[1] لا يَأْمَنُ على نفسِه أن يَذْهَبَ إلى الغائطِ . وحتى قال أوسُ بنُ قَيْظِيٍّ : يا رسولَ اللَّهِ ، إن بُيوتَنا عَوْرةٌ مِن العدُوِّ - وذلك عن ملأٍ من رجالِ قومِه - فأْذَنْ لنا أن نَرْجِعَ إلى دارِنا ؛ فإنها خارجٌ مِن المدينةِ .

قلتُ : هؤلاء وأمثالُهم المرادون بقولِه تعالى[2] : ﴿ وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ۝١٢ وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يَٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُوا۟ ۚ وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِىَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ ۖ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴾ [الأحزاب : ١٢، ١٣] .

قال ابنُ إسحاقَ[3] : فأقام رسولُ اللَّهِ ﷺ - يعنى مُرابطًا - وأقام المشركون يُحاصِرونه بضْعًا وعشرين ليلةً ، قريبًا مِن شهرٍ ، ولم يَكُنْ بينَهم حربٌ إلّا الرِّمِّيَّا[4] بالنَّبْلِ ، فلما اشتَدَّ على الناسِ البلاءُ ، بعَث رسولُ اللَّهِ ﷺ - كما حدَّثنى عاصمُ بنُ عمرَ بنِ قَتادةَ ، ومَن لا أَتَّهِمُ ، عن الزُّهْرِىِّ - إلى عُيَيْنَةَ بنِ حِصْنٍ والحارثِ بنِ عوفٍ المُرِّىِّ ، وهما قائدا غَطَفانَ ، فأعْطاهما ثلثَ ثمارِ المدينةِ ، على أن يَرْجِعا بمن معهما عنه وعن أصحابِه ، فجرَى بينَه وبينَهم

---

(١) زيادة من : ص .

(٢) التفسير ٦/ ٣٨٩، ٣٩٠.

(٣) سيرة ابن هشام ٢/ ٢٢٢، ٢٢٣.

(٤) فى الأصل : « رميا » ، وفى ص : « الرمى » . والرِّمِّيَّا : من الرَّمْىِ ، وهو مصدر يراد به المبالغة . النهاية ٢/ ٢٦٩.

الصلحُ ، حتى كتَبوا الكتابَ ، ولم تَقَعِ الشهادةُ ولا عَزيمةُ الصلحِ إلّا المُراوضَةُ ، فلما أراد رسولُ اللَّهِ ﷺ أن يفعَلَ ذلك ، بعَث إلى السَّعْدينِ ، فذكَر لهما ذلك ، واستشارهما فيه ، فقالا : يا رسولَ اللَّهِ ، أمْرًا تُحبُّه فنَصْنَعَه ، أم شيئًا أمَرك اللَّهُ به لابدَّ لنا مِن العملِ به ، أم شيئًا تَصْنَعُه لنا ؟ فقال : « بل شيءٌ أَصنَعُه لكم ، واللَّهِ ما أَصْنَعُ ذلك إلَّا أنى رأيْتُ العربَ قد رمَتْكم عن قوْسٍ واحدةٍ ، وكالَبُوكم مِن كلِّ جانبٍ ، فأرَدْتُ أن أَكْسِرَ عنكم من شَوْكتِهم إلى أمرٍ ما » . فقال له سعدُ ابنُ معاذٍ [٣/ ١٠ظ] : يا رسولَ اللَّهِ ، قد كنا نحن[1] وهؤلاء القومُ[1] على الشركِ باللَّهِ وعبادةِ الأوْثانِ ، لا نَعْبُدُ اللَّهَ ولا نعْرِفُه ، وهم لا يَطْمَعون أن يأْكُلوا منها تمرةً واحدةً إلَّا قِرًى أو بيعًا ، أفحينَ أكْرَمَنا اللَّهُ بالإسلامِ وهدانا له وأعَزَّنا بك وبه ، نُعْطِيهم أموالَنا ! ما لنا بهذا مِن حاجةٍ ، واللَّهِ لا نُعْطِيهم إلَّا السيفَ ، حتى يَحْكُمَ اللَّهُ بينَنا وبينَهم . فقال النبيُّ ﷺ : « أنت وذاك » . فتناوَل سعدُ بنُ معاذٍ الصحيفةَ ، فمَحَا ما فيها مِن الكتابِ ، ثم قال : لِيَجْهَدوا علينا .

قال ابنُ إسحاقَ[2] : فأقام النبيُّ ﷺ وأصحابُه محاصَرين ، ولم يَكُنْ بينَهم وبينَ عدُوِّهم قِتالٌ ، إلّا أنَّ فَوارسَ مِن قريشٍ منهم عمرُو بنُ عبدِ وُدٍّ بنِ أبى قَيْسٍ ، أحدُ بنى عامرِ بنِ لُؤَيٍّ ، وعِكْرمةُ بنُ أبى جهلٍ وهُبَيْرةُ بنُ أبى وَهْبٍ المخزوميّان ، وضِرارُ بنُ الخطَّابِ بنِ مِرْداسٍ ، أحدُ بنى مُحارِبِ بنِ فِهْرٍ ، تَلَبَّسوا للقتالِ ، ثم خرَجوا على خيلِهم ، حتى مَرُّوا بمنازلِ بنى كِنانةَ فقالوا : تَهَيَّئُوا يا بنى كِنانةَ للحربِ ، فستَعْلَمون مَن الفُرسانُ اليومَ . ثم أقْبَلوا تُعْنِقُ[3] بهم

---

(١) زيادة من : ص .

(٢) سيرة ابن هشام ٢/ ٢٢٤، ٢٢٥.

(٣) تعنق : تسرع . شرح غريب السيرة ٣/ ٥.

خيلُهم ، حتى وقَفوا على الخندقِ ، فلمَّا رَأَوه قالوا : واللَّهِ إنَّ هذه لمكيدةٌ ما كانت العربُ تَكِيدُها . ثم تيمَّموا مكانًا مِن الخندقِ ضيِّقًا ، فضرَبوا خيلَهم فاقْتَحمتْ منه ، فجالت بهم فى السَّبْخةِ بينَ الخندقِ وسَلْعٍ ، وخرَج علىٌّ بنُ أبى طالبٍ فى نفَرٍ معه مِن المسلمين ، حتى أخَذوا عليهم الثُّغْرةَ[1] التى أَقْحَموا منها خيلَهم ، وأقْبلت الفُرسانُ تُعْنِقُ نحوَهم ، وكان عمرُو بنُ عبدِ وُدٍّ قد قاتَل يومَ بدرٍ حتى أثْبَتَته الجِراحةُ ، فلم يَشْهَدْ يومَ أحدٍ ، فلمَّا كان يومُ الخندقِ ، خرَج مُعْلِمًا ليُرَى مكانُه ، فلما وقَف[2] هو وخيلُه قال : مَن يُبارِزُ ؟ فبرَز له علىٌّ ابنُ أبى طالبٍ ، رضِى اللَّهُ عنه ، فقال له : يا عمرُو ، إنك كنتَ عاهَدْتَ اللَّهَ لا يدْعُوك رجلٌ مِن قريشٍ إلى إحْدى خَلَّتَيْن إلا أخَذْتَها منه . قال : أجَلْ . قال له علىٌّ : فإنى أدْعُوك إلى اللَّهِ وإلى رسولِه وإلى الإسلامِ . قال : لا حاجةَ لى بذلك . قال : فإنى أدْعُوك إلى النِّزالِ . قال له : لِمَ يا بنَ أخى ، فواللَّهِ ما أحِبُّ أن أَقْتُلَك . قال له علىٌّ : لكنى واللَّهِ أحِبُّ أن أقْتُلَك . فحَمِىَ عمرٌو عندَ ذلك ، فاقْتَحَم عن فرسِه ، فعقَره وضرَب وجهَه ، ثم أقْبَل على علىٍّ ، فتَنازَلا وتَجاوَلا ، فقتَله علىٌّ ، رضِى اللَّهُ عنه ، وخرَجت خيلُهم منهزمةً ، حتى اقْتَحمت مِن الخندقِ هاربةً .

قال ابنُ إسحاقَ[3] : وقال علىٌّ بنُ أبى طالبٍ فى ذلكِ :

[٣/ ١١و] نصَرَ الحجارةَ مِن سَفاهةِ رأْيِهِ ... ونصَرْتُ ربَّ محمدٍ بصوابِ

---

(١) الثغرة : هى الثلم - أى الشق - الذى كان هنالك فى الخندق . شرح غريب السيرة ٣/ ٥.

(٢) فى م : « خرج » .

(٣) سيرة ابن هشام ٢/ ٢٢٥.

فصدَدتُ[1] حينَ ترَكْتُه مُتَجَدِّلًا   كالجِذْعِ بينَ دَكادِكٍ ورَوَابى[2]
وعفَفْتُ عن أثوابِه ولوَ اَنَّنى   كنتُ المُقَطَّرَ بَزَّنِى أثْوابى[3]
لا تَحْسَبُنَّ اللَّهَ خاذلَ دينِه   ونبيِّه يا معشرَ الأحْزابِ

قال ابنُ هشامٍ: وأكثرُ أهلِ العلمِ بالشعرِ يَشُكُّ فيها لعلىٍّ.

قال ابنُ هشامٍ[4]: وألْقَى عِكْرِمةُ رمحَه يومَئذٍ وهو منهزمٌ عن عمرٍو، فقال فى ذلك حسانُ بنُ ثابتٍ[5]:

فرَّ وألْقَى لنا رُمحَهُ   لعلّك عِكْرِمَ لم تَفْعَلِ
ووَلَّيْتَ تَعْدو كعَدْوِ الظَّليـ   ـمِ ما أن تَحُورَ عن المَعْدِلِ[6]
ولم تُلْقِ[7] ظهرَك مُسْتَأْنِسًا   كأَنَّ قَفاكَ قَفا فُرْعُلِ

قال ابنُ هشامٍ: الفَراعِلُ صغارُ الضِّباعِ.

وذكَر الحافظُ البيهقىُّ فى «دلائلِ النبوةِ»[8]، عن ابنِ إسحاقَ فى موضعٍ

---

(١) فى م: «فصدرت».
(٢) متجدلا: لاصقا بالأرض. والجذع: فرع النخلة. والدكادك: جمع دَكداك، وهو الرمل اللين. والروابى: جمع رابيَة، وهى الكُدية المرتفعة. شرح غريب السيرة ٣/ ٦.
(٣) المقطر: الذى أُلقِى على أحد قُطريه، أى جنبيه. وبزنى: أى سلبنى وجردنى. المصدر السابق.
(٤) كذا بالنسخ. وفى سائر أصول سيرة ابن هشام إلا نسخة واحدة: «قال ابن إسحاق». انظر سيرة ابن هشام ٢/ ٢٢٦ هامش (١).
(٥) ديوان حسان ص ٢٦١، ٢٦٢.
(٦) الظليم: ذَكَرُ النعام. وتحور: ترجع. شرح غريب السيرة ٣/ ٦. واللسان (ح و ر).
(٧) فى الأصل: «تكن»، وفى م: «تلو».
(٨) دلائل النبوة ٣/ ٤٣٨، ٤٣٩. وذكره السهيلى فى الروض الأنف ٦/ ٣١٦ - ٣١٨.

آخرَ غيرِ[1] «السيرةِ» قال: خرَج عمرُو بنُ عبدِ وُدٍّ وهو مُقَنَّعٌ بالحديدِ، فنادَى: [2]مَن يُبارِزُ؟[2] فقام علىُّ بنُ أبى طالبٍ فقال: أنا لها يا نبىَّ اللَّهِ. فقال: «إنه عمرٌو، اجْلِسْ». ثم نادَى عمرٌو: ألَا رجلٌ يَبْرُزُ؟ فجعَل يُؤَنِّبُهم ويقولُ: أين جنَّتُكم التى تَزْعُمون أنه مَن قُتِل منكم دخَلها، أفلا تُبْرِزون إلىَّ رجلًا؟ فقام علىٌّ فقال: أنا يا رسولَ اللَّهِ. فقال: «اجْلِسْ». ثم نادَى الثالثةَ فقال:

ولقد بَحَحْتُ مِن النِّدا ءِ بجَمْعِكُم[3] هل مِن مُبارِزْ

ووَقَفْتُ إذ جَبُنَ المُشَجِّـ ـعُ مَوْقِفَ القِرْنِ المُناجِزْ

ولذاك إنى لم أزَلْ مُتَسَرِّعًا قِبَلَ الهَزاهِزْ[4]

إنَّ الشجاعةَ فى الفتى والجُودَ مِن خيرِ الغَرائِزْ

قال: فقام علىٌّ، رضى اللَّهُ عنه، فقال: يا رسولَ اللَّهِ، أنا. فقال: «إنه عمرٌو». فقال: وإن كان عَمْرًا. فأَذِن له رسولُ اللَّهِ ﷺ، فمشَى إليه، حتى أتَى وهو يقولُ:

لا تَعْجَلَنَّ فقد أتا ك مجيبُ صوتِك غيرَ عاجِزْ

فى نِيَّةٍ وبَصِيرةٍ والصدقُ مَنْجَى كلِّ فائزْ

(١) فى الأصل، م: «من». والموضع فى مغازى ابن إسحاق. انظر الروض ٦/ ٣١٦.
(٢ - ٢) فى الأصل: «هل من مبارز».
(٣) فى النسخ: «لجمعهم». والمثبت من الدلائل والروض.
(٤) الهزاهز: الفِتَن يهتز فيها الناس. اللسان (هـ ز ز).

[٣/١١ظ] إنى لَأَرْجو أن أُقيـ مَ عليك نائحةَ الجنائزْ

مِن ضَرْبةٍ نَجْلاءَ يَبْـ قَى ذِكْرُها عندَ الهَزاهِزْ

فقال له عمرٌو : مَن أنت ؟ قال : أنا علىٌّ . قال : ابنُ عبدِ منافٍ ؟ قال : أنا علىُّ بنُ أبى طالبٍ . فقال : غيرَك[١] يا بنَ أخى ، ومِن أعمامِك مَن هو أسَنُّ منك ، فإنى أكْرَهُ أن أُهَرِيقَ دمَك . فقال له علىٌّ : لكنى واللَّهِ لا أكْرَهُ أن أُهَرِيقَ دمَك . فغَضِب ، فنزَل وسَلَّ سيفَه كأنه شُعلةُ نارٍ ، ثم أقْبَل نحوَ علىٍّ مُغْضَبًا ، واستَقْبَله علىٌّ بدَرَقتِه ، فضرَبه عمرٌو فى الدَّرَقةِ فقَدَّها وأثْبَت فيها السيفَ ، وأصاب رأسَه فشَجَّه ، وضرَبه علىٌّ على حَبْلِ عاتقِه فسقَط ، وثار العَجَاجُ[٢] ، وسَمِع رسولُ اللَّهِ ﷺ التكبيرَ فعرَف[٣] أن عليًّا قد قتَله . فثَمَّ علىٌّ يقولُ :

أعلَىَّ تَقْتَحِمُ الفَوارسُ هكذا عنى وعنهم أخَّروا[٤] أصحابى

اليومَ تَمْنَعُنى الفرارَ حَفيظتى ومُصَمِّمٌ[٥] فى الرأسِ ليس بنابى

إلى أن قال :

عَبَدَ الحجارةَ مِن سَفاهةِ رأيِه وعبَدْتُ ربَّ محمدٍ بصوابِ

إلى آخرِها . قال : ثم أقْبَل علىٌّ نحوَ رسولِ اللَّهِ ﷺ ووجهُه يَتَهَلَّلُ ، فقال له عمرُ بنُ الخطابِ : هَلَّا اسْتَلَبْتَه دِرْعَه ، فإنه ليس للعربِ دِرْعٌ خيرٌ منها ؟

---

(١) سقط من : النسخ . والمثبت من الدلائل والروض .

(٢) العجاج : الغبار . اللسان (ع ج ج) .

(٣) فى النسخ : « فعرفنا » . والمثبت من الدلائل والروض .

(٤) فى الأصل : « أخبروا » .

(٥) المصمم : السيف القاطع . انظر الوسيط (ص م م) .

فقال : ضرَبْتُه فاتَّقانى بسَوْأتِه ، فاستَحْيَيْتُ ابنَ عمى أن أَسْلُبَه . قال : وخرَجتْ خيولُه منهزمةً حتى اقْتَحَمتْ مِن الخندقِ .

وذكر ابنُ إسحاقَ فيما حكاه عنه[1] البيهقىُّ ، أنَّ عليًّا طعَنه فى تَرْقُوَتِه حتى أخرَجَها مِن مَرَاقِّه[2] ، فمات فى الخندقِ ، وبعَث المشركون إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ يشْتَرون جِيفَتَه بعشَرةِ آلافٍ ، فقال : « هو لكم ، لا نأْكُلُ ثمنَ الموتى » .

وقال الإمامُ أحمدُ[3] : حدَّثنا نصْرُ بنُ بابٍ ، حدثنا حجَّاجٌ ، عن الحكَمِ ، عن مِقْسَمٍ ، عن ابنِ عباسٍ أنه قال : قَتَل المسلمون يومَ الخندقِ رجلًا من المشركين ، فأُعْطُوا بجيفتِه مالًا ، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « ادْفَعوا إليهم جيفتَه ، فإنه خبيثُ الجيفةِ خبيثُ الدِّيَةِ » . فلم يَقْبَلْ منهم شيئًا .

وقد رَواه البيهقىُّ[4] مِن حديثِ حَمَّادِ بنِ سَلَمَةَ ، عن حَجَّاجٍ ، هو ابنُ أرْطَاةَ ، عن الحكَمِ ، عن مِقْسَمٍ ، عن ابنِ عباسٍ : أنَّ رجلًا مِن المشركين قُتِل [٣/ ١٢و] يومَ الأحزابِ ، فبَعثوا إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ أنِ ابْعَثْ إلينا بجسدِه ونُعْطِيَك[5] اثنَىْ عشَرَ ألفًا . فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « لا خيرَ فى جسدِه ولا فى ثمنِه » . وقد رَواه الترمذىُّ[6] ، مِن حديثِ سفيانَ الثَّوْرىِّ ، عن ابنِ أبى لَيْلَى ،

---

(١) فى م : « عن » . والأثر فى الدلائل ٣/ ٤٣٨.

(٢) الترقوة : عظم وَصَل بين ثغرة النحر والعاتق من الجانبين . والمراق : ما سَفَل من البطن فما تحته من المواضع التى تَرِقُّ جلودها . اللسان (ت ر ق) . والنهاية ٢/ ٢٥٢.

(٣) المسند ١/ ٢٤٨. (إسناده صحيح) .

(٤) دلائل النبوة ٣/ ٤٤٠، والسنن الكبرى ٩/ ١٣٣.

(٥) فى النسخ والدلائل : « نعطيهم » . والمثبت من السنن الكبرى .

(٦) الترمذى (١٧١٥) . ضعيف الإسناد (ضعيف سنن الترمذى ٢٨٩) .

عن الحَكَمِ، عن مِقْسَمٍ، عن ابنِ عباسٍ، وقال: غريبٌ.

وقد ذكَر موسى بنُ عُقبةَ[1]، أن المشركين إنما بعَثوا يَطْلُبون جسدَ نَوْفَلِ بنِ عبدِ اللَّهِ المَخْزوميِّ حينَ قُتِل، وعرَضوا عليه الدِّيَةَ، فقال: «إنه خبيثٌ خبيثُ الدِّيَةِ، فلَعَنه اللَّهُ ولعَن دِيَتَه، فلا أَرَبَ لنا فى ديَتِه، ولسْنا نَمْنَعُكم أن تَدْفِنوه».

وذكَر يونسُ بنُ بُكَيْرٍ، عن ابنِ إسحاقَ، قال[2]: وخرَج نَوْفَلُ بنُ عبدِ اللَّهِ ابنِ المُغيرةِ المخزوميُّ يَسْأَلُ المبارزةَ، فخرَج إليه الزبيرُ بنُ العَوَّامِ، فضرَبه، فشقَّه باثْنَتَيْن، حتى فَلَّ فى سيفِه فَلًّا، وانصَرَف وهو يقولُ:

إنى امرُؤٌ أَحْمِى وأَحْتَمِى عن النبىِّ المُصْطَفَى الأُمِّى

وقد ذكَر ابنُ جَريرٍ[3] أن نَوْفلًا لما تَوَرَّط فى الخندقِ، رماه الناسُ بالحجارةِ، فجعَل يقولُ: قِتْلةً أحسنَ مِن هذه يا معشرَ العربِ. فنزَل إليه علىٌّ فقتَله، وطلَب المشركون رِمَّتَه مِن رسولِ اللَّهِ ﷺ بالثمنِ، فأَبَى عليهم أن يَأْخُذَ منهم شيئًا، ومكَّنَهم مِن أخْذِه إليهم. وهذا غريبٌ مِن وجهَيْن.

وقد رَوَى البيهقىُّ[4]، مِن طريقِ حَمَّادِ بنِ زيدٍ[5]، عن هشامِ بنِ عروةَ، عن أبيه، عن عبدِ اللَّهِ بنِ الزبيرِ، قال: جُعِلْتُ يومَ الخندقِ مع النساءِ والصبيانِ فى الأُطُمِ، ومعى عمرُ بنُ أبى سَلَمَةَ، فجعَل يُطَأْطِئُ لى فأَصْعَدُ على ظَهْرِه،

---

(١) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٣/٤٠٤ عن موسى بن عقبة.
(٢) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٣/٤٣٧ عن يونس بن بكير، به.
(٣) تاريخ الطبرى ٢/٥٧٤ حوادث السنة الخامسة.
(٤) دلائل النبوة ٣/ ٤٣٩، ٤٤٠.
(٥) فى م: «يزيد». وهو خطأ.

فأَنْظُرُ . قال : فنظَرْتُ إلى أبى وهو يَحْمِلُ مرةً هـٰهنا ومرةً هـٰهنا ، فما يَرْتَفِعُ له شىءٌ إلّا أتاه ، فلما أمْسَى جاءنا إلى الأُطُمِ ، قلتُ : يا أبَتِ ، رأيتُك اليومَ وما تصْنَعُ . قال : ورأيْتَنى يا بنىَّ ؟ قلتُ : نعم . قال : فِدًى لك أبى وأمى .

قال ابنُ إسحاقَ[(١)] : وحدَّثنى أبو لَيْلَى عبدُ اللَّهِ بنُ سهلِ بنِ عبدِ الرحمنِ ابنِ سهلٍ الأنصارىُّ ، أخو بنى حارِثةَ ، أن عائشةَ أمَّ المؤمنين كانت فى حصنِ بنى حارِثةَ يومَ الخندقِ ، وكان مِن أحْرَزِ حصونِ المدينةِ . قال : وكانت أمُّ سعدِ ابنِ مُعاذٍ معها فى الحصنِ ، قالت عائشةُ : وذلك قبلَ أن يُضْرَبَ علينا الحِجابُ . قالت : فمرَّ سعدٌ وعليه درعٌ مُقَلَّصةٌ[(٢)] ، قد خرَجَت منها ذراعُه كلُّها ، وفى يدِه حربتُه يَرْقَدُ[(٣)] بها ويقولُ :

[٣/١٢ظ] لَبِّثْ قليلًا يَشْهَدِ الهَيْجا حَمَلْ[(٤)] لا بأسَ بالموتِ إذا حان الأجَلْ

فقالت له أمُّه : الحَقْ بنىَّ ، فقد واللَّهِ أخَّرْتَ . قالت عائشةُ : فقلتُ لها : يا أمَّ سعدٍ ، واللَّهِ لَوَدِدْتُ أنَّ دِرعَ سعدٍ كانت أسْبَغَ مما هى . قالت : وخِفْتُ عليه حيث أصابَ السهمُ منه ، فرُمِىَ سعدُ بنُ معاذٍ بسهمٍ فقَطَع منه الأكْحَلَ[(٥)] .

---

(١) سيرة ابن هشام ٢/ ٢٢٦، ٢٢٧.

(٢) مقلصة : قصيرة . انظر شرح غريب السيرة ٣/ ٦.

(٣) فى الأصل، ص : « يرتد » ، وفى م : « يرفل » . ويرقد : يسرع . المصدر السابق .

(٤) فى م ، ص ، والسيرة : « جمل » . قال السهيلى فى الروض الأنف ٦/ ٣١٩: هو بيت تمثل به ، عنى به حمل بن سَعْدانة بن حارثة بن مَعْقِل بن كعب بن عُلَيْم بن جناب الكلبى . وانظر ما تقدم فى ٥/ ٤٣١ حاشية (٥).

(٥) الأكحل : عرق فى الذراع . شرح غريب السيرة ٣/ ٧.

قال ابنُ إسحاقَ[1] : حدَّثنى عاصمُ بنُ عمرَ بنِ قتادةَ قال : رَمَاه حِبّانُ[2] بنُ قَيْسِ بنِ العَرِقةِ ، أحدُ بنى عامرِ بنِ لُؤَىٍّ ، فلمَّا أصابه قال : خُذْها منى وأنا ابنُ العَرِقةِ . فقال له سعدٌ : عَرَّق اللَّهُ وجهَك فى النارِ ، اللهم إن كنتَ أبْقَيْتَ مِن حربِ قريشٍ شيئًا فأبْقِنِى لها ، فإنه لا قومَ أحبُّ إلىَّ أن أُجاهِدَ مِن قومٍ آذَوْا رسولَك وكَذَّبوه وأخْرَجوه ، اللهم وإن كنتَ وضَعْتَ الحربَ بينَنا وبينَهم فاجْعَلْها لى شهادةً ، ولا تُمِتْنى حتى تُقِرَّ عينى مِن بنى قُرَيْظَةَ .

قال ابنُ إسحاقَ[3] : وحدَّثنى مَن لا أتَّهِمُ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ كعبِ بنِ مالكٍ أنه كان يقولُ : ما أصاب سعدًا يومَئذٍ إلا أبو أُسامةَ الجُشَمىُّ ، حليفُ بنى مَخْزومٍ . وقد قال أبو أسامةَ فى ذلك شعرًا ، قاله لعِكْرمةَ بنِ أبى جهلٍ :

أعِكْرِمَ هَلَّا لُمْتَنى إذ تقولُ لى ... فِداكَ بآطامِ المدينةِ خالدُ
ألستُ الذى ألزَمْتُ سعدًا مُرِشَّةً[4] ... لها بينَ أثناءِ المَرافِقِ عانِدُ[5]
قضَى نَحبَه منها سُعَيْدٌ فأَعْوَلتْ ... عليه مع الشُّمْطِ العَذارَى النَّواهِدُ[6]
وأنت الذى دافَعْتَ عنهُ وقد دَعا ... عُبَيْدَةُ جَمْعًا منهمُ إذ يُكابِدُ

(١) سيرة ابن هشام ٢/ ٢٢٧.
(٢) فى الأصل غير منقوطة . وفى م ، ص : « حيان » . والمثبت من السيرة . وانظر جمهرة الأنساب ص ١٧١.
(٣) سيرة ابن هشام ٢/ ٢٢٧، ٢٢٨.
(٤) فى م : « مريشة » . ومرشة : يعنى رمية أصابته فأطارت رشاش الدم منه . شرح غريب السيرة ٣/ ٧.
(٥) العاند : العرق الذى لا ينقطع منه الدم . المصدر السابق .
(٦) أعولت : بكت بصوت مرتفع . والشمط : جمع شمطاء ، وهى التى خالط شعرها الشيب . المصدر السابق .

على حينِ ما هم جائرٌ عن طريقِه وآخرُ مَرْعوبٌ[(١)] عن القَصْدِ قاصِدُ

قال ابنُ إسحاقَ : واللَّهُ أعلمُ أيُّ ذلك كان . قال ابنُ هشامٍ : ويقالُ : إنَّ الذى رمَى سعدًا خَفاجةُ بنُ عاصمِ بنِ حِبَّانَ .

قلتُ : وقد استجاب اللَّهُ دعوةَ وليِّه سعدِ بنِ معاذٍ فى بنى قُرَيْظَةَ ، أقَرَّ اللَّهُ عينَه ؛ فحكَم فيهم بقدرتِه وتيسيرِه ، وجعَلهم هم الذين يَطْلُبون ذلك ، كما سيأتى بيانُه ، فحَكَم بقتلِ مقاتِلَتِهم وسَبْىِ ذراريِّهم ، حتى قال له رسولُ اللَّهِ ﷺ : « لقد حكَمْتَ فيهم بحُكْمِ اللَّهِ من فوقِ سبعةِ [٣/١٣و] أرْقِعةٍ »[(٢)] .

قال ابنُ إسحاقَ[(٣)] : وحدَّثنى يحيى بنُ عَبَّادِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ الزبيرِ ، عن أبيه عَبَّادٍ ، قال : كانت صَفِيَّةُ بنتُ عبدِ المطلبِ فى فارعٍ حِصْنِ حسانَ بنِ ثابتٍ ، قالت : وكان حسانُ معنا فيه مع النساءِ والصِّبيانِ . (٤قالت صَفِيَّةُ٤) : فمرَّ بنا رجلٌ من يهودَ ، فجعَل يُطِيفُ بالحصنِ ، وقد حاربَتْ بنو قُرَيْظَةَ ، وقطَعَت ما بينَها وبيـنَ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، وليس بينَنا وبينَهم أحدٌ يَدْفَعُ عنا ، ورسولُ اللَّهِ ﷺ والمسلمون فى نحورِ عدُوِّهم ، لا يَستَطِيعون أن يَنْصَرِفوا عنهم إلينا إن[(٥)]

---

(١) فى ص : « مرغوب » . قال أبو ذر : المرعوب : المفَزَّع ، ومن رواه مرغوب ، فمعناه رغب عن القصد ، أى تركه . شرح غريب السيرة ٣/٧ .

(٢) أخرجه ابن إسحاق ، كما فى سيرة ابن هشام ٢/ ٢٤٠. وعنه الطبرى فى تاريخه ٢/ ٥٨٨. كلاهما عن علقمة بن وقاص الليثى مرسلا . كما سيأتى ذلك فى غزوة بنى قريظة مفصلا .

وسبعة أرقعة : يعنى سبع سماوات ، وكل سماء يقال لها : رَقِيع . وقيل : الرقيع اسم سماء الدنيا . سميت بذلك لأن الكواكب رفعتها ، وقيل : لأنها مرقوعة بالنجوم . فأعطى كل سماء اسمها . انظر النهاية ٢/ ٢٥١. واللسان (ر ق ع) .

(٣) سيرة ابن هشام ٢/ ٢٢٨.

(٤ - ٤) زيادة من : الأصل .

(٥) فى الأصل ، م : « إذ » .

أتانا آتٍ ، فقلتُ : يا حسانُ ، إن هذا اليهوديَّ كما تَرَى يُطِيفُ بالحصنِ ، وإنى واللَّهِ ما آمَنُه أن يَدُلَّ على عورتِنا مَن وراءَنا مِن يهودَ ، وقد شُغِل رسولُ اللَّهِ ﷺ وأصحابُه ، فانْزِلْ إليه فاقْتُلْه . قال : يغْفِرُ اللَّهُ لكِ يا بنةَ عبدِ المطلبِ ، واللَّهِ لقد عرَفْتِ ما أنا بصاحبِ هذا . قالت : فلمَّا قال لى ذلك ولم أرَ عندَه شيئًا ، احتَجَزْتُ[1] ثم أخَذْتُ عمودًا ، ثم نزَلْتُ من الحصنِ إليه ، فضرَبْتُه بالعمودِ حتى قتَلْتُه ، فلما فرَغْتُ منه ، رجَعْتُ إلى الحصنِ ، فقلتُ : يا حسانُ ، انزِلْ فاسْلُبْه ، فإنه لم يَمْنعْنى من سَلَبِه إلّا أنه رجلٌ . قال : ما لى (٢بسَلَبِه حاجةٌ٢) يا بنةَ عبدِ المطلبِ .

(٣حكى السُّهَيْلِىُّ[4] عن بعضِهم أنه قال : كان حسانُ جبانًا شديدَ الجُبنِ . قال : وأَنكَر آخرون ذلك ، وطعَنوا فى الخبرِ ، فقالوا : هو منقطعٌ . قالوا : وقد كان يُهَاجِى المشركين من الشعراءِ ؛ كابنِ الزِّبَعْرَى ، وضِرارِ بنِ الخطَّابِ ، وغيرِهما ، فلم يُعَيِّرْه واحدٌ منهم بالجبنِ . قال : ومِمَّن أنكَرَ ذلك الشيخُ أبو عُمَرَ النَّمَرِىُّ[5] . قالوا : وبتقديرِ صحةِ هذا الخبرِ ، لعله كان منقطعًا فى الآطامِ لِعِلَّةٍ عارضةٍ . ومال إلى هذا السُّهَيْلِىُّ . واللَّهُ أعلمُ٣) .

قال موسى بنُ عقبةَ[6] : وأحاط المشركون بالمسلمين حتى جعَلوهم فى مثلِ

---

(١) احتجزت : شددت وسطى .
(٢ - ٢) فى ص : « من سلبه بحاجة » .
(٣ - ٣) زيادة من : ص .
(٤) الروض الأنف ٦/ ٣٢٤ بمعناه .
(٥) انظر الدرر فى اختصار المغازى والسير ص ١٨٦، والاستيعاب ١/ ٣٤٨.
(٦) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٣/ ٤٠١، ٤٠٢ عن موسى بن عقبة .

الحصنِ بينَ[1] كتائِبِهم، فحاصروهم قريبًا مِنْ عشرين ليلةً، وأخَذوا بكلِّ ناحيةٍ، حتى لا يَدْرِى الرجلُ[2] أتَمَّ صَلاتَه[3] أم لا. قال: ووجَّهوا نحوَ منزلِ رسولِ اللَّهِ ﷺ كتيبةً غليظةً، فقاتَلوهم يومًا إلى الليلِ، فلمَّا حانت صلاةُ العصرِ، دنَتِ الكتيبةُ، فلم يَقْدِرِ النبيُّ ﷺ ولا أحدٌ مِن أصحابِه الذين كانوا معه أن يُصَلُّوا الصلاةَ على نحوِ ما أرادوا، فانكَفأت الكَتيبةُ مع الليلِ، فزَعَموا أن رسولَ اللَّهِ ﷺ قال: «شغَلونا عن صلاةِ العصرِ، ملأَ اللَّهُ بطونَهم وقلوبَهم - وفى روايةٍ: وقبورَهم[4] - نارًا». فلما اشتَدَّ البلاءُ، نافَق ناسٌ كثيرٌ، وتكَلَّموا بكلامٍ قبيحٍ، فلمَّا رَأى رسولُ اللَّهِ ﷺ ما بالناسِ مِن البلاءِ والكَرْبِ، جعَل يُبَشِّرُهم ويقولُ: «والذى نفسى بيدِه ليُفَرَّجَنَّ عنكم ما ترَوْن من الشدةِ، وإنى لأَرْجُو أن [٣/١٣ظ] أَطُوفَ بالبيتِ العتيقِ آمنًا، وأن يَدْفَعَ اللَّهُ إلىَّ مفاتيحَ الكعبةِ، وليُهْلِكَنَّ اللَّهُ كِسْرَى وقَيْصَرَ، ولتُنْفِقُنَّ كنوزَهما فى سبيلِ اللَّهِ».

وقد قال البخاريُّ[5]: حدثنا إسْحاقُ، حدثنا رَوْحٌ، حدثنا هشامٌ، عن محمدٍ، عن عَبِيدةَ، عن علىٍّ، عن النبىِّ ﷺ أنه قال يومَ الخندقِ: «ملَأَ اللَّهُ عليهم بيوتَهم وقبورَهم نارًا؛ كما شغَلونا عن الصلاةِ الوسطى حتى غابت الشمسُ». وهكذا رواه بقيةُ الجماعةِ إلّا ابنَ ماجه مِن طُرُقٍ، عن هشامِ بنِ

---

(١) فى النسخ: «من». والمثبت من الدلائل.
(٢) سقط من: الأصل، م.
(٣) سقط من النسخ. والمثبت من الدلائل.
(٤) فى الأصل: «بيوتهم».
(٥) البخارى (٤١١١).

حسانَ ، عن محمدِ بنِ سِيرِينَ ، عن عَبِيدةَ ، عن عليٍّ ، به[1] . ورَواه مسلمٌ والترمذيُّ مِن طريقِ سعيدِ بنِ أبي عَرُوبةَ ، عن قَتادةَ ، عن أبي حَسانَ الأعْرجِ ، عن عَبِيدةَ ، عن عليٍّ ، به[2] ، وقال الترمذيُّ : حسنٌ صحيحٌ .

ثم قال البخاريُّ[3] : حدَّثنا المكِّيُّ بنُ إبراهيمَ ، حدَّثنا هشامٌ ، عن يحيى ، عن أبي سَلَمَةَ ، عن جابرِ بنِ عبدِ اللَّهِ ، أنَّ عمرَ بنَ الخطاب جاء يومَ الخندقِ بعدَ ما غرَبت الشمسُ ، فجعَل يَسُبُّ كفارَ قريشٍ ، وقال : يا رسولَ اللَّهِ ، ما كِدْتُ أن أُصَلِّيَ حتى كادت الشمسُ أن تَغْرُبَ . قال النبيُّ ﷺ : « واللَّهِ ما صليتُها » . فنزَلْنا مع رسولِ اللَّهِ ﷺ بُطْحانَ ، فتوضَّأ للصلاةِ وتوضَّأْنا لها ، فصلَّى العصرَ بعدَ ما غرَبت الشمسُ ، ثم صلى بعدَها المغربَ . وقد رَواه البخاريُّ أيضًا ومسلمٌ والترمذيُّ والنَّسائيُّ ، مِن طُرُقٍ ، عن يحيى بنِ أبي كَثِيرٍ ، عن أبي سَلَمةَ ، به[4] .

وقال الإمامُ أحمدُ[5] : حدثنا عبدُ الصمدِ ، حدثنا ثابتٌ ، حدَّثنا هلالٌ ، عن عِكْرِمةَ ، عن ابنِ عباسٍ ، قال : قاتَل النبيُّ ﷺ عدوًّا ، فلم يَفْرُغْ منهم حتى أَخَّرَ العصرَ عن وقتِها ، فلمَّا رأَى ذلك ، قال : « اللهم مَن حبَسَنا عن الصلاةِ الوُسْطَى ، فامْلَأْ بيوتَهم نارًا وامْلَأْ قبورَهم نارًا » . ونحوَ ذلك . تفرَّد به

(١) مسلم (٢٠٢/٦٢٧) ، وأبو داود (٤٠٩) . ولم نجد للترمذى ولا النسائى رواية من هذا الطريق . انظر تحفة الأشراف ٧/ ٤٢٩، والمسند الجامع ١٣/ ١٧٦، ١٧٧.
(٢) مسلم (٢٠٣/٦٢٧) ، والترمذى (٢٩٨٤) .
(٣) البخارى (٤١١٢) .
(٤) البخارى (٥٩٦، ٥٩٨، ٦٤١، ٩٤٥)، ومسلم (٦٣١)، والترمذى (١٨٠)، والنسائى (١٣٦٥) .
(٥) المسند ١/ ٣٠١. (إسناده صحيح) .

أحمدُ، وهو مِن روايةِ هِلالِ بنِ خَبَّابٍ العَبْدِيِّ الكُوفيِّ، وهو ثِقةٌ، يُصَحِّحُ له الترمذيُّ وغيرُه.

وقد استدل طائفةٌ مِن العلماءِ بهذه الأحاديثِ على كونِ الصلاةِ الوُسْطَى هي صلاةَ العصرِ، كما هو منصوصٌ عليه في هذه الأحاديثِ. وألزَم القاضي الماوَرْدِيُّ مذهبَ الشافعيِّ بهذا[1]؛ لصحةِ الحديثِ، وقد حرَّرْنا ذلك نقْلًا واستدلالًا عندَ قولِه تعالى[2]: ﴿حَـٰفِظُوا۟ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُوا۟ لِلَّهِ قَـٰنِتِينَ﴾ [البقرة: ٢٣٨]. وقد استدَلَّ طائفةٌ بهذا الصنيعِ على جوازِ تأخيرِ الصلاةِ لعذرِ القتالِ، كما هو مذهبُ مَكْحولٍ والأوْزاعيِّ، وقد بوَّب [٣/١٤و] البخاريُّ على ذلك، واستدَلَّ بهذا الحديثِ، [3]وبقولِه ﷺ يومَ أمَرهم بالذَّهابِ إلى بني قُرَيْظَةَ، كما سيأتي: «لا يُصَلِّيَنَّ أحدٌ العصرَ إلا في بني قُرَيْظةَ». وكان مِن الناس مَن صلى العصرَ[3] في الطريقِ، ومنهم مَن لم يُصَلِّ إلَّا في بني قُرَيْظَةَ بعدَ الغروبِ، ولم يُعَنِّفْ واحدًا مِن الفريقَيْن، واستدَلَّ بما ذَكَره عن الصحابةِ ومَن معهم في حِصارِ تُسْتَرَ سنةَ عشرين في زمنِ عمرَ، حيث صلَّوُا الصبحَ بعدَ طلوعِ الشمسِ؛ لعذرِ القتالِ واقترابِ فتحِ الحصنِ[4].

وقال آخرون مِن العلماءِ، وهم الجمهورُ، منهم الشافعيُّ: هذا الصنيعُ يومَ الخندقِ منسوخٌ بشرعيةِ صلاةِ الخوفِ بعدَ ذلك، فإنها لم تَكُنْ مشروعةً إذ

---

(١) انظر صحيح مسلم بشرح النووى ٥/١٢٨.

(٢) التفسير ١/٤٢٧ - ٤٣٧.

(٣ - ٣) سقط من: الأصل.

(٤) فتح البارى ٢/٤٣٤ باب: الصلاة عند مناهضة الحصون ولقاء العدو. و٢/٤٣٦ باب: صلاة الطالب والمطلوب راكبا وإيماء. من كتاب الخوف.

ذاك ، فلهذا أخَّروها يومئذٍ . وهو مُشْكِلٌ ، فإنَّ[1] ابنَ إسحاقَ وجماعةً ذهَبوا إلى أنَّ النبيَّ ﷺ صلى صلاةَ الخوفِ بعُسْفانَ ، وقد ذكَرها ابنُ إسحاقَ ، وهو إمامٌ فى المغازى ، قبلَ الخندقِ ، وكذلك ذاتُ الرِّقاعِ ذكَرها قبلَ الخندقِ . فاللَّهُ أعلمُ .

وأما الذين قالوا : إنَّ تأخيرَ الصلاةِ يومَ الخندقِ وقَع نسيانًا[2] . كما حكاه شُرَّاحُ مسلمٍ عن بعضِ الناسِ ، فهو مُشْكِلٌ ، إذ يَبْعُدُ أن يَقَعَ هذا مِن جَمْعٍ كبيرٍ ، مع شدةِ حرصِهم على [3]المحافظةِ على الصلاةِ[3] ، كيف وقد رُوِىَ أنهم ترَكوا يومَئذٍ الظهرَ والعصرَ والمغرِبَ حتى صلَّوُا الجميعَ فى وقتِ العشاءِ[4] .

قال الإمامُ أحمدُ[5] : حدَّثنا يزيدُ وحَجَّاجٌ قالا : حدَّثنا ابنُ أبى ذِئْبٍ ، عن المَقْبُرِىِّ ، عن عبدِ الرحمنِ بنِ أبى سعيدِ الخُدْرِىِّ ، عن أبيه قال : حُبِسْنا يومَ الخندقِ حتى ذهَب هَوِىٌّ[6] مِن الليلِ ، حتى كُفِينا ، وذلك قولُه : ﴿ وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا۟ خَيْرًا ۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴾ [الأحزاب : ٢٥] . قال : فدَعا رسولُ اللَّهِ ﷺ بلالًا ، فأمَره فأقام ، فصلى الظهرَ كما كان يُصَلِّيها فى وقتِها ، ثم أقام العصرَ فصلاها كذلك ، ثم أقام المغربَ فصلاها كذلك ، ثم أقام العشاءَ فصلاها كذلك ، وذلك قبلَ أن

---

(١) فى م : « قال » .
(٢) انظر صحيح مسلم بشرح النووى ٥/ ١٣٠.
(٣ - ٣) فى النسخ : « محافظة الصلاة » .
(٤) بعده فى الأصل، م : « من رواية أبى هريرة وأبى سعيد » .
(٥) مسند الإمام أحمد ٣/ ٦٧، ٦٨.
(٦) هويًّا من الليل : أى قطعة منه ، ويقال بفتح الهاء وضمها . شرح غريب السيرة ٣/ ٨.

يُنَزَّل - قال حَجَّاجٌ: فى صلاةِ الخوفِ - : ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا۟ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٣٩].

وقد رَواه النسائىُّ[(١)]، عن الفَلَّاسِ، عن يحيى القَطَّانِ، عن ابنِ أبى ذِئْبٍ، به: قال: شغَلَنا المشركون يومَ الخندقِ عن صلاةِ الظهرِ حتى غرَبت الشمسُ. فذكَره.

وقال أحمدُ[(٢)]: حدَّثنا هُشَيْمٌ، حدثَّنا أبو الزُّبيرِ، عن نافعِ بنِ جُبَيْرٍ، عن أبى عُبَيْدةَ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ مسعودٍ، عن أبيه، أن المشركين شغَلوا رسولَ اللَّهِ ﷺ يومَ الخندقِ عن أربعِ صَلَواتٍ، حتى ذهَب من الليلِ ما شاء اللَّهُ. قال: فأمَر بلالًا فأذَّن ثم أقام [٣/ ١٤ظ] فصلَّى الظهرَ، ثم أقام فصلَّى العصرَ، ثم أقام فصلَّى المغربَ، ثم أقام فصلَّى العشاءَ.

وقال الحافظُ أبو بكرٍ البَزَّارُ[(٣)]: حدَّثنا محمدُ بنُ مَعْمَرٍ، حدَّثنا مُؤَمَّلٌ، يعنى ابنَ إسماعيلَ، حدثنا حَمَّادُ، يعنى ابنَ سَلَمَةَ، عن عبدِ الكَريمِ، يعنى ابنَ أبى المُخارِقِ، عن مُجاهِدٍ، عن جابرِ بنِ عبدِ اللَّهِ، أن النبىَّ ﷺ شُغِل يومَ الخندقِ عن صلاةِ الظهرِ، والعصرِ، والمغربِ، والعشاءِ، فأمَر بلالًا فأذَّن وأقام، فصلَّى الظهرَ، ثم أمَره فأذَّن وأقام، فصلى العصرَ، ثم أمَره فأذَّن وأقام، فصلى

---

(١) النسائى (٦٦٠). صحيح (صحيح سنن النسائى ٦٣٨).
(٢) المسند ١/ ٣٧٥. (إسناده ضعيف).
(٣) كشف الأستار (٣٦٥). قال الهيثمى فى المجمع ٢/ ٤٠: رواه البزار والطبرانى فى الأوسط، وفيه عبد الكريم بن أبى المخارق وهو ضعيف.

المغربَ ، ثم أمَره فأذَّن وأقام ، فصلى العشاءَ ، ثم قال : « ما على وجهِ الأرضِ قومٌ يذكُرون اللَّهَ فى هذه الساعةِ غيرُكم » . تفرَّد به البَزَّارُ ، وقال : لا نعْرِفُه إلَّا مِن هذا الوجهِ ، وقد رَواه بعضُهم عن عبدِ الكَريمِ ، عن مُجاهدٍ ، عن أبى عُبَيْدةَ ، عن عبدِ اللَّهِ .

فصلٌ فى دعائِه ، عليه السلامُ ، على الأحزابِ

(١) وكيف صرَفهم اللَّهُ تعالى ، بحولِه وقوتِه ؛ استجابةً[٢] لرسولِه ﷺ ، وصيانةً لحَوزتِه الشريفةِ ، فزَلزَل قلوبَهم ، ثم أرسَل عليهم الريحَ الشديدةَ ؛ فزلزَل أبدانَهم (١) .

قال الإمامُ أحمدُ[٣] : حدَّثنا أبو عامرٍ ، حدَّثنا الزُّبيرُ - يعنى ابنَ عبدِ اللَّهِ - حدَّثنا رُبَيْحُ بنُ أبى سعيدٍ الخُدْرىِّ ، عن أبيه قال : قُلْنا يومَ الخندقِ : يا رسولَ اللَّهِ ، هل مِن شىءٍ نقولُه ؟ فقد بلَغت القلوبُ الحناجرَ . قال : « نعم ، اللهم اسْتُرْ عوراتِنا وآمِنْ رَوْعاتِنا » . قال : فضرَب اللَّهُ وُجوهَ أعدائِه (٤) بالريحِ ، فهَزَمَهم اللَّهُ (٤) بالرِّيحِ . وقد رَواه ابنُ أبى حاتمٍ فى « تفسيرِه »[٥] عن أبيه ، عن أبى عامرٍ ، وهو العَقَدىُّ ، عن الزبيرِ بنِ عبدِ اللَّهِ مولى عثمانَ بنِ عفانَ ، عن رُبَيْحِ بنِ

(١ - ١) سقط من : م .

(٢) فى الأصل : « استحبابًا » .

(٣) المسند ٣/ ٣. قال الهيثمى فى مجمع الزوائد ١٠/ ١٣٦: رواه أحمد والبزار ، وإسناد البزار متصل ، ورجاله ثقات ، وكذلك رجال أحمد .

(٤ - ٤) سقط من : الأصل ، م .

(٥) ذكره السيوطى فى الدر المنثور ٥/ ١٨٥، وعزاه إلى ابن أبى حاتم . وذكره المصنف فى تفسيره ٦/ ٣٨٩ بإسناد ابن أبى حاتم ، وفيه : « رتيج بن عبد الرحمن » . والمثبت هو الصواب . انظر تهذيب الكمال ٩/ ٥٩.

عبدِ الرحمنِ بنِ أبى سعيدٍ ، عن أبيه ، عن أبى سعيدٍ . فذكَره ، وهذا هو الصوابُ .

وقال الإمامُ أحمدُ[(١)] : حدَّثنا حُسَيْنٌ ، عن ابنِ أبى ذِئْبٍ ، عن رجلٍ مِن بنى سَلِمةَ ، عن جابرِ بنِ عبدِ اللَّهِ ، أن النبىَّ ﷺ أتَى مسجدَ الأحْزابِ فوضَع رداءَه ، وقام ورفَع يَديه مَدًّا يدْعو عليهم ، ولم يُصَلِّ . قال : ثُم جاء ودَعا عليهم وصلَّى .

وثبَت فى « الصحيحين »[(٢)] مِن حديثِ إسماعيلَ بنِ أبى خالدٍ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ أبى أوْفَى قال : دَعا رسولُ اللَّهِ ﷺ على الأحزابِ فقال : « اللهم مُنْزِلَ الكتابِ ، سريعَ الحسابِ ، اهْزِمِ الأحزابَ ، اللهم اهزِمْهم وزَلْزِلْهم » . وفى روايةٍ[(٣)] : « اهْزِمْهم وانصُرْنا عليهم » .

ورَوَى البخارىُّ[(٤)] ، عن قُتَيْبَةَ ، [(٥)] عن اللَّيْثِ ، عن سعيدٍ المَقْبُرىِّ ، عن أبيه ، عن أبى هريرةَ[(٥)] [٣/ ١٥و] أن رسولَ اللَّهِ ﷺ كان يقولُ : « لا إلهَ إلا اللَّهُ وحدَه ، أعَزَّ جُندَه ، ونصَر عبدَه ، وغلَب الأحْزابَ وحدَه ، فلا شىءَ بعدَه » .

وقال ابنُ إسحاقَ[(٦)] : وأقام رسولُ اللَّهِ ﷺ وأصحابُه فى ما وصَف اللَّهُ مِن الخوفِ والشدةِ ؛ لتَظاهُرِ عدوِّهم عليهم ، وإتيانِهم إياهم مِن فوقِهم ومِن أسفلَ

---

(١) المسند ٣/ ٣٩٣. قال الهيثمى فى المجمع ٤/ ١٢: رواه أحمد وفيه رجل لم يسمّ .
(٢) البخارى (٢٩٣٣، ٤١١٥، ٦٣٩٢، ٧٤٨٩)، ومسلم (١٧٤٢) .
(٣) بعده فى م : « اللهم » . والرواية فى البخارى (٢٩٦٦، ٣٠٢٥)، ومسلم (٢٠/ ١٧٤٢) .
(٤) البخارى (٤١١٤) .
(٥ - ٥) بياض بالأصل .
(٦) سيرة ابن هشام ٢/٢٢٩ - ٢٣١.

منهم. قال[1]: ثُم إن نُعَيْمَ بنَ مَسعودِ بنِ عامرِ بنِ أُنَيْفِ [2]بنِ ثعْلبةَ[2] بنِ قُنْفُذِ ابنِ هِلالِ بنِ خُلَاوَةَ بنِ أشْجَعَ بنِ رَيْثِ بنِ غَطَفَانَ أتى رسولَ اللّهِ ﷺ فقال: يا رسولَ اللّهِ، إنى قد أسْلَمتُ وإنَّ قومى لم يَعْلَموا بإسلامى، فمُرْنى بما شِئْتَ. فقال رسولُ اللّهِ ﷺ: «إنما أنت فينا رجلٌ واحدٌ، فخَذِّلْ عنا إن اسْتَطَعْتَ، فإنَّ الحربَ خَدْعَةٌ». فخرَج نُعَيْمُ بنُ مسعودٍ حتى أتَى بنى قُرَيْظةَ، وكان لهم نَديمًا[3] فى الجاهليةِ، فقال: يا بنى قُرَيْظةَ، قد عرَفْتُم وُدِّى إياكم وخاصةً ما بينى وبينَكم. قالوا: صدَقْتَ، لسْتَ عندَنا بمُتَّهَمٍ. فقال لهم: إنَّ قريشًا وغَطَفانَ ليسوا كأنتم، البلدُ بلدُكم، فيه أموالُكم وأبناؤُكم ونساؤُكم، لا تَقْدِرون على أن تَتَحوَّلُوا منه إلى غيرِه، وإنَّ قريشًا وغطفانَ قد جاءوا لحربِ محمدٍ وأصحابِه، وقد ظاهَرْتُموهم عليه، وبلدُهم ونساؤُهم وأموالُهم بغيرِه فليسوا كأنتم، فإن رأَوْا نُهْزَةً[4] أصابوها، وإن كان غيرُ ذلك لحِقوا ببلادِهم وخلَّوا بينَكم وبينَ الرجلِ ببلدِكم، ولا طاقةَ لكم به إن خَلَا بكم، فلا تُقاتِلوا مع القومِ حتى تأخُذوا منهم رُهُنًا مِن أشرافِهم يكونون بأيديكم؛ ثِقةً لكم على أن تُقاتِلوا معهم محمدًا حتى تُناجِزوه. قالوا: لقد أشَرْتَ بالرأْيِ. ثُم خرَج حتى أتَى قريشًا فقال لأبى سُفيانَ بنِ حربٍ ومَن معه مِن رجالِ قريشٍ: قد عرَفْتُم وُدِّى لكم وفِراقى محمدًا، وإنه قد بلَغنى أمرٌ قد رأيْتُ علىَّ حقًّا أن أُبَلِّغَكموه؛ نُصْحًا لكم، فاكْتُموا عنى. قالوا: نفعَلُ. قال: تعلَّموا أن معشرَ

---

(١) سيرة ابن هشام ٢/٢٢٩ - ٢٣١.
(٢ - ٢) سقط من: الأصل.
(٣) النديم: المصاحب على الشراب، المسامر.
(٤) النهزة: انتهاز الشىء وهو اختلاسه. شرح غريب السيرة ٣/٨.

يهودَ قد ندِموا على ما صنَعوا فيما بينَهم وبينَ محمدٍ ، وقد أرْسَلوا إليه أنّا قد ندِمْنا على ما فعَلْنا ، فهل يُرْضيك أن نَأْخُذَ لك مِن القبيلتين مِن قريشٍ وغَطَفانَ (١رجالًا مِن أشرافِهم ، فنُعْطِيَكهم فتَضْرِبَ١) أعناقَهم ، ثُم [٣/ ١٥ظ] نكونَ معك على مَن بَقِيَ منهم حتى تَسْتَأْصِلَهم؟ فأرْسَل إليهم أن نعم . فإن بعَثَتْ إليكم يهودُ يلْتَمِسون منكم رُهُنًا مِن رِجالِكم ، فلا تَدْفَعوا إليهم منكم رجلًا واحدًا . ثُم خرَج حتى أتَى غَطَفانَ ، فقال : يا معشرَ غَطَفانَ ، إنكم أصْلى وعشيرتى ، وأحَبُّ الناسِ إلىَّ ، ولا أراكم تتَّهِموني . قالوا : صدَقْتَ ، ما أنت عندَنا بمُتَّهَمٍ . قال : (٢فاكْتُموا عنى٢) . قالوا : نَفْعَلُ . ثُم قال لهم مثلَ ما قال لقريشٍ ، وحذَّرَهم ما حذَّرَهم ، فلما كانت ليلةُ السبتِ مِن شوَّالٍ سنةَ خمسٍ ، وكان مِن صُنعِ اللَّهِ تعالى لرسولِه ﷺ أن أرْسَل أبو سفيانَ بنُ حربٍ ورُءوسُ غَطَفانَ إلى بنى قُرَيْظةَ عِكْرمةَ بنَ أبى جهلٍ ، فى نفَرٍ مِن قريشٍ وغَطَفانَ ، فقال لهم : إنَّا لسْنا بدارِ مُقامٍ ، قد هلك الخُفُّ والحافرُ(٣) ، فأعِدُّوا(٤) للقِتالِ حتى نُناجِزَ محمدًا ونَفْرُغَ مما بينَنا وبينَه . فأرْسَلوا إليهم : إنَّ اليومَ يومُ السبتِ ، وهو يومٌ لا نَعْمَلُ فيه شيئًا ، وقد كان أحْدَث فيه بعضُنا حَدَثًا فأصابهم ما لم يَخْفَ عليكم ، ولسْنا مع ذلك بالَّذين نُقاتِلُ معكم محمدًا حتى تُعْطُونا رُهُنًا مِن رجالِكم يكونون بأيدينا ؛ ثِقةً لنا حتى نُناجِزَ محمدًا ، فإنا نَخْشَى إن

(١ - ١) فى الأصل : « رجلا فتضرب » . وفى ص : « رجالا من أشرافهم نضرب » .

(٢ - ٢) فى ص : « فاكتمونى » .

(٣) يعنى بالخف : الإبل ، وبالحافر : الخيل . شرح غريب السيرة ٣/ ٨.

(٤) فى السيرة : « فاغدوا » .

ضَرَّسَتْكم[1] الحربُ، واشتدَّ عليكم القِتالُ أن تَنْشَمِروا[2] إلى بلادِكم وتتْرُكونا، والرجلُ فى بلادِنا، ولا طاقةَ لنا بذلك منه. فلما رجَعتْ إليهم الرسلُ بما قالت بنو قُرَيْظةَ، قالت قريشٌ وغَطَفانُ: واللَّهِ إنَّ الذى حدَّثكم نُعَيْمُ ابنُ مَسعودٍ لحَقٌّ. فأرْسَلوا إلى بنى قُرَيْظةَ: إنّا واللَّهِ لا نَدْفَعُ إليكم رجلًا واحدًا مِن رجالِنا، فإن كنتم تُريدون القِتالَ فاخْرُجوا فقاتِلوا. فقالت بنو قُرَيْظةَ حينَ انتهَتْ إليهم الرسلُ بهذا: إن الذى ذكَر لكم نُعَيْمُ بنُ مسعودٍ لحَقٌّ، ما يُريدُ القومُ إلّا أن تُقاتِلوا، فإن رَأَوْا فُرصةً انتهَزوها، وإن كان غيرُ ذلك انشَمَروا إلى بلادِهم، وخَلَّوا بينَكم وبينَ الرجلِ فى بلدِكم. فأرْسَلوا إلى قريشٍ وغَطَفانَ: إنا واللَّهِ ما نُقاتِلُ معكم حتى تُعْطُونا رُهُنًا. فأبَوْا عليهم، وخَذَّلَ اللَّهُ بينَهم، وبعَث اللَّهُ الرِّيحَ فى ليلةٍ شاتيةٍ شديدةٍ [٣/١٦و] البردِ، فجعَلتْ تَكْفَأُ قُدورَهم وتَطْرَحُ أبنيتَهم[3].

وهذا الذى ذكَره ابنُ إسحاقَ مِن قصةِ نُعَيْمِ بنِ مسعودٍ أحسنُ مما ذكَره موسى بنُ عقبةَ. وقد أوْرَده عنه البيهقىُّ فى «الدلائلِ»[4]، فإنه ذكَر ما حاصلُه أن نُعَيْمَ بنَ مسعودٍ كان يُذِيعُ ما يَسْمَعُه مِن الحديثِ، فاتَّفق أنه مرَّ برسولِ اللَّهِ

---

(١) فى الأصل: «ضرستهم». وضرستكم الحرب: أى نالت منكم كما يصاب ذو الأضراس بأضراسه. انظر شرح غريب السيرة ٣/٨ .

(٢) تنشمروا: أى تنقبضوا وتسرعوا إلى بلادكم. المصدر السابق.

(٣) فى م، ص: «آنيتهم». وهو لفظ سائر أصول السيرة، كما أشار محققوها. سيرة ابن هشام ٢/ ٢٣١ حاشية (٥). والمثبت لفظ إحدى نسخ السيرة، ويشهد له رواية الطبرى فى التاريخ ٢/ ٥٧٩. وأبنيتهم: أخبيتهم. شرح غريب السيرة ٣/ ٨.

(٤) دلائل النبوة ٣/ ٤٠٤، ٤٠٥.

ﷺ ذاتَ يومٍ عِشاءً، فأشار إليه أن تَعالَ، فجاء فقال: «ما وراءَك؟». فقال: إنه قد بعَثتْ قريشٌ وغَطَفانُ إلى بنى قُرَيْظَةَ يطْلُبون منهم أن يَخرُجوا إليهم فيُناجِزوك، فقالت بنو قُرَيْظَةَ: نعم، فأرْسِلوا إلينا بالرُّهُنِ. وقد ذكَر كما تقدَّم أنهم إنما نقَضوا العهدَ على يَدَىْ حُيَيِّ بنِ أخْطَبَ، بشرطِ أن يأْتِيَهم برَهائنَ تكونُ عندَهم تَوْثِقةً، قال: فقال له رسولُ اللَّهِ ﷺ: «إنى مُسِرٌّ إليك شيئًا فلا تَذْكُرْه». قال: «إنهم قد أرْسَلوا إلىَّ يَدْعُوننى إلى الصُّلْحِ وأرُدُّ بنى النَّضِيرِ إلى دُورِهم وأموالِهم». فخرَج نُعَيْمُ بنُ مسعودٍ عامدًا إلى غَطَفانَ، وقال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «الحربُ خَدعةٌ، وعسى أن يَصْنَعَ اللَّهُ لنا». فأتَى نُعَيْمٌ غَطَفانَ وقريشًا فأعْلَمهم، فبادر القومُ وأرْسَلوا إلى بنى قُرَيْظَةَ عِكْرِمةَ وجماعةً معه، واتفق ذلك ليلةَ السبتِ، يَطْلُبون منهم أن يَخْرُجوا للقِتالِ معهم، فاعتَلَّتِ اليهودُ بالسبتِ، ثُم أيضًا طلَبوا الرُّهُنَ تَوْثِقةً، فأوْقَع اللَّهُ بينَهم واخْتَلفوا.

قلتُ: وقد يَحْتَمِلُ أن تكونَ قُرَيظةُ لما يَئِسوا مِن انتظامِ أمْرِهم مع قريشٍ وغَطَفَانَ، بعَثوا إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ يَطْلُبون[1] منه الصلْحَ على أن يَرُدَّ بنى النَّضيرِ إلى المدينةِ. واللَّهُ أعلمُ.

قال ابنُ إسحاقَ[2]: فلما انتَهَى إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ ما اخْتَلَف مِن أمْرِهم، وما فرَّق اللَّهُ مِن جماعتِهم[3]، دَعا حُذَيْفَةَ بنَ اليَمانِ، فبعَثه إليهم ليَنْظُرَ ما فعَل القومُ ليلًا.

---

(١) فى الأصل، م: «يريدون».

(٢) سيرة ابن هشام ٢/٢٣١ - ٢٣٣.

(٣) فى الأصل، م: «جمعهم».

قال ابنُ إسحاقَ[1] : فحدَّثني يزيدُ بنُ زِيادٍ ، عن محمدِ بنِ كعبٍ القُرَظيِّ قال : قال رجلٌ مِن أهلِ الكُوفةِ لحُذَيفةَ بنِ اليَمانِ : يا أبا عبدِ اللَّهِ ، أرَأَيْتُم رسولَ اللَّهِ ﷺ وصحِبْتُموه ؟ قال : نعم [١٦/٣ظ] يا بنَ أخي . قال : فكيف كنتم تصْنَعون ؟ قال : واللَّهِ لقد كنا نَجْتَهِدُ . قال : فقال : واللَّهِ لو أدْرَكْناه ما ترَكْناه يَمْشِي على الأرضِ ، ولحَمَلناه على أعناقِنا . قال : فقال حُذَيفةُ : يا بنَ أخي ، واللَّهِ لقد رَأَيْتُنا مع رسولِ اللَّهِ ﷺ بالخندقِ ، وصلَّى رسولُ اللَّهِ ﷺ هَوِيًّا مِن الليلِ ، ثُم التَفَت إلينا فقال : « مَن رجلٌ يَقُومُ فيَنْظُرُ لنا ما فعَل القومُ ثُم يَرْجِعُ » فشرَط له رسولُ اللَّهِ ﷺ الرَّجْعَةَ « أسْأَلُ اللَّهَ أن يكونَ رفيقي في الجنةِ » . فما قام رجلٌ [(٢)] مِن القومِ [(٢)] ؛ مِن شدةِ الخوفِ وشدةِ الجوعِ والبردِ ، فلما لم يَقُمْ أحدٌ دعاني ، فلم يَكُنْ لي بُدٌّ مِن القيامِ حينَ دعاني ، فقال : « يا حُذَيفةُ ، اذْهَبْ فادْخُلْ في القومِ ، فانْظُرْ ماذا يفْعَلون ، ولا تُحْدِثَنَّ شيئًا حتى تأْتِيَنا » . قال : فذَهَبْتُ فدخَلْتُ في القومِ ، والرِّيحُ وجُنودُ اللَّهِ تفْعَلُ بهم ما تفْعَلُ ، لا تُقِرُّ لهم قِدْرًا ولا نارًا ولا بِناءً ، فقام أبو سفيانَ فقال : يا معشرَ قريشٍ ، لِيَنْظُرِ امرُؤٌ مَن جَليسُه . قال حُذَيفةُ : فأخَذْتُ بيدِ الرجلِ الذي كان إلى جَنبي فقلتُ : مَن أنت ؟ قال : فلانُ ابنُ فلانٍ . ثُم قال [(٣)] أبو سفيانَ [(٣)] : يا معشرَ قريشٍ ، إنكم واللَّهِ ما أصْبَحْتم بدارِ مُقامٍ ، لقد هلَك الكُراعُ[4] والخُفُّ ، وأخْلَفَتْنا

---

(١) سيرة ابن هشام ٢/٢٣١ - ٢٣٣.

(٢ - ٢) سقط من : الأصل ، م .

(٣ - ٣) سقط من : م .

(٤) الكراع هنا : الخيل . شرح غريب السيرة ٣/٨.

بنو قريظةَ ، وبلغَنا عنهم الذى نَكْرَهُ ، ولَقِينا مِن شدةِ الرِّيحِ ما ترَوْن ؛ ما تَطْمئنُّ لنا قِدْرٌ ، ولا تقومُ لنا نارٌ ، ولا يَسْتَمْسِكُ لنا بِناءٌ ، فارْتَحِلوا ، فإنى مُرْتَحِلٌ . ثم قام إلى جملِه وهو مَعْقولٌ فجلَس عليه ، ثُم ضرَبه فوثَب به على ثلاثٍ ، فواللَّهِ ما أطْلَق عِقالَه إلّا وهو قائمٌ ، ولولا عهدُ رسولِ اللَّهِ ﷺ إلىَّ : « لا تُحْدِثْ شيئًا حتى تأْتِيَنى » . (١ثُم شئتُ١) ؛ لقتَلْتُه بسهمٍ . قال حُذَيفةُ : فرجَعتُ إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ وهو قائمٌ يُصَلِّى فى مِرْطٍ(٢) لبعضِ نسائِه مراجلَ(٣) ، فلمَّا رآنى أدْخَلَنى إلى رِجْلَيْه ، وطرَح علىَّ طَرَفَ المِرْطِ ، ثُم ركَع وسجَد وإنى لَفِيهِ ، فلمَّا سلَّم أخْبَرْتُه الخبرَ ، وسمِعَتْ غَطَفانُ بما فعَلت قريشٌ ، فانشَمَروا راجعين إلى بلادِهم . وهذا مُنْقَطِعٌ مِن هذا الوجهِ .

وقد رَوى هذا الحديثَ مسلمُ بنُ الحجَّاجِ فى « صحيحِه »(٤) مِن حديثِ الأعْمشِ ، عن إبراهيمَ بنِ يزيدَ التَّيْمىِّ ، عن أبيه قال : كنا عندَ حُذَيفةَ فقال له رجلٌ : لو أدْرَكْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ قاتَلْتُ معه وأبْلَيْتُ . فقال حُذَيفةُ : أنت كنتَ تفْعَلُ ذلك ؟ [٣/١٧و] لقد رَأَيْتُنا مع رسولِ اللَّهِ ﷺ ليلةَ الأحْزابِ فى ليلةٍ ذاتِ ريحٍ شديدةٍ وقُرٍّ(٥) ، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « ألا رجلٌ يأْتِينى بخبرِ القومِ يكونُ معى يومَ القيامةِ ؟ » فلم يُجِبْه منا أحدٌ ، ثُم الثانيةَ ثُم الثالثةَ مثلَه ، ثُم قال : « يا حُذَيفةُ ، قُمْ فأْتِنا بخبرِ القومِ » . فلم أجِدْ بُدًّا إذ دعانى باسمى أن

(١ - ١) سقط من : الأصل ، م .

(٢) المرط : الكساء . شرح غريب السيرة ٣/ ٨ .

(٣) فى م : « مرجل » ، قال ابن هشام : مراجل ؛ ضرب من وَشْيِ اليمن . سيرة ابن هشام ٢/ ٢٣٣ .

(٤) مسلم (١٧٨٨) .

(٥) القر : البرد . النهاية ٤/ ٣٨ .

أَقْوَمَ، فقال: «ائتنى بخبرِ القومِ ولا تَذْعَرْهم[1] علىَّ». قال: فمضَيْتُ كأنما أمْشِى فى حَمَّامٍ[2] حتى أَتَيْتُهم، فإذا أبو سفيانَ يَصْلِى ظَهْرَه بالنارِ[3]، فوضَعْتُ سهمًا فى كَبِدِ قوْسى وأردْتُ أن أرْمِيَه، ثُم ذكَرْتُ قولَ رسولِ اللَّهِ ﷺ: «لا تَذْعَرْهم علىَّ». ولو رمَيْتُه لأَصَبْتُه، فرجَعْتُ كأنما أمْشِى فى حَمَّامٍ، فأَتَيْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ، [4]فأصابنى البَرْدُ حيـنَ رجعْتُ وقُرِرْتُ، فأَخْبَرْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ[4]، وأَلْبَسنى مِن فَضْلِ عَباءةٍ كانت عليه يُصَلِّى فيها، فلم أزلْ[5] نائمًا حتى الصُّبْحِ، فلما أن أصْبَحْتُ قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «قُمْ يا نَوْمانُ».

وقد رَوى الحاكمُ والحافظُ البيهقىُّ فى «الدلائلِ»[6] هذا الحديثَ مَبْسوطًا مِن حديثِ عِكْرِمةَ بنِ عَمَّارٍ، عن محمدِ بنِ عبدِ اللَّهِ الدُّؤَلىِّ[7]، عن عبدِ العزيزِ ابنِ أخى حُذَيفةَ قال: ذكَر حُذَيْفةُ مَشاهِدَهم مع رسولِ اللَّهِ ﷺ، فقال جُلَساؤُه: أمَا واللَّهِ لو كنا شهِدْنا ذلك لكنا فعَلْنا وفعَلْنا. فقال حُذَيْفةُ: لا تَمَنَّوا

---

(١) الذعر: الفزع، يريد صلى اللَّه عليه وسلم: لا تعلمهم بنفسك وامشِ فى خفية لئلا ينفروا منك ويُقبِلوا علىّ. النهاية ٢/ ١٦١.

(٢) لفظة «الحمام» عربية، وهو مذكر مشتق من الحميم، وهو الماء الحار، والمعنى أنه لم يجد البرد الذى يجده الناس. صحيح مسلم بشرح النووى ١٢/ ١٤٦.

(٣) يصلى ظهره بالنار، بفتح الياء وإسكان الصاد: يدفئه ويدنيه منها. المصدر السابق.

(٤ - ٤) سقط من: ص.

(٥) فى الأصل، م: «أبرح».

(٦) أخرجه البيهقى فى الدلائل ٣/٤٥١ - ٤٥٣ عن الحاكم. وابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٢/ ٢٨٢، ٢٨٣، من طريق البيهقى عن الحاكم. وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٥/ ١٨٤، ١٨٥ إلى الحاكم والبيهقى وغيرهما.

(٧) كذا فى النسخ، وتفسير المصنف ٦/ ٢٨٦. وفى الدلائل وتاريخ دمشق: «محمد بن عبيد أبى قدامة الحنفى». وانظر ترجمته فى التاريخ الكبير ١/ ١٧٢.

ذلك ، لقد رَأَيْتُنا ليلةَ الأحْزابِ ونحن صافُّون قُعودٌ ، وأبو سفيانَ ومَن معه (١ مِن الأحزابِ ١) فوقَنا ، وقرَيْظةُ اليهودُ أسفلَ منا ، نَخافُهم على ذَرارِيِّنا ، وما أتتْ علينا ليلةٌ قطُّ أشدُّ ظُلْمةً ولا أشدُّ رِيحًا منها (٢) ، فى أصواتِ ريحِها أمثالُ الصَّواعقِ ، وهى ظُلْمةٌ ما يَرى أحدُنا أُصْبُعَه ، فجعَل المُنافقون يَسْتَأْذِنون النبيَّ ﷺ ، ويقولون : إنَّ بُيوتَنا عَوْرةٌ . وما هى بعَوْرةٍ ، فما يَسْتَأْذِنُه أحدٌ منهم إلَّا أذِن له ، ويَأْذَنُ لهم ويَتَسَلَّلون ، ونحن ثَلاثُمائةٍ ونحوُ ذلك إذِ اسْتَقْبلَنا رسولُ اللَّهِ ﷺ رجلًا رجلًا ، حتى أتَى عليَّ ، وما عليَّ جُنَّةٌ مِن العدُوِّ ولا مِن البرْدِ إلا مِرْطٌ لامرأتى ما يُجاوِزُ رُكْبتى . قال : فأتانى وأنا جاثٍ على ركبتى فقال : « مَن هذا ؟ » فقلتُ : حُذَيْفةُ . فقال : « حُذَيْفةُ ! » . فَتَقاصَرْتُ بالأرضِ ، فقلتُ : بلى يا رسولَ اللَّهِ . كراهيةَ أن أقومَ . [١٧/٣ظ] (٣) قال : « قُمْ » (٣) . فقُمْتُ ، فقال : « إنه كائنٌ فى القومِ خبرٌ ، فأْتِنى بخبرِ القومِ » . قال : وأنا مِن أشدِّ الناسِ فَزَعًا وأشدِّهم قُرًّا . قال : فخرَجْتُ ، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « اللهم احْفَظْه مِن بينِ يدَيه ، ومِن خلفِه ، وعن يمينِه وعن شمالِه ، ومِن فوقِه ومِن تحتِه » . قال : فواللَّهِ ما خلَق اللَّهُ فَزَعًا ولا قُرًّا فى جوفى إلا خرَج مِن جوفى ، فما أجِدُ منه شيئًا . قال : فلما وَلَّيْتُ قال : « يا حُذَيْفةُ ، لا تُحْدِثَنَّ فى القومِ شيئًا حتى تَأْتِيَنى » . قال : فخرَجْت حتى إذا دَنَوْتُ مِن عَسْكرِ القومِ نظَرْتُ فى ضَوْءِ نارٍ لهم تَوَقَّدُ ، وإذا رجلٌ أدْهَمُ (٤) ضَخْمٌ يقولُ بيديه على النارِ ، ويَمْسَحُ خاصِرتَه

(١ - ١) سقط من : الأصل ، م .

(٢) سقط من : ص . وليس فى الدلائل وتاريخ دمشق . والمثبت موافق لما فى الدر المنثور .

(٣ - ٣) سقط من النسخ . والمثبت من مصادر التخريج .

(٤) أدهم : أى أسود . اللسان (د هـ م) .

ويقولُ : الرحيلَ الرحيلَ . ولم أكُنْ أعْرِفُ أبا سفيانَ قبلَ ذلك ، فانتزَعْتُ سهمًا مِن كِنانتى أبْيضَ الرِّيشِ ، فأضَعُه على كَبِدِ قوسى لأرْمِيَه به فى ضوءِ النارِ ، فذكَرْتُ قولَ رسولِ اللَّهِ ﷺ : « لا تُحْدِثَنَّ فيهم شيئًا حتى تأْتِيَنى » . فأمْسَكْتُ ورَدَدْتُ سهمى إلى كِنانتى ، ثُم إنِّى شجَّعْتُ نفْسى حتى دخَلْتُ العَسْكَرَ ، فإذا أدْنَى الناسِ منى بنو عامرٍ ، يقولون : يا آلَ عامرٍ ، الرحيلَ الرحيلَ ، لا مُقامَ لكم . وإذا الريحُ فى عَسْكرِهم ما تُجاوِزُ عَسْكَرَهم شِبْرًا ، فواللَّهِ إنِّى لأسْمَعُ صوتَ الحِجارةِ فى رِحالِهم وفُرُشِهم ، الريحُ تَضْرِبُهم بها ، ثم خرَجْتُ نحوَ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فلما انتصَفَتْ بىَ الطريقُ أو نحوٌ مِن ذلك ، إذا أنا بنحوٍ مِن عشرين فارسًا أو نحوِ ذلك مُعْتَمِّين ، فقالوا : أخْبِرْ صاحبَك أنَّ اللَّهَ قد كفاه . قال : فرجَعْتُ إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ وهو مُشْتَمِلٌ فى شَمْلَةٍ يُصَلِّى ، فواللَّهِ ما عَدا أن رجَعْتُ ؛ راجعنى القُرُّ وجعَلْتُ أُقَرْقِفُ[1] ، فأوْمَأَ إلىَّ رسولُ اللَّهِ ﷺ بيدِه ، وهو يُصَلِّى ، فدَنَوْتُ منه فأسْبَل علىَّ شَمْلتَه ، وكان رسولُ اللَّهِ ﷺ إذا حزَبه أمْرٌ صلَّى ، فأخْبَرْتُه خبرَ القومِ ؛ أخْبَرْتُه أنى ترَكْتُهم يرْحَلون . قال : وأنزَل اللَّهُ تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴾ يعنى الآياتِ كلَّها إلى قولِه : ﴿ وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا۟ خَيْرًا ۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴾ [الأحزاب : ٩- ٢٥] . أى صرَف اللَّهُ عنهم عدوَّهم بالريحِ التى أرْسَلها عليهم والجُنودِ [٣/١٨و] مِن الملائكةِ وغيرِهم التى بعَثها اللَّهُ إليهم . ﴿ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ ۚ ﴾ أى ؛ لم

---

(١) أقرقف : أرعد من البرد . النهاية ٤/ ٤٩.

يَحْتاجوا إلى مُنازلتِهم ومُبارزتِهم، بل صرَفهم القويُّ العزيزُ بحولِه وقوتِه[1].

لهذا ثبَت فى «الصحيحين»[2] عن أبى هريرةَ قال: كان رسولُ اللَّهِ ﷺ يقولُ: «لا إلهَ إلا اللَّهُ وحدَه، صدَق وَعْدَه، ونصَر عبْدَه، وأعَزَّ جُندَه، وهزَم[3] الأحْزابَ وحدَه، فلا شىءَ بعدَه». وفى قولِه: ﴿ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ ﴾. إشارةٌ إلى وضْعِ الحربِ بينَهم وبينَهم. وهكذا وقَع، ولم تَرْجِعْ قريشٌ بعدَها إلى حربِ المسلمين، كما قال محمدُ بنُ إسحاقَ[4]، رحِمه اللَّهُ: فلما انصَرَف أهلُ الخندقِ عن الخندقِ؛ قال رسولُ اللَّهِ ﷺ فيما بلَغَنا: «لن تَغْزُوَكم قريشٌ بعدَ عامِكم هذا، ولكنكم تَغْزُونهم». قال: فلم تَغْزُهم[5] قريشٌ بعدَ ذلك، وكان يَغْزُوهم بعدَ ذلك، حتى فتَح اللَّهُ عليه مكةَ. وهذا بلاغٌ مِن ابنِ إسحاقَ.

وقد قال الإمامُ أحمدُ[6]: حدَّثنا يَحْيَى، عن سفيانَ، حدَّثنى أبو إسحاقَ، سمِعْتُ سليمانَ بنَ صُرَدٍ، رضى اللَّهُ عنه، يقولُ: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «الآنَ نَغْزوهم ولا يَغْزونا». وهكذا رواه البُخاريُّ، مِن حديثِ إسرائيلَ وسفيانَ الثوريِّ، كلاهما عن أبى إسحاقَ السَّبِيعيِّ، عن سُليمانَ بنِ صُرَدٍ، به[7].

---

(١) التفسير ٦/٣٨٤ - ٣٩٧.
(٢) البخارى (٤١١٤)، ومسلم (٢٧٢٤).
(٣) فى الصحيحين: «غلب».
(٤) سيرة ابن هشام ٢/ ٢٥٤.
(٥) فى الأصل، م: «تغز»، وفى ص: «تعد». والمثبت من السيرة.
(٦) المسند ٤/ ٢٦٢، من طِريق عبد الرحمن ويحيى عن سفيان، به. و٦/٣٩٤ من طريق يحيى، به.
(٧) البخارى (٤١٠٩، ٤١١٠).

قال ابنُ إسحاقَ[1] : واسْتُشْهِد مِن المسلمين يومَ الخندقِ ستةٌ[2] ؛ ثلاثةٌ مِن بنى عبدِ الأشْهلِ ، وهم : سعدُ بنُ مُعاذٍ - وستأتى وفاتُه مَبسوطةً - وأنسُ بنُ أوسِ بنِ عَتِيكِ بنِ عمرٍو ، وعبدُ اللَّهِ بنُ سهلٍ ، والطُّفَيْلُ بنُ النُّعمانِ ، وثَعْلبةُ بنُ غَنَمةَ الجُشَمِيَّانِ السَّلَميَّانِ ، وكعبُ بنُ زيدٍ النَّجَّاريُّ ، أصابه سَهْمٌ غَرْبٌ[3] فقتَله . قال : وقُتِل مِن المشركين ثلاثةٌ ، وهم : مُنَبِّهُ بنُ عثمانَ بنِ عُبَيْدِ بنِ السَّبَّاقِ ابنِ عبدِ الدارِ ، أصابه سَهْمٌ فمات منه بمكةَ ، ونَوْفلُ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ المغيرةِ ، اقْتَحم الخندقَ بفرسِه[4] فتوَرَّط فيه فقُتِل هناك ، وطلَبوا جسَدَه بثمنٍ كبيرٍ كما تقدَّم[5] ، وعمرُو بنُ عبدِ وُدٍّ العامريُّ ، قتَله عليُّ بنُ أبى طالبٍ .

قال ابنُ هشامٍ[6] : وحدَّثنى الثِّقةُ أنه حُدِّث عن الزهريِّ ، أنه قال : قتَل عليٌّ يومَئذٍ عمرَو بنَ عبدِ وُدٍّ وابنَه حِسْلَ بنَ عمرٍو . قال ابنُ هشامٍ[7] : يُقالُ : عمرُو ابنُ عبدِ وُدٍّ . ويُقالُ : عمرُو بنُ عبدٍ .

---

(١) سيرة ابن هشام ٢/ ٢٥٢، ٢٥٣.
(٢) سقط من : الأصل ، م .
(٣) السهم الغرب ، قال ابن هشام : هو الذى لا يعرف من أين جاء ولا من رمى به . سيرة ابن هشام ٢/ ٢٥٣.
(٤) فى ص : « فى نفر يسير » .
(٥) تقدم فى صفحة ٤٥ ، ٤٦ .
(٦) سيرة ابن هشام ٢/ ٢٥٣.
(٧) المصدر السابق ٢/ ٢٥٤.

فصلٌ فى غزوةِ بنى قُرَيظةَ

وما أحَلَّ اللَّهُ تعالى [١٨/٣ظ] بهم مِن البأسِ الشديدِ ، مع ما أعَدَّ اللَّهُ لهم فى الآخرةِ مِن العذابِ الأليمِ ، وذلك لكُفْرِهم ونقْضِهم العهودَ التى كانت بينَهم وبينَ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، ومُمالأتِهم الأحْزابَ عليه ، فما أجْدَى ذلك عنهم شيئًا ، وباءُوا بغضبٍ مِن اللَّهِ ورسولِه ، والصَّفْقةِ الخاسرةِ فى الدنيا والآخرةِ ، وقد قال اللَّهُ تعالى[١] : ﴿ وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا۟ خَيْرًا ۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴿٢٥﴾ وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَـٰهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴿٢٦﴾ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَـٰرَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَـُٔوهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا ﴾ [الأحزاب : ٢٥- ٢٧] .

قال البخاريُّ[٢] : حدَّثنا محمدُ بنُ مُقاتِلٍ ، حدَّثنا عبدُ اللَّهِ ، حدَّثنا موسى ابنُ عُقبةَ ، عن سالمٍ ونافعٍ ، عن عبدِ اللَّهِ أن رسولَ اللَّهِ ﷺ كان إذا قفَل مِن الغزْوِ والحَجِّ والعُمرةِ ، يَبْدأُ فيُكَبِّرُ[٣] ثُم يقولُ : « لا إلهَ إلا اللَّهُ وحدَه لا شريكَ له ، له الملكُ وله الحمدُ ، وهو على كلِّ شىءٍ قديرٌ ، آيِبُون تائِبون عابِدون ساجدون ، لربِّنا حامدون ؛ صدَق اللَّهُ وَعْدَه ، ونصَر عبدَه ، وهزَم الأحْزابَ

---

(١) التفسير ٣٩٦/٦ - ٤٠١.

(٢) البخارى (٤١١٦) .

(٣) بعده فى صحيح البخارى : « ثلاث مرار » .

وحدَه » .

وقال محمدُ بنُ إسحاقَ[(١)] ، رَحِمه اللَّهُ : ولمَّا أصْبح رسولُ اللَّهِ ﷺ انصَرَف عن الخندقِ راجعًا إلى المدينةِ والمسلمون ، ووَضَعوا السلاحَ ، فلمَّا كانتِ الظُّهرُ أتَى جبريلُ رسولَ اللَّهِ ﷺ ، كما حدَّثنى الزهرىُّ ، مُعْتَجِرًا بعِمامةٍ مِن إسْتَبْرقٍ ، على بَغْلةٍ عليها رِحالَةٌ[(٢)] ، عليها قَطِيفةٌ مِن دِيباجٍ ، فقال : أوَقد وضَعْتَ السلاحَ يا رسولَ اللَّهِ ؟ قال : « نعم » . فقال جبريلُ : ما وَضَعَتِ الملائكةُ السلاحَ بعدُ ، وما رجَعْتُ الآنَ إلا مِن طلَبِ القومِ ، إن اللَّهَ يأمُرُك يا محمدُ بالمسيرِ إلى بنى قُرَيظةَ ، فإنِّى عامدٌ إليهم فمُزَلْزِلٌ بهم . فأمَر رسولُ اللَّهِ ﷺ مُؤَذِّنًا فأذَّن فى الناسِ : مَن كان سامعًا مُطيعًا فلا يُصَلِّيَنَّ العصرَ إلَّا فى بنى قُرَيظةَ .

قال ابنُ هشامٍ[(٣)] : واسْتَعْمَل على المدينةِ ابنَ أُمِّ مَكْتومٍ .

وقال البخارىُّ[(٤)] : حدَّثنى عبدُ اللَّهِ بنُ أبى شَيْبةَ ، حدَّثنا ابنُ نُمَيرٍ ، عن هشامٍ ، عن أبيه ، عن عائشةَ قالت : لمَّا رجَع النبىُّ ﷺ مِن الخندقِ ووضَع السلاحَ واغْتَسل ، أتاه جبريلُ فقال : قد وَضَعْتَ السلاحَ ، واللَّهِ ما وَضَعْناه ، فاخْرُجْ إليهم . [٣/١٩و] قال : « فإلى أين ؟ » قال : هٰهنا . وأشار إلى بنى قُرَيظةَ . فخرَج النبىُّ ﷺ إليهم[(٥)] .

---

(١) سيرة ابن هشام ٢/ ٢٣٣، ٢٣٤.
(٢) الرحالة : السرج . شرح غريب السيرة ٣/ ٩.
(٣) سيرة ابن هشام ٢/ ٢٣٤.
(٤) البخارى (٤١١٧) .
(٥) سقط من : م .

وقال أحمدُ[1] : وحدَّثنا حسنٌ ، حدَّثنا حَمَّادُ بنُ سَلَمةَ ، عن هشامِ بنِ عروةَ ، عن أبيه ، عن عائشةَ ، أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ لَمَّا فرَغ مِن الأحْزابِ دخَل المُغْتَسَلَ يَغْتَسِلُ ، وجاء جبريلُ ، فرَأَيْتُه مِن خَلَلِ البابِ[2] قد عصَب رأسَه الغُبارُ[3] ، فقال : يا محمدُ ، أَوَضَعْتم أسْلِحَتَكم ؟ فقال : ما[4] وَضَعْنا أسْلحتَنا[5] بعدُ ، انْهَدْ[6] إلى بنى قُرَيظةَ .

ثُم قال البخاريُّ[7] : حدَّثنا موسى ، حدَّثنا جَريرُ بنُ حازمٍ ، عن حُمَيدِ بنِ هلالٍ ، عن أنسِ بنِ مالكٍ قال : كأنِّى أنظُرُ إلى الغُبارِ ساطِعًا فى زُقاقِ بنى غَنْمٍ ، موكبَ جبريلَ حينَ سار رسولُ اللَّهِ ﷺ إلى بنى قُرَيظةَ .

ثم قال البخاريُّ[8] : حدَّثنا عبدُ اللَّهِ بنُ محمدِ بنِ أسْماءَ ، حدَّثنا جُوَيْرِيَةُ ابنُ أسْماءَ ، عن نافعٍ ، عن ابنِ عمرَ قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ يومَ الأحْزابِ : « لا يُصَلِّيَنَّ أحدٌ العصرَ إلَّا فى بنى قُرَيْظَةَ » . فأدْرَك بعضَهم العصرُ فى الطريقِ ، فقال بعضُهم : لا نُصَلِّى العصرَ حتى نَأْتِيَها . وقال بعضُهم : بل نُصَلِّى ؛ لم يُرِدْ مِنّا ذلك . فذُكِر ذلك للنبىِّ ﷺ فلم يُعَنِّفْ واحدًا منهم . وهكذا رَواه مسلمٌ[9] ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ محمدِ بنِ أسماءَ ، به .

---

(١) المسند ٦/ ٢٨٠.
(٢) فى م : « البيت » .
(٣) أى رَكِبه وعَلِق به ، مِن عصب الرِّيقُ فاه ، إذا لصق به . النهاية ٣/ ٢٤٤.
(٤) سقط من : م . وقائل هذه العبارة هو جبريل أيضًا .
(٥) بعده فى م : « فقال : إنا لم نضع أسلحتنا » .
(٦) انهد : انهض وامضِ . انظر الوسيط (ن هـ د) .
(٧) البخارى (٤١١٨) .
(٨) البخارى (٩٤٦، ٤١١٩) .
(٩) مسلم (١٧٧٠) .

وقال الحافظُ البيهقيُّ[1] : حدَّثنا أبو عبدِ اللَّهِ الحافظُ ، وأبو بكرٍ أحمدُ بنُ الحسنِ القاضى ، قالا : حدَّثنا أبو العباسِ محمدُ بنُ يَعقوبَ ، حدَّثنا محمدُ بنُ خالدِ بنِ خَلِّيٍّ[2] ، حدَّثنا بِشرُ بنُ شُعيبٍ[3] ، عن أبيه ، حدَّثنا الزُّهريُّ ، أخبرَنى عبدُ الرحمنِ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ كعبِ بنِ مالكٍ ، أنَّ عمَّه عُبيدَ اللَّهِ أخبرَه أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ لمَّا رجَع مِن طَلَبِ الأحزابِ ، وَضَع عنه اللأْمَةَ واغْتَسل واسْتَجْمَرَ[4] ، فتَبَدَّى له جبريلُ ، عليه السلامُ ، فقال : عَذِيرَك[5] من مُحارِبٍ ، ألا أراك قد وضَعْتَ اللأْمَةَ وما وضَعْناها بعدُ . قال : فوَثَب النبيُّ ﷺ فزِعًا ، فعَزَم على الناسِ أن لا يُصَلُّوا صلاةَ العصرِ (6) حتى يَأْتُوا (6) بنى قُرَيظةَ . قال : فلَبِس الناسُ السلاحَ ، فلم يَأْتُوا بنى قُرَيظةَ حتى غَرَبتِ الشمسُ ، فاخْتَصَم الناسُ عندَ غروبِ الشمسِ ، فقال بعضُهم : إنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ عزَم علينا أن لا نُصَلِّىَ حتى نَأْتِىَ بنى قُرَيظةَ ، فإنَّما نحنُ فى عَزيمةِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فليس علينا إثْمٌ . وصَلَّى طائفةٌ مِن الناسِ احْتِسابًا ، وتَرَكَتْ طائفةٌ منهم الصلاةَ حتى غَرَبتِ الشمسُ ، فصَلَّوْها حينَ جاءوا بنى قُرَيظةَ احتسابًا ، فلم يُعَنِّفْ رسولُ اللَّهِ ﷺ [٣/١٩ظ] واحدًا من الفريقَيْن .

ثم رَوَى البيهقيُّ[7] مِن طريقِ عبدِ اللَّهِ العُمَرىِّ ، عن أخيه عُبَيدِ اللَّهِ ، عن

---

(١) دلائل النبوة ٤/ ٧، ٨.

(٢) فى م ، ص : « على » . وانظر تهذيب الكمال ٢٥/ ١٣٧.

(٣) فى النسخ : « حرب » . والمثبت من الدلائل . وانظر المصدر السابق ٤/ ١٢٦.

(٤) فى النسخ : « واستحم » . والمثبت من الدلائل . واستجمر بالمجمرة : تبخَّر بها .

(٥) عذيرك : يقال : عذيرك من فلان . أى هات مَن يعذرك فيه . فعيل بمعنى فاعل . انظر النهاية ٣/ ١٩٧.

(٦ - ٦) فى الأصل ، م : « إلا فى » .

(٧) دلائل النبوة ٤/٨ - ١٠، بنحوه .

القاسمِ بنِ محمدٍ، عن عائشةَ، أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ كان عندَها، فسلَّم علينا رجلٌ ونحنُ في البيتِ، فقام رسولُ اللَّهِ ﷺ فَزِعًا، وقُمْتُ فى أَثَرِه، فإذا بدِحْيَةَ الكَلْبِيِّ، فقال: «هذا جبريلُ، أمَرَنى أن أذهَبَ إلى بنى قُرَيظةَ، وقال: قد وضَعْتم السلاحَ، لَكِنّا لم نَضَعْ، طَلَبْنا المشركين حتى بَلَغْنا حَمْراءَ الأَسَدِ».

وذلك حينَ رجَع رسولُ اللَّهِ ﷺ مِن الخندقِ. فقام رسولُ اللَّهِ ﷺ فَزِعًا، وقال لأصحابِه: «عَزَمْتُ عليكم أن لا تُصَلُّوا صلاةَ العصرِ حتى تَأْتُوا بنى قُرَيظةَ». فغَرَبتِ الشمسُ قبلَ أن يَأْتُوهم، فقالت طائفةٌ مِن المسلمين: إنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ لم يُرِدْ أن تَدَعُوا الصلاةَ. فصَلَّوْا. وقالت طائفةٌ: واللَّهِ إنّا لَفى عَزِيمةِ رسولِ اللَّهِ ﷺ، وما علينا مِن إثْمٍ. فصَلَّتْ طائفةٌ إيمانًا واحتسابًا، وتَرَكتْ طائفةٌ إيمانًا واحتسابًا، ولم يُعَنِّفْ[1] رسولُ اللَّهِ ﷺ واحدًا مِن الفريقَيْن، وخرَج رسولُ اللَّهِ ﷺ فمرَّ بمَجالِسَ بينَه وبينَ بنى قُرَيظةَ، فقال: «هل مرَّ بكم أحدٌ؟» فقالوا: مرَّ علينا دِحْيَةُ الكَلْبيُّ على بَغْلةٍ شَهْباءَ، تحته قَطِيفةُ دِيباجٍ. فقال: «ذلك جبريلُ، أُرْسِلَ إلى بنى قُرَيظةَ لِيُزَلْزِلَهم ويَقْذِفَ فى قلوبِهم الرعبَ». فحاصَرَهم النبيُّ ﷺ، وأمَر أصحابَه أن يَسْتُروه[2] بالحَجَفِ[3] حتى [4]يُسْمِعَهم كلامَه[4]، فناداهم: «يا إخوةَ القِرَدَةِ والخَنازيرِ». فقالوا: يا أبا القاسمِ، لم تَكُنْ فَحّاشًا. فحاصَرَهم حتى نَزَلوا على حُكْمِ سعدِ

---

(١) كذا فى النسخ. وفى الدلائل: «يعب».

(٢) فى الدلائل: «يستروا».

(٣) فى م، ص، والدلائل: «الجحف». والحَجَف: جمع حَجَفة، وهى التُّرس من جلود بلا خشب، ولا رباط من عصب. انظر الوسيط (ح ج ف).

(٤ - ٤) فى النسخ: «يسمع كلامهم». والمثبت من الدلائل.

ابنِ مُعاذٍ ، وكانوا حُلفاءَه ، فحَكَم فيهم أن تُقْتَلَ مُقاتِلَتُهم ، وتُسْبَى ذَرارِيُّهم ونساؤُهم . ولهذا الحديثِ طُرُقٌ جيدةٌ ، عن عائشةَ وغيرِها[(١)] .

وقد اخْتَلف العلماءُ فى المُصيبِ مِن الصحابةِ يومَئذٍ ، مَن هو؟ بل الإجماعُ على أن كُلًّا مِن الفريقَيْن مأجورٌ ومَعْذورٌ ، غيرُ مُعَنَّفٍ ؛ فقالت طائفةٌ مِن العلماءِ : الذين أخَّروا الصلاةَ يومئذٍ عن وقتِها المُقَدَّرِ لها ، حتى صَلَّوْها فى بنى قُرَيظةَ ، هم المُصِيبون ؛ لأنَّ أمْرَهم يومئذٍ بتأخيرِ الصلاةِ خاصٌّ ، فيُقَدَّمُ على عمومِ الأمرِ بها فى وقتِها المُقَدَّرِ لها شرعًا . قال أبو محمدِ بنُ حزمٍ الظّاهِرِىُّ [٣/ ٢٠و] فى كتابِه «السيرةِ»[(٢)] : وعَلِم اللَّهُ أنَّا لو كُنّا هناك ، لم نُصَلِّ العصرَ إلَّا فى بنى قُرَيْظةَ ، ولو بعدَ أيامٍ . وهذا القولُ منه ماشٍ على قاعدتِه الأصْليَّةِ فى الأخْذِ بالظاهرِ . وقالت طائفةٌ أخرى مِن العلماءِ : بل الذين صَلَّوُا الصلاةَ فى وقتِها لمَّا أدْرَكَتْهم وهم فى مسيرِهم ، هم المُصِيبون ؛ لأنَّهم فَهِموا أنَّ المرادَ إنَّما هو تعجيلُ السَّيْرِ إلى بنى قُرَيْظةَ ، لا تأخيرُ الصلاةِ ، فعَمِلوا بمُقْتَضى الأدِلَّةِ الدّالَّةِ على أفْضَلِيَّةِ الصلاةِ فى أولِ وقتِها ، مع فَهْمِهم عن الشارعِ ما أراد ، ولهذا لم يُعَنِّفْهم ، ولم يَأْمُرْهم بإعادةِ الصلاةِ فى وقتِها الذى حُوِّلتْ إليه يومَئذٍ ، كما يَدَّعِيه أولئك ، وأمّا أولئك الذين أخَّروا ، فعُذِروا بحَسَبِ ما فَهِموا ، وأكثرُ ما كانوا يُؤْمَرون بالقضاءِ ، وقد فَعَلوه . وأمّا على قولِ مَن يُجَوِّزُ تأخيرَ الصلاةِ لعُذْرِ القِتالِ ، كما فهِمه البخاريُّ[(٣)] ، حيثُ احْتَجَّ على ذلك بحديثِ ابنِ عمرَ

---

(١) انظر فتح البارى ٧/ ٤١٣ - ٤١٥.

(٢) جوامع السيرة ص ١٩٢.

(٣) وذلك أن البخارى رحمه الله أخرج هذا الحديث فى موضعين؛ الأول هو الذى يشير إليه المصنف هنا، وهو باب صلاة الطالب والمطلوب إيماء، من كتاب صلاة الخوف. انظر الفتح ٢/ ٤٣٦.

المُتقدِّمِ[1] فى هذا ، فلا إشكالَ على مَن أخَّر ، ولا على مَن قَدَّم أيضًا . واللَّهُ أعلمُ .

ثُم قال ابنُ إسحاقَ[2] : وقدَّم رسولُ اللَّهِ ﷺ عليَّ بنَ أبى طالبٍ ومعه رايتُه[3] ، وابْتَدَرها الناسُ .

وقال موسى بنُ عُقبةَ فى « مغازيه »[4] ، عن الزهرىِّ : فبينما رسولُ اللَّهِ ﷺ فى مُغْتَسَلِه ، كما يَزْعُمون ، قد رَجَّل أحدَ شِقَّيْه ، أتاه جبريلُ على فرَسٍ عليه لَأْمَتُه ، حتى وقَف ببابِ المسجدِ عند مَوضِعِ الجَنائزِ ، فخرَج إليه رسولُ اللَّهِ ﷺ ، فقال له جبريلُ : غفَر اللَّهُ لك ، أوَقد وضَعْتَ السلاحَ ؟ قال : « نعم » . فقال جبريلُ : لكنَّا لم نَضَعْه منذُ نزَل بك العدُوُّ ، ومازِلْتُ فى طَلَبِهم حتى هزَمهم اللَّهُ . ويقولون : إنَّ على وجهِ جبريلَ لَأَثَرَ الغُبارِ . فقال له جبريلُ : إنَّ اللَّهَ قد أمَرَك بقِتالِ بنى قُرَيظةَ ، فأنا عامدٌ إليهم بمَن معى مِن الملائكةِ ؛ لأُزَلْزِلَ بهم الحُصونَ ، فاخْرُجْ بالناسِ . فخرَج رسولُ اللَّهِ ﷺ فى أثَرِ جبريلَ ، فمرَّ على مجلسِ بنى غَنْمٍ وهم يَنْتَظِرون رسولَ اللَّهِ ﷺ ، فسَأَلهم فقال : « مرَّ عليكم فارسٌ آنفًا ؟ » قالوا : مرَّ علينا دِحْيَةُ الكَلْبىُّ على فرسٍ أبيضَ ، تحتَه نَمَطٌ[5] أو قَطِيفةٌ مِن دِيباجٍ ، عليه اللَّأْمَةُ . فذكَروا أن رسولَ اللَّهِ ﷺ ، قال : « ذاك جبريلُ » . وكان رسولُ اللَّهِ ﷺ يُشَبِّهُ دِحيةَ الكَلْبىَّ بجبريلَ ، فقال : [٣/ ٢٠ظ]

---

(١) تقدم فى ص ٧٢ .
(٢) سيرة ابن هشام ٢/ ٢٣٤.
(٣) بعده فى السيرة : « إلى بنى قريظة » .
(٤) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٤/ ١١ - ١٤، عن موسى بن عقبة عن الزهرى ، بنحوه .
(٥) النمط : ضربٌ من البُسُط . اللسان (ن م ط) .

« الحَقونى ببنى قُرَيظةَ ، فصَلُّوا فيهم العصرَ » . فقاموا ومَن[1] شاء اللَّهُ مِن المسلمين ، فانْطَلَقوا إلى بنى قُرَيظةَ ، فحانتْ صلاةُ العصرِ وهم بالطريقِ ، فذَكَروا الصلاةَ فقال بعضُهم لبعضٍ : ألم تَعْلَموا أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ أمَرَكم أن تُصَلُّوا العصرَ فى بنى قُرَيظةَ ؟! وقال آخرون : هى الصلاةُ . فصَلَّى منهم قومٌ ، وأخَّرتْ طائفةٌ الصلاةَ حتى صَلُّوها فى بنى قُرَيْظةَ بعدَ أن غابتِ الشمسُ ، فذَكَروا لرسولِ اللَّهِ ﷺ مَن عَجَّل منهم الصلاةَ ومَن أخَّرها ، فذَكَروا أن رسولَ اللَّهِ ﷺ لم يُعَنِّفْ واحدًا مِن الفريقَيْن . قال : فلمَّا رأَى علىٌّ بنُ أبى طالبٍ رسولَ اللَّهِ ﷺ مُقْبِلًا تَلَقَّاه وقال : ارْجِعْ يا رسولَ اللَّهِ ، فإن اللَّهَ كافِيك اليهودَ . وكان علىٌّ قد سَمِع منهم قولًا سيِّئًا لرسولِ اللَّهِ ﷺ وأزواجِه ، رَضِىَ اللَّهُ عنهنَّ ، فكَرِهَ علىٌّ أن يَسْمَعَ ذلك رسولُ اللَّهِ ﷺ ، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « لِمَ تأمُرُنى بالرجوعِ ؟ » فكَتَمَه ما سَمِع منهم فقال : « أظُنُّك سمِعْتَ لى منهم أذًى ، فامْضِ فإنَّ أعداءَ اللَّهِ لو قد رَأَوْنى ، لم يقولوا شيئًا ممَّا سَمِعْتَ » . فلمَّا نزَل رسولُ اللَّهِ ﷺ بحِصْنِهم ، وكانوا فى أعْلاه ، نادَى بأعلى صوتِه نفَرًا مِن أشْرافِهم ، حتى أسْمَعَهم فقال : « أجِيبوا يا معشرَ يهودَ ، يا إخوةَ القِرَدةِ ، قد نَزَل بكم خِزْىُ اللَّهِ ، عزَّ وجلَّ » . فحاصَرَهم رسولُ اللَّهِ ﷺ بكَتائبِ المسلمين بِضْعَ عشْرةَ ليلةً ، ورَدَّ اللَّهُ حُيَىَّ بنَ أخْطَبَ ، حتى دَخَل حصنَ بنى قُرَيظةَ ، وقذَف اللَّهُ فى قلوبِهم الرعبَ ، واشتَدَّ عليهم الحصارُ ، فصرَخوا بأبى لُبابةَ بنِ عبدِ المُنْذِرِ ، وكانوا حُلفاءَ الأنصارِ ، فقال أبو لُبابةَ : لا آتِيهم حتى يَأْذَنَ لى رسولُ اللَّهِ ﷺ . فقال له رسولُ اللَّهِ ﷺ : « قد أذِنْتُ لك » . فأتاهم أبو لُبابةَ

---

(١) فى م : « وما » .

فبَكَوْا إليه وقالوا : يا أبا لُبابةَ ، ماذا تَرَى وماذا تأْمُرُنا ، فإنَّه لا طاقةَ لنا بالقِتالِ . فأشار أبو لُبابةَ بيدِه إلى حَلْقِه ، وأمَرَّ عليه أصابِعَه ، يُرِيهم أنَّما يُرادُ بكم القَتْلُ . فلمَّا انصَرَف أبو لُبابةَ سُقِط فى يدِه[1] ، ورَأَى أنَّه قد أصابَتْه فِتنةٌ عظيمةٌ ، فقال : واللَّهِ لا أنْظُرُ فى وجهِ رسولِ اللَّهِ ﷺ حتى أُحْدِثَ للَّهِ توبةً نَصُوحًا ، يَعْلَمُها اللَّهُ مِن نفسى . فرَجَع إلى المدينةِ ، فرَبَط يَدَيه إلى جِذْعٍ مِن [٣/ ٢١و] جُذوعِ المسجدِ . وزعَموا أنَّه ارْتَبَط قريبًا مِن عشرين ليلةً ، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ ، [2]كما ذُكِر[2] ، حين راثَ[3] عليه أبو لُبابةَ : « أمَا فرَغ أبو لُبابةَ مِن حُلفائِه ؟ » [4]قالوا : يا رسولَ اللَّهِ ، قد واللَّهِ انْصَرَف مِن عندِ الحِصنِ ، وما نَدْرى أين سَلَك . فقال رسول اللَّه ﷺ : « قد[5] حَدَث لأبى لُبابَةَ أمرٌ ، ما كان عليه » . فأقْبَل رجلٌ مِن عندِ المسجدِ فقال : يا رسولَ اللَّهِ ، قد رأيتُ أبا لُبابة ارْتَبَط بحبلٍ إلى جِذعٍ مِن جُذُوعِ المسجدِ . فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ[4] : « لقد أصابَتْه بعدى فتنةٌ ، ولو جاءَنى لَاسْتَغْفَرْتُ له ، وإذ قد فعَل هذا فلن أُحَرِّكَه مِن مكانِه حتى يَقْضِىَ اللَّهُ فيه ما يشاءُ » .

وهكذا رواه ابنُ لَهِيعةَ[6] ، عن أبى الأسْودِ ، عن عروةَ . وكذا ذكره محمدُ ابنُ إسحاقَ فى « مغازيه »[7] فى مثلِ سياقِ موسى بنِ عُقبةَ ، عن الزهرىِّ ، ومثلِ

---

(١) سقط فى يده : ندم وتحيَّر . الوسيط (س ق ط) .

(٢ - ٢) سقط من : م ، ص .

(٣) فى م ، ص : « غاب » . وراث : أبطأ . الوسيط (ر ى ث) .

(٤ - ٤) فى م ، ص : « فذكر له ما فعل فقال » .

(٥) فى الدلائل : « وقد » .

(٦) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٤/ ١٤ ، من طريق ابن لهيعة ، به نحوه ، قال البيهقى : إلا أنه لم يقل : « بضع عشرة ليلة » .

(٧) انظر سيرة ابن هشام ٢/٢٣٤ - ٢٣٧.

روايةِ أبى الأسْودِ ، عن عُروةَ . قال ابنُ إسحاقَ[(١)] : ونزل رسولُ اللَّهِ ﷺ على بئرٍ مِن آبارِ بنى قُرَيْظةَ مِن ناحيةِ أموالِهم ، يقالُ لها : بئرُ أنَّا . فحاصَرَهم خمسًا وعشرين ليلةً ، حتى جهَدهم الحِصارُ ، وقَذَف اللَّهُ[(٢)] فى قلوبِهم الرعبَ ، وقد كان حُيَىُّ بنُ أَخْطَبَ دخَل معهم حصنَهم ، حينَ رَجَعتْ عنهم قريشٌ وغَطَفانُ ؛ وفاءً لكعبِ بنِ أسدٍ بما كان عاهَدَه عليه ، فلمَّا أيْقَنوا بأنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ غيرُ مُنْصرِفٍ عنهم حتى يُناجِزَهم ، قال كعبُ بنُ أسدٍ : يا معشرَ يهودَ ، قد نزَل بكم مِن الأمْرِ ما تَرَوْن ، وإنِّى عارضٌ عليكم خِلالًا ثلاثًا ، فخُذوا بما شِئْتُم منها . قالوا : وما هُنَّ ؟ قال : نُتابِعُ هذا الرجلَ ونُصَدِّقُه ، فواللَّهِ لقد تَبَيَّن لكم أنَّه لَنبىٌّ مُرْسَلٌ ، وأنَّه لَلَّذى تَجِدونَه فى كتابِكم ، فتَأْمَنُون به على دمائِكم وأموالِكم وأبنائِكم ونسائِكم . قالوا : لا نُفارِقُ حُكْمَ التَّوْراةِ أبدًا ، ولا نَسْتَبْدِلُ به غيرَه . قال : فإذا أبَيْتُم علىَّ هذه ، فهَلُمَّ فلْنَقْتُلْ أبناءَنا ونساءَنا ، ثُم نَخْرُجْ إلى محمدٍ وأصحابِه رجالًا مُصْلِتِين بالسيوفِ[(٣)] ، لم نَتْرُكْ وراءَنا ثَقَلًا ، حتى يَحْكُمَ اللَّهُ بينَنا وبينَ محمدٍ ، فإن نَهْلِكْ نَهْلِكْ ولم نَتْرُكْ وراءَنا نَسْلًا نَخْشَى عليه ، وإن نَظْهَرْ فلَعَمْرى لنَجِدَنَّ النساءَ والأبناءَ . قالوا : أنَقْتُلُ هؤلاء المساكينَ ؟! فما خيرُ العيشِ بعدَهم ! قال : فإن أبَيْتُم علىَّ هذه ، فإنَّ الليلةَ ليلةُ السبتِ ، وإنَّه عسى أن يكونَ محمدٌ وأصحابُه قد أمِنُونا فيها ، فانْزِلوا لعلَّنا نُصِيبُ مِن محمدٍ وأصحابِه غِرَّةً . قالوا : أنُفْسِدُ سبتَنا ونُحْدِثُ فيه ما لم يُحْدِثْ فيه مَن كان قبلَنا ، إلَّا مَن قد عَلِمْتَ ، فأصابه ما لم يَخْفَ عنك مِن المَسْخِ . فقال : ما بات

---

(١) سيرة ابن هشام ٢/٢٣٤ - ٢٣٧ .

(٢) سقط لفظ الجلالة من : الأصل ، م .

(٣) فى السيرة : « السيوف » . وأصلت السيف : جرّده من غمده . الوسيط (ص ل ت) .

رجلٌ منكم منذ وَلَدتْه [٣/ ٢١ظ] أمُّه ليلةً واحدةً مِن الدهرِ حازمًا . ثُم إنَّهم بَعَثوا إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ أن ابْعَثْ إلينا أبا لُبابةَ بنَ عبدِ المُنذرِ أخا بنى عمرِو بنِ عوفٍ - وكانوا حُلفاءَ الأوسِ - نَسْتَشِيرُه فى أمْرِنا . فأرْسَلَه رسولُ اللَّهِ ﷺ ، فلمَّا رَأَوْه ، قام إليه الرجالُ ، وجَهَش إليه النساءُ والصِّبيانُ يَبْكون فى وجهِه ، فرَقَّ لهم ، وقالوا : يا أبا لُبابةَ ، أتَرَى أن نَنْزِلَ على حُكمِ محمدٍ ؟ قال : « نعم » . وأشار بيدِه إلى حَلْقِه أنَّه الذَّبْحُ . قال أبو لُبابةَ : فواللَّهِ ما زالتْ قَدَماىَ مِن مكانِهما ، حتى عرَفْتُ أنِّى قد خُنْتُ اللَّهَ ورسولَه ﷺ . ثُم انطَلَق أبو لُبابةَ على وجهِه ، ولم يأْتِ رسولَ اللَّهِ ﷺ حتى ارْتَبَط فى المسجدِ إلى عمودٍ مِن عُمُدِه ، وقال : لا أبْرَحُ مكانى حتى يَتُوبَ اللَّهُ علىَّ مما صنَعْتُ . وعاهَدَ اللَّهَ ؛ أن لا أطَأَ بنى قُرَيْظَةَ أبدًا ، ولا أُرَى فى بلدٍ خُنْتُ اللَّهَ ورسولَه فيه أبدًا .

قال ابنُ هشامٍ[(١)] : وأنْزَل اللَّهُ[(٢)] ، فيما قال سفيانُ بنُ عُيَيْنَةَ ، عن إسماعيلَ ابنِ أبى خالدٍ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ أبى قَتادةَ[(٣)] : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [الأنفال: ٢٧] . قال ابنُ هشامٍ[(٤)] : أقام مُرْتَبِطًا سِتَّ ليالٍ ، تَأْتِيه امرأتُه فى وقتِ كلِّ صلاةٍ ، فتَحُلُّه حتى يتَوَضَّأَ ويُصَلِّىَ ثُم يَرْتَبِطُ ، حتى نَزَلت توبتُه فى قولِه تعالى[(٥)] : ﴿ وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُواْ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُواْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ

---

(١) سيرة ابن هشام ٢/ ٢٣٧.
(٢) بعده فى السيرة : « تعالى ، فى أبي لبابة » .
(٣) التفسير ٣/ ٥٨١، ٥٨٢.
(٤) سيرة ابن هشام ٢/ ٢٣٨.
(٥) التفسير ٤/ ١٤٤، ١٤٥.

غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [التوبة: ١٠٢]. وقولُ موسى بنِ عقبةَ[(١)] : إنه مكَث عشرين ليلةً مُرْتَبِطًا به، أشْبَهُ[(٢)] . واللَّهُ أعلمُ.

وذكَر ابنُ إسحاقَ[(٣)] أنَّ اللَّهَ أنزَل توبتَه على رسولِه ﷺ مِن [(٤)] آخِرِ الليلِ [(٤)]، وهو فى بيتِ أُمِّ سَلَمَةَ، فجَعَل يَتَبَسَّمُ، فسألَتْه أُمُّ سَلَمةَ، فأخْبَرَها بتَوْبةِ اللَّهِ على أبى لُبابةَ، فاسْتَأْذَنَتْه أن تُبَشِّرَه، فأَذِن لها فخَرَجتْ فبَشَّرَتْه، فثار الناسُ إليه يُبَشِّرونه، وأرادوا أن يَحُلُّوه مِن رِباطِه فقال: واللَّهِ لا يَحُلُّنى منه إلّا رسولُ اللَّهِ ﷺ. فلمَّا خرَج رسولُ اللَّهِ ﷺ إلى صلاةِ الفجرِ حَلَّه مِن رِباطِه، رَضِى اللَّهُ عنه وأرضاه.

قال ابنُ إسحاقَ[(٥)] : ثُم إنَّ ثَعْلَبَةَ بنَ سَعْيَةَ، وأُسَيْدَ بنَ سَعْيَةَ، وأسَدَ بنَ عُبَيْدٍ، وهم نفَرٌ مِن بنى هَدْلٍ، ليسوا مِن بنى قُرَيْظةَ ولا النَّضِيرِ، نَسَبُهم فوقَ ذلك، هم بنو عمِّ القومِ، أسْلَموا فى تلك الليلةِ التى نَزَلَتْ فيها قُرَيظةُ على حُكْمِ رسولِ اللَّهِ ﷺ. وخَرَج فى تلك الليلةِ عمرُو بنُ سُعْدَى القُرَظِىُّ، فمرَّ بحَرَسِ رسولِ اللَّهِ ﷺ، [٣/٢٢و] وعليهم محمدُ بنُ مَسْلَمةَ تلك الليلةَ، فلمَّا رَآه قال: مَن هذا؟ قال: أنا عمرُو بنُ سُعْدَى. [(٦)] وكان عمرٌو قد أَبَى أن يَدْخُلَ مع بنى قُرَيْظةَ فى غَدْرِهم برسولِ اللَّهِ ﷺ، وقال: لا أغْدِرُ بمحمدٍ أبدًا[(٦)] .

---

(١) تقدم تخريجه فى صفحة ٧٦. وعبارة موسى بن عقبة: «قريبًا من عشرين ليلة».
(٢) سقط من: الأصل، م.
(٣) سيرة ابن هشام ٢/ ٢٣٧.
(٤ - ٤) فى السيرة: «السَّحَر».
(٥) المصدر السابق ٢/ ٢٣٨، ٢٣٩.
(٦ - ٦) سقط من: الأصل، ص.

فقال محمدُ بنُ مَسْلَمَةَ حينَ عَرَفه : اللهم لا تَحْرِمْنى إقالةَ عَثَراتِ الكِرامِ . ثُم خَلَّى سبيلَه فخرَج على وجهِه ، حتى (١ بات فى ١) مسجدِ رسولِ اللَّهِ ﷺ بالمدينةِ تلك الليلةَ ، ثُم ذهَب فلم يُدْرَ أين تَوَجَّهَ مِن الأرضِ إلى يومِه هذا . فذُكِر شأْنُه لرسولِ اللَّهِ ﷺ فقال : « ذاك رجلٌ نجّاه اللَّهُ بوفائِه » . وبعضُ الناسِ يَزْعُمُ أنه كان أُوثِقَ برُمَّةٍ[٢] فيمن أُوثِقَ مِن بنى قُرَيْظَةَ[٣] ، فأصْبحَت رُمَّتُه مُلْقاةً ، ولم يُدْرَ أين ذهَب ، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ فيه تلك المَقالةَ . واللَّهُ أعلمُ أىُّ ذلك كان .

قال ابنُ إسحاقَ[٤] : فلمَّا أصْبحَوا نَزَلوا على حُكْمِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فتَواثَبَت الأوْسُ فقالوا : يا رسولَ اللَّهِ ، إنَّهم مَوالِينا دونَ الخزرجِ ، وقد فَعَلْتَ فى مَوالى إخْوانِنا بالأمسِ ما قد علِمْتَ . يَعْنون عَفْوَه عن بنى قَيْنُقاعَ حينَ سَأَله فيهم عبدُ اللَّهِ بنُ أُبَىٍّ ، كما تقدَّم[٥] . قال ابنُ إسحاقَ[٦] : فلما كلَّمَتْه الأوسُ قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « يا معشرَ الأوسِ ، ألا تَرْضَون أن يَحْكُمَ فيهم رجلٌ منكم ؟ » قالوا : بلى . قال : « فذلك إلى سعدِ بنِ مُعاذٍ » . وكان رسولُ اللَّهِ ﷺ قد جَعَل سعدَ بنَ مُعاذٍ فى خَيْمةٍ لامرأةٍ مِن أسْلَمَ ، يقالُ لها : رُفَيْدَةُ . فى مسجدِه ، وكانت تُداوِى الجَرْحَى ، فلمَّا حَكَّمه فى بنى قُرَيظَةَ ، أتاه قومُه

(١ - ١) فى السيرة : « أتى باب » . والمثبت هو لفظ إحدى روايات السيرة ، كما أشار محققوها .
(٢) الرمة : القطعة من الحبل البالية . الوسيط (ر م م) .
(٣) بعده فى السيرة : « حين نزلوا على حكم رسول اللَّه ﷺ » .
(٤) سيرة ابن هشام ٢/ ٢٣٩.
(٥) هذه الجملة تعقيب من المصنف . وانظر ما تقدم فى ٥/ ٣١٩، ٣٢٠.
(٦) المصدر السابق ٢/ ٢٣٩، ٢٤٠ بنحوه .

فَحَمَلوه على حمارٍ قد وَطَّئُوا له بوِسادةٍ مِن أَدَمٍ ، وكان رجلًا جَسيمًا جميلًا ، ثُم أقْبَلوا معه إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ وهم يقولون : يا أبا عمرٍو ، أحْسِنْ فى مَوالِيك ، فإنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ إنَّما وَلَّاك ذلك لتُحْسِنَ فيهم . فلمَّا أكْثَروا عليه قال : قد آنَ لسعدٍ أن لا تَأْخُذَه فى اللَّهِ لَوْمَةُ لائمٍ . فرَجَع بعضُ مَن كان معه مِن قومِه إلى دارِ بنى عبدِ الأَشْهَلِ ، فنَعَى لهم رجالَ بنى قُرَيظةَ قبلَ أن يَصِلَ إليهم سعدٌ ؛ عن كَلِمَتِه التى سَمِع منه ، فلمَّا انتَهَى سعدٌ إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ والمسلمين ، قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « قوموا إلى سيِّدِكم » . فأمّا المُهاجرون مِن قُرَيشٍ فيقولون : إنَّما أراد الأنصارَ . وأمّا الأنصارُ فيقولون : قد عَمَّ رسولُ اللَّهِ ﷺ المسلمين . فقاموا إليه فقالوا : يا أبا عمرٍو ، إنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قد وَلَّاك أمْرَ مَواليك لتَحْكُمَ فيهم . فقال سعدٌ : عليكم بذلك [٣/٢٢ظ] عهدُ اللَّهِ وميثاقُه ، أنَّ الحُكْمَ فيهم لَمَا حَكَمْتُ ؟ قالوا : نعم . قال : وعلى مَن هاهنا ؟ فى الناحيةِ التى فيها رسولُ اللَّهِ ﷺ ، وهو مُعْرِضٌ عن رسولِ اللَّهِ ﷺ ؛ إجلالًا له ، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « نعم » . قال سعدٌ : فإنى أحْكُمُ فيهم أن يُقْتَلَ الرجالُ ، وتُقْسَمَ الأموالُ ، وتُسْبَى الذَّرارِىُّ والنساءُ . قال ابنُ إسحاقَ[1] : فحدَّثنى عاصمُ بنُ عمرَ بنِ قَتادةَ ، عن عبدِ الرحمنِ بنِ عمرٍو[2] بنِ سعدِ بنِ مُعاذٍ ، عن عَلْقَمةَ بنِ وَقّاصٍ اللَّيْثِىِّ قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ لسعدٍ : « لقد حَكَمْتَ فيهم بحُكْمِ اللَّهِ مِن فوقِ سبعةِ أرْقِعَةٍ » .

---

(١) سيرة ابن هشام ٢/ ٢٤٠.

(٢) فى م : « عمر » .

وقال ابنُ هشامٍ[1] : حدَّثنى[2] مَن أثِقُ به مِن أهلِ العلمِ ، أنَّ عليَّ بنَ أبى طالبٍ صاح ، وهم مُحاصِرو بنى قُرَيظةَ : يا كَتيبةَ الإيمانِ . وتقدَّم هو والزبيرُ بنُ العَوَّامِ ، وقال : واللَّهِ لَأَذوقَنَّ ما ذاق حَمْزةُ أو أَقْتَحِمُ[3] حِصنَهم . فقالوا : يا محمدُ ، نَنْزِلُ على حُكْمِ سعدِ بنِ مُعاذٍ .

وقد قال الإمامُ أحمدُ[4] : حدَّثنا محمدُ بنُ جعفرٍ ، حدَّثنا شُعْبَةُ ، عن سعدِ ابنِ إبراهيمَ ، سمِعْتُ أبا أُمامةَ بنَ سهلٍ ، سمِعْتُ أبا سعيدٍ الخُدْرِىَّ ، قال : نَزَل أهلُ قُرَيظةَ على حُكمِ سعدِ بنِ مُعاذٍ . قال : فأرْسَل رسولُ اللَّهِ ﷺ إلى سعدٍ ، فأتاه على حمارٍ ، فلمَّا دَنا قريبًا مِن المسجدِ ، قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « قُوموا لسيِّدِكم . أو : خَيْرِكم » . ثُم قال : « إن هؤلاء نَزَلوا على حُكْمِك » . قال : تَقْتُلُ مُقاتِلَتَهم وتَسْبِى ذُرِّيَّتَهم[5] . قال : فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « قَضَيْتَ بحُكمِ اللَّهِ » . وربَّما قال : « قَضَيْتَ بحُكْمِ المَلِكِ » . وفى روايةٍ : « المَـلَـكِ »[6] . أخْرَجاه فى « الصحيحين » مِن طُرُقٍ ، عن شُعبةَ[7] .

وقال الإمامُ أحمدُ[8] : حدَّثنا حُجَيْنٌ ويونسُ ، قالا : حدَّثنا اللَّيْثُ بنُ

(١) سيرة ابن هشام ٢/ ٢٤٠.
(٢) بعده فى السيرة : « بعض » .
(٣) فى السيرة : « لأفتحن » .
(٤) المسند ٣/ ٢٢.
(٥) فى المسند : « ذراريهم » .
(٦) المصدر السابق ، من طريق عبد الرحمن بن مهدى عن شعبة . وهو أيضا لفظ رواية الكرمانى للبخارى . وفسره بجبريل عليه السلام . انظر فتح البارى ٧/ ٤١٢.
(٧) البخارى (٣٠٤٣، ٣٨٠٤، ٤١٢١، ٦٢٦٢)، ومسلم (١٧٦٨) .
(٨) المسند ٣/ ٣٥٠.

سعدٍ ، عن أبي الزُّبيرِ ، عن جابرِ بنِ عبدِ اللَّهِ ، أنَّه قال : رُمِيَ يومَ الأحْزابِ سعدُ ابنُ مُعاذٍ ، فقَطَعوا أكْحَلَه ، فحَسَمه رسولُ اللَّهِ ﷺ بالنارِ ، فانتَفَخَتْ يدُه (١فنَزَفه ، فحَسَمه أخرى ، فانتَفَخَت يدُه١) فنَزَفه ، فلمَّا رأَى ذلك ، قال : اللَّهُمَّ لا تُخْرِجْ نَفْسِي حتى تُقِرَّ عيني مِن بني قُرَيْظَةَ . فاستَمْسَك عِرْقُه ، فما قَطَر قَطْرةً حتى نَزَلوا على حُكمِ سعدٍ ، فأرْسَل إليه ، فحَكَم أن تُقْتَلَ رجالُهم ، وتُسْبَى نساؤُهم وذَرارِيُّهم ؛ يَستعِينُ بهم المسلمون ، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « أصَبْتَ حُكْمَ اللَّهِ فيهم » . وكانوا أربَعَمائةٍ ، فلمَّا فرغ مِن قَتْلِهم ، انْفَتَق عِرْقُه فمات . وقد رَواه الترمذيُّ والنَّسائيُّ [٣/٢٣و] جميعًا ، عن قُتَيْبَةَ ، عن اللَّيْثِ ، به[٢] . وقال الترمذيُّ : حسنٌ صحيحٌ .

وقال الإمامُ أحمدُ[٣] : حدَّثنا ابنُ نُمَيْرٍ ، عن هشامٍ ، أخْبَرَني أبي ، عن عائشةَ ، قالت : لمَّا رجَع رسولُ اللَّهِ ﷺ مِن الخندقِ ، ووَضَع السلاحَ واغْتَسَل ، فأتاه جبريلُ وعلى رأسِه الغُبارُ ، فقال : قد وَضَعْتَ السلاحَ ! فواللَّهِ ما وَضَعْتُها ، اخْرُجْ إليهم . قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « فأين ؟ » قال : هاهنا . وأشار إلى بني قُرَيْظَةَ ، فخرَج رسولُ اللَّهِ ﷺ إليهم . قال هشامٌ : فأخبرَني أبي أنَّهم نَزَلوا على حُكمِ النبيِّ ﷺ ، فرَدَّ الحُكْمَ فيهم إلى سعدٍ ، قال : فإنِّي أحْكُمُ أن تُقْتَلَ المُقاتِلَةُ وتُسْبَى النساءُ والذُّرِّيَّةُ ، وتُقْسَمَ أموالُهم . قال هشامٌ : قال أبي : فأُخْبِرْتُ أن رسولَ اللَّهِ ﷺ قال : « لقد حَكَمْتَ فيهم بحكمِ اللَّهِ » .

(١ - ١) في المسند : « فحسمه فانتفخت يده فحسمه أخرى فانتفخت يده » . وحسمه : كواه ليقطع دمه . وأصل الحسم القَطْع . ونزفه : أي خرج منه الدم بكثرة . انظر بلوغ الأماني ٢١/ ٨٣.

(٢) الترمذي (١٥٨٢) ، والنسائي في الكبرى (٨٦٧٩) . صحيح (صحيح سنن الترمذي ١٢٨٧) .

(٣) المسند ٦/ ٥٦.

وقال البخاريُّ[1] : حدَّثنا زكريا بنُ يحيى ، حدَّثنا عبدُ اللَّهِ بنُ نُمَيرٍ ، حدَّثنا هشامٌ ، عن أبيه ، عن عائشةَ ، قالت : أُصِيب سعدٌ يومَ الخندقِ ، رَماه رجلٌ مِن قريشٍ يُقالُ له : حِبَّانُ بنُ العَرِقَةِ . رَماه فى الأَكْحَلِ ، فضَرَب النبىُّ ﷺ خَيمةً فى المسجدِ ليَعُودَه مِن قريبٍ ، فلمَّا رجَع رسولُ اللَّهِ ﷺ مِن الخندقِ ، وضَع السلاحَ واغْتَسَل ، فأتاه جبريلُ وهو يَنْفُضُ رأسَه مِن الغُبارِ ، فقال : قد وَضَعْتَ السلاحَ ! واللَّهِ ما وضعتُه ، اخْرُجْ إليهم . قال النبىُّ ﷺ : « فأين ؟ » فأشار إلى بنى قُرَيْظةَ ، فأتاهم رسولُ اللَّهِ ﷺ فنزَلوا على حُكمِه ، فرَدَّ الحكمَ إلى سعدٍ ، قال : فإنِّى أَحْكُمُ فيهم أن تُقْتَلَ المُقاتِلةُ ، وأن تُسْبَى النساءُ والذُّرِّيَّةُ ، وأن تُقْسَمَ أموالُهم . قال هشامٌ : فأخْبَرَنى أبى ، عن عائشةَ ، أن سعدًا قال : اللَّهُمَّ إنَّك تَعْلَمُ أنَّه ليس أحدٌ أحبَّ إلىَّ أن أُجاهِدَهم فيك ، مِن قومٍ كَذَّبوا رسولَك وأخْرَجوه ، اللَّهمَّ فإنِّى أظُنُّ أنَّك قد وَضَعْتَ الحربَ بينَنا وبينَهم ، فإن كان بَقِىَ مِن حربِ قُريشٍ شىءٌ ، فأَبْقِنى له حتى أُجاهِدَهم فيك ، وإن كنتَ وضَعْتَ الحربَ ، فافْجُرْها[2] واجْعَلْ موتى[3] فيها . فانفَجَرَتْ مِن لَبَّتِه[4] فلم يَرُعْهم ، وفى المسجدِ خَيْمةٌ مِن بنى غِفارٍ[5] ، إلَّا الدمُ يَسِيلُ إليهم ، فقالوا : يا أهلَ الخَيْمةِ ، ما هذا الذى يَأْتِينا مِن قِبَلِكم ؟ فإذا سعدٌ يَغْذُو[6] جُرْحُه دمًا ، فمات

---

(١) البخارى (٤١٢٢) .
(٢) فافجرها : أى الجراحة . فتح البارى ٧/ ٤١٥.
(٣) فى صحيح البخارى : « موتتى » .
(٤) لبته : هى موضع القلادة من الصدر . فتح البارى ٧/ ٤١٥.
(٥) قال الحافظ : تقدَّم أن ابن إسحاق ذكر أن الخيمة كانت لرفيدة الأسلمية ، فيحتمل أن تكون كان لها زوج من بنى غفار . فتح البارى ٧/ ٤١٥.
(٦) يغذو : أى يسيل . المصدر السابق .

منها . وهكذا رَواه مسلمٌ مِن حديثِ عبدِ اللَّهِ بنِ نُمَيْرٍ ، به[1] .

قلتُ : كان دَعا أولًا بهذا [٣/ ٢٣ظ] الدعاءِ قبلَ أن يَحْكُمَ فى بنى قُرَيْظَةَ ، ولهذا قال فيه : ولا تُمِتْنى حتى تُقِرَّ عينى مِن بنى قُرَيظَةَ . فاستجاب اللَّهُ له ، فلما حكم فيهم ، وأقرَّ اللَّهُ عينه أتمَّ قَرارٍ ، دَعا ثانيًا بهذا الدعاءِ ، فجَعَلها اللَّهُ له شَهادةً ، رَضِى اللَّهُ عنه وأرضاه . وسيأتى ذِكْرُ وفاتِه قريبًا ، إن شاء اللَّهُ .

وقد رَواه الإمامُ أحمدُ مِن وجهٍ آخرَ ، عن عائشةَ مُطَوَّلًا جدًّا[2] ، وفيه فوائدُ ، فقال : حدَّثنا يزيدُ ، أنبَأنا محمدُ بنُ عمرٍو ، عن أبيه ، عن جَدِّه عَلْقَمَةَ ابنِ وَقّاصٍ قال : أخبرَتْنى عائشةُ ، قالت : خَرَجْتُ يومَ الخندقِ أَقْفُو[3] الناسَ ، فسَمِعْتُ وَئِيدَ الأرْضِ ورائى[4] ، فإذا أنا بسعدِ بنِ مُعاذٍ ، ومعه ابنُ أخيه الحارثُ ابنُ أوسٍ يَحْمِلُ مِجَنَّهُ[5] . قالت : فجَلَسْتُ إلى الأرضِ ، فمرَّ سعدٌ وعليه دِرْعٌ مِن حديدٍ ، قد خَرَجَتْ منها أطرافُه ، فأنا أتَخَوَّفُ على أطرافِ سعدٍ . قالت : وكان سعدٌ مِن أعظمِ الناسِ وأطْوَلِهم ، فمرَّ وهو يَرْتَجِزُ ويقولُ :

لَبِّثْ[6] قليلًا يُدْرِكِ الهَيْجا حَمَلْ[7] ما أحسنَ الموتَ إذا حان الأجَلْ

---

(١) مسلم (٦٥/ ١٧٦٩، ٦٦/ ...، ٦٧/ ...) .

(٢) المسند ٦/ ١٤١، ١٤٢. قال الهيثمى فى المجمع ٦/ ١٣٨: فى الصحيح بعضه ، رواه أحمد ، وفيه محمد بن عمرو بن علقمة ، وهو حسن الحديث ، وبقية رجاله ثقات .

(٣) بعده فى المسند : « آثار » .

(٤) بعده فى المسند : « يعنى حسَّ الأرض » .

(٥) مجنه : المِجَنّ والمِجَنَّة : التُّرس . الوسيط (م ج ن) .

(٦) فى المسند : « ليت » . وفى الأصل غير منقوطة .

(٧) فى م ، ص ، المسند : « جمل » . وحمل : هو حمل بن سعدانة بن حارثة الكلبى ، وانظر ما تقدم فى صفحة ٤٧ حاشية (٤) .

قالت : فقُمْتُ فاقْتَحَمْتُ حديقةً ، فإذا فيها[1] نفرٌ مِن المسلمين ، وإذا فيهم[2] عمرُ بنُ الخطابِ ، وفيهم رجلٌ عليه تَسْبِغَةٌ[3] له ؛ تَعْنى المِغْفَرَ ، فقال عمرُ : ما جاء بكِ ، واللَّهِ إنَّك لجَرِيئةٌ ، وما يُؤْمِنُك أن يكونَ بلاءٌ أو يكونَ تَحَوُّزٌ[4] . فما زال يَلُومُنى حتى تَمَنَّيْتُ أنَّ الأرضَ انْشَقَّتْ لى ساعتَئذٍ فدَخَلْتُ فيها ، فرَفَع الرجلُ التَّسْبِغَةَ[5] عن وجهِه ، فإذا هو طلحةُ بنُ عُبَيْدِ اللَّهِ ، فقال : يا عمرُ ، وَيْحَك ، إنَّك قد أكْثَرْتَ منذُ اليومِ ، وأين التَّحَوُّزُ أو الفِرارُ إلَّا إلى اللَّهِ عزَّ وجلَّ ؟ قالت : ويَرْمِى سعدًا رجلٌ مِن[6] قُرَيشٍ ، يقالُ له : ابنُ العَرِقَةِ[7] . وقال : خُذْها وأنا ابنُ العَرِقةِ . فأصاب أكْحَلَه فقَطَعَه ، فدَعا اللَّهَ سعدٌ ، فقال : اللَّهُمَّ لا تُمِتْنى حتى تُقِرَّ عينى مِن بنى[8] قُرَيْظةَ . قالت : وكانوا حُلفاءَه ومَوالِيَه فى الجاهليَّةِ . قالت : فرَقَأ كَلْمُه[9] ، وبعَث اللَّهُ الرِّيحَ على المشركين ، وكفَى اللَّهُ المؤمنين القِتالَ ، وكان اللَّهُ قويًّا عزيزًا . فلَحِق أبو سفيانَ ومَن معه بتِهامةَ ، ولَحِق

---

(١) سقط من : الأصل ، م .

(٢) فى النسخ : « فيها » . والمثبت من المسند .

(٣) فى م ، والمسند : « سبغة » . وفى ص : « مسبغة » . ويبدو أنه قد سقط حرف التاء من « تسبغة » فى نسخة المسند ، خاصة وأنها غير محققة ، ويدل لذلك ورود الحديث من مجمع الزوائد بلفظ « تسبغة » ، ونسبه الهيثمى لأحمد ، وعند المصنف فى التفسير ٦/ ٤٠٠ باللفظ السابق ، ونسبه أيضا لأحمد . وانظر بلوغ الأمانى ٢١/ ٨١.

(٤) تحوز : أى حربٌ أو أسْرٌ. بلوغ الأمانى ٢١/ ٨١.

(٥) فى م : « السبغة » . وفى ص : « المسبغة » .

(٦) بعده فى المسند : « المشركين من » .

(٧) بعده فى المسند : « بسهم له » .

(٨) زيادة من النسخ .

(٩) الكلم : الجرح ، ورقأ كلمه : أى جفَّ وانقطع جَرَيان دمه .

عُيَيْنَةُ بنُ بدرٍ ومَن معه بنَجْدٍ، ورَجَعَتْ بنو قُرَيْظَةَ فتَحَصَّنوا فى صَياصِيهم[(١)]، ورجَع رسولُ اللَّهِ ﷺ إلى المدينةِ، وأمَر بقُبَّةٍ مِن أَدَمٍ فضُرِبَتْ على سعدٍ فى المسجدِ. قالت: فجاءَه جبريلُ وإنَّ على ثَناياه لَنَقْعَ الغُبارِ، فقال: أقَد وَضَعْتَ السلاحَ؟ لا واللَّهِ ما وَضَعَتِ الملائكةُ السلاحَ بعدُ، اخْرُجْ إلى بنى قُرَيْظَةَ فقاتِلْهم. [٣/٢٤و] قالت: فلَبِس رسولُ اللَّهِ ﷺ لأْمتَه، وأذَّن فى الناسِ بالرَّحيلِ أن يَخْرُجوا[(٢)]، فمرَّ على بنى غَنْمٍ، وهم جِيرانُ المسجدِ حولَه، فقال: «مَن مرَّ بكم؟» قالوا: مرَّ بنا دِحْيةُ الكَلْبىُّ. وكان دِحْيةُ الكَلْبىُّ تُشْبِهُ لِحيَتُه وسِنُّه ووجهُه جبريلَ، عليه السلامُ، فأتاهم رسولُ اللَّهِ ﷺ فحاصَرَهم خمسًا وعشرين ليلةً، فلمَّا اشْتَدَّ حَصْرُهم واشتدَّ البَلاءُ، قِيل لهم: انْزِلوا على حُكْمِ رسولِ اللَّهِ ﷺ. فاسْتَشاروا أبا لُبابةَ بنَ عبدِ المُنذرِ، فأشار إليهم أنَّه الذَّبْحُ، قالوا: نَنْزِلُ على حكمِ سعدِ بنِ مُعاذٍ. فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «انْزِلوا على حُكْمِ سعدِ بنِ مُعاذٍ». فأُتِىَ به على حمارٍ عليه إكافٌ[(٣)] مِن لِيفٍ، قد حُمِل عليه وحَفَّ به قومُه، فقالوا: يا أبا عمرٍو، حلفاؤُك ومَواليك وأهلُ النِّكايةِ ومَن قد عَلِمْتَ. قالت: ولا[(٤)] يَرْجِعُ إليهم شيئًا، ولا يَلْتَفِتُ إليهم، حتى إذا دَنا مِن دُورِهم الْتَفَت إلى قومِه، فقال: قد آنَ[(٥)] لى أن لا أُبالِىَ فى اللَّهِ لَوْمَةَ لائمٍ -

---

(١) صياصيهم: أى حصونهم، جمع صيصة. وكل شىء امتنع به وتحصّن به فهو صيصة. انظر بلوغ الأمانى ٢١/ ٨٢.

(٢) بعده فى المسند: «فخرج رسول اللَّه ﷺ».

(٣) الإكاف: هو ما يشد على ظهر الحمار، كالرحل للبعير والسرج للفرس. بلوغ الأمانى ٢١/ ٨٢.

(٤) فى المسند: «وأنى لا». وأنّى: أى أبطأ فى الجواب وسكت عنهم لا يرد عليهم. المصدر السابق.

(٥) فى المسند: «أنا». ويرسم: «أنى». أنى وآن بمعنى: حان. انظر النهاية ١/ ٧٨.

قال[1] : قال أبو سعيدٍ : فلَمَّا طَلَع [2]قال رسولُ اللَّهِ ﷺ[2] : « قُوموا إلى سيِّدِكم فأنْزِلُوه » . قال عمرُ : سيدُنا اللَّهُ – قال : « أنزِلوه » . فأنْزَلوه ، قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « احكُمْ فيهم » . فقال سعدٌ : فإنِّى أَحْكُمُ فيهم أن تُقْتَلَ مُقاتِلَتُهم ، وتُسْبَى ذَرارِيُّهم ، وتُقْسَمَ أمْوالُهم[3] . فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « لقد حَكَمْتَ فيهم بحُكْمِ اللَّهِ وحُكْمِ رسولِه » . ثُم دَعا سعدٌ ، فقال : اللَّهُمَّ إن كنتَ أبْقَيْتَ على نبيِّك ﷺ مِن حربِ قريشٍ شيئًا ، فأَبْقِنى لها ، وإن كنتَ قَطَعْتَ الحربَ بينَه وبينَهم ، فاقْبِضْنى إليك . قالت : فانْفَجَر كَلْمُه ، وكان قد بَرِئَ حتى لا يُرَى منه إلا مِثْلُ الخُرْصِ[4] ، ورجَع إلى قُبَّتِه التى ضرَب عليه رسولُ اللَّهِ ﷺ . قالت عائشةُ : فحَضَره رسولُ اللَّهِ ﷺ وأبو بكرٍ وعمرُ . قالت : فوالذى نفسُ محمدٍ بيدِه ، إنِّى لَأَعْرِفُ بُكاءَ عمرَ مِن بكاءِ أبى بكرٍ وأنا فى حُجْرتى ، وكانوا كما قال اللَّهُ تعالى : ﴿ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ﴾ [الفتح : ٢٩] . قال عَلْقَمَةُ : فقلتُ : يا أُمَّهْ ، فكيف كان رسولُ اللَّهِ ﷺ يَصْنَعُ ؟ قالت : كانت عينُه لا تَدْمَعُ على

---

(١) فى النسخ : « قالت » . وهو خطأ . والمثبت من المسند . والقائل هو الإمام أحمد وهذه الزيادة ليست من حديث عائشة ، وإنما هى من حديث أبى سعيد الخدرى المتقدمة ص ٨٤ أدرجها الإمام أحمد فى الحديث . وانظر حديث عائشة فى جامع المسانيد للمصنف ٣٦/ ٣٠٩. وتفسيره ٦/ ٤٠٠. ومجمع الزوائد ٦/ ١٣٨. قال الحافظ فى الفتح ٧/ ٤١٢، ١١/ ٥١: « ووقع فى مسند عائشة رضى اللَّه عنها ، من مسند أحمد من طريق علقمة بن وقاص عنها فى أثناء حديث طويل وفيه : قال أبو سعيد : فلما طلع قال النبى ﷺ ...» .

(٢ - ٢) فى المسند : « على رسول اللَّه ﷺ قال » .

(٣) بعده فى المسند : « وقال يزيد ببغداد : ويقسم » . قال فى بلوغ الأمانى ٢١/ ٨٣: ومعناه أن يزيد شيخ الإمام أحمد حدثه مرة أخرى ببغداد ، بلفظ « ويقسم » بالياء التحتية بدل التاء الفوقية .

(٤) الخرص : الحلقة الصغيرة من الحلى ، وهو حلى الأذن ، والمعنى أنه لم يبق من جرح سعد إلا مثل حلقة الخرص فى قلة ما بقى منه . المصدر السابق .

أحدٍ ، ولكنَّه كان إذا وَجَد[1] ، فإنَّما هو آخِذٌ بلِحْيَتِه . وهذا الحديثُ إسنادُه جيدٌ ، وله [٣/٢٤ظ] شَواهدُ مِن وجوهٍ كثيرةٍ . وفيه التَّصْريحُ بدُعاءِ سعدٍ مرتين ؛ مَرَّةً قبلَ حُكْمِه فى بنى قُرَيْظَةَ ، ومرةً بعدَ ذلك كما قُلْناه أولًا ، ولِلَّهِ الحمدُ والمِنَّةُ ، وسنذْكُرُ كيفيةَ وفَاتِه ودَفْنَه وفَضْلَه فى ذلك ، رَضِىَ اللَّهُ عنه وأرضاه ، بعدَ فَراغِنا مِن القصةِ .

قال ابنُ إسحاقَ[2] : ثُم استُنْزِلوا فحَبَسهم رسولُ اللَّهِ ﷺ بالمدينةِ فى دارِ بنتِ الحارثِ ، امرأةٍ مِن بنى النَّجَّارِ - قلتُ : هى نُسَيْبَةُ بنتُ الحارثِ بنِ كُرْزِ ابنِ حَبِيبِ بنِ عبدِ شَمْسٍ ، وكانت تحتَ مُسيْلِمةَ الكذَّابِ ، ثُم خلَف عليها عبدُ اللَّهِ بنُ عامرِ بنِ كُرَيْزٍ[3] - ثُم خرَج ﷺ إلى سوقِ المدينةِ ، فخَنْدَقَ بها خَنادِقَ ، ثُم بعَث إليهم فضرَب أعناقَهم فى تلك الخَنادقِ ، فخُرِج بهم إليه أرْسالًا ، وفيهم عدُوُّ اللَّهِ حُيَىُّ بنُ أخْطَبَ ، وكعبُ بنُ أسدٍ رأسُ القومِ ، وهم سِتُّمائةٍ أو سَبعُمائةٍ ، والمُكَثِّرُ لهم يقولُ : كانوا ما بينَ الثمانِمائةِ والتِّسعِمائةِ .

قلتُ : وقد تقدَّم[4] فيما رَواه اللَّيْثُ ، عن أبى الزُّبيرِ ، عن جابرٍ ، أنَّهم كانوا أربَعَمائةٍ . فاللَّهُ أعلمُ .

قال ابنُ إسحاقَ[5] : وقد قالوا لكعبِ بنِ أسدٍ وهم يُذْهَبُ بهم إلى

---

(١) وجد : أى حزن .

(٢) سيرة ابن هشام ٢/ ٢٤٠، ٢٤١.

(٣) انظر الروض ٦/ ٣٣٣، وتبصير المنتبه ٣/ ١١٨٣. واسمها عندهما : « كيِّسة »، واسم جدِّها « كُريز ».

(٤) تقدم فى صفحة ٨٥ .

(٥) سيرة ابن هشام ٢/ ٢٤١.

رسولِ اللَّهِ ﷺ أرْسالًا : يا كعبُ ، ما تُراه يُصْنَعُ بنا ؟ قال : أفى كلِّ مَوْطِنٍ لا تَعْقِلون ، ألا تَرَوْن الداعِىَ لا يَنْزِعُ ، وأنَّه من ذُهِب به منكم لا يَرْجِعُ ، هو واللَّهِ القَتْلُ . فلم يَزَلْ ذلك الدَّأْبَ حتى فُرِغ منهم[1] ، وأُتِىَ بحُيَىِّ بنِ أَخْطَبَ وعليه حُلَّةٌ له فُقَّاحِيَّةٌ[2] ، قد شَقَّها عليه مِن كلِّ ناحيةٍ قَدْرَ أُنْمُلَةٍ[3] ؛ لِئَلّا يُسْلَبَها ، مجموعةً يداه إلى عُنُقِه بحبلٍ ، فلمَّا نظَر إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ قال : أمَا واللَّهِ ما لُمْتُ نفسى فى عَداوَتِك ، ولكنَّه مَن يَخْذُلِ اللَّهَ ، يُخْذَلْ . ثُم أقْبَل على الناسِ فقال : أيُّها الناسُ ، إنَّه لا بأسَ بأمرِ اللَّهِ ، كتابٌ وقدَرٌ ومَلْحَمَةٌ كَتَبها اللَّهُ على بنى إسرائيلَ . ثُم جلَس فضُرِبَتْ عنُقُه ، فقال جَبَلُ بنُ جَوَّالٍ الثَّعْلَبِىُّ :

لَعَمْرُك ما لامَ ابنُ أَخْطَبَ نَفْسَه ... ولكنَّه مَن يَخْذُلِ اللَّهَ يُخْذَلِ[4]

لَجاهَدَ حتى أبْلَغَ النَّفْسَ عُذْرَها ... وقَلْقَلَ[5] يَبْغِى العِزَّ كلَّ مُقَلْقَلِ

[٣/ ٢٥و] وقد ذكَر ابنُ إسحاقَ قصةَ الزَّبِيرِ بنِ باطا[6] ، وكان شيخًا كبيرًا[7] ، وكان قد مَنَّ يومَ بُعاثٍ على ثابتِ بنِ قيسِ بن شَمَّاسٍ ، وجزَّ ناصِيَتَه[8] ، فلمَّا

---

(١) بعده فى السيرة : « رسول اللَّه ﷺ » .

(٢) يقال : على فلان حُلَّة فُقّاحِيَّة . أى على لون الورد حين همّ أن يتفتّح . انظر اللسان (ف ق ح) .

(٣) بعده فى السيرة : « أنملة » . وأشار محققوها إلى أنها زيادة من إحدى نسخ السيرة .

(٤) من يخذل اللَّه يخذل : قال السهيلى فى الروض ٦/ ٣٣٧: بنصب الهاء من اسم اللَّه ، ويُصحِّح هذه الرواية أن فى الخبر قول النبى ﷺ : « ألم يمكِّن اللَّه منك ؟ » . قال : بلى ، ولقد قلقلتُ كلَّ مُقلقل ، ولكن من يخذُلك يُخذَل . فقوله : يخذُلك . كقول الآخر فى البيت :

ولكنّه من يَخذُل اللَّهَ يُخذَلِ

(٥) قلقل : معناه تحرّك وسار . شرح غريب السيرة ٣/ ٩.

(٦) سيرة ابن هشام ٢/ ٢٤٢، ٢٤٣، بنحوه .

(٧) بعده فى م ، ص : « قد عمى » .

(٨) بعده فى السيرة : « ثم خلّى سبيله » .

كان هذا اليومُ أراد أن يُكافِئَه فجاءَه فقال : هل تعْرِفُنى يا أبا عبدِ الرحمنِ[1] ؟ قال : وهل يَجْهَلُ مثلى مِثْلَك ؟ فقال له ثابتٌ : أُريدُ أن أُكافِئَك . فقال : إنَّ الكريمَ يَجْزِى الكريمَ . فذَهَب ثابتٌ إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ فاسْتَطْلَقَه ؛ فأطْلَقَه له ، ثُم جاءه فأخْبَرَه ، فقال : شيخٌ كبيرٌ لا أهلَ له ولا ولدَ ، فما يَصْنَعُ بالحياةِ ؟ فذَهَب إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ فاسْتَطْلَق له امرأتَه وولدَه ، فأطْلَقَهم له ، ثُم جاءه ، فأخْبَرَه[2] فقال : أهلُ بيتٍ بالحجازِ لا مالَ لهم ، فما بقاؤُهم على ذلك ؟ فأتَى ثابتٌ إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ فاستَطْلَق مالَ الزَّبيرِ بنِ باطا ، فأَطْلَقه له ، ثُم جاءه فأخْبَرَه ، فقال له : يا ثابتُ ، ما فَعَل الذى كان[3] وجهُه مِرْآةٌ صِينِيَّةٌ تَتَراءى فيها عَذارَى [4]الحىِّ ؟ يَعْنى[4] كعبَ بنَ أسدٍ . قال : قُتِل . قال : فما فَعَل سيِّدُ الحاضِرِ والبادى حُيَىُّ بنُ أخْطَبَ ؟ قال : قُتِل . قال : فما فعَل مُقَدِّمَتُنا إذا شَدَدْنا وحامِيَتُنا إذا فَرَرْنا ؛ عَزَّالُ بنُ شَمَوْأَلَ[5] ؟ قال : قُتِل . قال : فما فعَل المجْلِسان ؟ يَعْنى بنى كعبِ بنِ قُرَيْظَةَ وبنى عمرِو بنِ قُرَيْظَةَ . قال : ذَهَبوا قُتِلوا . قال : فإنِّى أسْأَلُك يا ثابتُ ، بيدى عندَك ، إلَّا ألْحَقْتَنى بالقومِ ، فواللَّهِ ما فى العيشِ بعدَ هؤلاء مِن خيرٍ ، فما أنا بصابرٍ للَّهِ فيلةَ[6] دَلْوِ ناضِحٍ حتى ألْقَى الأحِبَّةَ . فقدَّمه ثابتٌ فضُرِبَتْ عنقُه ، فلمَّا بلَغ أبا بكرٍ الصديقَ قولُه : ألْقَى الأحِبَّةَ . قال : يَلْقاهم واللَّهِ فى نارِ جهنمَ خالدًا فيها مُخَلَّدًا . قال ابنُ إسحاقَ : « فيلة » .

---

(١) أبو عبد الرحمن هى كنية الزبير كما فى السيرة .
(٢) سقط من : م .
(٣) فى السيرة : « كأن » .
(٤ - ٤) فى م : « حى » .
(٥) كذا فى النسخ . وفى السيرة : « سموأل » .
(٦) فى الأصل : « قبلة » . وفى السيرة : « فتلة » . وانظر ما يأتى بعد .

بالفاءِ (١ والياءِ المُثنَّاةِ مِن أسْفلَ ١) . وقال ابنُ هشامٍ (٢) : بالقافِ والباءِ المُوَحَّدةِ (٣) . وقال ابنُ هشامٍ : الناضحُ : البعيرُ الذى يَسْتَقِى الماءَ لسَقْيِ النَّخْلِ (٤) . وقال أبو عُبَيْدةَ (٥) : معناه إفْراغَةُ دَلْوٍ .

قال ابنُ إسحاقَ (٦) : وكان رسولُ اللَّهِ ﷺ قد أمَر بقَتْلِ كلِّ مَن أنْبَت منهم ، فحدَّثنى شعبةُ بنُ الحجّاجِ ، عن عبدِ الملكِ بنِ عُمَيْرٍ ، عن عَطِيَّةَ القُرَظىِّ قال : كان رسولُ اللَّهِ ﷺ قد أمَر أن يُقْتَلَ مِن بنى قُرَيظةَ كلُّ مَن أنْبَت منهم ، وكنتُ غلامًا ، فوجَدونى لم أُنْبِتْ فَخَلَّوْا سبيلى . [٣/ ٢٥ظ] ورَواه أهلُ السننِ الأربعةِ ، مِن حديثِ عبدِ الملكِ بنِ (٧) عُمَيْرٍ ، عن عطيةَ القُرَظىِّ (٨) نحوَه . وقد استدلَّ به مَن ذَهب مِن العلماءِ إلى أنَّ إنباتَ الشَّعْرِ الخَشِنِ حولَ الفَرْجِ دليلٌ

(١ - ١) سقط من : الأصل . ولم نجد لفظ « فيلة » عند الطبرى فى تاريخه ٢/ ٥٩٠ من رواية سلمة عن ابن إسحاق ، والبيهقى فى دلائل النبوة ٤/ ٢٤ من رواية يونس بن بكير عن ابن إسحاق ، ولم يشر محققو السيرة إلى هذا اللفظ « فيلة » وكذا لم يذكره أبو ذر فى شرح غريب السيرة ٣/ ١٠، والسهيلى فى الروض الأنف ٦/ ٣٣٦ . فاللَّه أعلم .

(٢) سيرة ابن هشام ٢/ ٢٤٣.

(٣) قال أبو ذر فى شرح غريب السيرة ٣/ ١٠: أراد بقوله : فتلة دلو ناضح . مقدار ما يأخذ الرجلُ الدلوَ إذا خرجتْ ، فيصبُّها فى الحوض ثم يَفتِلُها أو يردُّها إلى موضعها . ومن رواه « قَبَلَة » بالقاف والباء ، فهو بمقدار ما يَقْبَل - أى يأخُذ - الرجل الدلوَ ، فيصبها فى الحوض ثم يصرفها ، وهذا كله لا يكون إلا عن استعجال وسرعة .

(٤) هذه العبارة التى ذكرها المصنف نقلًا عن ابن هشام ، أثبتها محققو السيرة - على أنها إحدى الروايات - فى الحاشية ، انظر سيرة ابن هشام ٢/ ٢٤٣، ٢٤٤ .

(٥) عزاه السهيلى فى الروض ٦/ ٣٣٦ لأبى عبيدة .

(٦) سيرة ابن هشام ٢/ ٢٤٤.

(٧) فى الأصل : « عن » . وانظر تهذيب الكمال ١٨/ ٣٧٠.

(٨) أبو داود (٤٤٠٤، ٤٤٠٥) . والترمذى (١٥٨٤) . والنسائى فى المجتبى (٤٩٩٦) ، وفى الكبرى (٨٦٢٠، ٨٦٢١) . وابن ماجه (٢٥٤١، ٢٥٤٢) . صحيح (صحيح سنن أبى داود ٣٧٠٤) .

على البلوغِ ، بل هو بلوغٌ فى أصحِّ قولىِ الشافعىِّ ، ومِن العلماءِ مَن يُفرِّقُ بينَ صِبْيانِ أهلِ الذِّمَّةِ ، فيكونُ بُلوغًا فى حقِّهم دونَ غيرِهم ؛ لأن المُسْلمَ قد يَتأَذَّى بذلك المَقْصِدِ[(١)] .

وقد رَوى ابنُ[(٢)] إسحاقَ[(٣)] ، عن أيوبَ بنِ عبدِ الرحمنِ ، أنَّ سَلْمَى بنتَ قيسٍ أُمَّ المُنْذِرِ استَطْلَقَت مِن رسولِ اللَّهِ ﷺ رِفاعةَ بنَ سِمْوَالَ[(٤)] ، وكان قد بلَغ فَلاذَ بها ، وكان يَعْرِفُهم قبلَ ذلك ، فأطْلَقَه لها ، وكانت قالت : يا رسولَ اللَّهِ ، إن رِفاعةَ يَزْعُمُ أنَّه سيُصَلِّى ويَأْكُلُ لحمَ الجملِ . فأجابها إلى ذلك فأطْلَقَه .

قال ابنُ إسحاقَ[(٥)] : وحدَّثنى محمدُ بنُ جعفرِ بنِ الزُّبيرِ ، عن عروةَ ، عن عائشةَ ، قالت : لم يُقْتَلْ مِن نسائِهم إلَّا امرأةٌ واحدةٌ . قالت : واللَّهِ إنَّها لعندى تَحَدَّثُ[(٦)] معى تَضْحَكُ ظَهْرًا وبَطْنًا ، ورسولُ اللَّهِ ﷺ يَقْتُلُ رجالَها فى السوقِ ، إذ هتَف هاتفٌ باسمِها : أين فلانةُ ؟ قالت : أنا واللَّهِ . قالت : قلتُ لها : ويلَكِ مالَكِ ؟ قالت : أُقْتَلُ . قلتُ : ولِمَ ؟ قالت : لحَدَثٍ أحْدَثْتُه . قالت : فانْطُلِق بها فضُرِبَتْ عُنُقُها . وكانت عائشةُ ، تقولُ : فواللَّهِ ما أنْسَى عَجَبًا منها ؛ طِيبَ نفسِها وكثرةَ ضَحِكِها ، وقد عَرَفَتْ أنَّها تُقْتَلُ . وهكذا رَواه

---

(١) فى النسخ : « لمقصد » . والمثبت هو الأنسب لمعنى السياق .
(٢) سقط من : م .
(٣) سيرة ابن هشام ٢/ ٢٤٤، بنحوه .
(٤) فى النسخ : « شموال » . غير مهموز . وفى السيرة : « سموأل » . والمثبت من أسد الغابة ٢/ ٢٢٨. وقد نصّ هناك على ضبطه بكسر السين وسكون الميم . والاسم جاء مهموزا وغير مهموز . وانظر الاستيعاب ٢/ ٥٠٠، والإصابة ٢/ ٤٩١.
(٥) سيرة ابن هشام ٢/ ٢٤٢.
(٦) تحدث : أى تتحدث .

الإمامُ أحمدُ[(١)] ، عن يعقوبَ بنِ إبراهيمَ ، عن أبيه ، عن محمدِ بنِ إسحاقَ ، به .

قال ابنُ إسحاقَ[(٢)] : هى التى طَرَحتِ الرَّحَا على خَلَّادِ بنِ سُوَيْدٍ فقَتَلَته . يعنى فقَتَلها رسولُ اللَّهِ ﷺ به . قاله[(٣)] ابنُ إسحاقَ فى موضعٍ آخرَ ، وسمَّاها نباتَةَ[(٤)] امرأةَ الحكَمِ القُرَظىِّ .

قال ابنُ إسحاقَ[(٥)] : ثُم إنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قَسَم أموالَ بنى قُرَيْظَةَ ونساءَهم وأبناءَهم على المسلمين بعدَما أخْرَج الخُمُسَ ، وقسَم للفارسِ ثلاثةَ أسْهُمٍ ؛ سهميْن للفرسِ وسهمًا لراكِبِه ، وسهمًا للراجلِ ، وكانت الخيلُ يومئذ سِتًّا وثلاثين .

قال[(٦)] : وكان أولَ فَىْءٍ وَقَعتْ فيه السُّهْمانُ وخُمِّس .

قال ابنُ إسحاقَ[(٧)] : وبَعَث [٣/٢٦و] رسولُ اللَّهِ ﷺ سعدَ[(٨)] بنَ زيدٍ[(٩)] بسبايا مِن بنى قُرَيْظَةَ إلى نَجْدٍ ، فابْتاع بها خَيلًا وسلاحًا ، وكان رسولُ اللَّهِ

---

(١) المسند ٦/ ٢٧٧. وأخرجه أبو داود من طريق محمد بن إسحاق به (٢٦٧١) . حسن (صحيح سنن أبى داود ٢٣٢٥) .

(٢) كذا فى النسخ. والقول فى السيرة لابن هشام ، لا ابن إسحاق . انظر سيرة ابن هشام ٢/ ٢٤٢.

(٣) فى م : « قال » . وهذا القول لم نجده لابن إسحاق فى سيرة ابن هشام التى بين أيدينا . ولعله فى مغازيه .

(٤) فى الأصل : غير منقوطة . وفى ص : « بانه » . وقد سمّاها أبو ذر الخشنى فى غريب السيرة ٣/٩ « بُنانَة » ، وسمّى زوجها « الحسن القرظى » .

(٥) سيرة ابن هشام ٢/ ٢٤٤، بنحوه .

(٦) أى ابن إسحاق . المصدر السابق .

(٧) سيرة ابن هشام ٢/ ٢٤٥، بنحوه .

(٨) فى م ، ص : « سعيد » . وانظر الاستيعاب ٢/ ٥٩٢. وأسد الغابة ٢/ ٣٥٠، ٣٥١.

(٩) بعده فى السيرة : « الأنصارى أخا بنى عبد الأشهل » .

ﷺ قد اصْطَفَى مِن نسائِهم رَيْحانَةَ بنتَ عمرِو بنِ خُنافةَ ، إحدى نساءِ بنى عمرِو بنِ قُرَيْظةَ ، وكان عليها[١] ، [٢]حتى تُوُفِّيَ عنها وهى فى مِلْكِه ، وقد كان رسولُ اللَّهِ ﷺ عرَض عليها الإسلامَ فامْتَنَعَتْ ، ثُم أسْلَمَتْ بعدَ ذلك ، فسُرَّ رسولُ اللَّهِ ﷺ بإسلامِها ، وقد عَرَض عليها[٢] أن يُعْتِقَها ويتزَوَّجَها ، فاختارتْ أن تَسْتَمِرَّ على الرِّقِّ ليكونَ أسهلَ عليها ، فلم تَزَلْ عندَه حتى تُوُفِّيَ ، عليه الصلاةُ والسلامُ .

ثُم تَكَلَّم ابنُ إسحاقَ[٣] على ما نَزَل مِن الآياتِ فى قصةِ الخندقِ مِن أولِ سورةِ الأحْزابِ . وقد ذكَرْنا ذلك مُسْتَقْصًى فى تفسيرِها[٤] . وللَّه الحمدُ والمِنَّةُ .

وقد قال ابنُ إسحاقَ[٥] : واسْتُشْهِد مِن المسلمين يومَ بنى قُرَيْظةَ خَلَّادُ بنُ سُوَيْدِ بنِ ثَعْلبَةَ بنِ عمرٍو الخزرجيُّ ، طُرِحَتْ عليه رَحًا فشَدَخَتْه شَدْخًا شديدًا ، فزَعَموا أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال : « إنَّ له لأجرَ شَهيدَيْن » . قلتُ : كان الذى أَلْقَى عليه الرَّحا ، تلك المرأةُ التى لم يُقْتَلْ مِن بنى قُرَيْظَةَ امرأةٌ غيرُها ، كما تقدَّم . واللَّهُ أعلمُ .

قال ابنُ إسحاقَ[٦] : ومات أبو سِنانِ بنُ مِحْصَنِ بنِ حُرْثانَ مِن بنى أسدِ بنِ خُزَيمةَ ، ورسولُ اللَّهِ ﷺ مُحاصِرٌ بنى قُرَيْظةَ ، فدُفِن فى مَقْبَرَتِهم اليومَ[٧] .

---

(١) عبارة السيرة : « فكانت عند رسول اللَّه ﷺ » .
(٢ - ٢) سقط من : الأصل .
(٣) سيرة ابن هشام ٢/٢٤٥ - ٢٥٠.
(٤) التفسير ٦/٣٨٤ - ٤٠١. سورة الأحزاب ، الآيات ٩ - ٢٧.
(٥) سيرة ابن هشام ٢/ ٢٥٤.
(٦) المصدر السابق .
(٧) عبارة السيرة : « التى يدفنون فيها اليوم » .

وفـاةُ سعـدِ بنِ معـاذٍ
رَضِىَ اللّـهُ عنه

قد تقدَّم[1] أن حِبّانَ بنَ العَرِقةِ ، لعَنه اللّهُ ، رَماه بسهمٍ فأصاب أكْحَلَه ، فحَسَمَه رسولُ اللّهِ ﷺ كيًّا بالنارِ ، فاسْتَمْسك الجُرْحُ ، وكان سعدٌ قد دَعا اللّهَ أن لا يُميتَه حتى يُقِرَّ عينَه مِن بنى قُرَيْظةَ ، وذلك حينَ نَقَضوا ما كان بينَهم وبينَ رسولِ اللّهِ ﷺ مِن العهودِ والمَواثيقِ والذِّمامِ ، ومالوا عليه مع الأحْزابِ ، فلمَّا ذَهَب الأحْزابُ وانْقَشَعوا عن المدينةِ ، وباءَتْ بنو قُرَيْظةَ بسَوادِ الوجهِ والصَّفْقةِ الخاسرةِ فى الدنيا والآخرةِ ، وسار إليهم رسولُ اللّهِ ﷺ ليُحاصِرَهم ، كما تقدَّم[2] ، فلمَّا ضَيَّق عليهم وأخَذَهم مِن كلِّ جانبٍ ، أنابوا إلى[3] أن يَنْزِلوا على حُكْمِ رسولِ اللّهِ ﷺ فيَحْكُمَ فيهم بما أراه اللّهُ ، فرَدَّ الحكمَ فيهم إلى رئيسِ الأوْسِ ، وكانوا حُلفاءَهم فى الجاهليَّةِ ، [٣/٢٦ظ] وهو سعدُ بنُ مُعاذٍ ، فرَضُوا بذلك ، ويقالُ : بل نزَلوا ابْتداءً على حكمِ سعدٍ ؛ لِمَا يَرْجُون مِن حُنُوِّه عليهم وإحسانِه ومَيْلِه إليهم ، ولم يَعْلَموا بأنَّهم أبْغَضُ إليه مِن أعْدادِهم مِن القِرَدَةِ والخَنازيرِ ؛ لشِدَّةِ إيمانِه وصِدِّيقيَّتِه ، رَضِىَ اللّهُ عنه وأرضاه ، فبَعَث إليه رسولُ اللّهِ ﷺ ، وكان فى خَيْمةٍ فى المسجدِ النبوىِّ ، فجِىءَ به على حمارٍ

---

(١) تقدم فى صفحة ٨٦ ، ٨٨ .

(٢) تقدم فى صفحة ٧٤ ، ٧٧ .

(٣) زيادة من : ص .

تحتَه إكافٌ قد وُطِّئَ تحتَه لمرضِه، ولمَّا قارَب خَيْمةَ الرسولِ ﷺ أمَر، عليه السلامُ، مَن هناك بالقيامِ له، قيلَ: ليُنَزَّلَ مِن شدَّةِ مرضِه. وقيل: تَوْقيرًا له بحَضْرَةِ المحْكومِ عليهم؛ ليكونَ أبْلَغَ فى نُفوذِ حُكْمِه. واللَّهُ أعلمُ. فلمَّا حكَم فيهم بالقَتْلِ والسَّبْيِ، وأقرَّ اللَّهُ عينَه وشفَى صدرَه منهم، وعاد إلى خَيْمتِه مِن المسجدِ النبوىِّ صُحْبَةَ رسولِ اللَّهِ ﷺ، دَعا اللَّهَ، عزَّ وجلَّ، أن تكونَ له شَهادةً، واختار اللَّهُ له ما عندَه، فانْفَجَر جُرْحُه مِن الليلِ، فلم يَزَلْ يَخْرُجُ منه الدمُ حتى مات، رَضِى اللَّهُ عنه[1].

قال ابنُ إسحاقَ[2]: فلمَّا انقضَى شأنُ بنى قُرَيْظةَ انْفَجَر بسعدِ بنِ مُعاذٍ جُرْحُه، فمات منه شهيدًا، حدَّثنى مُعاذُ بنُ رِفاعةَ الزُّرَقِىُّ قال: حَدَّثنى مَن شِئْتُ مِن رجالِ قومى، أنَّ جبريلَ أتَى رسولَ اللَّهِ ﷺ، حينَ قُبِض سعدُ بنُ معاذٍ، مِن جَوْفِ الليلِ، مُعْتَجِرًا بعِمامةٍ مِن إسْتَبْرَقٍ، فقال: يا محمدُ، مَن هذا الميِّتُ الذى فُتِحت له أبوابُ السماءِ، واهْتَزَّ له العرشُ؟ قال: فقام رسولُ اللَّهِ ﷺ سريعًا يَجُرُّ ثوبَه إلى سعدٍ، فوَجَده قد مات، رَضِى اللَّهُ عنه. هكذا ذكَره ابنُ إسحاقَ، رَحِمه اللَّهُ.

وقد قال الحافظُ البيهقىُّ فى «الدلائلِ»[3]: حدَّثنا أبو عبدِ اللَّهِ الحافظُ، حدَّثنا أبو العباسِ محمدُ بنُ يَعْقوبَ، حدَّثنا محمدُ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ عبدِ الحكَمِ، حدَّثنا أَبى، وشُعَيْبُ بنُ اللَّيْثِ، قالا: حدَّثنا اللَّيْثُ بنُ سعدٍ، عن يَزيدَ بنِ

---

(١) بعده فى ص: «كما تقدم فى الأحاديث الصحيحة والحسان».

(٢) سيرة ابن هشام ٢/ ٢٥٠، ٢٥١.

(٣) دلائل النبوة ٤/ ٢٩.

الهادِ ، عن مُعاذِ بنِ رِفاعةَ ، عن جابرِ بنِ عبدِ اللَّهِ قال : جاء جبريلُ إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ فقال : مَن هذا العبدُ الصالحُ الذى مات ففُتِحَتْ[1] له أبوابُ السماءِ ، وتحرَّك له العرشُ ؟ قال : فخرَج رسولُ اللَّهِ ﷺ فإذا سعدُ بنُ مُعاذٍ . قال : فجَلَس رسولُ اللَّهِ ﷺ [٣/٢٧و] على قبرِه وهو يُدْفَنُ ، فبينَما هو جالسٌ إذ قال : « سُبحانَ اللَّهِ » . مرَّتين ، فسبَّح القومُ . ثُم قال : « اللَّهُ أكبرُ ، اللَّهُ أكبرُ » . فكَبَّر القومُ . فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « عَجِبْتُ لهذا العبدِ الصالحِ ، شُدِّدَ عليه فى قبرِه ، حتى كان هذا حينَ فُرِّجَ له » .

وروَى الإمامُ أحمدُ والنَّسائىُّ[2] مِن طريقِ يزيدَ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ أُسامةَ بنِ الهادِ ، ويحيى بنِ سعيدٍ ، عن مُعاذِ بنِ رِفاعةَ ، عن جابرٍ قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ لسعدٍ يومَ مات وهو يُدْفَنُ : « سبحانَ اللَّهِ لهذا العبدِ[3] الصالحِ الذى تحرَّك له عرشُ الرحمنِ ، وفُتِحَتْ له أبوابُ السماءِ ، شُدِّد عليه ، ثُم فَرَّج اللَّهُ عنه » .

وقال محمدُ بنُ إسحاقَ[4] : حدَّثنى مُعاذُ بنُ رِفاعةَ ، عن محمودِ بنِ عبدِ الرحمنِ بنِ عمرِو بنِ الجَمُوحِ ، عن جابرِ بنِ عبدِ اللَّهِ قال : لمَّا دُفِن سعدٌ ونحن مع رسولِ اللَّهِ ﷺ ، سبَّح رسولُ اللَّهِ ﷺ ، فسَبَّح الناسُ معه ، ثُم كَبَّر فكبَّر الناسُ معه ، فقالوا : يا رسولَ اللَّهِ ، مِمَّ سَبَّحْتَ ؟ قال : « لقد تَضايَقَ على هذا العبدِ الصالحِ قبرُه ، حتى فَرَّجَه اللَّهُ عنه » . وهكذا رَواه الإمامُ أحمدُ ، عن

---

(١) فى النسخ : « فتحت » . والمثبت من الدلائل .

(٢) المسند ٣/٣٢٧، والنسائى فى الكبرى (٨٢٢٤) بنحوه . وكذا أخرجه الحاكم فى المستدرك ٣/ ٢٠٦ وصححه ووافقه الذهبى .

(٣) سقط من : م .

(٤) سيرة ابن هشام ٢/ ٢٥١، ٢٥٢.

يَعقوبَ بنِ إبراهيمَ بنِ سعدٍ ، عن أبيه ، عن ابنِ إسحاقَ ، به[1] .

قال ابنُ هشامٍ[2] : ومَجازُ هذا الحديثِ قولُ عائشةَ : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « إنَّ للقبرِ ضَمَّةً ، لو كان أحدٌ منها ناجيًا لكان سعدَ بنَ مُعاذٍ » .

قلتُ : وهذا الحديثُ قد رَواه الإمامُ أحمدُ[3] : حدَّثنا يَحْيَى ، عن شُعبةَ ، عن سعدِ بنِ إبراهيمَ ، عن نافعٍ ، عن عائشةَ ، عن النبيِّ ﷺ قال : « إن للقبرِ ضَغْطَةً ، ولو كان أحدٌ ناجيًا منها لنَجا سعدُ بنُ مُعاذٍ » . وهذا الحديثُ سَنَدُه على شرطِ « الصحيحين » إلَّا أن الإمامَ أحمدَ رَواه عن غُنْدَرٍ ، عن شُعْبَةَ ، عن سعدِ بنِ إبراهيمَ ، عن إنسانٍ ، عن عائشةَ ، به[4] .

وقد رَواه الحافظُ البَزَّارُ[5] ، عن نافعٍ ، عن ابنِ عمرَ قال[6] : [7] حدَّثنا عبدُ الأعْلى [7]

---

(١) المسند ٣/ ٣٦٠، ٣٧٧. قال الهيثمي في المجمع : رواه أحمد والطبراني في الكبير ، وفيه محمود بن محمد بن عبد الرحمن بن عمرو بن الجموح ، قال الحسيني : « فيه نظر » . قلت : ولم أجد من ذكره غيره . اهـ .

(٢) سيرة ابن هشام ٢/ ٢٥٢.

(٣) المسند ٦/ ٥٥. قال الهيثمي في المجمع ٣/ ٤٦: رواه أحمد عن نافع عن عائشة ، وعن نافع عن إنسان عن عائشة - قلت : وهذا الطريق سيذكره المصنِّف بعد - وكلا الطريقين رجالها رجال الصحيح .

(٤) كذا في النسخ : « عن سعد بن إبراهيم عن إنسان عن عائشة » . والصواب : « عن سعد بن إبراهيم عن نافع عن إنسان عن عائشة » . وهذا الذى ذكره الهيثمي في المجمع . وانظر المسند ٦/ ٥٥، ٩٨، وجامع المسانيد للمصنف ٣٧/ ٢٨٠، وأطراف المسند ٩/ ٢٤٧، ٢٩٩.

(٥) كشف الأستار (٢٦٩٩) ولم يذكر اللفظ وإنما الإسناد . وذكره الهيثمي في المجمع ٩/ ٣٠٨. وقال : رواه البزار بإسنادين ، ورجال أحدهما رجال الصحيح .

قلت : وإسنادنا هذا الذى رجاله رجال الصحيح . والآخر هو الآتي بعد .

(٦) أي البزار .

(٧ - ٧) سقط من : الأصل .

(١ابنُ حَمَّادٍ، حدَّثنا داودُ بنُ(٢) عبدِ الرحمنِ، حدَّثنا عُبَيْدُ اللَّهِ بنُ عمرَ، عن نافعٍ، عن ابنِ عمرَ قال١) : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «لقد هَبَط يومَ مات سعدُ بنُ مُعاذٍ سبعون ألفَ مَلَكٍ إلى الأرضِ، لم يَهْبِطوا قبلَ ذلك، ولقد ضَمَّه القبرُ ضَمَّةً». قال(٣): ثُم بَكَى نافعٌ. وهذا إسنادٌ جيدٌ، لكنْ قال البزارُ: رَواه غيرُه، عن عُبَيْدِ اللَّهِ، عن نافعٍ مُرْسَلًا.

ثُم رَواه البزَّارُ(٤)، عن سليمانَ بنِ سيفٍ، عن أبى عَتَّابٍ، عن مسكينِ(٥) ابنِ عبدِ اللَّهِ بنِ عبدِ الرحمنِ بنِ يزيدَ(٦) [٢٧/٣ظ] بنِ الخطابِ، عن نافعٍ، عن ابنِ عمرَ قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «لقد نَزَل لموتِ سعدِ بنِ مُعاذٍ سبعون ألفَ مَلَكٍ، ما وَطِئوا الأرضَ قبلَها». وقال حينَ دُفِن: «سبحانَ اللَّهِ لو انْفَلَت أحدٌ مِن ضَغْطةِ القبرِ لَانْفَلَتَ منها سعدٌ».

قال البزَّارُ(٧): حدَّثنا إسماعيلُ بنُ حَفْصٍ، حدَّثنا محمدُ(٨) بنُ فُضَيْلٍ، حدَّثنا عَطاءُ بنُ السَّائبِ، عن مُجاهدٍ، عن ابنِ عمرَ قال: اهتَزَّ العرشُ لحُبِّ لقاءِ اللَّهِ سعدَ بنَ مُعاذٍ. قال(٩): فقال(١٠): إنَّما يعنى السَّريرَ. ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ

(١ - ١) سقط من: الأصل.
(٢) فى م: «عن». وهو داود بن عبد الرحمن العطار، أبو سليمان المكى. انظر تهذيب الكمال ٨/ ٤١٣، ٤١٤.
(٣) سقط من: م.
(٤) كشف الأستار (٢٦٩٨).
(٥) فى النسخ: «سكين». والمثبت من كشف الأستار.
(٦) فى النسخ: «زيد». والمثبت من كشف الأستار.
(٧) كشف الأستار (٢٦٩٧).
(٨) فى كشف الأستار: «يحيى». وانظر تهذيب الكمال ٢٩٣/٢٦.
(٩) زيادة من: ص.
(١٠) سقط من: الأصل. وفى م، ص: «فقيل». والمثبت من كشف الأستار. ويشهد له قول=

عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴾ [يوسف: ١٠٠]. قال: تَفَسَّخَتْ[1] أعْوادُه. قال: ودخَل رسولُ اللَّهِ ﷺ قبرَه فاحْتُبس، فلمَّا خرَج قيل له: يا رسولَ اللَّهِ، ما حَبَسَك؟ قال: «ضُمَّ سعدٌ فى القبرِ ضَمَّةً، فدَعَوْتُ اللَّهَ فكشَف عنه». قال البزَّارُ: تفرَّد به عطاءُ بنُ السائبِ. قلتُ: وهو مُتَكَلَّمٌ فيه[2].

وقد ذكَر البيهقىُّ[3]، رحِمه اللَّهُ، بعدَ روايتِه ضَمَّةَ سعدٍ، رَضِى اللَّهُ عنه، فى القبرِ، أثَرًا غريبًا فقال: حدَّثنا أبو عبدِ اللَّهِ الحافظُ، حدَّثنا أبو العباسِ، حدَّثنا أحمدُ بنُ عبدِ الجَبَّارِ، حدَّثنا يونُسُ، عن ابنِ إسحاقَ، حدَّثنى أميةُ بنُ[4] عبدِ اللَّهِ أنَّه سأَل بعضَ أهلِ سعدٍ: ما بَلَغَكم مِن قولِ رسولِ اللَّهِ ﷺ فى هذا؟ فقالوا: ذُكِر لنا أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ سُئِل عن ذلك فقال: «كان يُقَصِّرُ[5] فى بعضِ الطُّهورِ مِن البولِ».

وقال البخارىُّ[6]: حدَّثنا محمدُ بنُ المُثَنَّى، حدَّثنا الفَضْلُ بنُ مُسَاوِرٍ، حدَّثنا أبو عَوانَةَ[7] عن الأعمشِ، عن أبى سفيانَ، عن جابرٍ قال: سمِعْتُ النبىَّ

= الحافظ: قال ابن عمر: يعنى عرش سعد الذى حمل عليه. فتح البارى ٧/ ١٢٤. وقال البزار عقب الحديث: «هذا الحديث بهذا التفسير، لا نعلمه إلا عن ابن عمر».

(١) فى م: «تفتحت».

(٢) وذلك لأنه اختلط فى آخر عمره. انظر تهذيب الكمال ٢٠/٨٦ - ٩٤. والكواكب النيرات ص ٣١٩.

(٣) دلائل النبوة ٤/ ٣٠.

(٤) فى الأصل: «عن».

(٥) فى الأصل: «نقص».

(٦) البخارى (٣٨٠٣).

(٧) فى الأصل، م: «معاوية».

ﷺ يقولُ : « اهتزَّ العرشُ لموتِ سعدِ بنِ مُعاذٍ » . وعن الأعمشِ[1] ، حدَّثنا أبو صالحٍ ، عن جابرٍ ، عن النبيِّ ﷺ مثلَه ، فقال رجلٌ لجابرٍ : فإن البَراءَ بنَ عازِبٍ يقولُ : اهتزَّ السَّريرُ . فقال[2] : إنَّه كان بينَ هذين الحَيَّيْنِ ضَغائِنُ[3] ، سَمِعْتُ النبيَّ ﷺ يقولُ : « اهتزَّ عرشُ الرحمنِ لموتِ سعدِ بنِ مُعاذٍ » . ورَواه مسلمٌ ، عن عمرٍو الناقدِ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ إدْريسَ ، وابنُ ماجه ، عن عليِّ بنِ محمدٍ ، عن أبي مُعاويةَ ، كلاهما عن الأعْمشِ ، به[4] . وليس عندَهما زيادةُ قولِ الأعْمشِ ، عن أبي صالحٍ ، عن جابرٍ .

وقال أحمدُ[5] : حدَّثنا عبدُ الرزاقِ ، عن ابنِ جُرَيْجٍ ، أخبرني أبو الزُّبيرِ ، أنَّه سَمِع جابرَ بنَ عبدِ اللَّهِ يقولُ : سَمِعْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ وجِنازةُ سعدِ بنِ مُعاذٍ بينَ أيديـهم : « اهتزَّ لها عرشُ الرحمنِ » . ورَواه مسـلمٌ ، عن عبدِ بنِ [٣/٢٨و] حُمَيْدٍ ، والتِّرمِذيُّ ، عن محمودِ بنِ غَيْلانَ ، كلاهما عن [6] عبدِ الرزاقِ [6] ، به[7] .

---

(١) قال الحافظ : هو معطوف على الإسناد الذى قبله ، وهذا من شأن البخارى فى حديث أبى سفيان طلحة بن نافع ، صاحبِ جابرٍ ، لا يخرج له إلا مقرونًا بغيره أو استشهادًا . فتح البارى ١٢٣/٧ .

(٢) سقط من : الأصل ، م .

(٣) قال الحافظ : وإنما قال جابر ذلك إظهارًا للحق واعترافًا بالفضل لأهله ، فكأنه تعجَّب من البراء كيف قال ذلك مع أنه أوسى - يعنى مع أن سعد بن معاذ أوسى أيضًا - ثم قال : أنا وإن كنت خزرجيا ، وكان بين الأوس والخزرج ما كان ، لا يمنعنى ذلك أن أقول الحق . وذكر الحديث ، والعذر للبراء أنه لم يقصد تغطية فضل سعد ، وإنما فهم ذلك فجزم به ، هذا الذى يليق أن يُظَنَّ به ، وهو دالٌّ على عدم تعصُّبه . المصدر السابق .

(٤) مسلم (٢٤٦٦/١٢٤) ، وابن ماجه (١٥٨) .

(٥) المسند ٣/ ٢٩٥، ٢٩٦.

(٦ - ٦) فى الأصل : « عبد الرحمن » . وانظر تهذيب الكمال ١٨/ ٥٢.

(٧) مسلم (٢٤٦٦) ، والترمذى (٣٨٤٨) .

وقال الإمامُ أحمدُ[1] : حدَّثنا يحيى بنُ سعيدٍ ، حدَّثنا عَوْفٌ[2] ، حدَّثنا أبو نَضْرةَ ، سمِعْتُ أبا سعيدٍ ، عن النبيِّ ﷺ : « اهتزَّ العرشُ لموتِ سعدِ بنِ مُعاذٍ » .

ورَواه النَّسائيُّ ، عن يعقوبَ بنِ إبراهيمَ ، عن يَحْيَى ، به[3] .

وقال أحمدُ[4] : حدَّثنا عبدُ الوهَّابِ ، عن سعيدٍ ، قال قَتادةُ : حدَّثنا[5] أنسُ ابنُ مالكٍ أن رسولَ اللَّهِ ﷺ قال وجِنازتُه موضوعةٌ : « اهتزَّ لها عرشُ الرحمنِ » . ورَواه مسلمٌ ، عن محمدِ بنِ عبدِ اللَّهِ الرُّزِّيِّ[6] ، عن عبدِ الوهَّابِ ، به[7] .

وقد روَى البيهقيُّ[8] مِن حديثِ المُعْتَمِر بنِ سُليمانَ ، عن أبيه ، عن الحسنِ البَصْريِّ قال : اهتزَّ عرشُ الرحمنِ فَرَحًا برُوحِه .

وقال الحافظُ (9)أبو بكرٍ(9) البَزّارُ[10] : حدَّثنا زُهَيْرُ بنُ محمدٍ ، حدَّثنا

---

(1) المسند ٣/ ٢٣، ٢٤.

(2) في المسند : « عون » . وهو تحريف ، وانظر تحفة الأشراف ٣/ ٤٦٨، وتهذيب الكمال ٢٢/ ٤٣٧.

(3) النسائي في الكبرى (٨٢٢٥) .

(4) المسند ٣/ ٢٣٤.

(5) في المسند : « وحدثنا » . وهو خطأ . إذ كل سياقات أحاديث أنس عنده من طريق قتادة عن أنس . وانظر تهذيب الكمال ٢٣/ ٤٩٨.

(6) في النسخ : « الأزدي » . والمثبت من صحيح مسلم . وانظر الأنساب ١/ ١١١، وتهذيب الكمال ٢٥/ ٥٧٥.

(7) مسلم (٢٤٦٧) .

(8) دلائل النبوة ٤/ ٢٨.

(9 - 9) زيادة من : الأصل ، ص .

(10) أخرجه الترمذي (٣٨٤٩) من طريق عبد الرزاق به ، نحوه . صحيح (صحيح سنن الترمذي ٣٠٢٤) .

عبدُ الرَّزّاقِ ، حدَّثنا مَعْمَرٌ ، عن قَتادةَ ، عن أنسٍ قال : لما حُمِلَت جِنازةُ سعدٍ قال المُنافقون : ما أخَفَّ جِنازَتَه . وذلك لحُكْمِه فى بنى قُرَيْظَةَ ، فسُئِل رسولُ اللَّهِ ﷺ فقال : « لا ، ولكنَّ الملائكةَ (١كانت تَحْمِلُه١) » . إسنادٌ جيدٌ .

(٢**فائدةٌ** : قال الشيخُ أبو عمرَ بنُ عبدِ البرِّ(٣) : حديثُ اهتزازِ العرشِ ثابتٌ مُتواتِرٌ . قال السُّهَيْلِيُّ(٤) : رَواه جماعةٌ مِن الصَّحابةِ ؛ منهم جابرٌ ، وأبو سعيدٍ ، وأسيدُ بنُ حُضيرٍ ، ورُمَيْثَةُ(٥) بنتُ عمرٍو . قال(٦) : وهو محمولٌ على الحقيقةِ ؛ لأنَّ العرشَ لا يَمْتَنِعُ عليه الحركةُ والاهتزازُ . قال : وما رُوِى عن مالكٍ مِن تضعيفِه لهذا الحديثِ ، وتَوْهِينِه للتحدُّثِ به ، فلعلَّه لم يَصِحَّ عنه ذلك ، واللَّهُ أعلمُ٢) .

وقال البخاريُّ(٧) : حدَّثنا محمدُ بنُ بَشّارٍ ، حدَّثنا غُنْدَرٌ ، حدَّثنا شُعبةُ ، عن أبى إسحاقَ ، سمِعْتُ البَراءَ بنَ عازِبٍ يقولُ : أُهْدِيَتْ للنبيِّ ﷺ حُلَّةُ حَريرٍ ، فجَعَل أصحابُه يَمَسُّونها ، ويَعْجَبون مِن لِينِها ، فقال : « أتَعْجَبون مِن لِينِ هذه ، لَمَنادِيلُ سعدِ بنِ معاذٍ خيرٌ منها أو ألْيَنُ » . ثُم قال : رَواه قَتادةُ والزهريُّ ، سمِعْنا(٨) أنسًا ، عن النبيِّ ﷺ(٩) .

(١ - ١) فى الأصل ، م : « تحملته » .
(٢ - ٢) زيادة من : ص .
(٣) الاستيعاب ٢/ ٦٠٤، بنحوه .
(٤) الروض الأنف ٦/ ٣٤٠، ٣٤١، بنحوه .
(٥) فى ص : « ريثة » . والمثبت من الروض . وانظر أسد الغابة ٧/ ١١٩، والإصابة ٧/ ٦٥٦.
(٦) أى السهيلى .
(٧) البخارى (٣٨٠٢) .
(٨) فى صحيح البخارى : « سمعا » .
(٩) قال الحافظ : أما رواية قتادة فوصلها المؤلف - أى البخارى - فى الهبة ، وأما رواية الزهرى فوصلها فى اللباس . فتح البارى ٧/ ١٢٣.

وقال أحمدُ[(١)] : حدَّثنا عبدُ الوهَّابِ ، عن سعيدٍ ، هو ابنُ أبى عَرُوبةَ ، عن قَتادةَ ، عن أنسِ بنِ مالكٍ ، أنَّ أُكَيْدِرَ دُومَةَ أَهْدَى إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ جُبَّةً ، وذلك قبلَ أن يُنْهَى عن الحريرِ فلَبِسَها ، فعَجِب الناسُ منها ، فقال : « والذى نفسُ محمدٍ بيدِه ، لَمَناديلُ سعدٍ فى الجنةِ أحْسنُ مِن هذه » . وهذا إسنادٌ على شرطِ الشيخين ، ولم يُخْرِجوه ، وإنَّما ذَكَره البخاريُّ تَعْليقًا[(٢)] .

وقال أحمدُ[(٣)] : حدَّثنا يزيدُ ، حدَّثنا محمدُ بنُ عمرٍو ، حدَّثنى واقِدُ بنُ عمرِو بنِ سعدِ[(٤)] بنِ معاذٍ - قال محمدٌ : وكان واقِدٌ مِن أحْسنِ الناسِ وأعْظَمِهم وأطْوِلِهم - قال : دخَلْتُ على أنسِ بنِ مالكٍ فقال لى : من أنت ؟ قلتُ : أنا واقدُ بنُ عمرِو بنِ سعدِ بنِ مُعاذٍ . فقال : إنَّك بسعدٍ لَشَبِيهٌ . ثُم بكَى وأكْثَر البُكاءَ ، وقال : رَحْمةُ اللَّهِ على سعدٍ ، كان مِن أعْظمِ [٣/ ٢٨ظ] الناسِ وأطْوِلِهم . ثُم قال : بعَث رسولُ اللَّهِ ﷺ جيشًا إلى أُكَيْدِرِ دُومَةَ ، فأرْسَل إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ بجُبَّةٍ مِن دِيباجٍ ، مَنسوجٍ فيها الذهَبُ ، فلَبِسها رسولُ اللَّهِ ﷺ ، فقام على المِنبرِ أو[(٥)] جلَس فلم يَتَكَلَّمْ ، ثُم نَزَل فجعَل الناسُ يَلْمَسون الجُبَّةَ ، وينْظُرون إليها ، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « أتَعْجَبون منها[(٦)] ، لَمَناديلُ سعدِ ابنِ مُعاذٍ فى الجنةِ أحْسنُ ممَّا تَرَوْنَ » . وهكذا رَواه الترمذيُّ والنَّسائىُّ ، مِن

(١) المسند ٣/ ٢٣٤.
(٢) البخارى (٢٦١٦) .
(٣) المسند ٣/ ١٢١، ١٢٢.
(٤) فى ص : « سعيد » .
(٥) فى م : « و » .
(٦) بعده فى المسند : « قالوا : ما رأينا ثوبًا قط أحسن منه . فقال النبى ﷺ » .

حديثِ (١) محمدِ بنِ (١) عمرٍو به (٢)، وقال الترمذىُّ : حسنٌ صحيحٌ .

قال ابنُ إسحاقَ (٣)، بعدَ ذِكْرِ اهتزازِ العرشِ لموتِ سعدِ بنِ مُعاذٍ : وفى ذلك يقولُ رجلٌ مِن الأنصارِ :

وما اهتزَّ عرشُ اللَّهِ مِن موتِ هالكٍ ... سَمِعْنا به إلَّا لسعدِ أبى عمرِو

قال (٤) : وقالت أُمُّه - يعنى كُبَيْشةَ بنتَ رافعِ بنِ مُعاويةَ بنِ عُبَيدِ بنِ ثعلبةَ الخُدْرِيَّةَ الخزْرجيَّةَ (٥) - حينَ احْتُمِل سعدٌ على نَعْشِه تَنْدُبُه :

وَيْـلُ امِّ سـعـدٍ سـعـدَا ... صَـرامـةً وحَـدًّا

وسُـؤْدُدًا ومَـجْـدَا ... وفـارسًـا مُـعَـدًّا

سُـدَّ بـه مَـسَـدَّا ... يَـقُـدُّ (٦) هـامًـا قَـدًّا

قال (٤) : يقولُ رسولُ اللَّهِ ﷺ : « كلُّ نائحةٍ تَكْذِبُ إلَّا نائحةَ سعدِ بنِ مُعاذٍ » .

قلتُ : كانت وفاتُه بعدَ انصرافِ الأحْزابِ بنحْوٍ مِن خمسٍ وعشرين ليلةً ، وكان قُدومُ الأحْزابِ فى شَوَّالٍ سنةَ خمسٍ كما تقدَّم (٧) ، فأقاموا قريبًا مِن

(١ - ١) سقط من : الأصل .
(٢) الترمذى (١٧٢٣)، والنسائى (٥٣١٧). صحيح (صحيح سنن الترمذى ١٤٠٧).
(٣) سيرة ابن هشام ٢٥٢/٢ بنحوه .
(٤) أى ابن إسحاق . المصدر السابق .
(٥) ما بين الحاصرتين كلام ابن هشام ، كما فى السيرة .
(٦) يقد : يشقّ . انظر الوسيط (ق د د) .
(٧) تقدم فى صفحة ٩.

شهرٍ، ثُم خَرَج رسولُ اللَّهِ ﷺ لحصارِ بنى قُرَيْظةَ فأقام عليهم خمسًا وعشرين ليلةً، ثُم نزَلوا على حكمِ سعدٍ، فمات بعدَ حُكمِه عليهم بقليلٍ، فيكونُ ذلك فى أواخرِ ذى القَعْدةِ أو أوائلِ ذى الحِجَّةِ مِن سنةِ خمسٍ. واللَّهُ أعلمُ. وهكذا قال محمدُ بنُ إسحاقَ[(١)]: إنَّ فَتْحَ بنى قُرَيْظةَ كان فى ذى القَعْدةِ وصَدْرِ ذى الحِجَّةِ. قال[(٢)]: ووَلِىَ تلك الحِجَّةَ المشركون.

قال ابنُ إسحاقَ[(٣)]: وقال حسَّانُ بنُ ثابتٍ[(٤)] يَرْثِى سعدَ بنَ مُعاذٍ، رَضِى اللَّهُ عنه:

لقد سجَمَتْ مِن دَمْعِ عينىَ عَبْرةٌ ... وحُقَّ لعَيْنِى أن تَفِيضَ على سعدِ[(٥)]
قَتيلٌ ثَوَى فى مَعْرَكٍ فُجِعَتْ به ... عيونٌ ذَوارِى الدمْعِ دائمةُ الوَجْدِ[(٦)]
على ملَّةِ الرحمنِ وارِثِ جَنةٍ ... مع الشُّهَداءِ وَفْدُها أكْرَمُ الوَفْدِ
[٣/ ٢٩و] فإن تَكُ قد وَدَّعْتَنا[(٧)] وترَكْتَنا ... وأمْسَيْتَ فى غَبْراءَ مُظْلِمةِ اللَّحْدِ[(٨)]

---

(١) سيرة ابن هشام ٢/ ٢٧٩.
(٢) أى ابن إسحاق. المصدر السابق.
(٣) المصدر السابق ٢/ ٢٦٩، ٢٧٠.
(٤) ديوان حسان ص ١١٤.
(٥) سجمت: أى سالت، يقال: سجم الدمع. إذا سال. والعَبرة: الدمعة. شرح غريب السيرة ٣/ ٢٨.
(٦) ثوى: أى أقام. والمعرك: موضع القتال فى الحرب. وذوارى الدمع: أى سائلة الدمع. والوجد: الحزن. المصدر السابق.
(٧) فى م: «وعدتنا».
(٨) فى غبراء: يعنى القبر. واللحد: ما يُلْحَد - أى يُشَقُّ - للميت فى جانب القبر. انظر المصدر السابق. والوسيط (ل ح د).

فأنت الذى يا سعدُ أُبْتَ[1] بمَشْهَدٍ　　كـريمٍ وأثـوابِ المكـارِمِ والحمـدِ[2]

بحُكْمِكَ فى حَيَّىْ قُرَيْظَةَ بالذى　　قضَى اللَّهُ فيهم ما قضَيْتَ على عَمْدِ

فوافقَ حُكْمَ اللَّهِ حُكْمُكَ فيهمُ　　ولم تَعْفُ إذ ذُكِّرْتَ ما كان مِن عهدِ

فإن كان رَيْبُ الدَّهْرِ أمْضاك فى الأُلَى[3]　　شَرَوْا هذه الدنيا بجَنَّاتِها الخُلْدِ

فنِعْمَ مَصيرُ الصادِقِين إذا دُعُوا　　إلى اللَّهِ يومًا للوَجاهةِ والقَصْدِ

---

(١) أبت : عُدتَ ورجعتَ .

(٢) فى م ، ص : « والمجد » . والمثبت موافق لما فى الديوان والسيرة .

(٣) الألى هنا بمعنى الذين . شرح غريب السيرة ٣ / ٢٨ .

فصلٌ فيما قيلَ مِن الأشعارِ
فى الخندقِ وبنى قُرَيْظةَ

قال البخاريُّ[1] : حدَّثنا حَجّاجُ بنُ مِنهالٍ ، حدَّثنا شُعبةُ ، حدَّثنا عَدِيُّ بنُ ثابتٍ ، أنه سمِع البَراءَ بنَ عازِبٍ قال : قال النبيُّ ﷺ لحسانَ : « اهْجُهم - أو هاجِهم - وجبريلُ معك » .

قال البخاريُّ[2] : وزاد إبراهيمُ بنُ طَهْمانَ ، عن الشَّيْبانيِّ ، عن عَدِيِّ بنِ ثابتٍ ، عن البَرَاءِ بنِ عازبٍ قال : قال النبيُّ ﷺ يومَ قُرَيْظةَ لحسانَ بنِ ثابتٍ : « اهْجُ المشركين ، فإنَّ جبريلَ معك » . وقد رَواه البخاريُّ أيضًا ، ومسلمٌ والنَّسائيُّ ، مِن طُرُقٍ ، عن شُعبةَ ، بدونِ الزيادةِ التى ذكَرها البخاريُّ يومَ بنى قُرَيْظةَ[3] .

قال ابنُ إسحاقَ ، رحِمه اللَّهُ[4] : وقال ضِرارُ بنُ الخطابِ بنِ مِرْداسٍ ، أخو بنى مُحارِبِ بنِ فِهْرٍ فى يومِ الخندقِ - قلتُ : وذلك قبلَ إسلامِه - :

ومُشْفِقةٍ تظُنُّ بنا الظُّنونا ... وقد قُدْنا عَرَنْدَسَةً طَحُونَا[5]

---

(١) البخارى (٤١٢٣) .

(٢) البخارى (٤١٢٤) .

(٣) البخارى (٣٢١٣، ٦١٥٣) ، ومسلم (٢٤٨٦) ، والنسائى فى الكبرى (٦٠٢٤، ٦٠٢٥) .

(٤) سيرة ابن هشام ٢/ ٢٥٤، ٢٥٥ .

(٥) العرنْدَسة : الشديدة القوة ، ويعنى بها الكتيبة . والطحون : التى تطحن كل ما مرت به . انظر شرح غريب السيرة ٣/ ١٣ .

كـأنَّ زُهـاءَهـا[1] أُحُـدٌ إذا مـا بـدَتْ أركـانُـه لـلـنـاظـرِيـنَـا
تـرَى الأبْـدانَ فيهـا مُـسْبِـغـاتٍ على الأبطالِ واليَلَبَ الحَصِينَا[2]
[3]وجُـرْدًا[3] كـالقِـداحِ مُـسَوَّماتٍ نَـؤُمُّ بـهـا الـغُـواةَ الخَاطِـئِـينَا[4]
كـأنَّـهـمُ إذا صـالـوا وَصُـلْـنـا بـبـابِ الخَنْدَقَـيْـن مُـصافـحُـونـا
أُنـاسٌ لا نَـرَى فيهـم رَشِـيـدًا وقـد قـالـوا أَلَـسْـنـا راشِـدِيـنـا
فـأحْـجَـرْنـاهـمُ شـهـرًا كَـرِيتًـا وكـنَّـا فـوقَـهـم كـالـقـاهِـرِيـنَـا[5]
نُـراوِحُـهـم ونَـغْـدُو كـلَّ يـومٍ عليهـم فـى السِّلاحِ مُدَجَّجِينَا
بـأيْـدِيـنـا صَـوارِمُ مُـرْهَـفَـاتٌ نَـقُـدُّ بـهـا المَفـارِقَ والـشُّـئـونـا[6]
[٣/٢٩ظ] كأنَّ وَمِيضَهُنَّ مُعَرَّياتٍ إذا لاحـت بـأيْـدى مُـصْـلِـتِيـنا[7]
وَمِـيضُ عَـقِـيـقـةٍ[8] لمَعَتْ بـلـيـلٍ تـرَى فـيـهـا الـعَـقـائـقَ[9] مُـسْـتَـبِـيـنَا

---

(١) زهاءها: أى تقدير عددها.
(٢) الأبدان هنا: الدروع. والمسبغات: الكاملة. واليلب: الترسة. وقيل: الدَّرَق. المصدر السابق ٣/ ١٣، ١٤. وانظر الروض الأنف ٦/ ٣٦٦.
(٣ - ٣) فى الأصل: «وخودا».
(٤) الجرد: الخيل العتاق. والقداح: السهام. والمسومات: المرسلة. ونؤم: نقصد. شرح غريب السيرة ٣/ ١٤.
(٥) أحجرناهم: حصرناهم. وكريتا: تاما كاملا. انظر المصدر السابق.
(٦) الصوارم: السيوف. ومرهفات: قاطعة. وتقد: تقطع. والمفارق جمع مفرق، وهو حيث يتفرق الشعر فى أعلى الجبهة. والشئون هنا: مجتمع العظام فى أعلى الرأس. المصدر السابق.
(٧) الوميض: اللمعان. والمصلت: الذى جرَّد سيفه من غمده. المصدر السابق.
(٨) العقيقة هنا: السحابة التى تنشق عن البرق. المصدر السابق.
(٩) العقائق: السيوف تلمع كالبروق. الوسيط (ع ق ق).

فلَوْلا خَندقٌ كانوا لَدَيْه   لَدمَّرْنا عليهم أجْمَعِينا
ولكن حالَ دونَهمُ وكانوا   به مِن خَوْفِنا مُتَعَوِّذِينا
فإن نَرْحَلْ فإنَّا قد تَرَكْنا   لدى أبْياتِكم[1] سعدًا رَهِينَا
إذا جَنَّ الظلامُ سمِعْتَ نَوْحَى[2]   على سَعدٍ يُرَجِّعْن الحَنِينَا
وسوف نَزورُكم عمَّا قَريبٍ   كما زُرْناكمُ مُتَوازِرِينَا[3]
بجَمْعٍ مِن كِنانةَ غيرِ عُزْلٍ   كأُسْدِ الغابِ إذ حَمَتِ العَرِينَا[4]

قال[5] : فأجابه كعبُ بنُ مالكٍ [6]أخو بنى سَلِمَةَ[6] ، رضِى اللَّهُ عنه ، فقال :

وسائلةٍ تُسائِلُ ما لَقِينَا   ولو شهِدَتْ رأَتْنا صابِرِينَا
صَبَرْنا لا نرَى للَّهِ عِدْلًا[7]   على ما نابَنا مُتَوَكِّلِينا
وكان لنا النبىُّ وَزِيرَ صِدْقٍ   به نَعْلُو البَرِيَّةَ أجْمَعِينا
نُقاتِلُ مَعْشَرًا ظَلَموا وعَقُّوا   وكانوا بالعَداوةِ مُرْصِدِينَا[8]

(١) فى الأصل : « أبنائكم » .
(٢) النوحى : جماعة النساء اللاتى تنحن . شرح غريب السيرة ٣/ ١٤.
(٣) متوازرين : متعاونين . المصدر السابق .
(٤) العزل : الذين لا سلاح معهم . واحدهم أعزل . والغاب جمع غابة ، والعرين : موضع الأسد . واحدته عرينة . المصدر السابق .
(٥) أى ابن إسحاق . سيرة ابن هشام ٢/ ٢٥٥.
(٦ - ٦) زيادة من : الأصل ، م .
(٧) العدل : الشريك .
(٨) المرصد : المعدُّ للأمر ، يقال : أرصدت لهذا الأمر كذا وكذا . أى أعددته . شرح غريب السيرة ٣/ ١٤، ١٥.

نُعاجِلُهم[1] إذا نهضوا إلينا　　بضَرْبٍ يُعْجِلُ المُتَسَرِّعِينَا
تَرانا فى فَضافِضَ سابِغاتٍ　　كغُدْرانِ المَلَا مُتَسَرْبِلِينَا[2]
وفى أَيْمانِنا بِيضٌ خِفافٌ　　بها نَشْفِى مِرَاحَ[3] الشاغِبِينَا
بباب الخَنْدَقَيْن كأنَّ أُسْدًا　　شَوابِكُهنَّ[4] يَحْمِينَ العَرِينَا
فوارِسُنا إذا بكَروا وراحوا　　على الأعداءِ شُوسًا[5] مُعْلِمِينَا
لنَنْصُرَ أحمدًا واللَّهَ حتى　　نكونَ عبادَ صِدْقٍ مُخْلِصِينَا
ويَعْلَمَ أهلُ مَكَّةَ حينَ ساروا　　وأحزابٌ أتَوْا مُتَحَزِّبِينَا
بأنَّ اللَّهَ ليس له شريكٌ　　وأنَّ اللَّهَ مَوْلَى المُؤْمِنِينَا
[٣/٣٠و] فإما تَقْتُلوا سعدًا سَفاهًا　　فإنَّ اللَّهَ خيرُ القادِرِينَا
سيُدْخِلُه جِنانًا طَيِّباتٍ　　تكونُ مُقامَةً للصَّالحِينا
كما قد رَدَّكم فَلًّا شَرِيدًا[6]　　بغيظِكُمُ خَزايا خائِبِينا
خَزايا لم تَنالوا ثَمَّ خيرًا　　وكِدْتم أن تكُونوا دامِرِينَا[7]

---

(١) فى م: «نعالجهم».
(٢) الفضافض هنا: الدروع المتسعة. وسابغات: كاملة. والغدران: جمع غدير. والملا: المتسع من الأرض، وهو مقصور. ومتسربلون: لابسون للدروع. شرح غريب السيرة ٣/ ١٥.
(٣) فى الأصل: «مراج»، وفى ص: «مزاج». والمراح: النشاط. المصدر السابق.
(٤) فى الأصل: «سوابلهن». والشوابك تتشبث بما تأخذ فلا يُفْلِت منها. المصدر السابق.
(٥) الشوس: جمع أَشْوس، وهو الذى ينظر نظر المتكبر بمؤخر عينه. المصدر السابق.
(٦) الفل: القوم المنهزمون. الشريد: الطريد. المصدر السابق.
(٧) دامرين: أى هالكين، من الدمار وهو الهلاك. المصدر السابق.

بريحِ عاصفٍ هَبَّتْ عليكم فكنتُم تحتَها مُتَكَمِّهينا[1]

قال ابنُ إسحاقَ[2] : وقال عبدُ اللَّهِ بنُ الزِّبَعْرَى السَّهْمِيُّ فى يومِ الخندقِ - قلتُ : وذلك قبلَ أن يُسْلِمَ - :

حَيِّ الدِّيارَ مَحا مَعارِفَ رَسْمِها طولُ البِلَى وتَراوُحُ الأحْقابِ
فكأنما كتَبَ اليهودُ رُسومَها إلا الكَنِيفَ ومَعْقِدَ الأطْنابِ[3]
قفْرًا كأنَّك لم تَكُنْ تَلْهُو بها فى نِعْمةٍ بأوانِسٍ أَتْرابِ
فاتْرُكْ تَذَكُّرَ ما مَضَى مِن عِيشَةٍ ومَحَلَّةٍ خَلَقِ المُقامِ يَبَابِ
واذْكُرْ بَلاءَ مَعاشِرٍ واشْكُرْهمُ ساروا بأجْمعِهم مِن الأنْصابِ[4]
أنصابِ مكةَ عامِدِين ليَثْرِبٍ فى ذى غَياطِلَ جَحْفَلٍ جَبْجابِ[5]
يَدَعُ الحُزونَ مَناهِجًا معلومةً فى كلِّ نَشْزٍ ظاهرٍ وشِعابِ[6]
فيها الجِيادُ شَوازِبٌ مجنوبةٌ قُبُّ البُطونِ لَواحِقُ الأقْرابِ[7]

---

(١) فى الأصل : « متهكمينا » ، وفى ص : « متكممينا » . والمتكمِّه : الأعمى . شرح غريب السيرة ٣/ ١٥ .
(٢) سيرة ابن هشام ٢/٢٥٦ - ٢٥٨ .
(٣) الكنيف : يعنى به الحظيرة والزَّرْب الذى يصنع للإبل . والأطناب : الحبال التى تُشَد بها الأخبية وبيوت العرب . شرح غريب السيرة ٣/ ١٦ .
(٤) الأنصاب هنا : الحجارة التى يُعْلَم بها الحرم . المصدر السابق .
(٥) ذو غياطل : يعنى جيشا كثير الأصوات ، والغياطل جمع غَيْطَلة ، وهى الصوت هنا . والجحفل : الجيش الكثير . وجبجاب : كثير أيضا . المصدر السابق .
(٦) الحزون : جمع حَزْن ، وهو ما ارتفع من الأرض . والمناهج : جمع مَنْهَج ، وهو الطريق البَيِّن . والنشْز : المرتفع من الأرض ، ويقال فيه : نَشَز أيضا . المصدر السابق .
(٧) الشوازب : الضامرة . ومجنوبة : مَقُودة . وقب : أى ضامرة . ولواحق : ضامرة أيضا . والأقراب : جمع قُرْب ، وهو الخاصرة وما يليها . المصدر السابق .

مِن كلِّ سَلْهَبَةٍ وأجْرَدَ سَلْهَبٍ ... كالسِّيدِ بادرَ غَفْلةَ الرُّقَّابِ[1]

جيشٌ عُيَيْنَةُ قاصِدٌ بلِوائِه ... فيه وصَخْرٌ قائدُ الأحْزابِ

قَرْمانِ[2] كالبَدْرَيْن أصْبَحَ فيهما ... غَيْثُ الفَقيرِ ومَعْقِلُ الهُرَّابِ

حتى إذا وَرَدوا المَدِينةَ وارْتَدَوْا ... للمَوْتِ كلَّ مُجَرَّبٍ قَضَّابِ[3]

شهرًا وعشْرًا قاهرين محمدًا ... وصِحابُه فى الحربِ خيرُ صِحابِ

نادَوْا برِحْلتِهم صَبِيحةَ قُلْتُمُ ... كِدْنا نَكونُ بها مع الخُيَّابِ

لولا الخنادِقُ غادَرُوا مِن جَمْعِهم ... قَتْلَى لطَيْرٍ سُغَّبٍ[4] وذِئابِ

قال[5]: فأجابه حسانُ بنُ ثابتٍ، رَضِىَ اللَّهُ عنه، فقال[6]:

هل رَسْمُ دَارِسَةِ المُقامِ يَبابِ ... مُتَكلِّمٌ لمُحاوِرٍ بجَوابِ

قَفْرٌ عَفا رِهَمُ السَّحابِ رُسومَه ... وهُبوبُ كُلِّ مُطِلَّةٍ مِرْبابِ[7]

ولقد رأيْتُ بها الحُلُولَ[8] يَزِينُهم ... بِيضُ الوُجوهِ ثَواقِبُ الأحْسابِ

[٣/ ٣٠ظ] فدَعِى الدِّيارَ وذِكْرَ كُلِّ خَريدَةٍ ... بَيْضاءَ آنِسةِ الحديثِ كَعابِ[9]

---

(١) السلهبة: الطويلة. والسِّيد: الذئب. شرح غريب السيرة ٣/ ١٦.

(٢) قرمان: سَيِّدان.

(٣) مجرب قضاب: سيف قاطع. المصدر السابق.

(٤) سغب: جائعة. المصدر السابق.

(٥) سيرة ابن هشام ٢/ ٢٥٨، ٢٥٩.

(٦) ديوان حسان ص ١١٩، ١٢٠.

(٧) الرهم جمع رِهْمَة. وهو المطر. مرباب: دائمة ثابتة. شرح غريب السيرة ٣/ ١٧.

(٨) الحلول: البيوت المجتمعة. المصدر السابق.

(٩) الخريدة: المرأة الناعمة الحيية. والكعاب: التى نهد ثديها فى أول ما يَنْهَد. المصدر السابق.

واشْكُ الهمومَ إلى الإلهِ وما تَرَى   مِن معشرٍ ظَلَموا الرسولَ غِضابِ
ساروا بجَمْعِهِمُ[1] إليه وألَّبوا   أهلَ القُرَى وبَوادِىَ الأعرابِ
جيشٌ عُيَيْنةُ وابنُ حَرْبٍ فيهمُ   مُتَخَمِّطون بحَلْبةِ الأحزابِ[2]
حتى إذا ورَدوا المدينةَ وارْتَجَوْا   قتْلَ الرسولِ ومَغْنَمَ الأسلابِ
وغدَوْا علينا قادِرين بأيْدِهم[3]   رُدُّوا بغَيْظِهِمُ على الأعقابِ
بهُبوبِ مُعْصِفةٍ تُفَرِّقُ جَمْعَهم   وجنودِ ربِّك سيدِ الأَرْبابِ
فكفَى الإلهُ المؤمنين قِتالَهم   وأثابهم فى الأجرِ خيرَ ثوابِ
مِن بعدِ ما قَنَطوا ففرَّق جمعَهم   تنزيلُ نصْرِ مَليكِنا الوهَّابِ
وأقَرَّ عينَ محمدٍ وصِحابِه   وأذَلَّ كلَّ مُكَذِّبٍ مُرْتابِ
عاتى الفؤادِ مُوَقَّعٍ[4] ذى رِيبةٍ   فى الكُفْرِ ليس بطاهرِ الأثوابِ
عَلِقَ الشقاءُ بقلبِه ففؤادُه   فى الكُفْرِ آخرَ هذه الأحْقابِ

قال[5] : وأجابه كعبُ بنُ مالكٍ ، رَضِىَ اللَّهُ عنه ، أيضًا فقال :

أبْقَى لنا حَدَثُ الحُروبِ بَقيَّةً   مِن خيرِ نِحْلةِ ربِّنا الوَهَّابِ

(١) فى م ، والسيرة : « بأجمعهم » .
(٢) المتخمطون : المختلطون ، ويقال : المتخمط : الشديد الغضب المتكبر . والحلبة : جماعة الخيل التى تعد للسباق . شرح غريب السيرة ٣/ ١٧، ١٨.
(٣) الأيْدُ : القوة . المصدر السابق ٣/ ١٨.
(٤) موقع : أى ذو عيب ، وأصله من التوقيع فى ظهر الدابة ، وهو انسلاخ يكون فيه . المصدر السابق .
(٥) سيرة ابن هشام ٢/ ٢٥٩، ٢٦٠.

بَيْضاءَ مُشْرِفَةَ الذُّرَى ومَعاطِنَا حُمَّ الجُذوعِ غَزِيرةَ الأحْلابِ(١)

كاللُّوبِ يُبْذَلُ جَمُّها وحَفِيلُها لِلجارِ وابنِ العمِّ والمُنْتابِ(٢)

ونَزائِعًا(٣) مِثْلَ السِّراحِ(٤) نَمَى بها عَلَفُ الشَّعِيرِ وجَزَّةُ المِقْضابِ(٥)

عَرِيَ الشَّوَى منها وأردف نَحْضَها جُرْدَ المُتُونِ وسائرِ الآرابِ(٦)

قُودًا تَراحُ إلى الصِّياحِ(٧) إذا غدَت فِعْلَ الضِّراءِ تَراحُ للكَلَّابِ(٨)

وتَحُوطُ سائمةَ الديارِ وتارةً تُرْدِى العِدَا وتَئُوبُ بالأسلابِ

حُوشَ الوحوشِ مُطارَةً عندَ الوَغَى عُبْسَ اللِّقاءِ مُبِينةَ الإنجابِ(٩)

عُلِفت على دَعَةٍ فصارت بُدَّنًا دُخْسَ البَضيعِ خَفِيفةَ الأقْصابِ(١٠)

---

(١) حم: أى سود. ويعنى بالجذوع: الأعناق. والأحلاب: ما يحلب منها. شرح غريب السيرة ٣/ ١٩.

(٢) اللوب جمع لُوبة: وهى الحَرَّة، والحرة: أرض ذات حجارة سود. وجمها: ما اجتمع من لبنها. وكذلك حفيلها. والمنتاب: الزائر. المصدر السابق.

(٣) فى الأصل: «توابعا». ونزائعا: يعنى الخيل العربية التى نزعت من الأعداء. الروض الأنف ٦/ ٣٧١.

(٤) فى م، ص: «السراج». قال السهيلى: السراج بالجيم، كذا وقع فى الأصل أى كل واحد منها، كالسراج. ووقع فى الحاشية بالحاء، وفسره فقال: جمع سِرْحان، وهو الذئب. الروض الأنف ٦/ ٣٧١.

(٥) جزة المقضاب: يعنى ما يُجَزُّ لها من النبات فتطعمه. شرح غريب السيرة ١٩/٣ .

(٦) الشوى: القوائم. والنحض: اللحم. والآراب: المفاصل، واحدها إرْب. الروض الأنف ٦/ ٣٧١.

(٧) فى النسخ: «الصباح». والمثبت من السيرة.

(٨) قودا: طوال الأعناق. وتَراح: أى تنشط. والضراء: الكلاب الضارية بالصيد. والكَلَّاب: الصائد صاحب الكِلاب. الروض الأنف ٣/ ٣٧١، وشرح غريب السيرة ٣/ ١٩.

(٩) حوش: نافرة. ومطارة: مستخفة. والإنجاب: الكرم والعِتق. المصدر السابق.

(١٠) دخس: كثيرة اللحم. والبضيع: اللحم. والأقصاب: الأمعاء، جمع قصب. انظر المصدر السابق.

يَغْدُون بالزَّغْفِ المُضاعَفِ شَكُّه ... وبمُتْرَصاتٍ فى الثِّقافِ صِيابِ[1]

[٣/ ٣١و] وصَوارمٍ نَزَع الصَّياقِلُ عَلْبَها[2] ... وبكلِّ أرْوَعَ ماجِدِ الأنسابِ

يَصِلُ اليَمينَ بمارنٍ مُتقارِبٍ ... وُكِلتْ وَقِيعتُه إلى خَبَّابِ[3]

وأغَرَّ أزْرقَ فى القَناةِ كأنَّه ... فى طُخْيَةِ الظَّلْماءِ ضَوْءُ شِهابِ[4]

وكَتيبةٍ يَنْفِى القِرانَ قَتِيرُها ... وتَرُدُّ حَدَّ قَواحِزِ النُّشَّابِ[5]

جَأْوَى مُلَمْلِمَةٍ كأنَّ رماحَها ... فى كلِّ مَجمعةٍ ضَريمةُ غابِ[6]

تَأْوِى إلى ظِلِّ اللِّواءِ كأنَّه ... فى صَعْدةِ الخَطِّىِّ فَىْءُ عُقابِ[7]

أعْيَتْ أبا كَرِبٍ وأعْيَت تُبَّعًا ... وأَبَت بَسالَتُها على الأعرابِ[8]

---

(١) الزغف : الدروع اللينة . والشك : النسج . والمترصات : الشديدات ، يعنى رماحا . والثقاف : الخشبة التى تُقَوَّم فيها الرماح . وصياب : أى صائبة . شرح غريب السيرة ٣/ ١٩ .

(٢) فى الأصل : « غلتها » . وفى م ، ص ، والسيرة ، وشرح غريب السيرة : « غلبها » . والمثبت من الروض الأنف ٦/ ٣٧٢. وانظر اللسان (ع ل ب) .

وعلبها : جُشأتُها - أى صلابتها - وخشونة درئها . الروض الأنف ٦/ ٣٧٢.

(٣) المارن : الرمح اللين . ووقيعته : أى صَنْعَته وتَطْريقُه وتحديده ، وخباب : اسم حدّاد . انظر شرح غريب السيرة ٣/ ١٩.

(٤) أغر أزرق : يعنى سِنانا . والطخية : شدة السواد . المصدر السابق .

(٥) القران : تقارن النبل . والقتير : مسامير حَلَق الدرع . والقواحز : من قَحَز السهم إذا شخص ؛ أى ارتفع . والنشاب : السهام . انظر المصدر السابق ، واللسان (ق ح ز) ، (ش خ ص) ، (ن ش ب) .

(٦) الجأواء : التى يخالط سوادَها حمرةٌ ، وقصرها هنا ضرورة . وململمة : مجتمعة . والضريمة : اللهب المتوقد . والغاب : الشجر الملتف . شرح غريب السيرة ٣/ ٢٠.

(٧) الصعدة : القناة المستوية . والخطى : الرماح . والفيء : الظل . والعقاب : العَلَم الضخم . المصدر السابق . واللسان (ع ق ب) .

(٨) أبو كرب وتبع : ملكان من ملوك اليمن . وبسالتها : شدتها وكراهيتها . شرح غريب السيرة ٣/ ٢٠.

وَمَواعِظٌ مِن ربِّنا نُهْدَى بها بلسانٍ أَزْهَرَ[1] طَيِّبِ الأثوابِ
عُرِضَت علينا فاشْتَهَيْنا ذِكْرَها مِن بعدِ ما عُرِضَت على الأحْزابِ
حِكَمًا يَراها المجرمون بزَعْمِهم حَرَجًا[2] ويَفْهَمُها ذَوُو الألْبابِ
جاءت سَخِينةُ كى تُغالِبَ ربَّها فلَيُغْلَبَنَّ مُغالِبُ الغَلَّابِ

قال ابنُ هشامٍ[3] : حدَّثنى مَن أَثِقُ به ، حدَّثنى عبدُ الملكِ بنُ يَحيى بنِ عَبَّادِ ابنِ عبدِ اللَّهِ بنِ الزبيرِ ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ قال له لمَّا سمِع منه هذا البيتَ : « لقد شكَرك اللَّهُ يا كعبُ على قولِك هذا » .

قلتُ : ومُرادُه بسَخِينةَ قُريشٌ ، وإنما كانت العربُ تُسَمِّيهم بذلك لكثرةِ أكْلِهم الطعامَ السُّخْنَ ، الذى لا يَتَهَيَّأُ لغيرِهم غالبًا مِن أهلِ البَوادِى . فاللَّهُ أعلمُ .

قال ابنُ إسحاقَ[4] : وقال كعبُ بنُ مالكٍ أيضًا :

مَن سَرَّه ضَرْبٌ يُمَعْمِعُ[5] بعضُه بَعْضًا كمَعْمَعةِ الأَباءِ[6] المحَرَّقِ
فلْيَأْتِ مَأْسَدةً تَسُنُّ سيوفَها بينَ المَذادِ وبينَ جِزْعِ الخندقِ[7]

(١) أزهر : أبيض . شرح غريب السيرة ٣/ ٢٠ .
(٢) الحرج هنا : الحرام الضيق . المصدر السابق .
(٣) سيرة ابن هشام ٢/ ٢٦١.
(٤) المصدر السابق ٢/ ٢٦١ - ٢٦٣.
(٥) المعمعة : صوت التهاب النار وحريقها . شرح غريب السيرة ٣/ ٢٠.
(٦) فى الأصل ، م : « الإناء » . والأباء : القصب ، واحدتها أباءة . الروض الأنف ٦/ ٣٧٤.
(٧) المأسدة : هى الأرض الكثيرة الأُسْد ، ويجوز أن يكون مأسدة جمع أَسَد . انظر المصدر السابق . والمذاد : موضع . والجزع : الجانب . شرح غريب السيرة ٣/ ٢٠.

دَرِبوا بضَرْبِ المُعْلِمين وأسلَموا ... مُهَجاتِ أنفسِهم لربِّ المشرقِ

فى عُصْبَةٍ نَصَرَ الإلهُ نبيَّه ... بهمُ وكان بعبدِه ذا مَرْفَقِ

فى كلِّ سابغةٍ[1] يَحُطُّ[2] فُضولُها ... كالنِّهْيِ هَبَّت رِيحُه المُتَرَقْرِقِ[3]

بيضاءَ مُحْكَمةٍ كأنَّ قَتِيرَها ... حَدَقُ الجَنادِبِ ذاتَ شَكٍّ مُوثَقِ[4]

جَدْلاءَ يَحْفِزُها نِجادُ مُهَنَّدٍ ... صافى الحَدِيدةِ صارِمٍ ذى رَوْنَقِ[5]

[٣/ ٣١ظ] تلكم مع التَّقْوَى تكونُ لِباسَنا ... يومَ الهِياجِ وكلَّ ساعةِ مَصْدَقِ

نَصِلُ السيوفَ إذا قَصُرْنَ بخَطْوِنا ... قُدُمًا ونُلْحِقُها إذا لم تَلْحَقِ

فترَى الجَماجمَ ضاحِيًا هاماتُها ... بَلْهَ[6] الأكُفَّ كأنها لم تُخْلَقِ

نَلْقَى العدُوَّ بفَخْمَةٍ مَلْمُومةٍ ... تَنْفِى الجُموعَ كقَصْدِ رأسِ المُشْرِقِ[7]

---

(١) السابغة : الدروع الكاملة .

(٢) فى الأصل : « بحط » . وفى م ، ص ، والسيرة : « تخط » . والمثبت - وهو لفظ إحدى نسخ السيرة - من شرح غريب السيرة ٣/ ٢١. ويحط فضولها : يَنْجَرُّ على الأرض ما فَضِل منها . شرح غريب السيرة ٣/ ٢١.

(٣) النهى : الغدير من الماء . والمترقرق : صفة للنهى ، وهو الذى تُصَفِّقه الريح فيجىء ويذهب . انظر المصدر السابق .

(٤) حدق الجنادب : عيون ذكور الجراد . والشك هنا : إحكام السَّرْد . المصدر السابق .

(٥) جدلاء : من الجَدْل ، وهو قوة الفَتْل ، أى الدرع المحكمة النسج . ويحفزها : يرفعها ويشمرها . والنجاد : حمائل السيف . الروض الأنف ٦/ ٣٧٥. وشرح غريب السيرة ٣/ ٢١.

(٦) بله : من أسماء الأفعال بمعنى : دَعْ واتْرُكْ ، تقول : بَلْهَ زيدًا . وقد يوضع موضع المصدر ويضاف فيقال : بَلْهَ زيدٍ ؛ أى تَرْكَ زيدٍ . النهاية ١/ ١٥٤، ١٥٥.

ومعنى البيت ، كما فى اللسان : هى تقطع الهام ، فدع الأكف ، أى هى أجدر أن تقطع الأكف . اللسان (ب ل هـ) .

(٧) فخمة ملمومة : أى كتيبة مجموعة . والمشرق : اسم جبل . شرح غريب السيرة ٣/ ٢١.

وَنُعِدُّ لِلأعداءِ كُلَّ مُقَلَّصٍ وَرْدٍ ومَحْجُولِ القَوائمِ أبْلَقِ[(١)]
تَرْدِى بفُرْسانٍ كأَنَّ كُماتَهم عندَ الهِياجِ أُسُودُ طَلٍّ مُلْثِقِ[(٢)]
صُدُقٍ يُعاطُون الكُماةَ حُتوفَهم تحتَ العَمايةِ بالوَشيجِ المُزْهِقِ[(٣)]
أمَرَ الإلهُ بِرَبْطِها لِعَدُوِّه في الحربِ إن اللَّهَ خيرُ مُوَفِّقِ
لتكونَ غَيْظًا للعدُوِّ وحُيَّطًا للدارِ إن دَلَفت خُيولُ النُّزَّقِ[(٤)]
ويُعينُنا اللَّهُ العزيزُ بقوةٍ منه وصدقِ الصبرِ ساعةَ نَلْتَقى
ونُطِيعُ أمْرَ نبيِّنا ونُجِيبُه وإذا دَعا لِكَرِيهةٍ لم نُسْبَقِ
ومتى (٥)يُنَادِ إلى الشدائدِ(٥) نَأْتِها ومتى نَرَ الحَوْماتِ فيها نُعْنِقِ[(٦)]
مَن يَتَّبِعْ قولَ النبيِّ فإنه فينا مُطاعُ الأمْرِ حَقٌّ مُصَدَّقِ
فبذاك يَنْصُرُنا ويُظْهِرُ عِزَّنا ويُصِيبُنا مِن نَيْلِ ذاك بِمِرْفَقِ
إن الذين يُكَذِّبون محمدًا كفَروا وضَلُّوا عن سبيلِ المُتَّقِى

---

(١) المقلص : يعنى فرسا خفيفا مُشمِّرا . وفرس وَرْد : لونه أحمر ، يضرب إلى صفرة . ومحجول القوائم أبلق : ما يكون البَلَق – وهو السواد والبياض – فى قوائمه الأربع ، ولا يقال له ذلك حتى يبلغ البياض ثلث الوظيف أو نصفه أو ثلثيه . انظر شرح غريب السيرة ٣/ ٢١، واللسان (و ر د) ، (ب ل ق) ، (ح ج ل) .
(٢) تردى : تسرع . والكماة : الشجعان . والطل : الضعيف من المطر . شرح غريب السيرة ٣/ ٢١. واللَّثق : ما يكون عن الطل من زَلَقٍ وطين ، والأُسْد أَجْوَع ما تكون وأجرأ فى ذلك الحين . الروض الأنف ٣/ ٣٧٦.
(٣) العماية : سحابة الغبار وظِلُّه . والوشيج : الرماح . شرح غريب السيرة ٣/ ٢١.
(٤) حيط : جمع حائط ، وهو اسم الفاعل من حاط يحوط . والنزق : جمع نازق ، وهو الغاضب ، السيِّئ الخلق . المصدر السابق ٣/ ٢٢.
(٥ – ٥) فى الأصل، ص: « ننادى للشدائد » ، وفى م: « ينادى للشدائد » . والمثبت من السيرة .
(٦) نعنق : نسرع .

قال ابنُ إسحاقَ[1] : وقال كعبُ بنُ مالكٍ أيضًا :

لقد عَلِم الأحزابُ حين تألَّبوا[2] عـلينا وراموا دِينَنا ما نُوادِعُ
أَضامِيمُ[3] مِن قيسِ بنِ عَيْلانَ أصْفَقَت وخِنْدِفَ لم يَدْروا بما هو واقِعُ
يَذُودُوننا عن دينِنا ونَذُودُهم عن الكفرِ والرحمنُ راءٍ وسامِعُ
إذا غايظونا فى مَقامٍ أعاننا على غيظِهم نَصْرٌ مِن اللَّهِ واسِعُ
وذلك حِفظُ اللَّهِ فينا وفضلُه علينا ومَن لم يَحْفَظِ اللَّهُ ضائعُ
هدانا لدينِ الحقِّ واختاره لنا وللَّهِ فوقَ الصانِعِين صنائعُ[4]

قال ابنُ هشامٍ : وهذه الأبياتُ فى قصيدةٍ له . يعنى طويلةً .

قال ابنُ إسحاقَ[5] : وقال [٣/٣٢و] حسانُ بنُ ثابتٍ فى مَقْتَلِ بنى قُرَيْظَةَ[6] :

لقد لَقِيَت قُرَيظةُ ما سآها[7] وما وجَدَت لذُلٍّ مِن نَصِيرِ
أصابَهُمُ بَلاءٌ كان فيهِ سِوى ما قَد أصاب بنى النَّضِيرِ

---

(١) سيرة ابن هشام ٢/ ٢٦٣.
(٢) تألبوا : تجمعوا .
(٣) واحد الأضاميم : إضمامة ، وهو كل شىء مجتمع . الروض الأنف ٦/ ٣٧٧.
(٤) فى الأصل ، م : « صانع » .
(٥) سيرة ابن هشام ٢/ ٢٧١.
(٦) ديوان حسان ص ٢٤٥.
(٧) فى الأصل : « ثناها » ، وفى م : « ساءها » . وما سآها : أراد ما ساءها ، فقلب ، والعرب تفعل ذلك فى بعض الأفعال ، يقولون : رأى ، وراءَى . فى معنى واحد على جهة القلب . شرح غريب السيرة ٣/ ٣٠.

غَداةَ أتاهُمُ يَهْوِى إليهم رسولُ اللَّهِ كالقمرِ المنيرِ
له خيلٌ مُجَنَّبةٌ تَعادَى بفُرْسانٍ عليها كالصقورِ
ترَكْناهم وما ظَفِروا بشىءٍ دِماؤُهم عليها كالعَبيرِ
فهم صَرْعَى تَحُومُ الطيرُ فيهم كذاك يُدانُ ذو العَنَدِ الفَجُورِ[1]
فأنْذِرْ مثلَها نُصْحًا قُريشًا مِن الرحمنِ إن قَبِلت نَذِيرى

قال[2]: وقال حسانُ بنُ ثابتٍ أيضًا فى بنى قُرَيظةَ[3]:

تَفاقَدَ[4] معشرٌ نصَروا قريشًا وليس لهم ببَلْدتِهم نَصِيرُ
همُ أُوتُوا الكتابَ فضَيَّعوه وهم عُمْىٌ مِن التوراةِ بُورُ
كفَرْتُم بالقُرانِ وقد أُتِيتُم بتصديقِ الذى قال النذيرُ
فهان على سَراةِ بنى لُؤَىٍّ حَرِيقٌ بالبُوَيْرةِ[5] مُستطِيرُ

فأجابه أبو سُفيانَ بنُ الحارثِ بنِ عبدِ المطلبِ فقال:

أدام اللَّهُ ذلك مِن صَنِيعٍ وحَرَّق فى طَوائِفِها السعِيرُ
ستَعْلَمُ أيُّنا منها بنُزْهٍ[6] وتَعْلَمُ أىَّ أرْضَيْنا تَضِيرُ

(١) تحوم الطير: تستدير بهم. ويدان أى يُجْزَى. والعند: الخروج عن الحق. والفَجور من الفُجُور، وخفضه هنا على الجوار، وقد كان يجوز فيه الرفع على الإقواء فى القوافى. شرح غريب السيرة ٣/ ٣٠.
(٢) سيرة ابن هشام ٢/ ٢٧٢.
(٣) ديوان حسان ص ٢٥٣.
(٤) فى م: «تعاقد». وتفاقد: أى فقَد بعضهم بعضا، وهو دعاء عليهم. شرح غريب السيرة ٣/ ٣١.
(٥) البويرة: موضع بنى قريظة. المصدر السابق.
(٦) النزه: البُعْد. المصدر السابق.

فلو كان النَّخيلُ بها رِكابًا   لقالوا لا مُقامَ لكم فسِيرُوا

قلتُ : وهذا قاله أبو سفيانَ بنُ الحارثِ قبلَ أن يُسْلِمَ ، وقد تقَدَّم فى « صحيحِ البخارىِّ » بعضُ هذه الأبياتِ .

وذكَر ابنُ إسحاقَ جوابَ حسَّانَ فى ذلك لجَبَلِ بنِ جَوَّالٍ الثعلبىِّ[1] ، ترَكْناه قصْدًا .

قال ابنُ إسحاقَ[2] : وقال حسانُ بنُ ثابتٍ أيضًا يَبْكِى سعدًا وجماعةً ممن اسْتُشْهِد يومَ بنى قُرَيْظةَ[3] :

أَلَا يا لَقومى هل لِمَا حُمَّ[4] دافعُ   وهل ما مَضَى مِن صالحِ العيشِ راجعُ
تذكَّرتُ عصْرًا قد مَضَى فتَهافَتَت   بناتُ الحَشَا وانهَلَّ منى المَدامِعُ[5]
صَبابةُ وَجْدٍ ذكَّرتْنِىَ إِخْوةً   وقَتْلَى مَضَى فيها طُفَيْلٌ ورافِعُ
[٣/٣٢ظ] وسعدٌ فأَضْحَوا فى الجِنانِ وأَوْحَشَتْ   منازِلُهم فالأرضُ منهم بَلاقِعُ[6]
وفَوْا يومَ بدرٍ للرسولِ وفوقَهم   ظِلالُ المَنايا والسيوفُ اللَّوامِعُ
دَعا فأجابوه بحَقٍّ وكلُّهم   مُطِيعٌ له فى كلِّ أمْرٍ وسامِعُ
فما نَكَلوا حتى تَوالَوا جماعةً   ولا يَقْطَعُ الآجالَ إلّا المَصارِعُ

---

(١) سيرة ابن هشام ٢/ ٢٧٢، ٢٧٣.
(٢) المصدر السابق ٢/ ٢٧٠، ٢٧١.
(٣) ديوان حسان ص ٢٤١، ٢٤٢.
(٤) حُم : قُدِّر .
(٥) فتهافتت : سقطت بسرعة . وبنات الحشا : يعنى قلبه وما اتصل به . شرح غريب السيرة ٣/ ٢٩ .
(٦) بلاقع : أى قفار خالية . المصدر السابق .

لأنهـمُ يَرْجُـون منـه شَـفـاعـةً   إذا لم يَكُنْ إلا النبيُّون شافعُ
فذلك يا خيرَ العبادِ بَلاؤُنا   إجـابَـتُنا لـلَّـهِ والموتُ نـاقِـعُ[1]
لنا القَدَمُ الأُولى إليك وخَلْفُنا[2]   لأَوَّلِـنـا فـى مـلـةِ الـلَّـهِ تـابِـعُ
ونـعْـلَـمُ أن المُلْكَ لـلَّـهِ وحـدَه   وأنَّ قـضـاءَ الـلَّـهِ لا بُـدَّ واقِـعُ

---

(١) ناقع: ثابت. شرح غريب السيرة ٣/ ٢٩.

(٢) خلفنا: آخرنا. المصدر السابق.

مقتلُ أبى رافعٍ

(١عبدِ اللَّهِ – ويقالُ١) : (٢سلَّامٌ – بنِ أبى الحُقَيْقِ٢) اليهوديّ ، (٢لعنه اللَّهُ ، وكان فى قصرٍ له فى أرضِ خَيْبَرَ ، وكان تاجرًا مشهورًا بأرضِ الحجازِ٢) .

قال ابنُ إسحاقَ(٣) : ولما انقضَى شأنُ الخندقِ وأمْرُ بنى قُرَيْظَةَ ، وكان سَلَّامُ ابنُ أبى الحُقَيْقِ – وهو أبو رافعٍ – فيمَن حَزَّب الأحزابَ على رسولِ اللَّهِ ﷺ ، وكانت الأوسُ قبلَ أُحُدٍ قد قتَلت كعبَ بنَ الأشْرفِ ، فاسْتَأْذَنَ الخزرجُ رسولَ اللَّهِ ﷺ فى قتلِ سَلَّامِ بنِ أبى الحُقَيْقِ وهو بخَيْبَرَ ، فأذِن لهم .

قال ابنُ إسحاقَ(٤) : فحدَّثنى محمدُ بنُ مُسْلِمٍ الزُّهْرىُّ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ كعبِ بنِ مالكٍ ، قال : وكان مما صنَع اللَّهُ لرسولِه ﷺ أنَّ هذين الحيَّيْنِ مِن الأنصارِ ؛ الأوسَ والخزرجَ ، كانا يتَصاوَلان مع رسولِ اللَّهِ ﷺ تَصاوُلَ الفَحْلَيْنِ(٥) ، لا تَصْنَعُ الأوسُ شيئًا فيه غَناءٌ(٦) عن رسولِ اللَّهِ ﷺ إلَّا قالت الخزرجُ : واللَّهِ لا يَذْهَبون بهذه فَضْلًا علينا عندَ رسولِ اللَّهِ ﷺ (٧وفى الإسلامِ٧) . فلا ينْتَهون حتى يُوقِعوا مثلَها ، وإذا فعلتِ الخزرجُ شيئًا قالت الأوسُ

(١ – ١) زيادة من : ا ١٥، ص .
(٢ – ٢) ليست فى : م .
(٣) سيرة ابن هشام ٢/ ٢٧٣.
(٤) المصدر السابق ٢/٢٧٣ – ٢٧٥.
(٥) يقال : تصاول الفحلان ، إذا حمل هذا على هذا وهذا على هذا . شرح غريب السيرة ٣/ ٣٢.
(٦) غناء : أى منفعة ودفع عنه ﷺ . المصدر السابق .
(٧ – ٧) سقط من : ا ١٥، م .

مثلَ ذلك . قال : ولما أصابت الأوسُ كعبَ بنَ الأشْرفِ فى عَداوتِه لرسولِ اللَّهِ ﷺ ، قالت الخزرجُ : واللَّهِ لا يَذْهَبون بها فَضْلًا علينا أبدًا . قال : فتذاكَروا مَن رجلٌ لرسولِ اللَّهِ ﷺ فى العَداوةِ (١كابنِ الأشْرفِ١) ، فذكَروا ابنَ أبى الحُقَيْقِ ، وهو بخَيْبَرَ ، فاسْتَأْذنوا رسولَ اللَّهِ ﷺ فى قتلِه ، فأذِن لهم ، فخرَج إليه[٢] مِن الخزرجِ مِن بنى سَلِمَةَ خمسةُ نَفَرٍ ؛ عبدُ اللَّهِ بنُ عَتِيكٍ ، ومسعودُ بنُ سِنانٍ ، وعبدُ اللَّهِ بنُ أُنَيْسٍ ، وأبو [٣/٣٣و] قَتادةَ الحارثُ بنُ رِبْعِىٍّ ، وخُزاعِىُّ بنُ أسْودَ ، حليفٌ لهم مِن أسْلَمَ ، فخرَجوا ، وأمَّر عليهم رسولُ اللَّهِ ﷺ عبدَ اللَّهِ بنَ عَتيكٍ ، ونهاهم أن يَقْتُلوا وَليدًا أو امرأةً ، فخرَجوا ، حتى إذا قدِموا خَيْبَرَ ، أتَوا دارَ ابنِ أبى الحُقَيْقِ ليلًا ، فلم يَدَعوا بيتًا فى الدارِ إلَّا أغْلَقوه على أهلِه . قال : وكان فى عُلِّيَّةٍ[٣] ، له إليها عَجَلةٌ[٤] . قال : فأسْنَدوا[٥] إليها حتى قاموا على بابِه ، فاسْتَأْذنوا ، فخرَجت إليهم امرأتُه فقالت : من[٦] أنتم ؟ قالوا : أُناسٌ مِن العربِ نَلْتَمِسُ المِيرةَ . قالت : ذاكم صاحبُكم فادْخُلوا عليه . قال : فلما دخَلْنا أغْلَقْنا علينا وعليه[٧] الحُجْرةَ ؛ تَخَوُّفًا أن يكونَ دونَه مُجَاوَلَةٌ[٨] تحولُ بينَنا وبينَه . قال : فصاحت امرأتُه ، فنوَّهَت بنا[٩] ، فابتَدَرْناه وهو على فراشِه بأسيافِنا ، فواللَّهِ

(١ - ١) سقط من : الأصل .
(٢) زيادة من : ص .
(٣) بضم العين وكسرها ، وهى الغرفة . النهاية ٣/٢٩٥ .
(٤) العجلة هنا : جذع النخلة ، ينقر فى مواضع منه ويجعل كالسلم ، فيصعدوا عليه إلى العلالى والغرف . شرح غريب السيرة ٣/٣٢ .
(٥) فى الأصل : « فاستندوا » ، وفى ا ١٥ : « فاشتدوا » . وأسندوا إليها : صعدوا . النهاية ٢/٤٠٨ .
(٦) فى ا ١٥ ، ص : « ممن » .
(٧) سقط من : ص . وفى السيرة : « عليها » .
(٨) المجاولة : حركة تكون بينهم وبينه . شرح غريب السيرة ٣/ ٣٣ .
(٩) فنوهت بنا : أى رفعت صوتها تشهر به . المصدر السابق .

ما يَدُلُّنا عليه فى سوادِ الليلِ إلا بَياضُه ، كأنه قُبْطِيَّةٌ[1] مُلْقاةٌ . قال : فلما صاحت بنا امرأتُه جعَل الرجلُ منا يَرْفَعُ عليها سيفَه ، ثُم يَذْكُرُ نَهْىَ رسولِ اللَّهِ ﷺ فيَكُفُّ يدَه ، ولولا ذلك لَفرَغْنا منها بليلٍ . قال : فلما ضرَبْناه بأسْيافِنا ، تَحامَل عليه عبدُ اللَّهِ بنُ أُنَيْسٍ بسيفِه فى بطنِه حتى أنفَذَه وهو يقولُ : قَطْنِى قَطْنِى . أى حَسْبى حَسْبى . قال : وخرَجْنا ، وكان عبدُ اللَّهِ بنُ عَتِيكٍ رجلًا سيِّئَ البَصَرِ . قال : فوقَع مِن الدَّرَجةِ ، (٢فوُثِئَت يدُه وَثْئًا٢) شديدًا ، وحمَلْناه حتى نَأْتِىَ به مَنْهَرًا[3] مِن عُيونِهم فندْخُلَ فيه ، فأوقدوا النيرانَ ، واشْتَدُّوا فى كلِّ وجهٍ يَطْلُبوننا ، حتى إذا يَئِسوا رجَعوا إلى صاحبِهم فاكْتَنفوه وهو يَقْضِى . قال : فقلنا : كيف لنا بأن نَعْلَمَ بأن عدوَّ اللَّهِ قد مات ؟ قال : فقال رجلٌ منا : أنا أذْهَبُ فأنْظُرُ لكم . فانطَلَق حتى دخَل فى الناسِ ، قال : فوجَدْتُها - يعنى امرأتَه - ورجالَ يَهودَ حولَه ، وفى يدِها المِصْباحُ تنْظُرُ فى وجهِه وتُحَدِّثُهم وتقولُ : أمَا ، سمِعْتُ صوتَ ابنِ عَتِيكٍ ثم أكْذَبْتُ نفسى[4] وقلتُ : أنَّى ابنُ عَتِيكٍ بهذه البلادِ ؟ ثم أكَبَّتْ[5] عليه تَنْظُرُ فى وجهِه ، فقالت : فاظَ[6] وإلهِ

---

(١) قبطية : بضم القاف وكسرها ، جمعها القباطى ، وهى ثياب بيض كانت تصنع بمصر . انظر شرح غريب السيرة ٣/ ٣٣.

(٢ - ٢) فى م : « فوثبت يده وثبا » . ووثئت يده وثئًا : أى أصاب عظمها شىء ليس بكسر . وقال بعض اللغويين : الوثء إنما هو توجع فى اللحم لا فى العظم . المصدر السابق .

قال الحافظ : ووقع فى رواية ابن إسحاق : « فوثئت يده » . وهو وهم ، والصواب « رجله » ، وإن كان محفوظا فوقع جميع ذلك . فتح البارى ٧/ ٣٤٤.

(٣) المنهر : مدخل الماء من خارج الحصن إلى داخله . شرح غريب السيرة ٣٣/٣ .

(٤) سقط من : ا ١٥، ص .

(٥) فى م ، والسيرة : « أقبلت » .

(٦) فاظ : مات . المصدر السابق .

يهودَ . فما سمِعْتُ كلمةً كانت ألذَّ على نفسى منها . قال : ثم جاءنا فأخْبَرَنا الخبرَ[1] ، فاحْتَمَلْنا صاحبَنا وقدِمنا على رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فأخْبَرْناه بقتلِ عدوِّ اللَّهِ ، واختلَفْنا عندَه فى قتلِه ، كلُّنا يَدَّعِيه . قال : فقال : « هاتُوا أسيافَكم » . فجئْنا بها ، فنظَر إليها ، فقال لسيفِ عبدِ اللَّهِ بنِ أُنَيْسٍ : « هذا قتَله ، أَرَى فيه أثَرَ الطعامِ » . قال ابنُ إسحاقَ[2] : فقال حسانُ بنُ ثابتٍ فى ذلك :

[٣٣/٣ظ] للَّهِ دَرُّ عِصابةٍ لاقَيْتَهم ... يا بنَ الحُقَيْقِ وأنتَ يا بنَ الأشْرفِ

يَسْرُون بالبِيضِ الخِفافِ إليكمُ ... مُرُحًا كأُسْدٍ فى عَرِينٍ مُغْرِفِ

حتى أَتَوْكم فى مَحَلِّ بلادِكم ... فسَقَوْكمُ حَتْفًا ببِيضٍ ذُفَّفِ

مُسْتَبْصِرين لنصرِ دينِ نبيِّهم ... مُسْتَصْغِرين لكلِّ أمْرٍ مُجْحِفِ

هكذا أوْرَد هذه القِصةَ الإمامُ محمدُ بنُ إسحاقَ ، رحِمه اللَّهُ .

وقد قال الإمامُ أبو عبدِ اللَّهِ البخاريُّ[3] : حدَّثنا إسحاقُ بنُ نصرٍ ، حدَّثنا يحيى بنُ آدمَ ، حدَّثنا ابنُ أبى زائِدةَ ، عن أبيه ، عن أبى إسْحاقَ ، عن البَراءِ بنِ عازِبٍ قال : بعَث النبىُّ ﷺ رَهْطًا إلى أبى رافعٍ ، فدَخَل عليه عبدُ اللَّهِ بنُ عَتِيكٍ بيتَه ليلًا وهو نائمٌ فقتَله .

ثُم قال البخاريُّ[4] : حدثنا يوسُفُ بنُ موسى ، حدَّثنا عبيدُ اللَّهِ[5] بنُ

---

(١) سقط من : الأصل ، م .

(٢) سيرة ابن هشام ٢/ ٢٧٦. وتقدم هذا الشعر فى ٥/ ٣٣٤.

(٣) البخارى (٤٠٣٨) .

(٤) البخارى (٤٠٣٩) .

(٥) فى ا ١٥، م، ص: «عبد الله». وانظر تهذيب الكمال ١٩/ ١٦٤.

موسى ، عن إسْرائيلَ ، عن أبى إسْحاقَ ، عن البَراءِ قال : بعَث رسولُ اللَّهِ ﷺ إلى أبى رافعٍ اليهوديِّ رجالًا مِن الأنصارِ ، وأمَّر عليهم عبدَ اللَّهِ بنَ عَتيكٍ ، وكان أبو رافعٍ يُؤْذِى رسولَ اللَّهِ ﷺ ، ويُعينُ عليه ، وكان فى حصنٍ له بأرضِ الحجازِ ، فلمَّا دَنَوا منه وقد غرَبَتِ الشمسُ ، وراح الناسُ بسَرْحِهم[(١)] ، قال عبدُ اللَّهِ لأصحابِه[(٢)] : اجْلِسوا مكانَكم ، فإنى مُنْطلِقٌ ومُتَلَطِّفٌ للبَوَّابِ ؛ لعلِّى أن أَدْخُلَ . فأقْبَل حتى دَنا مِن البابِ ، ثم تَقَنَّع بثوبِه كأنه يَقْضِى حاجتَه ، وقد دخَل الناسُ ، فهتَف به البَوَّابُ : يا عبدَ اللَّهِ ، إن كنتَ تريدُ أن تدْخُلَ فادْخُلْ ، فإنى أُريدُ أن أُغْلِقَ البابَ . فدخَلْتُ فكَمَنْتُ ، فلمَّا دخَل الناسُ أَغْلَق البابَ ، ثُم علَّق الأَغالِيقَ على وَدٍّ[(٣)] . قال : فقمْتُ إلى الأقاليدِ[(٤)] فأخَذْتُها ففتَحْتُ البابَ ، وكان أبو رافعٍ يُسْمَرُ عندَه ، وكان فى عَلَالِيَّ له ، فلمَّا ذهَب عنه أهلُ سَمَرِه ، صَعِدْتُ إليه ، فجعَلْتُ كلما فَتَحْتُ بابًا أغْلَقْتُ علىَّ مِن داخلٍ ، فقلتُ : إنِ القومُ [(٥)]نَذِروا بى[(٥)] لم يَخْلُصوا إلىَّ حتى أقْتُلَه . فانتَهَيْتُ إليه ، فإذا هو فى بيتٍ مُظلِمٍ وَسْطَ عِيالِه ، لا أَدْرِى أين هو مِن البيتِ ، قلت : أبا رافعٍ . قال : مَن هذا ؟ فأهْوَيْتُ نحوَ الصوتِ فأضْرِبُه ضَرْبةً بالسيفِ وأنا دَهِشٌ ، فما أغْنَيْتُ شيئًا ، وصاح فخرَجْتُ مِن البيتِ ، فأمْكُثُ غيرَ بعيدٍ ، ثُم دخَلْتُ إليه فقلتُ :

---

(١) بسرحهم : أى رجعوا بمواشيهم التى ترعى . والسرح : السائمة من إبل وبقر وغنم . فتح البارى ٣٤٣/٧ .

(٢) سقط من : الأصل ، م .

(٣) الأغاليق : المفاتيح ، واحدها إغليق . والود : بفتح الواو وتشديد الدَّال ، هو الوتد . النهاية ٣/ ٣٨٠. وفتح البارى ٧/ ٣٤٣.

(٤) الأقاليد : جمع إقليد ، وهو المفتاح . فتح البارى ٧/ ٣٤٣.

(٥ - ٥) فى م : « سدروا لى » . ونذروا بى : بكسر الذال المعجمة ، أى علموا ، وأصله من الإنذار وهو الإعلام بالشىء الذى يُحذَر منه . المصدر السابق ٧/ ٣٤٤.

ما هذا الصوتُ يا أبا رافعٍ؟ فقال: لأُمِّك الويْلُ[1]، إنَّ رجلًا فى البيتِ [2]ضرَبنى قَبْلُ[2] بالسيفِ. قال: فأَضْرِبُه ضَرْبةً أثْخَنَتْه ولم أقْتُلْه، ثُم وضَعْتُ ضَبِيبَ السيفِ[3] فى بطنِه، حتى أخَذ فى ظهرِه، فعرَفْتُ أنى قتَلْتُه، فجعَلْتُ أفْتَحُ الأبْوابَ [٣/ ٣٤و] بابًا بابًا، حتى انتَهَيْتُ إلى دَرَجةٍ له فوضَعْتُ رِجلى، وأنا أُرَى أنى قد انتَهَيْتُ [4]إلى الأرضِ[4]، فوقَعْتُ فى ليلةٍ مُقْمِرةٍ، فانكسَرَت ساقى فعصَبْتُها بعِمامةٍ، ثم انطَلَقتُ حتى جلَسْتُ على البابِ، فقلتُ: لا أخْرُجُ الليلةَ حتى أعْلَمَ أقتَلْتُه. فلمَّا صاح الديكُ، قام الناعى على السُّورِ فقال: أَنْعَى أبا رافعٍ تاجرَ[5] أهلِ الحجازِ. فانطَلَقْتُ إلى أصحابى، فقلتُ: النَّجاءَ[6]، فقد قتَل اللَّهُ أبا رافعٍ. فانتَهَيْتُ إلى النبىِّ ﷺ فحَدَّثْتُه، فقال لى: «ابْسُطْ رِجْلَك». فبسَطْتُ رجلى فمسَحها، فكأنما لم أَشْتَكِها قطُّ.

ثُم قال البخارىُّ[7]: حدَّثنا أحمدُ بنُ عثمانَ بنِ حَكِيمٍ الأَوْدىُّ، حدَّثنا شُرَيْحٌ، حدَّثنا إبراهيمُ بنُ يوسُفَ، عن أبيه، عن أبى إسحاقَ، سمِعْتُ البَراءَ قال: بعَث رسولُ اللَّهِ ﷺ إلى أبى رافعٍ عبدَ اللَّهِ بنَ عَتيكٍ وعبدَ اللَّهِ بنَ عُتبةَ فى ناسٍ معهم، فانطَلَقوا حتى دَنَوا مِن الحصنِ، فقال لهم عبدُ اللَّهِ بنُ عَتِيكٍ: امْكُثوا أنتم حتى أنْطَلِقَ أنا فأنْظُرَ. قال: فتلَطَّفْتُ حتى أدْخُلَ الحصنَ، ففقَدوا

(١) لأمك الويل: هى كلمة تفجع وتعجب. النهاية ٥/ ٢٣٦.
(٢ - ٢) فى م: «قتل».
(٣) ضبيب السيف: حدُّه. تاج العروس (ض ب ب).
(٤ - ٤) سقط من: الأصل، م.
(٥) فى م: «ناصر».
(٦) النجاء: أى أسرِعوا. فتح البارى ٧/ ٣٤٥.
(٧) البخارى (٤٠٤٠).

حمارًا لهم ، فخرَجوا بقَبَسٍ[1] يطْلُبونه . قال : فخَشِيتُ أن أُعْرَفَ . قال : فغطَّيْتُ رأسى ، وجلَسْتُ كأنى أقْضِى حاجةً ، فقال البوابُ[2] : مَن أراد أن يَدْخُلَ فلْيَدْخُلْ قبلَ أن أُغْلِقَه . فدخَلْتُ ثم اخْتَبَأْتُ فى مَرْبِطِ حمارٍ عندَ بابِ الحصنِ ، فتَعَشَّوا عندَ أبى رافعٍ ، وتحَدَّثوا حتى ذهَبَتْ ساعةٌ مِن الليلِ ، ثُم رجَعوا إلى بيوتِهم ، فلمَّا هدأَتِ الأصْوَاتُ ولا أسْمَعُ حركةً ، خرَجْتُ . قال : ورأيْتُ صاحبَ البابِ حيثُ وضَع مِفتاحَ الحِصنِ فى كَوَّةٍ ، فأخَذْتُه ففتَحْتُ به بابَ الحصنِ . قال : قلتُ : إن نَذِرَ بىَ القومُ انطَلَقْتُ على مَهَلٍ ، ثُم عَمَدْتُ إلى أبوابِ بُيوتِهم فغَلَّقْتُها عليهم مِن ظاهرٍ ، ثُم صَعِدْتُ إلى أبى رافعٍ فى سُلَّمٍ ، فإذا البيتُ مُظْلِمٌ ، قد طَفِئَ سِراجُه ، فلم أدْرِ أين الرجلُ ؟ فقلتُ : يا أبا رافعٍ . قال : مَن هذا ؟ قال : فعمَدْتُ نحوَ الصوتِ فأضْرِبُه وصاح ، فلم تُغْنِ شيئًا . قال : ثُم جئْتُ كأنى أُغِيثُه ، فقلتُ : ما لك يا أبا رافعٍ ؟ وغيَّرْتُ صوتى . قال : ألا[3] أُعْجِبُك ، لأُمِّك الويلُ ، دخَل علىَّ رجلٌ فضرَبنى بالسيفِ . قال : فعمَدْتُ إليه أيضًا فأضْرِبُه أخرى فلم تُغْنِ شيئًا ، فصاح وقام أهلُه ، ثُم جئْتُ وغيَّرْتُ صوتى كهيئةِ المُغيثِ ، فإذا هو مُسْتَلْقٍ على ظهْرِه ، فأضَعُ السيفَ فى بطنِه ثُم أنْكَفِئُ عليه ، حتى سَمِعْتُ صوتَ العظْمِ ، ثُم خرَجْتُ دَهِشًا ، حتى أتيْتُ السُّلَّمَ أُريدُ أن أنْزِلَ ، فأسْقُطُ منه ، فانخَلَعَت رجلى ، فعصَبْتُها ثُم أتَيْتُ أصْحابى أَحْجُلُ ، فقلتُ : انطَلِقوا فبَشِّروا رسولَ اللَّهِ ﷺ ، فإنى لا أبْرَحُ [٣/ ٣٤ظ] حتى أسْمَعَ الناعيةَ . فلمَّا كان فى وجهِ الصبحِ صَعِد الناعيةُ فقال : أنْعَى

(١) القبس : شعلة من نار . انظر الفتح ٧/ ٣٤٣.
(٢) سقط من : الأصل ، م .
(٣) فى م : « لا » .

أبا رافعٍ. قال: فقُمْتُ أمْشى ما بى قَلَبَةٌ[1]، فأدْرَكْتُ أصحابى قبلَ أن يأْتُوا رسولَ اللَّهِ ﷺ فبَشَّرْتُه. تفرد به البخاريُّ بهذه السياقاتِ مِن بينِ أصحابِ الكتبِ الستةِ.

[2]قلتُ: يَحْتَمِلُ أن عبدَ اللَّهِ بنَ عَتِيكٍ لما سقط مِن تلك الدَّرَجةِ، انفَكَّت قدمُه، وانكسَرَت ساقُه، ووُثِئَت[3] رِجلُه ويدُه[4]، فلما عصَبها استَكَنَّ ما به؛ لِمَا هو فيه من الأمْرِ الباهرِ، ولَمّا أراد المشْىَ أُعِين على ذلك؛ لِمَا هو فيه مِن الجهادِ النافعِ، ثُم لَمّا وصَل إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ واستَقَرَّت نفسُه، ثاوَره الوَجَعُ فى رِجْلِه، فلما بسَط رِجْلَه ومسَح رسولُ اللَّهِ ﷺ، ذهَب ما كان بها مِن بَأْسٍ فى الماضى، ولم يَبْقَ بها وَجَعٌ يُتَوقَّعُ حُصولُه فى المستقبلِ، جَمْعًا بينَ هذه الروايةِ والتى تقَدَّمت[5]. واللَّهُ أعلمُ. هذا وقد ذكَر موسى بنُ عقبةَ فى «مغازيه»[6] مثلَ سياقِ محمدِ بنِ إسحاقَ، وسَمَّى الجماعةَ الذين ذهَبوا إليه كما ذكَره ابنُ إسحاقَ[7][2].

ثُم قال[8]: قال الزهرىُّ: قال [9]ابنُ كعبٍ[9]: فقدِموا على رسولِ اللَّهِ ﷺ

---

(١) قلب: أى علة أنقلب بها. فتح البارى ٧/٣٤٥.
(٢ - ٢) جاءت هذه الفقرة فى الأصل، م بعد الفقرة التالية. والمثبت أنسب للسياق.
(٣) فى م: «وثبت».
(٤) سقط من: الأصل، م. والمثبت هو المراد بقول المصنف الآتى: جمعا بين هذه الرواية والتى تقدمت.
(٥) يقصد المصنف، رحمه اللَّه، روايتى البخارى وابن إسحاق. انظر ص ١٢٩ حاشية (٢-٢).
(٦) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٤/ ٣٨، ٣٩، والسنن الكبرى ٣/ ٢٢٢.
(٧) بعده فى الأصل، م: «وإبراهيم وأبو عبيد».
(٨) أى موسى بن عقبة.
(٩ - ٩) فى الأصل، م: «أبى بن كعب». وابن كعب هو عبد الرحمن بن كعب بن مالك الأنصارى. انظر تهذيب الكمال ١٧/ ٣٦٩.

وهو على المِنْبرِ فقال : « أفْلَحتِ الوجوهُ » . قالوا : أفْلَح وجهُك يا رسولَ اللَّهِ . قال : « أقتَلْتموه[1] ؟ » . قالوا : نعم . قال : « ناوِلْنى السيفَ » . فسَلَّه فقال : « أجَلْ ، هذا طَعامُه فى ذُبابِ السيفِ » .

(١) فى الأصل ، م : « أفتكتموه » .

مقتلُ خالدِ بنِ سُفيانَ

(١)ابنِ نُبَيْحٍ(١) الهُذَلىِّ

ذَكَره الحافظُ البيهقىُّ فى «الدلائلِ»[٢] تِلْوَ مَقْتَلِ أبى رافعٍ .

قال الإمامُ أحمدُ[٣] : حدَّثنا يعقوبُ ، حدَّثنا أبى ، عن ابنِ إسحاقَ ، حدَّثنى محمدُ بنُ جعفرِ بنِ الزبيرِ ، عن ابنِ عبدِ اللَّهِ بنِ أُنَيْسٍ ، عن أبيه قال : دعانى رسولُ اللَّهِ ﷺ فقال : «إنه قد بلَغنى أن خالدَ بنَ سفيانَ بنِ نُبَيْحٍ الهُذَلىَّ يَجْمَعُ لىَ الناسَ ليَغْزُونى[٤] ، وهو بعُرَنةَ ، فأْتِه فاقْتُلْه» . قال : قلتُ : يا رسولَ اللَّهِ ، انْعَتْه لى حتى أَعْرِفَه . قال : «إذا رأيْتَه وجَدْتَ له قُشَعْرِيرَةً[٥]» . قال : فخرَجْتُ مُتَوَشِّحًا سيفى حتى وقَعْتُ عليه ، وهو بعُرَنةَ مع ظُعُنٍ[٦] يَرْتادُ لهنّ منْزِلًا ، وحينَ كان وقتُ العصرِ ، فلمَّا رأيْتُه وجَدْتُ ما وصَف لى رسولُ اللَّهِ ﷺ مِن القُشَعْرِيرةِ ، فأقبَلْتُ نحوَه ، وخشِيتُ أن يكونَ بينى وبينَه مُجاوَلةٌ تَشْغَلُنى عن الصلاةِ ، فصلَّيْتُ وأنا أمْشِى نحوَه ؛ أُومِئُ برأسى للركوعِ والسجودِ ، فلمَّا انتَهَيْتُ إليه قال : مَن الرجلُ ؟ قلتُ : رجلٌ مِن العربِ سَمِع

(١ - ١) سقط من : م .

(٢) دلائل النبوة ٤/٤٠ - ٤٣.

(٣) المسند ٣/٤٩٦.

(٤) سقط من : ا ١٥.

(٥) قشعريرة : رعدة . أى أن عبد اللَّه بن أنيس سيجد رعدة وهَيْبة عندما يراه . انظر بلوغ الأمانى ٧/ ٢٧.

(٦) الظعن : النساء فى الهوادج .

بك وبجَمْعِك لهذا [٣/٣٥و] الرجلِ، فجاءك لذلك. قال: أَجَلْ، إنّا فى ذلك. قال: فمشَيْتُ معه شيئًا، حتى إذا أمْكَننى حمَلْتُ عليه السيفَ حتى قتَلْتُه، ثُم خرَجْتُ وترَكْتُ ظَعائِنَه مُكِبّاتٍ عليه، فلمَّا قدِمتُ على رسولِ اللَّهِ ﷺ فرَآنى قال: «أفْلَح الوجهُ». قال: قلتُ: قتَلْتُه يا رسولَ اللَّهِ. قال: «صدَقْتَ». قال: ثُم قام معى رسولُ اللَّهِ ﷺ، فدخَل فى بيتِه فأعْطانى عصًا فقال: «أمْسِكْ هذه عندَك يا عبدَ اللَّهِ بنَ أُنَيْسٍ». قال: فخرَجْتُ بها على الناسِ، فقالوا: ما هذه العَصَا؟ قال: قلتُ: أعْطانيها رسولُ اللَّهِ ﷺ، وأمَرنى أن أُمْسِكَها. قالوا: أوَ لا ترْجِعُ إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ فتَسْأَلَه عن ذلك؟ قال: فرجَعْتُ إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ فقلتُ: يا رسولَ اللَّهِ، لمَ أعْطَيْتَنى هذه العصا؟ قال: «آيةٌ بينى وبينَك يومَ القيامةِ، إنَّ أقَلَّ الناسِ المُتَخَصِّرون[(١)] يومَئذٍ». قال فقرَنها عبدُ اللَّهِ بسيفِه، فلم تَزَلْ معه، حتى إذا مات أُمِر بها فضُمَّت فى كفنِه، ثُم دُفِنا جميعًا. ثُم رَواه الإمامُ أحمدُ[(٢)]، عن يحيى بنِ آدَمَ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ إدْريسَ، عن محمدِ بنِ إسحاقَ، عن محمدِ بنِ جعفرِ بنِ الزبيرِ، عن بعضِ ولدِ عبدِ اللَّهِ بنِ أُنَيْسٍ - أو قال: عن عبدِ اللَّهِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ أُنَيْسٍ - عن عبدِ اللَّهِ بنِ أُنَيْسٍ، فذكَر نحوَه. وهكذا رَواه أبو داودَ[(٣)]، عن أبى مَعْمَرٍ، عن عبدِ الوارثِ، عن محمدِ بنِ إسحاقَ، عن محمدِ بنِ جعفرٍ، عن ابنِ[(٤)] عَبدِ اللَّهِ بنِ

(١) فى الأصل، م: «المنحصرون»، وفى ا ١٥: «المحصرون». والمتخصرون: هم المتكئون على المخاصر وهى العصىّ، واحدتها مخصرة. انظر شرح غريب السيرة ٣/ ١٧٢.
(٢) المسند ٣/ ٤٩٦.
(٣) أبو داود (١٢٤٩). ضعيف (ضعيف سنن أبى داود ٢٧١).
(٤) سقط من: الأصل، م.

أُنَيْسٍ ، عن أبيه ، فذكَر نحوَه .

ورَواه الحافظُ البيهقىُّ[1] ، مِن طريقِ محمدِ بنِ سَلَمةَ[2] ، عن محمدِ بنِ إسحاقَ ، عن محمدِ بنِ جعفرِ بنِ الزبيرِ ، عن عبدِ اللَّهِ [3] بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ أُنَيْسٍ ، عن أبيه[3] فذكَره . وقد ذكَر نحوَه[4] عروةُ بنُ الزبيرِ ، وموسى بنُ عقبةَ فى « مغازيهما »[5] مُرْسَلةً . فاللَّهُ أعلمُ .

قال ابنُ هشامٍ[6] : وقال عبدُ اللَّهِ بنُ أُنَيْسٍ فى قتلِه خالدَ بنَ سُفيانَ :

تركْتُ ابنَ ثَوْرٍ كالحُوارِ وحولَهُ ... نوائِحُ تَفْرِى كلَّ جَيْبٍ مُقَدَّدِ[7]
تَناوَلْتُه والظُّعْنُ خَلْفى وخَلْفَهُ ... بأبْيضَ مِن ماءِ الحديدِ مُهَنَّدِ[8]
عَجُومٍ لِهامِ الدَّارِعِينَ كأنهُ ... شِهابُ غَضًى مِن مُلْهَبٍ مُتَوَقِّدِ[9]
أقولُ له والسيفُ يَعْجُمُ رأسَهُ ... أنا ابنُ أُنَيْسٍ فارسًا غيرَ قُعْدُدِ[10]
أنا ابنُ الذى لم يُنْزِلِ الدَّهْرَ قِدْرَهُ[11] ... رَحِيبُ فِناءِ الدارِ غيرُ مُزَنَّدِ[12]

---

(١) دلائل النبوة ٤/ ٤٢، ٤٣.
(٢) فى الأصل ، ص: « مسلمة » . وانظر تهذيب الكمال ٢٥/ ٢٨٩.
(٣ - ٣) فى ص: « بن عيسى » .
(٤) فى الأصل ، م: « قصة » ، وفى ا ١٥: « قصته عن » .
(٥) أخرجهما البيهقى فى دلائل النبوة ٤/ ٤٠، ٤١، عن عروة وموسى بن عقبة .
(٦) سيرة ابن هشام ٢/ ٦٢٠، ٦٢١.
(٧) الحوار: ولد الناقة إذا كان صغيرًا . وتفرى: تقطع . شرح غريب السيرة ٣/ ١٧٢.
(٨) فى الأصل ، م: « المهند » .
(٩) عجوم: عضوض . والهام هنا: الرءوس . وشهاب: قطعة من النار . والغضى: شجر يشتد التهاب النار فيه . المصدر السابق .
(١٠) القعدد هنا: اللئيم . المصدر السابق .
(١١) لم ينزل الدهر قدره: القِدْر هو الإناء الذى يُطبخ فيه . ويعنى هنا كرمه وجوده .
(١٢) رحيب: متسع . والمزند: الضيق البخيل . المصدر السابق .

[٣/ ٣٥ظ] وقلتُ له خُذْها بضَرْبةِ ماجدٍ[1] حَنيفٍ[2] على دينِ النبيِّ محمدِ

وكنتُ إذا هَمَّ النبيُّ بكافرٍ سبَقْتُ إليه باللسانِ وباليَدِ

قلتُ: عبدُ اللَّهِ بنُ أُنَيْسٍ [3]بنِ أسعدَ[3] بنِ حَرامٍ، أبو يحيى الجُهَنيُّ، صحابيٌّ مشهورٌ كبيرُ القَدْرِ، كان فيمَن شَهِد العقبَةَ، وشَهِد أُحُدًا والخندقَ وما بعدَ ذلك، وتأخَّر موتُه بالشامِ إلى سنةِ ثمانين على المشهور، وقيل: تُوُفِّيَ سنةَ أربعٍ وخمسين. واللَّهُ أعلمُ. وقد فرَّق عليُّ بنُ المدينيِّ[4] وخَليفةُ بنُ خَيَّاطٍ بينَه وبينَ عبدِ اللَّهِ بنِ أُنَيْسٍ أبي عِيسى الأنصاريِّ[5]، الذى روَى عن النبيِّ ﷺ أنه دَعا يومَ أُحُدٍ بإدَاوةٍ فيها ماءٌ، فخنَث[6] فمَها وشرِب منها، كما رَواه أبو داودَ والترمذيُّ، مِن طريقِ عبدِ اللَّهِ العُمَريِّ، عن عيسى بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ أُنَيْسٍ، عن أبيه[7]. ثُم قال الترمذيُّ: [8]وليس إسنادُه يَصِحُّ[8]، وعبدُ اللَّهِ العُمَريُّ ضعيفٌ مِن قِبَلِ حِفْظِه.

---

(١) الماجد: الشريف. المصدر السابق.

(٢) في الأصل، م: «خفيف».

(٣ - ٣) سقط من: الأصل، م. وانظر الاستيعاب ٣/ ٨٦٩.

(٤) في الأصل، م، ص: «الزبير».

(٥) انظر تحفة الأشراف ٤/ ٢٧٥، وتهذيب الكمال ١٤/ ٣١٦.

(٦) في م: «فحل». وخنثْتُ السقاء: إذا ثَنَيْتُ فمه إلى خارج وشربت منه. النهاية ٢/ ٨٢.

(٧) الترمذى (١٨٩١)، وأبو داود (٣٧٢١). منكر (ضعيف سنن أبي داود ٧٩٧).

(٨ - ٨) سقط من: ص.

قصةُ عمرِو بنِ العاصِ مع النجاشيِّ
(١بعدَ وقعةِ الخندقِ، وإسلامِه على يدَيه١)

قال محمدُ بنُ إسحاقَ، بعدَ مَقْتَلِ أبى رافعٍ[٢]: وحدَّثنى يزيدُ بنُ أبى حَبيبٍ، عن راشدٍ مَوْلَى حَبيبِ بنِ أبى أوسٍ الثَّقَفىِّ، عن حَبيبِ بنِ أبى أوْسٍ، حدَّثنى عمرُو بنُ العاصِ، مِن فِيه، قال: لما انصرَفْنا يومَ الأحزابِ عن الخندقِ، جَمَعْتُ رجالًا مِن قريشٍ كانوا يَرَوْن رأيى، ويَسْمَعون منى، فقلتُ لهم: تَعلَمُون واللَّهِ أنى أَرَى أمرَ محمدٍ يَعْلو الأمورَ عُلُوًّا مُنْكَرًا، وإنى قد رأيْتُ أمرًا، فما ترَوْن فيه؟ قالوا: وما رأيْتَ؟ قال: رأيْتُ أن نَلْحَقَ بالنجاشيِّ فنكونَ عندَه، فإن ظهَر محمدٌ على قومِنا كنا عندَ النجاشيِّ، فإنّا أن نكونَ تحتَ يديه أحبُّ إلينا مِن أن نكونَ تحتَ يَدَىْ محمدٍ، وإن ظهَر قومُنا فنحن مَن قد عرَفوا، فلن يَأْتِيَنا منهم إلا خيرٌ. قالوا: إنّ هذا لَرَأْىٌ. قلتُ: فاجْمَعوا لنا ما نُهْدِى له. وكان أحبَّ ما يُهْدَى إليه مِن أرْضِنا الأَدَمُ[٣]، فجَمَعْنا له أَدَمًا كثيرًا، ثُم خرَجْنا حتى قدِمْنا عليه، فواللَّهِ إنا لعندَه، إذ جاءه عمرُو بنُ أُمَيَّةَ الضَّمْرىُّ، وكان رسولُ اللَّهِ ﷺ قد بعَثه إليه فى شأنِ جعفرٍ وأصحابِه. قال: فدخَل عليه ثم خرَج من عندِه. قال: فقلتُ لأصحابى: هذا عمرُو بنُ أميةَ، لو

(١ - ١) سقط من: م.

(٢) سيرة ابن هشام ٢/٢٧٦ - ٢٧٨.

(٣) فى ص: «الأديم». والأدم: الجلود، واحدها: أديم. شرح غريب السيرة ٣/ ٣٣.

قد دخَلْتُ على النجاشيّ فسَأَلْتُه إياه فأعْطانيه فضَرَبْتُ عُنُقَه ، فإذا فعَلْتُ ذلكَ رَأَت قريشٌ أنى قد أجْزَأْتُ عنها حينَ قتَلْتُ رسولَ محمدٍ . قال : فدخَلْتُ عليه ، فسجَدْتُ له كما كنتُ أصْنَعُ . فقال : مَرْحبًا بصديقى ، هل [٣/٣٦و] أهْدَيْتَ لى مِن بلادِك شيئًا ؟ قال : قلتُ : نعم أيُّها الملِكُ ، قد أَهْدَيْتُ لك أَدَمًا كثيرًا . قال : ثُم قرَّبْتُه إليه ، فأعْجَبه واشْتَهاه ، ثُم قلتُ له: أيُّها الملِكُ ، إنى قد رأيْتُ رجلًا خرَج مِن عندِك ، وهو رسولُ رجلٍ عدُوٍّ لنا ، فأَعْطِنيه لأقْتُلَه ؛ فإنه قد أصاب مِن أشْرافِنا وخِيارِنا . قال : فغضِب ثُم مدَّ يدَه ، فضرَب بها أنفَه[1] ضَرْبةً ظنَنْتُ أنه قد كسَره ، فلو انشقَّتِ الأرضُ لدخَلتُ فيها فَرَقًا منه . ثُم قلتُ له : أيُّها الملِكُ ، واللَّهِ لو ظَنَنْتُ أنك تَكْرَهُ هذا ما سأَلْتُكَه . قال : أتَسْأَلُنى أن أُعْطِيَك رسولَ رجلٍ يَأتِيه الناموسُ الأكْبرُ الذى كان يأتى موسى لِتَقْتُلَه ؟! قال : قلتُ : أيُّها الملِكُ ، أكذاك هو ؟ قال : ويحَك يا عمرُو ! أَطِعْنى واتَّبِعْه ، فإنَّه واللَّهِ لعلى الحقِّ ، وليَظْهَرَنَّ على مَن خالفه ، كما ظهَر موسى بنُ عِمرانَ على فِرْعونَ وجنودِه . قال : قلتُ : أفتُبايِعُنى له على الإسلامِ ؟ قال : نعم . فبسَط يدَه ، فبايَعْتُه على الإسلامِ ، ثم خرَجْتُ على أصحابى وقد حال رأيى عما كان عليه ، وكتَمْتُ أصحابى إسلامى ، ثم خرَجْتُ عامدًا إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ لأُسْلِمَ ، فلَقِيتُ خالدَ بنَ الوَليدِ ، وذلك قُبَيْلَ الفتْحِ ، وهو مُقْبِلٌ مِن مكةَ ، فقلتُ : أين أبا سُليمانَ ؟ فقال : واللَّهِ لقد استقام المِيسَمُ[2] ، وإنَّ الرجلَ لَنبيٌّ ،

---

(١) الظاهر من السياق أن النجاشى ضرب أنف نفسه ، والصحيح أنه ضرب أنف عمرو ، كما بينته رواية الواقدى فى مغازيه ، فيما سيأتى ص ٤٠١ فى قصة إسلام عمرو .

(٢) كذا فى النسخ . وهو لفظ أصول السيرة ، كما أشار محققوها . والمثبت فى السيرة : « المنسم » على اعتبار أنه الصواب ، كما أشار بذلك أبو ذر فى غريب السيرة . قال السهيلى : من رواه « الميسم » بالياء فهى العلامة ؛ أى قد تبين الأمر واستقامت الدلالة ، ومن رواه « المنسم » بفتح الميم وبالنون ، =

أذْهَبُ واللَّهِ فأُسْلِمُ ، فحتى متى ؟ قال : قلتُ : واللَّهِ ما جئْتُ إلا لأُسْلِمَ . قال : فقَدِمْنا المدينةَ على النبيِّ ﷺ ، فتقدَّم خالدُ بنُ الوَليدِ فأسْلَم وبايَعَ ، ثُم دنَوْتُ فقلتُ : يا رسولَ اللَّهِ ، إنى أُبايِعُك على أن يُغْفَرَ لى ما تقدَّم مِن ذنبى . ولا أذْكُرُ ما تأخَّر . قال : فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « يا عمرُو ، بايِعْ فإن الإسلامَ يَجُبُّ[1] ما كان قبلَه ، وإن الهجرةَ تجُبُّ ما كان قبلَها » . قال : فبايَعْتُه ثُم انصَرَفْتُ .

قال ابنُ إسحاقَ[2] : وقد حدَّثنى مَن لا أتَّهِمُ أن عثمانَ بنَ طَلْحَةَ بنِ أبى طَلْحةَ كان معهما ، أسْلَم حينَ أسْلَما ، فقال عبدُ اللَّهِ بنُ الزِّبَعْرَى السَّهْمىُّ :

أَنْشُدُ عثمانَ بنَ طَلْحةَ حِلْفَنا[3] ومُلْقَى نِعالِ القومِ عندَ المُقَبَّلِ[4]
وما عقَدَ الآباءُ مِن كلِّ حِلْفةٍ وما خالدٌ مِن مثْلِها بمُحَلَّلِ[5]
أمِفْتاحَ بيْتٍ غيرِ بيتِك تَبْتَغى وما تبتَغى مِن بيتِ مَجْدٍ مُؤَثَّلِ[6]
فلا تأمنَنَّ خالدًا بعدَ هذه وعثمانَ جاءا بالدُّهَيْمِ المُعَضَّلِ[7]

قلتُ : كان إسلامُهم بعدَ الحُدَيْبِيَةِ ، وذلك أن خالدَ بنَ الوليدِ كان يومَئذٍ

= فمعناه : استقام الطريق ووجبت الهجرة ، والمنسم مقدم خف البعير ، وكنّى به عن الطريق ؛ للتوجه به فيه . انظر الروض الأنف ٦/ ٣٨٦. وشرح غريب السيرة ٣/ ٣٣.

(١) يجب : يقطع ويمحو .

(٢) سيرة ابن هشام ٢/ ٢٧٨.

(٣) فى ١٥١، م : « خلفنا » .

(٤) فى ١٥١، ص : « المقتل » . والمقبل هنا : موضع تقبيل الحجر الأسود . شرح غريب السيرة ٣/ ٣٤.

(٥) فى ١٥١: « بمجلجل » . وفى ص : « بمحلحل » .

(٦) المؤثل : القديم . المصدر السابق .

(٧) الدهيم : اسم من أسماء الداهية . والمعضل : الشديدة . المصدر السابق .

فى [٣/٣٦ظ] خيلِ المشركين، كما سيأتى بيانُه، فكان ذِكْرُ هذا الفصلِ فى إسلامِهم بعدَ ذلك أنسَبَ، ولكنْ ذكَرْنا ذلك تَبَعًا للإمامِ محمدِ بنِ إسحاقَ، رحِمه اللَّهُ تعالى؛ لأن أولَ ذَهابِ عمرِو بنِ العاصِ إلى النجاشىِّ كان بعدَ وقعةِ الخندقِ، والظاهرُ أنه ذهَب فى بَقِيَّةِ سنةِ خَمْسٍ. واللَّهُ أعلمُ.

فصلٌ فى تزويجِ النبىِّ ﷺ بأمِّ حَبيبةَ
(١) رملةَ بنتِ أبى سفيانَ (١)

ذكَر البيهقىُّ[٢] بعدَ وقعةِ الخندقِ مِن طريقِ الكَلْبىِّ، عن أبى صالحٍ، عن ابنِ عباسٍ فى قولِه تعالى: ﴿ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً ﴾ [الممتحنة: ٧]. قال: هو تزويجُ النبىِّ ﷺ بأمِّ حَبيبةَ بنتِ أبى سفيانَ، فصارت أمَّ المؤمنين، وصار مُعاويةُ خالَ المؤمنين.

ثُم قال البيهقىُّ[٣]: أنبأنا أبو عبدِ اللَّهِ الحافظُ، (٤) حدثنا علىُّ بنُ عيسى (٤)، حدَّثنا أحمدُ بنُ نَجْدَةَ، حدَّثنا يَحْيَى بنُ عبدِ الحميدِ، أنبأنا ابنُ المُبارَكِ، عن مَعْمَرٍ، عن الزُّهرىِّ، عن عُروةَ، عن أمِّ حَبيبةَ، أنها كانت عندَ (٥) عُبَيدِ اللَّهِ (٥) بنِ جَحْشٍ، وكان رحَل إلى النجاشىِّ فمات، وأن رسولَ اللَّهِ ﷺ تزوَّج بأمِّ حَبيبةَ وهى بأرضِ الحَبَشةِ، وزوَّجها إياه النجاشىُّ، ومهَرها أربعةَ آلافِ درهمٍ، وبعَث بها مع شُرَحْبِيلَ بنِ حَسَنةَ، وجهَّزها مِن عندِه، وما بعَث إليها[٦] رسولُ اللَّهِ ﷺ بشىءٍ. قال: وكان مهورُ أزواجِ النبىِّ ﷺ أربعَمائةٍ.

(١ - ١) زيادة من: ١٥١، ص.
(٢) دلائل النبوة ٣/ ٤٥٩.
(٣) المصدر السابق ٣/ ٤٦٠.
(٤ - ٤) سقط من: م.
(٥) فى م: «عبد الله».
(٦) سقط من: م.

قلتُ : والصحيحُ أن مُهورَ أزواجِ النبيِّ ﷺ كانت ثِنْتَيْ عشْرةَ أُوقِيَّةً ونَشًّا ، والوُقِيَّةُ أربعون درهمًا ، والنَّشُّ النصفُ ، وذلك يَعْدِلُ خمسَمائةِ درهمٍ .

ثُم روَى البيهقيُّ[(١)] ، مِن طريقِ ابنِ لَهِيعةَ ، عن أبي الأسْودِ ، عن عُروةَ ، أن عُبَيْدَ اللَّهِ بنَ جَحْشٍ مات بالحبشةِ نصْرانيًّا ، فخلَف على زوجتِه أُمِّ حَبِيبةَ رسولُ اللَّهِ ﷺ ، زوَّجها منه عثمانُ بنُ عفانَ ، رَضِىَ اللَّهُ عنه .

قلتُ : أمّا تَنَصُّرُ عُبَيْدِ اللَّهِ بنِ جَحْشٍ فقد تقدَّم بيانُه ، وذلك على أَثَرِ ما هاجر مع المسلمين إلى أرضِ الحبَشةِ ؛ اسْتَزَلَّه الشيطانُ فزَيَّن له دينَ النَّصارَى ، فصار إليه حتى مات عليه ، لعَنه اللَّهُ ، وكان يَلْقَى[(٢)] المسلمين فيقولُ لهم : أبْصَرْنا وصَأْصَأْتُم[(٣)] . وقد تقدَّم شرحُ ذلك فى هجرةِ الحبشةِ . وأما قولُ عروةَ : إنَّ عثمانَ زوَّجها منه . فغريبٌ ؛ لأن عثمانَ كان قد رجَع إلى مكةَ قبلَ ذلك ، ثُم هاجر إلى المدينةِ وصُحْبَتُه زوجتُه رُقَيَّةُ كما تقدَّم . واللَّهُ أعلمُ .

والصحيحُ[(٤)] ما ذكَره يونُسُ ، عن محمدِ بنِ إسحاقَ قال[(٥)] : بلَغنى أن الذى وَلِىَ نِكاحَها [٣٧/٣و] ابنُ عمِّها خالدُ بنُ سعيدِ بنِ العاصِ .

قلتُ : وكان وكيلَ رسولِ اللَّهِ ﷺ فى قَبولِ العقدِ أَصْحَمَةُ النجاشىُّ مِلكُ الحبشةِ ، كما قال يونُسُ ، عن محمدِ بنِ إسحاقَ[(٦)] ، حدَّثنى أبو جعفرٍ محمدُ

---

(١) دلائل النبوة ٣/ ٤٦٠.
(٢) فى الأصل : « يبصر » ، وفى م : « يعير » .
(٣) أبصرنا وصأصأتم : أى أبصرنا أمرنا ولم تبصروا أمركم . النهاية ٣/ ٣.
(٤) فى ١٥١، ص : « المعروف » .
(٥) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٣/ ٤٦٠، ٤٦١، من طريق يونس بن بكير ، به .
(٦) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٣/٤٦١ من طريق يونس بن بكير ، به .

ابنُ عليِّ بنِ الحُسَيْنِ قال : بعَث رسولُ اللَّهِ ﷺ عمرَو بنَ أُمَيَّةَ الضَّمْرِيَّ إلى النجاشيِّ ، فزوَّجه أمَّ حَبِيبةَ بنتَ أبي سفيانَ ، وساق عنه أربعَمائةِ دِينارٍ .

وقال الزُّبيرُ بنُ بَكَّارٍ[(١)] : حدَّثني محمدُ بنُ الحسَنِ ، عن أبيه ، عن عبدِ اللَّهِ ابنِ عمرِو بنِ زُهَيْرٍ ، عن إسماعيلَ بنِ عمرٍو ، أن أمَّ حَبِيبةَ بنتَ أبي سفيانَ قالت : ما شعَرْتُ وأنا بأرضِ الحبشةِ إلا برسولِ النجاشيِّ جاريةٍ يُقالُ لها : أبْرَهةُ . كانت تَقومُ على ثيابِه ودُهْنِه ، فاسْتَأْذَنَتْ عليَّ فأذِنْتُ لها ، فقالت : إن الملِكَ يقولُ لك : إن رسولَ اللَّهِ ﷺ كتَب إليَّ أن أُزَوِّجَكِه . فقلتُ : بشَّرَكِ اللَّهُ بالخيرِ . وقالت : يقولُ لكِ الملِكُ : وكِّلى مَن يُزَوِّجُك . قالت : فأرْسَلْتُ إلى خالدِ بنِ سعيدِ بنِ العاصِ ، فوكَّلْتُه ، وأعْطَيْتُ أبْرَهةَ سِوارَيْن مِن فِضَّةٍ ، وخَدَمَتَيْنْ[(٢)] مِن فِضةٍ كانتا عليَّ ، وخَواتِيمَ مِن فضةٍ كانت[(٣)] في كلِّ أصابعِ رِجلَيَّ ؛ سُرورًا بما بشَّرَتْني به ، فلما أن كان مِن العَشِيِّ ، أمَر النجاشيُّ جعفرَ بنَ أبي طالبٍ ومَن كان هناك مِن المسلمين أن يَحْضُروا ، وخطَب النجاشيُّ وقال : الحمدُ للَّهِ الملكِ القُدُّوسِ السلامِ المُؤْمِنِ المهيمنِ العزيزِ الجبارِ ، وأشْهَدُ أن لا إلهَ إلا اللَّهُ وأن محمدًا عبدُه ورسولُه ، وأنه الذي بشَّر به عيسى بنُ مَرْيَمَ ، أمَّا بعدُ ، فإن رسولَ اللَّهِ ﷺ (٤ كتَب إليَّ ٤) أن أُزوجَه أمَّ حَبِيبةَ بنتَ أبي سفيانَ ، فأجَبْتُ إلى ما دعا إليه رسولُ اللَّهِ ﷺ ، وقد أصْدَقْتُها أربعَمائةِ دينارٍ . ثم سكَب الدنانيرَ بينَ يدي القومِ ، فتَكَلَّم خالدُ بنُ سعيدٍ فقال : الحمدُ للَّهِ ، أحْمَدُه

---

(١) أخرجه البيهقي في دلائل النبوة ٣/ ٤٦١، ٤٦٢، من طريق الزبير ، به .

(٢) في م : « خذمتين » . وفي ص : « خدنتين » . والخدمة : الخلخال .

(٣) سقط من : الأصل، م .

(٤ - ٤) في الأصل، م : « طلب » .

وأسْتَغْفِرُه ، وأشْهَدُ أن لا إلهَ إلا اللَّهُ ، وأشْهَدُ أن محمدًا عبدُه ورسولُه ، أرْسَله بالهُدَى ودينِ الحقِّ ليُظْهِرَه على الدينِ كلِّه ولو كرِه المشركون ، أمّا بعدُ ، فقد أجَبْتُ إلى ما دعا إليه رسولُ اللَّهِ ﷺ ، وزوَّجْتُه أمَّ حَبِيبةَ بنتَ أبى سفيانَ ، فبارَك اللَّهُ لرسولِ اللَّهِ ﷺ . ودفَع النجاشىُّ الدنانيرَ إلى خالدِ بنِ سعيدٍ فقبَضها ، ثُم أرادوا أن يقوموا فقال : اجْلِسوا ، فإن مِن سنةِ الأنْبياءِ إذا تزَوَّجوا أن يُؤْكَلَ طعامٌ على التزويجِ . فدعا بطعامٍ فأكَلوا ثُم تفرَّقوا .

قلتُ : فلعل عمرَو بنَ العاصِ لما رَأى عمرَو بنَ أميةَ خارجًا مِن عندِ النجاشىِّ بعدَ الخندقِ إنما كان فى قضيةِ [٣/٣٧ظ] أمِّ حَبِيبةَ . (١) فاللَّهُ أعلمُ .

لكن قال الحافظُ البيهقىُّ (٢) : ذكَر أبو عبدِ اللَّهِ بنُ مَنْدَه أن تَزْويجَه ، عليه السلامُ ، بأمِّ حَبِيبةَ (١) كان فى سنةِ سِتٍّ ، وأن تزويجَه بأمِّ سَلَمةَ كان فى سنةِ أربعٍ .

قلتُ : وكذا قال خليفةُ وأبو عُبَيْدَةَ (٣) مَعْمَرُ بنُ المُثَنَّى وابنُ البَرْقىِّ : إن تَزْويجَ أمِّ حَبِيبةَ كان فى سنةِ سِتٍّ . وقال بعضُ الناسِ : سنةَ سبعٍ (٤) . (٥) قال البَيْهَقِىُّ (٦) : وذهَب ابنُ إسحاقَ إلى أنه ﷺ تَزوجَ بأمِّ حَبِيبةَ قبلَ أمِّ سلمةَ (٥) . قال البيهقىُّ : وهو أشْبهُ .

(١ - ١) سقط من : ١٥١.

(٢) دلائل النبوة ٣/ ٤٦٢.

(٣) فى م : «عبيد اللَّه» . وانظر تهذيب الكمال ٢٨/٣١٦ - ٣٢١.

(٤) انظر فى ذلك تاريخ خليفة ١/ ٤٦، وتهذيب الكمال ٣٥/ ١٧٥.

(٥ - ٥) سقط من : الأصل، م، ص.

(٦) دلائل النبوة ٣/ ٤٦٢.

قلتُ : قد تقدَّم تزويجُه ، عليه السلامُ ، بأمِّ سَلَمةَ فى أواخرِ سنةِ أربعٍ ، وأمَّا أمُّ حَبِيبةَ فيَحْتَمِلُ أن يكونَ قبلَ ذلك ، ويَحْتَمِلُ أن يكونَ بعدَه ، وكونُه بعدَ الخندقِ أشْبَهُ ؛ لما تقدَّم مِن ذِكْرِ عمرِو بنِ العاصِ أنه رَأى عمرَو بنَ أميةَ عندَ النجاشىِّ ، فهو فى قضيتِها . واللَّهُ أعلمُ .

وقد حكَى الحافظُ ابنُ الأثيرِ فى « الغابةِ »[1] عن قَتادةَ ، أن أمَّ حَبِيبةَ لما هاجرتْ مِن الحبشةِ إلى المدينةِ خطَبها رسولُ اللَّهِ ﷺ وتزَوَّجها . وحكَى[1] عن بعضِهم أنه تزَوَّجها بعدَ إسلامِ أبيها بعدَ الفتحِ ، واحتجَّ هذا القائلُ بما رواه مسلمٌ[2] مِن طريقِ عِكْرمةَ بنِ عمَّارٍ اليَمامىِّ[3] ، عن أبى زُمَيْلٍ سِماكِ بنِ الوَليدِ ، عن ابنِ عباسٍ أن أبا سُفيانَ قال : يا رسولَ اللَّهِ ، ثلاثٌ أَعْطِنِيهُن . قال : « نعم » . قال : تُؤَمِّرُنى على أن أُقاتِلَ الكُفارَ كما كنتُ أُقاتِلُ المسلمين . قال : « نعم » . قال : ومُعاويةُ تجْعَلُه كاتبًا بينَ يدَيْك . قال : « نعم » . قال : وعندى أحسنُ العربِ وأجملُه أمُّ حَبِيبةَ بنتُ أبى سفيانَ أزَوِّجُكَها . الحديثُ بتمامِه . قال ابنُ الأثيرِ[1] : وهذا الحديثُ مما أُنْكِر على مسلمٍ ؛ لأن أبا سفيانَ لما جاء يُجَدِّدُ العقدَ قبلَ الفتحِ ، دخَل على ابنتِه أمِّ حَبِيبةَ فَثَنَتْ عنه فراشَ النبىِّ ﷺ ، فقال : واللَّهِ ما أَدْرِى أرَغِبْتِ بى عنه ، أو به عنى ؟ قالت: بل هذا فراشُ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، وأنت رجلٌ مُشْرِكٌ . فقال : واللَّهِ لقد أصابكِ بعدى يا بُنَيَّةُ شرٌّ .

---

(١) أسد الغابة ٧/ ١١٦.

(٢) مسلم (٢٥٠١) .

(٣) فى م ، ص : « اليمانى » . وانظر تهذيب الكمال ٢٠/ ٢٥٦.

وقال ابنُ حَزْمٍ[1] : هذا الحديثُ وضَعه عكرمةُ بنُ عَمَّارٍ. وهذا القولُ منه لا يُتابَعُ عليه. وقال آخَرون: أراد أن يُجَدِّدَ العقدَ لما فيه بغيرِ إذنِه مِن الغَضاضةِ عليه. وقال بعضُهم: لأنه اعتَقَد انفساخَ نكاحِ ابنتِه بإسلامِه. وهذه كلُّها ضعيفةٌ، والأحسنُ فى هذا أنه أراد أن يُزَوِّجَه ابنتَه الأخرى عَزَّةَ، لَمّا رَأَى فى ذلك مِن الشرفِ له، واستعان بأختِها أمِّ حبيبةَ كما فى «الصحيحَيْن»[2]، وإنما وَهِم الراوى هذا بتسميتِه أمَّ حبيبةَ، [٣/٣٨و] وقد أفْرَدْنا لذلك جُزءًا مُفْرَدًا.

[3]قال أبو عبيدٍ القاسمُ بنُ سلَّامٍ[4]: تُوُفِّيَتْ أمُّ حبيبةَ سنةَ أربعٍ وأربعين. وقال أبو بكرِ بنُ أبى خَيْثَمَةَ[4]: تُوُفِّيَتْ قبلَ مُعاويةَ بسنةٍ، وكانت وفاةُ معاويةَ فى رَجَبٍ سنةَ ستين[3].

---

(١) ذكره عنه النووى فى شرح صحيح مسلم ١٦/ ٦٣.

(٢) البخارى (٥١٠١، ٥١٠٦، ٥١٠٧، ٥١٢٣، ٥٣٧٢). ومسلم (١٤٤٩).

(٣ - ٣) سقط من: ص.

(٤) ذكر ذلك عنه الحافظ المزى فى تهذيب الكمال ٣٥/ ١٧٦.

تَزْوِيجُه، عليه السلامُ، بزَيْنَبَ بنتِ جَحْشِ بنِ رِئابِ بنِ يَعْمَرَ بنِ صَبِرَةَ بنِ مُرَّةَ بنِ كَبيرٍ[1] بنِ غَنْمِ بنِ دُودانَ بنِ أَسَدِ ابنِ خُزَيْمةَ، الأَسَديَّةِ أمّ المؤمنين

وهى بنتُ أُمَيْمةَ بنتِ عبدِ المُطَّلِبِ، عمَّةِ رسولِ اللَّهِ ﷺ، وكانت قبلَه عندَ مَوْلاه زيدِ بنِ حارِثَةَ، رَضِىَ اللَّهُ عنه.

قال قَتادةُ، والواقدىُّ، وبعضُ أهلِ المدينةِ[2]: تزَوَّجها، عليه السلامُ، سنةَ خمسٍ. زاد بعضُهم[3]: فى ذى القَعْدةِ. قال الحافظُ البيهقىُّ[4]: تزَوَّجها بعدَ بنى قُرَيْظَةَ. وقال خَليفةُ بنُ خَيَّاطٍ، وأبو عُبَيْدَةَ مَعْمَرُ بنُ المُثَنَّى[5]، وابنُ مَنْدَه[6]: تزَوَّجها سنةَ ثلاثٍ. والأولُ أشهرُ، وهو الَّذى سَلَكه ابنُ جَريرٍ[7] وغيرُ واحدٍ مِن أهلِ التاريخِ. وقد ذكَر غيرُ واحدٍ مِن المفسِّرين، والفقهاءِ، وأهلِ التاريخِ فى سببِ تَزْويجِه إيَّاها، عليه السلامُ، حديثًا ذكَره أحمدُ بنُ حنبلٍ فى

---

(١) فى ١٥١، ص: «كثير». وانظر جمهرة النسب ص ١٨٦، وجمهرة أنساب العرب ص ١٩١.

(٢) انظر ذلك فى تهذيب الكمال ٣٥/ ١٨٤.

(٣) طبقات ابن سعد ٨/ ١١٤.

(٤) دلائل النبوة ٣/ ٤٦٧.

(٥) ذكر ذلك عنهما الحافظ المزى فى تهذيب الكمال ٣٥/ ١٨٤. وانظر تاريخ خليفة ١/ ٢٨.

(٦) ذكره البيهقى فى دلائل النبوة ٣/٤٦٧ عنه.

(٧) تاريخ الطبرى ٢/ ٥٦٢. حوادث السنة الخامسة.

« مسندِه »[1] تَرَكْنا إيرادَه قَصْدًا؛ لِئلَّا يَضَعَه بعضُ مَن لا يَفْهَمُ على غيرِ مَوضِعِه، وقد قال اللَّهُ تعالى فى كتابِه العزيزِ: ﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا لِكَىْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِىٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٣٧﴾ مَّا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ ٱللَّهُ لَهُۥ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴾ [الأحزاب: ٣٧، ٣٨].

وقد تكلَّمْنا على ذلك فى « التفسيرِ »[2] بما فيه كفايةٌ، فالمرادُ بالَّذى أنعَم اللَّهُ عليه هـٰهنا زيدُ بنُ حارثةَ، مَوْلى رسولِ اللَّهِ ﷺ، أَنْعم اللَّهُ عليه بالإسلامِ، وأَنْعم عليه رسولُ اللَّهِ ﷺ بالعِتْقِ، وزوَّجه بابنةِ عَمَّتِه[3] زينبَ بنتِ جَحْشٍ. قال مُقاتِلُ بنُ حَيَّانَ[4]: وكان صَداقُه لها عَشَرَةَ دَنانيرَ وستين درهمًا، وخِمارًا، ومِلْحَفةً، ودِرْعًا، وخمسين مُدًّا (٥مِن طَعامٍ٥)، وعشرةَ أمْدادٍ مِن تمرٍ[6]، فمَكَثتْ عندَه قريبًا مِن سنةٍ أو فوقَها، ثُم وقَع بينَهما، فجاء زوجُها يَشْكُوها إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ [٣/٣٨ظ]، فجعل صلَّى اللَّهُ عليه وسلَّم يقولُ له: « اتَّقِ اللَّهَ وأمْسِكْ عليك زَوْجَك ». قال اللَّهُ: ﴿ وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ

---

(١) المسند ٣/ ١٤٩، ١٥٠.
(٢) التفسير ٦/٤١٩ - ٤٢٢.
(٣) فى م: « عمه ».
(٤) ذكره الزمخشرى فى الكشاف ٢/ ٢٦١. وقال الزيلعى فى تخريجه لأحاديث الكشاف ٣/ ١١٠: غريب بهذا اللفظ. وقال محققه: قال ابن حجر: أخرجه ابن أبى حاتم عن مقاتل بن حيان موضوعًا.
(٥ - ٥) سقط من: الأصل، م.
(٦) فى ص: « بر ».

مُبْدِيهِ ﴾ . قال علىُّ بنُ الحُسَيْنِ زَيْنُ العابِدِين ، والسُّدِّىُّ[1] : كان اللَّهُ قد أَعْلَمه[2] أَنَّها ستكونُ مِن أزواجِه ، فهو الذى كان فى نفسِه ، عليه السلامُ . وقد تكَلَّم كثيرٌ مِن السلَفِ هـٰهنا بآثارٍ غريبةٍ ، وبعضُها فيه نظَرٌ ، ترَكْناها قصدًا[3] .

قال اللَّهُ تعالى : ﴿ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَـٰكَهَا ﴾ . وذلك أنَّ زيدًا طلَّقها ، فلمَّا انقضَتْ عِدَّتُها ، بعَث إليها رسولُ اللَّهِ ﷺ ، يَخْطُبُها إلى نفسِها ، ثُم تزَوَّجها ، وكان الذى زوَّجها منه ربُّ العالمين تبارك وتعالى ، كما ثبَت فى « صحيحِ البخارىِّ »[4] عن أنسِ بنِ مالكٍ أن زينبَ بنتَ جَحْشٍ كانت تَفْخَرُ على أزواجِ النبىِّ ﷺ فتقولُ : زوَّجَكُنَّ أَهَاليكُنَّ ، وزوَّجنى اللَّهُ مِن فوقِ سبعِ سماواتٍ . وفى روايةٍ مِن طريقِ عيسى بنِ طَهْمانَ ، عن أنسٍ[5] قال : كانت زينبُ تَفْخَرُ على نساءِ النبىِّ ﷺ وتقولُ : أنْكَحَنِىَ اللَّهُ مِن السماءِ . وفيها أُنْزِلَتْ آيةُ الحِجابِ : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتَ ٱلنَّبِىِّ إِلَّآ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَـٰظِرِينَ إِنَىٰهُ ﴾ الآية [الأحزاب : ٥٣] .

ورَوَى البيهقىُّ[6] مِن حديثِ حمادِ بنِ زيدٍ ، عن ثابتٍ ، عن أنسٍ قال : جاء زيدٌ يَشْكو زينبَ ، فجعَل رسولُ اللَّهِ ﷺ يقولُ : « اتَّقِ اللَّهَ ، وأَمْسِكْ عليك زَوْجَك » . قال أنسٌ : فلو كان رسولُ اللَّهِ ﷺ كاتمًا شيئًا لكَتَم هذه ،

---

(١) أخرج الطبرى قول على بن الحسين فى التفسير ٢٢/ ١٣، أما قول السدى فذكره السيوطى فى الدر المنثور ٥/٢٠٣ وعزاه إلى ابن أبى حاتم.
(٢) فى الأصل ، م : « علم » .
(٣) سقط من : الأصل ، م .
(٤) البخارى (٧٤٢٠) .
(٥) البخارى (٧٤٢١) ، والنسائى فى الكبرى (١١٤١١) واللفظ له .
(٦) دلائل النبوة ٣/ ٤٦٥.

فكانت تفْخَرُ على أزواجِ النبيِّ ﷺ تقولُ : زوَّجكن أهاليكُنَّ ، وزوَّجَنِى اللَّهُ مِن فوقِ سبعِ سماواتٍ . ثُم قال[1] : رَواه البخاريُّ ، عن أحمدَ ، عن محمدِ بنِ أبى بكرٍ المُقَدَّمىِّ ، عن حمَّادِ بنِ زيدٍ .

[2]ثُم رَوى البيهقىُّ[3] مِن طريقِ عفانَ ، عن حمادِ بنِ زيدٍ[2] ، عن ثابتٍ ، عن أنسٍ ، قال : جاء زيدٌ يَشْكو إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ مِن زينبَ بنتِ جَحْشٍ ، فقال النبيُّ ﷺ : « أمْسِكْ عليك أهْلَك » . فنزَلتْ : ﴿ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ ﴾ . ثُم قال : رواه[4] البخاريُّ ، عن محمدِ بنِ عبدِ الرحيمِ ، عن مُعَلَّى بنِ مَنْصورٍ ، عن حمادٍ[5] مُختصَرًا .

وقال ابنُ جريرٍ[6] : حدَّثنا ابنُ حُمَيْدٍ ، حدَّثنا جَريرٌ ، عن مُغيرةَ ، عن الشعْبىِّ قال : كانت زينبُ تقولُ للنبيِّ ﷺ : [٣٩/٣و] إنِّى لأَدِلُّ عليك بثلاثٍ ما مِن نِسائِك امرأةٌ تَدِلُّ بهنَّ ؛ أنَّ جَدِّى وجَدَّك واحدٌ - تعنى عبدَ المُطَّلِبِ ؛ فإنه أبو أبى النبيِّ ﷺ وأبو أُمِّها أُمَيْمةَ بنتِ عبدِ المُطَّلِبِ - وأنى أنْكَحَنِيكَ اللَّهُ ، عَزَّ وجَلَّ ، مِن السماءِ ، وأن السَّفِيرَ جبريلُ ، عليه السلامُ .

وقال الإمامُ أحمدُ[7] : حدَّثنا هاشمٌ - يعنى ابنَ القاسمِ أبا[8] النَّضْرِ -

---

(١) أى البيهقى ، والحديث تقدم تخريجه فى الصفحة السابقة حاشية (٤) .
(٢ - ٢) سقط من : ١٥١، ص .
(٣) دلائل النبوة ٣/ ٤٦٦.
(٤) سقط من : م .
(٥) فى الأصل ، م : « محمد » . والحديث عند البخارى (٤٧٨٧) .
(٦) تفسير الطبرى ٢٢/ ١٤.
(٧) المسند ٣/ ١٩٥، ١٩٦.
(٨) فى الأصل ، م : « حدثنا » . وفى ١٥١: « أنا » . وانظر تهذيب الكمال ٣٠/ ١٣٠.

حدَّثنا سليمانُ بنُ المُغيرةِ ، عن ثابتٍ ، عن أنسٍ قال : لما انقَضَتْ عِدَّةُ زينبَ ، قال النبيُّ ﷺ لزيدٍ : « اذهَبْ فاذْكُرْها عليَّ » . فانْطَلَق حتى أتاها وهى تُخَمِّرُ عجينَها . قال : فلمَّا رأيْتُها ، عَظُمَتْ فى صَدْرى ، حتى ما أسْتَطيعُ أن أنْظُرَ إليها أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ ذكَرها ، فوَلَّيْتُها ظَهْرى ، ونكَصْتُ على عَقِبَىَّ وقلْتُ : يا زينبُ ، أَبْشِرِى ، أرْسَلنى رسولُ اللَّهِ ﷺ يَذْكُرُكِ . قالتْ : ما أنا بصانعةٍ شيئًا حتى أُؤَامِرَ ربِّى ، عَزَّ وجَلَّ . فقامتْ إلى مسجدِها ، ونزَل القرآنُ ، وجاء رسولُ اللَّهِ ﷺ فدخَل عليها بغيرِ إذنٍ . قال أنسٌ : ولقد رأيْتُنا حينَ دخَل عليها رسولُ اللَّهِ ﷺ ، أطْعَمَنا عليها الخبزَ واللحمَ ، فخرَج الناسُ ، وبَقِىَ رِجالٌ يتَحدَّثون فى البيتِ بعدَ الطَّعامِ ، فخرَج رسولُ اللَّهِ ﷺ واتَّبَعْتُه ، فجعَل يَتَتَبَّعُ حُجَرَ نسائِه يُسَلِّمُ عليهنَّ ، ويقُلْنَ : يا رسولَ اللَّهِ ، كيف وجَدْتَ أهلَك ؟ فما أدْرِى أنا أخْبَرْتُه أنَّ[1] القومَ قد خرَجوا ، أو أُخْبِر . قال : فانْطَلَق حتى دخَل البيتَ ، فذهَبْتُ أدْخُلُ معه ، فألْقَى السِّتْرَ بينى وبينَه ، ونزَل الحِجابُ ، ووُعِظ القومُ بما وُعِظوا به ﴿ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتَ ٱلنَّبِىِّ إِلَّآ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ ﴾ الآية . وكذا رَواه مسلمٌ والنسائىُّ مِن [2]طرقٍ ، عن[2] سليمانَ بنِ المُغيرةِ[3] .

(١) فى الأصل : « أو » ، وفى م : « و » .

(٢ - ٢) فى الأصل ، م : « طريق » .

(٣) مسلم (١٤٢٨) ، والنسائى (٣٢٥١) .

ذكرُ[1] نزولِ آيةِ[2] الحجابِ صبيحةَ [3]عُرْسِها الذى وَلِىَ اللَّهُ عقدَ نكاحِه[3]

فناسَب نزولُ الحجابِ فى هذا العُرْسِ صيانةً[4] لها ولأخَواتِها مِن أُمهاتِ المؤمنين، وذلك وَفْقَ الرأْيِ العُمَرِىِّ[5].

قال البخارىُّ[6]: حدَّثنا محمدُ بنُ عبدِ اللَّهِ الرَّقاشىُّ، حدثنا مُعْتَمِرُ بنُ سُليمانَ، سمِعْتُ أبى، حدَّثنا أبو مِجْلَزٍ، عن أنسِ بنِ مالكٍ قال: لما تزَوَّج رسولُ اللَّهِ ﷺ زينبَ بنتَ جَحْشٍ دَعا القومَ فطَعِموا ثُم جلَسوا يتحَدَّثون، فإذا هو يتَهَيَّأُ[7] للقيامِ فلم يقوموا، فلمَّا رَأَى ذلك قام، فلمَّا قام، قام مَن قام، وقعَد ثلاثةُ نفَرٍ، وجاء النبىُّ ﷺ ليَدْخُلَ فإذا القومُ جُلوسٌ، ثُم إنهم [٣/ ٣٩ظ] قاموا فانطَلَقوا[8]، فجِئْتُ فأخْبَرْتُ النبىَّ ﷺ أنهم قد انطَلقوا، فجاء حتى دخَل

---

(١) سقط من: م.

(٢) سقط من: الأصل، م، ص.

(٣ - ٣) فى م: «عرس زينب».

(٤) فى ١٥١: «ضيافة».

(٥) وذلك لما رواه البخارى (٤٧٩٠)، من حديث أنس، قال: قال عمر رضى اللَّه عنه: قلت: يا رسول اللَّه، يدخل عليك البر والفاجر فلو أمرت أمهات المؤمنين بالحجاب. فأنزل اللَّه آية الحجاب.

(٦) البخارى (٤٧٩١).

(٧) فى البخارى: «يتأهب».

(٨) فى البخارى: «فانطلقت».

فذهَبْتُ أدْخُلُ، فألْقَى الحِجابَ بينى وبينَه، فأنْزَل اللَّهُ تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدْخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ ﴾ الآية. وقد رَواه البخاريُّ فى مَواضعَ أُخَرَ ومسلمٌ والنسائىُّ، مِن طُرُقٍ عن مُعْتَمِرٍ[1]. ثُم رَواه البخاريُّ مُنْفرِدًا به مِن حديثِ أيوبَ، عن أبى قِلابةَ، عن أنسٍ، بنحوِه[2].

وقال البخاريُّ[3]: حدَّثنا أبو مَعْمَرٍ، حدَّثنا عبدُ الوارِثِ، حدَّثنا عبدُ العزيزِ ابنُ صُهَيْبٍ، عن أنسِ بنِ مالكٍ، قال: بُنِىَ على النبىِّ ﷺ بزينبَ بنتِ جَحْشٍ بخُبْزٍ ولَحْمٍ، فأُرْسِلْتُ على الطعامِ داعيًا، فيَجِىءُ قومٌ فيأْكُلون ويخْرُجون، ثُم يَجِىءُ قومٌ فيأْكُلون ويخْرُجون، فدَعَوْتُ حتى ما أجِدُ أحدًا أدْعوه، [4]فقلتُ: يا نبىَّ اللَّهِ، ما أجِدُ أحدًا أدْعوه[4]. قال: «فارْفَعوا طَعامَكم». وبَقِىَ ثلاثةُ رَهْطٍ يتَحَدَّثون فى البيتِ، فخرَج النبىُّ ﷺ، فانطَلَق إلى حُجْرةِ عائشةَ فقال: «السلامُ عليكم أهلَ البيتِ ورحمةُ اللَّهِ وبَركاتُه[5]». قالت: وعليك السلامُ ورحمةُ اللَّهِ[6]، كيف وجَدْتَ أهْلَك، بارك اللَّهُ لك؟ فتَقَرَّى[7] حُجَرَ نسائِه كُلِّهن، يقولُ لهن كما يقولُ لعائشةَ، ويقُلْن له كما قالت عائشةُ، ثُم رجَع النبىُّ ﷺ، فإذا رَهْطٌ ثلاثةٌ فى البيتِ يتَحَدَّثون، وكان النبىُّ ﷺ شديدَ الحَياءِ، فخرَج مُنْطلِقًا نَحْوَ حُجرةِ عائشةَ، فما أدْرى آخْبَرْتُه،

---

(١) البخارى (٦٢٣٩، ٦٢٧١)، ومسلم (٩٢/١٤٢٨)، والنسائى فى الكبرى (١١٤٢٠).

(٢) البخارى (٤٧٩٢).

(٣) البخارى (٤٧٩٣).

(٤ - ٤) سقط من: ص.

(٥) كذا فى النسخ، وهى زيادة عما فى البخارى.

(٦) بعده فى الأصل، م: «وبركاته».

(٧) تقرى: تتبع الحجرات واحدة واحدة. فتح البارى ٨/ ٥٣٠.

أم أُخْبِر أنَّ القومَ خرَجوا؟ فرجَع[1] حتى إذا وَضَع رِجْلَه فى أُسْكُفَّةِ البابِ[2] داخلةً[3] وأُخْرى خارِجةً أرْخَى السِّتْرَ بينى وبينَه، وأُنْزِلت آيةُ الحِجابِ. تفرَّد به البخاريُّ مِن هذا الوجهِ. ثُم رَواه مُنْفرِدًا به أيضًا، عن إسحاقَ هو ابنُ منصورٍ[4]، عن عبدِ اللَّهِ ابنِ بكرٍ[5] السَّهْميِّ، عن حُمَيْدٍ، عن[6] أنسٍ، بنحوِ ذلك[7]، وقال: رجلان. بدلَ ثلاثةٍ. فاللَّهُ أعلمُ. قال البخاريُّ[8]: وقال إبراهيمُ بنُ طَهْمانَ، عن الجَعْدِ أبى عُثمانَ، عن أنسٍ، فذكَر نحوَه.

وقد قال ابنُ أبى حاتمٍ[9]: حدَّثنا أبى، حدَّثنا أبو المُظَفَّرِ، حدَّثنا جعفرُ بنُ سليمانَ، عن الجَعْدِ أبى عثمانَ اليَشْكُرىِّ، عن أنسِ بنِ مالكٍ، قال: أعْرَس رسولُ اللَّهِ ﷺ ببعضِ نسائِه، فصنَعتْ أمُّ سُلَيْمٍ حَيْسًا[10] ثُم وضعتْه[11] فى تَوْرٍ[12]، فقالت: اذْهَبْ بهذا إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ[13]، وأخْبِرْه أنَّ هذا منا له قليلٌ. قال أنسٌ: والناسُ يومَئذٍ فى جَهْدٍ، فجِئْتُ به فقلتُ: يا رسولَ اللَّهِ

---

(١) فى الأصل، م: «فخرج».
(٢) أسكفة الباب: عتبته التى يوطأ عليها. انظر اللسان (س ك ف).
(٣) سقط من: م.
(٤) فى النسخ: «نصر». والمثبت من صحيح البخارى. وانظر تهذيب الكمال ٢/ ٤٧٤.
(٥) فى الأصل، م: «بكير». وانظر تهذيب الكمال ١٤/ ٣٤٠.
(٦) فى م: «بن».
(٧) البخارى (٤٧٩٤).
(٨) البخارى (٥١٦٣) تعليقًا.
(٩) ذكره المصنف فى التفسير ٦/ ٤٤٢، بسند ابن أبى حاتم.
(١٠) الحيس: تمر وأقط - لبن مجفف - وسمن تخلط وتعجن وتسوى كالثريد. الوسيط (ح ى س).
(١١) فى م: «حطته».
(١٢) فى الأصل، م: «ثور»، والتور: هو إناء من صفر أو حجارة. النهاية ١/ ١٩٩.
(١٣) بعده فى التفسير: «وأقرئه منى السلام».

بعَثَت بهذا أمُّ سُلَيْمٍ إليك ، [٣/ ٤٠و] وهى تُقْرِئُك السلامَ وتقولُ : أخبِرْه[(١)] أنّ هذا منّا له قليلٌ . فنظَر إليه ثُم قال : « ضَعْه » . فوضعْتُه[(١)] فى ناحيةِ البيتِ ، ثُم قال : « اذْهَبْ فادْعُ لى فلانًا وفلانًا » . فسَمَّى رِجالًا كثيرًا . قال : « ومَن لقِيتَ مِن المسلمين » . فدَعَوْتُ مَن قال لى ، ومَن لقِيتُ مِن المسلمين ، فجِئْتُ والبيتُ والصُّفَّةُ والحُجْرةُ مَلْأَى مِن الناسِ ، فقلتُ : يا أبا عثمانَ ، كم كانوا ؟ قال : كانوا زُهاءَ ثلاثِمائةٍ . قال أنسٌ : فقال لى رسولُ اللَّهِ ﷺ : « جِئْ به[(٢)] » . فجئتُ به إليه ، فوضَع يدَه عليه ودَعا ، وقال : « ما شاء اللَّهُ » . ثُم قال : « لِيَتَحَلَّقْ عشَرةٌ عشَرةٌ ويُسَمُّوا ، ولْيَأْكُلْ كلُّ إنسانٍ مما يليه » . فجعَلوا يُسَمُّون ويأكلون حتى أكَلوا كلُّهم ، فقال لى رسولُ اللَّهِ ﷺ : « ارْفَعْه » . قال : فجئتُ فأخَذْتُ التَّورَ[(٣)] فنظَرْتُ ، فما[(٤)] أدْرى أهو حينَ وضَعْتُه أكثرُ أم حينَ رفَعْتُه . قال : وتخلَّف رجالٌ يتَحَدَّثون فى بيتِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، وزوجُ رسولِ اللَّهِ ﷺ التى دخَل بها معهم مُولِّيَةٌ وجْهَها إلى الحائطِ ، فأطالوا الحديثَ ، فشَقُّوا على رسولِ اللَّهِ ﷺ ، وكان أشَدَّ الناسِ حياءً ، ولو علِموا كان ذلك عليهم عزيزًا ، فقام رسولُ اللَّهِ ﷺ ، فخرج[(٥)] فسَلَّم على حُجَرِه وعلى نسائِه ، فلمَّا رَأَوْه قد جاء ظَنُّوا أنهم قد ثَقَّلوا عليه ، ابْتَدروا البابَ فخرَجوا ، وجاء رسولُ اللَّهِ ﷺ ، حتى أرْخَى السِّتْرَ ، ودخَل البيتَ وأنا فى الحُجْرةِ ، فمكَث رسولُ اللَّهِ

(١) سقط من : م .

(٢) سقط من : الأصل ، م .

(٣) فى الأصل ، م : « الثور » .

(٤) فى الأصل ، م : « فيه فلا » .

(٥) سقط من : الأصل ، م .

ﷺ فى بيتِه يسيرًا ، وأنزَل اللَّهُ عليه القرآنَ ، فخرَج وهو يَقْرأُ هذه الآيةَ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدْخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ وَلَٰكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَٱدْخُلُواْ فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَٱنتَشِرُواْ وَلَا مُسْتَـْٔنِسِينَ لِحَدِيثٍۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِى ٱلنَّبِيَّ فَيَسْتَحْىِۦ مِنكُمْۖ وَٱللَّهُ لَا يَسْتَحْىِۦ مِنَ ٱلْحَقِّۚ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍۚ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّۚ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُواْ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓاْ أَزْوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَبَدًاۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا ﴿٥٣﴾ إِن تُبْدُواْ شَيْـًٔا أَوْ تُخْفُوهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴾ [الأحزاب : ٥٣، ٥٤]. قال أنسٌ : فقرأهن علىَّ قبلَ الناسِ ، وأنا أحْدَثُ الناسِ بهن عهْدًا . وقد رَواه مسلمٌ والترمذىُّ والنسائىُّ جميعًا ، عن قُتَيْبَةَ ، عن جعفرِ بنِ سليمانَ ، عن الجَعْدِ أبى عُثمانَ به[1] . وقال الترمذىُّ : حسنٌ صحيحٌ . ورَواه مسلمٌ أيضًا ، عن محمدِ بنِ [٣/ ٤٠ظ] رافعٍ ، عن عبدِ الرزَّاقِ ، عن مَعْمَرٍ ، عن الجَعْدِ أبى عثمانَ ، به[2] . وقد رَوَى هذا الحديثَ البخارىُّ والترمذىُّ والنسائىُّ ، مِن طُرُقٍ ، عن بيانٍ[3] أبى بِشْرٍ الأَحْمَسىِّ الكوفىِّ ، عن أنسٍ ، بنحوِه[4] . ورَواه ابنُ أبى حاتمٍ مِن حديثِ أبى نَضْرَةَ العَبْدىِّ ، عن أنسٍ ، بنحوِه ، ولم يُخْرِجوه[5] . ورَواه ابنُ جَريرٍ[6] ،

---

(١) مسلم (١٤٢٨/٩٤)، والترمذى (٣٢١٨)، والنسائى (٣٣٨٧).

(٢) مسلم (١٤٢٨/٩٥).

(٣) سقط من: م. وانظر تهذيب الكمال ٤/ ٣٠٣.

(٤) البخارى (٥١٧٠) مختصرا، والترمذى (٣٢١٩)، والنسائى فى الكبرى (١١٤١٧).

(٥) انظر التفسير ٦/ ٤٤٣.

(٦) تفسير الطبرى ٢٢/ ٣٧، ٣٨.

مِن حديثِ عمرِو بنِ سعيدٍ ، ومِن حديثِ الزهريِّ[1] ، عن أنسٍ ، بنحوِ ذلك .

قلتُ : كانت زينبُ بنتُ جَحْشٍ ، رَضِىَ اللَّهُ عنها ، مِن المُهاجِراتِ الأُوَلِ ، وكانت كثيرةَ الخيرِ والصَّدَقةِ ، وكان اسمُها أولًا بَرَّةَ فسمَّاها النبيُّ ﷺ زينبَ ، وكانت تُكَنَّى بأمِّ الحكَمِ ، قالت عائشةُ[2] ، رَضِىَ اللَّهُ عنها : ما رأيتُ امرأةً قطُّ خيرًا فى الدينِ مِن زينبَ ، وأتْقَى للَّهِ وأصْدَقَ حديثًا وأوْصَلَ للرَّحِمِ وأعْظَمَ أمانةً وصَدَقةً .

وثبَت فى « الصحيحين »[3] كما سيأتى فى حديثِ الإفْكِ ، عن عائشةَ أنها قالت : وسأَل رسولُ اللَّهِ ﷺ عنِّى زينبَ بنتَ جَحْشٍ ، وهى التى كانت تُسامِينى مِن نساءِ النبيِّ ﷺ ، فعصَمها اللَّهُ بالوَرَعِ ، فقالت : يا رسولَ اللَّهِ ، أحْمِى سمعى وبصرى ، ما علِمْتُ إلَّا خيرًا .

وقال مسلمُ بنُ الحَجَّاجِ فى « صحيحِه »[4] : حدَّثنا محمودُ بنُ غَيْلانَ ، حدَّثنا الفَضْلُ بنُ موسى السِّينانيُّ[5] ، حدَّثنا طَلْحةُ بنُ يَحْيَى بنِ طَلْحةَ ، [6]عن عائشةَ بنتِ طلحةَ[6] ، عن عائشةَ أمِّ المؤمنين قالت : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « أسْرَعُكُنَّ لحُوقًا بى أطْوَلُكن يدًا » . قالت : فكنا نَتَطاوَلُ أيُّنا أطْوَلُ يدًا . قالت : فكانت زينبُ أَطْوَلَنا يدًا ؛ لأنها كانت تَعْمَلُ بيدِها وتتَصَدَّقُ .انفرَد به مسلمٌ .

---

(١) فى ص : « الترمذى » .
(٢) رواه مسلم (٢٤٤٢) .
(٣) البخارى (٤٧٥٠) ، ومسلم (٢٧٧٠) .
(٤) مسلم (٢٤٥٢) .
(٥) فى الأصل ، ١٥١ ، م : « الشيبانى » . وانظر تهذيب الكمال ٢٣/ ٢٥٤.
(٦ - ٦) سقط من : الأصل ، م ، ص . وانظر تهذيب الكمال ١٣/ ٤٤١.

قال الواقديُّ[1] وغيرُه مِن أهلِ السِّيَرِ والمغازى والتَّواريخِ: تُوُفِّيَتْ سنةَ عشرين مِن الهجرةِ. وصلَّى عليها أميرُ المؤمنين عمرُ بنُ الخَطَّابِ، رَضِىَ اللَّهُ عنه، ودُفِنَتْ بالبَقِيعِ، وهى أولُ امرأةٍ صُنِع لها النَّعْشُ.

(1) طبقات ابن سعد ٨/ ١١٥، وتاريخ الطبرى ٤/ ١١٣، حوادث سنة عشرين، والمنتظم ٤/ ٣٠٠، ٣٠١، والكامل ٢/ ٥٦٩. وتاريخ الإسلام - جزء عهد الخلفاء الراشدين ص ٢١١ - ٢١٤.

(1)بسمِ اللّهِ الرحمنِ الرحيمِ(1)

سنةُ سِتٍّ مِن الهجرةِ النبويةِ

قال البيهقىُّ[2] : يُقالُ : فى المُحَرَّمِ منها كانت سَرِيَّةُ محمدِ بنِ مَسْلَمَةَ قِبَلَ نَجْدٍ ، وأسَروا فيها ثُمامَةَ بنَ أُثالٍ اليَمامىَّ . قلتُ : لكن فى سياقِ ابنِ إسحاقَ[3] ، عن سعيدٍ المَقْبُرىِّ ، عن أبى هريرةَ أنه شهِد ذلك ، وهو إنما هاجَر بعدَ خيبرَ ، فتؤخَّرُ إلى ما بعدَها . واللَّهُ أعلمُ .

وهى السنةُ التى كان فى أوائلِها غزوةُ بنى لِحْيانَ ، على الصحيحِ .

قال ابنُ إسحاقَ[4] : وكان فتحُ بنى قُرَيْظَةَ فى ذى القَعْدةِ وصدرٍ مِن ذى الحِجَّةِ . [٣/٤١و] ووَلِىَ تلك الحِجَّةَ المشركون . يَعْنى فى سنةِ خمسٍ كما تقدَّم[5] . قال[4] : ثُم أقام رسولُ اللَّهِ ﷺ بالمدينةِ ذا الحِجَّةِ والمُحَرَّمَ وصَفَرًا وشَهْرَىْ ربيعٍ ، وخرَج فى جُمَادَى الأُولى على رأسِ ستةِ أشهرٍ مِن فتحِ قُرَيْظَةَ إلى بنى لِحْيانَ يَطْلُبُ بأصحابِ الرَّجِيعِ ، خُبَيْبٍ[6] وأصحابِه ، وأظْهَر أنه يُريدُ الشامَ ليُصِيبَ مِن القومِ غِرَّةً .

(١ - ١) زيادة من : ١٥١.

(٢) فى ص : « السهيلى » . وهو فى دلائل النبوة ٤/ ٧٨.

(٣) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٤/ ٧٩، من طريق ابن إسحاق ، به .

(٤) سيرة ابن هشام ٢/ ٢٧٩.

(٥) تقدم فى صفحة ١٠٩ .

(٦) فى الأصل ، م : « حبيب » .

قال ابنُ هشامٍ[1] : واستَعْمل على المدينةِ ابنَ أمِّ مَكْتومٍ . والمقصودُ أنه ، عليه السلامُ ، لما انتَهَى إلى منازِلِهم هرَبوا مِن بينِ يدَيْه ، فتَحَصَّنوا فى رءُوسِ الجبالِ ، فمال إلى عُسْفانَ فلَقِىَ بها جَمْعًا مِن المشركين ، وصلَّى بها صلاةَ الخَوْفِ . وقد تقدَّم[2] ذِكْرُ هذه الغزوةِ فى سنةِ أرْبعٍ ، وهنالك ذكَرها البيهقىُّ ، والأشبهُ ما ذكَره ابنُ إسحاقَ أنها كانت بعدَ الخندقِ ، [3]فإنَّ صلاةَ الخوفِ على المشهورِ إنما فُعِلَت بعدَ يومِ الخندقِ[3] ، وقد ثبَت أنه صلَّى بعُسْفانَ يومَ [4]بنِى لِحْيَانَ[4] ، فلْتُكْتَبْ هـٰهنا ، وتُحَوَّلْ مِن هناك اتِّباعًا لإمامِ أصحابِ المغازى فى زمانِه وبعدَه ، كما قال الشافعىُّ[5] رحِمه اللَّهُ : مَن أراد المغازىَ فهو عِيالٌ على محمدِ بنِ إسحاقَ . وقد قال كعبُ بنُ مالكٍ فى غزوةِ بنى لِحْيَانَ[6] :

لوَ انَّ بنى لِحْيَانَ كانوا تَناظَروا لقُوا عُصَبًا فى دارِهم ذاتَ مَصْدَقِ[7]

لَقُوا سَرَعانًا يَمْلأُ السَّرْبَ رَوْعُه أمامَ طَحُونٍ كالمجَرَّةِ فَيْلَقِ[8]

---

(١) سيرة ابن هشام ٢/ ٢٧٩.

(٢) تقدم فى ٥/ ٥٣٣.

(٣ - ٣) سقط من: الأصل، م.

(٤ - ٤) فى ص: «الخندق والله أعلم». وانظر ما تقدم فى غزوة بنى لحيان ٥/٥٥٣ - ٥٥٨.

(٥) تاريخ بغداد ١/ ٢١٩.

(٦) سيرة ابن هشام ٢/ ٢٨٠، ٢٨١.

(٧) تناظروا: أى انتظر بعضهم بعضًا. والعصب: الجماعات. شرح غريب السيرة ٣/ ٣٥.

(٨) السرعان: أول القوم. والسرب: بفتح السين: الطريق، وبكسر السين النَّفْس. والروع: الفزع. وطحون: كتيبة تطحن كل ما تمر به. والمجرة هنا: مجرة السماء وهو البياض المستطيل بين النجوم. وفيلق: أى كتيبة شديدة. المصدر السابق.

ولكنَّهم كانوا وِبارًا تتبَّعتْ　　شِعابَ حِجارٍ غيرِ ذى مُتَنَفَّقِ[1]

(١) الوبار: جمع وبر: وهى دويبة على قدر الهر، تشبه بها العربُ الضعفاءَ. والشعاب: جمع شعب وهو المنخفض بين جبلين. وحجار: جمع حِجْر. وغير ذى متنفق: أى ليس له باب يخرج منه، وأصله من النافقاء وهو أحد أبواب جِحَرة اليربوع إذا أخذ عليه من باب الجحر خرج عليه. شرح غريب السيرة ٣/ ٣٥، ٣٦.

غزوةُ ذى قَرَدٍ[1]

قال ابنُ إسحاقَ[2] : ثُم قدِم رسولُ اللَّهِ ﷺ المدينةَ ، فلم يُقِمْ بها إلا ليالىَ قَلائلَ ، حتى أغار عُيَيْنةُ بنُ حِصْنِ بنِ حُذَيفةَ بنِ بدرٍ الفَزَارىُّ ، فى خيلٍ مِن غَطَفانَ على لِقاحِ[3] النبىِّ ﷺ بالغابةِ ، وفيها رجلٌ مِن بنى غِفارٍ ومعه امرأتُه ، فقتَلوا الرجلَ واحْتَملوا المرأةَ فى اللِّقاحِ .

قال ابنُ إسحاقَ[4] : فحدَّثنى عاصمُ بنُ عمرَ بنِ قَتادةَ ، وعبدُ اللَّهِ بنُ أبى بكرٍ ومَن لا أَتَّهِمُ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ كعبِ بنِ مالكٍ - كلٌّ قد حدَّث فى غزوةِ ذى قَرَدٍ بعضَ الحديثِ - أنه كان أولَ مَن نَذِر[5] بهم سَلَمةُ بنُ عمرِو بنِ الأكْوعِ الأسْلَمىُّ ، غَدا يُريدُ الغابةَ مُتَوَشِّحًا قوْسَه ونَبْلَه ، ومعه غلامٌ لطَلْحةَ بنِ عُبَيْدِ اللَّهِ معه (٦فرَسٌ له٦) يَقودُه ، حتى إذا عَلا [٣/٤١ظ] ثَنِيَّةَ الوَداعِ نظَر إلى بعضِ خُيولِهم ، فأَشْرَف فى ناحيةِ سَلْعٍ[7] ، ثُم صرَخ : واصَباحاه[8] . ثُم خرَج يشْتَدُّ

---

(١) ذو قرد : ماء على ليلتين من المدينة بينها وبين خيبر . معجم البلدان ٤/ ٥٥.

(٢) سيرة ابن هشام ٢/ ٢٨١.

(٣) اللقاح : الإبل الحوامل وذوات الألبان . شرح غريب السيرة ٣/ ٣٦.

(٤) سيرة ابن هشام ٢/ ٢٨١، ٢٨٢.

(٥) فى ١٥١: « بدر » ، وفى ص : « ندر » . ونذر بهم : علم بهم . شرح غريب السيرة ٣/ ٣٦.

(٦ - ٦) سقط من : ١٥١.

(٧) سلع بفتح أوله وإسكان ثانيه بعده عين مهملة : جبل متصل بالمدينة . معجم ما استعجم ٣/ ٧٤٧.

(٨) واصباحاه : هذه كلمة يقولها المستغيث ، وأصلها إذا صاحوا للغارة ؛ لأنهم أكثر ما كانوا يغيرون عند الصباح ، ويسمون يوم الغارة : يوم الصباح . انظر النهاية ٣/ ٦، ٧.

فى آثارِ القومِ ، وكان مِثْلَ السَّبُعِ حتى لَحِق بالقومِ ، فجعَل يَرُدُّهم بالنَّبْلِ ويقولُ [(١] إذا رمَى [١)] :

خُـذْهـا وانـا ابـنُ الأَكْـوعْ الـيـومُ يـومُ الـرُّضَّـعْ[(٢)]

فإذا وُجِّهَت الخيلُ نحوَه انطلَق هاربًا ثُم عارَضهم ، فإذا أمْكَنه الرمْىُ رَمَى ، ثُم قال :

خُـذْهـا وانـا ابـنُ الأَكْـوعْ الـيـومُ يـومُ الـرُّضَّـعْ

قال : فيقولُ قائلُهم : أُوَيْكِعُنا هو أولَ النهارِ . قال : وبلَغ رسولَ اللَّهِ ﷺ صياحُ ابنِ الأكْوعِ ، فصرَخ بالمدينةِ : « الفزَعَ الفزَعَ » . فترامت الخيولُ إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فكان أولَ مَن انتهَى إليه مِن الفُرْسانِ المِقْدادُ بنُ الأسْودِ[(٣)] ، ثُم عَبَّادُ بنُ بِشْرٍ[(٤)] ، وسعدُ[(٥)] بنُ زيدٍ[(٦)] ، [(٧] وأُسَيْدُ بنُ ظُهَيْرٍ[(٨)] - يُشَكُّ فيه - وعُكَّاشةُ بنُ مِحْصَنٍ[(٩)(٧)] ، ومُحْرِزُ بنُ نَضْلَةَ ، أخو بنى أسدِ بنِ خُزَيْمةَ ، وأبو

(١ - ١) زيادة من : ا ١٥، ص .

(٢) اليوم يوم الرضع : قالوا : معناه ؛ اليوم يوم هلاك اللئام وهم الرضع ، من قولهم : لئيم راضع . أى رضع اللؤم فى بطن أمه . وقيل : يمص حلمة الشاة والناقة لئلا يسمع السؤّال والضِّيفان صوت الحلاب فيقصدوه . صحيح مسلم بشرح النووى ١٢/ ١٧٤.

(٣) بعده فى حاشية ا ١٥ : « قال ابن هشام : وكان اسم فرسه بعزجة . ويقال : سبحة » . وبعده فى ص : « واسم فرسه بغرجة ويقال : سبحة » . وما فى ا ١٥ موافق لما فى السيرة ٢/ ٢٨٤.

(٤) بعده فى ا ١٥ : « واسم فرسه ذو اللمة » ، وبعده فى ص : « واسم فرسه طلع » . وفى السيرة : « واسم فرسه لماع » .

(٥) هنا وفيما يأتى فى الأصل ، ص : « سعيد » . وانظر الإصابة ٣/ ٦١.

(٦) بعده فى ا ١٥، ص : « واسم فرسه ذو اللمة » . وفى السيرة : « واسم فرسه لاحق » .

(٧ - ٧) سقط من : ص .

(٨) وبعده فى ا ١٥ : « واسم فرسه مسنون » . وفى السيرة : « واسم فرسه مسنون » .

(٩) بعده فى ا ١٥ : « واسم فرسه حلوة » . وفى السيرة : « واسم فرسه ذو اللمة » .

قَتادةَ الحارثُ بنُ رِبْعيٍّ ، أخو بنى سَلِمةَ[1] ، وأبو عَيَّاشٍ عُبَيْدُ بنُ زيدِ بنِ صامتٍ ، أخو بنى زُرَيْقٍ[2] . قال : فلمَّا اجْتَمعوا إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ ، أمَّر عليهم سعدَ بنَ زَيْدٍ ، ثُم قال : « اخرُجْ فى طلبِ القومِ حتى أَلْحَقَكَ فى الناسِ » . وقد قال النبيُّ ﷺ لأبى عَيَّاشٍ فيما بلَغنى عن رجالٍ مِن بنى زُرَيْقٍ : « يا أبا عَيَّاشٍ ، لو أعْطَيْتَ هذا الفرسَ رجلًا هو أفْرَسُ منك فلحِق بالقومِ » . قال أبو عَيَّاشٍ : فقلتُ : يا رسولَ اللَّهِ ، أنا أفْرَسُ الناسِ . ثُم ضرَبتُ الفرسَ ، فواللَّهِ ما جرَى بى خمسين ذِراعًا حتى طرَحنى ، فعجِبْتُ مِن ذلك ، فزعَم رجالٌ مِن بنى[3] زُرَيْقٍ أن رسولَ اللَّهِ ﷺ أعْطَى فرسَ أبى عَيَّاشٍ مُعاذَ بنَ ماعصٍ ، أو عائذَ بنَ ماعصِ ابنِ قيسِ بنِ خَلَدةَ ، وكان ثامنًا . قال[4] : وبعضُ الناسِ يَعُدُّ سَلَمةَ بنَ الأَكْوعِ ثامنًا ، ويَطْرَحُ أُسَيْدَ بنَ ظُهَيْرٍ . فاللَّهُ أعلمُ أىُّ ذلك كان . قال[5] : ولم يَكنْ سَلَمةُ بنُ الأَكْوعِ يومَئذٍ فارسًا ، وقد كان أولَ مَن لحِق بالقومِ على رجلَيه . قال[5] : فخرَج الفُرْسانُ حتى تلَاحَقوا ، فحدَّثنى عاصمُ بنُ عمرَ بنِ قَتادةَ أن أولَ فارسٍ لحِق بالقومِ مُحْرِزُ بنُ نَضْلةَ ، وكان يقالُ له : الأَخْرمُ . ويقالُ له : قُمَيْرٌ . وكانت الفرسُ التى تحتَه لمحمودِ بنِ مَسْلَمةَ – وكان يقالُ للفرسِ : ذو اللِّمَّةِ – فلما انتَهى إلى العدُوِّ قال لهم : قِفوا معشرَ بنى اللَّكِيعةِ[6] حتى يَلْحَقَ بكم مَن وراءَكم مِن أدْبارِكم مِن المهاجرين [٣/ ٤٢و] والأنصارِ . قال : فحمَل

---

(١) بعده فى ص : « واسم فرسه حزون » . وفى السيرة : « واسم فرسه حزوة » .

(٢) بعده فى ص : « واسم فرسه جلوة » . وهو كذلك فى السيرة .

(٣) زيادة من : ١٥١، ص .

(٤) أى ابن إسحاق . سيرة ابن هشام ٢/ ٢٨٢، ٢٨٣.

(٥) المصدر السابق ٢/ ٢٨٣.

(٦) اللكيعة : اللئيمة . شرح غريب السيرة ٣/ ٣٦.

عليه رجلٌ منهم فقتَله، وجال الفرسُ فلم يُقْدَرْ عليه حتى وقَف على أرِيَّةٍ مِن بنى عبدِ الأشْهلِ، أى رجَع إلى مِرْبَطِه الذى كان فيه بالمدينةِ.

قال ابنُ إسحاقَ[1]: ولم يُقْتَلْ يومَئذٍ مِن المسلمين غيرُه. قال ابنُ هشامٍ: وقد ذكَر غيرُ واحدٍ مِن أهلِ العلمِ أنه قد قُتِل معه أيضًا وقَّاصُ بنُ مُجَزِّزٍ[2] المُدْلجِىُّ.

قال ابنُ إسحاقَ[3]: وحدَّثنى بعضُ مَن لا أتَّهِمُ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ كعبِ بنِ مالكٍ، أن مُحْرِزًا[4] كان على فرسٍ لعُكَّاشَةَ بنِ مِحْصَنٍ يقالُ لها: الجَناحُ. فقُتِل مُحْرِزٌ واسْتُلِبت الجَناحُ. فاللَّهُ أعلمُ.

قال[5]: ولما تلَاحقت الخيلُ قتَل أبو قَتادةَ حَبِيبَ بنَ عُيَيْنةَ وغشَّاه بُرْدَه، ثُم لحِق بالناسِ، وأقْبَل رسولُ اللَّهِ ﷺ فى المسلمين - قال ابنُ هشامٍ: واستَعْمل على المدينةِ ابنَ أمِّ مَكْتومٍ - فإذا حَبِيبٌ مُسَجًّى ببُردِ أبى قَتادةَ، فاسْتَرْجَع الناسُ، وقالوا: قُتِل أبو قَتادةَ. فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «ليس بأبى قَتادةَ، ولكنه قَتِيلٌ لأبى قَتادةَ، ووضَع عليه بُرْدَه لتَعْرِفوا أنه صاحِبُه». قال: وأدْرَك عُكَّاشةُ ابنُ مِحْصَنٍ أَوْبارًا وابنَه عمرَو بنَ أَوْبارٍ، وهما على بعيرٍ واحدٍ، فانتَظَمهما بالرُّمْحِ فقتَلهما جميعًا واستَنْقَذوا بعضَ اللِّقاحِ. قال: وسار رسولُ اللَّهِ ﷺ حتى نزَل بالجبلِ مِن ذى قَرَدٍ، وتَلاحَق به الناسُ، فأقام عليه يومًا وليلةً، وقال

(١) سيرة ابن هشام ٢/ ٢٨٣.
(٢) فى ص: «محرز». وانظر الاستيعاب ٤/ ١٥٦٧، والإصابة ٦/ ٦١٢.
(٣) سيرة ابن هشام ٢/ ٢٨٤. وأخرجه الطبرى فى تاريخه ٢/ ٦٠٣، من طريق ابن إسحاق به.
(٤) هنا وفيما يأتى فى الأصل، ١٥١، م، والسيرة: «مجززا». وهو خطأ.
(٥) أى ابن إسحاق. سيرة ابن هشام ٢/ ٢٨٤، ٢٨٥. وتاريخ الطبرى ٢/ ٦٠٣، ٦٠٤.

له سَلَمةُ بنُ الأكْوعِ : يا رسولَ اللَّهِ ، لو سَرَّحْتَنى فى مائةِ رجلٍ لاسْتَنْقَذْتُ بَقية السَّرْحِ وأخَذْتُ بأعناقِ القومِ . فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ - فيما بلَغنى - : « إنهم الآنَ ليُغْبَقون[1] فى غَطَفانَ » . فقسَم رسولُ اللَّهِ ﷺ فى أصحابِه فى كل مائةِ رجلٍ جَزُورًا ، وأقاموا عليها ، ثُم رجَع قافلًا حتى قدِم المدينةَ . قال[2] : وأقْبَلت[3] امرأةُ الغِفارىِّ على ناقةٍ مِن إبلِ النبىِّ ﷺ ، حتى قدِمت عليه المدينةَ فأخْبَرَته الخبرَ ، فلمَّا فرَغت قالت : يا رسولَ اللَّهِ ، إنى قد نذَرْتُ للَّهِ أن أنْحَرَها إن نجانى اللَّهُ عليها . قال : فتَبَسَّم رسولُ اللَّهِ ﷺ ثُم قال : « بِئْسَ ما جزَيْتِها أن حمَلكِ اللَّهُ عليها ونجَّاكِ بها ثُم تَنْحَرِينها ، إنه لا نذرَ فى معصيةِ اللَّهِ ، ولا فيما لا تَمْلِكين ، إنما هى ناقةٌ مِن إبلى ، فارْجِعى إلى أهلِك على بركةِ اللَّهِ » . قال ابنُ إسحاقَ[2] : والحديثُ [٣/٤٢ظ] فى ذلك عن أبى الزُّبيرِ المكِّىِّ ، عن الحسنِ البصْرىِّ . هكذا أوْرَد ابنُ إسحاقَ هذه القصةَ بما ذكَره مِن الإسنادِ والسِّياقِ .

وقد قال البخارىُّ[4] ، رحِمه اللَّهُ ، بعدَ قصةِ الحُدَيْبِيَةِ وقبلَ خَيْبَرَ : غزوةُ ذى قَرَدٍ ، وهى الغزوةُ التى أغاروا على لِقاحِ النبىِّ ﷺ قبلَ خَيْبَرَ بثلاثٍ ، حدَّثنا قُتَيْبةُ بنُ سعيدٍ ، حدَّثنا حاتمٌ ، عن يزيدَ بنِ أبى عُبَيْدٍ ، سمعتُ سَلَمةَ بنَ الأكْوعِ يقولُ : خرَجْتُ قبلَ أن يُؤَذَّنَ بالأولَى[5] ، وكانت لِقاحُ النبىِّ ﷺ تَرْعَى بذى قَرَدٍ ، قال : فلقِيَنى غلامٌ لعبدِ الرحمنِ بنِ عَوْفٍ ، فقال : أُخِذت لِقاحُ النبىِّ ﷺ . فقلتُ : مَن أخَذها ؟ قال : غَطَفانُ . قال : فصرَخْتُ ثلاثَ صَرَخاتٍ : يا

---

(١) سقط من : ص . ويغبقون : يسقون اللبن بالعشى . شرح غريب السيرة ٣/ ٣٦.
(٢) سيرة ابن هشام ٢/٢٨٥ .
(٣) فى ص : « وأفلتت » . وهو لفظ صحيح مسلم (١٦٤١)، كما سيأتى .
(٤) فى باب غزوة ذات القرد . من كتاب المغازى (٤١٩٤) .
(٥) المراد بالأولى : صلاة الصبح . فتح البارى ٧/ ٤٦١.

صَباحاهْ . قال : فأسْمَعْتُ ما بين لَابَتَيِ المدينةِ ، ثُم اندَفَعْتُ على وجهى حتى أدْرَكْتُهم وقد أخَذوا يسْتَقون مِن الماءِ ، فجعَلْتُ أرْمِيهم بنَبْلى ، وكنتُ راميًا ، وأقولُ : أنا ابنُ الأكْوَعْ ، اليومُ يومُ الرُّضَّعْ . وأَرْتَجِزُ حتى استَنْقَذْتُ اللِّقاحَ منهم واسْتَلَبْتُ منهم ثلاثين بُرْدَةً . قال : وجاء النبىُّ ﷺ والناسُ فقلتُ : يا رسولَ اللَّهِ ، قد حَمَيْتُ[1] القومَ الماءَ ، وهم عِطاشٌ ، فابْعَثْ إليهم الساعةَ . فقال : « يا بنَ الأكْوعِ ، ملَكْتَ فأسْجِحْ[2] » . ثُم رجَعْنا ، ويُردِفُنى رسولُ اللَّهِ ﷺ على ناقتِه حتى قدِمْنا المدينةَ . وهكذا رَواه مسلمٌ ، عن قُتَيْبةَ ، به[3] ، ورَواه البخاريُّ ، عن [4]أبى عاصمِ النبيلِ[4] ، عن يزيدَ بنِ أبى عُبَيْدٍ[5] ، عن مولاه سَلَمةَ ، بنحوِه[6] .

وقال الإمامُ أحمدُ[7] : حدَّثنا هاشمُ بنُ القاسمِ ، حدَّثنا عِكْرمةُ بنُ عمَّارٍ ، حدَّثنى إياسُ بنُ سَلَمةَ بنِ الأكْوعِ ، عن أبيه قال : قدِمْنا المدينةَ زمنَ الحُدَيبيةِ مع

---

(١) حميت القوم الماء : أى منعتهم الشرب . فتح البارى ٧/ ٤٦٢.

(٢) أسجح ، بهمزة قطع وسين مهملة ساكنة وجيم مكسورة بعدها مهملة : أى سهِّل . والمعنى : قدرت فاعف ، والسجاحة السهولة . فتح البارى ٧/ ٤٦٣.

(٣) مسلم (١٨٠٦).

(٤ - ٤) فى م : « أبى عاصم السهلى » ، وفى ص : « عاصم النبيل » . وانظر تهذيب الكمال ١٣/ ٢٨١.

(٥) فى الأصل ، م : « عبيدة » . وانظر تهذيب الكمال ٣٢/ ٢٠٦.

(٦) هكذا ذكر الحافظ ابن كثير : « عن أبى عاصم النبيل عن يزيد بن أبى عبيد عن سلمة » . ولم نجده فى الصحيح من طريق أبى عاصم ، وهو فيه من طريق مكى بن إبراهيم (٣٠٤١) ، فلعل المصنف - رحمه اللَّه - تابع البيهقى فى الدلائل ٤/ ١٨١ ، ١٨٢ حيث ذكر الحديث من طريق أبى عاصم النبيل عن يزيد بن أبى عبيد عن سلمة ، وقال عقبه : رواه البخارى فى الصحيح عن أبى عاصم . وانظر تحفة الأشراف ٤/ ٤٥ ، والسنن الكبرى للبيهقى ١٠/ ٢٣٦.

(٧) المسند ٤/٥٢ - ٥٤.

رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فخرَجْتُ أنا ورَباحٌ غلامُ النبيِّ ﷺ بظَهْرِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، وخرَجْتُ بفرسٍ لطَلْحةَ بنِ عُبَيْدِ اللَّهِ ، كنتُ[1] أُريدُ أن أُنَدِّيَه[2] مع الإبلِ ، فلمَّا كان بغَلَسٍ أغار عبدُ الرحمنِ بنُ عُيَيْنةَ على إبلِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فقَتَل راعِيَها وخرَج يَطْرُدُها هو وأُناسٌ معه فى خيلٍ ، فقلتُ : يا رَباحُ ، اقْعُدْ على هذا الفرسِ فألْحِقْه بطَلْحةَ ، وأخْبِرْ رسولَ اللَّهِ ﷺ أنه قد أُغِير على سَرْحِه . قال : وقُمْتُ على تَلٍّ فجعَلْتُ وجْهى مِن قِبَلِ المدينةِ ، ثُم نادَيْتُ ثلاثَ مراتٍ : يا صَباحاهْ . قال : ثُم اتَّبَعْتُ القومَ معى سيفى ونَبْلى ، فجعَلْتُ أرْميهم وأعْقِرُ[3] بهم ، [٣/ ٤٣و] وذلك حينَ (٤) يَكْثُرُ الشَّجَرُ (٤) . فإذا رجَع إلىَّ فارسٌ جلَسْتُ له فى أصلِ شجَرةٍ ، ثُم رمَيْتُ ، فلا يُقْبِلُ علىَّ فارسٌ إلا عقَرْتُ به ، فجعلتُ أرْمِيهم ، وأنا أقولُ : أنا ابنُ الأكْوعْ ، واليومُ يومُ الرُّضَّعْ . قال : فألْحَقُ برجلٍ منهم فأرْمِيه ، وهو على راحلتِه فيقَعُ سهمى فى الرَّجُلِ[5] حتى انتَظَم كتِفَه ، فقلتُ :

خُذْها وانا ابنُ الأكْوعْ والْيومُ يومُ الرُّضَّعْ

فإذا كنتُ فى الشجرِ أحْرَقْتُهم بالنَّبْلِ ، فإذا تَضايَقَتِ الثَّنايا علَوْتُ الجبلَ

---

(١) سقط من : الأصل ، م .

(٢) فى المسند : « أبديه » . وأنديه معناه : أن يورد الماشية الماء فتسقى قليلا ثم ترسل فى المرعى ، ثم ترد الماء فترد قليلًا ثم ترد إلى المرعى . صحيح مسلم بشرح النووى ١٢/ ١٧٨.

(٣) أعقر بهم : أى أقتل مركوبَهم . يقال : عقرت به : إذا قتلت مركوبه وجعلته راجلًا . النهاية ٣/ ٢٧١.

(٤ - ٤) فى ص : « بكر السحر » .

(٥) كذا فى النسخ والمسند : « الرجل » بالجيم المعجمة . ولعلها : « الرحل » بالحاء المهملة ، كما رجح ذلك النووى فى شرح صحيح مسلم ١٢/ ١٧٨، ١٧٩.

فرَدَيْتُهم[1] بالحجارةِ ، فما زال ذاك شأنى وشأْنَهم أَتْبَعُهم وأَرْتَجِزُ ، حتى ما خلَق اللَّهُ شيئًا مِن ظَهْرِ رسولِ اللَّهِ ﷺ إلَّا خَلَّفْتُه وراءَ ظهْرى ، فاستَنْقَذْتُه مِن أيديهم ، ثُم لم أزَلْ أرْمِيهم حتى ألْقَوا أكثرَ مِن ثلاثين رُمْحًا ، وأكثرَ مِن ثلاثين بُرْدَةً يستَخِفُّون منها ، ولا يُلْقون مِن ذلك شيئًا إلا جعَلْتُ عليه حِجارةً ، وجمَعْتُ على طريقِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، حتى إذا (٢امتَدَّ الضُّحى٢) أتاهم عُيَيْنَةُ بنُ بدرٍ الفَزارىُّ مَدَدًا لهم ، وهم فى ثَنِيَّةٍ ضَيِّقةٍ ، ثُم عَلَوْتُ الجبلَ ، فأنا فوقَهم ، فقال عُيَيْنةُ : ما هذا الذى أَرَى ؟ قالوا : لقِينا مِن هذا البَرْحَ[3] ، ما فارَقَنا بسَحَرَ حتى الآنَ ، وأخَذ كلَّ شىءٍ فى أيدينا وجعَله وراءَ ظهْرِه . فقال عُيَيْنةُ : لولا أنَّ هذا يَرَى أنَّ وراءه طَلَبًا لقد ترَكَكم ، لِيَقُمْ إليه نفَرٌ منكم . فقام إليه نفَرٌ منهم أربعةٌ ، فصعِدوا فى الجبلِ ، فلمَّا أسْمَعْتهم الصوتَ قلتُ : أتَعْرِفوننى ؟ قالوا : ومَن أنت ؟ قلتُ : أنا ابنُ الأَكْوَعِ ، والذى كرَّم وجْهَ محمدٍ لا يطلبُنى رجلٌ منكم فيُدْرِكَنى ولا أطْلُبُه فيفوتَنى . فقال رجلٌ منهم : إنْ[4] أظُنُّ . قال : فما برِحْتُ مَقْعدى ذلك حتى نظَرْتُ إلى فَوارسِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، (٥يتخَلَّلون الشجرَ ، وإذا أولُهم الأخْرَمُ الأسَدىُّ ، وعلى أَثَرِه أبو قَتادةَ فارسُ رسولِ اللَّهِ ﷺ٥) ، وعلى أَثَرِ أبى قتادةَ المِقدادُ بنُ الأَسْوَدِ الكِنْدىُّ ، فوَلَّى المشركون

---

(١) فى الأصل ، ص : « فرداتهم » . ورديتهم بالحجارة : أى رميتهم بالحجارة التى تسقطهم وتنزلهم . صحيح مسلم بشرح النووى ١٢/ ١٧٩ .

(٢ - ٢) فى ص : « اشتد الضحاء » .

(٣) البرح : بفتح الباء وإسكان الراء ، أى شِدَّة . المصدر السابق .

(٤) فى الأصل ، ص : « إنى » . و « إن » هنا نافية بمعنى « ما » .

(٥ - ٥) سقط من : الأصل .

مُدْبِرين، وأَنزِلُ مِن الجبلِ[1] فآخُذُ عِنانَ فرسِه، فقلتُ: يا أخْرَمُ، انْذَرِ[2] القومَ - يعنى احْذَرْهم - فإنى لا آمَنُ أن يَقْتَطِعوك، فاتَّئِدْ[3] حتى يلْحَقَ رسولُ اللَّهِ ﷺ وأصحابُه. قال: يا سَلَمةُ، إن كنتَ تُؤْمِنُ باللَّهِ واليومِ الآخِرِ وتَعْلَمُ أنَّ الجنةَ حقٌّ والنارَ حقٌّ فلا تَحُلْ بينى وبينَ الشهادةِ. قال: فخَلَّيْتُ عِنانَ فرسِه، فيلْحَقُ بعبدِ الرحمنِ بنِ عُيَيْنةَ، ويَعْطِفُ عليه عبدُ الرحمنِ، فاخْتَلَفا طَعْنَتَيْن، فعقَر الأخْرمُ بعبدِ الرحمنِ، وطعَنه عبدُ الرحمنِ فقتَله، فتَحَوَّل عبدُ الرحمنِ على فرسِ الأخْرمِ، فيلْحَقُ أبو قَتادةَ بعبدِ الرحمنِ فاخْتَلَفا [٣/٤٣ظ] طَعْنَتَيْن فعقَر بأبى قَتادةَ، وقتَله أبو قَتادةَ، وتحَوَّل أبو قَتادةَ على فرسِ الأخْرمِ، ثُم إنى خرَجْتُ أعْدُو فى أثَرِ القومِ حتى ما أَرَى مِن غُبارِ صَحابةِ النبىِّ ﷺ شيئًا، ويُعْرِضون قبلَ غَيْبوبةِ الشَّمْسِ إلى شِعْبٍ فيه ماءٌ يقالُ له: ذو قَرَدٍ. فأرادوا أن يَشْرَبوا منه، فأبْصَرونى أعْدُو وراءَهم فعطَفوا عنه، واشتدوا[4] فى الثنِيَّةِ ثَنِيَّةِ ذى بِئْرٍ، وغرَبت الشمسُ، وألْحَقُ رجلًا فأرْمِيه فقلتُ:

خُذْها وانا ابنُ الأكْوعْ ... واليومُ يومُ الرُّضَّعْ

قال: فقال: يا ثُكْلَ أُمِّ أَكْوعَ بُكْرةَ[5]. فقلتُ: نعم، أىْ عدُوَّ نفسِه. وكان الذى رمَيْتُه بُكْرةَ وأتْبَعْتُه سهمًا آخرَ فعَلِق به سهمان، ويَخْلُفون فرسَيْن

---

(١) بعده فى المسند: «فأعرض للأخرم».
(٢) فى م «ائذن». وما فى الأصل، ص مثله فى النهاية ٣٩/٥.
(٣) اتئد: تأنَّ وتمهلْ. انظر الوسيط (و أ د).
(٤) فى م: «أسندوا».
(٥) رواية مسلم «يا ثكلته أمه، أكوَعُه بُكْرةَ»، وللنووى عليه كلام. انظر صحيح مسلم بشرح النووى ١٨١/١٢.

فجئتُ بهما أسوقُهما إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ وهو على الماءِ الذى أَجْلَيْتُهم عنه ، ذو قَرَدٍ ، وإذا بنبىِّ اللَّهِ ﷺ فى خمسِمائةٍ ، وإذا بلالٌ قد نحرَ جزورًا مما خَلَّفْتُ ، فهو يَشْوِى لرسولِ اللَّهِ ﷺ مِن كَبِدِها وسَنامِها ، فأتَيْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ فقلتُ : يا رسولَ اللَّهِ ، خَلِّنى فأَنْتَخِبُ مِن أصحابِك مائةً ، فآخُذُ على الكفارِ بالعَشْوَةِ ، فلا يَبْقَى منهم مُخْبِرٌ إلا قتَلْتُه . فقال : « أكنتَ فاعلًا ذلك يا سَلَمةُ ؟ » قال : قلتُ : نعم والذى أكْرَمك . فضحِك رسولُ اللَّهِ ﷺ ، حتى رأيْتُ نَواجِذَه فى ضوءِ النارِ ، ثُم قال : « إنهم يُقْرَوْن[1] الآنَ بأرضِ غَطَفانَ » . فجاء رجلٌ مِن غَطَفانَ فقال : مَرُّوا على فلانٍ الغَطَفانىِّ ، فنحَر لهم جَزورًا ، فلمَّا أخَذوا يَكْشِطون جلدَها رَأَوْا غَبَرةً ، فترَكوها وخرَجوا هِرابًا ، فلمَّا أصْبَحْنا قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « خيرُ فُرْسانِنا اليومَ[2] أبو قَتادةَ ، وخيرُ رَجَّالتِنا سَلَمةُ » . فأعْطانى رسولُ اللَّهِ ﷺ سهمَ الفارسِ والراجلِ جميعًا ، ثُم أرْدَفنى وراءَه على العَضْباءِ[3] راجعين إلى المدينةِ ، فلمَّا كان بينَنا وبينَها قريبٌ مِن ضَحْوَةٍ[4] ، وفى القومِ رجلٌ مِن الأنصارِ كان لا يُسْبَقُ جعَل يُنادِى : هل مِن مُسابقٍ ؟ ألا رجلٌ يُسابِقُ إلى المدينةِ ؟ فأعاد ذلك مِرارًا ، وأنا وراءَ رسولِ اللَّهِ ﷺ مُرْدِفى ، فقلتُ له : أما تُكْرِمُ كريمًا ولا تَهابُ شريفًا ؟ قال : لا ، إلا رسولَ اللَّهِ ﷺ . قال : قلتُ : يا رسولَ اللَّهِ ، بأبى أنت وأمى ، خَلِّنى فَلْأُسابقِ الرجلَ . [٣/٤٤و] قال :

---

(١) يُقْرَوْن : أى يضافون ، والقرى الضيافة .

(٢) سقط من : الأصل ، م .

(٣) العضباء : لقب ناقة النبى ﷺ ، اسم لها علم ، ولم تكن عضباء ، أى من العضب ؛ الذى هو الشق فى الأذن ، إنما هو اسم لها سميت به لنجابتها ومضيها فى وجهها . تاج العروس (ع ض ب) .

(٤) الضحوة : الضحى ؛ وهو قرب انتصاف النهار أو الغداء .

« إن شئتَ » . قلتُ : اذْهَب إليك . فطفر[1] عن راحلتِه وثَنَيْتُ رِجلَيَّ فطَفَرْتُ عن الناقةِ ، ثُم إنى ربَطْتُ عليه شَرَفًا أو شَرَفَيْن[2] ، يعنى اسْتَبْقَيْتُ مِن نفَسى ، ثُم إنى عدَوْتُ حتى ألحَقَه ، فأصُكُّ[3] بينَ كَتِفيه بيدى ، قلت : سبَقْتُك واللَّهِ . أو كلمةً نحوَها . قال : فضحِك وقال : إنْ أظُنُّ . حتى قدِمْنا المدينةَ . وهكذا رَواه مسلمٌ ، مِن طُرُقٍ ، عن عِكْرمةَ بنِ عمارٍ ، بنحوِه[4] ، وعندَه : سبَقْتُه إلى المدينةِ ، فلم نَلْبَثْ إلا ثلاثًا حتى خرَجْنا إلى خَيْبَرَ . ولأحمدَ هذا السياقُ .

ذكَر البخاريُّ والبيهقيُّ هذه الغزوةَ بعدَ الحُدَيْبيةِ وقبلَ خَيْبَرَ ، وهو أشْبهُ مما ذكَره ابنُ إسحاقَ . واللَّهُ أعلمُ . فيَنْبَغى تأخيرُها إلى أوائلِ سنةِ سبعٍ مِن الهجرةِ ، فإن خَيْبَرَ كانت فى صَفَرٍ منها .

وأما قصةُ المرأةِ التى نجَت على ناقةِ النبىِّ ﷺ ونذَرت نحرَها لنجاتِها عليها ، فقد أوْرَدها ابنُ إسحاقَ بروايتِه ، عن أبى الزبيرِ ، عن الحسنِ البصرىِّ مُرْسَلًا[5] . وقد جاء مُتَّصِلًا مِن وجوهٍ أُخرَ .

قال الإمامُ أحمدُ[6] : حدَّثنا عفانُ ، حدَّثنا حمَّادُ بنُ زيدٍ ، حدَّثنا أيوبُ[7] ، عن أبى قِلابةَ ، عن أبى المُهَلَّبِ ، عن عِمرانَ بنِ حُصَيْنٍ قال : كانت العَضْباءُ

---

(١) طفر : قفز .
(٢) أى ؛ حبست نفسى عن الجرى الشديد ، وتأخرت عنه شوطا أو شوطين . انظر بلوغ الأمانى ٢١/ ١١٥، والنهاية ٢/١٨٦ .
(٣) أصك : أضرب .
(٤) مسلم (١٨٠٧) .
(٥) سيرة ابن هشام ٢/ ٢٨٥.
(٦) المسند ٤/ ٤٣٠.
(٧) سقط من : ص . وانظر تهذيب الكمال ٧/ ٢٣٩.

لرجلٍ مِن بنى عُقَيْلٍ، وكانت مِن سَوابقِ الحاجِّ (١فأُسِر الرجلُ١)، فأُخِذت العَضْباءُ معه. قال: فمرَّ به رسولُ اللَّهِ ﷺ وهو فى وَثاقٍ، ورسولُ اللَّهِ ﷺ على حِمارٍ عليه قَطِيفةٌ فقال: يا محمدُ، علامَ تأخُذونى وتأخُذون سابقةَ الحاجِّ؟ فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «نأْخُذُك بجَرِيرةِ حُلفائِك ثَقِيفٍ». قال: وكانت ثَقِيفٌ قد أسَروا رجلين مِن أصحابِ النبىِّ ﷺ. وقال فيما قال: وإنى مسلمٌ. فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «لو قلْتَها[٢] وأنت تَمْلِكُ أمْرَك، أفْلَحْتَ كلَّ الفَلاحِ». قال: ومضَى رسولُ اللَّهِ ﷺ فقال: يا محمدُ، إنى جائعٌ فأطْعِمْنى وإنى ظَمْآنُ فاسْقِنى. فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «هذه حاجتُك». ثُم فُدِىَ بالرجلين، وحبَس رسولُ اللَّهِ ﷺ العَضْباءَ لرَحْلِه. قال: ثُم إن المشركين أغاروا على سَرْحِ المدينةِ، فذهَبوا به، وكانت العَضْباءُ فيه، قال: وأسَروا امرأةً مِن المسلمين. قال: وكانوا إذا نزَلوا أراحوا إبلَهم بأفْنِيَتِهم. قال: فقامت المرأةُ ذاتَ ليلةٍ بعدَ ما نَوَّمُوا، فجعَلَت كلما أتَتْ [٣/ ٤٤ظ] على بعيرٍ رَغا[٣] حتى أتَتْ على العَضْباءِ، فأتَتْ على ناقةٍ ذَلولٍ مُجَرَّسَةٍ[٤] فرَكِبَتها، ثُم وجَّهَتْها قِبَلَ المدينةِ. قال: ونذَرَت إنِ اللَّهُ أنْجاها عليها لَتَنْحَرَنَّها، فلمَّا قدِمت المدينةَ عُرِفت الناقةُ، فقيل: ناقةُ رسولِ اللَّهِ ﷺ. قال: وأُخْبِر رسولُ اللَّهِ ﷺ بنَذْرِها أو أتَتْه فأخْبَرَته فقال: «بئس ما جزَيْتِها». أو: «بِئْس ما جَزَتْها أن أنْجاها اللَّهُ عليها لَتَنْحَرَنَّها». قال: ثُم قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «لا وفاءَ لنَذْرٍ فى معصيةِ اللَّهِ، ولا

(١ - ١) سقط من: النسخ. والمثبت من المسند.

(٢) فى م: «قتلتها».

(٣) الرُّغاء: صوت البعير. النهاية ٢/ ٢٤٠.

(٤) فى ص: «مجربة». ومجرسة: مجربة مدربة فى الركوب والسير. النهاية ١/ ٢٦٠، ٢٦١.

فيما لا يَمْلِكُ ابنُ آدمَ » . ورواه مُسْلِمٌ ، عن أبى الرَّبيعِ الزَّهْرانىِّ ، عن حَمَّادِ بنِ زيدٍ ، به[1] .

قال ابنُ إسحاقَ[2] : وكان مما قيل مِن الأشْعارِ فى غَزْوةِ ذى قَرَدٍ قولُ حسانَ بنِ ثابتٍ ، رضى اللَّهُ عنه :

لولا الذى لاقَتْ ومسَّ نُسُورَها ... بجَنوبِ سايَةَ[3] أمسِ فى التَّقْوادِ[4]
لَلَقِينَكم يَحمِلْنَ كلَّ مُدَجَّجٍ ... حامى الحقيقةِ ماجدِ الأجْدادِ[5]
ولَسَرَّ أولادَ اللَّقِيطةِ أننا ... سِلْمٌ غداةَ فَوارسِ المِقْدادِ[6]
كنّا ثمانيةً وكانوا جَحْفَلًا ... لَجِبًا فشُكُّوا بالرِّماحِ بَدادِ[7]
كنا مِن القومِ الذين يَلُونَهم ... ويُقَدِّمون عِنانَ كلِّ جَوادِ
كَلَّا وربِّ الراقصاتِ إلى مِنًى ... يَقْطَعْن عُرْضَ مَخارِمِ الأَطْوادِ[8]

---

(١) مسلم (١٦٤١) .
(٢) سيرة ابن هشام ٢/ ٢٨٥، ٢٨٦. وانظر ديوان حسان بن ثابت ص ٣٢٦ - ٣٢٨.
(٣) فى ص : « شابة » .
(٤) أضمر فى « لاقت » ذكر الخيل وإن لم يتقدم لها ذكر لأن الكلام يدل عليها . والنسور هنا : ما يكون فى باطن حافر الدابة مثل الحصى والنوى . وساية : اسم موضع . شرح غريب السيرة ٣/ ٣٦، ٣٧.
(٥) مدجج : كامل السلاح . والماجد : الشريف . المصدر السابق ٣/ ٣٧.
(٦) أولاد اللقيطة : هم الملتقطون الذين لا يعرف آباؤهم . والسَّلم والسِّلم بفتح السين وكسرها : الصلح . المصدر السابق .
(٧) الجحفل : الجيش الكثير . واللجب : الكثير الأصوات . وشكوا : طعنوا . وبداد : هو فعال من التبدد . المصدر السابق .
(٨) الراقصات هنا : الإبل ، والرقص والرقصان : ضرب من مشيها . والمخارم جمع مخرم : وهو ما بين الجبلين . والأطواد : الجبال المرتفعة . المصدر السابق .

حتى نُبِيلَ الخيلَ فى عرَصاتِكم ونئوبَ بالمَلَكاتِ والأوْلادِ[1]
رَهْوًا بكلِّ مُقَلَّصٍ وطِمِرَّةٍ[2] فى كلِّ مُعْتَرَكٍ عطَفْنَ ووَادِ[3]
أفْنَى دَوابِرَها[4] ولاحَ مُتُونَها يومٌ تُقادُ به ويومُ طِرادِ[5]
فكذاك إنَّ جِيادَنا مَلْبُونَةٌ والحربُ مُشْعَلَةٌ بريحِ غَوادِ[6]
وسيوفُنا بِيضُ الحَدائدِ تَجْتَلِى[7] جُنَنَ الحَديدِ وهَامةَ المُرْتادِ[8]
أخَذ الإلهُ عليهمُ لحَرامِه ولعِزَّةِ الرحمنِ بالأَسْدادِ[9]
كانوا بدارٍ ناعمين فبُدِّلوا أيامَ ذى قَرَدٍ وجوهَ عِنادِ[10]

قال ابنُ إسحاقَ[11] : فغضِب [12]سعدُ بنُ زيدٍ[12] أميرُ سَرِيةِ الفَوارسِ

---

(١) نبيل الخيل : هو من لفظ البول أى نجعلها تبول . والعرصات : جمع عرصة وهى وسط الدار . ونئوب : نرجع . والملكات : النساء اللائى أُمْلِكْن . شرح غريب السيرة ٣/٣٧ .

(٢) الرهو : مشى فى سكون . ومقلص : مشمر . وطمرة : فرس وثابة سريعة . المصدر السابق .

(٣) كذا فى النسخ والسيرة . وفى الروض الأنف : « روادى » . قال أبو ذر : رواد : من رواه بفتح الراء فمعناه سريعات من ردى الفرس يردى إذا أسرع ، ومن رواه بكسر الراء فهو من المشى الرُّويد ؛ وهو الذى فيه فتور . المصدر السابق . والروض الأنف ٦/ ٣٩٧، ٤٢٨.

(٤) فى الأصل ، ص : « دوائرها » . ودوابرها : أواخرها . شرح غريب السيرة ٣/ ٣٧.

(٥) لاح : غيَّر وأضعف . ومتونها : ظهورها . والطراد : مطاردة الأبطال بعضهم بعضًا . المصدر السابق .

(٦) ملبونة : تُسقَى اللبن . المصدر السابق .

(٧) فى ص : « تختلى » ، وتجتلى : تقطع . المصدر السابق .

(٨) الجنن : جمع جنة ، وهى السلاح . والمرتاد : الطالب للحرب هنا . المصدر السابق .

(٩) الأسداد جمع سد : وهو ما يسد به على الإنسان فيمنعه عن وجهه . المصدر السابق ٣/ ٣٨.

(١٠) كذا فى النسخ . وهو لفظ سائر أصول السيرة ، كما أشار محققوها . وفى السيرة : « عباد » . ووجوه عباد : أراد وجوه عَبيد . المصدر السابق .

(١١) سيرة ابن هشام ٢/ ٢٨٧. وانظر ديوان حسان بن ثابت ص ٢٤٥.
والقول فى السيرة منسوبٌ إلى ابن هشام ، وليس لابن إسحاق كما ذكر المصنف .

(١٢ - ١٢) سقط من : ص .

المتقدمين أمامَ رسولِ اللَّهِ ﷺ على حسانَ، وحلَف لا يُكَلِّمُه أبدًا، وقال: انْطَلَقَ إلى خيلى وفَوارسى فجعَلها للمِقْدادِ. [٣/٤٥و] فاعْتَذر إليه حسانُ بأنه وافق الرَّوِىُّ اسمَ المِقْدادِ، ثُم قال أبياتًا يَمْدَحُ بها سعدَ بنَ زيدٍ:

إذا أرَدْتُم الأشَدَّ الجَلْدَا ... أو ذا غَناءٍ فعليكم سعْدَا

سعدَ بنَ زيدٍ لا يُهَدُّ هَدَّا

قال: فلم تَقَعْ منه بمَوْقِعٍ. وقال حسانُ بنُ ثابتٍ فى يومِ ذى قَرَدٍ[1]:

أظَنَّ عُيَيْنةُ إذ زارها ... بأنْ سوف يَهْدِمُ فيها قُصورَا[2]

فأُكْذِبْتَ ما كنتَ صدَّقْتَهُ ... وقلْتُم سنَغْنَمُ أمْرًا كبيرَا

فعِفْتَ المدينةَ إذ زُرْتَها ... وآنَسْتَ للأُسْدِ فيها زَئِيرَا[3]

ووَلَّوا سِراعًا كشَدِّ النَّعامِ ... ولم يَكْشِفوا عن مُلِطٍّ حَصِيرَا[4]

أميرٌ علينا رسولُ المَلِيـ ... ـكِ أحْبِبْ بذاك إلينا أميرَا

رسولٌ نُصَدِّقُ ما جاءهُ ... ويَتْلو كِتابًا مُضِيئًا مُنيرَا

وقال كعبُ بنُ مالكٍ فى يومِ ذى قَرَدٍ، يَمْدَحُ الفُرْسانَ يومئذٍ مِن المسلمين[5]:

---

(١) سيرة ابن هشام ٢/ ٢٨٧. وانظر ديوان حسان بن ثابت ص ٣٨٤.

(٢) إذ زارها: يعنى المدينة، فأضمرها للعلم بها وإن لم يتقدم لها ذكر. شرح غريب السيرة ٣/ ٣٨.

(٣) عفت: كرهت. وآنست: أحسست ووجدت. والزئير: من أصوات الأسود. المصدر السابق.

(٤) الشد: الجرى. والملط هنا: اللاصق بالأرض. والحصير هنا: وجه الأرض. المصدر السابق.

(٥) سيرة ابن هشام ٢/ ٢٨٧، ٢٨٨.

أيَحْسَبُ أولادُ اللَّقِيطةِ أننا | على الخيلِ لسنا مثلَهم فى الفَوارسِ
وإنا أُناسٌ لا نرَى القَتْلَ سُبَّةً | ولا نَنْثَنِى عندَ الرِّماحِ المَداعِسِ[1]
وإنا لنَقْرِى الضَّيفَ مِن قَمَعِ الذُّرَى[2] | ونَضْرِبُ رأسَ الأَبْلَخِ[3] المتَشاوِسِ
نَرُدُّ كُماةَ المُعْلَمِين إذا انتَخَوا | بضربٍ يُسَلِّى نَخْوةَ المُتَقاعِسِ[4]
بكلِّ فَتًى حامى الحقيقةِ ماجِدٍ | كريمٍ كسِرْحانِ الغَضاةِ[5] مُخالِسِ
يَذودون عن أحسابِهم وتِلادِهم[6] | ببيضٍ تَقُدُّ الهامَ تحتَ القَوانِسِ[7]
فسائِلْ بنى بدرٍ إذا ما لَقِيتَهم | بما فعَل الإخوانُ يومَ التَّمارُسِ[8]
إذا ما خرَجْتُم فاصْدُقوا مَن لَقِيتُمُ | ولا تَكْتُموا أخْبارَكم فى المَجالِسِ
وقُولوا زَلَلْنا عن مَخالِبِ خادِرٍ[9] | به وَحَرٌ[10] فى الصدرِ ما لم يُمارِسِ[11]

---

(١) المداعس: المطاعن. شرح غريب السيرة ٣/ ٣٨، ٣٩.

(٢) القمع: جمع قَمَعَة؛ وهى أعلى سنام البعير. والذرى: الأسنمة. المصدر السابق ٣/ ٣٩.

(٣) فى النسخ: «الأبلج». والمثبت من السيرة وشرح غريبها. والأبلخ: المتكبر. والمتشاوس: الذى ينظر بمؤخَّر عينه نظر المتكبر. شرح غريب السيرة ٣/ ٣٩.

(٤) انتخوا: تكبروا. والمتقاعس: الذى لا يلين ولا ينقاد. المصدر السابق.

(٥) السرحان: الذئب. والغضاة: شجرة، وجمعها غضًى، ويقال: إن أخبث الذئاب ذئاب الغضى. المصدر السابق.

(٦) فى م، ص: «بلادهم». والتلاد: المال القديم. شرح غريب السيرة ٣/ ٣٩.

(٧) تقد: تقطع. والقوانس: جمع قونس؛ أعلى بيضة الحديد وهى الخوذة. انظر المصدر السابق.

(٨) التمارس: المضاربة فى الحرب والمقاربة. شرح غريب السيرة ٣/ ٣٩.

(٩) خادر: الأسد فى خِدره. المصدر السابق.

(١٠) الوحر: الحقد. المصدر السابق.

(١١) فى ص: «يدارس».

غزوةُ بنى المُصْطَلِقِ مِن خُزاعةَ

قال البخاريُّ[1] : وهى غَزوةُ المُرَيْسِيعِ . قال محمدُ بنُ إسحاقَ[2] : وذلك فى سنةِ سِتٍّ . وقال موسى بنُ عُقْبَةَ[3] : سنةَ أربعٍ . وقال النُّعمانُ بنُ راشدٍ ، عن الزُّهْرِىِّ[4] : كان حديثُ الإفْكِ فى غزوةِ المُرَيْسِيعِ . هكذا حَكاه[5] البخاريُّ ، عن مغازى موسى بنِ عُقبةَ ؛ أنَّها كانت فى سنةِ أربعٍ . والذى حَكاه البَيْهَقِىُّ عنه [٣/ ٤٥ظ] وعن عُروةَ ؛ أنَّها كانت فى شَعبانَ ، سنةَ خمسٍ[6] . وقال الواقدىُّ[7] : كانت لليلتَيْن مِن شعبانَ ، سنةَ خمسٍ ، فى سبعِمائةٍ مِن أصحابِه .

وقال محمدُ بنُ إسحاقَ بنِ يَسارٍ ، بعدَما أوْرَد قصةَ ذى قَرَدٍ[8] : فأقام

---

(١) فتح البارى ٧/ ٤٢٨.

(٢) المصدر السابق . وانظر سيرة ابن هشام ٢/٢٨٩ بنحوه .

(٣) فتح البارى ٧/ ٤٢٨.

(٤) المصدر السابق .

(٥) فى الأصل ، م : « رواه » .

(٦) سقط من : الأصل ، م .

وقد أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٤/ ٤٥، عن موسى بن عقبة عن ابن شهاب ، وفى ٤/٤٤ عن عروة .

وانظر المعرفة والتاريخ ٣/ ٢٨٦، ٢٨٧. قال الحافظ : كذا ذكره البخارى ، وكأنه سبق قلم ؛ أراد أن يكتب سنة خمس فكتب سنة أربع . فتح البارى ٧/ ٤٣٠.

(٧) أخرجه البيهقى فى الدلائل ٤/ ٤٥، ٤٦ عن الواقدى حتى قوله : سنة خمس . وأخرج بقية الأثر عن المسور بن رفاعة من طريق الواقدى فى ٤/ ٤٦. وانظر مغازى الواقدى ١/٤٠٤ دون قوله : « فى سبعمائة » .

(٨) سيرة ابن هشام ٢/ ٢٨٩.

رسولُ اللَّهِ ﷺ بالمدينةِ بعضَ جُمادَى الآخِرةِ، ورجَبًا، ثُم غزا بنى المُصْطَلِقِ مِن خُزاعةَ فى شعبانَ، سنةَ سِتٍّ. قال ابنُ هشامٍ: واسْتَعْمَل على المدينةِ أبا ذَرٍّ الغِفارِيَّ، ويُقالُ: نُمَيْلَةُ بنُ عبدِ اللَّهِ اللَّيْثِيُّ.

قال ابنُ إسحاقَ[1]: فحدَّثنى عاصمُ بنُ عمرَ بنِ قَتادةَ، وعبدُ اللَّهِ بنُ أبى بكرٍ، ومحمدُ بنُ يحيى بنِ حَبَّانَ، كلٌّ قد حدَّثنى بعضَ حديثِ بنى المُصْطَلِقِ، قالوا: بلَغ رسولَ اللَّهِ ﷺ أنَّ بنى المُصْطَلِقِ يَجْمَعون له، وقائدُهم الحارثُ بنُ أبى ضِرارٍ، أبو جُوَيْرِيَةَ بنتِ الحارثِ التى تزَوَّجها رسولُ اللَّهِ ﷺ بعدَ هذا، فلمَّا سَمِع بهم خرَج إليهم، حتى لَقِيَهم على ماءٍ مِن مياهِهم يقالُ له: المُرَيْسِيعُ. مِن ناحيَةِ قُدَيْدٍ إلى الساحلِ، فتَزاحَم الناسُ واقْتَتَلوا، فهزَم اللَّهُ بنى المُصْطَلِقِ، وقَتَل مَن قَتَل منهم، ونَفَّل[2] رسولُ اللَّهِ ﷺ أبناءَهم ونساءَهم وأموالَهم، فأفاءَهم[3] عليه.

وقال الواقدىُّ[4]: خرَج رسولُ اللَّهِ ﷺ للَيْلتَيْن خلتا مِن شعبانَ، سنةَ خمسٍ مِن الهجرةِ، فى سبعِمائةٍ مِن أصحابِه إلى بنى المُصْطَلِقِ، وكانوا حُلفاءَ بنى مُدْلِجٍ، فلمَّا انْتَهَى إليهم، دفَع رايةَ المُهاجرين إلى أبى بكرٍ الصِّدِّيقِ، ويُقالُ: إلى عَمّارِ بنِ ياسرٍ. ورايةَ الأنْصارِ إلى سعدِ بنِ عُبادةَ، ثُم أمَر عمرَ بنَ الخطابِ، فنادَى فى الناسِ، أن قولوا: لا إلهَ إلا اللَّهُ. تَمْنَعوا بها أنفُسَكم،

---

(١) سيرة ابن هشام ٢/ ٢٩٠.

(٢) فى م، ص: «ونقل».

(٣) فى الأصل، ص: «فأقام».

(٤) تقدم تخريجه فى الصفحة السابقة إلى قوله: «فى سبعمائة من أصحابه». وانظر بقيته فى مغازى الواقدى ١/ ٤٠٤ - ٤٠٧ بنحوه مطولاً.

وأمْوالكم . فأبَوْا ، فترامَوْا بالنَّبْلِ ، ثُم أمَر رسولُ اللَّهِ ﷺ المسلمين ، فحَمَلوا حَمْلَةَ رجلٍ واحدٍ ، فما أفْلَت منهم رجلٌ واحدٌ ، وقُتِل منهم عشَرةٌ ، وأُسِر سائرُهم ، ولم يُقْتَلْ مِن المسلمين إلَّا رجلٌ واحدٌ .

وثبَت في « الصحيحين »[1] مِن حديثِ عبدِ اللَّهِ بنِ عَوْنٍ ، قال : كَتَبْتُ إلى نافعٍ أسْأَلُه عن الدُّعاءِ قبلَ القتالِ ، فقال : قد أغار رسولُ اللَّهِ ﷺ على بنى المُصْطَلِقِ وهم غارُّون[2] ، و[3]أنْعامُهم تُسْقَى على الماءِ ، فقَتَل مُقاتِلَتَهم ، وسَبَى سَبْيَهم ، فأصاب يومَئذٍ - أحسَبُه قال :- جُوَيْرِيةَ بنتَ الحارثِ . وأخْبَرَنى عبدُ اللَّهِ بنُ عمرَ بذلك ، وكان في ذلك الجيشِ .

[٣/٤٦و] قال ابنُ إسحاقَ[4] : وقد أُصِيب رجلٌ مِن المسلمين ، يقالُ له : هشامُ بنُ صُبابَةَ . أصابَه رجلٌ مِن الأنصارِ ، وهو يَرَى أنه مِن العدوِّ ، فقَتَلَه خطأً .

وذَكَر ابنُ إسحاقَ[5] أنَّ أخاه مِقْيَسَ بنَ صُبابَةَ قَدِم مِن مكةَ مُظْهِرًا للإسلامِ ، فطَلَب دِيَةَ أخيه هِشامٍ مِن رسولِ اللَّهِ ﷺ ؛ لأنَّه قُتِل خطأً ، فأعْطاه دِيَتَه ، ثُم مَكَث يَسيرًا ، ثُم عَدا على قاتلِ أخيه فقَتَله ، ورجَع مُرْتَدًّا إلى مكةَ ، وقال في ذلك :

---

(١) البخارى (٢٥٤١) . ومسلم (١٧٣٠) .
(٢) غارون : جمع غار - بالتشديد - أى غافل ، أى أخَذَهم على غِرَّة . فتح البارى ٥/ ١٧١.
(٣) فى م : « فى » .
(٤) سيرة ابن هشام ٢/ ٢٩٠.
(٥) المصدر السابق ٢/ ٢٩٣، ٢٩٤.

شَفَى النفسَ أن قد باتَ بالقاعِ مُسْنَدًا يُضَرِّجُ[1] ثَوْبَيْه دِماءُ الأَخادِعِ[2]
وكانت همومُ النفسِ مِن قبلِ قتْلِه تُلِمُّ فتَحْمِينى وِطاءَ المَضاجِعِ[3]
حَلَلْتُ به وِتْرِى وأَدْرَكْتُ ثُؤْرَتى[4] وكنتُ إلى الأوْثانِ أوَّلَ راجِعِ
ثَأَرْتُ به فِهْرًا وحَمَّلْتُ عَقْلَه سَراةَ بنى النَّجّارِ أربابَ فارِعِ[5]

قلتُ : ولهذا كان مِقْيَسٌ هذا مِن الأربعةِ الذين أَهْدَر رسولُ اللَّهِ ﷺ يومَ الفتحِ دِماءَهم ، وإن وُجِدوا مُعَلَّقِين بأَسْتارِ الكعبةِ .

قال ابنُ إسحاقَ[6] : فبينا الناسُ[7] على ذلك الماءِ ، وَرَدَتْ وَارِدةُ الناسِ ، ومع عمرَ بنِ الخطابِ أجِيرٌ له مِن بنى غِفارٍ ، يُقالُ له : جَهْجَاهُ بنُ مَسْعودٍ . يقودُ فرسَه ، فازْدَحم جَهْجَاهٌ ، وسِنانُ بنُ وَبَرٍ الجُهَنىُّ ، حليفُ بنى عَوْفِ بنِ الخزرجِ ، على الماءِ ، فاقْتَتَلا ، فصَرَخ الجُهَنىُّ : يا معشرَ الأنصارِ . وصرَخ جَهْجاهٌ : يا معشرَ المُهاجرين . فغَضِب عبدُ اللَّهِ بنُ أُبَىٍّ ابنُ سَلُولَ ، وعندَه رَهْطٌ مِن قومِه ، فيهم زيدُ بنُ أرْقَمَ ؛ غلامٌ حَدَثٌ ، فقال[8] : أَوَ قد فَعَلوها ؟ قد

---

(١) فى الأصل : « يصرخ » ، وفى ص : « يضرح » . وفى السيرة : « تضرج » . ويضرج : يُلطِّخ . انظر شرح غريب السيرة ٣/ ٤١.

(٢) الأخادع : عروق فى القفا ، وإنما هما أخدعان فجَمَعَهما مع ما يليهما . المصدر السابق .

(٣) تلم : أى تنزل وتزور . وتحمينى : أى تمنعنى . ووطاء المضاجع : ليِّناتُها . المصدر السابق .

(٤) وترى : الوتر طَلَبُ الثأر . والثؤرة : الثأر . المصدر السابق .

(٥) العقل هنا الدية . وسراة بنى النجار : خيارهم . وفارع : اسم حصنٍ لهم . المصدر السابق .

(٦) سيرة ابن هشام ٢/٢٩٠ - ٢٩٢.

(٧) كذا فى النسخ . وفى السيرة : « رسول اللَّه ﷺ » .

(٨) أى عبد اللَّه بنُ أبى ، لعنه اللَّه .

نافَرُونا، وكاثَرُونا فى بلادِنا، واللَّهِ ما أعُدُّنا وجَلابِيبَ قريشٍ[1] هذه، إلَّا كما قال الأولُ: سَمِّنْ كلْبَك يَأْكُلْك. أمَا واللَّهِ، لَئِنْ رَجَعْنا إلى المدينةِ لَيُخْرِجَنَّ الأعَزُّ منها الأذَلَّ. ثُم أقْبَل على مَن حَضَره مِن قومِه فقال: هذا ما فَعَلْتُم بأنفُسِكم؛ أحْلَلْتُموهم بِلادَكم، وقاسَمْتُموهم أمْوالكم، أما واللَّهِ، لو أمْسَكْتُم عنهم ما بأيدِيكُم؛ لَتَحَوَّلوا إلى غيرِ دارِكم. فسَمِع ذلك زيدُ بنُ أرْقَمَ، فمَشَى به إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ، (٢وذلك عندَ فراغِ رسول اللَّه ﷺ٢) (٣مِن عدوِّه٣)، فأخْبَرَه الخبرَ، وعندَه عمرُ بنُ الخطابِ فقال[4]: مُرْ به عَبّادَ بنَ بِشْرٍ فلْيَقْتُلْه. فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «فكيف يا عمرُ، إذا تَحَدَّثَ الناسُ أن محمـدًا يَقْتُلُ [٣/٤٦ظ] أصحابَه، لا، ولكن أذِّنْ بالرحيلِ». وذلك فى ساعةٍ لم يَكُنْ رسولُ اللَّهِ ﷺ يَرْتَحِلُ فيها، فارْتَحَل الناسُ، وقد مشَى عبدُ اللَّهِ بنُ أُبَيٍّ ابنُ سَلُولَ إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ، حينَ بَلَغه أن زيدَ بنَ أرْقَمَ قد بَلَّغه ما سَمِع منه، فحَلَف باللَّهِ: ما قلتُ ما قال، ولا تَكَلَّمْتُ به. وكان فى قومِه شريفًا عظيمًا، فقال مَن حَضَر رسولَ اللَّهِ ﷺ مِن الأنصارِ مِن أصحابِه: يا رسولَ اللَّهِ، عسى أن يكونَ الغلامُ أوْهَم فى حديثِه، ولم يَحْفَظْ ما قال الرجلُ. حَدَبًا[5] على ابنِ أُبَيٍّ ودَفْعًا عنه. فلمَّا استقَلَّ رسولُ اللَّهِ ﷺ وسار، لَقِيَه أُسَيْدُ بنُ حُضَيْرٍ، فحيَّاه بتحيةِ النبوةِ وسَلَّم عليه، وقال: يا رسولَ اللَّهِ، واللَّهِ لقد رُحْتَ فى ساعةٍ

---

(١) جلابيب قريش: هو لقب لمن كان أسلم من المهاجرين، لقَّبهم بذلك المشركون. وأصل الجلابيب الأُزُر الغلاظ، واحدها جلباب، وكانوا يلتحفون بها، فلَقَّبوهم بذلك. شرح غريب السيرة ٣/ ٤٠.

(٢ - ٢) سقط من: النسخ. والمثبت من السيرة.

(٣ - ٣) سقط من: الأصل، م.

(٤) بعده فى الأصل، م: «من».

(٥) الحَدَب: التَّحنُّن والعطف. شرح غريب السيرة ٣/ ٤٠.

مُنْكَرَةٍ ، ما كنتَ تَرُوحُ فى مثلِها . فقال له رسولُ اللَّهِ ﷺ : « أوَ ما بَلَغك ما قال صاحبُكم ؟ » قال : أيُّ صاحبٍ يا رسولَ اللَّهِ ؟ قال : « عبدُ اللَّهِ بنُ أُبَىٍّ » . قال : وما قال ؟ قال : « زَعَم أنَّه إن رجَع إلى المدينةِ ؛ أخْرَج الأعَزُّ منها الأذَلَّ » . قال : فأنت واللَّهِ يا رسولَ اللَّهِ ، تُخْرِجُه[1] إن شِئْتَ ، هو واللَّهِ الذَّليلُ وأنت العزيزُ . ثُم قال : يا رسولَ اللَّهِ ارْفُقْ به[2] ، فواللَّهِ لقد جاءنا اللَّهُ بك ، وإنَّ قومَه لَيَنْظِمون له الخَرَزَ لِيُتَوِّجُوه ، فإنَّه لَيَرَى أنَّك قد اسْتَلَبْتَه مُلْكًا . ثُم مَشَى رسولُ اللَّهِ ﷺ بالناسِ يومَهم ذلك حتى أمْسَى ، وليلَتَهم حتى أصْبَح ، وصَدْرَ يومِهم ذلك حتى آذَتْهم الشمسُ ، ثُم نزلَ بالناسِ ، فلم يَلْبَثوا أن وجَدوا مَسَّ الأرْضِ ، فوَقَعوا نِيامًا ، وإنَّما فعَل ذلك لِيَشْغَلَ الناسَ عن الحديثِ الذى كان بالأمسِ ؛ مِن حديثِ عبدِ اللَّهِ بنِ أُبَىٍّ ، ثُم راح رسولُ اللَّهِ ﷺ بالناسِ ، وسلَك الحجازَ ، حتى نزَل على ماءٍ بالحجازِ فُوَيْقَ النَّقِيعِ[3] ، يقالُ له : بَقْعَاءُ . فلمَّا راحَ رسولُ اللَّهِ ﷺ ، هَبَّت على الناسِ رِيحٌ شديدةٌ ، فآذَتْهم وتَخَوَّفوها ، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « لا تَخَوَّفوها[4] ؛ فإنَّما هبَّتْ لموتِ عظيمٍ مِن عُظماءِ الكفارِ » . فلمَّا قَدِموا المدينةَ وَجَدوا رِفاعةَ بنَ زيدِ بنِ التَّابوتِ ، أحدَ بنى قَيْنُقاعَ[5] ، وكان عظيمًا مِن عُظماءِ يهودَ ، وكَهْفًا للمنافِقِين ، مات ذلك اليومَ . وهكذا ذكر

---

(١) بعده فى السيرة : « منها » .

(٢) سقط من النسخ . والمثبت من السيرة .

(٣) النقيع : موضع تلقاء المدينة ، بينها وبين مكة ، على ثلاث مراحل من مكة . معجم ما استعجم ٤/ ١٣٢٣ .

(٤) كذا فى النسخ . وفى السيرة : « تخافوها » . وتخوفوها : أى تتخوَّفوها .

(٥) بعده فى الأصل : « قد أظهر الإسلام » .

موسى بنُ عُقبةَ ، والواقدىُّ[1] .

وروَى مسلمٌ[2] ، مِن طريقِ الأعْمشِ ، عن أبى سفيانَ ، عن جابرٍ نحوَ هذه القصةِ ، إلَّا أنه لم يُسَمِّ الذى مات مِن المُنافقِين ، قال : [٣/٤٧و] هبَّتْ ريحٌ شديدةٌ والنبىُّ ﷺ فى بعضِ أسْفارِه ، فقال : « هذه لِمَوتِ مُنافِقٍ » . فلمَّا قَدِمْنا المدينةَ ، إذا هو قد مات عظيمٌ مِن عُظماءِ المُنافقِين .

قال ابنُ إسحاقَ[3] : ونزَلت السورةُ التى ذكَر اللَّهُ فيها المُنافِقِين ؛ فى ابنِ أُبَىٍّ ، ومَن كان على مثلِ أمرِه ، فأخَذ رسولُ اللَّهِ ﷺ بأُذُنِ زيدِ بنِ أرْقَمَ ، وقال : « هذا الذى أَوْفَى اللَّهُ[4] بأُذُنِه » .

قلتُ : وقد تَكَلَّمْنا على تفسيرِها بتمامِها ؛ فى كتابِنا « التفسيرِ »[5] بما فيه كِفايةٌ عن إعادتِه هـٰهنا ، وسَرَدْنا طُرُقَ هذا الحديثِ ، عن زيدِ بنِ أرْقَمَ ، ولِلَّهِ الحمدُ والمِنَّةُ ، فمَن أراد الوقوفَ عليه ، أو أحَبَّ أن يَكْتُبَه هـٰهنا ، فلْيَطْلُبْه مِن هناك ، وباللَّهِ التوفيقُ .

قال ابنُ إسحاقَ[6] : حدَّثنى عاصمُ بنُ عمرَ بنِ قَتادةَ أنَّ عبدَ اللَّهِ بنَ عبدِ اللَّهِ بنِ أُبَىٍّ ابنِ سَلُولَ أتَى رسولَ اللَّهِ ﷺ فقال : يا رسولَ اللَّهِ ، إنَّه بَلَغَنى أنَّك تُريدُ قَتْلَ عبدِ اللَّهِ بنِ أُبَىٍّ ، فيما بَلَغَك عنه ، فإن كنتَ فاعلًا فمُرْنى[7] به ،

---

(١) دلائل النبوة ٤/٥٦ - ٥٨، ومغازى الواقدى ٢/٤١٥ - ٤٢٠، ٤٢٢، ٤٢٣، مطولًا ، بنحوه .

(٢) مسلم (٢٧٨٢) بنحوه .

(٣) سيرة ابن هشام ٢/ ٢٩٢.

(٤) فى م : « لله » .

(٥) التفسير ٨/١٥١ - ١٦٠. سورة « المنافقون » .

(٦) سيرة ابن هشام ٢/ ٢٩٢، ٢٩٣.

(٧) فى الأصل، م : « فمر لى » .

فأنا أحمِلُ إليك رأسَه، فواللَّهِ لقد عَلِمَتِ الخزرجُ؛ ما كان بها مِن رجلٍ أبرَّ بوالِدِه منِّى، وإنِّى أخشَى أن تَأْمُرَ به غيرى فيَقْتُلَه، فلا تَدَعُنى نفسى أن أنْظُرَ إلى قاتلِ عبدِ اللَّهِ بنِ أُبَيٍّ يَمْشى فى الناسِ، فأَقْتُلَه، فأَقْتُلَ مؤمنًا بكافرٍ، فأدْخُلَ النارَ. فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «بل نَتَرَفَّقُ به، ونُحْسِنُ صُحْبتَه ما بَقِىَ معنا». وجعَل بعدَ ذلك إذا أحْدَث الحَدَثَ؛ كان قومُه هم الذين يُعاتِبُونه، ويأْخُذونه ويُعَنِّفونه، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ لعمرَ بنِ الخطابِ، حينَ بلَغه ذلك مِن شأْنِهم: «كيف تَرَى يا عمرُ، أمَا واللَّهِ لو قَتَلْتُه يومَ قلتَ لى: اقتُلْه[1]. لأَرْعَدَتْ له آنُفٌ[2]، لو أمَرْتُها اليومَ بقتلِه لَقَتَلَتْه». فقال عمرُ: قد واللَّهِ عَلِمْتُ؛ لأَمْرُ رسولِ اللَّهِ ﷺ أعْظَمُ برَكةً مِن أمْرِى.

وقد ذكَر عِكْرِمةُ وابنُ زيدٍ وغيرُهما[3]، أنَّ ابنَه عبدَ اللَّهِ، رَضِىَ اللَّهُ عنه، وَقَف لأبيه عبدِ اللَّهِ بنِ أُبَيٍّ ابنِ سَلُولَ عندَ مَضِيقِ المدينةِ فقال: قِفْ، فواللَّهِ لا تَدْخُلْها حتى يَأْذَنَ رسولُ اللَّهِ ﷺ فى ذلك. فلمَّا جاء رسولُ اللَّهِ ﷺ اسْتَأْذَنه فى ذلك، فأذِن له، فأَرْسَلَه حتى دَخَل المدينةَ.

قال ابنُ إسحاقَ[4]: وأُصِيب يومئذٍ مِن بنى المُصْطَلِقِ ناسٌ، وقتَل علىُّ بنُ أبى طالبٍ منهم رَجُلَيْن؛ مالكًا وابنَه. قال ابنُ هشامٍ[4]: وكان شِعارُ المسلمين: يا مَنْصورُ، أمِتْ أمِتْ.

قال ابنُ إسحاقَ[4]: [٣/٤٧ظ] وكان رسولُ اللَّهِ ﷺ أصاب منهم سَبْيًا

---

(١) زيادة من: ص.

(٢) أرعدت: توعَّدتْ بالشر وهدَّدتْ. والآنف: الأنوف.

(٣) أخرجه الطبرى فى تفسيره ٢٨/١١٣ عن عكرمة، وفى ٢٨/ ١١٤، ١١٥ عن ابن زيد. كلاهما مطولا.

(٤) سيرة ابن هشام ٢/ ٢٩٤.

كثيرًا، فقَسَمهم فى المسلمين.

وقال البخاريُّ[1] : حدَّثنا قُتَيْبَةُ بنُ سَعِيدٍ، أَخْبَرَنى إسماعيلُ بنُ جعفرٍ، عن رَبيعةَ بنِ أبى عبدِ الرحمنِ، عن محمدِ بنِ يحيى بنِ حَبَّانَ، عن ابنِ مُحَيْرِيزٍ، أنَّه قال: دَخَلْتُ المسجدَ فرأيْتُ أبا سعيدٍ الخُدْرِيَّ، فجَلَسْتُ إليه، فسَأَلْتُه عن العَزْلِ، فقال أبو سعيدٍ: خَرَجْنا مع رسولِ اللَّهِ ﷺ فى غزوةِ بنى المُصْطَلِقِ، فأَصَبْنا سَبْيًا مِن سَبْيِ العربِ، فاشْتَهَيْنا النساءَ، واشتَدَّتْ علينا العُزُوبَةُ، وأحبَبْنا العَزْلَ، وقلْنا: نَعْزِلُ ورسولُ اللَّهِ ﷺ بينَ أظْهُرِنا، قبلَ أن نَسْأَلَه. فسَأَلْناه عن ذلك فقال: «ما عليكم أن لا تَفْعلوا، ما مِن نَسَمةٍ كائنةٍ إلى يومِ القيامةِ إلَّا وهى[2] كائنةٌ». وهكذا رَواه[3].

قال ابنُ إسحاقَ[4] : وكان فيمَن أُصِيب يومَئذٍ مِن السَّبايا جُوَيْرِيَةُ بنتُ الحارثِ بنِ أبى ضِرَارٍ، فحدَّثنى محمدُ بنُ جعفرِ بنِ الزُّبيرِ، عن عُرْوةَ، عن عائشةَ قالت: لمَّا قسَم رسولُ اللَّهِ ﷺ سَبايا بنى المُصْطَلِقِ وقَعت جُوَيْرِيَةُ بنتُ الحارثِ فى السهمِ لثابتِ بنِ قيسِ بنِ شَمَّاسٍ، أو لابنِ عَمٍّ له، فكاتَبَتْه على نفسِها، وكانت امرأةً حُلْوةً مُلَّاحةً[5]، لا يراها أحدٌ إلَّا أخَذَتْ بنفسِه، فأتَتْ رسولَ اللَّهِ ﷺ لتَسْتَعِينَه فى كِتابتِها. قالتْ[6] : فواللَّهِ، ما هو إلَّا أن رأيْتُها

---

(١) البخارى (٤١٣٨).
(٢) سقط من: الأصل، م.
(٣) أى البخارى فى كتاب المغازى. وقد رواه فى مواضع أخر من صحيحه بألفاظ مختلفة.
(٤) سيرة ابن هشام ٢/ ٢٩٤، ٢٩٥، بنحوه.
(٥) ملاحة: هى الشديدة المَلاحة. شرح غريب السيرة ٣/ ٤١.
(٦) بعده فى السيرة: «عائشة».

على بابِ حُجْرتى فكَرِهْتُها ، وعَرَفْتُ أنَّه سيَرَى منها ما رأيْتُ . فدخَلَتْ عليه فقالت : يا رسولَ اللَّهِ ، أنا جُوَيْرِيَةُ بنتُ الحارثِ بنِ أبى ضِرارٍ سيِّدِ قومِه ، وقد أصابَنى مِن البَلاءِ ما لم يَخْفَ عليك ، فوَقَعْتُ فى السهمِ لثابتِ بنِ قيسِ بنِ شَمَّاسٍ ، أو لابنِ عَمٍّ له ، فكاتَبْتُه على نفسى ، فجِئْتُك أسْتَعِينُك على كِتابتى . قال : « فهل لكِ فى خيرٍ مِن ذلك ؟ » قالت : وما هو يا رسولَ اللَّهِ ؟ قال : « أقْضِى عنكِ[1] كِتابَتَكِ[2] ، وأتزَوَّجُكِ » . قالت : نعم ، يا رسولَ اللَّهِ . قال[3] : « قد فَعَلْتُ » . قالت[4] : وخَرَج الخبرُ إلى الناسِ أن رسولَ اللَّهِ ﷺ قد تَزَوَّجَ جُوَيْرِيَةَ بنتَ الحارثِ ، فقال الناسُ : أصْهارُ رسولِ اللَّهِ ﷺ . فأرْسَلوا ما بأيدِيهم . قالت : فلقد أُعْتِق بتَزْويجِه إيَّاها مائةُ أهلِ بيتٍ مِن بنى المُصْطَلِقِ ، فما أعْلَمُ امرأةً كانتْ[5] أعْظَمَ برَكةً على قومِها منها . ثُم ذكَر ابنُ إسحاقَ قصةَ الإفْكِ بتمامِها[6] فى هذه الغزوةِ ، وكذلك البخارىُّ[7] ، وغيرُ واحدٍ مِن أهلِ العلمِ ، وقد حرَّرْتُ طُرُقَ ذلك كلِّه فى تفسيرِ سورةِ النُّورِ[8] ، فلْيُلَحَقْ بكَمالِه إلى هـٰهنا . وباللَّهِ المُسْتَعانُ .

---

(١) سقط من : الأصل ، ص .

(٢) فى م : « كتابك » .

(٣) سقط من النسخ . والمثبت من السيرة .

(٤) أى عائشة ، رضى اللَّه عنها .

(٥) زيادة من : ص .

(٦) سيرة ابن هشام ٢/٢٩٧ - ٣٠٧.

(٧) البخارى : كتاب المغازى ، باب حديث الإفك ، حديث (٤١٤١) . وكتاب التفسير ، تفسير سورة النور باب ﴿لولا إذ سمعتموه ...﴾ ، حديث (٤٧٥٠) .

(٨) التفسير ٦/١٧ - ٣١. سورة النور ، الآيات ١١ - ٢٢.

وقال الواقديُّ[1] : [٣/٤٨و] حدَّثنا [٢]حَرامٌ ، عن[٢] هشامِ بنِ عُرْوةَ ، عن أبيه ، قال : قالت جُوَيْرِيَةُ بنتُ الحارثِ : رأيْتُ قبلَ قُدومِ النبيِّ ﷺ بثلاثِ ليالٍ ، كأَنَّ القمرَ يَسِيرُ مِن يَثْرِبَ ، حتى وَقَع فى حِجْرِى ، فكَرِهْتُ أن أُخْبِرَ به أحدًا مِن الناسِ ، حتى قَدِم رسولُ اللَّهِ ﷺ ، فلمَّا سُبِينا رجَوْتُ الرُّؤْيا . قالت : فأعْتَقَنى رسولُ اللَّهِ ﷺ وتزَوَّجنى ، واللَّهِ ، ما كَلَّمْتُه فى قومى ، حتى كان المسلمون هم الذين أرْسَلوهم ، وما شَعَرْتُ إلَّا بجاريةٍ مِن بناتِ عمِّى تُخْبِرُنى الخبرَ ، فحَمِدْتُ اللَّهَ تعالى . قال الواقديُّ[٣] : ويُقالُ : إنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ [٤]جعَل صداقَها عِتْقَ كلِّ أسيرٍ مِن بنى المُصْطَلِقِ . ويُقالُ[٤] : جعَل صَداقَها عِتْقَ أرْبعين مِن بنى المُصْطَلِقِ . وذَكَر موسى بنُ عُقْبةَ[٥] ، عن بنى المُصْطلِقِ أنَّ أباها طَلَبَها وافْتَداها ، ثُم خَطَبها منه رسولُ اللَّهِ ﷺ فزَوَّجه إيَّاها .

---

(١) مغازى الواقدى ١/ ٤١١، ٤١٢. وأخرجه البيهقى فى الدلائل ٤/٥٠ من طريق الواقدى به .

(٢ - ٢) كذا فى النسخ . وفى مصدرى التخريج : « حزام بن » .

(٣) مغازى الواقدى ١/ ٤١٢. وأخرجه عنه البيهقى فى الدلائل ٤/ ٥٠ .

(٤ - ٤) سقط من : الأصل ، م .

(٥) أخرجه البيهقى فى الدلائل ٤/٥١ عن موسى بن عقبة ، به .

(1) قِصَّةُ الإفْكِ (1)

(*) وهذا سياقُ محمدِ بنِ إسحاقَ لحديثِ الإفْك؛ قال ابنُ إسحاقَ[2]: حدَّثنى الزُّهْرِىُّ، عن عَلْقمةَ بنِ وَقّاصٍ، وسعيدِ بنِ المُسَيَّبِ[3]، و[4]عروةَ بنِ الزبيرِ (5) وعُبَيدِ اللَّهِ بنِ عبدِ اللَّهِ (5) بنِ عُتْبةَ. قال الزُّهْرِىُّ: كلٌّ قد حَدَّثنى بعضَ هذا الحديثِ، وبعضُ القومِ كان أوْعَى له مِن بعضٍ، وقد جَمَعْتُ لك الذى حدَّثنى القومُ.

قال ابنُ إسحاقَ[6]: و[7]حدَّثنى يَحْيَى بنُ عَبّادِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ الزبيرِ، عن أبيه، عن عائشةَ، وعبدُ اللَّهِ بنُ أبى بكرٍ، عن عَمْرَةَ بنتِ عبدِ الرحمنِ، عن

(1 - 1) سقط من: ص.

(2) سيرة ابن هشام 2/297.

(3) كذا فى النسخ وهو الصواب. وفى السيرة: «جبير». وهو خطأ. فقد رواه الطبرى فى تاريخه 2/611 من طريق ابن إسحاق عن الزهرى عن مشايخه الأربعة، وذكر منهم سعيد بن المسيب، وليس ابن جبير، وكذلك رواه البخارى فى صحيحه (4750) من طريق الزهرى بسند الطبرى، ولم يذكر سعيد ابن جبير. وقد صرح الحافظ فى الفتح أنه تتبع طرق الحديث من رواية محمد بن إسحاق عن عروة، وعلقمة، وسعيد بن المسيب، وعبيد اللَّه. ولم يذكر رواية لابن جبير عن عائشة. فيظهر بذلك خطأ ذكر سعيد بن جبير فى الإسناد. واللَّه أعلم.

(4) فى ص: «عن». وانظر تهذيب الكمال 26/419.

(5 - 5) فى الأصل: «وعبد اللَّه بن عبد اللَّه». وفى م: «وعبد اللَّه بن عبيد اللَّه». وانظر المصدر السابق.

(6) سيرة ابن هشام 2/297 - 302.

(7) سقط من: م.

عائشةَ ، عن نفسِها ، حينَ قال فيها أهلُ الإفْكِ ما قالوا ، فكلٌّ قد دخَل فى حديثِها ، عن هؤلاء جميعًا ، يُحَدِّثُ بعضُهم ما لم يُحَدِّثْ صاحبُه ، وكلٌّ كان عنها ثِقةً ، فكلُّهم حدَّث عنها بما سمِع ، قالت : كان رسولُ اللَّهِ ﷺ إذا أراد سَفَرًا أقْرَع بينَ نسائِه ، فأيَّتُهُنَّ خَرَج سهمُها ، خرَج بها معه ، فلمَّا كان غزوةُ بنى المُصْطَلِقِ أقْرَع بينَ نسائِه ، كما كان يَصْنَعُ ، فخرَج سهمى عليهنَّ معه ، فخرَج بى رسولُ اللَّهِ ﷺ . قالت : وكان النساءُ إذْ ذاك يأْكُلْن العُلَقَ[(١)] ، لم يُهبِّجْهُنَّ[(٢)] اللحمُ فيَثْقُلْن ، وكنتُ إذا رُحِّل لى بعيرى جلَسْتُ فى هَوْدَجى ، ثُم يأتى القومُ الذين كانوا يُرَحِّلون لى ، ويَحْمِلُوننى فيَأْخُذون بأسْفلِ الهَوْدَجِ ، فيَرْفَعونه فيَضَعُونه على ظهرِ البعيرِ ، فيَشُدُّونه بحبالِه ، ثُم يَأْخُذون برأسِ البعيرِ فينْطَلِقون به . قالت : فلمَّا فرَغ رسولُ اللَّهِ ﷺ [٣/٤٨ظ] مِن سفرِه ذلك ، وجَّه قافلًا ، حتى إذا كان قريبًا مِن المدينةِ نزَل مَنْزِلًا ، فبات به بعضَ الليلِ ، ثُم أذَّن[(٣)] فى الناسِ بالرحيلِ ، فارْتَحل الناسُ ، وخَرَجْتُ لبعضِ حاجتى ، وفى عُنُقى عِقْدٌ لى ، فيه جَزْعُ ظَفَارِ[(٤)] ، فلمَّا فَرَغتُ انسَلَّ مِن عُنُقى ، (٥ولا أدْرى ، فلمَّا رَجَعْتُ إلى الرَّحْلِ ذهَبْتُ (٦أَلْتَمِسُه فى عُنُقى٥) ، فلم أجِدْه ، وقد أخَذ الناسُ فى الرَّحيلِ ، فرجَعْتُ إلى مكانى الذى ذهَبْتُ٦) إليه ، فالْتَمَسْتُه حتى وَجَدْتُه ، وجاء

---

(١) العلق : جمع عُلْقة ، وهى ما فيه بُلْغَةٌ من الطعام إلى وقت الغداء . شرح غريب السيرة ٣/ ٤١، ٤٢.

(٢) فى ا ١٥، ص : « يهيجهن » ، وفى م والسيرة : « يهجهن » ، وفى النهاية ٥/ ٢٤٠ : « لم يُهَبِّلْهُنّ » . قال أبو ذر : التهبيج كالورم فى الجسد ، وفى الجمهرة : التهبيج انتفاخ الوجه وتقبُّضه . المصدر السابق ٣/ ٤٢. وانظر الروض الأنف ٦/ ٤٣٦.

(٣) بعده فى الأصل : « لمؤذن » . وفى م : « المؤذن » .

(٤) الجزع : الخرَز . وظفار : اسم مدينة قُرْب صنعاء ، وهى التى يُنسب إليها الجزع فيقال : جزع ظفارى . انظر شرح غريب السيرة ٣/ ٤٢. ومعجم البلدان ٣/ ٥٧٧.

(٥ - ٥) سقط من : الأصل .

(٦ - ٦) سقط من : ا ١٥.

القومُ خِلافى ، الذين كانوا يُرَحِّلون لِىَ البعيرَ ، وقد كانوا فرَغوا مِن رِحْلَتِه ، فأخَذوا الهَوْدَجَ وهم يَظُنُّون أنِّى فيه ، كما كنتُ أصْنَعُ ، فاحْتَمَلوه فشَدُّوه على البعيرِ ، ولم يَشُكُّوا أنِّى فيه ، ثُم أخذُوا برأسِ البعيرِ فانْطَلَقوا به ، فرَجَعْتُ إلى العَسْكَرِ ، وما فيه داعٍ ولا مُجيبٌ ، قد انْطَلَق الناسُ . قالت : فتَلَفَّفْتُ بجِلْبابى ، ثم اضْطَجَعْتُ فى مكانى ، وعرَفْتُ أن لو افْتُقِدْتُ لَرُجِع[1] إلىَّ . قالت : فواللَّهِ إنِّى لَمُضْطَجِعةٌ إذْ مَرَّ بى صَفْوانُ بنُ [2]المُعَطِّلِ السُّلَمىُّ[2] ، وقد كان تَخَلَّف عن العَسْكَرِ لبعضِ حاجتِه ، فلم يَبِتْ مع الناسِ ، فرَأَى سَوادى فأقْبَل حتى وقَف علىَّ ، وقد كان يرانى قبلَ أن يُضْرَبَ علينا الحجابُ ، فلمَّا رآنى قال : إنّا للَّهِ وإنّا إليه راجعون ، ظَعِينةُ رسولِ اللَّهِ ﷺ ! وأنا مُتَلَفِّفَةٌ فى ثيابى . قال : ما خَلَّفكِ ، يَرْحَمُكِ اللَّهُ ؟ قالت : فما كلَّمْتُه . ثُم قَرَّب إلىَّ البعيرَ ، فقال : ارْكَبى . واسْتَأْخَر عنى . قالت : فرَكِبْتُ ، وأخَذ برأسِ البعيرِ ، فانْطَلَق سريعًا يَطْلُبُ الناسَ ، فواللَّهِ ما أدْرَكْنا الناسَ ، وما افْتُقِدْتُ حتى أصْبَحْتُ ، ونَزَل الناسُ ، فلمَّا اطْمَأَنُّوا طَلَع الرجلُ يَقُودُ بى ، فقال أهلُ الإفْكِ ما قالوا ،

---

(١) بعده فى الأصل ، م : « الناس » .

(٢ - ٢) فى ص : « المعطل بن رميضة بن خزاعى بن محارب بن مرة بن فالح بن ذكوان بن ثعلبة بن بهثة بن سليم السلمى ثم الذكوانى . قال السهيلى : وكان يكون على الساقة يلتقط ما يسقط من ضياع المسافرين حتى يأتيهم به ، فلهذا تأخر بعد الجيش . قال : وقد قيل : إنما تأخر بسبب ثقل نومه . قال : ويشهد له بهذا ، الحديث الذى رواه أبو داود ، أن امرأته اشتكته إلى رسول اللَّه ﷺ فقالت : يا رسول اللَّه ، إنه ينام عن صلاة الصبح ، ويضربنى إذا صليت ، ويفطرنى إذا صمت . فذكر أنه ثقيل النوم ، وأنهم أهل بيت معروف لهم ذلك . فقال رسول اللَّه ﷺ : إذا استيقظت فصله . وذكر أن امرأته تطيل الصلاة ، وتقرأ فيها بما يقرأ به فى صلاته ، وأنها تكثر الصيام وهو حاضر . فنهى رسول اللَّه ﷺ أن تصوم المرأة وزوجها شاهد ، إلا بإذنه ... الحديث . قال السهيلى : وقتل صفوان شهيدا فى خلافة معاوية ، وقد اندقت رجله يوم قتل ، رضى اللَّه عنه ، ودفن بالجزيرة فى موضع يقال له : شمطاط » .

وارْتَجَّ[(١)] العَسْكَرُ ، وواللَّهِ ما أعْلَمُ بشىءٍ مِن ذلك ، ثُم قَدِمْنا المدينةَ ، فلم أَلْبَثْ أنِ اشْتَكَيْتُ شَكْوى شديدةً ، لا يَبْلُغُنى مِن ذلك شىءٌ ، وقد انتهَى الحديثُ إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ وإلى أبوَىَّ ، لا يَذْكُرون لى منه قليلًا ولا كثيرًا ، إلَّا أنِّى قد أنْكَرْتُ مِن رسولِ اللَّهِ ﷺ بعضَ لُطْفِه بى ؛ كنتُ إذا اشْتَكَيْتُ رَحِمنى ، ولطَف بى ، فلم يَفْعَلْ ذلك بى [٣/٤٩و] فى شَكْواىَ تلك ، فأنْكَرْتُ ذلك منه ، كان إذا دخَل علىَّ وعندى أُمِّى تُمَرِّضُنى قال : كيف تِيكُم[(٢)] ؟ لا يَزيدُ على ذلك . قالت : حتى وجَدْتُ فى نفسى فقلتُ : يا رسولَ اللَّهِ - حينَ رَأَيْتُ ما رأيْتُ مِن جَفائِه لى - لو أذِنْتَ لى فانتقَلْتُ[(٣)] إلى أُمِّى فمَرَّضَتْنى ؟ قال : « لا عليكِ » . قالتْ : فانْتَقَلْتُ[(٤)] إلى أُمِّى ، ولا عِلمَ لى بشىءٍ مِمَّا كان ، حتى نَقِهْتُ[(٥)] مِن وجَعى بعدَ بِضْعٍ وعشرين ليلةً ، وكُنّا قومًا عَرَبًا ، لا نَتَّخِذُ فى بُيوتِنا هذه الكُنُفَ[(٦)] التى تَتَّخِذُها الأعاجِمُ ، نَعافُها ونَكْرَهُها ، إنَّما كنا نخْرُجُ فى فُسَحِ المدينةِ ، وإنَّما كانتِ النساءُ يَخْرُجْن فى كلِّ ليلةٍ فى حَوائِجِهنَّ ، فخَرَجْتُ ليلةً لبعضِ حاجتى ومعى أُمُّ مِسْطَحٍ ، ابنةُ أبى رُهْمِ بنِ المُطَّلِبِ[(٧)] بنِ عبدِ مَنافٍ ، وكانت أُمُّها بنتَ صَخْرِ بنِ عامرِ بنِ كعبِ بنِ سعدِ بنِ تَيْمٍ ، خالةَ أبى بكرٍ الصديقِ[(٧)] . قالت : فواللَّهِ ، إنَّها لَتَمْشِى معى ، إذ عَثَرَتْ فى مِرْطِها

---

(١) كذا فى النسخ . وهو لفظ إحدى نسخ السيرة ، كما أشار محققوها . وفى السيرة : « ارتعج » .
(٢) « تيكم » اسم إشارة للمفردة المؤنثة ، مثل « ذاكم » للمذكر .
(٣) فى الأصل : « فأنقلب » .
(٤) فى الأصل ، م : « فانقلبت » .
(٥) الناقِه : الذى أفاق من مرضه ، ولم تتكامل صحته . فتح البارى ٨/ ٤٦٥ .
(٦) الكنف : جمع كنيف وهو الساتر ، والمراد به هنا المكان المتَّخَذ لقضاء الحاجة . المصدر السابق .
(٧ - ٧) زيادة من : ا ١٥ ، ص .

فقالت: تَعِس مِسْطَحٌ. ومِسْطَحٌ لقَبٌ، واسمُه عَوْفٌ. قالت: فقلتُ: بئْسَ لَعَمْرُ اللَّهِ ما قُلتِ لرجلٍ مِن المهاجرين، وقد شَهِد بدرًا. قالت: أوَ مَا بَلَغَكِ الخبرُ يا بنتَ أبى بكرٍ؟! قالت: قلتُ: وما الخبرُ؟ فأخْبَرَتْنى بالذى كان مِن قولِ أهلِ الإفْكِ. قلتُ: أوَ قد كان هذا؟! قالت: نعم واللَّهِ لقد كان. قالت: فواللَّهِ ما قَدَرْتُ على أن أَقْضِىَ حاجتى، ورَجَعْتُ، فواللَّهِ ما زِلْتُ أَبْكى حتى ظَنَنْتُ أن البكاءَ سيَصْدَعُ كَبِدى[1]. قالت: وقلتُ لأُمِّى: يَغْفِرُ اللَّهُ لكِ، تَحَدَّثَ الناسُ بما تَحَدَّثُوا به ولا تَذْكُرين لى مِن ذلك شيئًا؟! قالت: أىْ بُنَيَّةُ، خَفِّضى[2] عليكِ الشأنَ، فواللَّهِ لَقَلَّما كانتِ امرأةٌ حسناءُ عندَ رجلٍ يُحِبُّها، لها ضَرائرُ، إلَّا كَثَّرْن، وكَثَّر الناسُ عليها. قالت: وقد قام رسولُ اللَّهِ ﷺ فخَطَبَهم، ولا أعْلَمُ بذلك، فحمِد اللَّهَ وأثْنَى عليه، ثُم قال: «أيها الناسُ، ما بالُ رجالٍ يُؤْذوننى فى أهلى، ويقولون عليهم غيرَ الحقِّ، واللَّهِ ما علِمْتُ عليهم إلَّا خيرًا، ويقولون ذلك لرجلٍ؛ واللَّهِ ما علِمْتُ منه إلَّا خيرًا، وما يَدْخُلُ بيتًا مِن بُيوتى إلَّا وهو معى». قالت: وكان كِبْرُ[3] ذلك عندَ عبدِ اللَّهِ بنِ أُبَىٍّ ابنِ سَلُولَ، فى رجالٍ مِن الخزرجِ، مع الذى قال مِسْطَحٌ، وحَمْنَةُ بنتُ جَحْشٍ؛ وذلك أنَّ أختَها زينبَ بنتَ جحشٍ كانت عندَ رسولِ اللَّهِ ﷺ، ولم تَكُنِ امرأةٌ مِن نسائِه تُناصِينى[4] فى المنزلةِ عندَه غيرُها، فأمَّا زينبُ فعَصَمها اللَّهُ بدينِها فلم تَقُلْ إلَّا خيرًا، وأَمَّا [٣/٤٩ظ] حَمْنَةُ فأشاعَتْ مِن ذلك ما أشاعتْ،

---

(١) سيصدع كبدى: أى يَشقُّه. شرح غريب السيرة ٣/ ٤٢.

(٢) فى م: «خففى». وخفضى عليك: أى هَوِّنى وسهِّلى. المصدر السابق.

(٣) الكبر: الإثم الكبير. الوسيط (ك ب ر).

(٤) تناصينى: أى تنازعنى فى الرُّتبة عنده والمنزلة. شرح غريب السيرة ٣/ ٤٢.

تُضادُّنى[1] لأُختِها ، فشَقِيَتْ بذلك ، فلمَّا قال رسولُ اللَّهِ ﷺ تلك المَقالةَ ، قال أُسَيْدُ بنُ حُضيْرٍ : يا رسولَ اللَّهِ ، إن يكونوا مِن الأوسِ ، نَكْفِكَهُم ، وإن يكونوا مِن إخْوانِنا مِن الخزرجِ ، فمُرْنا أمْرَك ، فواللَّهِ إنَّهم لأهلٌ أن تُضْرَبَ أعناقُهم . قالت : فقام سعدُ بنُ عُبادةَ ، وكان قبلَ ذلك يُرَى رجلًا صالحًا[2] ، فقال : كَذَبْتَ ، لَعَمْرُ اللَّهِ ، لا تَضْرِبُ[3] أعناقَهم ، أمَا واللَّهِ ما قلتَ هذه المَقالةَ إلَّا أنَّك قد عَرَفْتَ أنَّهم مِن الخزرجِ ، ولو كانوا مِن قومِك ما قُلتَ هذا . فقال أُسَيْدُ بنُ حُضَيْرٍ : كذَبْتَ لَعَمْرُ اللَّهِ ، ولكنَّك مُنافِقٌ تُجادِلُ عن المُنافِقِين[4] . قالت : وتَساوَر الناسُ[5] ، حتى كاد يكونُ بينَ هذين الحَيَّيْنِ مِن الأوْسِ والخزرجِ شرٌّ ، ونزَل رسولُ اللَّهِ ﷺ فدَخَل علَىَّ . قالت : فدَعا علىَّ بنَ أبى طالبٍ ، وأسامةَ ابنَ زيدٍ فاسْتَشارهما ، فأمَّا أسامةُ فأثْنَى خيرًا وقاله ، ثُم قال : يا رسولَ اللَّهِ ، أهلُك ولا نَعْلَمُ منهم إلَّا خيرًا ، وهذا الكذبُ والباطلُ . وأمَّا علىٌّ فإنَّه قال : يا رسولَ اللَّهِ ، إنَّ النساءَ لكثيرٌ ، وإنَّك لقادرٌ على أن تَسْتَخْلِفَ ، وسَلِ الجاريةَ فإنَّها ستَصْدُقُك . فدَعا رسولُ اللَّهِ ﷺ بَريرةَ ليَسْأَلَها . قالت : فقام إليها علىٌّ فضَرَبَها ضَرْبًا شديدًا ، ويقولُ : اصْدُقى رسولَ اللَّهِ ﷺ . قالت : فتقولُ : واللَّهِ

---

(١) فى الأصل ، م : « تضارنى » .

(٢) قال الحافظ : قال ابن التين : أى لم يتقدَّم منه ما يتعلق بالوقوف مع أنفة الحمية ، ولم تُرِدْ أنه ناضل عن المنافقين . قال الحافظ : وهو كما قال . فتح البارى ٨/ ٤٧٣.

(٣) فى السيرة : « نضرب » .

(٤) قال الحافظ : وقد اعتذر المازرى عن قول أسيدٍ لسعد بنِ عبادة ؛ أن ذلك وقع منه على جهة الغيظ والحنق والمبالغة فى زجر سعد بن عبادة عن المجادلة عن ابن أُبىٍّ وغيره ، ولم يُرِد النفاق الذى هو إظهار الإيمان وإبطان الكفر ، قال : ولعلَّه صلى اللَّه عليه وسلم إنما ترك الإنكار عليه لذلك . فتح البارى ٨/ ٤٧٣، ٤٧٤.

(٥) تساور الناس : تواثبوا . انظر الوسيط (س و ر) .

ما أعْلَمُ إلَّا خيرًا ، وما كنتُ أعِيبُ على عائشةَ شيئًا ، إلَّا أنِّى كنتُ أعْجِنُ عجينى ، فآمُرُها أن تَحْفَظَه ، فتنامُ عنه ، فتأْتى الشاةُ فتأْكُلُه . قالت : ثُم دخَل علَىَّ رسولُ اللَّهِ ﷺ وعندى أبَواىَ ، وعندى امرأةٌ مِن الأنصارِ ، وأنا أبْكى وهى تَبْكى ، فجلَس فحَمِد اللَّهَ وأثْنَى عليه ، ثُم قال : يا عائشةُ ، إنَّه قد كان ما قد بَلَغكِ مِن قولِ الناسِ ، فاتَّقى اللَّهَ ، وإن كنتِ قد قارَفْتِ سُوءًا مِمّا يقولُ الناسُ ، فتوبى إلى اللَّهِ ؛ فإنَّ اللَّهَ يَقْبَلُ التوبةَ عن عبادِه . قالت : فواللَّهِ إن هو إلَّا أن قال لى ذلك ، فقَلَص[(1)] دمعى ، حتى ما أُحِسُّ منه شيئًا ، وانتَظَرْتُ أبَوَىَّ أن يُجِيبا عنِّى رسولَ اللَّهِ ﷺ ، فلم يَتَكَلَّما . قالت : وايْمُ اللَّهِ لَأنا كنتُ أحْقَرَ فى نفسى ، وأصْغَرَ شأنًا مِن أن يُنَزِّلَ اللَّهُ فىَّ قرآنًا يُقْرأُ به ويُصَلَّى به ، ولكنِّى كنتُ أرْجو أن يُرَى النبىُّ ﷺ فى نومِه شيئًا يُكَذِّبُ به اللَّهُ عنى ؛ لِمَا يَعْلَمُ مِن بَراءَتى ، أو[(2)] يُخْبَرَ خَبَرًا ، [٣/ ٥٠و] وأمَّا قرآنًا يَنْزِلُ فىَّ ، فواللَّهِ لَنفسى كانت أحْقَرَ عندى مِن ذلك . قالت : فلمَّا لم أرَ أبَوَىَّ يَتَكلَّمان ، قلتُ لهما : ألا تُجِيبان رسولَ اللَّهِ ﷺ ؟ فقالا : واللَّهِ ما نَدْرى بماذا نُجِيبُه . قالت : وواللَّهِ ما أعْلَمُ أهلَ بيتٍ دخَل عليهم ما دَخَل على آلِ أبى بكرٍ فى تلك الأيامِ . قالت : فلمَّا اسْتَعْجَما[(3)] علىَّ ، اسْتَعْبَرْتُ فبَكَيْتُ ، ثُم قلتُ : واللَّهِ لا أتوبُ إلى اللَّهِ مِمّا ذَكَرْتَ أبدًا ، واللَّهِ إنِّى لَأعْلَمُ لئن أقْرَرْتُ بما يقولُ الناسُ ، واللَّهُ يَعْلَمُ أنِّى منه بريئةٌ ، لَأَقُولَنَّ ما لم يَكُنْ ، ولئن أنا أنْكَرْتُ ما يقولون ، لا تُصَدِّقُونَنى . قالت : ثُم الْتَمَسْتُ اسمَ يعقوبَ ، فما أذْكُرُه ، فقلتُ : ولكنْ سأقولُ كما قال

---

(1) قلص : أى استمسك نزوله فانقطع . فتح البارى ٨/ ٤٧٥.

(2) فى م : « و » .

(3) استعجما : سَكَتا . يقال : سألتُه فاستعجم . انظر الوسيط (ع ج م) .

أبو يوسُفَ : ﴿ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴾ [يوسف : ١٨] . قالت : فواللَّهِ ما بَرِح رسولُ اللَّهِ ﷺ مَجْلِسَه حتى تَغَشَّاه مِن اللَّهِ ما كان يَتَغَشَّاه ، فسُجِّىَ (١) بثوبه ، ووُضِعَت وِسادةٌ مِن أَدَمٍ تحتَ رأسِه ، فأمَّا أنا حينَ رأيتُ مِن ذلك ما رأيتُ ، فواللَّهِ ما فَزِعْتُ وما بالَيْتُ ، قد عرَفْتُ أنِّى بريئةٌ ، وأنَّ اللَّهَ غيرُ ظالمى ، وأمَّا أبَوَاىَ فوالذى نفسُ عائشةَ بيدِه ، ما سُرِّىَ عن رسولِ اللَّهِ ﷺ ، حتى ظَنَنْتُ لتَخرُجَنَّ أنْفُسُهما ؛ فَرَقًا (٢) مِن أن يَأْتِىَ مِن اللَّهِ تَحْقيقُ ما قال الناسُ . قالت : ثم سُرِّىَ عن رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فجَلَس وإنَّه لَيَتَحَدَّرُ (٣) مِن وجهِه مثلُ الجُمَانِ (٤) فى يومٍ شاتٍ ، فجعَل يَمْسَحُ العرَقَ عن جَبِينِه (٥) ويقولُ : أبْشِرى يا عائشةُ ، قد أنْزَل اللَّهُ ، عزَّ وجلَّ ، بَراءَتَكِ . قالت : قلتُ : الحمدُ للَّهِ . ثُم خَرَج إلى الناسِ فخَطَبهم وتَلا عليهم ما أنْزَل اللَّهُ ، عزَّ وجلَّ ، مِن القرآنِ فى ذلك ، ثُم أمَر بِمِسْطَحِ بنِ أُثاثَةَ ، وحسانَ بنِ ثابتٍ ، وحَمْنةَ بنتِ جَحْشٍ ، وكانوا ممَّن أفْصَح بالفاحشةِ ، فضُرِبوا حَدَّهم .

وهذا الحديثُ مُخَرَّجٌ فى « الصحيحين » عن الزُّهْرىِّ (٦) . وهذا السياقُ فيه فوائدُ جَمَّةٌ ، وذِكْرُ حدِّ القَذْفِ لحسانَ ومَن معه رَواه أبو داودَ فى « سُننِه » (٧) .

---

(١) سجى : غُطِّى .

(٢) فرقًا : خوفًا وجَزَعًا .

(٣) يتحدَّر : ينزل ويسيل . انظر الوسيط (ح د ر) .

(٤) الجمان : حَبٌّ من فِضَّة يُصنع على مثال الدُّرّ . شرح غريب السيرة ٣/ ٤٢ .

(٥) فى الأصل ، م : « وجهه » . وفى ا ١٥ : « جبهته » .

(٦) البخارى (٢٦٦١ ، ٤١٤١ ، ٤٧٥٠) . ومسلم (٥٦/ ٢٢٧٠ ، ٥٧/ ٠٠٠) .

(٧) أبو داود (٤٧٧٥) . قال الشيخ الألبانى ، فى صحيح سنن أبى داود (٣٧٥٧) : حسن بما قبله .

قال ابنُ إسحاقَ[1] : وقال قائلٌ مِن المسلمين فى ضرْبِ حسانَ وأصحابِه :

لقد ذاقَ حسّانُ الذى كان أهلَه وحَمْنةُ إذ قالوا هَجِيرًا[2] ومِسْطَحُ
تَعاطَوْا برَجْمِ الغيبِ زوجَ نَبِيِّهم وسَخْطةَ ذى العرشِ الكريمِ فأُتْرِحُوا[3]
وآذَوْا رسولَ اللَّهِ فيها فجُلِّلوا[4] مَخازِىَ تَبْقَى عُمِّمُوها وفُضِّحوا
[٣/ ٥٠ظ] وصُبَّتْ عليهم مُحْصَداتٌ[5] كأنَّها شَآبِيبُ قَطْرٍ مِن[6] ذُرا المُزْنِ تَسْفَحُ[7]

وقد ذكَر ابنُ إسحاقَ[8] أن حسانَ بنَ ثابتٍ قال شعرًا[9] ، يهْجُو فيه صَفْوانَ بنَ المُعَطَّلِ وجماعةً مِن قريشٍ ممَّن تَخاصَم على الماءِ مِن أصحابِ جَهْجاهٍ كما تقدَّم[10] ، أوَّلُه[11] :

أمْسَى الجَلابِيبُ قد عَزُّوا وقد كَثُروا وابنُ الفُرَيْعةِ أمْسَى بَيْضَةَ البَلَدِ[12]

---

(١) سيرة ابن هشام ٢/ ٣٠٧.
(٢) الهَجِير : الهُجْر هنا ؛ وهو القول الفاحش القبيح . شرح غريب السيرة ٣/ ٤٤، ٤٥.
(٣) الرجم : الظن هنا . وأترحوا : أى أُحزِنوا ، من التَّرَح وهو الحزن . انظر المصدر السابق ٣/ ٤٥.
(٤) فجُلِّلوا : فعُمِّمُوا . انظر الوسيط (ج ل ل) .
(٥) محصدات : يعنى سياطًا محكمة الفَتْل شديدات . شرح غريب السيرة ٣/ ٤٥.
(٦) فى الأصل ، م ، ص : « فى » .
(٧) الشآبيب : جمع شُؤْبُوب ، وهى الدفعة من المطر . والقطر : المطر . والذرا : الأعالى . والمزن : السحاب . وتسفح : تسيل . المصدر السابق ، والوسيط (ق ط ر) .
(٨) سيرة ابن هشام ٢/ ٣٠٤، ٣٠٥.
(٩) ديوان حسان ص ١٦٠، ١٦١.
(١٠) تقدم فى صفحة ١٨٤ .
(١١) سقط من : ص . وبعده فى م : « هى » .
(١٢) الجلابيب : لقب لمن كان أسلم من المهاجرين . وابن الفريعة : يعنى به نفسه . وأُمّ حسان كان يُقال لها : الفريعة . وأمسى بيضة البلد : يعنى واحدًا لا يجاريه أحد ، وهو فى هذا الموضع مدح . وقد تكون =

قد ثَكِلَتْ أُمُّه مَن كنتَ صاحِبَه أو كان مُنْتَشِبًا فى بُرْثُنِ الأَسَدِ[(١)]
ما لِقَتيلِى الذى أغْدو[(٢)] فآخُذُه مِن دِيَةٍ فيه يُعْطاها ولا قَوَدِ[(٣)]
ما البحرُ حينَ تَهُبُّ الرِّيحُ شامِيَةً فيَغْطَئِلُّ ويَرْمِى العِبْرَ بالزَّبَدِ[(٤)]
يومًا بأَغْلَبَ مِنِّى حينَ تُبْصِرُنى مِلْغَيْظِ أفْرِى كفَرْيِ العارِضِ البَرِدِ[(٥)]
أمَّا قريشٌ فإنى [(٦)]لا أُسالِمُها[(٦)] حتى يُنِيبوا مِنَ الغَيَّاتِ للرَّشَدِ[(٧)]
ويَتْرُكوا اللَّاتَ والعُزَّى بمَعْزِلَةٍ ويَسْجُدوا كلُّهم للواحدِ الصَّمَدِ
ويَشْهَدوا أنَّ ما قال الرسولُ لهمْ حَقٌّ فيُوفوا بحقِّ اللَّهِ والوُكُدِ[(٨)]

قال : فاعْتَرَضه صَفْوانُ بنُ المُعَطَّلِ ، فضرَبه بالسيفِ وهو يقولُ :

تَلَقَّ ذُبابَ السيفِ[(٩)] عنِّى فإنَّنى غلامٌ إذا هُوجِيتُ لستُ بشاعرِ

= بيضة البلد ذمًّا ، وأصل ذلك أن توجد بيضة واحدة من بيض النعام ليس معها غيرها ، فإذا أُريد بها المدح شُبِّه بها الرجل الذى لا نظير له ، وإذا أُريد بها الذم شُبه بها الرجل الذى لا رهط له ولا عشيرة . شرح غريب السيرة ٣/ ٤٠، ٤٣.

(١) ثكلت أمه : أى فقدت . ومنتشبًا : أى عالِقًا . والبرثن – وجمعه بَراثِن – بمنزلة الأصابع للناس ، وقيل : بمنزلة الأظفار . انظر المصدر السابق ٢/ ٤٣، والوسيط (ن ش ب) .

(٢) فى الأصل : « أعدر » . وفى م ، ص : « أعدو » .

(٣) القود : قتل النفس بالنفس . شرح غريب السيرة ٢/ ٤٣.

(٤) يغطئل : يموج ويتحرك . العبر : جانب البحر . انظر المصدر السابق .

(٥) ملغيظ : أى من الغيظ . وأفرى : أقطع . والعارض : السحاب هنا . والبَرِد : الذى فيه بَرَد . انظر المصدر السابق .

(٦ – ٦) كذا فى النسخ . وفى السيرة : « لن أسالمهم » .

(٧) ينيبوا : أى يرجعوا . والغَيّات : جمع غَيَّة ؛ من الغَىّ وهو خلاف الرُّشْد . المصدر السابق .

(٨) الوكد : يريد توكيد العهد . المصدر السابق .

(٩) ذباب السيف : حدُّ طرفيه . الوسيط (ذ ب ب) .

وذكَر[1] أن ثابتَ بنَ قيسِ بنِ شمَّاسٍ أخَذ صَفْوانَ حينَ ضرَب حسانَ ، فشَدَّه وَثاقًا ، فلَقِيَه عبدُ اللَّهِ بنُ رَواحَةَ فقال : ما هذا ؟ فقال : ضرَب حسانَ بالسيفِ . فقال عبدُ اللَّهِ : هل عَلِم رسولُ اللَّهِ ﷺ بشيءٍ [2]مِمَّا صَنَعْتَ[2] ؟ قال : لا . فأطْلَقَه ، ثُم أتَوْا كلُّهم رسولَ اللَّهِ ﷺ ، فقال ابنُ المُعَطَّلِ : يا رسولَ اللَّهِ ، آذانى وهَجانى ، فاحْتَمَلَنِى الغضبُ فضَرَبْتُه . فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « يا حسانُ ، أتَشَوَّهْتَ على قومى إذْ هداهمُ اللَّهُ » . ثُم قال : « أحْسِنْ يا حسانُ فيما أصابَك » . فقال : هى لك يا رسولَ اللَّهِ . فعَوَّضَه منها بَيْرُحاءَ التى تَصَدَّق بها أبو طلحةَ ، وجاريةً قِبْطِيَّةً ، يقالُ لها : سِيرِينُ . جاءَه منها ابنُه عبدُ الرحمنِ . قال : وكانت عائشةُ تقولُ : سُئِل عن ابنِ المُعَطَّلِ ، فوُجِد رجلًا حَصُورًا ما يأْتى النساءَ[3] ، ثُم قُتِل بعدَ ذلك شهيدًا ، رَضِىَ اللَّهُ عنه .

[4]وقد تَرْجَمَه الحافظُ الكبيرُ أبو القاسمِ بنُ عساكرَ فى تاريخِه[5] ، وروَى عنه شيئًا مِن الحديثِ ، وذكَر أنَّه تُوُفِّىَ شهيدًا فى فتحِ سُمَيْساطَ[6] ، سنةَ[4]

(١) أى ابن إسحاق ، سيرة ابن هشام ٢/ ٣٠٥، ٣٠٦ بنحوه .

(٢ - ٢) فى الأصل ، م : « من ذلك » .

(٣) وهذا يشكل عليه ما تقدم فى صفحة ١٩٤ حاشية (٢ - ٢) من أن امرأة صفوان جاءت إلى النبى ﷺ فقالت : يا رسول اللَّه ، إنه ينام عن صلاة الصبح ، ويضربنى إذا صليت ، ويفطرنى إذا صمت ... الحديث . قال الحافظ : وإسناده صحيح - أى حديث الشكوى - ويمكن أن يجاب بأنه تزوج بعد ذلك . الإصابة ٣/ ٤٤١.

(٤ - ٤) زيادة من : ١٥ ا.

(٥) تاريخ دمشق ٢٤/ ١٥٨ - ١٧٦.

(٦) فى ١٥ ا: « شميصات » . والمثبت من مصدر التخريج . وسميساط : مدينة على شاطىء الفرات ، غربى الفرات . معجم البلدان ٣/ ١٥١، ١٥٢.

(1) ستين[2] . وقيل : إنَّه تُوُفِّىَ فى بعضِ الفُتوحاتِ عند ذلك بعد العشرين[3] . وهذا أشْبَهُ . واللَّهُ أعلمُ .

وقال الطَّبَرَانىُّ[4] : ثنا علىُّ بنُ عبدِ العزيزِ ، ثنا عمرُ[5] بنُ عبدِ الوَهّابِ الرِّياحىُّ ، ثنا عامرُ بنُ صالحِ بنِ رُسْتُمَ ، عن أبيه ، عن الحسنِ ، عن سعدٍ مولى أبى بكرٍ قال : شكا رجلٌ إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ صَفْوانَ بنَ المُعَطَّلِ ، وكان يقولُ هذا الشِّعْرَ ، فقال : يا رسولَ اللَّهِ ، إنَّ صفوانَ هَجانى . فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « دَعُوا صفوانَ ؛ فإنَّ صفوانَ خَبيثُ اللِّسانِ ، طيِّبُ القلبِ » . حديثٌ غريبٌ جِدًّا[6](1) .

قال ابنُ إسحاقَ[7] : ثُم قال حسانُ بنُ ثابتٍ[8] ، يَعْتَذِرُ مِن الذى كان قال [٣/ ٥١و] فى شأنِ عائشةَ :

حَصَانٌ رَزانٌ ما تُزَنُّ بريبَةٍ ... وتُصْبِحُ غَرْثَى مِن لُحومِ الغَوافِلِ[9]

(١ - ١) زيادة من : ١٥١.

(٢) ذكر الحافظ ابن عساكر فى تاريخ دمشق لوفاة صفوان تاريخين ؛ أولهما الذى ذكره المصنف هنا ، والثانى هو سنة تسع عشرة ، وذلك فى الأخبار التى ساقها بإسناده . انظر تاريخ دمشق ٢٤/ ١٦٢، ١٧٥، ١٧٦.

(٣) لم نجد من ذكر وفاته سنة عشرين . انظر ترجمة صفوان فى : الاستيعاب ٢/ ٧٢٥، ٧٢٦. وأسد الغابة ٣/ ٣٠، ٣١. والإصابة ٣/ ٤٤٠، ٤٤١.

(٤) المعجم الكبير ٦/ ٦٦ (٤٥٩٥) . قال الهيثمى فى المجمع ٩/ ٣٦٤: رواه الطبرانى ، وفيه عامر بن صالح بن رستم ، وثقة غير واحد ، وضعفه جماعة ، وبقية رجاله رجال الصحيح .

(٥) فى ١ ١٥: « محمد » . والمثبت من المعجم الكبير . وانظر تهذيب الكمال ٢١/ ٤٥١.

(٦) هذه العبارة الأخيرة تعقيب من المصنف .

(٧) سيرة ابن هشام ٢/ ٣٠٦.

(٨) ديوان حسان ص ٢٢٨، ٢٢٩.

(٩) الحصان هنا : العفيفة . والرزان : المُلازِمَة موضعها التى لا تتصرّف كثيرًا . وما تُزن : أى ما تُتَّهم . وغرثى : أى جائعة . والغوافل : جمع غافلة . ومعنى هذا الكلام أنها كافَّة عن أعراض الناس . شرح غريب السيرة ٣/ ٤٣، ٤٤.

عَقِيلةُ حَىٍّ مِن لُؤَىِّ بنِ غالبٍ كِرامِ المَساعى مَجْدُهم غيرُ زائِلِ[(١)]
[(٢)]مُهَذَّبَةٌ قد طَيَّبَ اللَّهُ خِيمَها وطَهَّرَها مِن كُلِّ سُوءٍ وباطِلِ[(٣)]
فإن كنتُ قد قلتُ الذى قد زَعَمْتُمُ فلا رَفَعَتْ سَوْطى إلىَّ أنامِلى
وكيف ووُدِّى ما حَيِيتُ ونُصْرَتى لآلِ رسولِ اللَّهِ زَيْنِ المَحافِلِ
له رَتَبٌ عالٍ على الناسِ كلِّهمْ تَقاصَرُ عنه سَوْرَةُ المُتطاوِلِ[(٤)]
فإنَّ الذى قد قِيل ليس بلائِطٍ ولكنَّه قولُ امرئٍ بىَ ماحِلِ[(٥)]

وقد زاد يونسُ بنُ بُكَيْرٍ فى روايتِه عن ابنِ إسحاقَ[(٦)] قبلَ البيتِ الأوَّلِ :

رأيتُكِ وليَغْفِرْ لكِ اللَّهُ حُرَّةً مِن المُحْصَناتِ[(٧)] غيرَ ذاتِ غوائِلِ[(٨)]
[(٩)]حَصانٌ رَزانٌ ما تُزَنُّ بريبَةٍ وتُصْبِحُ غَرْثَى مِن لُحومِ الغَوافِلِ[(٢)]

---

(١) العقيلة : الكريمة . والمساعى : جمع مسعاة ، وهو ما يُسعى فيه من طلب المجد والمكارم . شرح غريب السيرة ٣/ ٤٤.
(٢ - ٢) سقط من : الأصل ، م .
(٣) مهذبة : أى صافية مخلصة . والخيم : الطبع والأصل . المصدر السابق .
(٤) الرتب : الموضع المُشرِف - أى المرتفع - من الأرض ، فاستعاره هنا للشرف والمجد . والسَّورة ، بفتح السين : الوَثْبة . وبضم السين : المَنْزِلة . انظر المصدر السابق ، والوسيط (ش ر ف) .
(٥) ليس بلائط : أى ليس بلاصق . والماحل هنا : الواشى النَّمّام ، يقال : مَحَل به إلى السلطان إذا رفع عليه عنده كَذِبًا . شرح غريب السيرة ٣/ ٤٤.
(٦) أخرجه البيهقى فى الدلائل ٤/٧٤ - ٧٦ . من طريق يونس بن بكير ، به .
(٧) فى ا ١٥، ص : « المحسنات » . والمثبت من الدلائل .
(٨) الغوائل : جمع غائلة ، والغائلة : صفة لخصلةٍ مهلكة . انظر النهاية ٣/ ٣٩٧.
(٩) من هنا إلى آخر الأبيات هو سياق يونس عن ابن إسحاق كما فى الدلائل وإلا كان فى القصيدة تكرار ، وإنما البيت السابق هو الذى عناه المصنف بأنه الزائد عن رواية زياد البكائى عند ابن هشام .

وإنَّ الذى قد قِيل ليس بلَائِطٍ بكِ الدَّهْرَ بل قِيلُ امرئٍ مُتَماحِلِ[1]

فإن كنتُ [2]أهْجُوكم كما بَلَّغُوكُمُ[2] فلا رَجَعَتْ[3] سَوْطِى إلىَّ أنامِلى

فكيف ووُدِّى ما حَيِيتُ ونُصْرتى لآلِ رسولِ اللَّهِ زَيْـنِ المحَافِلِ

[4]وإنَّ لهم عِزًّا يُرَى[5] الناسُ دُونَه قِصارًا وطال العِزُّ كلَّ التَّطاوُلِ[4]

ولْتُكْتَبْ هاهنا الآياتُ مِن سورةِ النورِ، وهى مِن قولِه تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ ﴾ إلى قولِه: ﴿ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾ [النور: ١١- ٢٦]. وما أوْرَدْناه هُنالك مِن الأحاديثِ، والطُّرُقِ، والآثارِ عن السَّلَفِ والخَلَفِ[6]. وباللَّهِ التوفيقُ.

---

(١) فى الأصل، م: «بى ماحل».

(٢ - ٢) فى الأصل، م: «قد قلت الذى قد زعمتم». وفى ا ١٥: «أهجوكم كما قد بلغتكم». وفى ص: «أهجوكم كما قد بلغكم». والمثبت من الدلائل.

(٣) فى الأصل، م: «رفعت». وهو لفظ رواية الحاكم من غير رواية ابن إسحاق كما فى الفتح ٨/ ٤٨٦.

(٤ - ٤) سقط من: ا ١٥.

(٥) فى م: «ترى».

(٦) التفسير ١٧/٦ - ٣٥.

غزوةُ الحُدَيْبِيَةِ

وقد كانت فى ذى القَعْدةِ سنةَ سِتٍّ بلا خلافٍ. وممَّن نصَّ على ذلك الزُّهْرىُّ، ونافعٌ مَوْلَى ابنِ عمرَ، وقَتادةُ، وموسى بنُ عُقْبةَ، ومحمدُ بنُ إسحاقَ ابنِ يَسارٍ، وغيرُهم، وهو الذى رَواه ابنُ لَهيعةَ، عن أبى الأسْودِ، عن عُرْوةَ أنها كانت فى ذى القَعْدةِ سنةَ سِتٍّ[1].

وقال يعقوبُ بنُ سفيانَ[2]: حدَّثنا إسماعيلُ بنُ الخَليلِ، عن علىِّ بنِ مُسْهِرٍ، أخْبَرَنى هِشامُ بنُ عروةَ، عن أبيه قال: خرَج رسولُ اللَّهِ ﷺ إلى الحُدَيْبِيَةِ فى رمضانَ، وكانت الحُدَيْبيةُ فى شَوَّالٍ. وهذا غريبٌ جدًّا عن عروةَ.

وقد رَوَى البخارىُّ ومسلمٌ جميعًا[3]، عن هُدْبَةَ، عن هَمَّامٍ، عن قَتادةَ أن أنسَ بنَ مالكٍ أخْبَرَه أن رسولَ اللَّهِ ﷺ اعْتَمر أربعَ عُمَرٍ، كلُّهنَّ[4] فى ذى القَعْدةِ، (٥إلَّا العمرةَ التى مع حَجَّتِه؛ عُمْرةً مِن الحُدَيبيةِ فى ذى القَعْدةِ، وعُمْرةً مِن العامِ المُقْبِلِ فى ذى القَعْدةِ٥)، وعمرةً[4] مِن الجِعْرانةِ فى ذى القَعْدَةِ، حيثُ قسَم غنائمَ حُنَيْنٍ، وعُمْرةً مع حَجَّتِه. وهذا لفظُ البخارىِّ.

---

(١) انظر دلائل النبوة للبيهقى ٤/ ٩١، ٩٢.

(٢) المعرفة والتاريخ ٣/ ٢٨٧.

(٣) البخارى (٤١٤٨)، ومسلم (١٢٥٣).

(٤) سقط من: الأصل، م.

(٥ - ٥) سقط من: ص.

وقال ابنُ إسحاقَ[(١)] : ثُم أقام رسولُ اللَّهِ ﷺ بالمدينةِ رمضانَ وشَوَّالًا ، وخرَج فى ذى القَعْدةِ مُعْتَمِرًا لا يُريدُ حربًا . قال ابنُ هشامٍ[(١)] : واستعمل على المدينةِ نُمَيْلَةَ بنَ عبدِ اللَّهِ اللَّيْثِيَّ . قال ابنُ إسحاقَ[(١)] : واستَنفرَ [٣/ ٥١ظ] العربَ ومَن حولَه مِن أهلِ البوادى مِن الأعرابِ ليَخْرُجوا معه ، وهـو يَخْشَى مِن قريشٍ [(٢] الذى صنَعوا [٢)] ، أن يَعْرِضوا له بحَرْبٍ ، أو يَصُدُّوه عن البيتِ ، فأبْطأ عليه كثيرٌ مِن الأعرابِ ، وخرَج رسولُ اللَّهِ ﷺ بمَن معه مِن المُهاجرين والأنصارِ ، ومَن لَحِق به مِن العربِ ، وساق معه الهَدْىَ ، وأحْرَم بالعُمرةِ ؛ ليَأْمَنَ الناسُ مِن حربِه ، وليَعْلَمَ الناسُ أنه إنما خرَج زائرًا لهذا البيتِ ، ومُعَظِّمًا له .

قال ابنُ إسحاقَ[(٣)] : وحدَّثنى محمدُ بنُ مُسْلمِ بنِ شِهابٍ الزُّهْرِىُّ ، عن عروةَ بنِ الزُّبَيرِ ، عن المِسْوَرِ بنِ مَخْرَمةَ ، ومَرْوانَ بنِ الحكَمِ ، أنَّهما حدَّثاه قالا : خرَج رسولُ اللَّهِ ﷺ عامَ الحُدَيْبِيةِ ، يُريدُ زيارةَ البيتِ لا يُريدُ قتالًا ، وساق معه الهَدْىَ سبعين بَدَنةً ، وكان الناسُ سَبْعَمائةِ رجلٍ ، وكانت كلُّ بَدَنةٍ عن عشَرةِ نَفَرٍ ، وكان جابرُ بنُ عبدِ اللَّهِ فيما بلَغنى يقولُ : كنا أصحابَ الحُدَيْبِيَةِ أربعَ عشْرةَ مائةً .

قال الزهرىُّ[(٤)] : وخرَج رسولُ اللَّهِ ﷺ ، حتى إذا كان بعُسْفانَ لَقِيَه بِشْرُ[(٥)]

---

(١) سيرة ابن هشام ٢/ ٣٠٨.

(٢ - ٢) سقط من : الأصل ، م .

(٣) المصدر السابق ٢/ ٣٠٨ - ٣١٠.

(٤) سيرة ابن هشام ٢/ ٣٠٩.

(٥) كذا قال ابن إسحاق ، وقال ابن هشام : ويقال : بُسْر . ولعل هذا هو الصواب ، ففى الاستيعاب ١/ ١٦٦، وأسد الغابة ١/ ٢١٦، والإصابة ١/ ٢٩٢: بسر . ولم يذكروا خلافا فى اسمه .

ابنُ سفيانَ الكَعْبىُّ فقال: يا رسولَ اللَّهِ، هذه قريشٌ قد سَمِعَت بمسِيرِك، فخرَجوا معهم العُوذُ المَطافيلُ[1]، قد لَبِسوا جُلودَ النُّمورِ[2]، وقد نزَلوا بذِى طُوًى، يُعاهِدون اللَّهَ لا تَدْخُلُها عليهم أبدًا، وهذا خالدُ بنُ الوليدِ فى خَيلِهم، قد قَدَّموها[3] إلى كُراعِ الغَمِيمِ[4]. قال: فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «يا ويحَ قريشٍ! لقد أكَلَتْهم الحربُ! ماذا عليهم لو خَلَّوا بينى وبينَ سائرِ العربِ؛ فإن هم أصابونى كان ذلك الذى أرادوا، وإن أظْهَرنىَ اللَّهُ عليهم دخَلوا فى الإسلامِ وافِرين، وإن لم يَفْعَلوا قاتلوا وبهم قوةٌ، فما تَظُنُّ قريشٌ؟ فواللَّهِ لا أزال أُجاهِدُ على الذى بعَثنىَ اللَّهُ به حتى يُظْهِرَه اللَّهُ أو تنْفَرِدَ هذه السالِفةُ»[5]. ثم قال: «مَن رجلٌ يَخْرُجُ بنا على طريقٍ غيرِ طريقِهم التى هم بها؟» قال ابنُ إسحاقَ[6]: فحدَّثنى عبدُ اللَّهِ بنُ أبى بكرٍ أن رجلًا مِن أسْلَمَ قال: أنا يا رسولَ اللَّهِ. قال: فسلَك بهم طريقًا وَعْرًا أَجْرَلَ[7] بينَ شِعابٍ، فلمَّا خرَجوا منه، وقد شَقَّ ذلك على المسلمين، فأفْضَوا [٣/٥٢و] إلى أرضٍ سَهْلةٍ عندَ مُنْقَطَعِ الوادى، قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «قولوا: نَسْتَغفِرُ اللَّهَ ونتوبُ إليه». فقالوا

---

(١) العوذ من الإبل: جمع عائذ، وهى التى ولدت. والمطافيل: جمع مُطْفِل، وهى التى لها طِفل أى وَلَدٌ، فاستعاره هـهنا للنساء والصبيان، يعنى أنهم خرجوا بنسائهم وأولادهم لئلا يفروا عنهم. شرح غريب السيرة ٣/ ٤٥.

(٢) لبسوا جلود النمور: مثل يُكْنَى به عن إظهار العداوة. انظر المصدر السابق.

(٣) فى الأصل، م: «قدموا».

(٤) كراع الغميم: موضع بناحية الحجاز بين مكة والمدينة، وهو وادٍ أمام عسفان بثمانية أميال. معجم البلدان ٤/ ٢٤٧.

(٥) السالفة: صفحة العنق، وكَنَّى بانفرادها عن الموت؛ لأنها لا تنفرد عما يليها إلا بالموت. وقيل: أراد: حتى يفرق بين رأسى وجسدى. النهاية ٢/ ٣٩٠، وانظر ٣/ ٤٢٦.

(٦) سيرة ابن هشام ٢/ ٣٠٩، ٣١٠.

(٧) الأجرل: الكثير الحجارة. شرح غريب السيرة ٣/ ٤٥.

ذلك، فقال: «واللَّهِ إنها لَلْحِطَّةُ التى عُرِضَت على بنى إسرائيلَ، فلم يقولوها».

قال ابنُ شِهابٍ[1]: فأمَر رسولُ اللَّهِ ﷺ الناسَ فقال: «اسْلُكوا ذاتَ اليمينِ». بينَ ظَهْرَيِ الحَمْضِ[2] فى طريقٍ تُخْرِجُه على ثَنِيَّةِ المُرارِ، مَهْبِطِ الحُدَيْبِيَةِ مِن أسفلِ مكةَ. قال: فسلَك الجيشُ ذلك الطريقَ، فلمَّا رأَت خيلُ قريشٍ قَتَرَةَ الجيشِ[3] قد خالفوا عن طريقِهم، رَكَضوا راجعين إلى قريشٍ، وخرَج رسولُ اللَّهِ ﷺ، حتى إذا سلَك فى ثَنِيَّةِ المُرارِ بَرَكَتْ ناقتُه، فقال الناسُ: خَلأَتْ[4]. فقال: «ما خَلأَتْ، وما هو لها بخُلُقٍ، ولكن حبسَها حابسُ الفيلِ عن مكةَ، لا تَدْعونى قريشٌ اليومَ إلى خُطَّةٍ[5] يَسْألوننى فيها صِلةَ الرَّحِمِ، إلا أعْطَيْتُهم إيَّاها». ثُم قال للناسِ: «انْزِلوا». قيل له: يارسولَ اللَّهِ، ما بالوادى ماءٌ نَنزِلُ عليه. فأخْرَج سهمًا مِن كِنانتِه، فأعطاه رجلًا مِن أصحابِه، فنزَل به فى قَلِيبٍ مِن تلك القُلُبِ، فغَرَزه فى جوفِه، فجاش بالرَّوَاءِ، حتى ضرَب الناسُ عنه بعَطَنٍ[6].

قال ابنُ إسحاقَ[7]: فحدَّثنى بعضُ أهلِ العلمِ، عن رجالٍ مِن أسْلَمَ، أن

---

(١) سيرة ابن هشام ٢/ ٣١٠.

(٢) فى ا ١٥: «الحمص»، وفى السيرة: «الحمش». والحمض: ما مَلُحَ من النبات وهو هنا اسم موضع. شرح غريب السيرة ٣/ ٤٥. وفى معجم البلدان ٢/ ٣٣٩: وادى حمض: موضع قريب من اليمامة.

(٣) قترة الجيش: غُباره. شرح غريب السيرة ٣/ ٤٥.

(٤) خلأت: بَرَكت من غير علة. اللسان (خ ل أ).

(٥) الخطة: الخَصْلَة. شرح غريب السيرة ٣/ ٤٥.

(٦) العطن: مَبْرَك الإبل حول الماء. المصدر السابق ٣/ ٤٦.

(٧) سيرة ابن هشام ٢/ ٣١٠.

الذى نزَل فى القَلِيبِ بسهمِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ناجِيةُ بنُ جُنْدُبٍ ، سائقُ بُدْنِ رسولِ اللَّهِ ﷺ . قال ابنُ إسحاقَ[1] : وقد زعَم بعضُ أهلِ العلمِ أن البَراءَ بنَ عازبٍ كان يقولُ : أنا الذى نزَلْتُ بسهمِ رسولِ اللَّهِ ﷺ . فاللَّهُ أعلمُ أىُّ ذلك كان . ثم استَدَلَّ ابنُ إسحاقَ للأولِ بأن جاريةً مِن الأنصارِ جاءت البئرَ ، وناجيةُ فى أسْفلِه يَميحُ[2] ، فقالت :

يا أيُّها المائحُ دَلْوِى دونكا ... إنى رأيْتُ الناسَ يَحْمَدونكا

يُثْنُون خيرًا ويُمَجِّدونكا

فأجابها فقال :

قد علِمتْ جاريةٌ يَمانِيَهْ ... أنى أنا المائحُ واسمى ناجِيَهْ

وطَعْنةٍ ذاتِ رَشاشٍ وَاهِيَهْ ... طعَنْتُها عندَ صُدورِ العادِيَهْ[3]

قال الزهرىُّ فى حديثِه[4] : فلمَّا اطْمأنَّ رسولُ اللَّهِ ﷺ ، أتاه بُدَيْلُ بنُ وَرْقاءَ ، فى رجالٍ مِن خُزاعةَ ، فكَلَّموه وسألوه ما الذى جاء به ، فأخْبَرَهم أنه لم يأتِ يُرِيدُ حربًا ، وإنما جاء زائرًا للبيتِ ومُعَظِّمًا لحُرْمتِه . ثم قال لهم نحوًا مما قال لبِشْرِ بنِ سفيانَ ، فرجَعوا إلى قريشٍ فقالوا : يا معشرَ قريشٍ ، إنكم تَعْجَلون على محمدٍ ، إن محمدًا لم يأتِ لقِتالٍ ، إنما جاء زائرًا لهذا البيتِ . [٣/٥٢ظ]

---

(١) سيرة ابن هشام ٢/ ٣١١.

(٢) يميح : يملأ الدلاء فى أسفل البئر . انظر شرح غريب السيرة ٣/ ٤٦.

(٣) العادية : القوم الذين يَعْدُون ، أى يُسرعون . شرح غريب السيرة ٣/ ٤٦.

(٤) سيرة ابن هشام ٢/ ٣١١، ٣١٢.

فاتَّهموهم وجَبَّهوهم[١] وقالوا : وإن كان جاء ولا يُريدُ قتالًا ؛ فواللَّهِ لا يَدْخُلُها علينا عَنْوةً أبدًا[٢] ، ولا تَحَدَّثُ بذلك عنا العربُ . قال الزُّهْرِيُّ[٣] : وكانت خُزاعةُ عَيْبةَ نُصْحِ رسولِ اللَّهِ ﷺ[٤] ؛ مُسْلِمُها ومُشْرِكُها ، لا يُخْفون عنه شيئًا كان بمكةَ . قال : ثُم بعَثوا إليه مِكْرَزَ بنَ حَفْصِ بنِ الأَخْيَفِ ، أخا بنى عامرِ بنِ لُؤَىٍّ ، فلمَّا رآه رسولُ اللَّهِ ﷺ مُقْبِلًا قال : « هذا رجلٌ غادرٌ » . فلمَّا انتهى إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ وكلَّمه ، قال له رسولُ اللَّهِ ﷺ نحوًا مما قال لبُدَيْلٍ وأصحابِه ، فرجَع إلى قريشٍ فأخْبَرَهم بما قال له رسولُ اللَّهِ ﷺ ، ثم بعَثوا إليه الحُلَيْسَ بنَ عَلْقمةَ ، أو ابنَ زَبَّانَ ، وكان يومَئذٍ سيدَ الأحابيشِ ، وهو أحدُ بنى الحارثِ بنِ عبدِ مَناةَ بنِ كِنانةَ ، فلمَّا رآه رسولُ اللَّهِ ﷺ قال : « إنَّ هذا مِن قومٍ يَتَألَّهون ، فابْعَثوا الهَدْىَ فى وجهِه حتى يراه » . فلمَّا رَأَى الهَدْىَ يَسيلُ عليه مِن عُرْضِ الوادى فى قَلائِدِه ، قد أَكَل أوْبارَه من طُولِ الحَبْسِ عن مَحِلِّه ، رجَع إلى قريشٍ ، ولم يَصِلْ إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ ؛ إعْظامًا لِمَا رأى ، فقال لهم ذلك . قال : فقالوا له : اجْلِسْ ، فإنما أنت أعْرابىٌّ لا علمَ لك . قال ابنُ إسحاقَ[٥] : فحدَّثنى عبدُ اللَّهِ بنُ أبى بكرٍ أن الحُلَيْسَ غَضِب عندَ ذلك وقال : يا معشرَ قريشٍ ، واللَّهِ ما على هذا حالَفْناكم ، ولا على هذا عاقَدْناكم ، أيُصَدُّ عن بيتِ اللَّهِ مَن جاءه مُعَظِّمًا له ؟! والذى نفسُ الحُلَيْسِ بيدِه لتُخَلُّنَّ بينَ محمدٍ وبينَ ما جاء له ، أو

---

(١) جبهوهم : أى خاطبوهم بما يكرهون . شرح غريب السيرة ٣/ ٤٦.

(٢) سقط من : م .

(٣) سيرة ابن هشام ٢/ ٣١٢.

(٤) أى خاصّته وأصحاب سره . شرح غريب السيرة ٣/ ٤٦ .

(٥) سيرة ابن هشام ٢/ ٣١٢.

لَأُنْفِرَنَّ بالأحابِيشِ نَفْرَةَ رجلٍ واحدٍ . قالوا : مَهْ ، كُفَّ عنا يا حُلَيْسُ حتى نَأْخُذَ لأنفسِنا ما نرْضَى به .

قال الزُّهْرِيُّ في حديثِه(١) : ثم بعَثوا إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ عُرْوةَ بنَ مسعودٍ الثَّقَفيَّ ، فقال : يا معشرَ قريشٍ ، إنى قد رأيْتُ ما يَلْقَى منكم مَن بعَثْتُموه إلى محمدٍ إذا جاءكم ؛ مِن التَّعْنيفِ ، وسوءِ اللفْظِ ، وقد عرَفْتُم أنكم والدٌ وأنى ولدٌ - وكان عروةُ لسُبَيْعةَ بنتِ عبدِ شمسٍ - وقد سَمِعْتُ بالذى نابَكم ، فجَمَعْتُ مَن أطاعنى مِن قومى ، ثُم جئتُكم ، حتى آسَيْتُكم بنفسى . قالوا : صدَقْتَ ، ما أنت عندَنا بمتَّهَمٍ . فخرَج حتى أَتَى رسولَ اللَّهِ ﷺ ، فجلَس بينَ يديه ، ثم قال : يا محمدُ ، أجَمَعْتَ أوْشابَ الناسِ(٢) ، ثم جئتَ بهم إلى بَيْضتِك لتَفُضَّها(٣) بهم ، إنها قريشٌ قد خرَجَت(٤) [٣/٥٣و] معها العُوذُ المَطافِيلُ ، قد لَبِسوا جُلودَ النُّمورِ ، يُعاهِدون اللَّهَ ، لا تَدْخُلُها عليهم عَنْوَةً أبدًا ، وايمُ اللَّهِ لكأَنِّى بهؤلاء قد انكَشَفوا عنك غدًا . قال(٥) : وأبو بكرٍ الصديقُ ، رضى اللَّهُ عنه ، خلفَ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فقال : امْصُصْ بَظْرَ اللَّاتِ ، أنحن نَنْكَشِفُ عنه ؟! قال : مَن هذا يا محمدُ ؟ قال : « هذا ابنُ أبى قُحافةَ » . قال : أمَا واللَّهِ لولا يدٌ كانت لك عندى لكافَأْتُك بها ، ولكن هذه بها . قال : ثم جعَل يَتَناوَلُ لحيةَ رسولِ اللَّهِ ﷺ وهو يُكَلِّمُه . قال : والمغيرةُ بنُ شُعْبةَ واقفٌ

---

(١) سيرة ابن هشام ٢/ ٣١٣.
(٢) أوشاب الناس : أخلاطهم . شرح غريب السيرة ٣/ ٤٧.
(٣) فى ا ١٥ : « لتقُصَّها » . وتفضها : تكسرها . المصدر السابق .
(٤) فى الأصل ، ا ١٥ ، ص : « جمعت » .
(٥) أى الزهرى فى حديثه .

على رأسِ رسولِ اللَّهِ ﷺ فى الحَديدِ . قال : فجعَل يَقْرَعُ يدَه ، إذا تناوَلَ لِحيةَ رسولِ اللَّهِ ﷺ ويقولُ : اكْفُفْ يدَك عن وجهِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، قبلَ ألَّا تَصِلَ إليك . قال : فيقولُ عروةُ : وَيْحَكَ ، ما أفظَّك وأغْلَظَك ! قال : فتبَسَّم رسولُ اللَّهِ ﷺ ، فقال له عروةُ : مَن هذا يا محمدُ ؟ قال : « هذا ابنُ أخيك ، المغيرةُ ابنُ شُعبةَ » . قال : أىْ غُدَرُ[1] ، وهل غسَلْتُ سَوْءَتَك إلَّا بالأمسِ ؟!

[2]قال ابنُ هشامٍ[3] : أراد عُروةُ بقولِه هذا ، أنَّ المغيرةَ قبلَ إسلامِه قتَل ثلاثةَ عشَرَ رجلًا ، مِن بنى مالكٍ مِن ثَقِيفٍ ، فتهايَجَ الحَيَّانِ مِن ثَقِيفٍ ؛ بنو مالكٍ رَهْطُ المقتولِين ، والأحلافُ رَهْطُ المغيرةِ ، فوَدَى عروةُ المقتولِينَ ثلاثَ عشْرةَ ديَةً ، وأصلح ذلك الأمرَ[2] .

قال الزُّهرىُّ[4] : فكلَّمه رسولُ اللَّهِ ﷺ ، بنحوٍ ممَّا كلَّم به أصحابَه ، وأخبَرَه أنه لم يأتِ يُريدُ حربًا ، فقام مِن عندِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، وقد رَأى ما يَصْنَعُ به أصحابُه ، لا يَتَوَضَّأُ إلَّا ابتَدَروا وَضُوءَه ، ولا يَبْصُقُ بُصاقًا إلا ابْتَدَروه ، ولا يَسْقُطُ مِن شَعْرِه شىءٌ إلَّا أخذوه ، فرجَع إلى قريشٍ ، فقال : يا معشرَ قريشٍ ، إنى قد جئتُ كِسْرَى فى مُلْكِه ، وقَيْصَرَ فى مُلْكِه ، والنَّجاشىَّ فى مُلْكِه ، وإنى واللَّهِ ما رأيْتُ مَلِكًا فى قومِه قطُّ مثلَ محمدٍ فى أصحابِه ، ولقد رأيْتُ قومًا لا يُسْلِمونه لشىءٍ أبدًا ، فرَوْا رأيَكم .

---

(١) غُدَر : معدول عن غادر ، للمبالغة ، يقال للذكر : غدر . وللأنثى : غَدَارِ . كقَطَامِ ، وهما مختصان بالنداء فى الغالب . النهاية ٣/ ٣٤٥.

(٢ - ٢) زيادة من : ص .

(٣) سيرة ابن هشام ٢/ ٣١٣، ٣١٤.

(٤) المصدر السابق ٢/ ٣١٤.

قال ابنُ إسحاقَ[1] : وحدَّثنى بعضُ أهلِ العلمِ أن رسولَ اللَّهِ ﷺ دَعا خِراشَ بنَ أميةَ الخُزاعىَّ ، فبعَثه إلى قريشٍ بمكةَ ، وحمَله على بعيرٍ له ، يقالُ له : الثَّعْلَبُ . ليُبَلِّغَ أشْرافَهم عنه ما جاء له ، فعقَروا به جملَ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، وأرادوا قتلَه ، فمنَعه الأحابيشُ ، فخلَّوا سبيلَه ، حتى أتَى رسولَ اللَّهِ ﷺ .

قال ابنُ إسحاقَ[2] : وحدَّثنى بعضُ مَن لا أتَّهِمُ ، عن عِكْرِمةَ ، [3]عن ابنِ عباسٍ[3] أن قريشًا كانوا بعَثوا أربعين رجلًا منهم أو خمسين ، وأمَروهم أن يُطِيفوا بعَسْكرِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ؛ ليُصِيبوا لهم مِن أصحابِه أحدًا ، فأُخِذوا أخذًا[4] ، فأُتِىَ بهم رسولُ اللَّهِ ﷺ ، فعفَا عنهم وخلَّى سبيلَهم ، وقد كانوا رَمَوْا [٣/٥٣ظ] فى عَسْكَرِ رسولِ اللَّهِ ﷺ بالحِجارةِ والنَّبْلِ ، ثُم دَعا عمرَ بنَ الخطابِ ليَبْعَثَه إلى مكةَ ، فيُبَلِّغَ عنه أشْرافَ قريشٍ ما جاء له ، فقال : يا رسولَ اللَّهِ ، إنى أخافُ قريشًا على نفسى ، وليس بمكةَ مِن بنى عدِىِّ بنِ كَعْبٍ أحدٌ يَمْنَعُنى ، وقد عرَفَتْ قريشٌ عداوَتى إيَّاها وغِلْظَتى عليها ، ولكنى أَدُلُّك على رجلٍ أعزَّ بها مِنى ، عثمانَ بنِ عفانَ . فدَعا رسولُ اللَّهِ ﷺ عثمانَ بنَ عفانَ ، فبعَثه إلى أبى سفيانَ وأشرافِ قريشٍ ، يُخْبِرُهم أنه لم يأْتِ لحربٍ ، وإنما جاء زائرًا لهذا البيتِ ومُعَظِّمًا لحُرْمتِه ، فخرَج عثمانُ إلى مكةَ ، فلَقِيَه أبَانُ بنُ سعيدِ ابنِ العاصِ حينَ دخَل مكةَ ، أو قبلَ أن يَدْخُلَها ، فحمَله بينَ يديه ، ثُم أجاره حتى بلَّغ رسالةَ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فانطَلَق عثمانُ حتى أتَى أبا سفيانَ

---

(١) سيرة ابن هشام ٢/ ٣١٤.
(٢) المصدر السابق ٢/ ٣١٤، ٣١٥.
(٣ - ٣) سقط من: الأصل، ا ١٥، ص.
(٤) سقط من: الأصل، م. وفى ص: «واحدًا واحدًا».

وعظماءَ[1] قريشٍ ، فبلَّغهم عن رسولِ اللَّهِ ﷺ ما أرْسَله به ، فقالوا لِعثمانَ حينَ بلَّغ رسالةَ رسولِ اللَّهِ ﷺ إليهم : إن شِئتَ أن تَطوفَ بالبيتِ فطُفْ . قال : ما كنتُ لِأفْعلَ حتى يَطوفَ به رسولُ اللَّهِ ﷺ . واحتَبَسَتْه قريشٌ عندَها ، فبلَغ رسولَ اللَّهِ ﷺ والمسلمين أن عثمانَ قد قُتِل .

قال ابنُ إسحاقَ[2] : فحدَّثنى عبدُ اللَّهِ بنُ أبى بكرٍ أن رسولَ اللَّهِ ﷺ قال حينَ بلَغه أن عثمانَ قد قُتِل : « لا نَبْرَحُ حتى نُناجِزَ القومَ » . ودَعا رسولُ اللَّهِ ﷺ إلى البَيْعةِ ، فكانت بَيْعةُ الرِّضْوانِ تحتَ الشجرةِ ، فكان الناسُ يقولون : بايَعَهم رسولُ اللَّهِ ﷺ على الموتِ . وكان جابرُ بنُ عبدِ اللَّهِ يقولُ : إن رسولَ اللَّهِ ﷺ لم يُبايِعْنا على الموتِ ، ولكن بايَعَنا على ألَّا نَفِرَّ . فبايَع رسولَ اللَّهِ ﷺ الناسُ ، ولم يتخَلَّفْ عنه أحدٌ مِن المسلمين حضَرها ، إلَّا الجَدُّ بنُ قيسٍ ، أخو بنى سَلِمةَ ، وكان جابرُ بنُ عبدِ اللَّهِ يقولُ : واللَّهِ لكأنِّى أنْظُرُ إليه لاصِقًا بإبِطِ ناقتِه ، قد ضبَأ[3] إليها ، يَسْتَتِرُ مِن الناسِ ، ثم أتَى رسولَ اللَّهِ ﷺ أن الذى ذُكِر مِن أمرِ عثمانَ باطلٌ .

قال ابنُ هشامٍ[4] : فذكَر وَكِيعٌ ، عن إسماعيلَ بنِ أبى خالدٍ ، عن الشَّعْبىِّ أن أولَ مَن بايع رسولَ اللَّهِ ﷺ بَيْعةَ الرِّضْوانِ أبو سِنانٍ الأسَدِىُّ .

قال ابنُ هشامٍ[4] : وحدَّثنى مَن أثِقُ به ، عمَّن حدَّثه بإسنادٍ له ، عن ابنِ أبى

---

(١) فى ا ١٥، ص : « أشراف » .

(٢) سيرة ابن هشام ٢/ ٣١٥، ٣١٦.

(٣) ضبأ : لصق واستتر. شرح غريب السيرة ٣/ ٤٧.

(٤) سيرة ابن هشام ٢/ ٣١٦.

مُلَيْكَةَ ، عن ابنِ عمرَ أن رسولَ اللَّهِ ﷺ بايع لِعثمانَ ، فضرَب [٣/٥٤و] بإحدى يديه على الأخرى . وهذا الحديثُ الذى ذكَره ابنُ هشامٍ بهذا الإسنادِ الضعيفِ[(١)] ثابتٌ فى « الصحيحين »[(٢)] .

قال ابنُ إسحاقَ[(٣)] : قال الزُّهْرىُّ : ثُم بعَثتْ قريشٌ سُهَيْلَ بنَ عمرٍو أخا بنى عامرِ بنِ لُؤَىٍّ إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ وقالوا : ائْتِ محمدًا وصالِحْه ، ولا يَكُنْ فى صُلحِه إلَّا أن يَرْجِعَ عنَّا عامَه هذا ، فواللَّهِ لا يَتَحَدَّثُ العربُ أنه دخَلها عَنْوَةً أبدًا . فأتاه سُهَيْلُ بنُ عمرٍو ، فلمَّا رآه رسولُ اللَّهِ ﷺ مقبِلًا قال : « قد أراد القومُ الصلحَ حينَ بعَثوا هذا الرجلَ » . فلما انْتَهَى سُهَيلٌ إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ ، تكَلَّم فأطال الكلامَ وتراجعا ، ثُم جرَى بينَهما الصلحُ ، فلمَّا الْتَأَم الأمْرُ ولم يَبْقَ إلَّا الكتابُ ، وثَب عمرُ فأتَى أبا بكرٍ ، فقال : يا أبا بكرٍ ، أليس برسولِ اللَّهِ ؟! قال : بلى . قال : أوَ لسْنا بالمسلمين ؟ ! قال : بلى . قال : أوَ ليسوا بالمشركين ؟ ! قال : بلى . قال : فعلامَ نُعْطِى الدَّنِيَّةَ فى دينِنا ؟! قال أبو بكرٍ : يا عُمَرُ ، الْزَمْ غَرْزَه[(٤)] ، فإنى أَشْهَدُ أنه رسولُ اللَّهِ . قال عمرُ : وأنا أَشْهَدُ أنه رسولُ اللَّهِ . ثُم أتَى رسولَ اللَّهِ ﷺ فقال : يا رسولَ اللَّهِ ، ألسْتَ برسولِ اللَّهِ ؟! قال : « بلى » . قال : أوَ لَسْنا بالمسلمين ؟ ! قال : « بلى » . (٥قال : أوَ ليسوا بالمشركين ؟ ! قال : « بلى »٥) . قال : فعلامَ نُعْطِى الدَّنِيَّةَ فى دينِنا ؟ ! قال : « أنا

---

(١) فى م : « ضعيف لكنه » .

(٢) كذا بالنسخ . وهو فى البخارى (٣٦٩٩) ، ولم نجده فى صحيح مسلم .

(٣) سيرة ابن هشام ٢/٣١٦ - ٣١٩ .

(٤) الزم غرزه : الغرز للرَّحْل بمنزلة الركاب للسرج ، وعنى به : الزم أمره ولا تفارقه . شرح غريب السيرة ٣/ ٤٧ .

(٥ - ٥) سقط من : ا ١٥ .

عبدُ اللَّهِ ورسولُه ، لن أخالِفَ أمْرَه ولن يُضَيِّعَنى » . فكان عمرُ ، رضى اللَّهُ عنه ، يقولُ : ما زِلْتُ أصومُ ، وأتَصَدَّقُ ، وأُصَلِّى ، وأُعْتِقُ ، مِن الذى صنَعْتُ يومَئذٍ ؛ مخافةَ كلامى الذى تكَلَّمْتُ يومَئذٍ ، حتى رجَوْتُ أن يكونَ خيرًا . قال[1] : ثُم دَعا رسولُ اللَّهِ ﷺ علىَّ بنَ أبى طالبٍ ، رضى اللَّهُ عنه ، فقال : « اكْتُبْ : بسمِ اللَّهِ الرحمنِ الرحيمِ » . قال : فقال سُهَيْلٌ : لا أعْرِفُ هذا ، ولكن اكْتُبْ : باسمِك اللهمَّ . قال : فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « اكْتُبْ : باسمِك اللهمَّ » . فكتَبها ، ثُم قال : « اكْتُبْ : هذا ما صالَحَ عليه محمدٌ رسولُ اللَّهِ سُهَيْلَ بنَ عمرٍو » . قال : فقال سُهَيْلٌ : لو شَهِدْتُ أنك رسولُ اللَّهِ لم أُقاتِلْك ، ولكن اكْتُبِ اسمَك واسمَ أبيك . قال : فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « اكْتُبْ : هذا ما صالَحَ عليه محمدُ بنُ عبدِ اللَّهِ سُهَيْلَ بنَ عمرٍو » ؛ اصْطَلَحا على وضْعِ الحربِ عن الناسِ عشْرَ سنين ، يَأْمَنُ فيهنَّ الناسُ ، ويَكُفُّ بعضُهم عن بعضٍ ، على أنه مَن أتَى محمدًا مِن قريشٍ بغيرِ إذْنِ وَلِيِّه ردَّه عليهم ، ومَن جاء قريشًا ممَّن مع محمدٍ لم يرُدُّوه عليه ، وأنَّ بينَنا عَيْبَةً مَكْفوفةً[2] ، وأنه لا إسْلالَ ولا إغْلالَ[3] ، وأنه مَن أحَبَّ أن يَدْخُلَ فى عَقْدِ محمدٍ وعهْدِه دخَل فيه ، ومَن أحَبَّ أن يدْخُلَ فى عَقْدِ قريشٍ وعَهْدِهم دخَل فيه - فتَواثَبت خُزاعةُ فقالوا : نحن فى عَقْدِ محمدٍ وعهْدِه . وتَواثَبت بنو بكرٍ فقالوا : [٣/٥٤ظ] نحن فى عَقْدِ قريشٍ وعهْدِهم - وأنك تَرْجِعُ عنا عامَك هذا ، فلا تَدْخُلُ علينا مكةَ ، وأنه إذا كان عامُ قابلٍ خرَجْنا عنك ، فدَخَلْتَها بأصحابِك ، فأقَمْتَ بها ثلاثًا ، معك سلاحُ

---

(١) أى الزهرى .

(٢) فى حاشية ا ١٥: «أى أمرا منطويا مسكوتا عنه» .

(٣) فى حاشية ا ١٥: «أى لا سرقة ولا خيانة» .

الراكبِ ؛ السيوفُ فى القُرُبِ ، لا تَدْخُلُها بغيرِها . قال : فبينا رسولُ اللّهِ ﷺ يكْتُبُ الكتابَ هو وسُهَيْلُ بنُ عمرٍو ، إذ جاء أبو جَنْدَلِ بنُ سُهَيْلِ بنِ عمرٍو يَرْسُفُ فى الحَديدِ ، قد انفَلَتَ إلى رسولِ اللّهِ ﷺ ، وقد كان أصحابُ رسولِ اللّهِ ﷺ خرجوا وهم لا يَشُكُّون فى الفتحِ ؛ لرُؤْيا رآها رسولُ اللّهِ ﷺ ، فلمَّا رَأَوْا ما رَأَوْا مِن الصلحِ والرجوعِ ، وما تحَمَّل عليه رسولُ اللّهِ ﷺ فى نفسِه ، دخَل على الناسِ مِن ذلك أمْرٌ عظيمٌ ، حتى كادوا يَهْلِكون ، فلما رَأَى سُهَيْلٌ أبا جَنْدَلٍ ، قام إليه فضرَب وجهَه ، وأخَذ بتَلْبِيبِه ، وقال : يا محمدُ ، قد لَجَّتِ[(1)] القضيةُ بينى وبينَك قبلَ أن يَأْتِيَك هذا . قال : « صدَقْتَ » . فجَعل ينْتُرُه[(2)] بتَلْبِيبِه ويَجُرُّه ، يعنى ليَرُدَّه إلى قريشٍ ، وجعَل أبو جَنْدَلٍ يَصْرُخُ بأعلى صوتِه : يا معشرَ المسلمين ، أُرَدُّ إلى المشركين يَفْتِنوننى فى دينى ؟! فزاد ذلك الناسَ إلى ما بهم . فقال رسولُ اللّهِ ﷺ : « يا أبا جَنْدَلٍ ، اصْبِرْ واحْتَسِبْ ، فإن اللّهَ جاعلٌ لك ولِمَن معك مِن المستضعفين فرَجًا ومَخْرَجًا ، إنّا قد عقَدْنا بيننا وبينَ القومِ صُلحًا ، وأعْطَيْناهم على ذلك وأعْطَونا عهْدَ اللّهِ ، وإنّا لا نَغْدِرُ بهم » . قال : فوثَب عمرُ بنُ الخطابِ مع أَبى جَنْدَلٍ يَمْشِى إلى جنبِه ويقولُ : اصْبِرْ يا أبا جَنْدَلٍ ، فإنما هم المشركون ، وإنما دمُ أحدِهم دمُ كلبٍ . قال : ويُدْنِى قائمَ السيفِ منه . قال : يقولُ عمرُ : رجَوْتُ أن يَأْخُذَ السيفَ فيَضْرِبَ أباه . قال : فضَنَّ الرجلُ بأبيه ، ونفَذتِ القضيةُ . فلمَّا فرَغ رسولُ اللّهِ ﷺ مِن الكتابِ ، أشْهَدَ على الصلحِ رجالًا مِن المسلمين ، ورجالًا مِن المشركين ؛ أبو بكرٍ

---

(١) لجت : انعقدت وتمت . شرح غريب السيرة ٣/ ٤٧.

(٢) ينتره : يجذبه جذبا شديدا عنيفا . المصدر السابق .

الصديقُ ، وعمرُ بنُ الخطابِ ، وعبدُ الرحمنِ بنُ عَوْفٍ ، وعبدُ اللَّهِ بنُ سُهَيْلِ بنِ عمرٍو، وسعدُ بنُ أبى وقاصٍ ، ومحمودُ بنُ مَسْلَمَةَ ، ومِكْرَزُ بنُ حَفْصٍ - وهو يومَئذٍ مشركٌ - وعليُّ بنُ أبى طالبٍ ، وكتَب ، وكان هو كاتبَ الصحيفةِ .

وكان رسولُ اللَّهِ ﷺ مُضْطَرِبًا فى الحِلِّ[1] ، وكان يُصَلِّى فى الحَرَمِ ، فلما فرَغ مِن الصلحِ قام إلى هَدْيِه فنحَره ، ثم جلَس فحلَق رأسَه ، وكان الذى حلَقه فى ذلك اليومِ خِراشُ بنُ أمية بنِ الفَضْلِ الخُزاعىُّ ، فلمَّا رأى الناسُ أن رسولَ اللَّهِ ﷺ [٣/ ٥٥و] قد نحَر وحلَق ، تَواثبوا ينْحَرون ويَحْلِقون .

قال ابنُ إسحاقَ[2] : وحدَّثنى عبدُ اللَّهِ بنُ أبى نَجِيحٍ ، عن مُجاهِدٍ ، عن ابنِ عباسٍ قال : حلَق رجالٌ يومَ الحُدَيبِيَةِ وقَصَّر آخَرون ، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « يَرْحَمُ اللَّهُ المُحَلِّقِين » . قالوا : والمُقَصِّرين يا رسولَ اللَّهِ ؟ قال : « يَرْحَمُ اللَّهُ المُحَلِّقِين » . قالوا : والمُقَصِّرِين يا رسولَ اللَّهِ ؟ [3]قال : « يَرْحَمُ اللَّهُ المُحَلِّقِين » . قالوا : والمُقَصِّرِين يا رسولَ اللَّهِ ؟[3] قال : « والمُقَصِّرِين » . قالوا : يا رسولَ اللَّهِ ، فلِمَ ظاهَرْتَ التَّرْحِيمَ للمُحَلِّقِين دونَ المُقَصِّرِين ؟ قال : « لم يَشُكُّوا » .

وقال عبدُ اللَّهِ بنُ أبى نَجِيحٍ[4] : حدَّثنى مُجاهِدٌ ، عن ابنِ عباسٍ أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ أهْدَى عامَ الحُدَيْبِيةِ - فى هَدَاياه - جملًا لأبى جهلٍ ، فى رأسِه بُرَةٌ[5]

---

(١) معناه أن أبنيته كانت مضروبة فى الحل ، وكانت صلاته فى الحرم ، وهذا لقرب الحديبية . شرح غريب السيرة ٣/ ٤٧ .

(٢) سيرة ابن هشام ٢/ ٣١٩.

(٣ - ٣) سقط من : ا ١٥، ص.

(٤) المصدر السابق ٢/ ٣٢٠.

(٥) البرة : حلقة تجعل فى أنف البعير ليَذِلَّ ويرتاض ، فإن كانت من شعر فهى خِزامة ، وإن كانت من خشب فهى خِشَاش . شرح غريب السيرة ٣/ ٤٧.

مِن فِضَّةٍ ؛ ليَغِيظَ بذلك المشركين . هذا سياقُ محمدِ بنِ إسحاقَ ، رحِمه اللَّهُ ، لهذه القصةِ ، وفى سياقِ البخاريِّ - كما سيأتى - مُخالفةٌ فى بعضِ الأماكنِ لهذا السياقِ ، كما ستَراها إن شاء اللَّهُ تعالى ، وبه الثقةُ . ولْنُورِدْها بتمامِها ، ونَذْكُرْ ما فى الأحاديثِ الصِّحاحِ والحِسانِ ما فيه (١) شاهدٌ ، فى كلِّ موطنٍ بحَسَبِه (١) ، إن شاء اللَّهُ تعالى ، وعليه التُّكْلانُ ، وهو المُسْتعانُ .

قال البخاريُّ [(٢)] : حدَّثنا خالدُ بنُ مَخْلَدٍ ، حدَّثنا سليمانُ بنُ بلالٍ ، حدَّثنا صالحُ بنُ كَيْسانَ ، عن عُبَيْدِ اللَّهِ بنِ عبدِ اللَّهِ ، عن زيدِ بنِ خالدٍ قال : خرَجْنا مع رسولِ اللَّهِ ﷺ عامَ الحُدَيْبِيَةِ ، فأصابَنا مطرٌ ذاتَ ليلةٍ ، فصلَّى لنا [(٣)] رسولُ اللَّهِ ﷺ الصبحَ ، ثُم أقْبَل علينا [(٤)] فقال : « أتَدْرون ماذا قال ربُّكم ؟ » قلنا : اللَّهُ ورسولُه أعْلَمُ . فقال : « قال اللَّهُ تعالى : أصْبَح مِن عبادى مؤمنٌ بى وكافرٌ بى ؛ فأمَّا مَن قال : مُطِرْنا برَحْمةِ اللَّهِ ، وبرِزْقِ اللَّهِ ، وبفَضْلِ اللَّهِ . فهو مؤمنٌ بى كافرٌ بالكَوْكَبِ ، وأمَّا مَن قال : مُطِرْنا بنَجْمِ كذا . فهو مؤمنٌ بالكَوْكَبِ كافرٌ بى » . وهكذا رَواه فى غيرِ موضعٍ مِن « صحيحِه » . ومسلمٌ مِن طُرُقٍ [(٥)] . وقد رَوَى [(٦)] عن الزُّهْرِيِّ ، عن عُبَيْدِ اللَّهِ بنِ عبدِ اللَّهِ ، عن أبى هُرَيرةَ .

(١ - ١) بياض فى : م .

(٢) البخارى (٤١٤٧) .

(٣) فى الأصل ، م : « بنا » .

(٤) بعده فى الأصل ، م : « بوجهه » .

(٥) بعده فى النسخ : « عن الزهرى » . ولعله سبق قلم من الناسخ ، وهو فى البخارى (٨٤٦ ، ١٠٣٨ ، ٧٥٠٣) ، ومسلم (١٢٥ / ٧١) ، (١٢٦ / ٧٢ ، ...) .

(٦) أى مسلم (١٢٦ / ٧٢) .

وقال البخاريُّ[(١)] : حدَّثنا عُبَيْدُ اللَّهِ بنُ موسى ، عن إسْرائيلَ ، عن أبى إسحاقَ ، عن البَرَاءِ قال : تَعُدُّون أنتم الفتحَ فتحَ مكةَ ، وقد كان فتحُ مكةَ فتحًا ، ونحن نَعُدُّ الفتحَ بيعةَ الرِّضْوانِ يومَ الحُدَيْبِيَةِ ، كنا مع النبيِّ ﷺ أربعَ عشْرَةَ مائةً ، والحُدَيْبِيَةُ بئرٌ ، فنزَحْناها فلم نَتْرُكْ فيها قَطْرةً ، فبلَغ ذلك النبيَّ ﷺ ، فأتاها فجلَس على شَفِيرِها ، ثم دعا بإناءٍ مِن ماءٍ ، فتوضَّأ [٣/٥٥ظ] ثم مَضْمَض ودَعا ، ثُم صبَّه فيها ، فترَكْناها غيرَ بعيدٍ ، ثُم إنها أصْدَرَتنا ما شِئْنا نحن ورِكابَنا . انفرد به البخاريُّ .

وقال ابنُ إسحاقَ[(٢)] : فى قولِه تعالى : ﴿ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾ [الفتح : ٢٧] ، صلحُ الحُدَيْبِيَةِ .

قال الزهريُّ[(٢)] : فما فُتِح فى الإسلامِ فتحٌ قبلَه كان أعظمَ منه ، إنما كان القتالُ حيثُ الْتَقَى الناسُ ، فلمَّا كانت الهُدْنةُ ، ووَضَعتِ الحربُ أوْزارَها ، وأَمِن الناسُ كلُّهم بعضُهم بعضًا ، والْتَقَوا فتفاوَضوا فى الحديثِ والمُنازعةِ ، فلم يُكَلَّمْ أحدٌ فى الإسلامِ - يَعْقِلُ شيئًا - إلا دخَل فيه ، ولقد دخَل فى تَيْنِك السنتين مثلُ مَن كان دخَل فى الإسلامِ قبلَ ذلك أو أكثرُ . قال ابنُ هشامٍ[(٢)] : والدليلُ على ما قاله الزّهريُّ أن رسولَ اللَّهِ ﷺ خرَج إلى الحُدَيْبِيَةِ فى ألفٍ وأربعِمائةِ رجلٍ فى قولِ جابرٍ ، ثُم خرَج عامَ فتحِ مكةَ بعدَ ذلك بسنتَين فى عشَرةِ آلافٍ .

وقال البخاريُّ[(٣)] : حدَّثنا يوسفُ بنُ عيسى ، حدَّثنا ابنُ فُضَيْلٍ ، حدَّثنا

---

(١) البخارى (٤١٥٠) .

(٢) سيرة ابن هشام ٢/ ٣٢٢.

(٣) البخارى (٤١٥٢) .

حُصَيْنٌ ، عن سالمٍ ، عن جابرٍ ، قال : عَطِش الناسُ يومَ الحُدَيْبِيةِ ، ورسولُ اللَّهِ ﷺ بينَ يديه رَكْوَةٌ ، فتَوَضَّأ منها ، ثُم أقْبَل الناسُ نحوَه ، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « ما لكم ؟ » قالوا : يا رسولَ اللَّهِ ، ليس عندَنا ماءٌ نَتوضَّأُ به ولا نَشْرَبُ إلَّا ما فى رَكْوَتِك . قال : فوضَع النبىُّ ﷺ يدَه فى الرَّكْوةِ ، فجعَل الماءُ يَفورُ مِن بينِ أصابعِه كأمثالِ العُيونِ . قال : فشرِبْنا وتوَضَّأْنا . فقُلْنا لجابرٍ : كم كنتم يومَئذٍ ؟ قال : لو كنا مائةَ ألفٍ لكفانا ، كنا خمسَ عشْرةَ مائةً .

وقد رَواه البخارىُّ أيضًا ، ومسلمٌ مِن طُرُقٍ ، عن حُصَيْنٍ ، عن سالمِ بنِ أبى الجَعْدِ ، عن جابرٍ ، به[1] .

وقال البخارىُّ[2] : حدَّثنا الصَّلْتُ بنُ محمدٍ ، حدَّثنا يزيدُ بنُ زُرَيْعٍ ، عن سعيدٍ ، عن قَتادةَ ، قلتُ لسعيدِ بنِ المُسيَّبِ : بلَغنى أن جابرَ بنَ عبدِ اللَّهِ كان يقولُ : كانوا أربعَ عشْرةَ مائةً . فقال لى سعيدٌ : حدَّثنى جابرٌ : كانوا خمسَ عشْرةَ مائةً ، الذين بايعوا النبىَّ ﷺ يومَ الحُدَيْبِيةِ . تابعه أبو داودَ[3] : حدَّثنا قُرَّةُ ، عن قَتادةَ . تفرَّد به البخارىُّ .

ثم قال البخارىُّ[4] : حدَّثنا علىُّ بنُ عبدِ اللَّهِ ، حدَّثنا سفيانُ ، قال عمرٌو : سَمِعْتُ جابرًا ، قال : قال لنا رسولُ اللَّهِ ﷺ يومَ الحُدَيْبِيةِ : « أنتم خيرُ أهلِ

---

(١) البخارى (٣٥٧٦) ، ومسلم (٧٣/ ١٨٥٦) .

(٢) البخارى (٤١٥٣) .

(٣) هذا من كلام البخارى فى نفس الحديث . وأبو داود هو سليمان بن داود الطيالسى ، وهذه المتابعة أسندها الحافظ فى تغليق التعليق ٤/ ١٢٤. وانظر فتح البارى ٧/ ٤٤٣.

(٤) البخارى (٤١٥٤) .

الأرضِ ». وكنا ألفًا وأربَعمائةٍ، ولو كنتُ أُبْصِرُ اليومَ لَأَرَيْتُكم مكانَ الشجرةِ.

وقد رَواه البخاريُّ أيضًا، ومسلمٌ مِن طُرُقٍ، عن سفيانَ بنِ عُيَيْنَةَ [٣/٥٦و] به[(١)]. وهكذا رَواه اللَّيْثُ بنُ سعدٍ، عن أبى الزبيرِ، عن جابرٍ، أن عبدًا لحاطبٍ جاء يَشْكُوه فقال: يا رسولَ اللَّهِ، ليَدْخُلَنَّ حاطبٌ النارَ. فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ: « كذَبْتَ، لا يَدْخُلُها؛ فإنه شهِد بدرًا والحُدَيْبِيَةَ ». رواه مسلمٌ[(٢)].

وعندَ مسلمٍ أيضًا[(٣)] مِن طريقِ ابنِ جُرَيْجٍ، أخبرنى أبو الزُّبَيرِ، أنه سمِع جابرًا يقولُ: أخْبَرَتْنى أمُّ مُبَشِّرٍ[(٤)] أنها سَمِعَت رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ عندَ حَفْصَةَ: « لا يَدْخُلُ أحدٌ النارَ، إن شاء اللَّهُ، مِن أصحابِ الشجرةِ، الذين بايعوا تحتَها ». فقالت حَفْصَةُ: بلى يا رسولَ اللَّهِ. فانْتَهَرها، فقالت حَفْصَةُ: ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَاۚ ﴾ [مريم: ٧١]. فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ: « قد قال اللَّهُ تعالى: ﴿ ثُمَّ نُنَجِّى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴾ » [مريم: ٧٢].

قال البخاريُّ[(٥)]: وقال عُبَيْدُ اللَّهِ بنُ مُعاذٍ: حدَّثنا أبى، حدَّثنا شُعْبةُ، عن عمرِو بنِ مُرَّةَ، حدَّثنى عبدُ اللَّهِ بنُ أبى أَوْفَى قال: كان أصحابُ الشجرةِ ألفًا وثلاثَمائةٍ، وكانت أسْلَمُ ثُمُنَ المهاجرين. تابعه[(٦)] محمدُ بنُ بَشَّارٍ، حدَّثنا

---

(١) البخارى (٤٨٤٠)، ومسلم (٧١/ ١٨٥٦).

(٢) مسلم (١٦٢/ ٢٤٩٥).

(٣) مسلم (١٦٣/ ٢٤٩٦).

(٤) فى م: « ميسر ». انظر تهذيب الكمال ٣٥/ ٣٨٥.

(٥) البخارى (٤١٥٥) معلقًا.

(٦) هذا من كلام البخارى، وهذه المتابعة أسندها الحافظ فى تغليق التعليق ٤/ ١٢٥. وانظر فتح البارى ٧/ ٤٤٤.

أبو داودَ ، حدَّثنا شُعْبةُ . هكذا رَواه البخاريُّ مُعَلَّقًا ، عن عُبَيدِ اللَّهِ . وقد رَواه مسلمٌ ، عن عُبَيْدِ اللَّهِ بنِ مُعاذٍ ، عن أبيه ، عن شُعْبةَ ، وعن محمدِ بنِ المُثَنَّى ، عن أبى داودَ ، عن إسحاقَ بنِ إبراهيمَ ، عن النَّضْرِ بنِ شُمَيْلٍ ، كلاهما عن شُعْبةَ ، به[1] .

ثم قال البخاريُّ[2] : حدَّثنا علىُّ بنُ عبدِ اللَّهِ ، حدَّثنا سفيانُ ، عن الزُّهْرِىِّ ، عن عروةَ ، عن مَرْوانَ والمِسْوَرِ بنِ مَخْرَمةَ قالا : خرَج النبىُّ ﷺ عامَ الحُدَيْبيةِ فى بِضْعَ عشْرةَ مائةً مِن أصحابِه ، فلمَّا كان بذى الحُلَيفةِ قلَّد الهَدْىَ ، وأشْعَر ، وأحْرَم منها . تفرَّد به البخاريُّ . وسيأتى هذا السياقُ بتمامِه .

والمقصودُ أن هذه الرواياتِ كلَّها مخالِفةٌ لِمَا ذهَب إليه ابنُ إسحاقَ ؛ مِن أن أصحابَ الحُدَيْبيةِ كانوا سبعَمائةٍ ، وهو ، واللَّهُ أعلمُ ، إنما قال ذلك تَفَقُّهًا مِن تِلْقاءِ نفسِه ؛ مِن حيثُ إنّ البُدْنَ كُنَّ سبعين بَدَنةً ، وكلٌّ منها عن عشَرةٍ ، على اختيارِه ، فيكونُ المُهِلُّون سبعَمائةٍ ، ولا يَلْزَمُ أن يُهْدِىَ كلُّهم ، ولا أن يُحْرِمَ كلُّهم أيضًا ؛ فقد ثبَت أن رسولَ اللَّهِ ﷺ بعَث طائفةً منهم ، فيهم أبو قَتادةَ ، ولم يُحْرِمْ أبو قَتادةَ حتى قتَل ذلك الحمارَ الوحْشِىَّ ، فأكَل منه هو وأصحابُه ، وحمَلوا منه إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ فى أثناءِ الطريقِ ، فقال : « أَمِنْكم أحدٌ أَمَرَه أن يَحْمِلَ عليها ، أو أشار إليها ؟ » قالوا : لا . قال : « فكُلوا ما بَقِىَ مِن لحمِها[3] » .

---

(١) مسلم (١٨٥٧/٧٥)، (١٨٥٧/٠٠٠).

(٢) البخارى (٤١٥٧، ٤١٥٨).

(٣) فى م : « الحمار » . والحديث رواه البخارى (١٨٢٤)، ومسلم (١١٩٦).

وقد قال البخاريُّ[1] : [٣/٥٦ظ] حدَّثنا سعيدُ[2] بنُ الرَّبيعِ ، حدَّثنا عليُّ بنُ المُبارَكِ ، عن يحيى ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ أبى قَتادةَ ، أن أباه حدَّثه قال : انطَلَقْنا مع النبيِّ ﷺ عامَ الحُدَيْبيةِ ، فأحْرَم أصحابُه[3] ولم أُحْرِمْ .

وقال البخاريُّ[4] : حدَّثنا محمدُ بنُ رافعٍ ، حدَّثنا شَبَابةُ بنُ سَوَّارٍ الفَزَارىُّ ، حدَّثنا شُعْبةُ ، عن قَتادةَ ، عن سعيدِ بنِ المُسَيَّبِ ، عن أبيه قال : لقد رأيْتُ الشجرةَ ، ثم أتَيْتُها بعدُ فلم أَعْرِفْها .

حدَّثنا[5] مُوسى ، حدَّثنا أبو عَوانةَ ، حدَّثنا طارقٌ ، عن سعيدِ بنِ المُسَيَّبِ ، عن أبيه ، أنه كان ممن بايع تحتَ الشجرةِ ، فرجَعْنا إليها العامَ المُقْبِلَ ، فعَمِيَتْ علينا .

وقال البخاريُّ أيضًا[6] : حدَّثنا محمودٌ ، حدَّثنا عُبَيْدُ اللَّهِ ، عن إسْرائيلَ ، عن طارقِ بنِ عبدِ الرحمنِ ، قال : انطَلَقْتُ حاجًّا ، فمرَرْتُ بقومٍ يُصَلُّون ، فقلتُ : ما هذا المسجدُ ؟ قالوا : هذه الشجرةُ ، حيث بايَع النبيُّ ﷺ بيعةَ الرِّضْوانِ . فأتَيْتُ سعيدَ بنَ المُسَيَّبِ فأخْبَرْتُه ، فقال سعيدٌ : حدَّثنى أبى أنه كان فيمَن بايع رسولَ اللَّهِ ﷺ تحتَ الشجرةِ . قال : فلمَّا كان مِن العامِ المُقْبِلِ نَسِيناها فلم نَقْدِرْ عليها . ثم قال سعيدٌ : إن أصحابَ محمدٍ ﷺ لم يَعْلَموها

---

(١) البخارى (١٨٢٢) .

(٢) فى الأصل ، م : « شعبة » . انظر تهذيب الكمال ١٠/ ٤٢٨، ٤٢٩.

(٣) فى الأصل ، م : « أصحابى » .

(٤) البخارى (٤١٦٢) .

(٥) البخارى (٤١٦٤) .

(٦) البخارى (٤١٦٣) .

وعلِمْتُموها أنتم ؟! فأنتم أَعْلَمُ ![1] . ورَواه البخاريُّ ومسلمٌ مِن حديثِ الثوريِّ وأبى عَوانةَ وشَبابةَ ، عن طارقٍ[2] .

وقال البخاريُّ[3] : حدَّثنا إسماعيلُ[4] ، حدَّثنى أخى ، عن سليمانَ ، عن عمرِو بنِ يَحيى ، عن عبَّادِ بنِ تَميمٍ قال : لَمّا كان يومُ الحَرَّةِ والناسُ يُبايِعون لعبدِ اللَّهِ بنِ حَنْظلةَ ، فقال ابنُ زيدٍ[5] : على ما يُبايِعُ ابنُ حَنْظلةَ الناسَ ؟ قيل له : على الموتِ . فقال : لا أُبايِعُ على ذلك أحدًا بعدَ رسولِ اللَّهِ ﷺ . وكان شَهِد معه الحُدَيْبيةَ . وقد رَواه البخاريُّ أيضًا ، ومسلمٌ مِن طُرُقٍ[6] ، عن عمرِو بنِ يَحْيَى ، به[7] .

وقال البخاريُّ[8] : حدَّثنا قُتَيبةُ بنُ سعيدٍ ، حدَّثنا حاتمٌ ، عن يَزيدَ بنِ أبى عُبَيْدٍ قال : قلتُ لسَلَمةَ بنِ الأَكْوَعِ : على أىِّ شىءٍ بايَعْتُم رسولَ اللَّهِ ﷺ يومَ الحُدَيْبيةِ ؟ قال : على الموتِ . ورَواه مسلمٌ مِن حديثِ يزيدَ بنِ أبى عُبَيْدٍ[9] .

---

(١) قال الحافظ : قال سعيد هذا الكلامَ منكِرًا ، وقوله : فأنتم أعلم . هو على سبيل التهكم . فتح البارى ٧/ ٤٤٧.

(٢) البخارى (٤١٦٤، ٤١٦٥)، ومسلم (٧٧، ١٨٥٩/٧٨) من طريقى الثورى وأبى عوانة عن طارق ، أما حديث شبابة فهو ليس عن طارق ، وإنما عن شعبة عن قتادة عن سعيد بن المسيب عن أبيه . البخارى (٤١٦٢)، ومسلم (٧٩/ ١٨٥٩). وانظر تحفة الأشراف ٨/ ٣٨٨.

(٣) البخارى (٤١٦٧).

(٤) فى م : « سعيد ». انظر تهذيب الكمال ٣/ ٤٩، ١٢٤.

(٥) فى حاشية ا ١٥: « هو عبد الله بن زيد بن عاصم ».

(٦) كذا فى النسخ . والحديث عند البخارى ومسلم من طريقين - وليس من طرق كما ذكر المصنف - عن عمرو بن يحيى ، به . وانظر تحفة الأشراف ٤/ ٣٤٠.

(٧) البخارى (٢٩٥٩)، ومسلم (١٨٦١).

(٨) البخارى (٤١٦٩).

(٩) مسلم (١٨٦٠).

وفى «صحيحِ مسلمٍ» عن سَلَمةَ أنه بايع ثلاثَ مَرَّاتٍ؛ فى أوائلِ الناسِ ووسَطِهم وأَواخرِهم[1]. وفى «صحيحِ مسلمٍ» عن مَعْقِلِ بنِ يَسارٍ، أنه كان آخذًا بأغصانِ الشجرةِ عن وجهِ رسولِ اللَّهِ ﷺ وهو يُبايعُ الناسَ[2]. وكان أولَ مَن بايع رسولَ اللَّهِ ﷺ يومَئذٍ أبو سِنانٍ، وهو وَهْبُ بنُ مِحْصَنٍ، أخو عُكَّاشةَ ابنِ مِحْصَنٍ، وقيل: سِنانُ بنُ أبى سِنانٍ[3].

وقال البخاريُّ[4]: [٣/٥٧و] حدَّثنى شُجاعُ بنُ الوليدِ، سَمِع النَّضْرَ بنَ محمدٍ، حدَّثنا صَخْرُ بنُ الربيعِ، عن نافعٍ قال: إن الناسَ يَتَحدَّثون أن ابنَ عمرَ أَسْلَم قبلَ عمرَ، وليس كذلك، ولكنْ عمرُ يومَ الحُدَيْبِيَةِ أرْسَل عبدَ اللَّهِ إلى فرسٍ له، عندَ رجلٍ مِن الأنصارِ، أن يَأْتِىَ به ليُقاتِلَ عليه، ورسولُ اللَّهِ ﷺ يُبايعُ عندَ الشجرةِ، وعمرُ لا يَدْرِى بذلك، فبايَعه عبدُ اللَّهِ، (٥ثم ذهَب إلى الفَرسِ، فجاء به إلى عمرَ، وعمرُ يَسْتَلْئِمُ[6] للقتالِ، فأخبَرَه أن رسولَ اللَّهِ ﷺ يُبايعُ تحتَ الشجرةِ٥). قال: فانطَلَقَ فذَهَب معه حتى بايَع رسولَ اللَّهِ ﷺ، وهى التى يَتَحدَّثُ الناسُ أن ابنَ عمرَ أسْلَم قبلَ عمرَ.

وقال هشامُ بنُ عَمَّارٍ[7]: حدَّثنا الوليدُ بنُ مُسْلِمٍ، حدَّثنا عمرُ بنُ محمدٍ

---

(١) مسلم (١٨٠٧).

(٢) مسلم (١٨٥٨).

(٣) انظر سيرة ابن هشام ٢/ ٣١٦، والمعرفة والتاريخ ٣/ ٢٨٨، وتاريخ الطبرى ٢/ ٦٣٢ حوادث السنة السادسة، ودلائل النبوة للبيهقى ٤/ ١٣٧.

(٤) البخارى (٤١٨٦).

(٥ - ٥) سقط من: الأصل، م، ص.

(٦) يستلئم: يلبس لأمته. انظر الوسيط (ل أ م).

(٧) البخارى (٤١٨٧) معلقا.

العُمَرِىُّ ، أخبَرَنى نافعٌ ، عن ابنِ عمرَ أن الناسَ كانوا مع النبىِّ ﷺ يومَ الحُدَيْبِيَةِ تفَرَّقوا فى ظلالِ الشجرِ ، فإذا الناسُ مُحْدِقون بالنبىِّ ﷺ ، فقال[1] : يا عبدَ اللَّهِ ، انْظُرْ ما شأْنُ الناسِ قد أحْدَقوا برسولِ اللَّهِ ﷺ ؟ فوجَدَهم يُبايِعون ، فبايَعَ ثم رجَع إلى عمرَ ، فخرَج فبايَع . تفرَّد به البخارىُّ مِن هذين الوجهين .

(١) أى عمر بن الخطاب ، رضى اللَّه عنه .

ذِكْرُ[1] سياقِ البخاريّ لعُمْرةِ الحُدَيْبيةِ

قال فى كتابِ المَغازى[2] : حدَّثنا عبدُ اللَّهِ بنُ محمدٍ ، حدَّثنا سفيانُ ، سمِعْتُ الزُّهْرِىَّ حينَ حدَّث هذا الحديثَ ، حفِظْتُ بعضَه ، وثَبَّتَنى مَعْمَرٌ ، عن عُروةَ بنِ الزبيرِ ، عن المِسْوَرِ بنِ مَخْرمةَ ومَرْوانَ بنِ الحكَمِ ، يَزيدُ أحدُهما على صاحبِه ، قالا : خرَج النبىُّ ﷺ عامَ الحُدَيْبيةِ فى بِضْعَ عشْرةَ مائةً مِن أصحابِه ، فلمَّا أَتَى ذا الحُلَيْفةِ قلَّد الهَدْىَ وأشْعَره ، وأحْرَم منها بعُمْرةٍ ، وبعَث عينًا له مِن خُزاعةَ ، وسار النبىُّ ﷺ حتى إذا كان بغَدِيرِ الأَشْطاطِ أتاه عَيْنُه ، قال : إن قريشًا قد جَمَعوا لك جُموعًا ، وقد جَمَعوا لك الأَحابيشَ ، وهم مُقاتِلوك وصادُّوك عن البيتِ ومانعوك . فقال : « أشِيروا أيها الناسُ علىَّ ، أترَوْن أن أَمِيلَ إلى عِيالِهم ، وذَرارِىِّ هؤلاء الذين يُريدونَ أن يصُدُّونا عن البيتِ ؟ فإن يأتونا كان اللَّهُ قد قطَع عينًا مِن المشركين وإلا ترَكْناهم مَحْرُوبين[3] » . قال أبو بكرٍ : يا رسولَ اللَّهِ ، خرَجْتَ عامدًا لهذا البيتِ لا تُريدُ قَتْلَ أحدٍ ولا حربَ أحدٍ ، فتوجَّهْ له ، فمَن صدَّنا عنه قاتَلْناه . قال : « امضُوا على اسمِ اللَّهِ » . هكذا رَواه هلهنا ، [٥٧/٣ظ] ووقَف ، ولم يَزِدْ شيئًا على هذا .

---

(١) سقط من : م .

(٢) البخارى (٤١٧٨، ٤١٧٩) .

(٣) محروبين : مسلوبين منهوبين . والحرب بالتحريك : نهب مال الإنسان وتركه لا شىء له . النهاية ١/ ٣٥٨.

وقال فى كتابِ الشَّهاداتِ[1] : حدَّثنى عبدُ اللَّهِ بنُ محمدٍ ، حدَّثنا عبدُ الرزَّاقِ ، أنبأنا مَعْمَرٌ ، أخبرَنى الزُّهْرِىُّ ، أخْبَرَنى عروةُ بنُ الزبيرِ ، عن المِسْورِ ابنِ مَخْرمةَ ومَرْوانَ بنِ الحكَمِ ، يُصَدِّقُ كلٌّ واحدٍ منهما حديثَ صاحبِه ، قالا : خرَج رسولُ اللَّهِ ﷺ زمنَ الحُدَيْبِيةِ ، حتى إذا كانوا ببعضِ الطريقِ ، قال النبىُّ ﷺ : « إن خالدَ بنَ الوليدِ بالغَمِيمِ ، فى خيلٍ[2] لقريشٍ طَلِيعةً ، فخذوا ذاتَ اليمينِ » . فواللَّهِ ما شعَر بهم خالدٌ حتى إذا هم بقَتَرَةِ الجيشِ ، فانطَلَق يَرْكُضُ نَذِيرًا لقريشٍ ، وسار النبىُّ ﷺ حتى إذا كان بالثَّنِيَّةِ التى يُهْبَطُ عليهم منها برَكَت به راحلتُه ، فقال الناسُ : حَلْ حَلْ[3] . فألَحَّت[4] ، فقالوا : خَلَأَتِ القَصْواءُ ، خلأتِ القصْواءُ . فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « ما خَلَأَتِ القَصْواءُ ، وما ذاك لها بخُلُقٍ ، ولكن حبَسها حابسُ الفيلِ » . ثُم قال : « والذى نفسى بيدِه لا يَسْألُونى خُطَّةً يُعَظِّمون فيها حُرُماتِ اللَّهِ إلا أعْطَيْتُهم إيَّاها » . ثُم زجَرها فوثَبَت ، فعدَل عنهم حتى نزَل بأقْصَى الحُدَيْبِيةِ ، على ثَمَدٍ[5] قليلِ الماءِ يَتَبَرَّضُه الناسُ[6] تبَرُّضًا ، فلم يُلَبِّثْه الناسُ حتى نزَحوه ، وشُكِىَ إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ العطَشُ ، فانْتَزَع سهمًا مِن كِنانتِه ، ثُم أمَرَهم أن يَجْعلوه فيه ، فواللَّهِ مازال

---

(١) البخارى (٢٧٣١، ٢٧٣٢) ، من كتاب الشروط وليس الشهادات كما ذكر المصنف . وانظر تحفة الأشراف ٨/ ٣٧٢، ٣٧٤، ٣٨٣.

(٢) فى ا ١٥: « جبل » .

(٣) قال الحافظ : حل حل ؛ كلمة تقال للناقة إذا تركت السير . فتح البارى ٥/ ٣٣٥.

(٤) فألحت : تمادت على عدم القيام ، وهو من الإلحاح . المصدر السابق .

(٥) على ثمد : أى حفيرة فيها ماء مثمود ؛ أى قليل . المصدر السابق ٥/ ٣٣٦.

(٦) سقط من : الأصل ، م .

قال الحافظ : يتبرضه الناس ؛ هو الأخذ قليلا قليلا ، والبرض بالفتح والسكون اليسير من العطاء ، وقال صاحب العين : هو جمع الماء بالكفين . المصدر السابق ٥/ ٣٣٧.

يَجِيشُ لهم بالرِّىِّ حتى صَدَروا عنه ، فبينما هم كذلك إذ جاء بُدَيْلُ بنُ وَرْقاءَ الخُزَاعىُّ ، فى نفَرٍ مِن قومِه مِن خُزاعةَ - وكانوا عَيْبةَ نُصْحِ رسولِ اللَّهِ ﷺ مِن أهلِ تِهامةَ - فقال : إنى ترَكْتُ كعبَ بنَ لُؤَىٍّ ، وعامرَ بنَ لُؤَىٍّ نزَلوا أعْدادَ[1] مياهِ الحُدَيْبيةِ ، معهم العُوذُ المَطافِيلُ وهم مُقاتِلوك وصادُّوك عن البيتِ . فقال النبىُّ ﷺ : « إنا لم نجِئْ لقِتالِ أحدٍ ، ولكن جِئْنا مُعْتَمِرِين ، وإن قريشًا قد نهِكَتْهمُ الحربُ وأضَرَّت بهم ، فإن شاءوا مادَدْتُهم مُدةً ، ويُخَلُّوا بينى وبينَ الناسِ ، [2]فإن أَظْهَرْ ، فإن شاءوا أن يَدْخُلوا فيما دخَل فيه الناسُ[2] فعَلوا ، وإلَّا فقَد جَمُّوا[3] ، وإن هم أبَوا ، فوالذى نفسى بيدِه لأُقاتِلَنَّهم على أمْرِى هذا حتى تنْفَرِدَ سالِفتى ، وليَنْفُذَنَّ أمْرُ اللَّهِ » . قال بُدَيْلٌ : سأُبَلِّغُهم ما تقولُ . فانطَلَق حتى أَتَى قريشًا ، فقال : إنا قد جِئْناكم مِن عندِ هذا الرجلِ ، وسَمِعْناه يقولُ قولًا ، فإن شئْتم أن نَعْرِضَه عليكم فعَلْنا . فقال سُفهاؤُهم : لا حاجةَ لنا أن تُخْبِرَنا عنه بشىءٍ . وقال ذَوُو الرأْىِ منهم : هاتِ ما سمِعْتَه يقولُ . قال : سمِعْتُه يقولُ كذا وكذا ، [٣/٥٨و] فحدَّثَهم بما قال رسولُ اللَّهِ ﷺ ، فقام عُروةُ بنُ مسعودٍ فقال : أىْ قوْمِ ، ألسْتُم[4] بالوالِدِ ؟ قالوا : بلى . قال : أوَ لسْتُ[5] بالولدِ ؟ قالوا : بلى . قال : فهل تتَّهِمونى ؟ قالوا : لا . قال : ألسْتُم تعلَمون أنى اسْتَنْفَرْتُ أهلَ عُكاظٍ ، فلمَّا بلَّحوا[6] علىَّ جِئْتُكم بأهْلى ووَلَدى ومَن أطاعنى ؟ قالوا : بلى .

---

(١) أعْداد : جمع عِدّ ، وهو الماء الذى لا انقطاع له . انظر النهاية ٣/ ١٨٩، وفتح البارى ٥/ ٣٣٨.

(٢ - ٢) سقط من : ا ١٥، ص .

(٣) فى الأصل : « حموا » ، وفى ص : « جمعوا » . وجموا : استراحوا . انظر المصدر السابق .

(٤) فى م : « ألست » .

(٥) فى م : « أو لستم » .

(٦) بلحوا : امتنعوا ، والتبلح : التمنع من الإصابة ، وبلح الغريم ، إذا امتنع من أداء ما عليه . المصدر السابق ٥/ ٣٣٩.

قال : فإنَّ هذا قد عرَض لكم خُطَّةَ رُشْدٍ اقْبَلوها ودَعونى آتِه . فقالوا : ائْتِه . فأتاه ، فجعَل يُكَلِّمُ النبىَّ ﷺ ، فقال النبىُّ ﷺ نحوًا مِن قولِه لبُدَيْلٍ ، فقال عروةُ عندَ ذلك : أىْ محمدُ ، أرأيْتَ إنِ اسْتَأْصَلْتَ أمْرَ قومِك ، هل سمِعْتَ بأحدٍ مِن العربِ اجْتاح[1] أهْلَه قَبْلَك ؟ وإن تَكُنِ الأخرى ، فإنى واللَّهِ لا أرَى وُجوهًا ، وإنى لَأرَى أشْوابًا[2] مِن الناسِ خَليقًا أن يَفِرُّوا ويدَعُوك . فقال له أبو بكرٍ : امْصُصْ بَظْرَ اللَّاتِ ، أنحن نَفِرُّ عنه وندَعُه ؟ قال : مَن ذا ؟ قالوا : أبو بكرٍ . قال : أما والذى نفسى بيدِه لولا يدٌ كانت لك عندى لم أجْزِك بها ، لأَجَبْتُك . قال : وجعَل يُكَلِّمُ النبىَّ ﷺ ، فكلما تكَلَّمَ أخَذ بلحيتِه ، والمغيرةُ بنُ شُعبةَ قائمٌ على رأسِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، ومعه السيفُ وعليه المِغْفَرُ ، فكلما أهْوَى عروةُ بيدِه إلى لحيةِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ضرَب يدَه بنَعْلِ السيفِ ، وقال له : أخِّرْ يدَك عن لحيةِ رسولِ اللَّهِ ﷺ . فرفَع عروةُ رأسَه فقال : مَن هذا ؟ قالوا : المغيرةُ ابنُ شُعْبةَ . فقال : أىْ غُدَرُ ، ألسْتُ أسْعَى فى غَدْرَتِك ؟ وكان المغيرةُ بنُ شعبةَ صحِب قومًا فى الجاهليةِ فقتَلهم وأخَذ أموالَهم ، ثُم جاء فأسْلَم ، فقال النبىُّ ﷺ : « [3]أمَّا الإسلامُ فأقْبَلُ ، وأمَّا المالُ فلسْتُ منه فى شىءٍ » . ثُم إن عروةَ جعَل يَرْمُقُ أصحابَ رسولِ اللَّهِ ﷺ[3] بعيْنيه ، قال : فواللَّهِ ما تنَخَّم رسولُ اللَّهِ ﷺ نُخامةً إلَّا وقَعت فى كَفِّ رجلٍ منهم ، فدَلَك بها وجْهَه وجلْدَه ، وإذا

---

(١) اجتاح : أهلك .

(٢) الأشواب : الأخلاط من أنواع شتى . فتح البارى ٥/ ٣٤٠. وجاء فى نسخة بحواشى صحيح البخارى : « أو شابا » وكذلك هى فى النهاية ٥/ ١٨٧.

(٣ - ٣) سقط من : ص .

أمَرهم ابْتَدَروا أمْرَه، وإذا توضَّأ كادوا يقْتَتِلون على وَضوئِه، وإذا تَكَلَّموا خَفَضوا أصواتَهم عندَه، وما يُحِدُّون إليه النظرَ تعظيمًا له. [(1)] فرجَع عروةُ إلى أصحابِه فقال: أىْ قومِ، واللَّهِ لقد وفَدْتُ على الملوكِ؛ وفَدْتُ على قَيْصَرَ وكِسْرَى والنَّجاشىِّ، واللَّهِ إن رأيْتُ مَلِكًا قطُّ يُعَظِّمُه أصحابُه ما يُعَظِّمُ أصحابُ محمدٍ محمدًا، واللَّهِ إن تَنَخَّم نُخامةً إلَّا وقَعت فى كفِّ رجلٍ منهم فدلَكَ بها وجْهَه وجلْدَه، وإذا [٣/٥٨ظ] أمَرَهم ابْتَدَروا أمْرَه، وإذا توَضَّأ كادوا يقْتَتِلون على وَضوئِه، وإذا تكَلَّموا خفَضوا أصواتَهم عندَه، وما يُحِدُّون النظرَ إليه تعظيمًا له [(1)]، وإنه قد عرَض عليكم خُطَّةَ رُشدٍ فاقْبَلُوها. فقال رجلٌ مِن بنى كِنانةَ: دعونى آتِه. فقالوا: ائْتِه. فلمَّا أشْرَف على النبىِّ ﷺ وأصحابِه قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «هذا فلانٌ، وهو مِن قومٍ يُعَظِّمون البُدْنَ فابْعَثوها له». فبُعِثت له، واسْتَقْبَله الناسُ يُلَبُّون، فلمَّا رَأَى ذلك قال: سبحانَ اللَّهِ! ما ينبغى لهؤلاء أن يُصَدُّوا عن البيتِ. [(2)] فلمَّا رجَع إلى أصحابِه قال: رأيْتُ البُدْنَ قد قُلِّدت وأُشْعِرت، فما أَرَى أن يُصَدُّوا عن البيتِ [(2)]، فقام رجلٌ منهم يقال له: مِكْرَزُ بنُ حَفْصٍ. فقال: دعونى آتِه. قالوا: ائْتِه. فلمَّا أشْرَف عليهم قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «هذا مِكْرَزٌ، وهو رجلٌ فاجرٌ». فجعَل يُكَلِّمُ النبىَّ ﷺ، فبينما هو يُكَلِّمُه إذ جاء سُهَيْلُ بنُ عمرٍو.

قال مَعْمَرٌ: فأخْبَرَنى أيوبُ، عن عِكْرمةَ أنه لما جاء سُهَيْلُ بنُ عمرٍو قال

(١ - ١) سقط من: ا ١٥.

(٢ - ٢) سقط من: الأصل.

رسولُ اللَّهِ ﷺ: «لقد سَهُل لكم مِن أمْرِكم». قال مَعْمَرٌ: قال الزهْرىُّ فى حديثِه: فجاء سُهَيْلٌ فقال: هاتِ اكْتُبْ بيننا وبينَكم كتابًا. فدَعا النبىُّ ﷺ الكاتبَ، فقال النبىُّ ﷺ: «اكْتُبْ بسمِ اللَّهِ الرحمنِ الرحيمِ». فقال سُهَيْلٌ: أمَّا الرحمنُ، فواللَّهِ ما أدْرِى ما هُوَ، ولكن اكْتُبْ باسمِك اللهمَّ، كما كنتَ تَكْتُبُ. فقال المسلمون: واللَّهِ لا نَكْتُبُها إلا بسمِ اللَّهِ الرحمنِ الرحيمِ. فقال النبىُّ ﷺ: «اكْتُبْ باسمِك اللهمَّ». ثُم قال: «هذا ما قاضَى عليه محمدٌ رسولُ اللَّهِ». فقال سُهَيْلٌ: واللَّهِ لو كنا نعْلَمُ أنك رسولُ اللَّهِ ما صدَدْناك عن البيتِ ولا قاتَلْناك، ولكن اكْتُبْ محمدُ بنُ عبدِ اللَّهِ. فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «واللَّهِ إنى لَرسولُ اللَّهِ وإن كذَّبْتُمونى، اكْتُبْ محمدُ بنُ عبدِ اللَّهِ». قال الزهرىُّ: وذلك لقولِه: «لا يَسْألونى خُطَّةً يُعَظِّمون فيها حُرُماتِ اللَّهِ، إلَّا أعْطَيْتُهم إيَّاها». فقال له النبىُّ ﷺ: «على أن تُخَلُّوا بيننا وبينَ البيتِ فنطوفَ به». قال سُهَيْلٌ: واللَّهِ لا تَتَحدَّثُ العربُ أنا أُخِذْنا ضُغْطَةً، ولكن ذلك مِن العامِ المُقْبِلِ. فكتَب، فقال سُهَيْلٌ: وعلى أنه لا يأتيك منَّا رجلٌ، وإن كان على دينِك، إلَّا ردَدْتَه إلينا. قال المسلمون: سبحانَ اللَّهِ! كيف يُرَدُّ إلى المشركين وقد جاء مُسْلمًا. فبينما هم كذلك إذ جاء أبو جَنْدَلِ بنُ سُهَيْلِ بنِ عمرٍو يَرْسُفُ فى قُيودِه، وقد خرَج مِن أسفلِ مكةَ حتى رَمَى بنفسِه بينَ أظْهُرِ [٣/٥٩و] المسلمين، فقال سُهَيْلٌ: هذا يا محمدُ، أولُ مَن أُقاضِيك عليه أن تَرُدَّه إلىَّ. فقال النبىُّ ﷺ: «إنا لم نَقْضِ الكتابَ بعدُ». قال: فواللَّهِ إذًا لم أُصالِحْك على شىءٍ أبدًا. فقال النبىُّ ﷺ: «فأجِزْه لى». قال: ما أنا بمُجيزِه لك. قال: «بلى، فافْعَلْ». قال: ما أنا بفاعلٍ. قال مِكْرَزٌ: بل قد أجَزْناه لك. قال أبو جَنْدَلٍ: أى معشرَ المسلمين، أُرَدُّ إلى المشركين وقد جئْتُ

مسلمًا ؟ ألا ترَوْن ما قد لقِيتُ ؟! - وكان قد عُذِّب عذابًا شديدًا فى اللَّهِ - قال : فقال عمرُ ، رضى اللَّهُ عنه : فأتَيْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ فقلتُ : ألستَ نبىَّ اللَّهِ حقًّا ؟ قال : « بلى » . قلتُ : ألسنا على الحقِّ ، وعدوُّنا على الباطلِ ؟ قال : « بلى » . قلتُ : فلِمَ نُعْطِى الدَّنِيَّةَ فى دينِنا إذن ؟ ! . قال : « إنى رسولُ اللَّهِ ، ولسْتُ أَعْصِيه وهو ناصرى » . قلتُ : أوَلسْتَ كنتَ تُحَدِّثُنا أنا سنأتى البيتَ فنطوفُ به ؟ قال : « بلى ، فأَخْبَرْتُك أنا نأتيه العامَ ؟ » قال : قلتُ : لا . قال : « فإنك آتيه ومُطَوِّفٌ به » . قال : فأتَيْتُ أبا بكرٍ فقلتُ : يا أبا بكرٍ ، أليس هذا نبىَّ اللَّهِ حقًّا ؟ قال : بلى . قلتُ : ألسْنا على الحقِّ ، وعدوُّنا على الباطلِ ؟ . قال : بلى . قال : قلتُ : فلِمَ نُعْطِى الدَّنِيَّةَ فى دينِنا إذن ؟ قال : أيها الرجلُ ، إنه لرسولُ اللَّهِ ، وليس يَعْصى ربَّه ، وهو ناصِرُه ، فاسْتَمْسِكْ بغَرْزِه ، فواللَّهِ إنه على الحقِّ . قلتُ : أليس كان يُحَدِّثُنا أنا سنأتى البيتَ ونَطُوفُ به ؟ قال : بلى ، أفأخْبَرَك أنك تأتيه العامَ ؟ فقلتُ : لا . قال : فإنك آتيه ومُطَوِّفٌ به .

قال الزهرىُّ : قال عمرُ : فعمِلْتُ لذلك أعْمالًا(1) . قال : فلمَّا فرَغ مِن قَضِيَّةِ الكتابِ ، قال رسولُ اللَّهِ ﷺ لأصحابِه : « قوموا فانْحَروا ثُم احْلِقوا » . قال : فواللَّهِ ما قام منهم رجلٌ حتى قال ذلك ثلاثَ مراتٍ ، فلمَّا لم يَقُمْ منهم أحدٌ دخَل على أمِّ سَلَمَةَ ، فذكَر لها ما لقِىَ مِن الناسِ ، فقالت أمُّ سَلَمَةَ : يا نبىَّ اللَّهِ ، أتُحِبُّ ذلك ؟ اخْرُجْ ثُم لا تُكَلِّمْ أحدًا منهم كَلِمةً حتى تَنْحَرَ بُدْنَك ، وتدْعوَ حالِقَك فيَحْلِقَك . فخرَج فلم يُكَلِّمْ أحدًا منهم حتى فعَل ذلك ؛ نحر

---

(1) قال الحافظ فى الفتح ٥/ ٣٤٦: المراد به الأعمال الصالحة ليكفر عنه ما مضى من التوقف فى الامتثال ابتداء .

وقد تقدم عن عمر التصريح بمراده فى رواية ابن إسحاق ص ٢١٧ .

بُدْنَه ودَعا حالِقَه فحلَقَه ، فلمَّا رَأَوْا ذلك قاموا فنحَروا ، وجعَل بعضُهم يَحْلِقُ بعضًا ، حتى كاد بعضُهم يَقْتُلُ بعضًا غمًّا . ثُم جاءه نِسوةٌ مُؤْمناتٌ ، فأنزَل اللَّهُ تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّ ﴾ حتى بَلَغَ ﴿ بِعِصَمِ ٱلْكَوَافِرِ ﴾ [الممتحنة : ١٠] فطلَّق عمرُ يومئذٍ امرأتين كانتا له في الشِّرْكِ ، فتزوَّج إحداهما مُعاويةُ بنُ أبي سفيانَ ، والأخرى صفوانُ [٣/ ٥٩ظ] ابنُ أمية . ثُم رجَع النبيُّ ﷺ إلى المدينةِ فجاءه أبو بَصِيرٍ - رجلٌ مِن قريشٍ - وهو مُسْلِمٌ ، فأرْسَلوا في طلبِه رجلين فقالوا : العَهْدَ الذي جعَلْتَ لنا . فدفَعه إلى الرجلين ، فخرَجا به حتى بلَغا ذا الحُلَيْفةِ ، فنزَلوا يَأْكُلون مِن تمرٍ لهم ، فقال أبو بَصِيرٍ لأحدِ الرجلين : واللَّهِ إني لأَرَى سيفَك هذا يا فلانُ جيدًا . فاسْتَلَّه الآخرُ فقال : أجَلْ واللَّهِ إنه لجيدٌ ، لقد جرَّبْتُ به ، (١) ثم جَرَّبتُ به (١) ، ثم جرَّبْتُ . فقال أبو بَصِيرٍ : أرِني أنْظُرْ إليه . فأمْكَنه منه ، فضرَبه حتى برَد (٢) ، وفرَّ الآخرُ حتى أتَى المدينةَ ، فدخَل المسجدَ يعْدُو ، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ حينَ رآه : « لقد رَأَى هذا ذُعْرًا » . فلمَّا انتهى إلى النبيِّ ﷺ قال : قُتِل واللَّهِ صاحبي وإني لَمَقتولٌ . فجاء أبو بَصِيرٍ فقال : يا نبيَّ اللَّهِ ، قد واللَّهِ أوْفَى اللَّهُ ذِمَّتَك ، قد ردَدْتَني إليهم ، ثم أنْجاني اللَّهُ منهم . فقال النبيُّ ﷺ : « ويلُ امِّه (٣) ، مِسْعَرَ حربٍ (٤) ، لو كان له

(١ - ١) سقط من النسخ ، والمثبت من الصحيح .

(٢) برد : مات .

(٣) ويل امه : هي كلمة ذم تقولها العرب في المدح ولا يقصدون معنى ما فيها من الذم ؛ لأن الويل الهلاك . فتح الباري ٥/ ٣٥٠.

(٤) قال الحافظ : مسعر حرب : أي يسعرها . قال الخطابي : كأنه يصفه بالإقدام في الحرب والتسعير لنارها . المصدر السابق .

أحدٌ[1] » . فلما سمِع ذلك عرَف أنه سيَرُدُّه إليهم ، فخرَج حتى أتى سِيفَ البحرِ[2] . قال : ويَنْفَلِتُ منهم أبو جَنْدَلِ بنُ سُهَيْلِ بنِ عمرٍو ، فلحِق بأبى بَصِيرٍ ، فجعَل لا يَخْرُجُ مِن قريشٍ رجلٌ قد أسْلَم إلا لَحِقَ بأبى بَصِيرٍ ، حتى اجْتَمَعت منهم عِصابةٌ ، فواللَّهِ ما يَسْمَعون بِعِيرٍ خرَجت لقريشٍ إلى الشامِ إلا اعْتَرضوا لها فقتَلوهم وأخَذوا أموالَهم ، فأرْسَلَت قريشٌ إلى النبىِّ ﷺ تُناشِدُه اللَّهَ والرَّحِمَ لَمَا أرْسَلَ إليهم[3] ، فمَن أتاه فهو آمِنٌ ، فأرْسَل النبىُّ ﷺ إليهم ، فأنْزَل اللَّهُ تعالى : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنۢ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ ﴾ حتى بَلَغ ﴿ ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ﴾ [الفتح : ٢٤- ٢٦] . وكانت حَمِيَّتُهم أنهم لم يُقِرُّوا أنه نبىُّ اللَّهِ ، ولم يُقِرُّوا ببسمِ اللَّهِ الرحمنِ الرحيمِ ، وحالوا بينَهم وبينَ البيتِ . فهذا السياقُ فيه زِياداتٌ وفوائدُ حسنةٌ ليست فى روايةِ ابنِ إسحاقَ عن الزهرىِّ ، فقد رَواه عن الزهرىِّ[4] جماعةٌ ؛ منهم سفيانُ ابنُ عُيَيْنَةَ ، ومَعْمَرٌ ، ومحمدُ بنُ إسحاقَ ، كلُّهم عن الزهرىِّ ، عن عُرْوَةَ ، عن مَرْوانَ ، ومِسْوَرٍ[5] ، فذكَر القصةَ .

وقد رَواه البخارىُّ فى أولِ كتابِ الشُّروطِ[6] ، عن يَحْيَى بنِ بُكَيْرٍ ، عن

---

(١) لو كان له أحد : أى ينصره ويعاضده ويناصره ... فلقنها أبو بصير فانطلق ، وفيه إشارة إليه بالفرار لئلا يرده إلى المشركين ، ورمز إلى من بلغه ذلك من المسلمين أن يلحقوا به ، قال جمهور العلماء من الشافعية وغيرهم : يجوز التعريض بذلك لا التصريح كما فى هذه القصة واللَّه أعلم . ا هـ . فتح البارى ٥/ ٣٥٠ .

(٢) سيف البحر : ساحله .

(٣) ليس فى الصحيح .

(٤) بعده فى الأصل ، ا ١٥، م : « عن » .

(٥) البخارى (١٦٩٤، ١٦٩٥، ١٨١١، ٤١٥٧، ٤١٥٨، ٤١٧٨، ٤١٧٩) مختصرا ومطولا ، من طريق سفيان ومعمر . أما طريق محمد بن إسحاق فهو فى السيرة ٢/ ٣٠٨، ٣١٣ كما تقدم .

(٦) البخارى (٢٧١١، ٢٧١٢) .

اللَّيْثِ بنِ سعدٍ ، عن عُقَيْلٍ ، عن الزهريِّ ، عن عُرْوةَ ، عن مَرْوانَ بنِ الحكَمِ والمِسْوَرِ بنِ مَخْرَمَةَ ، عن أصحابِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فذكَر القصةَ . وهذا هو الأشْبهُ ؛ (١ فإن مَرْوانَ ، ومِسْوَرًا كانا صَغيرَيْن [٣/ ٦٠و] يومَ الحُدَيْبيةِ ، والظاهرُ أنهما أخذَاه عن الصحابةِ ، رضى اللَّهُ عنهم أجمعين ١) .

وقال البخاريُّ(٢) : حدَّثنا الحسنُ بنُ إسحاقَ ، حدَّثنا محمدُ بنُ سابقٍ ، حدَّثنا مالكُ بنُ مِغْوَلٍ ، سمِعْتُ أبا حَصينٍ قال : قال أبو وائلٍ : لمَّا قدِم سَهْلُ(٣) ابنُ حُنَيْفٍ مِن صِفِّينَ(٤) أتَيْناه نسْتَخْبِرُه ، فقال : اتَّهِموا الرأىَ ، فلقد رأيْتُنى يومَ أبى جَنْدَلٍ ولو أسْتَطِيعُ أن أَرُدَّ على رسولِ اللَّهِ ﷺ أمْرَه لَرَدَدْتُ ، واللَّهُ ورسولُه أعْلَمُ ، وما وضَعْنا أسْيافَنا على(٥) عواتِقِنا لأمْرٍ يُفْظِعُنا(٦) إلا أسْهَلْنَ بنا إلى أمْرٍ نَعْرِفُه قبلَ هذا الأمرِ ، ما نَسُدُّ منها خُصْمًا(٧) إلا انفَجَر علينا خُصْمٌ ، ما ندرى كيف نأتى له .

وقال البخاريُّ(٨) : حدَّثنا عبدُ اللَّهِ بنُ يوسُفَ ، أخْبَرَنا مالكٌ ، عن زيدِ بنِ أسْلَمَ ، عن أبيه أن رسولَ اللَّهِ ﷺ كان يَسِيرُ فى بعضِ أسْفارِه ، وكان عمرُ بنُ الخطابِ يَسِيرُ معه ليلًا ، فسأله عمرُ بنُ الخطابِ عن شىءٍ فلم يُجِبْه رسولُ اللَّهِ

(١ - ١) سقط من : ص .

(٢) البخارى (٤١٨٩) .

(٣) فى ا ١٥، م : « سهيل » .

(٤) فى الأصل : « صفيان » .

(٥) فى الأصل ، م : « عن » .

(٦) فى م : « يقطعنا » .

(٧) خصم : جانب . فتح البارى ٧/ ٤٥٨ .

(٨) البخارى (٤١٧٧، ٤٨٣٣، ٥٠١٢) .

ﷺ ، ثُم سأَله فلم يُجِبْه ، ثُم سأَله فلم يُجِبْه ، فقال عمرُ بنُ الخطابِ : ثكِلَتْك أمُّك يا عمرُ ، نزَّرْتَ[1] رسولَ اللَّهِ ﷺ ثلاثَ مراتٍ ، كلُّ ذلك لا يُجيبُك . قال عمرُ : فحرَّكْتُ بَعيرى ثُم تقَدَّمْتُ أمامَ المسلمين ، وخشِيتُ أن يَنْزِلَ فِىَّ قرآنٌ ، فما نَشِبْتُ[2] أن سمِعْتُ صارخًا يَصْرُخُ بى ، قال : فقلتُ : لقد خشِيتُ أن يكونَ نزَل فِىَّ قرآنٌ . فجِئْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ فسَلَّمْتُ عليه فقال : « لقد أُنْزِلَتْ علىَّ الليلةَ سورةٌ لَهى أحبُّ إلىَّ مما طَلَعت عليه الشمسُ » . ثُم قرَأ : ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴾ [الفتح : ١] .

قلتُ : وقد تكَلَّمْنا على سورةِ « الفتحِ » بكَمالِها فى كتابِنا « التفسيرِ »[3] بما فيه كفايةٌ ، وللَّهِ الحمدُ والمِنةُ ، ومَن أحَبَّ أن يَكْتُبَ ذلك هنا فَلْيَفْعَلْ .

---

(١) نزرت : ألححت . فتح البارى ٧/ ٤٥٣.

(٢) نشبت : لبثت .

(٣) التفسير ٧/٣٠٧ - ٣٤٤.

فصلٌ فى ذِكْرِ[1] السَّرايا والبُعوثِ[1]
التى كانت فى سنةِ سِتٍّ من الهجرةِ

وتلخيصُ ذلك ما أوْرَده الحافظُ البيهقىُّ، عن الواقدىِّ قال[2]:

فى ربيعٍ الأولِ منها أو الآخِرِ بعَث رسولُ اللَّهِ ﷺ عُكَّاشةَ بنَ مِحْصَنٍ، فى أربعين رجلًا إلى (3)غَمْرِ مَرْزُوقٍ، (4)ماءٍ لِبنى أَسَدٍ(3)(4)، فهرَبوا منه، ونزَل على مياهِهم، وبعَث فى آثارِهم، وأخَذ منهم مِائَتَىْ بَعيرٍ، فاسْتاقها إلى المدينةِ.

وفيها كان بَعْثُ أبى عُبَيْدَةَ بنِ الجَرَّاحِ إلى ذى القَصَّةِ، فى أربعين رجلًا أيضًا، فساروا ليلتَهم[5] مُشاةً، حتى أَتَوْها فى عَمايةِ الصُّبْحِ، فهرَبوا منه فى رُءوسِ الجبالِ، فأسَر منهم رجلًا، فقدِم به على رسولِ اللَّهِ [٣/ ٦٠ظ] ﷺ فأسلم[6].

وبعْثُ محمدِ بنِ مَسْلَمةَ فى عشَرةِ نفَرٍ، فكمَن القومُ لهم حتى ناموا، فقُتِل[7] أصحابُ محمدِ بنِ مَسْلمةَ كُلُّهم، وأفْلَتَ هو جَريحًا.

---

(١) سقط من: م.
(٢) سقط من: الأصل، م.
(٣ - ٣) بياض فى: م، ص.
(٤ - ٤) سقط من: الأصل.
(٥) فى الأصل، م: «إليهم».
(٦) سقط من: الأصل، ١٥١، م.
(٧) بياض فى: الأصل، م.

وفيها كان بَعْثُ زيدِ بنِ حارثةَ بالجَمُومِ ، فأصاب امرأةً مِن مُزَيْنةَ ، يقالُ لها : حَلِيمةُ . فدلَّتْهم على مَحَلَّةٍ مِن مَحَالِّ بنى سُلَيْمٍ ، فأصابوا منها نَعَمًا ، وشاءً وأَسْرى[1] ، وكان فيهم زوجُ حَلِيمةَ هذه ، فوهَبها[2] رسولُ اللَّهِ ﷺ لزَوْجِها ، وأَطْلَقَهما .

وفيها كان بعْثُ زيدِ بنِ حارثةَ أيضًا ، فى جُمادَى الأولى إلى بنى ثَعْلَبَةَ ، فى خَمْسةَ عشَرَ رجلًا ، فهرَبَتْ منه الأعْرابُ ، فأصاب مِن نَعَمِهم عِشْرين بَعيرًا ، ثُم رجَع بعدَ أرْبَعِ ليالٍ .

وفيها خرَج زيدُ بنُ حارثةَ فى جُمادىَ الأولى إلى العِيصِ .

قال : وفيها أُخِذتِ الأموالُ التى كانت مع أبى العاصِ بنِ الربيعِ ، فاسْتجار بزينبَ بنتِ رسولِ اللَّهِ ﷺ فأجارتْه ، وقد ذكَر ابنُ إسحاقَ - [3]كما تقدَّم[3] - قِصَّتَه حينَ أُخِذتِ العِيرُ التى كانت معه ، وقُتِل أصحابُه ، وفَرَّ هو مِن بينِهم حتى قدِم المدينةَ ، وكانتِ امرأتُه زينبُ بنتُ رسولِ اللَّهِ ﷺ قد هاجَرتْ بعدَ بدرٍ ، فلمَّا جاء المدينةَ استجار بها ، فأجارَتْه بعدَ صلاةِ الصُّبْحِ ، فأجاره لها رسولُ اللَّهِ ﷺ ، وأمَر الناسَ برَدِّ ما أخَذوا مِن عِيرِه ، فرَدُّوا كلَّ شىءٍ كانوا أخَذوه منه ، حتى لم يَفْقِدْ منه شيئًا ، فلمَّا رجَع بها إلى مكةَ ، وأدَّى إلى أهلِها ما كان لهم معه مِن الوَدائعِ ، أسْلَم وخرَج مِن مكةَ راجعًا إلى المدينةِ ، فردَّ عليه رسولُ اللَّهِ ﷺ زَوْجَته زينبَ[4] بالنِّكاحِ الأولِ ، ولم يُحْدِثْ نِكاحًا ولا عقدًا ،

---

(١) فى الأصل ، م : « وأسروا » .
(٢) فى م : « فوهبه » .
(٣ - ٣) سقط من : الأصل ، م .
(٤) زيادة : من ا ١٥ .

كما تقدَّم بيانُ ذلك .

وكان بينَ إسلامِه وهِجْرتِها سِتُّ سِنينَ ، ويُرْوَى سنتان . وقد بيَّنَّا أنه لا منافاةَ بينَ الروايتين ؛ لأنَّ[1] إسلامَه تأخَّر عن وقتِ تحريمِ المؤْمناتِ على الكفَّارِ بسنتين ، وكان إسلامُه فى سنةِ ثمانٍ فى سنةِ الفَتْحِ ، لا كما [2]يُفْهَمُ مِن[2] كلامِ الواقدىِّ ، مِن أنَّه سنةُ سِتٍّ . واللَّهُ أعلمُ .

وذكر الواقدىُّ فى هذه السنةِ ، أنَّ دِحْيَةَ بنَ خَلِيفةَ الكَلْبِيَّ[3] أقْبَل مِن عندِ قَيْصَرَ ، وقد أجازه بأموالٍ وخِلَعٍ ، فلمَّا كان بحِسْمَى[4] لقِيَه ناسٌ مِن جُذامٍ ، فقطَعوا عليه الطريقَ ، [٣/ ٦١و] فلم يَتْرُكوا معه شيئًا ، فبعَث إليهم رسولُ اللَّهِ ﷺ زيدَ بنَ حارثةَ أيضًا ، رضى اللَّهُ عنه .

قال الواقدىُّ[5] : حدَّثنى عبدُ اللَّهِ بنُ جعفرٍ ، عن يعقوبَ بنِ عُتْبَةَ قال : خرَج علِىٌّ ، رضى اللَّهُ عنه ، فى مائةِ رجلٍ إلى [6]أن نزَل[6] إلى حىٍّ مِن بنى سعدِ[7] بنِ بكرٍ ، وذلك أنه بلَغ رسولَ اللَّهِ ﷺ أنَّ لهم جَمْعًا يُريدون أن يُمِدُّوا يهودَ خَيْبَرَ ، فسار إليهم باللَّيلِ ، وكمَن بالنهارِ ، وأصاب عَيْنًا لهم ، فأقَرَّ له أنه بُعِث إلى خَيْبَرَ ، يَعْرِضُ عليهم نصرَهُم[8] على أن يجْعَلوا لهم تمرَ خَيْبَرَ .

---

(١) فى الأصل : « أن » . وفى م : « وأن » .

(٢ - ٢) فى الأصل : « تقدم من » . وفى م : « تقدم فى » .

(٣) زيادة من : ١٥١، م .

(٤) حسمى : أرض ببادية الشام بينها وبين وادى القرى ليلتان . معجم البلدان ٢/ ٢٦٧.

(٥) مغازى الواقدى ٢/ ٥٦٢، ودلائل النبوة للبيهقى ٤/ ٨٤، ٨٥.

(٦ - ٦) فى ١٥١، ص : « فدك » .

(٧) فى النسخ : « أسد » . والمثبت من مصدرى التخريج .

(٨) سقط من : الأصل ، م .

قال الواقديُّ[1] ، رحِمه اللَّهُ تعالى : وفى سنةِ سِتٍّ ، فى شَعْبانَ منها[2] ، كانت سَرِيَّةُ عبدِ الرحمنِ بنِ عَوْفٍ ، إلى دُومَةِ الجَنْدَلِ ، وقال له رسولُ اللَّهِ ﷺ : « إن هم أطاعوا فتزَوَّجْ بنتَ مَلِكِهم » . فأسْلَم القومُ ، وتزَوَّج عبدُ الرحمنِ بنتَ مَلِكهم ؛ تُماضِرَ بنتَ الأَصْبَغِ[3] الكَلْبيةَ ، وهى أمُّ أبى سَلَمةَ بنِ عبدِ الرحمنِ بنِ عَوْفٍ .

قال الواقديُّ[4] : فى شوالٍ سنةَ سِتٍّ كانت سَرِيَّةُ كُرْزِ بنِ جابرٍ الفِهْرِىِّ إلى العُرَنِيِّين الذين قتَلوا راعىَ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، واسْتاقوا النَّعَمَ ، فبعَث رسولُ اللَّهِ ﷺ فى آثارِهم كُرْزَ بنَ جابرٍ ، فى عشرين فارسًا ، فردُّوهم .

فكان مِن أمرِهم ما أخْرَجه البخارىُّ ، ومسلمٌ[5] ، مِن طريقِ سعيدِ بنِ أبى عَرُوبةَ ، عن قَتادةَ ، عن أنسِ بنِ مالكٍ ، أنَّ رَهْطًا مِن عُكْلٍ وعُرَيْنةَ - وفى روايةٍ[6] : مِن عُكْلٍ أو عُرَيْنةَ - أتَوْا رسولَ اللَّهِ ﷺ فقالوا : يا رسولَ اللَّهِ ، إنَّا أُناسٌ أهلُ ضَرْعٍ ، ولم نَكُنْ أهلَ رِيفٍ ، فاسْتَوْخَمْنا المدينةَ . فأمَر لهم رسولُ اللَّهِ ﷺ بذَوْدٍ وراعٍ[7] ، وأمَرهم أن يَخْرُجوا فيها ، فيَشْرَبوا مِن ألبانِها وأبوالِها ، فانطَلَقوا ، حتى إذا كانوا ناحيةَ الحَرَّةِ قتَلوا راعىَ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، واسْتاقوا

---

(١) مغازى الواقدى ٢/ ٥٦١، ودلائل النبوة للبيهقى ٤/ ٨٥.
(٢) سقط من : الأصل ، م .
(٣) فى الأصل ، م : « الأصبع » بالعين المهملة .
(٤) مغازى الواقدى ٢/ ٥٦٨، ودلائل النبوة للبيهقى ٤/ ٨٥.
(٥) البخارى (٤١٩٢) ، ومسلم (١٦٧١/١٣) .
(٦) البخارى (٢٣٣) ، ومسلم (١٦٧١/١١) .
(٧) فى الأصل ، ا ١٥ ، ص : « وزاد » . والذود من الإبل : ما بين الثنتين إلى التسع . انظر النهاية ٢/ ١٧١.

الذَّوْدَ، وكفَروا بعدَ إسلامِهم، فبعَث النبيُّ ﷺ في طلبِهم، فأمَر بهم فقطَع أيديَهم وأرجُلَهم، وسمَرَ أعينَهم[1]، وترَكَهم في ناحِيةِ الحَرَّةِ حتى ماتوا وهم كذلك. قال قَتادةُ: فبلَغَنا أن [٣/ ٦١ظ] رسولَ اللَّهِ ﷺ كان إذا خطَب بعدَ ذلك حَضَّ على الصَّدَقةِ، ونهَى عن المُثْلَةِ.

وهذا الحديثُ قد رَواه جماعةٌ عن قَتادةَ[2]، ورَواه جماعةٌ عن أنسِ بنِ مالكٍ[3]. وفي رِوايةِ مسلمٍ، عن مُعاويةَ بنِ قُرَّةَ، عن أنسٍ[4]، أنَّ نَفَرًا مِن عُرَيْنةَ أتَوْا رسولَ اللَّهِ ﷺ فأسْلَموا وبايعوه، وقد وقَع في المدينةِ المُومُ - وهو البِرْسامُ[5] - فقالوا: هذا الوجعُ[6] قد وقَع يا رسولَ اللَّهِ، فلو أذِنْتَ لنا فرجَعْنا إلى الإبلِ. قال: «نعم، فاخْرُجوا فكونوا فيها». فخرَجوا فقتَلوا الرَّاعِيَيْن، وذهَبوا بالإبلِ، وعندَه شبابٌ[7] مِن الأنصارِ قريبٌ من عِشْرين، فأرْسَلهم

---

(١) قال الحافظ: قال الخطابي: السمل فقء العين بأى شيء كان ... قال: والسمر لغة في السمل ومخرجهما متقارب. قال: وقد يكون من المسمار يريد أنهم كحلوا بأميال قد أحميت. قلت - أي الحافظ -: قد وقع التصريح بالمراد عند المصنف ... ولفظه: «ثم أمر بمسامير فأحميت فكحلهم بها». فهذا يوضح ما تقدم، ولا يخالف ذلك رواية السمل. فتح البارى ١/ ٣٤٠.

(٢) البخارى (١٥٠١، ٥٦٨٦)، ومسلم (١٣/١٦٧١)، وأبو داود (٤٣٦٨)، وأحمد في المسند ٣/ ١٦٣، ١٧٧، ٢٨٧.

(٣) البخارى (٢٣٣، ٥٦٨٥)، ومسلم (٩ - ١٤/١٦٧١). وأبو داود (٤٣٦٧)، والترمذى (٧٢، ١٨٤٥، ٢٠٤٢)، والنسائى (٤٠٤٠ - ٤٠٤٣، ٤٠٤٦)، وابن ماجه (٢٥٧٨، ٣٥٠٣).

(٤) مسلم (١٣/١٦٧١).

(٥) قال النووى: الموم، بضم الميم وإسكان الواو، وأما البرسام فبكسر الباء وهو نوع من اختلال العقل. ويطلق على ورم الرأس، وورم الصدر، وهو معرب، وأصل اللفظة سريانية. شرح صحيح مسلم ١١/ ١٥٦.

(٦) في الأصل: «لموصع»، وفي م: «الموم».

(٧) في م: «سار».

إليهم ، وبعَث معهم قائِفًا[1] يَقْتَصُّ أثَرَهم ، فأُتِيَ بهم ، فقطَع أيديَهم وأرجلَهم ، وسمَر أعينَهم .

وفي « صحيحِ البخاريِّ »[2] مِن طريقِ أيوبَ ، عن أبي قِلابةَ ، عن أنسٍ ، أنه قال : قدِم رَهْطٌ مِن عُكْلٍ فأسْلَموا ، واجْتَوَوُا المدينةَ ، فأتَوْا رسولَ اللَّهِ ﷺ فذكَروا ذلك له فقال : « الْحَقُوا بالإبلِ ، واشْرَبوا مِن أبوالِها وألبانِها » . قال[3] : فذهَبوا فكانوا فيها ما شاء اللَّهُ ، فقتَلوا الراعيَ ، واسْتاقوا الإبلَ ، فجاء الصَّريخُ إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ ، [4]فأرسلَ في طَلَبِهم[4] ، فلم تَرْتَفِعِ الشمسُ حتى أُتِيَ بهم ، فأمَر بمَساميرَ فأُحْمِيَت فكَواهم بها ، وقطَع أيديَهم وأرجلَهم ، وألْقَاهم في الحَرَّةِ يسْتَسْقون فلا يُسْقَون ، حتى ماتوا ولم يَحسِمْهم[5] . وفي روايةٍ عن أنسٍ ، قال[6] : فلقد رأيْتُ أحدَهم يَكْدُمُ[7] الأرضَ بفيه مِن العطَشِ . قال أبو قِلابةَ[8] : فهؤلاء قتَلوا ، وسرَقوا ، وكفَروا بعدَ إيمانِهم ، وحارَبوا اللَّهَ ورسولَه ﷺ .

وقد روَى البيهقيُّ[9] مِن طريقِ عثمانَ بنِ أبي شَيْبةَ ، عن عبدِ الرحمنِ[10]

---

(١) القائف : الذى يتتبع الآثار وغيرها . صحيح مسلم بشرح النووى ١١/ ١٥٧.

(٢) البخارى (٢٣٣، ٣٠١٨، ٦٨٠٤، ٦٨٠٥).

(٣) سقط من : الأصل ، م .

(٤ - ٤) سقط من : الأصل ، م .

(٥) فى م : « يحمهم » . والحسم ، بفتح الحاء وسكون السين المهملتين ، الكىُّ بالنار لقطع الدم . فتح البارى ١٢/ ١١١.

(٦) البخارى (٥٦٨٥) .

(٧) كدم : أحدث فيه أثرًا بعضٍّ ونحوه . الوسيط (ك د م) .

(٨) البخارى (٢٣٣) .

(٩) دلائل النبوة ٤/ ٨٨.

(١٠) كذا بالنسخ ، وفى الدلائل : « عبد الرحيم » .

ابنِ سليمانَ ، عن محمدِ بنِ عُبَيْدِ اللَّهِ ، عن أبى الزُّبيرِ ، عن جابرٍ ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ لَمَّا بعَث فى آثارِهم قال : « اللهمَّ عَمِّ عليهمُ الطريقَ ، واجْعَلْها عليهم أضْيَقَ مِن مَسْكِ[1] جَمَلٍ » . قال : فعمَّى اللَّهُ عليهمُ السبيلَ فأُدْرِكوا ، فأُتِىَ بهم رسولَ اللَّهِ ﷺ ، فقطَع أيديَهم وأرْجلَهم ، [٣/٦٢و] وسَمَل أعينَهم . وفى « صحيحِ مسلمٍ »[2] : إنما سمَلهم ؛ لأنهم سمَلوا أعيُنَ الرِّعاءِ .

---

(١) المسك : الجِلْد . اللسان (م س ك) .

(٢) مسلم (١٦٧١/١٤) .

فصلٌ فيما وقَع مِن الحوادثِ فى هذه السنةِ

أَعْنى سنةَ ستٍّ مِن الهجرةِ ؛ فيها نزَل فرضُ الحَجِّ ، كما قرَّرَه الشافعىُّ[1] ، رحِمه اللَّهُ ، زمنَ الحُدَيْبِيةِ ، فى قولِه تعالى : ﴿ وَأَتِمُّوا۟ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ ﴾ [البقرة: ١٩٦] . ولهذا ذهَب إلى أن الحَجَّ على التَّراخى لا على الفَوْرِ ؛ لأنه صلَّى اللَّهُ عليه وسلَّم لم يَحُجَّ إلّا فى سنةِ عشْرٍ . وخالفه الثلاثةُ ؛ مالكٌ وأبو حنيفةَ وأحمدُ ، فعندَهم أن الحجَّ يَجِبُ على كلِّ مَن استطاعه على الفَوْرِ ، ومنَعوا أن يكونَ الوجوبُ مستفادًا من قولِه تعالى : ﴿ وَأَتِمُّوا۟ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ ﴾ . وإنما فى هذه الآيةِ الأمرُ بالإتمامِ بعدَ الشروعِ فقط ، واستَدَلوا بأدلةٍ قد أوردْنا كثيرًا منها عندَ تفسيرِ هذه الآيةِ مِن كتابِنا « التفسيرِ »[2] ، وللَّهِ الحمدُ والمنةُ ، بما فيه كِفايةٌ .

وفى هذه السنةِ حُرِّمت المسلماتُ على المشركين ؛ تَخْصِيصًا لعمومِ ما وقَع به الصلحُ عامَ الحُدَيْبِيةِ على أنه : لا يأْتِيك منا أحدٌ ، وإن كان على دينِك ، إلّا ردَدْتَه علينا . فنزَل قولُه تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَـٰتُ مُهَـٰجِرَٰتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَـٰنِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَـٰتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ ﴾ الآية [المتحنة: ١٠] .

وفى هذه السنةِ كانت غزوةُ المُرَيْسِيعِ ، التى كانت فيها قضيَّةُ الإفْكِ ، ونزولُ براءةِ أمِّ المؤمنين عائشةَ ، رضِىَ اللَّهُ عنها ، كما تقدَّم[3] .

---

(١) انظر معرفة السنن والآثار ٣/ ٤٩٠، ٤٩١.

(٢) التفسير ١/٣٣٣ - ٣٤١.

(٣) فى صفحة ١٩٢ .

وفيها كانت عمرةُ الحُدَيْبِيةِ، وما كان مِن صَدِّ المشركين لرسولِ اللَّهِ ﷺ، وكيف وقَع الصلحُ بينَهم على وَضْعِ الحربِ عشْرَ سنين، [1]يَأْمَنُ فيهن الناسُ[1] بعضُهم بعضًا، وعلى أنه لا إغْلالَ ولا إسْلالَ، وقد تقدَّم كلُّ ذلك مبسوطًا فى أماكنِه، وللَّه الحمدُ والمنةُ. ووَلِىَ الحَجَّ فى هذه السنةِ المشركون.

قال الواقدىُّ[2]: وفيها فى ذى الحِجَّةِ منها بعَث رسولُ اللَّهِ ﷺ ستةَ نفَرٍ مُصْطَحِبين؛ حاطبَ بنَ أبى بَلْتَعةَ، إلى المُقَوْقِسِ صاحبِ الإسكندريَّةِ، وشُجاعَ ابنَ وهبٍ، [3]من بنى[3] أسَدِ بنِ خُزَيمةَ[4] - شَهِد بدرًا - إلى الحارثِ [٣/ ٦٢ظ] ابنِ أبى شِمْرٍ الغَسَّانىِّ، يعنى ملِكَ عربِ النَّصارَى بالشامِ[5]، ودِحْيَةَ[6] بنَ خَليفةَ الكَلْبىَّ، إلى قَيْصَرَ، وهو هِرَقْلُ ملِكُ الرومِ، وعبدَ اللَّهِ بنَ حُذافةَ السَّهْمِىَّ إلى كِسْرَى ملِكِ الفرسِ، وسَلِيطَ بنَ عمرٍو العامرىَّ إلى هَوْذَةَ بنِ علىٍّ الحَنَفىِّ، وعمرَو بنَ أُميةَ الضَّمْرىَّ، إلى النجاشىِّ ملِكِ النَّصارَى بالحبشةِ، وهو أصْحَمَةُ ابنُ أَبْجَرَ[7].

(١ - ١) فى الأصل، م: «فأمن الناس فيهن».
(٢) أخرجه الطبرى فى تاريخه ٢/ ١٦٤٤، حوادث السنة السادسة، عن الواقدى.
(٣ - ٣) فى النسخ: «بن». وانظر الاستيعاب ٢/ ٧٠٧، وأسد الغابة ٢/ ٥٠٥.
(٤) فى الأصل، م: «جذيمة».
(٥) سقط من: الأصل، م.
(٦) فى الأصل: «رخية»، وفى م: «رضية».
(٧) فى الأصل: «الجزَ»، وفى م: «الحر».

بسم الله الرحمن الرحيم

سنةُ سبعٍ مِن الهجرةِ النبويَّةِ

غزوةُ خَيْبَرَ فى أوَّلِها

قال شعبةُ[(١)]، عن الحكَمِ[(٢)]، عن عبدِ الرحمنِ بنِ أبى لَيْلَى، فى قولِه: ﴿ وَأَثَـٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾ [الفتح: ١٨]. قال: خَيْبَرَ.

وقال مُوسى بنُ عُقْبَةَ[(٣)]: لمَّا رجَع رسولُ اللَّهِ ﷺ مِن الحُدَيْبِيَةِ مكَث بالمدينةِ[(٤)] عشرين يومًا[(٥)]، أو قريبًا مِن ذلك، ثُم خرَج إلى خَيْبَرَ، وهى التى وَعَده اللَّهُ إيَّاها. وحكَى موسى، عن الزهرىِّ، أنَّ افتتاحَ خَيْبَرَ فى سنةِ سِتٍّ[(٦)].

والصحيحُ أن ذلك فى أولِ سنةِ سبعٍ كما قدَّمْنا.

قال ابنُ إسحاقَ[(٧)]: ثُم أقام رسولُ اللَّهِ ﷺ بالمدينةِ، حينَ رجَع مِن الحُدَيْبِيَةِ، ذا الحِجَّةِ وبعضَ المُحَرَّمِ، ثُم خرَج فى بقيَّةِ المُحَرَّمِ إلى خَيْبَرَ.

---

(١) أخرجه الطبرى فى تفسيره ٢٦/ ٨٨، من طريق شعبة، به.

(٢) فى الأصل، م: «الحاكم». وهو الحكم بن عتيبة. انظر تهذيب التهذيب ٢/ ٤٣٤.

(٣) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٤/ ١٩٤، ١٩٥، عن موسى بن عقبة.

(٤) سقط من: الأصل، م.

(٥) فى الدلائل: «ليلة».

(٦) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٤/ ١٩٥، عن موسى، به.

(٧) سيرة ابن هشام ٢/ ٣٢٨.

وقال يونسُ بنُ بُكيرٍ[1] ، عن محمدِ بنِ إسحاقَ ، عن الزهْرِيِّ ، عن عروةَ ، عن مَرْوانَ والمِسْوَرِ ، قالا : انْصَرف رسولُ اللَّهِ ﷺ عامَ الحُدَيْبيةِ ، فنزَلَتْ عليه سورةُ الفَتْحِ بينَ مكةَ والمدينةِ ، فقدِم المدينةَ فى ذى الحِجَّةِ ، فأقام بها حتى سار إلى خَيْبَرَ [2]فى المحرمِ[2] ، فنزَل بالرَّجيعِ ؛ وادٍ بينَ [3]خيبرَ و[3]غَطَفانَ ، فتَخَوَّف أن تُمِدَّهم غَطَفانُ ، فبات[4] حتى أصْبَحَ ، فغَدا إليهم .

قال البيهقىُّ[5] : وبمعناه رَوَاه الواقدىُّ[6] عن شيوخِه ، فى خروجِه فى أوَّلِ سنةِ سبعٍ مِن الهجرةِ .

وقال عبدُ اللَّهِ بنُ إدْريسَ[7] ، عن ابنِ[8] إسحاقَ ، حدَّثنى عبدُ اللَّهِ بنُ أبى بكرٍ قال : كان افتتاحُ خَيْبَرَ فى عَقِبِ[9] المُحَرَّمِ ، وقَدِم النبىُّ ﷺ فى آخرِ صَفَرٍ . قال ابنُ هشامٍ[10] : واسْتَعْمَل على المدينةِ نُمَيْلَةَ بنَ عبدِ اللَّهِ اللَّيْثىَّ .

وقد قال الإمامُ أحمدُ[11] : حدَّثنا عفانُ ، حدَّثنا وُهَيْبٌ ، حدَّثنا خُثَيْمٌ[12] ،

---

(١) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٤/١٩٧، من طريق يونس بن بكير ، به نحوه .
(٢ - ٢) سقط من : الأصل ، م .
(٣ - ٣) بياض فى الأصل . وسقط من : ا ١٥، م .
(٤) سقط من : الأصل ، م .
(٥) دلائل النبوة ٤/١٩٧.
(٦) مغازى الواقدى ٢/٦٣٤ - ٦٣٨.
(٧) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٤/١٩٦، ١٩٧، عن عبد الله بن إدريس ، به .
(٨) سقط من : الأصل ، م .
(٩) فى الأصل ، م : « عقيب » .
(١٠) سيرة ابن هشام ٢/٣٢٨.
(١١) المسند ٢/٣٤٥، ٣٤٦. (إسناده صحيح) .
(١٢) فى الأصل : « خيثم » . وفى م : « حسيم » . وفى المسند : « حشيم » . وانظر تهذيب الكمال ٨/٢٢٨.

يَعْنى ابنَ عِراكٍ ، عن أبيه أنَّ أبا هُريرةَ قَدِم المدينةَ فى رَهْطٍ مِن قومِه والنبىُّ ﷺ بخَيْبَرَ ، وقد اسْتَخْلَف سِباعَ بنَ عُرْفُطَةَ - يَعْنى [٦٣/٣و] الغَطَفانىَّ - على المدينةِ . قال : فانتَهَيْتُ إليه وهو يقْرَأُ فى صلاةِ الصُّبحِ فى الركعةِ الأُولى بـ ﴿ كٓهيعٓصٓ ﴾ [مريم: ١] . وفى الثانيةِ : ﴿ وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ﴾ [المطففين: ١] . فقلتُ فى نفسى : ويلٌ لفلانٍ ، إذا اكْتال اكْتال[(١)] بالوافى ، وإذا كال كال بالناقصِ . قال : فلمَّا صَلَّى زَوَّدَنا[(٢)] شيئًا حتى أتَيْنا خَيْبَرَ ، وقد افتتح النبىُّ ﷺ خَيْبَرَ . قال : فكَلَّم المسلمين ، فأشْرَكونا فى سِهامِهم .

وقد رَواه البَيْهقىُّ[(٣)] ، مِن حديثِ سُليمانَ بنِ حربٍ ، عن وُهَيْبٍ ، عن خُثَيمِ[(٤)] بنِ عِراكٍ ، عن أبيه ، عن نفَرٍ مِن بنى غِفارٍ قالوا : إنَّ أبا هريرةَ قَدِم المدينةَ . فذَكَره .

قال ابنُ إسحاقَ[(٥)] : وكان رسولُ اللَّهِ ﷺ ، حينَ خرَج مِن المدينةِ إلى خَيْبَرَ ، سلَك على عِصْرٍ[(٦)] ، فبُنِىَ له فيها مسجدٌ ، ثُم على الصَّهْباءِ[(٧)] ، ثُم أقْبَل بجيشِه حتى نَزَل به بوادٍ يُقالُ له : الرَّجيعُ . فنزَل بينَهم وبينَ غَطَفانَ ؛ [(٨)] ليَحُولَ بينَهم وبينَ أن يُمِدُّوا أهلَ خَيْبَرَ ، و[(٩)] كانوا لهم مُظاهِرِين على رسولِ اللَّهِ ﷺ ، [(٨)]

---

(١) سقط من: الأصل، م.

(٢) فى الأصل، م: «رددنا». وفى ١٥١: «رودنا». وفى ص: «وزودنا». والمثبت من المسند.

(٣) دلائل النبوة ٤/ ١٩٨، ١٩٩.

(٤) فى الأصل، م «خيثم».

(٥) سيرة ابن هشام ٢/ ٣٣٠.

(٦) عصر: جبل بين المدينة ووادى الفرع. معجم البلدان ٣/ ٦٨٣.

(٧) الصهباء: موضع بينه وبين خيبر رَوْحَة. المصدر السابق ٣/ ٤٣٧.

(٨ - ٨) سقط من: الأصل.

(٩) سقط من: م.

(١فبَلَغنى أنَّ غَطَفانَ١) لمَّا سَمِعوا بذلك جَمَعوا، ثُم خَرَجوا ليُظاهِروا يهودَ عليه، حتى إذا ساروا مَنْقَلةً(٢)، سَمِعوا خَلْفَهم فى أموالِهم وأهليهم حِسًّا، ظَنُّوا أنَّ القومَ قد خالَفوا إليهم، فرجَعوا على أعقابِهم، فأقاموا فى أموالِهم وأهليهم، وخَلَّوْا بينَ رسولِ اللَّهِ ﷺ وبينَ خَيْبرَ.

وقال البخاريُّ(٣): حدَّثنا عبدُ اللَّهِ بنُ مَسْلَمةَ، عن مالكٍ، عن يحيَى بنِ سعيدٍ، عن بُشَيرٍ أنَّ سُوَيْدَ بنَ النُّعمانِ أخْبَرَه أنَّه خرَج مع رسولِ اللَّهِ ﷺ عامَ خَيْبَرَ، حتى إذا كانوا بالصَّهْباءِ، وهى من أدْنى خَيْبرَ، صَلَّى العصرَ، ثُم دَعا بالأزْوادِ، فلم يُؤْتَ إلَّا بالسَّوِيقِ، فأمَر به فثُرِّىَ(٤)، فأكَل وأكَلْنا، ثُم قام إلى المغربِ فمَضْمَض(٥)، ثُم صلى ولم يتَوَضَّأْ.

وقال البخاريُّ(٦): حدَّثنا عبدُ اللَّهِ بنُ مَسْلَمةَ، حدَّثنا حاتمُ بنُ إسماعيلَ، عن يزيدَ بنِ أبى عُبَيْدٍ، عن سَلَمةَ بنِ الأكْوَعِ قال: خرَجْنا مع رسولِ اللَّهِ ﷺ إلى خَيْبَرَ، فسِرْنا ليلًا، فقال رجلٌ مِن القومِ لعامرٍ: يا عامرُ، ألا تُسْمِعُنا مِن هُنَيْهاتِك(٧)؟ وكان عامرٌ رجلًا شاعرًا، فنَزَل يَحْدُو بالقومِ، يقولُ:

لاهُمَّ(٨) لولا أنت ما اهْتدَيْنا ... ولا تَصَدَّقْنا ولا صَلَّيْنا

(١ - ١) سقط من: الأصل.
(٢) المنقلة: المرحلة. انظر شرح غريب السيرة ٣/ ٥١.
(٣) البخارى (٤١٩٥).
(٤) ثرى: بُلَّ بالماء. النهاية ١/ ٢١٠.
(٥) بعده فى صحيح البخارى: «ومضمضنا».
(٦) البخارى (٤١٩٦).
(٧) هنيهاتك: أى من كلماتك. أو من أراجيزك. النهاية ٥/ ٢٧٩.
(٨) فى صحيح البخارى: «اللهم».

فاغفِرْ فِداءً لك ما اتَّقَيْنا[1] وثَبِّتِ الأقدامَ إن لاقَيْنا

وألْقِيَنْ سَكِينةً علينا إنّا إذا صِيحَ بنا أَبيْنا[2]

وبالصِّياحِ عَوَّلوا علينا[3]

فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «مَن هذا السائقُ؟» قالوا: عامرُ بنُ الأكْوَعِ. قال: [٦٣/٣ظ] «يَرْحَمُه اللَّهُ». فقال رجلٌ مِن القومِ: وَجَبَتْ يا نبيَّ اللَّهِ، لولا[4] أمْتَعْتَنا به. فأتَيْنا خَيْبَرَ فحاصَرْناهم[5] حتى أصابَتْنا مَخْمَصَةٌ[6] شَديدةٌ، ثُم إنَّ اللَّهَ فَتَحها عليهم، فلمَّا أمْسَى الناسُ مساءَ اليومِ الذى فُتِحتْ عليهم، أوْقَدوا نِيرانًا كثيرةً، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «ما هذه النِّيرانُ؟ على أىِّ شىءٍ تُوقِدون؟» قالوا: على لحمٍ. قال: «على أىِّ لحمٍ؟» قالوا: لحمُ الحُمُرِ الإنْسِيَّةِ. قال النبىُّ ﷺ: «أهْرِيقُوها واكْسِروها». فقال رجلٌ: يا رسولَ اللَّهِ، أوَ نُهَرِيقُها ونَغْسِلُها؟ فقال: «أوْ ذاك». فلمَّا تَصافَّ الناسُ، كان سيفُ عامرٍ قصيرًا، فتَناوَل به ساقَ يهودىٍّ ليَضْرِبَه، فيَرْجِعُ ذُبابُ سيفِه، فأصاب عَيْنَ رُكْبةِ عامرٍ[7] فمات منه، فلمَّا قَفَلُوا قال سَلَمةُ: رآنى رسولُ اللَّهِ ﷺ وهو آخِذٌ

---

(١) فى الأصل: «بقينا». وفى م، ص: «أبقينا» وهو لفظ بعض رواة البخارى. قال الحافظ: وقد استشكل هذا الكلام؛ لأنه لا يقال فى حق اللَّه، إذ معنى فداء لك: نفديك بأنفسنا. وحذف متعلق الفداء للشهرة، وإنما يتصور الفداء لمن يجوز عليه الفناء. وأُجيب عن ذلك بأنها كلمة لا يُراد بها ظاهرها، بل المراد بها المحبة والتعظيم، مع قطع النظر عن ظاهر اللفظ. فتح البارى ٧/ ٤٦٥.

(٢) أى إذا دُعينا إلى غير الحق امتنعنا. انظر المصدر السابق ٧/ ٤٦٦.

(٣) أى قصدونا بالدعاء بالصوت العالى واستغاثوا علينا. انظر المصدر السابق.

(٤) قال الحافظ: معنى قوله: لولا. أى هلاّ. انظر المصدر السابق.

(٥) فى الأصل، م: «فناصرناهم».

(٦) مخمصة: مجاعة. انظر المصدر السابق.

(٧) عين ركبة عامر: أى طرف ركبته الأعلى. المصدر السابق.

بيدى ، قال : « ما لك ؟ » قلتُ : فِداك أبى وأُمِّى ، زَعَموا أنَّ عامرًا حَبِط عملُه . قال النبىُّ ﷺ : « كَذَب[1] مَن قالَه ، إنَّ له لأَجْرَيْن - وجَمَع بيـنَ إصْبَعَيْه - إنَّه لَجَاهِدٌ مُجاهِدٌ ، قلَّ عربىٌّ مَشَى بها[2] مِثْلَه » .

ورَواه مسلمٌ مِن حديثِ حاتمِ بنِ إسماعيلَ ، وغيرِه ، عن يزيدَ بنِ أبى عُبَيْدٍ ، [3]عن سَلَمةَ ، به نحوَه[4] . ويُروَى[5] : « نَشَأ بها مثلَه » .

قال السُّهَيْلىُّ[6] : ويُروَى : « قَلَّ عربىٌّ مُشابِهًا[3] مِثلَه » . ويكونُ منصوبًا على الحاليَّةِ مِن نكرةٍ ، وهو سائغٌ ؛ إذا دلَّت على تصحيحِ معنًى ، كما جاء فى الحديثِ : « فَصَلَّى وَراءَه رجالٌ[7] قِيامًا »[8] .

وقد روَى ابنُ إسحاقَ[9] قصةَ عامرِ بنِ الأَكْوعِ مِن وجهٍ آخرَ فقال : حدَّثنى محمدُ بنُ إبراهيمَ بنِ الحارثِ التَّيْمىُّ ، عن أبى الهَيْثَمِ بنِ نصرِ بنِ دَهْرٍ الأَسْلَمىِّ أنَّ أباه حدَّثه أنَّه سَمِع رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ فى مَسيرِه إلى خَيْبَرَ لعامرِ بنِ

---

(١) كذب : أى أخطأ . فتح البارى ٧/٤٦٦ .
(٢) مشى بها : الضمير للأرض أو المدينة أو الحرب أو الخصلة . المصدر السابق ٧/ ٤٦٧.
(٣ - ٣) سقط من : م .
(٤) من حديث حاتم بن إسماعيل أخرجه مسلم (١٢٣/١٨٠٢) باب غزوة خيبر ، من كتاب الجهاد والسير . و(٣٣/١٨٠٢) باب تحريم أكل لحم الحمر الإنسية ، من كتاب الصيد والذبائح . ومن حديث غير حاتم أخرجه مسلم (٠٠٠/١٨٠٢) باب تحريم أكل لحم الحمر الأهلية ، من كتاب الصيد والذبائح .
(٥) أخرجه البخارى (٤١٩٦) مختصرا إسناده . وأخرجه موصولا فى (٦١٤٨) .
(٦) فى الأصل : « البيهقى » . الروض الأنف ٦/٥٧٤ بنحوه .
(٧) فى الأصل ، م : « رجل » .
(٨) هذا الحديث الذى ذكره السهيلى ، فى البخارى (٦٨٨، ١١١٣، ١٢٣٦) بلفظ : « وصلى وراءه قومٌ قيامًا » .
(٩) سيرة ابن هشام ٢/ ٣٢٨، ٣٢٩.

الأَكْوعِ ، وهو عمُّ سَلَمةَ بنِ عمرِو بنِ الأَكْوعِ : « انْزِلْ يا بنَ الأكْوعِ ، فخُذْ لنا مِن هَناتِك[1] » . قال : فنزَل يَرْتَجِزُ لرسولِ اللَّهِ ﷺ فقال :

والـلَّهِ لولا اللَّهُ ما اهْتَدَيْنا ... ولا تـصَـدَّقْـنـا ولا صَـلَّـيْنا

إنّـا إذا قـومٌ بَـغَـوا عـلـينا ... وإن أرادوا فِـتـنةً أبَـيْـنا

فـأنْـزِلَـنْ سـكـينةً عـلـينا ... وثـبِّـتِ الأقـدامَ إن لاقَـيْنا

فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « يَرْحَمُك ربُّك » . فقال عمرُ بنُ الخطابِ : وَجَبَتْ[2] يا رسولَ اللَّهِ ، لو أمْتَعْتَنا به . فقُتِل يومَ خَيْبَرَ شهيدًا . ثُم ذكَر صِفةَ قَتْلِه كنحوِ ما ذَكَره البخاريُّ .

قال ابنُ إسحاقَ[3] : وحدَّثنى مَن لا أتَّهِمُ ، عن عطاءِ بنِ أبى مَرْوانَ الأسْلمىِّ ، عن أبيه ، عن أبى مُعَتِّبِ [٣/ ٦٤و] بنِ عمرٍو أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ لمَّا أشْرَف على خَيْبَرَ قال لأصحابِه وأنا فيهم : « قِفوا » . ثُم قال : « اللَّهُمَّ ربَّ السمواتِ وما أظْلَلْنَ ، وربَّ الأرَضِينَ وما أقْلَلْنَ ، وربَّ الشَّياطِينِ وما أضْلَلْنَ ، وربَّ الرِّياحِ وما أذْرَيْن ، فإنّا نَسْألُك خيرَ هذه القريةِ ، وخيرَ أهلِها ، وخيرَ ما فيها ، ونعوذُ بك مِن شرِّها ، وشرِّ أهلِها ، وشرِّ ما فيها ، أقْدِموا بسمِ اللَّهِ » . وهذا حديثٌ غريبٌ جدًّا مِن هذا الوجهِ .

---

(١) هناتك : هى بمعنى « هنيهاتك » المتقدمة فى حديث البخارى . انظر النهاية ٥/ ٢٧٩.

(٢) بعده فى السيرة : « واللَّه » .

(٣) سيرة ابن هشام ٢/ ٣٢٩. وأخرجه من طريق ابن إسحاق به النسائى فى الكبرى (١٠٣٨١) ، وقال ابن عبد البر فى الاستيعاب ٤/ ١٧٥٩: إسناده ليس بالقائم .

وقد رَواه الحافظ البيهقىُّ[(١)]، عن الحاكمِ، عن الأَصَمِّ، عن العُطارِدىِّ، عن يونسَ بنِ بُكَيْرٍ، عن إبراهيمَ بنِ إسماعيلَ بنِ مُجَمِّعٍ، عن صالحِ بنِ كَيْسانَ، عن أبى مَرْوانَ الأسْلَمىِّ، عن أبيه، عن جَدِّه قال: خرَجْنا مع رسولِ اللَّهِ ﷺ إلى خَيْبرَ، حتى إذا كُنّا قريبًا وأشْرَفْنا عليها، قال رسولُ اللَّهِ ﷺ للناس: «قِفوا». فوَقَف الناسُ، فقال: «اللهم ربَّ السمواتِ السبعِ وما أظْلَلْن، وربَّ الأَرَضِينَ السبعِ وما أقْلَلْن، وربَّ الشياطينِ وما أضْلَلْن، فإنّا نَسأَلُك خيرَ هذه القريةِ، وخيرَ أهلِها، وخيرَ ما فيها، ونعوذُ بك مِن شرِّ هذه القريةِ، وشرِّ أهلِها، وشرِّ ما فيها، أقْدِموا بسمِ اللَّهِ [(٢)]الرحمنِ الرحيمِ[(٢)]».

قال ابنُ إسحاقَ[(٣)]: وحدَّثنى مَن لا أتَّهِمُ، عن أنسِ بنِ مالكٍ قال: كان رسولُ اللَّهِ ﷺ إذا غَزا قومًا لم يُغِرْ عليهم حتى يُصْبِحَ، فإن سمِع أذانًا أمْسَك، وإن لم يَسْمَعْ أذانًا أغار، فنزَلْنا خَيْبرَ ليلًا، فبات رسولُ اللَّهِ ﷺ حتى إذا[(٤)] أصْبَحَ لم يَسْمَعْ أذانًا، فرَكِب ورَكِبْنا معه، ورَكِبْتُ خلفَ أبى طَلْحةَ، وإنَّ قَدَمى لَتَمَسُّ قدمَ رسولِ اللَّهِ ﷺ، واسْتَقْبَلَنا عمالُ خَيْبرَ غادِين، قد خرَجوا بمَساحِيهم ومَكاتِلِهم[(٥)]، فلمَّا رَأَوْا رسولَ اللَّهِ ﷺ والجيشَ، قالوا: محمدٌ

---

(١) دلائل النبوة ٤/ ٢٠٣، ٢٠٤. وأخرجه البخارى فى التاريخ الكبير ٦/٤٧٢، من طريق يونس بن بكير به، وقال عقبه: ولا يصح هذا.

(٢ - ٢) زيادة فى النسخ. وليست فى الدلائل.

(٣) سيرة ابن هشام ٢/ ٣٢٩، ٣٣٠.

(٤) سقط من النسخ، والمثبت من السيرة.

(٥) المساحى: جمع مِسْحاة، وهى المِجْرَفة من الحديد. والمكاتل: جمع مِكْتل، وهى قفة كبيرة، ويقال لها: الزِّنْبيل. انظر اللسان (س ح و)، وشرح غريب السيرة ٣/ ٥١.

والخَمِيسُ[1] معه . فأدْبَروا هُرَّابًا ، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « اللَّهُ أكبرُ ، خَرِبَتْ خَيْبرُ ، إنّا إذا نَزَلْنا بساحةِ قومٍ فساءَ صباحُ المُنْذَرِين » . قال ابنُ إسحاقَ[2] : حدَّثنا هارونُ ، عن حُمَيْدٍ ، عن أنسٍ ، بمثلِه[3] .

وقال البخاريُّ[4] : حدَّثنا عبدُ اللَّهِ بنُ يوسفَ ، حدَّثنا مالكٌ ، عن حُمَيْدٍ الطويلِ ، عن أنسِ بنِ مالكٍ ، أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ أتَى خَيْبرَ ليلًا ، وكان إذا أتى قومًا بليلٍ لم يَقْرَبْهم[5] حتى يُصْبحَ ، فلمَّا أصْبَح خَرَجتِ اليهودُ بمَساحِيهم ومَكاتِلِهم ، فلمَّا رَأَوْه قالوا : محمدٌ واللَّهِ ، محمدٌ والخَمِيسُ . فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « خَرِبَتْ خَيْبرُ ، إنَّا إذا نَزَلْنا بساحةِ قومٍ فساءَ صباحُ المُنْذَرِين » . تفرَّد به دونَ مسلمٍ .

[٣/ ٦٤ظ] وقال البخاريُّ[6] : حدَّثنا صَدَقَةُ بنُ الفَضْلِ ، حدَّثنا ابنُ[7] عُيَيْنَةَ ، حدَّثنا أيوبُ ، عن محمدِ بنِ سِيرِينَ ، عن أنسِ بنِ مالكٍ قال : صبَّحْنا خَيْبرَ بُكْرةً ، فخرَج أهلُها بالمَساحى ، فلمَّا بَصُروا بالنبيِّ ﷺ قالوا : محمدٌ

---

(١) الخميس : الجيش ؛ لأنه ينقسم على خمسة أقسام : مقدمة وساقة وجناحان - وهما الميمنة والميسرة - والقلب . شرح غريب السيرة ٣/ ٥١.

(٢) سيرة ابن هشام ٢/ ٣٣٠.

(٣) بعده فى ص : « فائدة : قال السهيلى : فيه إباحة التفاؤل ؛ لأنه لما رأى بأيديهم المساحى والمكاتل ، وهى من آلات الهدم والحفر ، قال ذلك . قال : والعرب تسمى الجيش الكثيف خميسًا ؛ لأن له ساقة ومقدمة وجناحين وقلبًا . قال : وليس من تخميس الغنيمة ؛ لأن هذا حكم شرعى » .

(٤) البخارى (٤١٩٧) . كما أخرجه البخارى (٩٤٧) من طريق إبراهيم بن صهيب وثابت كلاهما عن أنس بنحوه .

(٥) فى م : « يُغِر بهم » . وهو لفظ أكثر رواة صحيح البخارى . انظر الفتح ٧/ ٤٦٨.

(٦) البخارى (٤١٩٨) .

(٧) فى الأصل ، م : « أبو » .

واللَّهِ ، محمدٌ والخَمِيسُ . فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « اللَّهُ أكبرُ ، خَرِبَتْ خَيْبرُ ، إنَّا إذا نَزَلْنا بساحةِ قومٍ فساءَ صباحُ المُنْذَرِين » . قال : فأَصَبْنا مِن لحومِ الحُمُرِ ، فنادَى مُنادِى النبىِّ ﷺ : إنَّ اللَّهَ ورسولَه يَنْهَيانِكم عن لحومِ الحُمُرِ ؛ فإنها رِجْسٌ . تفرَّد به البخارىُّ دونَ مسلمٍ .

وقال الإمامُ أحمدُ[1] : حدَّثنا عبدُ الرزاقِ ، حدَّثنا مَعْمَرٌ ، عن قَتادةَ ، عن أنسٍ قال : لمَّا أتَى النبىُّ ﷺ خَيْبَرَ ، فوَجَدَهم حينَ خرَجوا إلى زَرْعِهم [2] ومعهم مَساحيهم [2] ، فلمَّا رَأَوْه ومعه الجيشُ ، نَكَصوا فرَجَعوا إلى حِصْنِهم ، فقال النبىُّ ﷺ : « اللَّهُ أكْبرُ ، خَرِبَتْ خَيْبرُ ، إنَّا إذا نزَلْنا بساحةِ قومٍ فساءَ صباحُ المُنْذَرين » . تفرَّد به أحمدُ ، وهو على شرطِ « الصحيحَيْن » .

وقال البخارىُّ[3] : حدَّثنا سليمانُ بنُ حربٍ ، حدَّثنا حَمَّادُ بنُ زيدٍ ، عن ثابتٍ ، عن أنسِ بنِ مالكٍ قال : [4] صَلَّى النبىُّ [4] ﷺ الصُّبْحَ قريبًا مِن خَيْبرَ بغَلَسٍ ، ثُم قال : « اللَّهُ أكبرُ خَرِبت خَيْبرُ ، إنَّا إذا نزَلْنا بساحةِ قومٍ فساءَ صَباحُ المُنْذَرِين » . فخرَجوا يَسْعَون فى السِّكَكِ ، فقتَل النبىُّ ﷺ المُقاتِلَةَ ، وسَبَى الذُّرِّيَّةَ ، وكان فى السَّبْيِ صَفِيةُ ، فصارتْ إلى دِحْيَةَ الكَلْبىِّ ، ثُم صارت إلى النبىِّ ﷺ ، فجَعَل عِتْقَها صَداقَها . قال عبدُ العزيزِ بنُ صُهَيْبٍ لثابتٍ : يا أبا محمدٍ ، آأنت قُلتَ لأنسٍ : ما أصْدَقَها ؟ فحرَّك ثابتٌ رأسَه تَصْديقًا له . تفرَّد به دونَ مسلمٍ . وقد أوْرَد البخارىُّ ومسلمٌ النَّهْىَ عن لُحومِ الحُمُرِ الأَهْلِيَّةِ مِن

(١) المسند ٣/ ١٦٤.

(٢ - ٢) فى الأصل، م: « ومساحيهم ».

(٣) البخارى (٤٢٠٠).

(٤ - ٤) سقط من: الأصل، م.

طُرُقٍ[1] تُذْكَرُ فى كتابِ «الأَحْكامِ».

وقد قال الحافظُ البيهقىُّ[2]: أنبأَنا أبو طاهرٍ الفقيهُ، أنبأنا حاجبُ[3] بنُ أحمدَ الطُّوسِىُّ، حدَّثنا محمدُ بنُ حمادٍ[4] الأَبِيوَرْدِىُّ، حدَّثنا محمدُ بنُ الفُضيلِ[5]، عن مسلمٍ الأعْورِ المُلَائىِّ، عن أنسِ بنِ مالكٍ قال: كان رسولُ اللَّهِ ﷺ يَعُودُ المريضَ، ويَتْبَعُ الجَنائزَ، ويُجيبُ دَعْوةَ المَمْلوكِ، ويَرْكَبُ الحِمارَ، وكان يومَ[6] قُرَيْظَةَ، والنَّضِيرِ على حمارٍ، ويومَ خَيْبَرَ على حمارٍ مَخْطومٍ بِرَسَنٍ لِيفٍ، وتحتَه إكافٌ مِن لِيفٍ[7]. وقد روَى هذا الحديثَ بتمامِه الترمذىُّ، [٣/ ٦٥و] عن علىِّ بنِ حُجْرٍ، عن علىِّ بنُ مُشْهِرٍ، وابنُ ماجه، عن محمدِ بنِ الصَّبَّاحِ، عن سفيانَ، وعن عمرٍو[8] بنِ رافعٍ، عن جريرٍ، كلُّهم عن مسلمٍ، وهو ابنُ كَيْسانَ المُلَائىُّ الأعْورُ الكُوفىُّ، عن أنسٍ، به[9]. وقال الترمذىُّ: لا

---

(١) منها ما أخرجه البخارى (٣١٥٥)، ومسلم (١٩٣٧/٢٦). كلاهما من حديث ابن أبى أوفى، والبخارى (٤٢١٥)، ومسلم (٥٦١/٢٤) باب تحريم أكل لحم الحمر الإنسية. من كتاب الصيد والذبائح. كلاهما من حديث ابن عمر. والبخارى (٤٢١٦)، ومسلم (١٤٠٧/٢٢) الكتاب والباب السابقان. كلاهما من حديث على.

(٢) دلائل النبوة ٢٠٤/٤ بنحوه.

(٣) فى النسخ: «خطاب». والمثبت من الدلائل. وانظر الأنساب ٤/ ٨١.

(٤) فى الأصل: «حمير»، وفى ١٥ا مطموسة، وفى م: «حميد». وانظر تهذيب الكمال ٢٥/ ٩٢.

(٥) فى النسخ: «الفضل». والمثبت من الدلائل. وانظر المصدر السابق ٢٦/ ٢٩٣.

(٦) بعده فى م: «بنى».

(٧) مخطوم: أى له خطام، وهو الزِّمام. والرسن: الحبل. والإكاف: شِبْه الرِّحال والأقتاب. انظر اللسان (خ ط م)، (ر س ن)، (أ ك ف).

(٨) فى م: «عمر». وانظر تهذيب الكمال ٢٢/ ١٩.

(٩) الترمذى (١٠١٧)، وابن ماجه (٢٢٩٦، ٤١٧٨). ضعيف (ضعيف سنن ابن ماجه ٥٠٣، ٩١٥).

نَعْرِفُه إلَّا مِن حديثِه ، وهو يُضَعَّفُ .

قلتُ : والذى ثبَت فى « الصحيحِ » عندَ البخاريِّ عن أنسٍ[1] ، أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ أجْرَى فى زُقاقِ[2] خَيْبرَ ، حتى انْحَسَرَ الإزارُ عن فَخِذِه . فالظاهرُ أنَّه كان يومَئذٍ على فرسٍ ، لا على حمارٍ . ولعلَّ هذا الحديثَ[3] - إن كان صحيحًا - محمولٌ على أنَّه رَكِبه فى بعضِ الأيَّامِ وهو مُحاصِرُها . واللَّهُ أعلمُ .

وقال البخاريُّ[4] : حدَّثنا محمدُ بنُ سعيدٍ الخُزاعيُّ ، حدَّثنا زِيادُ بنُ الربيعِ ، عن أبى عِمرانَ الجَوْنيِّ قال : نظَر أنسٌ إلى الناسِ يومَ الجمُعةِ ، فرأَى طَيالِسةً ، فقال : كأنَّهم الساعةَ يهودُ خَيْبَرَ[5] .

---

(١) البخارى (٣٧١) . وعنده : « حسَر » بدلا من « انحسر » . قال الحافظ تعليقًا على هذه اللفظة : هكذا وقع فى رواية البخارى ، والصواب أنه عنده بفتح المهملتين ، ويدل على ذلك تعليقه الماضى فى أوائل الباب حيث قال : « وقال أنس : حسَر النبى ﷺ » . وضبطه بعضهم بضم أوله وكسر ثانيه على البناء للمفعول ، بدليل رواية مسلم « فانحسر » ، وليس ذلك بمستقيم ، إذ لا يلزم من وقوعه كذلك فى رواية مسلم ، أن لا يقع عند البخارى على خلافه ، ويكفى فى كونه عند البخارى بفتحتين ما تقدم من التعليق . وقد وافق مسلمًا على روايته بلفظ « فانحسر » أحمدُ بن حنبل عن ابن علية ، وكذا رواه الطبرانى عن يعقوب شيخ البخارى ، ورواه الإسماعيلى عن القاسم بن زكريا عن يعقوب المذكور .

قلت : لفظ مسلم « فانحسر » الذى ذكره المصنف وابن حجر فى الفتح ، عند مسلم (١٣٦٥/٨٤) باب فضيلة إعتاقه أمة ثم يتزوجها ، من كتاب النكاح . و(١٣٦٥/١٢٠) باب غزوة خيبر ، من كتاب الجهاد والسير . انظر فتح البارى ١/ ٤٨٠.

(٢) فى م : « رفاق » .

(٣) أى حديث الترمذى وابن ماجه .

(٤) البخارى (٤٢٠٨) .

(٥) الطيالسة : جمع طيلسان ، وهو ضرب من الأوشحة يلبس على الكتف . انظر الوسيط (ط ل س) .

قال الحافظ : والذى يظهر أن يهود خيبر كانوا يُكثرون من لبس الطيالسة ، وكان غيرهم من الناس الذين شاهدهم أنس لا يكثرون منها ، فلما قدم البصرة رآهم يكثرون من لبس الطيالسة فشبَّههم بيهود خيبر ، ولا يلزم من هذا كراهية لبس الطيالسة ، وقيل : المراد بالطيالسة الأكسية ، وإنما أنكر ألوانها ؛ لأنها كانت صفراء . فتح البارى ٧/ ٤٧٦.

وقال البخاريُّ[1] : حدَّثنا عبدُ اللَّهِ بنُ مَسْلَمَةَ ، حدَّثنا حاتمٌ ، عن يَزيدَ بنِ أبى عُبَيدٍ ، عن سَلَمةَ بنِ الأكْوعِ قال : كان علىٌّ بنُ أبى طالبٍ تَخَلَّف عن رسولِ اللَّهِ ﷺ فى خَيْبَرَ ، وكان رَمِدًا فقال : أنا أتَخَلَّفُ عن النبىِّ ﷺ ؟! فلَحِق به ، فلمَّا بِتْنا الليلةَ التى فُتِحت خَيْبرُ قال : « لأُعْطِيَنَّ الرايةَ غدًا - أو : ليَأْخُذَنَّ الرايةَ غدًا - رجلٌ يُحِبُّه اللَّهُ ورسولُه ، يُفْتَحُ عليه » . فنحنُ نَرْجُوها . فقيل : هذا علىٌّ . فأعْطاه ، ففُتِح عليه . ورَواه[2] البخاريُّ أيضًا ومسلمٌ ، عن قُتَيْبَةَ ، عن حاتمٍ ، به[3] .

ثُم قال البخاريُّ[4] : حدَّثنا قُتَيْبةُ ، حدَّثنا يعقوبُ بنُ عبدِ الرحمنِ ، عن أبى حازمٍ قال : أخْبَرَنى سهلُ بنُ سعدٍ ، أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال يومَ خَيْبَرَ : « لأُعْطِيَنَّ هذه الرايةَ غدًا رجلًا يَفْتَحُ اللَّهُ على يديْه ، يُحِبُّ اللَّهَ ورسولَه ، ويُحِبُّه اللَّهُ ورسولُه » . قال : فبات الناسُ يَدُوكُون ليلتَهم[5] ؛ أيُّهم يُعْطاها ؟ فلمَّا أصْبَح الناسُ غَدَوْا على النبىِّ ﷺ ، كلُّهم يَرْجُو أن يُعْطاها ، فقال : « أين علىُّ بنُ أبى طالبٍ ؟ » فقالوا : هو يا رسولَ اللَّهِ ، يَشْتكى عينيْه . قال : فأَرْسَلوا[6] إليه ، فأُتِىَ به[7] ، فبَصَق رسولُ اللَّهِ ﷺ فى عينيْه ودَعا له ، فبَرَأ حتى كأنْ لم يَكُنْ به وَجَعٌ ، فأعْطاه الرايةَ ، فقال علىٌّ : يا رسولَ اللَّهِ ، أُقاتِلُهم حتى يكونوا مِثْلَنا ؟

---

(١) البخارى (٤٢٠٩) .

(٢) فى م : « وروى » .

(٣) البخارى (٢٩٧٥، ٣٧٠٢) . ومسلم (٢٤٠٧) .

(٤) البخارى (٤٢١٠) .

(٥) يدوكون ليلتهم : أى باتوا فى اختلاط واختلاف ، والدوكة : الاختلاط . انظر الفتح ٧/ ٤٧٧ .

(٦) فى م ، ص : « فأرسل » .

(٧) سقط من : م .

فقال ﷺ: «انْفُذْ على رِسْلِك حتى تنزِلَ بساحتِهم، ثُم ادْعُهم إلى الإسلامِ، وأخْبِرْهم بما يجِبُ عليهم مِن حقِّ اللَّهِ تعالى فيه، فواللَّهِ لأَن يَهْدىَ اللَّهُ بك رجلًا واحدًا، خيرٌ لك [٣/٦٥ظ] مِن أن يكونَ لك حُمْرُ النَّعَمِ». وقد رَواه مسلمٌ والنَّسائىُّ جميعًا، عن قُتَيْبَةَ، به[(١)].

وفى «صحيحِ مسلمٍ» والبيهقىِّ[(٢)] مِن حديثِ سُهَيْلِ بنِ أبى صالحٍ، عن أبيه، عن أبى هُرَيْرَةَ قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «لَأُعْطِيَنَّ الرايةَ غدًا رجلًا يُحِبُّ اللَّهَ ورسولَه، ويُحِبُّه اللَّهُ ورسولُه، يَفْتَحُ اللَّهُ عليه». قال عمرُ: فما أحبَبْتُ الإمارةَ قَطُّ[(٣)] إلّا يومَئذٍ. فدَعا عليًّا فَبَعَثه، ثُم قال: «اذهَبْ فقاتِلْ حتى يَفْتَحَ اللَّهُ عليك، ولا تلْتَفِتْ». قال علىٌّ: على ما أُقاتِلُ الناسَ؟ قال: «قاتِلْهم حتى يَشْهَدوا أن لا إلهَ إلا اللَّهُ وأنَّ محمدًا عبدُه ورسولُه، فإذا فعَلوا ذلك فقد منَعوا منك[(٤)] دماءَهم وأموالَهم، إلّا بحقِّها، وحسابُهم على اللَّهِ»[(٥)]. لفظُ البَيْهَقىِّ[(٦)].

وقال الإمامُ أحمدُ[(٧)]: حدَّثنا مُصْعَبُ بنُ المِقْدامِ، وحُجَيْنُ[(٨)] بنُ المُثَنَّى

---

(١) مسلم (٢٤٠٦). والنسائى فى الكبرى (٨١٤٩، ٨٥٨٧).

(٢) مسلم (٢٤٠٥). ودلائل النبوة ٤/ ٢٠٦.

(٣) سقط من: م.

(٤) فى م، ص: «منا».

(٥) بعده فى م: «هـ».

(٦) فى الأصل، م: «البخارى». وهو خطأ.

(٧) المسند ٣/ ١٦. وقال الهيثمى فى المجمع ٦/ ١٥١: رواه أحمد ورجاله ثقات. وقال فى ٩/ ١٢٤: رواه أبو يعلى ورجاله رجال الصحيح غير عبد اللَّه بن عصمة وهو ثقة يخطئ.

(٨) فى م: «وجحش». وانظر تهذيب الكمال ٥/ ٤٨٣.

قالا : حدَّثنا إسْرائيلُ ، حدَّثنا عبدُ اللَّهِ بنُ عِصْمةَ العِجْلِىُّ ، سمِعْتُ أبا سعيدٍ الخُدْرىَّ ، رَضِىَ اللَّهُ عنه ، يقولُ : إنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ أخَذ الرايةَ فهزَّها ، ثُم قال : « مَن يأْخُذُها بحقِّها ؟ » فجاء فلانٌ فقال : أنا . قال : « أمِطْ[1] » . ثُم جاء رجلٌ[2] ، فقال : « أمِطْ » . ثُم قال النبىُّ ﷺ : « والذى كَرَّم وجهَ محمدٍ ، لَأُعْطِيَنَّها رجلًا لا يَفِرُّ[3] ، هاكَ[4] يا علىُّ » . فانْطَلَق حتى فتَح اللَّهُ عليه خَيْبَرَ وفَدَكَ ، وجاء (٥) بعَجْوَتِهما ، وقَدِيدِهما(٥) . تفرَّد به أحمدُ ، وإسنادُه لا بأْسَ به ، وفيه غرابةٌ . وعبدُ اللَّهِ بنُ عِصْمةَ - ويقالُ : ابنُ عُصَمَ[6] - هذا[7] يُكَنَّى بأبى عَلْوانَ العِجْلىِّ ، وأصلُه مِن اليَمامةِ ، سكَن الكوفةَ ، وقد وثَّقَه ابنُ مَعِينٍ ، وقال أبو زُرْعةَ : لا بأْسَ به . وقال أبو حاتمٍ : شيخٌ . وذَكَره ابنُ حِبانَ فى « الثِّقاتِ » ، وقال : يُخْطِئُ كثيرًا . وذكَره فى « الضُّعفاءِ » ، وقال : يُحَدِّثُ عن الأَثْباتِ ممَّا لا يُشْبِهُ حديثَ الثِّقاتِ ، حتى يَسْبِقَ إلى القلبِ أنَّها مَوْهومةٌ أو مَوْضوعةٌ[8] .

وقال يونسُ بنُ بُكَيْرٍ[9] ، عن محمدِ بنِ إسحاقَ : حدَّثنى بُرَيْدةُ بنُ سفيانَ

---

(١) هنا وفيما يأتى ، فى الأصل ، ا ١٥، م : « امض » . وهو لفظ رواية أبى يعلى كما فى مجمع الزوائد . وأمط : أى تَنَحَّ واذهَبْ . النهاية ٤/ ٣٨١.

(٢) بعده فى م : « آخر » .

(٣) بعده فى الأصل ، م : « فقال » .

(٤) سقط من : الأصل . وها : اسم فعل أمر بمعنى : خُذ . والكاف للخطاب .

(٥ - ٥) سقط من : الأصل . وفى ١٥١، م ، ص : « بعجوتها وقديدها » . وهو لفظ رواية أبى يعلى . والمثبت من المسند .

(٦) فى ١٥١: « عم » . وفى م : « أعصم » . وانظر تهذيب الكمال ١٥/ ٣٠٥.

(٧) فى م : « وهكذا » . وفى ص : « هكذا » .

(٨) انظر هذه الأقوال فى : الجرح والتعديل ٥/ ١٢٦، وثقات ابن حبان ٥/ ٥٧، وكتاب المجروحين له ٢/ ٥، تهذيب الكمال ٥/ ٣٠٦.

(٩) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٤/ ٢٠٩، ٢١٠ ، من طريق يونس بن بكير به نحوه .

ابنِ فَرْوَةَ الأسْلميُّ ، عن أبيه ، عن سَلَمةَ بنِ عمرِو بنِ الأكْوعِ ، رَضِى اللَّهُ عنه ، قال : بعَث النبىُّ ﷺ أبا بكرٍ ، رَضِىَ اللَّهُ عنه ، إلى بعضِ حُصونِ خَيْبرَ ، فقاتَل ثُم رجَع ، ولم يَكُنْ فتْحٌ ، وقد جَهِد ، ثُم بَعَث[1] عمرَ ، رضى اللَّهُ عنه ، فقاتَل ثُم رجَع ، ولم يَكُنْ فتْحٌ ، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « لَأُعْطِيَنَّ الرايةَ غدًا رجلًا يُحِبُّه اللَّهُ ورسولُه ، ويُحِبُّ اللَّهَ ورسولَه ، يَفْتَحُ اللَّهُ على يديه ، [2]ليس بفَرَّارٍ » . قال سَلَمةُ : فدَعا رسولُ اللَّهِ ﷺ عليَّ بنَ أبى طالبٍ ، رَضِى اللَّهُ عنه ، وهو يومَئذٍ أرْمَدُ ، فتَفَل فى عينيْه[3] ، ثُم قال : « خُذِ الرايةَ وامْضِ [٣/٦٦و] بها ، حتى يَفْتَحَ اللَّهُ عليك »[2] . فخرَج بها واللَّهِ يَأْنِحُ[4] ، يُهَرْوِلُ هَرْوَلةً ، وإنّا لَخلفَه نَتَّبِعُ أثَرَه ، حتى رَكَز رايتَه فى رَضْمٍ[5] مِن حجارةٍ تحتَ الحِصْنِ ، فاطَّلَع يهودىٌّ مِن رأسِ الحِصْنِ فقال : مَن أنت ؟ قال : أنا علىُّ بنُ أبى طالبٍ . فقال اليهودىُّ : عَلَيْتُم[6] وما أُنزِل على موسى . فما رجَع حتى فتَح اللَّهُ على يديْه .

وقال البَيْهَقىُّ[7] : أنبأَنا الحاكمُ ، أنبأَنا الأصَمُّ ، أنبأَنا العُطارِدىُّ ، عن يونُسَ ابنِ بُكَيْرٍ ، عن الحُسَيْنِ[8] بنِ واقدٍ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ بُرَيْدَةَ ، أخبرَنى أبى قال : لمَّا

---

(١) بعده فى الدلائل : « الغد » .
(٢ - ٢) سقط من : ص .
(٣) فى الدلائل : « عينه » .
(٤) فى الأصل : « يقول » . وفى ١٥١ : « يأج يقول » . وفى ص : « يأج » . وفى م : « يصول » . والمثبت من الدلائل . ويأنح : أى يحملها مثقلًا بها . انظر النهاية ١/ ٧٤ . وقد ذكره ابن الأثير فى النهاية ٢٥/١ بلفظ « يَؤُجُّ » فى هذا الحديث ، وقال : الأجُّ : الإسراعُ والهرولة .
(٥) الرضم : هو الكُذْس من الحجارة يُجعل بعضها على بعض . انظر شرح غريب السيرة ٣/ ٦٦، والنهاية ٢/ ٢٣١.
(٦) فى ١٥١، م، ص : « غلبتم » .
(٧) دلائل النبوة ٤/ ٢١٠ بنحوه . وأخرجه أيضًا فى السنن الكبرى ١٣٢/٩ ، من طريق الحسين بن واقد به .
(٨) فى الأصل : « الحسن » . وانظر تهذيب الكمال ٦/ ٤٩١.

كان يومُ خَيْبرَ، أخَذ اللواءَ أبو بكرٍ، فرجَع ولم يُفْتَحْ له[1]، وقُتِل محمودُ بنُ مَسْلَمةَ، فرَجَع الناسُ، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «لأَدْفَعَنَّ لوائى غدًا إلى رجلٍ يُحِبُّ اللَّهَ ورسولَه، ويُحِبُّه اللَّهُ ورسولُه، لن يَرْجِعَ حتى يُفْتَحَ له». فبِتْنا طَيِّبةً نفوسُنا أنَّ الفتحَ غدًا، فصلَّى رسولُ اللَّهِ ﷺ صلاةَ الغَداةِ، ثُم دعا باللِّواءِ وقام قائمًا، فما مِنّا مِن رجلٍ له مَنْزِلةٌ مِن رسولِ اللَّهِ ﷺ إلّا وهو يَرْجُو أن يكونَ ذلك الرجلَ، حتى تَطاوَلْتُ أنا لها، ورفَعْتُ رأسى؛ لمَنْزِلةٍ كانت لى منه، فدَعا علىَّ بنَ أبى طالبٍ، وهو يَشْتكى عينيْه[2]. قال: فمَسَحَها[3]، ثُم دفَع إليه اللِّواءَ ففُتِح له. فسمِعْتُ عبدَ اللَّهِ بنَ بُرَيْدةَ يقولُ: حدَّثنى أبى أنَّه كان صاحبَ مَرْحَبٍ. قال يونُسُ[4]: قال ابنُ إسحاقَ: كان أولُ حُصونِ خَيْبرَ فتحًا حصنَ ناعِمٍ، وعندَه قُتِل محمودُ بنُ مَسْلَمةَ، أُلْقِيَت عليه رَحًى منه فقَتَلَتْه.

ثُم روَى البَيْهَقِىُّ[5]، عن يُونُسَ بنِ بُكَيْرٍ، عن المُسَيَّبِ بنِ مَسلَمةَ[6] الأزْدىِّ، حدَّثنا عبدُ اللَّهِ بنُ بُرَيْدةَ، عن أبيه قال: كان رسولُ اللَّهِ ﷺ رُبما أخَذَتْه الشَّقِيقةُ[7]، فيَلْبَثُ[8] اليومَ واليومين لا يَخْرُجُ، فلمَّا نزَل خَيْبرَ أخَذَتْه الشَّقِيقةُ، فلم يَخْرُجْ إلى الناسِ، وإنَّ أبا بكرٍ أخَذ رايةَ رسولِ اللَّهِ ﷺ، ثُم

---

(١) بعده فى الدلائل: «فلما كان الغد أخذه عمر فرجع ولم يفتح له».

(٢) فى الدلائل: «عينه».

(٣) كذا فى النسخ والدلائل. وفى السنن الكبرى: «فمسحهما» وهو أنسب للسياق.

(٤) دلائل النبوة ٤/ ٢١٠.

(٥) دلائل النبوة ٤/ ٢١٠ - ٢١٢ بنحوه. وأخرجه الطبرى فى تاريخه ٣/ ١٢، ١٣ حوادث السنة السابعة، من طريق يونس به.

(٦) فى الدلائل: «مسلم».

(٧) الشقيقة: ألم ينتشر فى نصف الرأس والوجه. الوسيط (ش ق ق).

(٨) فى الأصل، م، ص: «فلبث».

نَهَض فقاتل قِتالًا شديدًا ثُم رجَع ، فأخَذها عمرُ فقاتَل قِتالًا شديدًا هو أشدُّ مِن القِتالِ الأوَّلِ ، ثُم رجَع ، فأُخبِر بذلك رسولُ اللَّهِ ﷺ فقال : « لَأُعْطِيَنَّها غدًا رجلًا[1] يُحِبُّ اللَّهَ ورسولَه ، ويُحِبُّه اللَّهُ ورسولُه ، يأخُذُها عَنْوةً » . وليس ثَمَّ عليٌّ ، فتَطاوَلَتْ لها قريشٌ ، ورَجا كلُّ رجلٍ منهم أن يكونَ صاحبَ ذلك ، فأصْبَح[2] ، وجاء عليُّ بنُ أبي طالبٍ على بعيرٍ له حتى أناخ قريبًا ، وهو أرْمَدُ قد عَصَب عينَه بشُقَّةِ بُرْدٍ قِطْرِيٍّ[3] ، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : [٣/ ٦٦ظ] « ما لك ؟ » قال : رَمِدْتُ بعدَك . قال : « ادْنُ منِّي » . فتَفَل في عينِه ، فما وَجِعها حتى مضَى لسبيلِه ، ثُم أعْطاه الرايةَ فنَهَض بها ، وعليه جُبَّةُ أُرْجُوانَ حمراءُ ، قد أُخْرِج خَمْلُها[4] ، فأتَى مدينةَ خَيْبَرَ ، وخرَج[5] مَرْحَبٌ صاحبُ الحِصْنِ وعليه مِغْفَرٌ[6] يَمانيٌّ ، وحجَرٌ قد ثَقَبه[7] مثلَ البَيْضةِ على رأسِه ، وهو يَرْتَجِزُ ويقولُ :

قد عَلِمَتْ خيبرُ أنِّي مَرْحَبُ ... شاكِ سِلاحي بطلٌ مُجَرَّبُ[8]
إذا اللُّيوثُ أقْبَلَتْ تَلَهَّبُ ... وأحْجَمَتْ عن صَوْلةِ المُغَلَّبِ[9]

---

(١) سقط من : الأصل ، م .
(٢) أصبح : أي جاء وقت الصبح .
(٣) برد قطرى : هو ضرب من البرود فيه حُمرة ، ولها أعلام فيها بعض الخشونة . انظر النهاية ٤/ ٨٠.
(٤) أرجوان : أي شديدة الحُمرة ، وهو مُعرَّب من أُرْغُوان ، وهو شجر له نَوْر أحمر ، وكل لون يُشبهه فهو أرجوان . وقيل : هو الصبغ الأحمر الذى يُقال له : النَّشاستَجُ . والذكر والأنثى فيه سواء ، يقال : ثوب أرجوان ، وقطيفة أرجوان . والخمل : القطيفة . انظر النهاية ٢/ ٢٠٦، والوسيط (خ م ل) .
(٥) ليس فى الدلائل .
(٦) بعده فى الدلائل : « مظهر » .
(٧) فى الدلائل : « نقبه » .
(٨) شاكى السلاح : حاد السلاح . شرح غريب السيرة ٣/ ٥٢.
(٩) وفى البيت عيب ، وهو الإقواء .

فقال عليٌّ، رَضِيَ اللَّهُ عنه:

أنا الذى سَمَّتْنى أُمِّى حَيْدَرَهْ كليثِ غاباتٍ شديدِ القَسْوَرَهْ

أَكِيلُكم[1] بالصَّاعِ كَيْلَ السَّنْدَرَهْ[2]

قال: فاخْتَلَفا ضَرْبتيْن، فبَدَره عليٌّ بضربةٍ، فقَدَّ الحَجَرَ والمِغْفَرَ ورأسَه، ووقَعَ فى الأَضْراسِ، وأخَذ المدينةَ.

وقد روَى الحافظُ البَزَّارُ[3]، عن عَبَّادِ بنِ يَعْقوبَ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ بُكيرٍ[4]، عن حَكِيمِ بنِ جُبيرٍ، عن سعيدِ بنِ جُبيرٍ، عن ابنِ عباسٍ، قصةَ بَعْثِ أبى بكرٍ، ثُم عمرَ يومَ خَيْبرَ، ثُم بعثِ عليٍّ، فكان الفتْحُ على يديْه. وفى سياقِه غرابةٌ ونَكارةٌ، وفى إسنادِه مَن هو مُتَّهمٌ بالتَّشَيُّعِ[5]. واللَّهُ أعلمُ.

وقد روَى مسلمٌ والبيهقىُّ[6] واللفظُ له، مِن طريقِ عكرمةَ بنِ عَمَّارٍ، عن إياسِ بنِ سَلَمةَ بنِ الأَكْوعِ، عن أبيه، فذكَر حديثًا طويلًا، وذكَر فيه رُجوعَهم مِن غزوةِ بنى فَزارةَ. قال: فلم نَمْكُثْ إلّا ثلاثًا، حتى خَرَجْنا إلى خَيْبَرَ. قال:

---

(١) فى الدلائل: «أكيلهم».

(٢) أى أقتلكم قتلًا واسعًا ذريعًا، والسندرة: مكيال واسع. انظر النهاية ٢/ ٤٠٨.

(٣) كشف الأستار (٢٥٤٥). قال الهيثمى فى المجمع ٩/ ١٢٤: فيه حكيم بن جبير، وهو متروك ليس بشىء.

(٤) فى الأصل، ١٥١، م: «بكر». وفى ص: «أبى بكر». والمثبت من كشف الأستار. وانظر تهذيب الكمال ٧/ ١٦٧.

(٥) قال الحافظ الذهبى: حكيم بن جبير عن سعيد بن جبير: فيه رفض، ضعّفه غير واحد، ومشّاه بعضهم وحسَّن أمره، وهو مُقِلٌّ. المغنى فى الضعفاء ١/ ٢٧٥.

(٦) مسلم (١٨٠٧). ودلائل النبوة ٤/ ٢٠٧ - ٢٠٩ نحوه.

وخرَج عامرٌ ، فجعَل يقولُ :

والله لولا أنت ما اهْتَدَيْنا ولا تَصَدَّقْنا ولا صَلَّيْنا

ونحن مِن فضلِك ما اسْتَغْنَيْنا فأَنْزِلَنْ سَكِينةً علينا

وثَبِّتِ الأقدامَ إن لاقَيْنا

قال : فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « مَن هذا القائلُ ؟ » فقالوا : عامرٌ . فقال : « غفَر لك ربُّك » . قال : وما خصَّ رسولُ اللَّهِ ﷺ قطُّ أحدًا به إلَّا اسْتُشْهِد . فقال عمرُ وهو على جملٍ : لولا مَتَّعْتَنا بعامرٍ . قال : فقَدِمْنا خَيْبرَ ، فخرَج مَرْحَبٌ وهو يَخْطِرُ بسيفِه[1] ويقولُ :

قد علِمتْ خَيْبرُ أني مَرْحَبُ شاكى السلاحِ بطلٌ مُجَرَّبُ

إذا الحروبُ أقْبَلت تَلَهَّبُ

قال : فبرَز له عامرٌ ، رضى اللَّهُ عنه ، وهو يقولُ :

قد علِمت خَيْبرُ أنِّى عامرُ شاكى السلاحِ بطلٌ مُغامِرُ

قال : فاخْتَلفا ضَرْبَتَيْن ، فوقَع سيفُ مَرْحَبٍ فى تُرْسِ عامرٍ ، فذهَب يُسَفِّلُ[2] له ، فرَجَع على نفسِه ، فقطَع أَكْحَلَه وكانت فيها نَفْسُه . قال سَلَمةُ : فخرَجْتُ فإذا نفَرٌ مِن [٣/٦٧و] أصحابِ رسولِ اللَّهِ ﷺ يقولون : بطَل عملُ

---

(١) يخطر بسيفه : أى يهزُّه مُعجَبًا بنفسه متعرِّضًا للمبارزة ، أو أنه كان يخطر فى مِشْيَته ؛ أى يتمايل ويمشى مِشية المعجب وسيفه فى يده ، يعنى أنه كان يخطر وسيفه معه ، والباء للمُلابسة . النهاية ٢/ ٤٦ .

(٢) فى م : « يسعل » . وضبطت فى ١٥١ بضم الياء وفتح السين مع تشديد الفاء المكسورة . وهو من التسفيل ، وهو التصويب . اللسان (س ف ل) .

عامرٍ ؛ قتَل نفسَه . قال : فأتَيْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ وأنا أبْكى ، فقال : « ما لك ؟ » فقلتُ : قالوا : إنَّ عامرًا بطَل عملُه . فقال : « مَن قال ذلك ؟ » فقلتُ : نفَرٌ مِن أصحابِك . فقال : « كذَب أولئك ، بل له الأجْرُ مرتين » . قال : وأرْسَل رسولُ اللَّهِ ﷺ إلى علىٍّ ، رَضِى اللَّهُ عنه ، يدْعُوه وهو أرْمَدُ ، وقال : « لأُعْطِيَنَّ الرايةَ اليومَ رجلًا يُحِبُّ اللَّهَ ورسولَه[1] » . قال : فجئتُ به أقُودُه . قال : فبَصَق رسولُ اللَّهِ ﷺ فى عينيه[2] فبرَأ ، فأعْطاه الرَّايةَ ، فبَرَز مَرْحَبٌ وهو يقولُ :

قد عَلِمتْ خيبرُ أنِّى مَرْحَبُ شاكى السلاحِ بطلٌ مُجَرَّبُ
إذا الحروبُ أقْبَلَتْ تَلَهَّبُ

قال : فبَرَز له علىٌّ وهو يقولُ :

أنا الذى سمَّتْنى أُمِّى حَيْدَرَهْ كليثِ غاباتٍ كَرِيهِ المَنْظَرَهْ
أُوفِيهِمُ بالصاعِ كَيْلَ السَّنْدَرَهْ

قال : فضرَب مَرْحَبًا ففَلَق رأسَه فقتَله ، وكان الفتحُ . هكذا وقَع فى هذا السياقِ أنَّ عليًّا هو الذى قتَل مَرْحَبًا اليهودىَّ ، لَعَنه اللَّهُ .

وقال أحمدُ[3] : حدَّثنا حسينُ بنُ حسنٍ[4] الأشْقرُ ، حدَّثنى ابنُ[5]

---

(١) بعده فى الدلائل : « ويحبه اللَّه ورسوله » .

(٢) فى م ، ص : « عينه » .

(٣) المسند ١/ ١١١. إسناده ضعيف جدًّا .

(٤) فى المسند : « حسين » . والمثبت هو الصواب . انظر تهذيب الكمال ٦/ ٣٦٦.

(٥) سقط من : م ، ص . وانظر تعجيل المنفعة ص ٥٣٤.

(1)قابوسِ ابنِ أبى(1) ظَبْيانَ، عن أبيه، عن جَدِّه، عن(2) علىٍّ قال: لما قتَلْتُ مَرْحَبًا جئتُ برأسِه إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ.

وقد روَى مُوسى بنُ عُقبةَ(3)، عن الزهْرىِّ أن الذى قتَل مَرْحَبًا هو محمدُ ابنُ مَسْلَمةَ.

وكذلك قال محمدُ بنُ إسحاقَ(4): حدَّثنى عبدُ اللَّهِ(5) بنُ سهلٍ، أحدُ بنى حارثةَ، عن جابرِ بنِ عبدِ اللَّهِ قال: خرَج مَرْحَبٌ اليهودىُّ مِن حصنِ خَيْبَرَ وهو يَرْتَجِزُ ويقولُ:

قد علِمَت خيبرُ أنِّى مَرْحَبُ ... شاكى السلاحِ بطَلٌ مُجَرَّبُ
أطْعُنُ أحيانًا وحِينًا أضْرِبُ ... إذا اللُّيوثُ أقْبَلت تَحَرَّبُ(6)
إنَّ حِمایَ لَلْحِمَى(7) لا يُقْرَبُ

قال: فأجابه كعبُ بنُ مالكٍ:

قد عَلِمتْ خيبرُ أنى كعبُ ... مُفَرِّجُ الغَمَّا جَرِىءٌ صُلْبُ(8)

(1 - 1) سقط من: ص.
(2) سقط من: الأصل.
(3) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٤/ ٢١٤، ٢١٥، من طريق موسى بن عقبة به.
(4) سيرة ابن هشام ٢/ ٣٣٣.
(5) فى ١٥١: «عبد الملك».
(6) فى الأصل، م: «تلهب». وهو لفظ رواية البيهقى المتقدمة. وتحرّب: تغضّب، يقال حرب الرجل إذا غضب. شرح غريب السيرة ٣/ ٥٢.
(7) الحمى: كل ما حميته ومنعته. المصدر السابق.
(8) الغما: الكرب والشدة. والجرىء: الشجاع المقدم، والصلب: الشديد. المصدر السابق.

إذْ شُبَّتِ الحَرْبُ تلتْها[1] الحربُ معىَ حُسامٌ كالعَقِيقِ عَضْبُ[2]

يَطَأْكُمو حتى يَذِلَّ الصَّعْبُ [3]نُعْطى الجزاءَ أو يفىءَ النَّهْبُ[3]

بكَفٍّ ماضٍ ليس فيه عَتْبُ[4]

قال: وجعَل مَرْحَبٌ - [5]وهو ابنُ حِمْيَرَ[5] - يَرْتَجِزُ، ويقولُ: هل مِن مُبارِزٍ؟ فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «مَن لِهذا؟» فقال محمدُ بنُ مَسْلَمَةَ: أَنا له يا رسولَ اللَّهِ، أنا واللَّهِ المَوْتورُ[6] الثائرُ، قتَلوا أخى بالأمسِ. فقال: «قُمْ إليه، اللَّهم أعِنْه عليه». قال: فلمَّا دَنا أحدُهما مِن صاحبِه دخَلَتْ بينَهما شجرةٌ عُمْرِيَّةٌ[7]، مِن شجرِ [٣/٦٧ظ] العُشَرِ[8]، فجعَل كلُّ واحدٍ منهما يلوذُ[9] مِن صاحبِه بها، كلما لاذ بها أحدُهما اقْتَطَع صاحبُه[10] بسيفِه ما دونه منها، حتى

---

(١) فى النسخ: «وثار». والمثبت من السيرة.

(٢) شبت الحرب: أوقدت وهيجت. والعقيق هنا: جمع عقيقة وهى شعاع البرق وشبّه السيف به. وعضب: قاطع. شرح غريب السيرة ٣/ ٥٢، ٥٣.

(٣ - ٣) سقط من: م. وأراد بالجزاء هنا: الجزية التى تؤخذ. والنهب: ما انتهب من الأموال. المصدر السابق ٣/ ٥٣.

(٤) فى الأصل، م، ص: «عيب»، وليس فيه عتب: أى ليس فيه ما يلام عليه. المصدر السابق.

(٥ - ٥) سقط من: الأصل، م.

(٦) الموتور: الذى قتل له قتيل فلم يدرك بدمه. اللسان (و ت ر).

(٧) فى الأصل، ص، ١٥١: «عمورية»، وعمرية: أى قديمة وهى مأخوذة من العُمْر. شرح غريب السيرة ٣/ ٥٣.

(٨) فى ص: «المعشر»، وبعده فى الأصل، ١٥١، م: «المسد»، والعشر: شجر له صمغ، واحدته عشرة. المصدر السابق.

(٩) يلوذ: يستتر.

(١٠) سقط من: الأصل، م، ص.

برَز كلُّ واحدٍ منهما لصاحبِه ، وصارت بينَهما كالرَّجُلِ القائمِ ، ما فيها فَنَنٌ[1] ، ثُم حمَل على محمدِ بنِ مَسْلَمَةَ فضرَبه فاتَّقاه بالدَّرَقةِ ، فوقَع سيفُه فيها ، فعَضَّت [2]به فأمسَكتْه[2] ، وضرَبه محمدُ بنُ مَسْلمةَ حتى قتَله . وقد رَواه الإمامُ أحمدُ[3] ، عن يعقوبَ بنِ إبراهيمَ ، عن أبيه ، عن ابنِ إسحاقَ ، بنحوِه .

قال ابنُ إسحاقَ[4] : وزعَم بعضُ الناسِ أن محمدًا ارْتَجَز حينَ ضرَبه وقال :

قد علِمَتْ خيبرُ أنّى ماضِ حُلْوٌ إذا شئتُ وسُمٌّ قاضِ

وهكذا رَواه الواقدىُّ[5] ، عن جابرٍ وغيرِه مِن السلفِ ، أن محمدَ بنَ مَسْلَمةَ هو الذى قتَل مَرْحَبًا ، وذكَر الواقدىُّ أن محمدًا قطَع رجلَىْ مَرْحَبٍ ، فقال له : أجْهِزْ علىَّ . فقال : لا ، ذُقِ الموتَ كما ذاقه محمودُ بنُ مَسْلَمةَ . فمرَّ به علىٌّ وقطَع رأسَه ، فاخْتَصَما فى سَلَبِه إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فأعْطَى رسولُ اللَّهِ ﷺ محمدَ بنَ مَسْلَمةَ سيفَه ورُمْحَه ومِغْفَرَه وبَيْضتَه . قال : وكان مكتوبًا على سيفِه :

هذا سيفُ مَرْحَبْ مَن يَذُقْه[6] يَعْطَبْ

ثُم ذكَر ابنُ إسحاقَ[7] أن أخا مَرْحَبٍ ، وهو ياسرٌ ، خرَج بعدَه وهو يقولُ :

---

(١) الفنن : الغصن ، وجمعه أفنان . شرح غريب السيرة ٣/٥٣ .
(٢ - ٢) فى الأصل ، م : « فاستله » .
(٣) المسند ٣/ ٣٨٥. قال الهيثمى فى المجمع ٦/ ١٥٠: رواه أحمد وأبو يعلى ورجال أحمد ثقات .
(٤) دلائل النبوة ٤/ ٢١٥.
(٥) مغازى الواقدى ٢/ ٦٥٦، ٦٥٧.
(٦) فى ص : « يكذبه » .
(٧) سيرة ابن هشام ٢/ ٣٣٤.

هل مِن مُبارِزٍ؟ فزعَم هشامُ بنُ عُروةَ أن الزبيرَ خرَج له، فقالت أُمُّه[1] صفيةُ بنتُ عبدِ المطلبِ: يَقْتُلُ ابنى يا رسولَ اللَّهِ. فقال: «بلِ ابنُكِ يَقْتُلُه إن شاء اللَّهُ». فالْتَقَيا فقتَله الزبيرُ. قال: فكان الزبيرُ إذا قيل له: واللَّهِ إن كان سيفُكَ يومئذٍ لَصارمًا. يقولُ: واللَّهِ ما كان صارمًا، [2]ولكنى أكرَهْتُه[2].

وقال يونسُ[3]، عن ابنِ إسحاقَ، عن بعضِ أهلِه، عن أبى رافعٍ مَوْلَى رسولِ اللَّهِ ﷺ قال: خرَجْنا مع علىٍّ حينَ[4] بعَثه رسولُ اللَّهِ ﷺ برايتِه، فلمَّا دَنا مِن الحِصنِ خرَج إليه أهلُه، فقاتَلهم، فضرَبه رجلٌ منهم مِن يهودَ، فطرَح تُرْسَه مِن يدِه، فتَناوَل علىٌّ بابَ الحصنِ، فترَّس به عن نفسِه، فلم يَزَلْ فى يدِه وهو يُقاتِلُ حتى فتَح اللَّهُ عليه، ثُم ألقاه مِن يدِه، فلقد رأيْتُنى فى نفَرٍ معى سبعةٌ أنا ثامنُهم، نَجْهَدُ على أن نَقْلِبَ ذلك البابَ، فما اسْتَطَعْنا أن نَقْلِبَه. وفى هذا الخبرِ جَهالةٌ وانقِطاعٌ ظاهرٌ.

ولكن روَى الحافظُ البيهقىُّ، والحاكمُ[5] مِن طريقِ مُطَّلِبِ بنِ زِيادٍ، عن ليثِ بنِ أبى سُلَيْمٍ، عن أبى جعفرٍ الباقرِ، عن جابرٍ، أن عليًّا حمَل البابَ يومَ خَيْبَرَ حتى صعِد المسلمون عليه [٣/٦٨و] فافْتَتَحوها، وأنه جُرِّب[6] بعدَ ذلك، فلم يَحْمِلْه أربعون رجلًا. وفيه ضعفٌ أيضًا. وفى روايةٍ ضعيفةٍ، عن جابرٍ: ثُم

(١) فى م: «أم».
(٢ - ٢) فى ص، ١٥١: «أداهنه».
(٣) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٤/ ٢١٢، من طريق يونس به.
(٤) فى الأصل، م: «إلى خيبر».
(٥) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٤/ ٢١٢، من طريق الحاكم به.
(٦) فى ١٥١: «خرب».

اجْتَمع عليه سبعون رجلًا ، وكان جَهْدَهم أن أعادوا البابَ .

وقال البخاريُّ[1] : حدَّثنا مَكِّيُّ بنُ إبراهيمَ ، حدَّثنا يَزيدُ بنُ أبى عُبَيْدٍ قال : رأيْتُ أثَرَ ضربَةٍ فى ساقِ سَلَمةَ[2] ، فقلتُ : يا أبا مُسْلِم[3] ، ما هذه الضربةُ ؟ قال : هذه ضربةٌ أصابَتْها[4] يومَ خَيْبَرَ ، فقال الناسُ : أُصِيب سلمةُ[2] . فأتَيْتُ النبيَّ ﷺ [5]فنفَثَ فيه ثلاثَ نَفَثاتٍ[5] ، فما اشْتَكَيْتُ حتى الساعةِ .

ثُم قال البخاريُّ[6] : حدَّثنا عبدُ اللَّهِ بنُ مَسْلَمةَ ، حدَّثنا ابنُ أبى حازمٍ ، عن أبيه ، عن سهلٍ قال : الْتَقَى النبيُّ ﷺ والمشركون فى بعضِ مَغازيه فاقْتَتَلوا ، فمال كلُّ قومٍ إلى عَسْكرِهم ، وفى المسلمين رجلٌ لا يَدَعُ مِن المشركين شاذَّةً ولا فاذَّةً[7] إلَّا اتَّبَعها فضرَبها بسيفِه ، فقيل : يا رسولَ اللَّهِ ، ما أجْزَأَ أحدٌ ما أجْزَأَ فلانٌ . قال : « إنه مِن أهلِ النارِ » . فقالوا : أيُّنا مِن أهلِ الجنةِ إن كان هذا مِن أهلِ النارِ ؟ فقال رجلٌ مِن القومِ : لأَتَّبِعَنَّه ، فإذا أسْرَع وأبْطَأَ كنتُ معه . حتى جُرِح فاسْتَعْجَل الموتَ ، فوضَع نِصابَ سيفِه بالأرضِ وذُبابَه بينَ ثَدْيَيْه ، [8]ثُم تَحامَل عليه[8] فقتَل نفسَه . فجاء الرجلُ إلى النبيِّ ﷺ فقال : [8]أشْهَدُ أنك رسولُ اللَّهِ . قال : « وما ذاك ؟ » فأخْبَره فقال[8] : « إنَّ الرجلَ لَيَعْمَلُ بعملِ أهلِ

---

(١) البخارى (٤٢٠٦) .

(٢) سقط من : ا ١٥١.

(٣) فى ا ١٥١: « سلمة » . وأبو مسلم : هى كنية سلمة بن الأكوع . فتح البارى ٧/ ٤٧٥.

(٤) فى م : « أصابتنى » ، وأصابتها : أى أصابت ركبته . المصدر السابق .

(٥ - ٥) فى الأصل : « فتفل فيه ثلاث تفلات » ، والنفث : فوق النفخ ودون التفل . المصدر السابق .

(٦) البخارى (٤٢٠٧) .

(٧) الشاذة : بتشديد المعجمة ، ما انفرد عن الجماعة ، وبالفاء مثله ما لم يختلط بهم . والمعنى أنه لا يلقى شيئا إلا قتله . فتح البارى ٧/ ٤٧٢.

(٨ - ٨) سقط من : ص .

الجنةِ فيما يَبْدو للناسِ، وإنه مِن أهلِ النارِ، ويَعْمَلُ بعملِ أهلِ النارِ فيما يَبْدو للناسِ، وإنه مِن أهلِ الجنةِ». رَواه أيضًا عن قُتَيْبَةَ، عن يعقوبَ، عن أبى حازمٍ، عن سهلٍ، فذكَر مثلَه أو نحوَه[1].

وقال البخاريُّ[2]: حدَّثنا أبو اليَمانِ، حدَّثنا شُعَيْبٌ، عن الزهريِّ، أخْبَرنى سعيدُ بنُ المُسَيَّبِ أن أبا هريرةَ قال: شهِدْنا خيبرَ، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ لرجلٍ ممَّن معه يدَّعى الإسلامَ: «هذا مِن أهلِ النارِ». فلمَّا حضَر القتالُ قاتل الرجلُ أشَدَّ القِتالِ، حتى كثُرَت به الجِراحةُ، حتى كاد بعضُ الناسِ يَرْتابُ، فوجَد الرجلُ ألَمَ الجِراحةِ، فأهْوَى بيدِه إلى كِنانتِه، فاسْتَخْرج منها أسْهُمًا فنحَر بها نفسَه، فاشْتَدَّ رجالٌ مِن المسلمين فقالوا: يا رسولَ اللَّهِ، صدَّق اللَّهُ حديثَك، انتَحَر فلانٌ فقتَل نفسَه. فقال: «قُمْ يا فلانُ، فأذِّنْ أنه لا يَدْخُلُ الجنةَ إلَّا مؤمنٌ، وأنَّ اللَّهَ يُؤَيِّدُ الديـنَ بالرجلِ الفاجرِ».

وقد [٣/٦٨ظ] رَوى موسى بنُ عُقْبَةَ[3] قصةَ العبدِ الأسْودِ؛ الذى رزَقه اللَّهُ الإيمانَ والشَّهادةَ فى ساعةٍ واحدةٍ، وكذلك رَواها ابنُ لَهِيعةَ، عن أبى الأسْودِ، عن عروةَ، قالا: وجاء عبدٌ حَبَشيٌّ أسودُ، مِن أهلِ خَيْبرَ، كان فى غَنَمٍ لسيدِه، فلمَّا رأى أهلَ خَيْبرَ قد أخَذوا السلاحَ سأَلهم قال: ما تُريدون؟ قالوا: نُقاتِلُ هذا الرجلَ الذى يزْعُمُ أنه نبىٌّ. فوقَع فى نفسِه ذِكْرُ النبىِّ ﷺ فأقْبل

---

(١) البخارى (٢٨٩٨، ٤٢٠٢).

(٢) البخارى (٤٢٠٣).

(٣) بعده فى الأصل، ١٥١، م: «عن الزهرى». والأثر أخرجه البيهقى فى الدلائل ٤/ ٢١٩، ٢٢٠، عن موسى بن عقبة، وعن ابن لهيعة عن أبى الأسود عن عروة، ونص البيهقى على أن اللفظ لحديث موسى ابن عقبة.

بغنَمِه حتى عمَد لرسولِ اللَّهِ ﷺ، فقال: إلى ما تَدْعو؟ قال: «أدْعوك إلى الإسلامِ؛ أن تَشْهَدَ أن لا إلهَ إلا اللَّهُ، وأنى رسولُ اللَّهِ، وأن (١)لا تَعْبُدَ إلا(١) اللَّهَ». قال: فقال العبدُ: فماذا يكونُ لى إن شَهِدْتُ بذلك وآمنتُ باللَّهِ؟ قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «الجنةُ إن مُتَّ على ذلك». فأسْلَم العبدُ فقال: يا نبيَّ اللَّهِ، إن هذه الغنمَ عندى أمانةٌ. فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «أخْرِجْها مِن عَسْكرِنا وارْمِها بالحَصْباءِ، فإن اللَّهَ سيُؤَدِّى عنك أمانتَك». ففعَل فرجَعَتِ الغنمُ إلى سيدِها، فعرَف اليهوديُّ أن غلامَه قد أسْلَم. فقام رسولُ اللَّهِ ﷺ فوعَظ الناسَ، فذكَر الحديثَ فى إعطائِه الرايةَ عليًّا، ودُنُوَّه مِن حصنِ اليهودِ وقَتْلِه مَرْحَبًا، وقُتِل مع علىٍّ ذلك العبدُ الأسْودُ، فاحْتَمله المسلمون إلى عسكرِهم، فأُدْخِل فى الفُسْطاطِ، فزَعَموا أن رسولَ اللَّهِ ﷺ اطَّلع فى الفُسْطاطِ، ثُم اطَّلع على أصحابِه فقال: «لقد أكْرَم اللَّهُ هذا العبدَ وساقه إلى خيرٍ، قد كان الإسلامُ (٢)مِن نفسِه(٢) حقًّا، وقد رأيْتُ عندَ رأسِه اثْنَتَين مِن الحُورِ العِينِ».

وقد روَى الحافظُ البيهقىُّ(٣) مِن طريقِ ابنِ وَهْبٍ، عن حَيْوَةَ بنِ شُرَيحٍ، عن ابنِ الهادِ، عن شُرَحْبِيلَ بنِ سعدٍ، عن جابرِ بنِ عبدِ اللَّهِ قال: كنا مع رسولِ اللَّهِ ﷺ فى غزوةِ خَيْبرَ، فخَرَجتْ سَرِيَّةٌ، فأَخَذوا إنسانًا معه غنمٌ يَرْعاها، فذكَر نحوَ قصةِ هذا العبدِ الأسْودِ، وقال فيه: قُتِل شهيدًا وما سجَد للَّهِ سَجْدةً.

(١ - ١) فى ١٥١: «تعبد»، وفى م: «لا تعبدوا إلا». وفى الدلائل: «لا نعبد إلا».
(٢ - ٢) فى الأصل، م: «فى قلبه».
(٣) دلائل النبوة ٤/ ٢٢١.

ثم قال البيهقيُّ[1] : حدَّثنا محمدُ بنُ محمدِ بنِ مَحْمِشٍ[2] الفقيهُ ، حدَّثنا أبو بكرٍ القَطَّانُ ، حدَّثنا أبو الأزْهَرِ ، حدَّثنا مُؤَمَّلُ[3] بنُ إسماعيلَ ، حدَّثنا حَمَّادٌ ، حدَّثنا ثابتٌ ، عن أنسٍ ، أن رجلًا أتَى رسولَ اللَّهِ ﷺ فقال : يا رسولَ اللَّهِ ، إنى رجلٌ أسْودُ اللونِ ، قبيحُ الوَجْهِ ، [4]مُنتِنُ الريحِ[4] ، لا مالَ لى ، فإن قاتَلْتُ هؤلاء حتى أُقْتلَ ، أدْخُلِ الجنةَ ؟ قال : « نعم » . فتقَدَّم فقاتَل حتى قُتِل ، فأتَى عليه رسولُ اللَّهِ ﷺ وهو مقْتولٌ ، فقال : « لقد حسَّن اللَّهُ [٣/٦٩و] وجهَك ، وطيَّبَ رِيحَك[5] ، وكثَّر مالَك » . وقال : « لقد رأيْتُ زَوْجَتَيْه مِن الحُورِ العِينِ يتَنازعانِ جُبَّتَه عنه ؛ يدْخُلان فيما بينَ جلدِه وجُبَّتِه » .

ثُم روَى البيهقيُّ[6] ، مِن طريقِ ابنِ جُرَيْجٍ ، أخبرَنى عِكرمةُ بنُ خالدٍ ، عن [7]ابنِ أبى عَمَّارٍ[7] ، عن شَدَّادِ بنِ الهادِ ، أن رجلًا مِن الأعْرابِ جاء رسولَ اللَّهِ ﷺ فآمَن به واتَّبَعَه ، فقال : أُهاجِرُ معك . فأوْصَى به النبيُّ ﷺ بعضَ أصحابِه ، فلمَّا كانت غزوةُ خيبرَ غنِم رسولُ اللَّهِ ﷺ ، فقسَمه وقسَم له ، فأعْطَى أصحابَه ما قسَم له ، وكان يَرْعَى ظَهْرَهم[8] ، فلمَّا جاء دفَعوه إليه ، فقال : ما

---

(١) دلائل النبوة ٤/٢٢١ .

(٢) فى الأصل ، م ، ص : « محمد » . انظر سير أعلام النبلاء ١٧/ ٢٧٦.

(٣) فى م ، ص : « موسى » . انظر تهذيب الكمال ٢٩/ ١٧٦.

(٤ - ٤) سقط من النسخ . والمثبت من الدلائل .

(٥) كذا فى النسخ . وفى الدلائل : « روحك » .

(٦) دلائل النبوة ٤/ ٢٢٢.

(٧ - ٧) فى الأصل : « أبى عثمان » . وفى ١٥١ : « أبى عمار » . وانظر تهذيب الكمال ١٧/ ٢٢٩، والحديث فى ترجمته .

(٨) الظهر : الركاب التى تحمل الأثقال فى السفر لحملها إياها على ظهورها . اللسان (ظ هـ ر) .

هذا؟ قالوا: قَسْمٌ قسَمه لك رسولُ اللَّهِ ﷺ. فقال: ما على هذا اتَّبَعْتُك، ولكنى اتَّبَعْتُك على أن أُرْمَى هاهنا - وأشار إلى حَلْقِه - بسهمٍ فأموتَ فأدْخُلَ الجنةَ. فقال: «إن تَصْدُقِ اللَّهَ يَصْدُقْك». ثُم نهَضوا إلى قِتالِ العدُوِّ، فأُتِيَ به رسولُ اللَّهِ ﷺ يُحمَلُ، وقد أصابه سهمٌ حيثُ أشار، فقال النبىُّ ﷺ: «هو هو؟» قالوا: نعم. قال: «صدَق اللَّهَ فصدَقه». وكفَّنه النبىُّ ﷺ [1] فى جُبَّةِ النبىِّ ﷺ [1]، ثُم قدَّمه فصلَّى عليه، فكان مما ظهَر مِن صلاتِه: «اللَّهم هذا عبدُك خرَج مُهاجرًا فى سبيلِك، قُتِل شهيدًا، أنا عليه شهيدٌ». وقد رَواه النسائىُّ، عن سُوَيْدِ بنِ نصْرٍ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ المُبارَكِ، عن ابنِ جُرَيْجٍ، به نحوَه[2].

فصلٌ

قال ابنُ إسحاقَ[3]: وتدَنَّى[4] رسولُ اللَّهِ ﷺ الأموالَ، يأخُذُها مالًا مالًا، ويفْتَتِحُها حِصنًا حِصنًا، وكان أولَ حُصونِهم فُتِح حصنُ ناعمٍ، وعندَه قُتِل محمودُ بنُ مَسْلَمةَ؛ أُلْقِيَت عليه رَحًى منه فقتَلَته، ثُم القَموصُ[5] حصنُ بنى أبى الحُقَيْقِ، وأصاب رسولُ اللَّهِ ﷺ منهم سَبايا؛ منهن صَفِيَّةُ بنتُ حُيَىِّ بنِ

(١ - ١) زيادة من النسخ، وليس فى الدلائل.
(٢) النسائى (١٩٥٢). صحيح (صحيح سنن النسائى ١٨٤٥).
(٣) سيرة ابن هشام ٢/ ٣٣٠، ٣٣١.
(٤) بعده فى ١٥١: «أى أخذ الأدنى فالأدنى. قاله السهيلى».
(٥) فى الأصل، ١٥١: «العموص».

أخْطَبَ ، وكانت عندَ كِنانةَ بنِ الربيعِ بنِ أبى الحُقَيْقِ ، وبِنْتا عَمٍّ لها ، فاصْطَفى رسولُ اللَّهِ ﷺ صَفِيَّةَ لنفسِه ، وكان دِحْيةُ بنُ [٣/ ٦٩ظ] خَليفةَ قد سأَل رسولَ اللَّهِ ﷺ صَفِيَّةَ ، فلمَّا اصْطَفاها لنفسِه أعْطاه ابنَتَىْ عمِّها . قال : وفشَتِ السَّبايا مِن خَيْبرَ فى المسلمين ، وأكَل الناسُ لحومَ الحُمُرِ . فذكَر[(١)] نهْىَ رسولِ اللَّهِ ﷺ إياهم عن أكلِها . وقد اعْتَنى البخارىُّ بهذا الفصلِ ؛ فأوْرَد النهْىَ عنها مِن طُرُقٍ جيدةٍ[(٢)] ، وتحريمُها مذهبُ جمهورِ العلماءِ سَلَفًا وخَلَفًا ، وهو مذهبُ الأئمةِ الأربعةِ . وقد ذهَب بعضُ السلفِ - منهم ابنُ عباسٍ[(٣)] - إلى إباحتِها ، وتنوَّعَت أجْوِبتُهم عن الأحاديثِ الواردةِ فى النهيِ عنها ، فقيل : لأنها كانت ⁽⁴ظَهْرًا يسْتَعينون بها فى الحَمُولَةِ . وقيل : لأنها لم تَكُن خُمِّسَت بعدُ . وقيل : لأنها كانت⁴⁾ تأْكُلُ العَذِرةَ[(٥)] . يعنى جَلَّالةً .

---

(١) أى ابن إسحاق .

(٢) انظر ما تقدم من صفحة ٢٥٧ - ٢٥٩ .

(٣) كأن المصنف رحمه الله يشير إلى حديث البخارى (٥٥٢٩) من طريق ابن عيينة قال : قال عمرو : قلت لجابر بن زيد : يزعمون أن رسول الله ﷺ نهى عن حمر الأهلية . فقال : قد كان يقول ذاك الحكم ابن عمرو الغفارى عندنا بالبصرة ، ولكنْ أبى ذلك البحرُ ابن عباس ، وقرأ : ﴿ قل لا أجد فيما أوحى إلى محرمًا ﴾ . قلت : لكن قال الحافظ فى الفتح ٩/ ٦٥٥: فى رواية ابن مردويه وصححه الحاكم ، من طريق محمد بن شريك عن عمرو بن دينار عن أبى الشعثاء ، عن ابن عباس قال : كان أهل الجاهلية يأكلون أشياء ويتركون أشياء تقذُّرًا ، فبعث الله نبيه وأنزل كتابه ، وأحل حلاله وحرم حرامه ، فما أحل فيه فهو حلال ، وما حرم فيه فهو حرام ، وما سكت عنه فهو عفو . وتلا هذه : ﴿ قل لا أجد ...﴾ إلى آخرها ... وقد تقدم فى المغازى عن ابن عباس أنه توقف فى النهى عن الحمر ؛ هل كان لمعنى خاص أو للتأبيد ... وهذا التردد أصح من الخبر الذى جاء عنه بالجزم بالعلة المذكورة . اهـ كلام الحافظ . والحديث الذى يشير إليه فى المغازى عن ابن عباس ، هو عند البخارى (٤٢٢٧) .

(٤ - ٤) سقط من : الأصل .

(٥) أما القول بالنهى لأنها كانت حمولة ، فهو فى حديث ابن عباس عند البخارى (٤٢٢٧) . وأما لأنها لم تكن خمست أو كانت تأكل العذرة ، فهو عند البخارى أيضًا (٤٢٢٠) . وانظر فتح البارى ٩/ ٦٥٥، ٦٥٦.

والصحيحُ أنه نُهِىَ عنها لذاتِها؛ فإن فى الأثَرِ الصحيحِ[1] أنه نادَى مُنادِى رسولِ اللَّهِ ﷺ: إن اللَّهَ ورسولَه يَنْهَيانِكم عن لحومِ الحُمُرِ؛ فإنها رِجْسٌ. فأَكْفَئوها والقُدورُ تفورُ بها. ومَوْضِعُ تقريرِ ذلك فى كتابِ «الأحكامِ».

قال ابنُ إسحاقَ[2]: حدَّثنى سَلَّامُ بنُ كِرْكِرَةَ، عن عمرِو بنِ دينارٍ، عن جابرِ بنِ عبدِ اللَّهِ - ولم يَشْهَدْ جابرٌ خيبرَ - أن رسولَ اللَّهِ ﷺ حينَ نهَى الناسَ عن أكْلِ لُحومِ الحُمُرِ أذِن لهم فى لُحومِ الخيلِ. وهذا الحديثُ أصلُه ثابتٌ فى «الصحيحين»[3] مِن حديثِ حمَّادِ بنِ زيدٍ، عن عمرِو بنِ دِينارٍ، عن محمدِ بنِ علىٍّ، عن جابرٍ، رضى اللَّهُ عنه قال: نهَى رسولُ اللَّهِ ﷺ يومَ خيبرَ عن لُحومِ الحُمُرِ، ورخَّص فى الخيلِ. لفظُ البخارىِّ.

قال ابنُ إسحاقَ[4]: وحدَّثنا عبدُ اللَّهِ بنُ أبى نَجِيحٍ، عن مَكْحولٍ أن النبىَّ ﷺ نهاهم يومَئذٍ عن أربعٍ؛ عن إتْيانِ الحَبالَى مِن النساءِ[5]، وعن أكلِ الحمارِ الأهْلىِّ، وعن أكْلِ كلِّ ذى نابٍ مِن السِّباعِ، وعن بيعِ المَغانمِ حتى تُقْسَمَ. وهذا مرسلٌ.

وقال ابنُ إسحاقَ[6]: وحدَّثنى يزيدُ بنُ أبى حَبيبٍ، عن أبى مَرْزوقٍ مَوْلَى تُجِيبَ، عن حَنَشٍ[7] الصَّنْعانىِّ قال: غزَوْنا مع رُوَيْفِعِ بنِ ثابتٍ الأنصارىِّ

---

(١) البخارى (٥٥٢٨).
(٢) سيرة ابن هشام ٢/ ٣٣١.
(٣) البخارى (٤٢١٩، ٥٥٢٠، ٥٥٢٤)، ومسلم (٣٦/١٩٤١).
(٤) سيرة ابن هشام ٢/ ٣٣١.
(٥) فى السيرة: «السبايا».
(٦) المصدر السابق ٢/ ٣٣١، ٣٣٢.
(٧) فى الأصل، م: «حسن». انظر تهذيب الكمال ٧/ ٤٢٩، والروض الأنف ٦/ ٥٦٤.

المغربَ ، فافْتَتَح قريةً مِن قُرَى المغربِ يقالُ لها : جَرْبَةُ[1] . فقام فينا خطيبًا فقال : أيها الناسُ ، إنى لا أقولُ فيكم إلا ما سمِعْتُ مِن رسولِ اللَّهِ ﷺ يقولُ فينا يومَ خيبرَ ؛ قام فينا رسولُ اللَّهِ ﷺ فقال : « لا يَحِلُّ لامرئٍ يُؤْمِنُ باللَّهِ واليومِ الآخرِ [2]أن يَسْقِىَ ماءَه زَرْعَ غيرِه » يعنى إتيانَ الحَبالَى مِن السَّبْيِ « ولا يَحِلُّ لامرئٍ يُؤْمِنُ باللَّهِ واليومِ الآخرِ[2] أن يُصيبَ امرأةً مِن السَّبْيِ حتى يَسْتَبْرِئَها ، ولا يَحِلُّ لامرئٍ يُؤْمِنُ باللَّهِ واليومِ الآخرِ أن يبيعَ مَغْنَمًا حتى يُقْسَمَ ، ولا يَحِلُّ لامرئٍ يُؤْمِنُ باللَّهِ واليومِ [٣/٧٠و] الآخرِ أن يَرْكَبَ دابةً مِن فَيْءِ المسلمين حتى إذا أعْجَفَها[3] ردَّها فيه ، ولا يَحِلُّ لامرئٍ يُؤْمِنُ باللَّهِ واليومِ الآخرِ أن يَلْبَسَ ثَوبًا[4] مِن فَيْءِ المسلمين حتى إذا أخْلَقَه ردَّه فيه » . وهكذا رَوَى هذا الحديثَ أبو داودَ[5] مِن طريقِ محمدِ بنِ إسحاقَ ، به . ورَواه الترمذيُّ[6] ، عن [7]عمرَ بنِ حفصٍ[7] الشَّيْبانيِّ ، عن ابنِ وَهْبٍ ، عن يَحْيَى بنِ أيوبَ ، عن رَبيعةَ ابنِ سُلَيْمٍ ، عن بُسْرِ[8] بنِ عُبَيْدِ اللَّهِ ، عن رُوَيفِعِ بنِ ثابتٍ ، مُخْتَصَرًا ، وقال : حسنٌ .

---

(١) جَرْبة : قرية بالمغرب ، وقيل : هى جزيرة بالمغرب من ناحية إفريقية قرب قابس يسكنها البربر . انظر معجم البلدان ٢/ ٤٧.

(٢ - ٢) سقط من : الأصل .

(٣) أعجفها : أى أهزلها . النهاية ٣/ ١٨٦.

(٤) فى الأصل ، م ، ص : « يومًا » .

(٥) أبو داود (٢١٥٨، ٢١٥٩) . حسن (صحيح سنن أبى داود ١٨٩٠، ١٨٩١) .

(٦) الترمذى (١١٣١) . حسن (صحيح سنن الترمذى ٩٠٣) .

(٧ - ٧) فى النسخ : « حفص بن عمر » . والمثبت من الترمذى ، وانظر تهذيب الكمال ٢١/ ٣٠١.

(٨) فى النسخ : « بشر » . والمثبت من الترمذى ، وانظر تهذيب الكمال ٤/ ٧٥.

وفى «صحيحِ البخارىِّ»[(١)] عن نافعٍ، عن ابنِ عمرَ أن رسولَ اللَّهِ ﷺ نهَى يومَ خيبرَ عن لحومِ الحُمُرِ الأهْليَّةِ وعن أكْلِ الثُّومِ. وقد حكَى ابنُ حَزْمٍ[(٢)]، عن علىٍّ وشَرِيكِ بنِ الحَنْبلِ، أنهما ذهَبا إلى تحريمِ البَصَلِ والثُّومِ النِّيءِ. والذى نقَله الترمذىُّ[(٣)] عنهما الكراهةُ. فاللَّهُ أعلمُ.

وقد تكَلَّم الناسُ فى الحديثِ الواردِ فى «الصحيحين»[(٤)] مِن طريقِ الزهْرىِّ، عن عبدِ اللَّهِ والحسنِ ابنَىْ محمدِ بنِ الحَنَفِيَّةِ، عن أبيهما، عن أبيه علىِّ بنِ أبى طالبٍ، رضى اللَّهُ عنه، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ نهَى عن نِكاحِ المُتْعَةِ يومَ خيبرَ، وعن لحومِ الحُمُرِ الأهْليةِ. هذا لفظُ «الصحيحين» مِن طريقِ مالكٍ وغيرِه، عن الزهرىِّ، وهو يقْتَضى تَقْييدَ تحريمِ نكاحِ المُتْعةِ بيومِ خَيْبَرَ، وهو مُشْكِلٌ مِن وجهين؛ أحدُهما، أن يومَ خيبرَ لم يكُنْ ثَمَّ نساءٌ يتَمَتَّعون بهنَّ؛ إذ قد حصَل لهم الاستغناءُ بالسِّباءِ[(٥)] عن نكاحِ المُتْعةِ. الثانى، أنه قد ثبَت فى «صحيحِ مسلمٍ»[(٦)] عن الربيعِ بنِ سَبْرَةَ بنِ[(٧)] مَعْبَدٍ، عن أبيه، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ أذِن لهم فى المُتعةِ زمنَ الفتْحِ، ثُم لم يَخْرُجْ مِن مكةَ حتى نهَى عنها، وقال: «إن اللَّهَ قد حرَّمها إلى يومِ القيامةِ». فعلى هذا يكون قد نهَى عنها، ثُم أذِن فيها، ثُم حُرِّمت؛ فيَلْزَمُ النَّسْخُ مرتين، وهو بعيدٌ. ومع هذا فقد نص

---

(١) البخارى (٤٢١٥).
(٢) المحلى ٤/ ٦٧.
(٣) انظر الترمذى (١٨٠٨، ١٨٠٩).
(٤) البخارى (٤٢١٦، ٥١١٥، ٥٥٢٣، ٦٩٦١)، ومسلم (١٤٠٧).
(٥) فى ١٥١: «بالنساء».
(٦) مسلم (١٤٠٦).
(٧) فى الأصل، م: «عن». وانظر تهذيب الكمال ٩/ ٨٢.

الشافعيُّ[1] على أنه لا يَعْلَمُ شيئًا أُبِيح ثُم حُرِّم، ثُم أُبِيح ثُم حُرِّم، غيرَ نكاحِ المُتعةِ، وما حداه على هذا، رحِمه اللَّهُ، إلا اعتمادُه على هذين الحديثَيْن، كما قدَّمْناه.

[2]وقد حكَى السهيلىُّ[3] وغيرُه، عن بعضِهم أنه ادَّعى أنها أُبِيحت ثلاثَ مراتٍ، وحُرِّمت ثلاثَ مراتٍ. وقال آخرون: أربعَ مراتٍ. وهذا بعيدٌ جدًّا. واللَّهُ أعلمُ. واخْتَلفوا؛ أىَّ وقتٍ أولُ ما حُرِّمت[4]؟ فقيل: فى خيبرَ. وقيل: فى عُمْرةِ القَضاءِ. وقيل: فى عامِ الفتحِ. وهو الذى يَظْهَرُ، وقيل: فى أوْطاسٍ. وهو قريبٌ مِن الذى قبلَه. وقيل: فى تبوكَ. وقيل: فى حَجَّةِ الوداعِ. رَواه أبو داودَ[5].

وقد حاول بعضُ العلماءِ [٣/ ٧٠ظ] أن يُجِيبَ عن حديثِ علىٍّ، رضِىَ اللَّهُ عنه، بأنه وقَع فيه تقديمٌ وتأخيرٌ[6].

وإنما المحفوظُ فيه ما رَواه الإمامُ أحمدُ[7]: حدَّثنا سفيانُ، عن الزهرىِّ، عن الحسنِ وعبدِ اللَّهِ ابنَىْ محمدٍ، عن أبيهما - وكان حسنٌ أرْضاهما فى أنفسِهما - أن عليًّا قال لابنِ عباسٍ: إن رسولَ اللَّهِ ﷺ نَهَى عن نِكاحِ[2]

---

(١) انظر معرفة السنن والآثار ٥/ ٣٤٤، وفتح البارى ٩/ ١٧٠.

(٢ - ٢) سقط من: ص.

(٣) الروض الأنف ٦/ ٥٥٧.

(٤) انظر لهذه الأقوال فتح البارى ٩/ ١٦٩، ١٧٠.

(٥) أبو داود (٢٠٧٢). شاذ (ضعيف سنن أبى داود ٤٤٧).

(٦) انظر لذلك فتح البارى ٩/ ١٦٨، ١٦٩.

(٧) المسند ١/ ٧٩. (إسناده صحيح).

(١المُتْعةِ، وعن لُحومِ الحُمُرِ الأَهْليةِ زمنَ خَيْبرَ. قالوا: فاعتقَد[٢] الراوى أن قولَه: «خَيبرَ». ظرفٌ للمَنْهىِّ عنهما، وليس كذلك، إنما هو ظرفٌ للنَّهْيِ عن لُحومِ الحُمُرِ، فأمَّا نِكاحُ المُتْعةِ فلم يَذْكُرْ له ظرفًا، وإنما جَمَعه معه[٣]؛ لأن عليًّا، رضِىَ اللَّهُ عنه، بلَغه أن ابنَ عباسٍ أباح نِكاحَ المُتْعةِ، ولُحومَ الحُمُرِ الأَهْليةِ، كما هو المشهورُ عنه، فقال له أميرُ المؤمنين علىٌّ: إنك امرُؤٌ تائهٌ، إن رسولَ اللَّهِ ﷺ نهَى عن نِكاحِ المُتْعةِ ولحُومِ الحُمُرِ الأَهْليةِ يومَ خَيْبرَ. فجمَع له النهىَ ليَرْجِعَ عما كان يَعْتقِدُه فى ذلك مِن الإباحةِ. وإلى هذا التقريرِ كان ميلُ شيخِنا الحافظِ أبى الحجّاجِ المِزِّىِّ، تغمَّده اللَّهُ برحمتِه، آمين. ومع هذا ما رجَع ابنُ عباسٍ عما كان يَذْهَبُ إليه مِن إباحةِ الحُمُرِ والمُتْعةِ، أما النهىُ عن الحُمُرِ فتأوَّلَه بأنها كانت حَمولتَهم، وأما المُتْعةُ فإنما كان يُبيحُها عندَ الضَّرورةِ فى الأسْفارِ، وحمَل النهىَ على ذلك فى حالِ الرَّفاهيةِ والوِجْدانِ، وقد تبِعه على ذلك طائفةٌ مِن أصحابِه وأتْباعِهم، ولم يزلْ ذلك مشهورًا عن علماءِ الحجازِ، إلى زمنِ ابنِ جُرَيْجٍ، وبعدَه. وقد حُكِىَ عن الإمامِ أحمدَ بنِ حَنْبلٍ روايةٌ كمذهبِ ابنِ عباسٍ، وهى ضعيفةٌ، وحاول بعضُ مَن صنَّف فى الخلافِ[٤] نقلَ روايةٍ عن الإمامِ أحمدَ[٥] بمثلِ ذلك، ولا يَصِحُّ أيضًا. واللَّهُ أعلمُ. وموضعُ تحريرِ ذلك فى كتابِ «الأحكامِ». وباللَّهِ المُستعانُ١).

(١ - ١) سقط من: ص.

(٢) فى م: «فاعتقدنا».

(٣) لكن روى أحمد ١/ ١٤٢. بإسناد صحيح، عن الزهرى بالإسناد السابق، وقال فيه: قد نهى عنها يوم خيبر - أى نكاح المتعة - فلينظر.

(٤) فى الأصل، م: «الحلال».

(1) قال ابنُ إسحاقَ[2]: ثُم جعَل رسولُ اللَّهِ ﷺ يتدَنَّى الحصونَ والأموالَ، فحدَّثنى عبدُ اللَّهِ بنُ أبى بكرٍ أنه حدَّثه بعضُ[3] أسلمَ أن بنى سَهْمٍ مِن أسْلَمَ أتَوْا رسولَ اللَّهِ ﷺ فقالوا: واللَّهِ[4] يا رسولَ اللَّهِ، لقد جُهِدْنا وما بأيدينا مِن شيءٍ. فلم يجِدوا عندَ رسولِ اللَّهِ ﷺ شيئًا يُعْطيهم إيَّاه، فقال: «اللَّهم إنك قد عرَفْتَ حالَهم، وأن ليست بهم قوةٌ، وأن ليس بيدى شيءٌ أُعْطيهم إيَّاه، فافْتَحْ عليهم أعْظَمَ حُصونِها عندَهم[5]، وأكْثَرَها طَعامًا ووَدَكًا[6]». فغَدَا الناسُ ففُتِح عليهم حصنُ الصَّعْبِ بنِ مُعاذٍ، وما بخيبرَ حِصنٌ [٣/ ٧١و] كان أكثرَ طعامًا ووَدَكًا منه.

قال ابنُ إسحاقَ[7]: ولما افْتَتَح رسولُ اللَّهِ ﷺ مِن حصونِهم ما افْتَتح، وحاز مِن الأموالِ ما حاز، انتَهَوا إلى حصنَيْهم الوَطِيحِ، والسُّلالِمِ، وكان آخرَ حصونِ خيبرَ افْتتاحًا، فحاصَرهم رسولُ اللَّهِ ﷺ بِضْعَ عشْرَةَ ليلةً. قال ابنُ هشامٍ[8]: وكان شِعارُهم يومَ خيبرَ: يا منصورُ، أمِتْ أمِتْ.

قال ابنُ إسحاقَ[9]: وحدَّثنى بُرَيْدةُ بنُ سفيانَ[10] الأسْلميُّ، عن بعضِ (1)

(١ - ١) سقط من: ص.

(٢) سيرة ابن هشام ٢/ ٣٣٢.

(٣) بعده فى الأصل، م: «مَن».

(٤) واو القسم ولفظ الجلالة سقطا من: الأصل، م.

(٥) فى الأصل، م: «عنهم غنى».

(٦) الودك: دسم اللحم ودهنه الذى يستخرج منه. النهاية ٥/ ١٦٩.

(٧) سيرة ابن هشام ٢/ ٣٣٢.

(٨) المصدر السابق ٢/ ٣٣٣.

(٩) المصدر السابق ٢/ ٣٣٥، ٣٣٦.

(١٠) بعده فى الأصل، م: «الأسدى».

(١) رجالِ بنى سَلِمةَ ، عن أبى اليَسَرِ كعبِ بنِ عمرٍو قال : إنّا لَمَع رسولِ اللَّهِ ﷺ بخيبرَ ذاتَ عَشِيَّةٍ ، إذْ أقْبَلتْ غَنَمٌ لرجلٍ مِن يهودَ ، تُرِيدُ حِصنَهم ونحن مُحاصِروهم ، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « مَن رجلٌ يُطْعِمُنا مِن هذه الغنمِ ؟ » قال أبو اليَسَرِ : فقلتُ : أنا يا رسولَ اللَّهِ . قال : « فافْعَلْ » . قال : فخرَجْتُ أشْتَدُّ مثلَ الظَّلِيمِ[٢] ، فلمّا نظَر إلىَّ رسولُ اللَّهِ ﷺ مُوَلِّيًا قال : « اللَّهم أمْتِعْنا به » . قال : فأدْرَكْتُ الغنمَ وقد دخَلتْ أُولاها الحِصنَ ، فأخَذْتُ شاتَيْن مِن أُخْراها فاحْتَضَنْتُهما تحتَ يدىَّ ، ثُم جئتُ بهما أشْتَدُّ كأنه ليس معى شىءٌ ، حتى أَلْقَيْتُهما عندَ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فذبَحوهما فأكَلوهما ، فكان أبو اليَسَرِ مِن آخرِ أصحابِ رسولِ اللَّهِ ﷺ موتًا ، وكان إذا حدَّث هذا الحديثَ بكَى ، ثم قال : أُمْتِعوا بى لعَمْرِى ، حتى كنتُ مِن آخرِهم موتًا[٣] .

وقال الحافظُ البيهقىُّ فى « الدلائلِ »[٤] : أخبرَنا أبو محمدٍ عبدُ اللَّهِ بنُ يوسفَ الأصْبهانىُّ ، حدَّثنا أبو سعيدِ بنُ الأعْرابىِّ ، حدَّثنا سَعْدانُ بنُ نَصْرٍ ، حدَّثنا أبو مُعاويةَ ، عن عاصمٍ الأحْولِ ، عن أبى عُثمانَ النَّهْدىِّ ، أو عن أبى قِلابةَ قال : لما قدِم النبىُّ ﷺ خيبرَ قدِم والثمَرةُ خَضِرَةٌ ، قال : فأسْرع الناسُ فيها[٥] ، فحُمُّوا ، فشَكَوا ذلك إليه ، فأمَرهم أن يُقَرِّسوا[٦] الماءَ فى الشِّنانِ ، ثُم (١)

(١ - ١) سقط من : ص .

(٢) الظليم : ذَكَرُ النعام . النهاية ٣/ ١٦٢.

(٣) سقط من : الأصل ، م .

(٤) دلائل النبوة ٤/ ٢٤٢.

(٥) أى بالأكل .

(٦) فى الأصل : « يرضموا » ، وقرسوا الماء فى الشنان : بردوه فى الأسقية . النهاية ٤/ ٣٩.

(١ يَحْدِروا(٢) عليهم (٣ بين أذانَي ٣) الفجرِ، ويَذْكُروا اسمَ اللَّهِ عليه، ففعلوا ذلك فكأنما نشِطوا مِن عُقُلٍ. قال البيهقيُّ: ورَوَيْناه عن عبدِ الرحمنِ بنِ رافعٍ(٤) موصولًا، وعنه: بينَ صلاتَي المغربِ والعشاءِ.

وقال الإمامُ أحمدُ(٥): حدَّثنا يَحْيَى وبَهْزٌ، قالا: حدَّثنا سُليمانُ بنُ المغيرةِ، حدَّثنا حُمَيْدُ بنُ هِلالٍ، حدَّثنا عبدُ اللَّهِ بنُ مُغَفَّلٍ، قال: دُلِّيَ جِرابٌ مِن شَحْمٍ يومَ خيبرَ. قال: فالتزَمْتُه، فقلتُ: لا أُعْطِى أحدًا منه شيئًا. قال: فالْتَفَتُّ فإذا رسولُ اللَّهِ ﷺ يَتَبَسَّمُ.

وقال أحمدُ(٦): حدَّثنا عفانُ، حدَّثنا شعبةُ، عن حُمَيْدِ بنِ هلالٍ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ مُغَفَّلٍ، قال: كنا محاصِرين(٧) قصرَ [٣/ ٧١ظ] خَيْبَرَ، فأُلْقِىَ إلينا جِرابٌ فيه شَحْمٌ، فذهَبْتُ آخُذُه(٨)، فرأيْتُ النبيَّ ﷺ فاسْتَحْيَيْتُ. وقد أخْرَجه صاحبا «الصحيحِ»(٩) مِن حديثِ شعبةَ. ورَواه مسلمٌ(١٠) أيضًا عن شَيْبانَ بنِ فَرُّوخَ، عن سليمانَ(١١) بنِ المغيرةِ، به نحوَه ١).

(١ - ١) سقط من: ص.

(٢) فى الأصل: «يجدونه»، وفى ١٥١: «يحدونه»، وفى م: «يجرونه»، والمثبت من الدلائل، ويحدرون: يصبون.

(٣ - ٣) فى الأصل، م: «إذا أتى».

(٤) فى ١٥١: «المرقع»، وبعده فى الدلائل: «عن النبى ﷺ».

(٥) المسند ٤/ ٨٦.

(٦) المسند ٥/ ٥٥.

(٧) فى الأصل، م: «نحاصر».

(٨) فى الأصل، م: «فأخذته».

(٩) البخارى (٣١٥٣، ٤٢١٤، ٥٥٠٨)، ومسلم (١٧٧٢/٧٣).

(١٠) مسلم (١٧٧٢/٧٢).

(١١) فى الأصل، م: «عثمان». وانظر تهذيب الكمال ١٢/ ٦٩.

(١) وقال ابنُ إسحاقَ(٢) : وحدَّثنى مَن لا أتَّهِمُ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ مُغَفَّلٍ المُزَنِىِّ ، قال : أصَبْتُ مِن فَىْءِ خيبرَ جِرابَ شَحْمٍ . قال : فاحْتَمَلْتُه على عُنُقى إلى رَحْلى وأصحابى . قال : فلَقِيَنى صاحبُ المَغانمِ الذى جُعِل عليها ، فأخَذ بناحيتِه ، وقال : هَلُمَّ هذا(٣) ؛ حتى نَقْسِمَه بينَ المسلمين . قال : وقلتُ : لا واللَّهِ لا أُعْطِيكَه . قال : وجعَل يُجابذُنى الجِرابَ . قال : فرآنا رسولُ اللَّهِ ﷺ ونحن نصْنَعُ ذلك فتبَسَّم ضاحكًا ، ثُم قال لصاحبِ المَغانمِ : « (٤) لا أبا لك(٤) ، خَلِّ بينَه وبينَه » . قال : فأرْسَله ، فانطَلَقْتُ به إلى رَحْلى وأصحابى فأكَلْناه . وقد اسْتَدَلَّ الجمهورُ بهذا الحديثِ على الإمامِ مالكٍ ؛ فى تحريمِه شُحُومَ ذَبائحِ اليهودِ - ما كان (٥) حرامًا عليهم - على(٥) غيرِهم مِن المسلمين ؛ لأن اللَّهَ تعالى قال(٦) : ﴿ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ ﴾ [المائدة : ٥] . قال : لكم . قال(٧) : وليس هذا مِن طعامِهم . فاستدلوا عليه بهذا الحديثِ ، وفيه نظَرٌ ، وقد يكونُ هذا الشَّحْمُ مِمَّا كان حلالًا لهم . واللَّهُ أعلمُ . وقد اسْتَدَلوا بهذا الحديثِ على أن الطعامَ لا يُخَمَّسُ .

ويَعْضُدُ ذلك ما رَواه الإمامُ أبو داودَ(٨) : حدَّثنا محمدُ بنُ العَلاءِ ، حدَّثنا أبو مُعاويةَ ، حدَّثنا أبو(٩) إسحاقَ الشَّيْبانىُّ ، عن محمدِ بنِ أبى مُجالِدٍ ، عن(١)

(١ - ١) سقط من : ص .
(٢) سيرة ابن هشام ٢/ ٣٣٩.
(٣) سقط من : الأصل ، م .
(٤ - ٤) سقط من : الأصل ، م .
(٥ - ٥) فى الأصل ، م : « غلبهم عليه » .
(٦) انظر التفسير ٣/ ٣٦.
(٧) أى الإمام مالك رحمه الله .
(٨) أبو داود (٢٧٠٤) . صحيح (صحيح سنن أبى داود ٢٣٥٣) .
(٩) سقط من : الأصل ، م . وانظر تهذيب الكمال ١١/ ٤٤٤.

(1) عبدِ اللَّهِ بنِ أبى أَوْفَى قال : قلتُ : هل كنتم تُخَمِّسون الطعامَ فى عهدِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ؟ فقال : أصَبْنا طعامًا يومَ خيبرَ ، فكان الرجلُ يجِىءُ ، فيأخُذُ منه قدْرَ ما يكفيه ، ثُم يَنْصَرِفُ . تفرَّد به أبو داودَ ، وهو حسنٌ (1) .

(1 - 1) سقط من : ص .

ذكرُ قصَّةِ صفيةَ بنتِ حُيَيِّ [(١]بنِ أخطبَ[١)] النَّضريةِ ، رضِيَ اللَّهُ عنها

وكان مِن شأنِها أنه لما أجْلَى رسولُ اللَّهِ ﷺ يهودَ بنى النَّضِيرِ مِن المدينةِ ، كما تقدَّم ، فذهَب عامَّتُهم إلى خيبرَ ، وفيهم حُيَيُّ بنُ أخْطَبَ وبنو أبى الحُقَيْقِ ، وكانوا ذَوِى أموالٍ وشرفٍ فى قومِهم ، وكانت صفيةُ إذ ذاك طفلةً دون البلوغ ، ثُم لمَّا تأَهَّلَت للتَّزْويجِ ، تزوَّجها بعضُ بنى عمِّها ، فلما زُفَّت إليه وأُدْخِلت عليه[(٢)] بَنَى بها ، ومضَى على ذلك ليالٍ ، رَأَت فى منامِها كأنَّ قمرَ السماءِ قد سَقَط فى حِجْرِها ، فقصَّت رُؤْياها على ابنِ عمِّها ، فلطَم وجْهَها ، وقال : أتَتَمَنَّين مَلِكَ يَثْرِبَ [٣/٧٢و] أن يصِيرَ بَعْلَكِ . فما كان إلَّا مَجِىءُ رسولِ اللَّهِ ﷺ وحِصارُه إيَّاهم ، فكانت صفيةُ فى جُملةِ السَّبْيِ ، وكان زوجُها فى جملةِ القَتْلَى . ولمَّا اصْطَفاها رسولُ اللَّهِ ﷺ ، وصارت فى حَوْزِه ومُلْكِه ، كما سيأتى ، وبَنَى بها بعدَ اسْتِبْرائِها وحِلِّها ، وجَد أثَرَ تلك اللَّطْمةِ فى خَدِّها ، فسأَلها : « ما شأْنُها ؟ » فذكَرت له ما كانت رَأَت مِن تلك الرُّؤْيا الصالحةِ ، رضِيَ اللَّهُ عنها وأرْضاها .

قال البخاريُّ[(٣)] : حدَّثنا سليمانُ بنُ حربٍ ، حدَّثنا حمَّادُ بنُ زيدٍ ، عن

(١ - ١) سقط من : م .

(٢) فى م : « إليه » .

(٣) البخارى (٤٢٠٠) .

ثابتٍ، عن أنسِ بنِ مالكٍ قال: صلى النبيُّ ﷺ الصبحَ قريبًا مِن خيبرَ بغَلَسٍ ثُم قال: «اللَّهُ أكبرُ، خَرِبت خيبرُ، إنا إذا نزَلْنا بساحةِ قومٍ فساء صباحُ المُنْذَرِين». فخرَجوا يَسْعَون فى السِّكَكِ، فقتَل النبيُّ ﷺ المُقاتِلةَ وسَبَى الذُّريةَ، وكان فى السَّبْيِ صفيةُ، فصارت إلى دِحْيةَ [(١] الكَلْبىِّ، ثُم صارت إلى النبيِّ ﷺ، فجعَل عِتْقَها صداقَها. ورَواه مسلمٌ أيضًا مِن حديثِ حمادِ بنِ زيدٍ - وله طُرُقٌ - عن أنسٍ [(٢)١)].

وقال البخاريُّ [(٣)]: حدَّثنا آدمُ، ثنا شعبةُ، عن عبدِ العزيزِ بنِ صُهَيْبٍ قال: سمِعْتُ أنسَ بنَ مالكٍ يقولُ: سَبَى النبيُّ ﷺ صفيةَ، فأَعْتَقها وتزَوَّجها. قال ثابتٌ لأنسٍ: ما أصْدَقَها؟ قال: أصْدَقَها نفسَها فأَعْتَقها. تفَرَّد به البخاريُّ مِن هذا الوجهِ.

وقال البخاريُّ [(٤)]: حدَّثنا عبدُ الغَفَّارِ بنُ داودَ، حدَّثنا يعقوبُ بنُ عبدِ الرحمنِ. ح وحدَّثنا أحمدُ بنُ عيسى، حدَّثنا ابنُ وَهْبٍ، أخْبَرَنى يعقوبُ ابنُ عبدِ الرحمنِ الزهْرىُّ، عن عمرٍو مَوْلَى المُطَّلِبِ، عن أنسِ بنِ مالكٍ قال: قدِمنا خيبرَ، فلمَّا فتَح اللَّهُ عليه الحصنَ، ذُكِر له جمالُ صفيةَ بنتِ حُيَيِّ بنِ أخْطَبَ، وقد قُتِل زوجُها، وكانت عَرُوسًا، فاصْطَفاها النبيُّ ﷺ لنفسِه،

(١ - ١) سقط من: ص.

(٢) مسلم (٨٤، ٨٥، ٨٧، ١٣٦٥/٨٨) باب فضيلة إعتاقه أمة ثم يتزوجها، من كتاب النكاح. و(١٣٦٥/١٢٠) باب غزوة خيبر، من كتاب الجهاد والسير.

(٣) البخارى (٤٢٠١).

(٤) البخارى (٤٢١١).

فخرَج بها حتى بلَغ بها (١سُدَّ الصَّهْباءِ١) حَلَّت، فبنَى بها رسولُ اللَّهِ ﷺ، ثُم صنَع حَيْسًا(٢) فى نِطْعٍ صغيرٍ، ثُم قال لى: «آذِنْ مَن حولَك». فكانت تلك وَليمتَه على صفيةَ، ثُم خرَجْنا إلى المدينةِ، فرَأَيْتُ النبىَّ ﷺ يُحَوِّى(٣) لها وراءَه بعَباءةٍ، ثُم يَجْلِسُ عندَ بعيرِه فيضَعُ رُكْبتَه وتضَعُ صفيةُ رِجْلَها على رُكبتِه حتى تَرْكَبَ. تفرَّد به دون مسلمٍ.

وقال البخارىُّ(٤): حدَّثنا سعيدُ بنُ أبى مَرْيَمَ، حدَّثنا محمدُ بنُ جعفرِ بنِ أبى كَثيرٍ، أخبرَنى حُمَيْدٌ أنه سمِع أنسًا يقولُ: أقام رسولُ اللَّهِ ﷺ بينَ خيبرَ والمدينةِ ثلاثَ ليالٍ، يُبْنَى عليه بصفيةَ، فدَعَوْتُ المسلمين إلى [٣/ ٧٢ظ] وَليمتِه، وما كان فيها مِن خُبْزٍ ولا(٥) لحمٍ، وما كان فيها إلا أن أمَر بلالًا بالأَنْطاعِ فبُسِطت، فأَلْقَى عليها التمرَ والأَقِطَ والسَّمْنَ، فقال المسلمون: إحْدى أمهاتِ المؤمنين أو ما ملَكت يمينُه؟ فقالوا: إن حَجَبها فهى إحدى أمهاتِ المؤمنين، وإن لم يَحْجُبْها فهى مما ملَكت يمينُه. فلما ارْتَحل وطَّأ لها خلفَه، ومدَّ الحجابَ. انفرد به البخارىُّ.

وقال أبو داودَ(٦): حدَّثنا مُسَدَّدٌ، حدَّثنا حمَّادُ بنُ زيدٍ، عن عبدِ العزيزِ بنِ

(١ - ١) فى ا ١٥: «سد الروحاء». وفى ص: «أسد الروحاء». والسد بالفتح والضم: الجبل والردم. والصهباء: اسم موضع على بريد من خيبر. انظر النهاية ٢/ ٣٥٣. والفتح ٧/ ٤٨٠.

(٢) حيسا: الحيس هو الطعام المتخذ من التمر والأقط والسمن، وقد يجعل عوض الأقط الدقيق أو الفتيت. النهاية ١/ ٤٦٧.

(٣) قال الحافظ: أى يجعل لها حوية، وهى كساء محشوة تدار حول الراكب. الفتح ٧/ ٤٨٠.

(٤) البخارى (٤٢١٣).

(٥) سقط من: الأصل، م.

(٦) أبو داود (٢٩٩٦). صحيح (صحيح سنن أبى داود ٢٥٨٩).

صُهَيْبٍ ، عن أنسِ بنِ مالكٍ قال : صارت صفيةُ لدِحْيةَ الكَلْبىِّ ، ثُم صارت لرسولِ اللَّهِ ﷺ .

وقال أبو داودَ[1] : حدَّثنا يعقوبُ بنُ إبراهيمَ ، قال : حدَّثنا ابنُ عُلَيَّةَ ، عن عبدِ العزيزِ بنِ صُهَيْبٍ ، عن أنسٍ قال : جُمِع السَّبْىُ - يَعْنى بخيبرَ - فجاء دِحْيةُ فقال : يا رسولَ اللَّهِ ، أعْطنى جاريةً مِن السَّبْىِ . قال : « اذْهَبْ فخُذْ جاريةً » . فأخَذ صَفِيَّةَ بنتَ حُيَىٍّ ، فجاء رجلٌ إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ فقال : يا نبىَّ اللَّهِ ، أعْطَيْتَ دِحْيةَ - قال يعقوبُ : - صَفِيةَ بنتَ حُيَىٍّ سيدةَ قُرَيْظَةَ والنَّضِيرِ ؟ ما تَصْلُحُ إلا لكَ . قال : « ادْعُ بها » . فلمَّا نظَر إليها النبىُّ ﷺ قال : « خُذْ جاريةً مِن السَّبْىِ غيرَها » . وإن رسولَ اللَّهِ ﷺ أعْتَقها وتزوَّجها . وأخْرَجاه مِن حديثِ ابنِ عُلَيَّةَ[2] .

وقال أبو داودَ[3] : حدَّثنا محمدُ بنُ خَلَّادٍ الباهلىُّ ، حدثنا بَهْزُ بنُ أسدٍ ، حدَّثنا حمَّادُ بنُ سَلَمَةَ ، حدَّثنا ثابتٌ ، عن أنسٍ قال : وقَع فى سهمِ دِحْيةَ جاريةٌ جميلةٌ ، فاشْتراها رسولُ اللَّهِ ﷺ بسبعةِ أرْؤُسٍ ، ثُم دفَعها إلى [4]أمِّ سُلَيْمٍ[4] تَصْنَعُها وتُهَيِّئُها . قال حمَّادٌ : وأحْسَبُه قال : وتَعْتَدُّ فى بيتِها - صفيةُ بنتُ حُيَىٍّ[5] . تفرَّد به أبو داودَ .

---

(١) أبو داود (٢٩٩٨) . صحيح (صحيح سنن أبى داود ٢٥٩١) .

(٢) البخارى (٣٧١) ، ومسلم (١٣٦٥/٨٤) من كتاب النكاح .

(٣) أبو داود (٢٩٩٧) . صحيح (صحيح سنن أبى داود ٢٥٩٠) .

(٤ - ٤) فى م : « أم سلمة » .

(٥) قوله : فى بيتها . أى فى بيت أم سليم . وقوله : صفية بنت حيى . أى وتلك الجارية هى صفية بنت حيى . وليس قوله : صفية بنت حيى فاعلا لقوله : تعتد . بل هو خبر مبتدأ محذوف . عون المعبود ٣/ ١١٢.

قال ابنُ إسحاقَ[١] : فلما افْتَتَح رسولُ اللَّهِ ﷺ القَمُوصَ ، حصنَ بنى أبى الحُقَيْقِ ، أُتِىَ بصفيةَ بنتِ حُيَىٍّ بنِ أخْطَبَ وأخرى معها ، فمرَّ بهما بلالٌ - وهو الذى جاء بهما - على قَتْلَى مِن قَتْلَى يهودَ ، فلمَّا رَأَتْهم التى مع صفيةَ ، صاحت ، وصَكَّت وجْهَها ، وحثَتِ الترابَ على رأسِها ، فلمَّا رآها رسولُ اللَّهِ ﷺ قال : « أعْزِبوا عنى هذه الشيطانةَ » . وأمَر بصفيةَ فحِيزت خلفَه ، وألْقَى عليها رداءَه ، فعرَف المسلمون أن رسولَ اللَّهِ ﷺ قد اصْطَفاها لنفسِه ، وقال رسولُ اللَّهِ ﷺ لبلالٍ - فيما بلَغنى - [٢]حينَ رَأَى بتلك اليهوديةِ ما رَأَى[٢] : « أنُزِعَت منك الرحمةُ يا بلالُ حتى تمُرَّ بامرأتَيْنِ على قَتْلَى رجالِهما » . وكانت صفيةُ قد رَأَت فى المَنامِ وهى عَروسٌ بكِنانةَ بنِ الربيعِ بنِ أبى الحُقَيْقِ ، أن قمرًا [٧٣/٣و] وقَع فى حِجْرِها ، فعرَضت رُؤْياها على زوجِها ، [٢]فقال : ما هذا إلَّا أنك تَمَنَّيْن مَلِكَ الحِجازِ محمدًا[٢] . فلطَم وجْهَها لَطْمةً خَضَّر عينَها منها[٣] . فأُتِىَ بها رسولُ اللَّهِ ﷺ وبها أثَرٌ منه ، فسأَلها : « ما هذا ؟ » فأخبَرَته الخبرَ .

قال ابنُ إسحاقَ[٤] : وأُتِىَ رسولُ اللَّهِ ﷺ بكِنانةَ بنِ الربيعِ ، وكان عندَه كَنْزُ بنى النَّضِيرِ ، فسأَله عنه ، فجحَد أن يكونَ يَعْلَمُ مكانَه ، فأَتَى رسولَ اللَّهِ ﷺ رجلٌ مِن اليهودِ ، فقال لرسولِ اللَّهِ ﷺ : إنى رأَيْتُ كِنانةَ يَطِيفُ بهذه الخَرِبَةِ كلَّ غَداةٍ . فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ لكِنانةَ : « أرَأَيْتَ إن وجَدْناه عندَك أقْتُلُك ؟ » قال : نعم . فأمَر رسولُ اللَّهِ ﷺ بالخَرِبةِ فحُفِرَت ، فأُخْرِج منها بعضُ

---

(١) سيرة ابن هشام ٢/ ٣٣٦.

(٢ - ٢) سقط من : ص .

(٣) قد يطلق الاخضرار ويراد به السواد . انظر الوسيط (خ ض ر) .

(٤) سيرة ابن هشام ٢/ ٣٣٦، ٣٣٧، وتاريخ الطبرى ٣/ ١٤ . حوادث السنة السابعة .

كَنْزِهم ، ثُم سأَله عما بقِىَ ، فأَبَى أن يُؤَدِّيَه ، فأَمَر به رسولُ اللَّهِ ﷺ الزبيرَ بنَ العوامِ فقال : « عَذِّبْه حتى تَسْتَأْصِلَ ما عندَه » . وكان الزبيرُ يَقْدَحُ بزَنْدٍ[1] فى صدرِه حتى أشْرَف على نفسِه ، ثُم دفَعه رسولُ اللَّهِ ﷺ إلى محمدِ بنِ مَسْلَمةَ ، فضرَب عُنُقَه بأخيه محمودِ بنِ مَسْلمةَ .

فصلٌ

قال ابنُ إسحاقَ[2] : وحاصَر رسولُ اللَّهِ ﷺ أهلَ خيبرَ فى حِصنَيْهِم[3] الوَطِيحِ والسُّلالِمِ ، حتى إذا أيْقَنوا بالهَلَكةِ ، سأَلوه أن يُسَيِّرَهم وأن يَحْقِنَ دماءَهم ، ففعَل ، وكان رسولُ اللَّهِ ﷺ قد حاز الأموالَ كلَّها[4] ؛ الشَّقَّ ، والنَّطَاةَ ، والكتيبةَ ، وجميعَ حصونِهم ، إلا ما كان مِن ذَيْنِك الحِصْنَيْن ، فلمَّا سمِع بهم[5] أهلُ فَدَكَ قد صنَعوا ما صنَعوا ، بعَثوا إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ يَسْأَلونه[6] أن يُسَيِّرَهم ويَحْقِنَ دماءَهم ، ويُخَلُّوا له الأموالَ ، ففعَل ، وكان ممَّن مشَى بينَ رسولِ اللَّهِ ﷺ وبينَهم فى ذلك مُحَيِّصةُ بنُ مسعودٍ ، أخو بنى حارثةَ ، فلمَّا نزَل أهلُ خيبرَ على ذلك ، سأَلوا رسولَ اللَّهِ ﷺ أن يُعامِلَهم فى الأموالِ على النصفِ ، وقالوا : نحن أعلمُ بها منكم ، وأعْمرُ لها . فصالحهم رسولُ اللَّهِ ﷺ على النصفِ ، على أنَّا إذا شئْنا أن نُخْرِجَكم أخْرَجْناكم . وعامل أهلَ فَدَكَ بمثلِ ذلك .

---

(١) فى م : « بزنده » . والزند والزندة : خشبتان يُستَقدَح بهما ، فالسفلى زندة والأعلى زند . اللسان (ز ن د) .
(٢) سيرة ابن هشام ٢/ ٣٣٧.
(٣) فى ص : « حصنهم » .
(٤) بعده فى الأصل ، ١٥١ ، ص : « إلا » .
(٥) زيادة من السيرة .
(٦) سقط من : الأصل ، م ، ص .

فصلٌ

فى فتحِ حُصونِها وقَسْمِ[(١)] أرضِها

قال الواقديُّ[(٢)] : لما تحوَّلت اليهودُ مِن حصنِ ناعمٍ وحصنِ الصَّعْبِ بنِ مُعاذٍ إلى قَلْعةِ الزُّبيرِ ، حاصَرهم رسولُ اللَّهِ ﷺ ثلاثةَ أيامٍ ، فجاء رجلٌ مِن اليهودِ يقالُ له : غَزَّالٌ[(٣)] . فقال : يا أبا القاسمِ ، تُؤَمِّننى على أن أدُلَّك على ما تَسْتَرِيحُ به مِن أهلِ النَّطاةِ ، وتَخْرُجُ إلى أهلِ الشِّقِّ ، فإن أهلَ الشِّقِّ قد هلَكوا رُعْبًا منك ؟ قال : فأمَّنه رسولُ اللَّهِ [٣/٧٣ظ] ﷺ على أهلِه ومالِه ، فقال له اليهوديُّ : إنك لو أقَمْتَ شهرًا تُحاصِرُهم ما بالوا بك ، إنَّ لهم تحتَ الأرضِ دُبولًا[(٤)] يَخرُجون بالليلِ فيَشْرَبون منها ، ثُم يَرْجِعون إلى قَلْعتِهم . فأمَر رسولُ اللَّهِ ﷺ بقطعِ دُبولِهم ، فخرَجوا فقاتَلوا أشدَّ القِتالِ ، وقُتِل مِن المسلمين يومئذٍ نفَرٌ ، وأُصِيب مِن اليهودِ عشَرةٌ ، وافْتَتحه رسولُ اللَّهِ ﷺ ، وكان آخرَ حصونِ النَّطاةِ ، وتحوَّل إلى الشِّقِّ ، وكان به حصونٌ ذواتُ عُدَدٍ ، فكان أولَ حصنٍ بدَأ به منها حصنُ أُبَيٍّ ، فقام رسولُ اللَّهِ ﷺ على قلعةٍ يقالُ لها : سُمْوانُ[(٥)] .

---

(١) فى ص : « قسمة » ، وفى م : « قسيمة » .

(٢) مغازى الواقدى ٢/٦٦٦ - ٦٦٨.

(٣) فى الأصل : « عداك » . وفى ١٥١ : « عرال » . وفى م ، ص : « عزال » . والمثبت من مصدر التخريج .

(٤) فى الأصل : « ذيول » . والدبول : جداول ماء ، واحدها دَبْل ، سميت به لأنها تُدْبَل : أى تُصْلَح وتُعَمَّر . النهاية ٢/ ٩٩.

(٥) فى المغازى : « سمران » .

فقاتَل عليها (١أهلُ الحصنِ١) أشدَّ القِتالِ، فخرَج منهم رجلٌ يقالُ له: عَزولٌ[٢]. فدَعا إلى البِرازِ، فبرَز إليه الحُبابُ بنُ المنذرِ، فقطَع يدَه اليمنى مِن نصفِ ذِراعِه، ووقَع السيفُ مِن يدِه، وفرَّ اليهوديُّ راجعًا، فاتَّبَعه الحُبابُ فقطَع عُرْقوبَه[٣]، وبرَز منهم آخرُ، فقام إليه رجلٌ مِن المسلمين، فقتَله اليهوديُّ، فنهَض إليه أبو دُجانةَ فقتَله وأخَذ سَلَبَه، وأحْجَموا عن البِرازِ، فكبَّر المسلمون، ثُم تَحامَلوا على الحصنِ فدخَلوه، وأمامَهم أبو دُجانةَ، فوجَدوا فيه أثاثًا ومَتاعًا وغَنمًا وطعامًا، وهرَب مَن كان فيه مِن المُقاتِلةِ، وتقَحَّموا الجُدُرَ[٤] كأنهم الظباءُ[٥]، حتى صاروا إلى حصنِ النِّزارِ[٦] بالشِّقِّ، وتمنَّعوا أشدَّ الامْتناعِ، فزحَف إليهم رسولُ اللَّهِ ﷺ وأصحابُه، فترامَوْا، ورمَى معهم رسولُ اللَّهِ ﷺ بيدِه الكريمةِ، حتى أصاب نَبْلُهم ثِيابَه[٧]، عليه الصلاةُ والسلامُ. فأخَذ عليه السلامُ كَفًّا مِن الحَصَا فرمَى حصنَهم بها، فرجَف بهم حتى ساخ فى الأرضِ، وأخَذهم المسلمون أخْذًا باليدِ.

وقال الواقدىُّ[٨]: ثم تحوَّل رسولُ اللَّهِ ﷺ إلى أهلِ الكَتِيبَةِ[٩] والوَطِيحِ

(١ - ١) سقط من النسخ. والمثبت من المغازى.

(٢) كذا فى النسخ. وفى المغازى: «غزَّال».

(٣) عرقوبه: العرقوب: هو الوتر الذى خلف الكعبين بين مفصل القدم والساق من ذوات الأربع، وهو من الإنسان فويق العقب. النهاية ٣/ ٢٢١.

(٤) فى الأصل: «الجذر»، وفى م: «الجزر».

(٥) فى الأصل: «الضبا». وفى م: «الضباب».

(٦) فى الأصل: «البراز». وفى ١٥١، ص: «البزاز». وفى م: «البزاة». والمثبت من المغازى.

(٧) فى النسخ: «بنانه». والمثبت من المغازى.

(٨) مغازى الواقدى ٢/ ٦٧٠، ٦٧١.

(٩) فى م، ص: «الأخبية».

والسُّلالِمِ ؛ حصنَىْ بنى أبى الحُقَيْقِ ، وتحَصَّنوا أشدَّ التَّحَصُّنِ ، وجاء إليهم كلُّ فَلٍّ[1] كان قد انهَزم مِن النَّطاةِ و[2] الشِّقِّ ، فتحَصَّنوا معهم فى القَمُوصِ - وهو[3] فى الكَتِيبَةِ ، وكان حصنًا مَنيعًا - وفى الوَطِيحِ والسُّلالِمِ ، وجعَلوا لا يطْلُعون مِن حُصونِهم ، حتى همَّ رسولُ اللَّهِ ﷺ أن يَنصِبَ المَنْجَنِيقَ عليهم ، فلمَّا أيْقَنوا بالهَلَكةِ - وقد حصَرهم رسولُ اللَّهِ ﷺ أربعةَ عشَرَ يومًا - نزَل إليه ابنُ أبى الحُقَيْقِ ، فصالَحه على حَقْنِ دمائِهم ويُسَيِّرُهم ، [٣/ ٧٤و] ويُخَلُّون بينَ رسولِ اللَّهِ ﷺ وبينَ ما كان لهم مِن الأرضِ ، والأموالِ ، والصفْراءِ ، والبَيْضاءِ ، والكُراعِ والحلْقةِ[4] ، وعلى البَزِّ ، إلا ما كان على ظهرِ الإنسانِ ، يعنى لِباسَهم ، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « وبرِئت منكم ذِمَّةُ اللَّهِ وذِمَّةُ رسولِه إن كتَمْتُم شيئًا » . فصالحوه على ذلك .

قلتُ : ولهذا لما كتَموا وكذَبوا وأخْفَوا ذلك المَسْكَ[5] الذى كان فيه أموالٌ جَزِيلةٌ ، تَبَيَّنَ أنه لا عهْدَ لهم ، فقُتِل ابنُ[6] أبى الحُقَيْقِ وطائفةٌ مِن أهلِه ، بسببِ نَقْضِ العهودِ منهم والمَواثيقِ .

---

(١) فى ١٥١، ص : « من » .

(٢) فى النسخ : « إلى » . والمثبت من المغازى .

(٣) سقط من : ١٥١، م .

(٤) الصفراء والبيضاء والحلقة : الذهب والفضة والدروع . النهاية ٣/ ٣٧. والكراع : اسم لجميع الخيل . النهاية ٤/ ١٦٥.

(٥) المسك : الجلد .

(٦) فى الأصل ، ١٥١، م : « ابنى » .

وقال الحافظُ البيهقيُّ[1] : حدَّثنى أبو الحسنِ عليُّ بنُ محمدٍ المُقْرِئُ الإسْفِرايينِيُّ ، حدَّثنا الحسنُ بنُ محمدِ بنِ إسحاقَ ، حدَّثنا يوسفُ بنُ يعقوبَ ، حدَّثنا عبدُ الواحدِ بنُ غِياثٍ ، حدَّثنا حمَّادُ بنُ سَلَمةَ ، حدَّثنا عُبَيْدُ اللَّهِ بنُ عمرَ - فيما يَحْسَبُ أبو سَلَمةَ[2] - عن نافعٍ ، عن ابنِ عمرَ ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ قاتَل أهلَ خَيْبرَ حتى ألْجَأهم إلى قصرِهم ، فغلَب على الأرضِ والزَّرْعِ والنَّخْلِ ، فصالَحوه على أن يُجْلَوْا منها ، ولهم ما حمَلت رِكابُهم ، ولِرسولِ اللَّهِ ﷺ الصفراءُ والبيضاءُ ، ويخْرُجون منها ، واشْتَرَط عليهم أن لا يَكْتُموا ولا يُغَيِّبوا[3] شيئًا ، فإن فعَلوا فلا ذِمَّةَ لهم ولا عهْدَ ، فغَيَّبوا مَسْكًا فيه مالٌ وحُلِيٌّ لحُيَيِّ بنِ أخْطَبَ ، وكان احْتَمله معه إلى خيبرَ حينَ أُجْلِيَت النَّضِيرُ ، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ [4]لعَمِّ حُيَيٍّ[4] : « ما فعَل مَسْكُ حُيَيٍّ الذى جاء به مِن النضيرِ ؟ » فقال : أذْهَبَتْه النَّفَقاتُ والحروبُ . فقال : « العهْدُ قريبٌ والمالُ أكْثرُ مِن ذلك » . فدفَعه رسولُ اللَّهِ ﷺ إلى الزبيرِ ، فمسَّه بعذابٍ ، وقد كان حُيَيٌّ قبلَ ذلك دخَل خَرِبةً ، فقال : قد رأَيْتُ حُيَيًّا يَطوفُ فى خَرِبةٍ هلهنا . فذهبوا فطافوا فوجَدوا المَسْكَ فى الخَرِبةِ ، فقتَل رسولُ اللَّهِ ﷺ ابنَىْ أبى الحُقَيْقِ ، وأحدُهما زوجُ صَفِيةَ بنتِ حُيَيِّ بنِ أخْطَبَ ، وسَبَى رسولُ اللَّهِ ﷺ نساءَهم وذَرارِيَّهم ، وقسَم أموالَهم بالنَّكْثِ الذى نكَثوا ، وأراد إجْلاءَهم منها[5] ، فقالوا : يا محمدُ ، دَعْنا

---

(1) دلائل النبوة ٤/٢٢٩ - ٢٣١.

(2) أبو سلمة كُنية حماد بن سلمة . انظر ترجمته فى تهذيب الكمال ٧/ ٢٥٣.

(3) فى ص : « يصيبوا » .

(٤ - ٤) فى الأصل : « لعم حتى » . وفى م : « حينئذ » . وفى ص : « حيى » .

(5) فى الأصل ، م : « منهما » .

نكونُ فى هذه الأرضِ نُصْلِحُها ونقومُ عليها . (1) ولم يَكُنْ لرسولِ اللَّهِ ﷺ ولا لأصحابِه غِلمانٌ(2) يَقومون عليها ، وكانوا لا يَفْرُغون أن يَقوموا عليها(1) ، فأعْطاهم خيبرَ على أنَّ لهم الشَّطْرَ مِن كلِّ زرعٍ ونخيلٍ وشىءٍ ما بدَا لرسولِ اللَّهِ ﷺ ، [3/74ظ] وكان عبدُ اللَّهِ بنُ رَواحةَ يَأْتِيهم كلَّ عامٍ فيَخْرُصُها(3) عليهم ، ثُم يُضَمِّنُهم الشَّطْرَ ، فشَكَوا إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ شدةَ خَرْصِه ، وأرادوا أن يَرْشُوه ، فقال : يا أعداءَ اللَّهِ ، تُطْعِمونى السُّحْتَ ، واللَّهِ لقد جئْتُكم مِن عندِ أحبِّ الناسِ إلىَّ ، وَلأنتم أبْغَضُ إلىَّ مِن عِدَّتِكم مِن القِرَدَةِ والخَنازيرِ ، ولا يَحْمِلُنى بُغْضى إياكم وحُبِّى إياه على أن لا أعْدِلَ عليكم . فقالوا : بهذا قامت السمواتُ والأرضُ . قال : فرأَى رسولُ اللَّهِ ﷺ بعينِ صفيةَ خُضْرةً ، فقال : « يا صفيةُ ، ما هذه الخُضْرةُ ؟ » فقالت : كان رأسى فى حِجْرِ ابنِ أبى الحُقَيْقِ وأنا نائمةٌ ، فرأَيْتُ كأنَّ قمرًا وقَع فى حِجْرى ، فأخْبَرْتُه بذلك فلطَمنى ، وقال : تَتَمَنَّين مَلِكَ يَثْرِبَ ؟! قالت : وكان رسولُ اللَّهِ ﷺ مِن أبغَضِ الناسِ إلىَّ ؛ قتَل زوجى وأبى ، فما زال يَعْتَذِرُ إلىَّ ويقولُ : « إن أباكِ ألَّب علىَّ العربَ » . وفعَل و(4) فعَل ، حتى ذهَب ذلك مِن نفسى . وكان رسولُ اللَّهِ ﷺ يُعْطِى كلَّ امرأةٍ مِن نسائِه ثمانين وَسْقًا مِن تمرٍ كلَّ عامٍ ، وعشرين وَسْقًا مِن شعيرٍ ، فلمَّا كان فى زمانِ عمرَ غشُّوا المسلمين ، وألْقَوا ابنَ عمرَ مِن فوقِ بيتٍ ففَدَعوا يديه(5) ،

(1 - 1) سقط من : الأصل .

(2) فى م ، ص : « غلال » .

(3) فى م : « فيخرجها » . ويخرصها : خرص الشىء : حزره وقدره بالظن ، يقال : خرص النخل والكرم : حزر ما عليه من الرطب تمرًا ومن العنب زبيبًا . الوسيط (خ ر ص) .

(4) فى م : « ما » .

(5) الفَدَع بالتحريك : زيغ بين القدم وبين عظم الساق ، وكذلك فى اليد ، وهو أن تزول المفاصل عن أماكنها . النهاية 3/ 420 .

فقال عمرُ: مَن كان له سهمٌ بخيبرَ فلْيَحْضُرْ حتى نَقْسِمَها. فقسَمها بينَهم. فقال رئيسُهم: لا تُخْرِجْنا، دَعْنا نكونُ فيها كما أقَرَّنا رسولُ اللَّهِ ﷺ وأبو بكرٍ. فقال عمرُ لرئيسِهم: أتُراني سقَط عنى[1] قولُ رسولِ اللَّهِ ﷺ: «كيف بك إذا رقَصَتْ[2] بك راحِلتُك نحوَ الشامِ يومًا ثُم يومًا ثُم يومًا؟» وقسَمها عمرُ بينَ مَن كان شهِد خيبرَ مِن أهلِ الحُدَيْبيةِ. وقد رَواه أبو داودَ مختصرًا مِن حديثِ حَمَّادِ بنِ سَلَمةَ[3].

قال البيهقيُّ[4]: علَّقه البخاريُّ فى «كتابِه» فقال: ورَواه حمَّادُ بنُ سَلَمةَ[5]. قلتُ: ولم أرَه فى «الأطْرافِ»[6]. فاللَّهُ أعلمُ.

وقال أبو داودَ[7]: وحدَّثنى سليمانُ بنُ داودَ المَهْرِىُّ، حدَّثنا ابنُ وَهْبٍ، أخبرنى أسامةُ بنُ زيدٍ اللَّيْثِىُّ، عن نافعٍ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ عمرَ قال: لما فُتِحت خيبرُ سألَتْ يهودُ رسولَ اللَّهِ ﷺ أن يُقِرَّهم، على أن يَعْمَلوا على النصفِ مما

---

(١) فى النسخ: «على». والمثبت من دلائل النبوة.

(٢) فى الأصل، م، ص: «وقصت». ورقَص البعير يَرْقُص رَقَصًا: إذا أسرع فى سيره. اللسان (ر ق ص).

(٣) أبو داود (٣٠٠٦). حسن الإسناد (صحيح سنن أبى داود ٢٥٩٧).

(٤) دلائل النبوة ٤/ ٢٣١.

(٥) ذكره البخارى بعد إيراده لحديث رقم (٢٧٣٠).

(٦) الظاهر من قول المصنف: «لم أره فى الأطراف» أنه لم يره فى أطراف أحاديث عبد الله بن عمر، فإن الحافظ المزى لم يذكره هناك والحامل للمصنف على قوله هذا هو ذكر البيهقى استشهاد البخارى بحديث حماد بن سلمة عقب رواية البيهقى - التى تقدمت - فظن المصنف أن الحديث عند البخارى من حديث عبد الله بن عمر. وقد ذكره الحافظ ابن حجر فى نكته ١٣٣/٦، فى أطراف أحاديث عبد الله بن عمر، كالمستدرك على الحافظ المزى. والحديث أورده الحافظ المزى على الصواب فى أطراف أحاديث عمر بن الخطاب من تحفة الأشراف ٦٨/٨.

(٧) أبو داود (٣٠٠٨). حسن الإسناد (صحيح سنن أبى داود ٢٥٩٩).

خرَج منها، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «أُقِرُّكم فيها على ذلك ما [٣/٧٥و] شِئْنا». فكانوا على ذلك، وكان التمرُ يُقْسَمُ على السُّهْمانِ مِن نصفِ خَيبرَ، ويأخُذُ رسولُ اللَّهِ ﷺ الخُمُسَ، وكان أطْعَم كلَّ امرأةٍ مِن أزواجِه مِن الخُمُسِ مائةَ وسْقٍ مِن تمرٍ، وعشرين وسْقًا مِن شعيرٍ، فلما أراد عمرُ إخْراجَ اليهودِ، أرْسَل إلى أزواجِ النبيِّ ﷺ فقال لهن: مَن أَحَبَّ منكن أن أَقْسِمَ لها (١نَخْلًا بخرصِها١) مائةَ وَسْقٍ، فيكونَ لها أصلُها وأرضُها وماؤُها، ومِن الزرْعِ مَزْرَعةَ عشرين وَسْقًا مِن شعيرٍ فعَلْنا، ومَن أحبَّ أن نَعْزِلَ الذى لها فى الخُمُسِ كما هو فَعَلْنا.

وقد رَوى أبو داودَ[٢] مِن حديثِ محمدِ بنِ إسحاقَ، حدَّثنى نافعٌ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ عمرَ، أن عمرَ قال: أيها الناسُ، إن رسولَ اللَّهِ ﷺ عامَل يهودَ خيبرَ على أن يُخْرِجَهم إذا شاء، فمَن كان له مالٌ فلْيَلْحَقْ به، فإنى مُخْرِجٌ يهودَ. فأخْرَجهم.

وقال البخاريُّ[٣]: حدَّثنا يَحْيَى بنُ بُكَيْرٍ، حدَّثنا اللَّيْثُ، عن يونسَ، عن ابنِ شِهابٍ، عن سعيدِ بنِ المُسَيَّبِ أن جُبَيْرَ بنَ مُطْعِمٍ أخبرَه قال: مشَيْتُ أنا وعثمانُ بنُ عفانَ إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ فقُلْنا: أعْطَيْتَ بنى المُطَّلِبِ مِن خُمُسِ خيبرَ وترَكْتَنا، ونحن وهم بمنزلةٍ واحدةٍ منك. فقال: (٤«إنما بنو هاشمٍ وبنو المُطَّلِبِ شىءٌ[٥] واحدٌ». قال جبيرُ بنُ مُطْعِمٍ: ولم يَقْسِمِ النبىُّ ﷺ لبنى٤)

(١ - ١) سقط من: م، ص.
(٢) أبو داود (٣٠٠٧). حسن صحيح (صحيح سنن أبى داود ٢٥٩٨).
(٣) البخارى (٤٢٢٩).
(٤ - ٤) سقط من: الأصل.
(٥) وفى رواية ليحيى بن معين «سِىٌّ واحد» أى مثل وسواء. النهاية ٢/٤٣٥.

(1) عبدِ شمسٍ وبنى نَوْفَلٍ شيئًا. تفرَّد به دونَ مسلم. وفى لفظٍ[2]: أن رسولَ اللَّهِ ﷺ قال: «إن بنى هاشمٍ وبنى المُطَّلِبِ شىءٌ واحدٌ، إنهم لم يُفارِقونا فى جاهليةٍ ولا إسلامٍ» (1).

قال الشافعىُّ: دخَلوا معهم فى الشِّعْبِ، وناصَروهم فى إسلامِهم وجاهليتِهم.

قلتُ: وقد ذَمَّ أبو طالبٍ بنى عبدِ شمْسٍ و(3) بنى نَوْفَلٍ (3) حيث يَقولُ:

جزَى اللَّهُ عنا عبدَ شمسٍ ونوْفَلَا   عقوبةَ شرٍّ عاجلًا غيرَ آجلِ

وقال البخارىُّ[4]: حدَّثنا الحسنُ بنُ إسحاقَ، ثنا محمدُ بنُ سابقٍ[5]، ثنا زائدةُ، عن عُبَيْدِ اللَّهِ بنِ عمرَ، عن نافعٍ، عن ابنِ عمرَ قال: قسَم رسولُ اللَّهِ ﷺ يومَ خيبرَ للفرسِ سهمَين وللراجلِ سهمًا. قال: فسَّرَه نافعٌ فقال: إذا كان مع الرجلِ فرسٌ، فله ثلاثةُ أسْهُمٍ، وإن لم يَكُنْ معه فرسٌ، فله سهمٌ.

وقال البخارىُّ[6]: حدَّثنا سعيدُ بنُ أبى مَرْيَمَ، ثنا محمدُ بنُ جعفرٍ، أخبَرَنى زيدٌ، عن أبيه، أنه سمِع عمرَ بنَ الخطابِ يقولُ: أمَا والذى نفسى بيدِه، لولا أن أترُكَ آخِرَ الناسِ بَبَّانًا[7] ليس لهم شىءٌ، ما فُتِحَتْ علىَّ قريةٌ إلا قسَمْتُها

(1 - 1) سقط من: الأصل.

(2) أبو داود (2980)، والنسائى (4148). صحيح (صحيح سنن أبى داود 2582).

(3 - 3) فى م: «نوفلا».

(4) البخارى (4228).

(5) فى م: «ثابت».

(6) البخارى (4235).

(7) قال ابن الأثير: فى حديث عمر رضى اللَّه عنه: لولا أن أترك آخر الناس ببّانا واحدا أى: أتركهم =

[٣/ ٧٥ظ] كما قسَم النبىُّ ﷺ خيبرَ، ولكنى أتْرُكُها خِزانةً لهم يَقْتَسِمونها. وقد رَواه البخارىُّ أيضًا مِن حديثِ مالكٍ، وأبو داودَ، عن أحمدَ بنِ حَنْبلٍ، عن ابنِ مَهْدِىٍّ، عن مالكٍ، عن زيدِ بنِ أسْلَمَ، عن أبيه، عن عمرَ، به[١]. وهذا السياقُ يَقْتَضى أنَّ خَيبرَ بكمالِها قُسِمت بينَ الغانمين.

وقد قال أبو داودَ[٢]: ثنا ابنُ السَّرْحِ، أنبأنا ابنُ وَهْبٍ، أخبرَنى يونُسُ، عن ابنِ شِهابٍ قال: بلَغنى أن رسولَ اللَّهِ ﷺ افْتَتَح خيبرَ عَنْوةً بعدَ القِتالِ، [٣]ونزَل مَن نزَل[٣] مِن أهلِها على الجَلاءِ بعدَ القتالِ. وبهذا قال الزهرىُّ[٤]: خمَّس رسولُ اللَّهِ ﷺ خيبرَ، ثُم قسَم سائرَها على مَن شَهِدها.

وفيما قاله الزهرىُّ نظرٌ؛ فإن الصحيحَ أن خَيْبرَ جميعَها لم تُقْسَمْ، وإنما قُسِم نصفُها بينَ الغانمين[٥] كما سيأتى بيانُه، وقد احْتَجَّ بهذا مالكٌ ومَن تابعه على أن الإمامَ مُخَيَّرٌ فى الأراضى المَغْنومةِ؛ إن شاء قسَمها، وإن شاء أرْصَدها

= شيئا واحدا. لأنه إذا قسم البلاد المفتوحة على الغانمين بقى من لم يحضر الغنيمة ومن يجىء بعدُ من المسلمين بغير شىء منها، فلذلك تركها لتكون بينهم جميعا. قال أبو عبيد: ولا أحسبه عربيا. وقال أبو سعيد الضرير: ليس فى كلام العرب بيّان، والصحيح عندنا - والكلام لأبى سعيد - بيّانا واحدا، والعرب إذا ذكرت من لا يُعْرَف قالوا: هَيّان بن بيّان. والمعنى: لأسَوِّيَن بينهم فى العطاء حتى يكونوا شيئا واحدا، لا فضل لأحد على غيره. قال الأزهرى: ليس كما ظن، وهذا حديث مشهور رواه أهل الإتقان، وكأنها لغة يمانية ولم تَفْشُ فى كلام مَعَدٍّ. النهاية ١/ ٩١. وقال أبو سعيد الضرير: صوابه بيانا، أى شيئا واحدًا. انظر الفتح ٧/ ٤٩٠.

(١) البخارى (٣١٢٥، ٤٢٣٦)، وأبو داود (٣٠٢٠).

(٢) أبو داود (٣٠١٨). صحيح (صحيح سنن أبى داود ٢٦٠٧).

(٣ - ٣) فى م: «وترك من ترك».

(٤) أبو داود (٣٠١٩). صحيح (صحيح سنن أبى داود ٢٦٠٨).

(٥) فى الأصل، م: «الناس».

لمصالحِ المسلمين، وإن شاء قسَم بعضَها وأرْصَد بعضَها لِمَا يَنوبُه فى الحاجاتِ والمصالحِ.

[1]قال أبو داودَ[2]: حدَّثنا الربيعُ بنُ سليمانَ المُؤَذِّنُ، ثنا أسَدُ بنُ موسى، حدَّثنا يَحْيَى بنُ زكريا، حدَّثنى سفيانُ، عن يَحْيَى بنِ سَعيدٍ، عن بُشَيْرِ بنِ يَسارٍ، عن سهلِ بنِ أبى حَثْمَةَ، قال: قسَم رسولُ اللَّهِ ﷺ خيبرَ نصفين؛ نصفًا لنَوائبِه [3]وحاجتِه[3]، ونصفًا بينَ المسلمين، قسَمها بينَهم على ثمانيةَ عشَرَ سهمًا. تفرَّد به أبو داودَ. ثُم رَواه أبو داودَ مِن حديثِ بُشَيْرِ بنِ يَسارٍ مُرْسلًا[4]، فعيَّن نصفَ النَّوائبِ؛ الوَطِيحَ والكَتِيبَةَ والسُّلالِمَ وما حِيز معها، ونصفَ المسلمين؛ الشِّقَّ والنَّطَاةَ وما حِيز معهما، وسهمُ رسولِ اللَّهِ ﷺ فيما حِيز معهما.

وقال أيضًا[5]: حدَّثنا حسينُ بنُ علىٍّ، ثنا محمدُ بنُ فُضَيْلٍ، عن يَحْيَى ابنِ سعيدٍ، عن بُشَيْرِ بنِ يَسارٍ، مَوْلى الأنصارِ، عن رجالٍ مِن أصحابِ رسولِ اللَّهِ ﷺ أن رسولَ اللَّهِ ﷺ لما ظهَر على خيبرَ فقسَمها على ستةٍ وثلاثين سهمًا، جمَع كلُّ سهمٍ مائةَ سهمٍ، فكان لرسولِ اللَّهِ ﷺ وللمسلمين النصفُ مِن ذلك، وعزَل النصفَ الثانىَ لمن نزَل به مِن الوُفودِ والأُمورِ ونوائبِ الناسِ. تفرَّد به أبو داودَ.

---

(١) من هنا حتى نهاية الفصل. سقط من: ص.
(٢) أبو داود (٣٠١٠). حسن صحيح (صحيح سنن أبى داود ٢٦٠١).
(٣ - ٣) زيادة من سنن أبى داود.
(٤) أبو داود (٣٠١٣). صحيح الإسناد (صحيح سنن أبى داود ٢٦٠٤).
(٥) أبو داود (٣٠١٢). صحيح الإسناد (صحيح سنن أبى داود ٢٦٠٣).

قال أبو داودَ[1] : حدَّثنا محمدُ بنُ عيسى ، ثنا مُجَمِّعُ بنُ يعقوبَ بنِ مُجَمِّعِ [٣/٧٦و] بنِ يزيدَ الأنصاريُّ ، سمِعْتُ أبي يعقوبَ بنَ مُجَمِّعٍ يقولُ ، عن عمِّه عبدِ الرحمنِ بنِ يزيدَ الأنصاريِّ ، عن عمِّه مُجَمِّعِ بنِ جاريةَ[2] الأنصاريِّ - وكان أحدَ القُرَّاءِ الذين قرَءوا القرآنَ - قال : قُسِمَت خيبرُ على أهلِ الحُدَيْبِيةِ ، فقسَمها رسولُ اللَّهِ ﷺ على ثمانيةَ عشَرَ سهمًا ، وكان الجيشُ ألفًا وخمسَمائةٍ ، فيهم ثلاثُمائةِ فارسٍ ، فأعْطَى الفارسَ سهمين ، وأعْطَى الراجلَ سهمًا . تفرَّد به أبو داودَ .

وقال مالكٌ : عن الزهريِّ ، أن سعيدَ بنَ المسيَّبِ أخْبرَه أن النبيَّ ﷺ افْتَتَح بعضَ خيبرَ عَنْوةً . رَواه أبو داودَ[3] . ثُم قال أبو داودَ : قُرِئَ على الحارثِ بنِ مِسْكينٍ وأنا شاهدٌ ، أخْبَرَكم ابنُ وَهْبٍ ، حدَّثني مالكُ بنُ أنسٍ ، عن ابنِ شِهابٍ أن خيبرَ بعضُها كان عَنْوةً ، وبعضُها صُلْحًا ، والكَتِيبةَ أكثرُها عَنْوةً ، وفيها صُلحٌ . قلتُ لمالكٍ : وما الكَتِيبَةُ ؟ قال : أرضُ خَيْبرَ ، وهي أربعون ألفَ عَذْقٍ . قال أبو داودَ[4] : والعَذْقُ : النَّخلةُ . والعِذْقُ : العُرْجونُ .

ولهذا قال البخاريُّ[5] : حدَّثنا محمدُ بنُ بَشَّارٍ ، ثنا حَرَميٌّ ، ثنا شعبةُ ، ثنا

---

(١) أبو داود (٣٠١٥) . حسن (صحيح سنن أبي داود ٢٦٠٦) .

(٢) في م : « حارثة » .

(٣) أبو داود (٣٠١٧) . ضعيف (ضعيف سنن أبي داود ٦٥٠) .

(٤) كذا في الأصل ، م ، ولم نجده في سنن أبي داود . ولعله من قول الخطابي . فقد قال في معالم السنن ٣١/٣ بعد إيراده الحديث : العَذق : النخلة ، والعِذق الكِبَاسة .

وقد أورد صاحب عون المعبود ١٢٢/٣ قول الخطابي هذا بدون إشارة إلى أن أبا داود قال مثل هذا .

(٥) البخاري (٤٢٤٢) .

عُمارَةُ ، عن عكرمةَ ، عن عائشةَ قالت : لما فُتِحت خيبرُ قلنا : الآنَ نَشْبَعُ مِن التمرِ .

حدَّثنا[1] الحسنُ ، ثنا قُرَّةُ بنُ حَبيبٍ ، ثنا عبدُ الرحمنِ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ دِينارٍ ، عن أبيه ، عن ابنِ عمرَ قال : ما شبِعْنا - يعنى مِن التمرِ - حتى فتَحْنا خيبرَ .

وقال محمدُ بنُ إسحاقَ[2] : كانت الشِّقُّ والنَّطَاةُ فى سُهْمانِ المسلمين ؛ الشِّقُّ ثلاثةَ عشَرَ سهمًا ، ونَطاةُ خَمْسةُ أسهمٍ ، قسَم الجميعَ على ألفٍ وثمانِمائةِ سهمٍ ، ودفَع ذلك إلى مَن شهِد الحُدَيْبيةَ ؛ مَن حضَر خيبرَ ومَن غاب عنها ، ولم يَغِبْ عن خيبرَ ممَّن شهِد الحُدَيْبيةَ إلا جابرُ بنُ عبدِ اللَّهِ ، فضرَب له بسهمِه . قال : وكان أهلُ الحُدَيْبيةِ ألفًا وأربعَمائةٍ ، وكان معهم مائتا فرسٍ ، لكل فرسٍ سَهمان ، فصُرِف إلى كلِّ مائةِ رجلٍ سهمٌ مِن ثمانيةَ عشَرَ سهمًا ، وزِيد المائتا فارسٍ أربعَمائةِ سهمٍ لخيولِهم .

وهكذا رَواه البيهقيُّ[3] مِن طريقِ سفيانَ بنِ عُيَيْنةَ ، عن يَحْيَى بنِ سعيدٍ ، عن صالحِ بنِ كَيْسانَ أنهم كانوا ألفًا وأربعَمائةٍ ، و[4] مائتَا فرسٍ .

قلتُ : وضرَب رسولُ اللَّهِ ﷺ معهم بسهمٍ ، وكان أولَ سهمٍ مِن سُهْمانِ

---

(١) البخارى (٤٢٤٣) .

(٢) سيرة ابن هشام ٢/ ٣٤٩، ٣٥٠ بمعناه ، وانظر تاريخ الطبرى ٣/ ١٩. حوادث السنة السابعة ، ودلائل النبوة للبيهقى ٤/ ٢٣٦، ٢٣٧.

(٣) دلائل النبوة ٤/ ٢٣٨.

(٤) فى م : « معهما » .

الشَّقِّ مع عاصمِ بنِ عَدِيٍّ .

قال ابنُ إسحاقَ[1] : وكانت الكَتِيبَةُ خُمُسًا للَّهِ تعالى ، وسهمَ النبيِّ ﷺ ، وسهمَ ذَوِى القُرْبَى واليَتامَى [٣/٧٦ظ] والمساكينِ وابنِ السبيلِ ، وطُعْمَةَ أزواجِ النبيِّ ﷺ ، وطُعْمَةَ أقوامٍ مشَوْا فى صلحِ أهلِ فَدَكَ ، منهم مُحَيِّصةُ بنُ مسعودٍ ، أقْطَعه رسولُ اللَّهِ ﷺ ثلاثين وَسْقًا مِن تمرٍ ، وثلاثين وَسْقًا مِن شعيرٍ . قال : وكان وادياها اللذان قُسِّمَت عليه يقالُ لهما : وادى السُّرَيْرِ[2] ووادى خاصٍ . ثُم ذكَر ابنُ إسحاقَ تفاصيلَ الإقْطاعاتِ منها فأجاد وأفاد ، رحِمه اللَّهُ .

قال[3] : وكان الذى وَلِىَ قِسْمتَها وحسابَها جَبَّارُ بنُ صَخْرِ بنِ أمية بنِ خَنْساءَ ، أخو بنى سَلِمة ، وزيدُ[4] بنُ ثابتٍ ، رضى اللَّهُ عنهما .

قلتُ : وكان الأميرَ على خَرْصِ نخيلِ خيبرَ عبدُ اللَّهِ بنُ رَواحةَ ، فخرَصها سنتين ، ثُم لما قُتِل ، رضى اللَّهُ عنه - كما سيأتى فى يومِ مُؤْتَةَ - ولِىَ بعدَه جَبَّارُ ابنُ صَخْرٍ ، رضى اللَّهُ عنه .

وقد قال البخارىُّ[5] : حدَّثنا إسماعيلُ ، حدَّثنى مالكٌ ، عن عبدِ المجيدِ بنِ سُهَيْلٍ ، عن سعيدِ بنِ المسيَّبِ ، عن أبى سعيدٍ الخدرىِّ وأبى هريرةَ ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ استعْمل رجلًا على خيبرَ ، فجاءه بتمرٍ جَنِيبٍ[6] ، فقال رسولُ اللَّهِ

---

(١) سيرة ابن هشام ٢/٣٤٩ - ٣٥٧.

(٢) فى سيرة ابن هشام : « السريرة » . قال ياقوت : السرير وخاص : واديان بخيبر . معجم البلدان ٣/ ٨٩.

(٣) سيرة ابن هشام ٢/٣٥٧.

(٤) فى السيرة : « يزيد » .

(٥) البخارى (٤٢٤٤، ٤٢٤٥) .

(٦) الجنيب : نوع جيد معروف من أنواع التمر . النهاية ١/ ٣٠٤.

ﷺ: «كلُّ تمرِ خيبرَ هكذا؟» قال: لا واللَّهِ يا رسولَ اللَّهِ، إنا لَنأخُذُ الصاعَ مِن هذا بالصاعَيْن، والصاعَيْن بالثلاثةِ. فقال: «لا تَفْعلْ، بعِ الجَمْعَ[1] بالدراهمِ، ثُم ابْتَعْ بالدراهمِ جَنِيبًا».

قال البخاريُّ[2]: وقال الدَّراوَرْدىُّ، عن عبدِ المجيدِ، عن سعيدِ بنِ المُسَيَّبِ أن أبا سعيدٍ وأبا هريرةَ حدَّثاه أن رسولَ اللَّهِ ﷺ بعَث أخا بنى عَدِىٍّ مِن الأنصارِ إلى خيبرَ وأمَّره عليها. وعن عبدِ المجيدِ، عن أبى صالحٍ السَّمَّانِ، عن أبى سعيدٍ وأبى هريرةَ، مثلَه.

قلتُ: كان سهمُ النبىِّ ﷺ الذى أصاب مع المسلمين مما قسَم بخيبرَ وفَدَكَ بكمالِها - وهى طائفةٌ كبيرةٌ مِن أرضِ خيبرَ، نزَلوا مِن شدةِ رُعْبِهم منه، صلواتُ اللَّهِ وسلامُه عليه، فصالحوه - وأموالَ بنى النَّضِيرِ، المُتَقَدِّمَ ذِكْرُها، مما لم يُوجِفِ المسلمون عليه بخيلٍ ولا رِكابٍ، فكانت هذه الأموالُ لرسولِ اللَّهِ ﷺ خاصةً، وكان يَعْزِلُ منها نفقةَ أهلِه لسنةٍ، ثُم يَجْعَلُ ما بقِىَ مَجْعَلَ مالِ اللَّهِ؛ يَصْرِفُه فى الكُراعِ والسلاحِ ومصالحِ المسلمين، فلمَّا مات، صلواتُ اللَّهِ وسلامُه عليه، اعْتَقَدتْ فاطمةُ وأزواجُ النبىِّ ﷺ - أو أكثرُهن - أن هذه الأراضىَ تكونُ مَوْروثةً عنه، ولم [٣/٧٧و] يَبْلُغْهن ما ثبَت عنه مِن قولِه ﷺ: «نحن معشرَ الأنبياءِ لا نُورَثُ، ما ترَكْناه فهو صدقةٌ»[3]. ولمَّا طَلَبت فاطمةُ وأزواجُ النبىِّ ﷺ والعباسُ نصيبَهم مِن ذلك، وسألوا الصِّدِّيقَ أن يُسْلِمَه

---

(١) الجمع: تمر مختلط من أنواع متفرقة غير مرغوب فيها. الوسيط (ج م ع).

(٢) البخارى (٤٢٤٦، ٤٢٤٧).

(٣) تقدم تخريجه فى ٢/ ٣٢٣، ٣٢٤.

إليهم ، ذكَر لهم قولَ رسولِ اللَّهِ ﷺ : « لا نُورَثُ ، ما ترَكْنا فهو[1] صدقةٌ » . وقال : أنا أَعولُ مَن كان يَعولُ رسولُ اللَّهِ ﷺ ، واللَّهِ لَقرابةُ رسولِ اللَّهِ ﷺ أحبُّ إلىَّ أن أصِلَ مِن قَرابتى . وصدَق ، رضى اللَّهُ عنه وأرضاه ، فإنه البارُّ الراشدُ فى ذلك ، التابعُ للحقِّ ، وطلَب العباسُ وعلىٌّ - على لسانِ فاطمةَ ، إذ قد فاتهم الميراثُ - أن يَنْظُرَا فى هذه الصدقةِ ، وأن يَصْرِفا ذلك فى المَصارفِ التى كان النبىُّ ﷺ يَصْرِفُها فيها ، فأبَى عليهم الصديقُ ذلك ، ورَأى أنَّ حقًّا عليه أن يقومَ فيما كان يَقومُ فيه رسولُ اللَّهِ ﷺ ، وأن لا يَخْرُجَ مِن مَسْلَكِه ولا عن سَنَنِه . فتغَضَّبَت فاطمةُ ، رضىَ اللَّهُ عنها ، عليه فى ذلك ، ووجَدت فى نفسِها بعضَ المَوْجِدةِ ، ولم يَكُنْ لها ذلك ، والصديقُ مَن قد عرَفَتْ هى والمسلمون مَحَلَّه ومَنْزلتَه مِن رسولِ اللَّهِ ﷺ ، وقيامَه فى نُصْرةِ النبىِّ ﷺ فى حياتِه وبعدَ وفاتِه ، فجزاه اللَّهُ عن نبيِّه وعن الإسلامِ وأهلِه خيرًا ، وتُوُفِّيَتْ فاطمةُ ، رضى اللَّهُ عنها ، بعدَ ستةِ أشْهُرٍ ، ثُم جدَّد علىٌّ البَيْعةَ بعدَ ذلك ، فلما كان أيامُ عمرَ بنِ الخطابِ ، سأَلوه أن يُفَوِّضَ أمْرَ هذه الصدقةِ إلى علىٍّ ، والعباسِ ، وثقَّلوا عليه بجماعةٍ مِن ساداتِ الصحابةِ ، ففعَل عمرُ ، رضى اللَّهُ عنه ، ذلك ، وذلك لكثرةِ أشْغالِه واتساعِ مَمْلكتِه وامتدادِ رَعِيَّتِه ، فتغَلَّبَ على علىٌّ عمَّه العباسُ فيها ، ثُم تَساوَقا يَخْتَصِمانِ إلى عمرَ ، وقدَّما بينَ أيديهما جماعةً مِن الصحابةِ ، وسأَلا منه أن يَقْسِمَها بينَهما ، فيَنْظُرَ كلٌّ منهما فيما لا يَنْظُرُ فيه الآخرُ . فامتَنَع عمرُ مِن ذلك أشدَّ الامْتناعِ ، وخشِىَ أن تكونَ هذه القِسْمةُ تُشْبِهُ قِسْمةَ المَواريثِ ، وقال : انْظُرا فيها وأنتما جميعٌ ، فإن عَجَزْتُما

(١) سقط من : م .

عنها فادْفَعاها إلىَّ ، والذى تقومُ السماءُ والأرضُ بأمْرِه لا أقْضى فيها قضاءً غيرَ هذا . فاسْتَمَرَّا [٣/٧٧ظ] فيها ، ومَن بعدَهما مِن[1] ولدِهما إلى أيامِ بنى العباسِ ، تُصْرَفُ فى المَصارفِ التى كان رسولُ اللَّهِ ﷺ يَصْرِفُها فيها ، أموالُ بنى النَّضيرِ وفَدَكَ ، وسهمُ رسولِ اللَّهِ ﷺ مِن خيبرَ .

فصلٌ

وأما مَن شَهِد خيبرَ مِن العبيدِ والنساءِ ، فرضَخ[2] لهم رسولُ اللَّهِ ﷺ شيئًا مِن الغَنيمةِ ، ولم يُسْهِمْ لهم .

قال أبو داودَ[3] : حدَّثنا أحمدُ بنُ حَنبَلٍ ، ثنا بِشْرُ بنُ المُفَضَّلِ ، عن محمدِ ابنِ زيدٍ ، حدَّثنى عُمَيْرٌ مَوْلَى آبِى اللَّحْمِ قال : شهِدْتُ خيبرَ مع سادتى ، فكَلَّموا فىَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ ، فأمَر بى فقُلِّدْتُ سيفًا ، فإذا أنا أَجُرُّه ، فأُخْبِر أنى مملوكٌ ، فأمَر لى بشىءٍ مِن خُرْثِىِّ[4] المتاعِ . ورَواه الترمذىُّ والنَّسائىُّ جميعًا ، عن قُتَيْبَةَ ، عن بِشْرِ بنِ المُفَضَّلِ [5] به[6] . وقال الترمذىُّ : حسنٌ صحيحٌ . ورَواه ابنُ ماجه ، عن علىِّ بنِ محمدٍ ، عن وَكِيعٍ ، عن هشامِ بنِ سعدٍ [5] ، عن محمدِ بنِ زيدِ بنِ

---

(١) فى م : « إلى » .

(٢) الرَّضْخ : العطية القليلة . النهاية ٢/ ٢٢٨ .

(٣) أبو داود (٢٧٣٠) . صحيح (صحيح سنن أبى داود ٢٣٧٠) .

(٤) فى م : « طريق » . والخرثى : أردأ المتاع والغنائم . اللسان (خ ر ث) . قال أبو داود عقب الحديث : معناه ؛ أنه لم يسهم له بشىء .

(٥ - ٥) زيادة من : م .

(٦) الترمذى (١٥٥٧) ، والنسائى فى الكبرى (٧٥٣٥) . صحيح (صحيح سنن الترمذى ١٢٦١) .

المُهاجِرِ (١بنِ قُنْفُذٍ١) ، عن عُمَيْرٍ ، به(٢) .

وقال محمدُ بنُ إسحاقَ(٣) : وشهِد خيبرَ مع رسولِ اللَّهِ ﷺ نساءٌ ، فرضَخ لهنَّ ، ولم يَضْرِبْ لهنَّ بسهمٍ ، حدَّثنى سليمانُ بنُ سُحَيْمٍ ، عن أميةَ بنتِ(٤) أبى الصَّلْتِ ، عن امرأةٍ مِن بنى غِفارٍ قد سمَّاها لى ، قالت : أتَيْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ فى نسوةٍ مِن بنى غِفارٍ ، فقلْنا : يا رسولَ اللَّهِ ، قد أرَدْنا أن نَخْرُجَ معك إلى وجهِك هذا - وهو يَسِيرُ إلى خيبرَ - فنُداوِىَ الجرحَى ، ونُعِينَ المسلمين بما استَطَعْنا . فقال : « على بركةِ اللَّهِ » . قالت : فخرَجْنا معه . قالت : وكنتُ جاريةً حَدَثَةً ، فأرْدَفنى رسولُ اللَّهِ ﷺ على حقيبةِ رَحْلِه(٥) . (٦قالت : فواللَّهِ لَنزَل رسولُ اللَّهِ ﷺ إلى الصبحِ وأناخ(٧) ، ونزَلْتُ عن حقيبةِ رَحْلِه . قالت٦) : وإذا بها دمٌ منى ، وكانت أولَ حَيْضةٍ حِضْتُها . قالت : فتَقَبَّضْتُ إلى الناقةِ واستَحْيَيْتُ . فلمَّا رأَى رسولُ اللَّهِ ﷺ ما بى ، ورأَى الدمَ ، قال : « ما لكِ ؟ لعلكِ نَفِسْتِ ؟ » قالت : قلتُ : نعم . قال : « فأصْلِحى مِن نفسِكِ ، ثُم خُذى إناءً مِن ماءٍ ، فاطْرَحى فيه مِلْحًا ، ثُم اغْسِلى ما أصاب الحَقيبةَ مِن الدمِ ، ثُم عودى لمَرْكَبِك » . قالت : فلمَّا فتَح اللَّهُ خيبرَ ، رضَخ لنا مِن الفَىْءِ ، وأخَذ هذه القِلادةَ التى تَرَيْنَ فى عُنُقى ، فأَعْطانِيها وعلَّقها بيدِه فى عُنقى ، فواللَّهِ لا

(١ - ١) فى م : « عن منقذ » . انظر تهذيب الكمال ٢٥/ ٢٣١.

(٢) ابن ماجه (٢٨٥٥) . حسن (صحيح سنن ابن ماجه ٢٣٠٤) .

(٣) سيرة ابن هشام ٢/ ٣٤٢.

(٤) فى السيرة : « بن » . انظر ترجمتها فى تهذيب الكمال ٣٥/ ١٣٢.

(٥) حقيبة الرحل: الزيادة التى تجعل فى مؤخرة القتب . النهاية ١/ ٤١٢.

(٦ - ٦) سقط من : الأصل .

(٧) سقط من : النسخ . والمثبت من مصادر التخريج .

تُفارِقُنى أبدًا. وكانت فى عُنُقِها حتى ماتت، ثُم أوْصَت أن تُدْفَنَ معها. قالت: وكانت لا تَطَّهَّرُ مِن حَيْضِها إلّا [٣/٧٨و] جعَلَتْ فى طَهورِها مِلْحًا، وأوْصَت به أن يُجْعَلَ فى غُسْلِها حينَ ماتت. وهكذا رَواه الإمامُ أحمدُ وأبو داودَ، مِن حديثِ محمدِ بنِ إسحاقَ، به[1]. قال شيخُنا أبو الحَجَّاجِ المِزِّىُّ فى «أطْرافِه»[2]: ورَواه الواقدىُّ، عن أبى بكرِ بنِ أبى سَبْرَةَ، عن سليمانَ بنِ سُحَيْمٍ، عن أمِّ علىٍّ بنتِ أبى الحكَمِ، عن أُمَيَّةَ بنتِ أبى الصَّلْتِ، عن النبىِّ ﷺ به[3].

وقال الإمامُ أحمدُ[4]: حدَّثنا حسنُ بنُ موسى، ثنا رافِعُ بنُ سَلَمةَ الأشْجعىُّ، حدَّثنى حَشْرَجُ بنُ زِيادٍ، عن جَدَّتِه أمِّ أبيه، قالت: خرَجْنا مع رسولِ اللَّهِ ﷺ فى غَزاةِ خيبرَ، وأنا سادسةُ سِتِّ نسوةٍ. قالت: فبلَغ النبىَّ ﷺ أنَّ معه نساءً. قالت: فأرْسَل إلينا فدَعانا. قالت: فرأَيْنا فى وجهِه الغضبَ، فقال: «ما أخْرَجكن، وبأمْرِ مَن خرَجْتُن؟» قلنا: خرَجْنا نُناوِلُ السهامَ، ونَسْقِى السَّويقَ، ومعنا دواءٌ للجَرْحَى، ونَغْزِلُ الشَّعْرَ فنُعِينُ به فى سبيلِ اللَّهِ. قال: «قُمْنَ[5] فانصَرِفْن». قالت: فلمَّا فتَح اللَّهُ عليه خيبرَ أخْرَج لنا سِهامًا كسهامِ الرجالِ. فقلتُ لها: يا جَدَّةُ، وما الذى أخْرَج لكُنَّ؟ قالت: تمرًا.

قلتُ: إنما أعْطاهن مِن الحاصلِ، فأمَّا أنه أسْهم لهن فى الأرضِ كسهامِ

---

(١) المسند ٦/ ٣٨٠، وأبو داود (٣١٣). ضعيف (ضعيف سنن أبى داود ٦٦).
(٢) تحفة الأشراف ١٣/ ١٢٣.
(٣) مغازى الواقدى ٢/ ٦٨٥، ٦٨٦.
(٤) المسند ٦/ ٣٧١. ضعيف [فقه السيرة ص ٣٥٩].
(٥) فى الأصل، م: «فمرن». والمثبت من المسند.

الرجالِ فلا . واللَّهُ أعلمُ .

وقال الحافظُ البيهقىُّ[1] : وفى كتابى ، عن أبى عبدِ اللَّهِ الحافظِ ، أن عبدَ اللَّهِ[2] الأَصْبَهانىَّ أخْبرَه ، حدَّثنا الحُسَيْنُ[3] بنُ الجَهْمِ ، ثنا الحسينُ بنُ الفَرَجِ ، ثنا الواقدىُّ ، حدَّثنى عبدُ السلامِ بنُ موسى بنِ جُبَيْرٍ ، عن أبيه ، عن جَدِّه ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ أُنَيْسٍ ، قال : خرَجْتُ مع رسولِ اللَّهِ ﷺ إلى خيبرَ ، ومعى زوجتى وهى حُبْلَى ، فنَفِسَتْ فى الطريقِ ، فأخْبَرْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ فقال لى : « انْقَعْ لها تمرًا ، فإذا انْغَمَر بَلُّه[4] ، فامْرُثْه[5] لِتَشْرَبَه » . ففعلْتُ ، فما رَأَت شيئًا تَكْرَهُه ، فلما فتَحْنا خيبرَ أجْدَى[6] النساءَ ، ولم يُسْهِمْ لهن ، فأجْدَى زوجتى وولدى الذى وُلِد . قال عبدُ السلامِ : لستُ أَدْرِى غلامٌ أو جاريةٌ .

---

(١) دلائل النبوة ٤/ ٢٤٢، ٢٤٣. وانظر مغازى الواقدى ٢/ ٦٨٦.

(٢) كذا فى الأصل، م. وفى الدلائل : « أبا عبد الله » .

(٣) كذا فى الأصل، م. وفى الدلائل : « الحسن » .

(٤) سقط من : الأصل، م. والمثبت من الدلائل والمغازى .

(٥) فى م ، والدلائل : « فأمر به » . ومرث الشىء : فتّه. انظر اللسان (م ر ث) .

(٦) أجدى : أعطى. اللسان (ج د ى) .

ذِكْرُ قُدومِ جعفرِ بنِ أبى طالبٍ

(١)ومن كان بَقِىَ بالحبشةِ ممن هاجر إليها من المسلمين، ومن انضَمَّ إليهم من أهلِ اليمنِ، على رسولِ اللَّهِ ﷺ وهو مُخَيِّمٌ بخَيْبَرَ(١)

قال البخاريُّ(٢): حدَّثنا محمدُ بنُ العَلاءِ، ثنا أبو أسامةَ، ثنا بُرَيدُ(٣) بنُ عبدِ اللَّهِ [٣/٧٨ظ] بنِ أبى بُرْدَةَ، عن أبى بُرْدَةَ، عن أبى موسى قال: بلَغَنا مَخْرَجُ النبىِّ ﷺ ونحن باليمنِ، فخرَجْنا مُهاجرين إليه أنا وأخَوان لى، أنا أصْغرُهم؛ أحدُهما أبو بُرْدَةَ، والآخرُ أبو رُهْمٍ - إمَّا قال: فى بِضْعٍ. وإما قال: فى ثلاثةٍ وخمسين، أو اثنين وخمسين رجلًا مِن قومى - فركِبْنا سفينةً، فألْقَتْنا سفينتُنا إلى النجاشىِّ بالحبشةِ، فوافَقْنا جعفرَ بنَ أبى طالبٍ، فأقَمْنا معه حتى قَدِمْنا جميعًا، فوافَقْنا النبىَّ ﷺ حينَ افْتَتَح خيبرَ، فكان أُناسٌ مِن الناسِ يقولون لنا - يعنى لأهلِ السفينةِ -: سبَقْناكم بالهجرةِ. ودخَلت أسماءُ بنتُ عُمَيْسٍ، وهى ممن قدِم معنا، على حَفْصَةَ زوجِ النبىِّ ﷺ زائرةً، وقد كانت هاجَرت إلى النجاشىِّ فيمَن هاجَر، فدخَل عمرُ على حَفْصَةَ، وأسماءُ عندَها، فقال عمرُ حينَ رأى أسماءَ: مَن هذه؟ قالت: أسماءُ بنتُ عُمَيْسٍ. قال عمرُ:

(١ - ١) فى م: «ومسلمو الحبشة المهاجرون».

(٢) البخارى (٤٢٣٠- ٤٢٣٢).

(٣) فى م، ص: «يزيد». انظر تهذيب الكمال ٤/ ٥٠.

الحبشيةُ هذه؟ البَحْريةُ هذه؟ قالت أسماءُ: نعم. قال: سَبَقْناكم بالهجرةِ، فنحن أحقُّ برسولِ اللَّهِ ﷺ منكم. فغَضِبَت وقالت: كلَّا واللَّهِ، كنتم مع رسولِ اللَّهِ ﷺ يُطْعِمُ جائعَكم، ويَعِظُ جاهلَكم، وكنا في دارٍ - أو في أرضٍ - البُعَداءِ والبُغَضاءِ بالحبشةِ، وذلك في اللَّهِ وفي رسولِ اللَّهِ ﷺ، وايْمُ اللَّهِ لا أَطْعَمُ طعامًا ولا أَشْرَبُ شرابًا حتى أَذْكُرَ ما قلتَ للنبيِّ ﷺ وأَسأَلَه، وواللَّهِ لا أَكْذِبُ ولا أَزِيغُ ولا أَزِيدُ عليه. فلمَّا جاء النبيُّ ﷺ قالت: يا نبيَّ اللَّهِ، إن عمرَ قال كذا وكذا[(1)]. قال: «فما قلْتِ له؟» قالت: قلتُ كذا وكذا. قال: «ليس بأحقَّ بي منكم، وله ولأصحابِه هجرةٌ واحدةٌ، ولكم أنتم أهلَ السفينةِ هجرتان». قالت: فلقد رأيتُ أبا موسى وأصحابَ[(2)] السفينةِ يَأْتُوني أرْسَالًا يَسْألوني عن هذا الحديثِ، ما مِن الدنيا شيءٌ هُمْ به أفْرَحُ ولا أعظمُ في أنفسِهم مما قال لهم النبيُّ ﷺ. قال أبو بُرْدَةَ: قالت أسماءُ: فلقد رأيتُ أبا موسى، وإنه ليَسْتَعِيدُ هذا الحديثَ مني.

وقال أبو بُرْدَةَ[(3)]، عن أبي موسى، قال النبيُّ ﷺ: «إني لأَعْرِفُ أصواتَ رُفْقةِ الأَشْعَرِيِّين بالقرآنِ، حينَ يدْخُلون بالليلِ، [(4)]وأَعْرِفُ منازلَهم مِن أصواتِهم بالقرآنِ بالليلِ[(4)]، وإن كنتُ لم أرَ منازلَهم حينَ نزَلوا بالنهارِ، ومنهم حكيمٌ[(5)]، إذا لَقِيَ العدُوَّ - أو قال: الخيلَ - قال لهم: إن أصحابي يَأْمُرونكم أن

---

(1) بعده في الأصل، م: «قالت».

(2) في الأصل، م: «أهل».

(3) البخارى (٤٢٣٢). قال الحافظ: هو موصول بالإسناد المذكور. أى السابق. فتح البارى ٧/ ٤٨٧.

(٤ - ٤) سقط من: ص.

(5) بعده في م: «بن حزام». قال الحافظ: قال عياض: قال أبو على الصدفى: هو صفة لرجل منهم. وقال أبو على الجيانى: هو اسم علم على رجل من الأشعريين. فتح البارى ٧/ ٤٨٧.

تَنْظُروهم[1] » . وهكذا رَواه مسلمٌ ، عن أبى كُرَيْبٍ وعبدِ اللَّهِ بنِ بَرَّادٍ ، عن أبى أُسامةَ ، به[2] .

ثُم قال البخاريُّ[3] : حدَّثنا إسحاقُ بنُ إبراهيمَ ، ثنا حَفْصُ بنُ غِياثٍ ، [٣/ ٧٩و] ثنا بُرَيْدُ[4] بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ أبى بُرْدَةَ ، (٥عن أبى بُرْدَةَ٥) ، عن أبى موسى قال : قَدِمنا على النبىِّ ﷺ بعدَ أن افْتَتَح خيبرَ ، فقسَم لنا ولم يَقْسِمْ لأحدٍ لم يَشْهَدِ الفتحَ غيرَنا . تفرَّد به البخارىُّ دونَ مسلمٍ . ورَواه أبو داودَ ، والترمذىُّ وصحَّحه مِن حديثِ بُرَيْدٍ[6] ، به[7] .

وقد ذكَر محمدُ بنُ إسحاقَ[8] أن رسولَ اللَّهِ ﷺ بعَث عمرَو بنَ أميةَ الضَّمْرىَّ إلى النجاشىِّ ، يَطْلُبُ منه مَن بَقِىَ مِن أصحابِه بالحبشةِ ، فقدِموا صُحْبةَ جَعْفرٍ وقد فتَح النبىُّ ﷺ خيبرَ . قال (٩ابنُ هشامٍ٩) : وذكَر سُفيانُ بنُ عُيَيْنةَ ، عن الأَجْلَحِ ، عن الشعبىِّ ، أن جعفرَ بنَ أبى طالبٍ قَدِم على رسولِ اللَّهِ ﷺ يومَ فتحِ خيبرَ ، فقَبَّل رسولُ اللَّهِ ﷺ بينَ عينيه والْتَزَمه ، وقال : « ما أَدْرِى بأيِّهما أنا أُسَرُّ ؛ بفتحِ خيبرَ أم بقُدومِ جعفرٍ ؟ » وهكذا رَواه سفيانُ الثَّوْرىُّ ، عن

---

(١) قال الحافظ : قال ابن التين : معنى كلامه أن أصحابه يحبون القتال فى سبيل الله ولا يبالون بما يصيبهم . فتح البارى ٧/ ٤٨٧.

(٢) مسلم (٢٥٠٢، ٢٥٠٣) .

(٣) البخارى (٤٢٣٣) .

(٤) فى النسخ : « يزيد » . والمثبت من البخارى .

(٥ - ٥) سقط من : الأصل ، م .

(٦) فى الأصل ، م : « يزيد » .

(٧) أبو داود (٢٧٢٥) ، والترمذى (١٥٥٩) .

(٨) سيرة ابن هشام ٢/ ٣٥٩.

(٩ - ٩) سقط من النسخ ، والمثبت من السيرة .

الأَجْلَحِ، عن الشعبيِّ مُرْسلًا[(١)].

وأسْنَد البيهقيُّ[(٢)]، مِن طريقِ [(٣)]حسنِ بنِ حُسَينِ العُرَنيِّ[(٣)]، عن الأَجْلَحِ، عن الشعبيِّ، عن جابرٍ قال: لما قَدِم رسولُ اللَّهِ ﷺ مِن خيبرَ قدِم جعفرٌ مِن الحبشةِ، فتلَقَّاه وقبَّل جبهتَه وقال: «واللَّهِ ما أدرى بأيِّهما أفْرَحُ، بفتحِ خيبرَ أم بقُدومِ جعفرٍ».

ثُم قال البيهقيُّ[(٤)]: أنبأنا أبو عبدِ اللَّهِ الحافظُ، ثنا [(٥)]أبو الحسينِ[(٥)] بنُ أبى إسماعيلَ العَلَوىُّ، ثنا أحمدُ بنُ محمدٍ البَيْروتيُّ، ثنا محمدُ بنُ أحمدَ بنِ أبى طَيْبَةَ، حدثنى مَكىُّ بنُ إبراهيمَ الرُّعَيْنيُّ، ثنا سفيانُ الثَّوْريُّ، عن أبى الزُّبيرِ، عن جابرٍ قال: لما قَدِم جعفرُ بنُ أبى طالبٍ مِن أرضِ الحبشةِ، تلَقَّاه رسولُ اللَّهِ ﷺ، فلمَّا نظَر جعفرٌ إليه حجَل - قال مَكيٌّ: يعنى مشَى على رجلٍ واحدةٍ؛ إعظامًا لرسولِ اللَّهِ ﷺ - فقبَّل رسولُ اللَّهِ ﷺ بينَ عينيه. ثُم قال البيهقيُّ: فى إسنادِه مَن لا يُعْرَفُ إلى الثَّوريِّ.

قال ابنُ إسحاقَ[(٦)]: وكان الذين تأخَّروا مع جعفرٍ مِن أهلِ مكةَ إلى أن

---

(١) أخرجه البيهقى فى السنن الكبرى ٧/ ١٠١، من طريق سفيان الثورى به.

(٢) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٤/٢٤٦ من طريق حسن بن حسين به. والحديث عند الحاكم فى المستدرك ٣/ ٢١١.

(٣ - ٣) فى الأصل: «حسن بن حسن العربى»، وفى م: «حسن بن حسين العرزمى»، وفى ص: «حسن بن حسين المقرى»، وفى الدلائل: «الحسين بن الحسين العربى». والمثبت من المستدرك. وانظر ميزان الاعتدال ١/ ٤٨٣.

(٤) دلائل النبوة ٤/ ٢٤٦.

(٥ - ٥) فى م: «حسين»، وفى الدلائل: «أبو الحسن».

(٦) سيرة ابن هشام ٢/٣٥٩ - ٣٦٢.

قَدِموا معه خيبرَ ستةَ عشَرَ رجلًا . وسرَد أسماءَهم وأسماءَ نسائِهم وهم ؛ جعفرُ ابنُ أبى طالبٍ الهاشميُّ ، وامرأتُه أسماءُ بنتُ عُمَيْسٍ ، وابنُه عبدُ اللَّهِ ، وُلِد بالحبشةِ ، وخالدُ بنُ سعيدِ بنِ العاصِ (١ بنِ أميةَ بنِ عبدِ شمسٍ ، وامرأتُه أُمَيْنةُ بنتُ خَلَفِ بنِ أسْعَدَ ، وولداه سَعيدٌ وأَمَةُ بنتُ خالدٍ ، وُلِدا بأرضِ الحبشةِ ، وأخوه عمرُو بنُ سعيدِ بنِ العاصِ ١) ، ومُعَيْقِيبُ بنُ أبى فاطمةَ ، وكان إلى آلِ سعيدِ بنِ العاصِ . قال : وأبو موسى الأشْعَرىُّ عبدُ اللَّهِ بنُ قَيْسٍ ، حليفُ آلِ عتبةَ بنِ ربيعةَ ، وأسودُ بنُ نَوْفلِ بنِ خُوَيْلدِ بنِ أسَدٍ الأسَدىُّ ، [٣/ ٧٩ظ] وجَهْمُ ابنُ قيسِ بنِ عبدِ شُرَحْبِيلَ العَبْدَرىُّ ، وقد ماتت امرأتُه أمُّ حَرْمَلَةَ بنتُ عبدِ الأسْودِ بأرضِ الحبشةِ ، وابنُه عمرٌو وابنتُه خُزَيْمةُ[٢] ماتا بها ، رحِمهم اللَّهُ ، وعامرُ بنُ أبى وقاصٍ الزُّهْرىُّ ، وعتبةُ بنُ مسعودٍ ، حليفٌ لهم مِن هُذَيْلٍ ، والحارثُ بنُ خالدِ بنِ صَخْرٍ التَّيْمىُّ ، وقد هَلَكَتْ بها امرأتُه رَيْطةُ بنتُ الحارثِ ، رحِمها اللَّهُ ، وعثمانُ بنُ رَبيعةَ بنِ أُهْبانَ الجُمَحىُّ ، ومَحْمِيَةُ بنُ جَزْءٍ الزُّبَيْدىُّ حليفُ بنى سَهْمٍ ، ومَعْمَرُ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ نَضْلَةَ العَدَوىُّ ، وأبو حاطبِ بنُ عمرِو ابنِ عبدِ شمسٍ ، ومالكُ بنُ ربيعةَ بنِ قيسِ بنِ عبدِ شمسٍ العامريان ، ومع مالكٍ هذا امرأتُه عَمْرةُ بنتُ السَّعْدِىِّ ، والحارثُ بنُ (٣ عبدِ قيسٍ ٣) بنِ لَقِيطٍ الفِهْرىُّ .

قلتُ : ولم يَذْكُرِ ابنُ إسحاقَ أسماءَ الأشْعَريِّين الذين كانوا مع أبى موسى الأشْعرىِّ ، وأخويه أبا بُرْدَةَ وأبا رُهْمٍ ، وعمَّه أبا عامرٍ ، بل لم يَذْكُرْ مِن

(١ - ١) سقط من : ص .

(٢) ذكرها ابن إسحاق في السيرة ٢/ ٣٦١ على أنها ابن له ، فقال : خزيمة بن الجهم . وهو خطأ . انظر الاستيعاب ٤/ ١٨٢٦، وأسد الغابة ٧/ ٨٦، والإصابة ٧/ ٦٠٩.

(٣ - ٣) في م : « عبد شمس » ، وفي ص : « قيس » .

الأشْعريِّين غيرَ أبي موسى ، ولم يَتَعَرَّضْ لذكرِ أخويه وهما أسَنُّ منه ، كما تقدَّم في « صحيحِ البخاريِّ » . وكأنَّ ابنَ إسحاقَ ، رحمه اللَّهُ ، لم يَطَّلِعْ على حديثِ أبي موسى في ذلك . واللَّهُ أعلمُ .

قال(١) : وقد كان معهم في السفينتين نساءٌ ، مِن نساءِ مَن هلَك مِن المسلمين هنالك . وقد حرَّر هلهنا شيئًا كثيرًا حسنًا .

قال البخاريُّ(٢) : حدَّثنا عليُّ بنُ عبدِ اللَّهِ ، ثنا سفيانُ ، سَمِعْتُ الزهريَّ وسأَله إسماعيلُ بنُ أميةَ ، قال : أخْبَرَني عَنْبَسةُ بنُ سعيدٍ ، أن أبا هريرةَ أتَى رسولَ اللَّهِ ﷺ فسأَله - (٣)يعني أن يَقْسِمَ له(٣) - فقال بعضُ بني سعيدِ بنِ العاصِ : لا تُعْطِه . فقال أبو هريرةَ : هذا قاتلُ ابنِ قَوْقَلٍ(٤) . فقال : واعَجَبًا لوَبْرٍ تَدَلَّى مِن قَدُومِ الضأْنِ(٥) ! تفرَّد به دونَ مسلمٍ .

قال البخاريُّ(٦) : ويُذْكَرُ عن الزُّبَيْديِّ ، عن الزُّهْريِّ ، أخبرني عَنْبَسةُ بنُ سعيدٍ ، أنه سَمِع أبا هريرةَ يُخْبِرُ سعيدَ بنَ العاصِ قال : بعَث رسولُ اللَّهِ ﷺ

---

(١) سيرة ابن هشام ٢/ ٣٦٢.
(٢) البخاري (٤٢٣٧) .
(٣ - ٣) زيادة من : الأصل ، م . وليست في البخاري .
(٤) ابن قوقل هو النعمان بن مالك بن ثعلبة بن أصْرَم الأنصاري الأوسي ، وقوقل لقب ثعلبة ، وقيل : لقب أصرم . وقد استشهد ابن قوقل يوم أحد ، قتله أبان بن سعيد بن العاص . وأبان هو المراد بقول عنبسة : بعض بني سعيد بن العاص ، وذلك قبل أن يسلم أبان . وانظر فتح الباري ٦/ ٤١.
(٥) في م : « الضأل » . وقوله : واعجبا لوبر تدلى من قدوم الضأن . الوبر : دابة صغيرة كالسنور وحشية . وقدوم : طرف . والضأن : قيل : هو رأس الجبل لأنه في الغالب موضع مَرْعَى الغنم . وقيل : هو بغير همز ، وهو جبل لدوس قوم أبي هريرة . قال الخطابي : أراد أبان تحقير أبي هريرة ، وأنه ليس في قدر من يشير بعطاء ولا منع ، وأنه قليل القدرة على القتال . انظر فتح الباري ٧/ ٤٩٢.
(٦) البخاري (٤٢٣٨) .

أَبانَ على سَرِيةٍ مِن المدينةِ قِبَلَ نَجْدٍ . قال أبو هريرةَ : فقدِم أبانُ وأصحابُه على النبيِّ ﷺ بخيبرَ بعدَ ما افْتَتَحها ، وإن حُزُمَ خيلِهم لَلِيفٌ . قال أبو هريرةَ : فقلتُ : يا رسولَ اللَّهِ ، لا تَقْسِمْ لهم . فقال أبانُ : وأنت بهذا يا وَبْرُ تَحَدَّرَ مِن رأسِ ضالٍ[(١)] ؟! فقال النبيُّ ﷺ : « يا أبانُ ، اجْلِسْ » . ولم يَقْسِمْ لهم . وقد أسْنَدَ أبو داودَ هذا الحديثَ ، عن سعيدِ بنِ منصورٍ ، عن إسماعيلَ بنِ عَيَّاشٍ ، عن محمدِ بنِ الوليدِ الزُّبَيْدىِّ ، به نحوَه[(٢)] .

ثُم قال البخاريُّ[(٣)] : حدَّثنا موسى بنُ إسماعيلَ ، ثنا عمرُو بنُ يَحْيَى بنِ سعيدٍ ، أَخْبَرَنى جَدِّى - وهو [٣/ ٨٠و] سعيدُ بنُ عمرِو بنِ سعيدِ بنِ العاصِ - أن أبانَ بنَ سعيدٍ أَقْبَل إلى النبيِّ ﷺ فسلَّم عليه ، فقال أبو هريرةَ : يا رسولَ اللَّهِ ، هذا قاتِلُ ابنِ قَوْقَلٍ . فقال أبانُ لأبى هريرةَ : واعَجَبًا لك ، وَبْرٌ تَرَدَّى مِن قَدومِ ضالٍ[(٤)] ! تَنْعَى علىَّ امْرَأً أكْرَمه اللَّهُ بيدى ، ومنَعه أن يُهِينَنى بيدِه ؟![(٥)] هكذا رَواه منفردًا به هاهنا[(٦)] .

وقال فى الجهادِ[(٧)] : حدَّثنا[(٨)] الحُمَيْدىُّ ، عن سفيانَ ، عن الزهْرىِّ ، عن

---

(١) فى م : « ضأل » . قال الحافظ فى الفتح ٧/ ٤٩٢ : وقد فسر البخارى فى رواية المستملى الضال باللام فقال : هو السِّدْر البرى .
(٢) أبو داود (٢٧٢٣) .
(٣) البخارى (٤٢٣٩) .
(٤) كذا بالنسخ ، وفى البخارى : « ضأن » .
(٥) هذا من أقسام الحديث يسمى بالحديث المقلوب ، فإنه فى رواية سفيان بن عيينة أن أبا هريرة هو السائل أن يقسم له وأن أبان هو الذى أشار بمنعه . وفى رواية الزبيدى العكس . ويحتمل أن يجمع بينهما أن يكون كل من أبان وأبى هريرة أشار أن لا يقسم للآخر . انظر فتح البارى ٧/ ٤٩٢ .
(٦) خرم فى ، ص من هنا حتى خبر الحجاج بن علاط البهزى فى صفحة ٣٤٣ .
(٧) البخارى (٢٨٢٧) .
(٨) فى الأصل ، م : « بعد حديث » . والمثبت من البخارى . وهو الأنسب للسياق .

عَنْبَسَةَ بنِ سعيدٍ ، عن أبى هريرةَ قال : أتيتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ وهو بخيبرَ بعدَ ما افْتَتحها[(١)] ، فقلتُ : يا رسولَ اللَّهِ ، أَسْهِمْ لى . فقال بعضُ آلِ سعيدِ بنِ العاصِ : لا تَقْسِمْ له . فقلتُ : يا رسولَ اللَّهِ ، هذا قاتِلُ ابنِ قَوْقَلٍ . الحديثَ . قال سفيانُ : حدَّثَنِيه السَّعِيدىُّ - يعنى عمرَو بنَ يَحْيَى بنِ سعيدٍ - عن جَدِّه ، عن أبى هريرةَ بهذا . ففى هذا الحديثِ التصريحُ مِن أبى هريرةَ بأنه لم يَشْهَدْ خيبرَ ، وتقدَّم فى أولِ هذه الغزوةِ ، رَواه الإمامُ أحمدُ مِن طريقِ عِراكِ بنِ مالكٍ ، عن أبى هريرةَ ، وأنه قَدِم على رسولِ اللَّهِ ﷺ بعدَ ما افْتَتَح خيبرَ ، فكلَّم المسلمين ، فأشْرَكونا فى أسْهامِهم[(٢)] .

وقال الإمامُ أحمدُ[(٣)] : حدَّثنا رَوْحٌ ، ثنا حمَّادُ بنُ سَلَمَةَ ، عن علىِّ بنِ زيدٍ ، عن عَمَّارِ بنِ أبى عَمَّارٍ قال : (٤)قال أبو هريرةَ(٤) : ما شهِدْتُ مع رسولِ اللَّهِ ﷺ مَغْنَمًا قطُّ إلا قسَم لى ، إلّا خيبرَ ، فإنها كانت لأهلِ الحُدَيْبِيَةِ خاصةً .

قلت : وكان أبو هريرةَ وأبو موسى ، جاءا بينَ الحُدَيْبِيَةِ وخيبرَ .

وقد قال البخارىُّ[(٥)] : حدَّثنا عبدُ اللَّهِ بنُ محمدٍ ، ثنا مُعاويةُ بنُ عمرٍو ، ثنا أبو إسحاقَ ، عن مالكِ بنِ أنسٍ ، حدَّثنى ثَوْرٌ ، حدَّثنى سالمٌ ، مَوْلَى عبدِ اللَّهِ بنِ مُطِيعٍ ، أنه سَمِع أبا هريرةَ يقولُ : افْتَتَحْنا خيبرَ ، فلم نَغْنَمْ ذهبًا ولا فضةً ، إنما

---

(١) كذا فى الأصل ، م . وفى البخارى : « افتتحوها » .
(٢) تقدم تخريجه فى صفحة ٢٥٠ ، حاشية (١١) .
(٣) المسند ٢/ ٥٣٥ . قال الهيثمى فى المجمع ٦/ ١٥٥ : رواه أحمد ، وفيه على بن زيد وهو سَيِّئُ الحفظ ، وبقية رجاله رجال الصحيح » .
(٤ - ٤) سقط من : الأصل ، م . والمثبت من المسند .
(٥) البخارى (٤٢٣٤) .

غَنِمْنا الإبلَ ، والبقرَ ، والمَتاعَ ، والحَوائطَ ، ثُم انصَرَفْنا مع رسولِ اللَّهِ ﷺ إلى وادى القُرَى ، ومعه عبدٌ له يقالُ له : مِدْعَمٌ . أَهْداه له بعضُ بنى الضُّبَيْبِ[1] ، فبينما هو يَحُطُّ رَحْلَ رسولِ اللَّهِ ﷺ إذ جاءه سهمٌ عائرٌ[2] ، حتى أصاب ذلك العبدَ ، فقال الناسُ : هَنِيئًا له الشهادةُ . فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « كلا ، والذى نفسى بيدِه إنَّ الشَّمْلَةَ التى أصابها يومَ خَيْبَرَ ، لم تُصِبْها المَقاسِمُ ، لَتَشْتَعِلُ عليه نارًا » . فجاء رجلٌ حينَ سَمِع ذلك مِن رسولِ اللَّهِ ﷺ بشِراكٍ أو شِراكَيْن فقال : هذا شىءٌ كنتُ أَصَبْتُه . فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « شِراكٌ أو شِراكان مِن نارٍ » .

---

(١) كذا فى الأصل ، م . وفى البخارى « الضِّباب » . والضُّبَيْب ، بضم أوله بصيغة التصغير . وهو لفظ رواية مسلم (١٨٣) . انظر فتح البارى ٧/ ٤٨٩ .

(٢) العائر : أى لا يُدْرَى من رمى به . وقيل : هو الحائل عن القصد . المصدر السابق .

[٣/ ٨٠ظ] ذِكْرُ(١) قِصَّةِ الشَّاةِ المَسْمومَةِ، و(٢)ما كان مِن أمرِ(٢) البُرهانِ الذى ظَهَر عِندَها(١)

قال البخارىُّ[٣]: رَواه عروةُ، عن عائشةَ، عن النبىِّ ﷺ. ثُم قال[٤]: حدَّثنا عبدُ اللَّهِ بنُ يوسفَ، ثنا اللَّيْثُ، حدَّثنى سعيدٌ، عن أبى هريرةَ قال: لما فُتِحت خَيْبَرُ أُهْدِيَت لرسولِ اللَّهِ ﷺ شاةٌ فيها سُمٌّ. هكذا أوْرَده هٰهنا مُخْتَصرًا.

وقد قال الإمامُ أحمدُ[٥]: حدَّثنا حَجَّاجٌ، ثنا لَيْثٌ، عن سعيدِ بنِ أبى سَعِيدٍ[٦]، عن أبى هريرةَ قال: لما فُتِحت خيبرُ أُهْدِيَت للنبىِّ ﷺ شاةٌ فيها سُمٌّ، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «اجْمَعوا لى مَن كان هٰهنا مِن اليهودِ». فجُمِعوا له، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «إنى سائلُكم عن شىءٍ، فهل أنتم صادقِىَّ عنه؟» قالوا: نعم يا أبا القاسمِ. فقال لهم رسولُ اللَّهِ ﷺ: «مَن أبوكم؟» قالوا: أبونا فُلانٌ. فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «كذَبْتُم، بل أَبوكم فُلانٌ». قالوا:

---

(١) سقط من: م.
(٢ - ٢) سقط من: م.
(٣) باب الشاة التى سُمت للنبى ﷺ بخيبر، من كتاب المغازى. فتح البارى ٧/ ٤٩٧.
(٤) البخارى (٤٢٤٩).
(٥) المسند ٢/ ٤٥١.
(٦) بعده فى المسند: «عن أبيه». والحديث ذكره المصنف هنا من رواية سعيد المقبرى عن أبى هريرة. وكذا الحافظ ابن حجر فى أطراف المسند ٧/ ٢٥٤.

صدَقْتَ وبرَرْتَ . فقال : « هل أنتم صادقىَّ عن شىءٍ إن[1] سألْتُكم عنه ؟ » قالوا : نعم يا أبا القاسمِ ، وإن كذَبْناك[2] عرَفْتَ كَذِبَنا ، كما عرَفْتَه فى أبينا . فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « مَن أهلُ النارِ ؟ » . فقالوا : نكونُ فيها يسيرًا ، ثُم تَخْلُفونا فيها . فقال لهم رسولُ اللَّهِ ﷺ : « واللَّهِ لا نَخْلُفُكم فيها أبدًا » . ثُم قال لهم : « هل أنتم صادقىَّ عن شىءٍ[3] سألْتُكم ؟ » فقالوا : نعم يا أبا القاسمِ . فقال : « هل جعَلْتُم فى هذه الشاةِ سُمًّا ؟ » فقالوا : نعم . قال : « ما حمَلَكم على ذلك ؟ » . قالوا : أرَدْنا إن كنتَ كاذبًا أن نَسْتريحَ مِنك ، وإن كنتَ نبيًّا لم يَضُرَّك .

وقد رَواه البخارىُّ فى الجِزْيةِ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ يوسُفَ[4] ، وفى المغازى أيضًا ، عن قُتَيْبةَ[5] كِلاهما عن اللَّيْثِ ، به .

وقال البيهقىُّ[6] : أنبأَنا أبو عبدِ اللَّهِ الحافظُ ، أنبأَنا أبو العباسِ الأصَمُّ[7] ، حدَّثنا سعيدُ بنُ سُليمانَ ، ثنا عَبّادُ بنُ العَوّامِ ، عن سفيانَ بنِ حُسَيْنٍ ، عن الزهْرىِّ ، عن سعيدِ بنِ المُسَيَّبِ ، وأبى سَلَمَةَ بنِ عبدِ الرحمنِ ، عن أبى هريرةَ

---

(١) فى م : « إذا » .
(٢) فى الأصل ، م : « كذبنا » . والمثبت من مصدر التخريج .
(٣) بعده فى م : « إذا » .
(٤) البخارى (٣١٦٩) .
(٥) البخارى (٥٧٧٧) ورواية البخارى عن قتيبة فى كتاب الطب وليس المغازى كما ذكر المصنف ، وأما روايته عن عبد الله بن يوسف ففى الجزية والمغازى ، وهى الرواية المختصرة التى تقدمت فى الصفحة السابقة . وانظر تحفة الأشراف ٩/ ٤٨٤.
(٦) دلائل النبوة ٤/ ٢٥٩، ٢٦٠.
(٧) بعده عند البيهقى : حدثنا العباس بن محمد .

أن امرأةً مِن اليهودِ أهْدَت لرسولِ اللَّهِ ﷺ شاةً مَسمومةً ، فقال لأصحابِه : « أمْسِكوا ؛ فإنها مَسمومةٌ » . وقال لها : ما حَمَلكِ على ما صنَعْتِ ؟ » قالت : أرَدْتُ أن أعْلَمَ ؛ إن كنتَ نبيًّا فسَيُطْلِعُك اللَّهُ عليه ، وإن كنتَ كاذبًا أُرِيحُ النَّاسَ منك . قال : فما عرَض لها رسولُ اللَّهِ ﷺ . رَواه أبو داودَ ، عن هارونَ بنِ عبدِ اللَّهِ ، عن سعيدِ بنِ سليمانَ ، به[1] . [٣/ ٨١و] ثُم رَوى البيهقيُّ ، عن طريقِ عبدِ الملكِ بنِ أبي نَضْرةَ ، عن أبيه ، عن جابرِ بنِ عبدِ اللَّهِ نحوَ ذلك[2] .

وقال الإمامُ أحمدُ[3] : حدَّثنا سُرَيْجٌ[4] ، ثنا عَبَّادٌ ، عن هِلالٍ - هو ابنُ خَبَّابٍ - عن عِكْرمةَ ، عن ابنِ عباسٍ أن امرأةً مِن اليهودِ أهْدَت لرسولِ اللَّهِ ﷺ شاةً مسمومةً ، فأرْسَل إليها ، فقال : « ما حَمَلكِ على ما صنَعْتِ ؟ » قالت : أحْبَبْتُ - أو : أرَدْتُ - إن كنتَ نبيًّا فإن اللَّهَ سيُطْلِعُك عليه ، وإن لم تَكُنْ نبيًّا أُرِيحُ النَّاسَ منك . قال : فكان رسولُ اللَّهِ ﷺ إذا وجَد مِن ذلك شيئًا احْتَجم . قال : فسافر مرةً ، فلمَّا أحْرَمَ وجَد مِن ذلك شيئًا فاحْتَجم . تفرَّد به أحمدُ ، وإسنادُه حسنٌ .

وفي « الصحيحين »[5] مِن حديثِ شُعبةَ ، عن هشامِ بنِ زيدٍ ، عن أنسِ بنِ مالكٍ أن امرأةً يهوديَّةً أتَتْ رسولَ اللَّهِ ﷺ بشاةٍ مسمومةٍ ، فأكَل منها ، فجِيء بها إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فسألَها عن ذلك . قالت : أرَدْتُ لِأقْتُلَك . فقال : « ما

---

(١) أبو داود (٤٥٠٩) . ضعيف الإسناد (ضعيف سنن أبي داود ٩٧٢) .
(٢) دلائل النبوة ٤/ ٢٦٠ .
(٣) المسند ١/ ٣٠٥ ، ٣٠٦ . (إسناده صحيح) .
(٤) في الأصل : « سريح » . وفي م : « شريح » . والمثبت من مصدر التخريج ، وانظر تهذيب الكمال ١٠/ ٢١٨ .
(٥) البخاري (٢٦١٧) ، ومسلم (٢١٩٠) .

كان اللَّهُ لِيُسَلِّطَكِ عليَّ » . أو قال : « على ذلك » . قالوا : ألا نَقْتُلُها[1] ؟ قال : « لا » . قال أنسٌ : فمازِلْتُ أعْرِفُها فى لَهَواتِ[2] رسولِ اللَّهِ ﷺ .

وقال أبو داودَ[3] : حدَّثنا سليمانُ بنُ داودَ المَهْرِىُّ[4] ، ثنا ابنُ وَهْبٍ ، أخْبَرَنى يونُسُ ، عن ابنِ شِهابٍ قال : كان جابرُ بنُ عبدِ اللَّهِ يُحَدِّثُ أن يهوديَّةً مِن أهلِ خيبرَ سمَّت شاةً مَصْلِيَّةً[5] ، ثُم أهْدَتْها لرسولِ اللَّهِ ﷺ ، فأخَذ رسولُ اللَّهِ ﷺ الذِّراعَ ، فأكَل منها ، وأكَل رَهْطٌ مِن أصحابِه معه ، ثُم قال لهم رسولُ اللَّهِ ﷺ : « ارْفَعوا أيدِيَكم » . وأرْسَل رسولُ اللَّهِ ﷺ إلى المرأةِ ، فدَعاها فقال لها : « أسَمَمْتِ هذه الشاةَ ؟ » قالت اليهوديَّةُ : مَن أخْبَرَك ؟ قال : « أخْبَرَتْنى هذه التى فى يدى » . وهى الذِّراعُ . قالت : نعم[6] . قال : « فما أرَدْتِ بذلك ؟ » قالت : قلْتُ : إن كنتَ نبيًّا فلن تَضُرَّك ، وإن لم تَكُنْ نبيًّا اسْتَرَحْنا منكَ[7] . فعَفا عنها رسولُ اللَّهِ ﷺ ، ولم يُعاقِبْها ، وتُوُفِّىَ بعضُ أصحابِه الذين أكَلوا مِن الشاةِ ، واحْتَجم النبىُّ ﷺ على كاهِلِه ، مِن أجلِ الذى

---

(١) فى م : « تقتلها » .

(٢) قال الحافظ : لهوات ، بفتح اللام جمع لهاة ، وهو سقف الفم أو اللحمة المشرفة على الحلق ، وقيل : هى أقصى الحلق ، وقيل : ما يبدو من الفم عند التبسم . وقال فى موضع آخر : ومراد أنس أنه صلى الله عليه وسلم كان يعتريه المرض من تلك الأكلة أحيانًا . وقال القرطبى : ويحتمل أن يكون أراد أنه يعرف ذلك فى اللهوات بتغير لونها أو بنتوء فيها أو تحفير . فتح البارى ٥/ ٢٣٢، ١٠/ ٢٤٧.

(٣) أبو داود (٤٥١٠) مرسل . وسيأتى موصولًا فى الرواية الآتية . ضعيف الإسناد (ضعيف سنن أبى داود ٩٧٣) .

(٤) فى الأصل : « النهرى » . وانظر تهذيب الكمال ١١/ ٤٠٩.

(٥) أى مَشويّة .

(٦) سقط من : الأصل .

(٧) فى الأصل : « منه » . وكلام المرأة فى رواية أبى داود هذه بضمير الغائب ، وليس كما هنا بضمير المخاطب .

أَكَل مِن الشاةِ، حجَمه أبو هندَ بالقَرْنِ والشَّفْرةِ، وهو مَوْلًى لِبنى بَياضةَ مِن الأنصارِ.

ثُم قال أبو داودَ[1]: حدَّثنا وَهْبُ بنُ بَقِيَّةَ، ثنا خالدٌ، عن محمدِ بنِ عمرٍو، عن أبى سَلَمَةَ [٣/ ٨١ظ] أن رسولَ اللَّهِ ﷺ أَهْدَت له يهوديَّةٌ بخيبرَ شاةً مَصْلِيَّةً، نحوَ حديثِ جابرٍ، قال: فمات بِشْرُ بنُ البَراءِ بنِ مَعْرورٍ، فأرْسَل إلى اليهوديَّةِ، فقال: «ما حمَلَكِ على الذى صنَعْتِ؟» فذكَر نحوَ حديثِ جابرٍ، فأمَر بها[2] رسولُ اللَّهِ ﷺ فقُتِلت. ولم يَذْكُرْ أمْرَ[3] الحِجامةِ.

قال البيهقىُّ[4]: ورَوْيناه مِن حديثِ حمادِ بنِ سَلَمةَ، عن محمدِ بنِ عمرٍو، [5]عن أبى سَلَمةَ[5]، عن أبى هريرةَ قال[6]: ويَحْتَمِلُ أنه لم يَقْتُلْها فى الابتداءِ، ثُم لما مات بِشْرُ بنُ البَراءِ أمَر بقتلِها.

وروَى البيهقىُّ[7] مِن حديثِ عبدِ الرزَّاقِ، عن مَعْمَرٍ، عن الزهْرىِّ، عن عبدِ الرحمنِ بنِ كعبِ بنِ مالكٍ، أن امرأةً يهوديَّةً أهْدَت إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ شاةً مَصْلِيَّةً بخيبرَ، فقال: «ما هذه؟» قالت: هَدِيَّةٌ. وحَذِرت أن تقولَ: صدقةٌ. فلا يَأْكُلَ. قال: فأكَل وأصحابُه، ثُم قال[8]: «أمْسِكوا». ثم قال

---

(١) أبو داود (٤٥١١). حسن صحيح (صحيح سنن أبى داود ٣٧٨٣).
(٢) سقط من: م.
(٣) فى الأصل: «أثر».
(٤) دلائل النبوة ٤/ ٢٦٢، ٢٦٣.
(٥ - ٥) سقط من: الأصل.
(٦) أى البيهقى.
(٧) دلائل النبوة ٤/ ٢٦٠، ٢٦١.
(٨) سقط من: الأصل.

للمرأةِ : « هل سَمَمْتِ [(١] هذه الشَّاةَ [١)] ؟ » قالت : مَن أخْبَرَك هذا ؟ قال : « هذا العَظْمُ » . لِساقِها ، وهو فى يدِه . قالت : نعم . قال : « لِمَ ؟ » قالت : أرَدْتُ إن كنتَ كاذبًا أن نَسْتَريحَ منك ، وإن كنتَ نبيًّا لم يَضُرَّك . قال : فاحْتَجم رسولُ اللَّهِ ﷺ على الكاهِلِ ، وأمَر أصحابَه فاحْتَجَموا ، ومات بعضُهم . قال الزهْرىُّ [(٢)] : فأسْلَمَتْ ، فترَكها النبىُّ ﷺ . قال البيهقىُّ [(٣)] : هذا مُرسلٌ ، ولعله قد يكونُ عبدُ الرحمنِ حمَله عن جابرِ بنِ عبدِ اللَّهِ ، رضى اللَّهُ عنه .

وذكَر ابنُ لَهيعةَ ، عن أبى الأسودِ ، عن عُروةَ ، وكذلك موسى بنُ عقبةَ ، عن الزهرىِّ قالوا [(٤)] : لما فتَح رسولُ اللَّهِ ﷺ خيبرَ ، وقتَل منهم مَن قتَل ، أَهْدَت زينبُ بنتُ الحارثِ اليهوديَّةُ - وهى ابنةُ أخى مَرْحَبٍ - لِصَفِيَّةَ شاةً مَصْلِيَّةً وسمَّتْها ، وأكْثَرَت فى الكَتِفِ والذِّراعِ ؛ لأنه بلَغها أنه أحبُّ أعضاءِ الشاةِ إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فدخَل رسولُ اللَّهِ ﷺ على صَفِيَّةَ ، ومعه بِشْرُ بنُ البرَاءِ بنِ مَعْرورٍ ، وهو أحدُ [(٥)] بنى سَلِمةَ ، فقدَّمَت إليهم الشاةَ المَصْلِيَّةَ ، فتَناول رسولُ اللَّهِ ﷺ الكَتِفَ ، وانتَهَش منها ، وتَناوَل بِشرٌ عَظْمًا فانتَهَش منه ، فلما استَرَط [(٦)] رسولُ اللَّهِ ﷺ لُقْمَتَه ، اسْتَرط بشرُ بنُ البَراءِ ما فى فيه ، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « ارْفَعوا أيديَكم ؛ فإنَّ كَتِفَ هذه الشاةِ يُخْبِرُنى [(٧] أنى نُعِيتُ [٧)] فيها » .

(١ - ١) سقط من : الأصل ، م . والمثبت من الدلائل .
(٢) دلائل النبوة ٤/ ٢٦٣.
(٣) المصدر السابق ٤/ ٢٦٢.
(٤) المصدر السابق ٤/٢٦٣ ، ٢٦٤.
(٥) كذا بالنسخ ، وفى الدلائل : «أخو» .
(٦) استرط : ابتلع . الوسيط (س ر ط) .
(٧ - ٧) فى الدلائل : «أن قد بُغيتُ» . ويقال : نعاه لنا ونعاه إلينا : أخبرنا بموته . الوسيط (ن ع ى) .

فقال بِشْرُ بنُ البَرَاءِ : والذى أكْرَمَك لقد وجَدْتُ ذلك فى أكْلَتى التى أكَلْتُ ، فما منَعنى أن[1] ألْفِظَها إلا أنّى أعْظَمْتُك أن أُنَغِّصَك[2] طعامَك ، فلمَّا [٣/ ٨٢و] أسَغْتَ ما فى فيك ، لم أرْغَبْ بنفسى عن نفسِك ، ورجَوْتُ أن لا تكونَ استَرَطْتَها وفيها نَغِىٌّ[3] . فلم يَقُمْ بِشْرٌ مِن مَكانِه حتى عاد لونُه كالطَّيْلَسانِ[4] ، وماطلَه وجَعُه ، حتى كان لا يَتحَوَّلُ حتى يُحَوَّلَ . قال الزُّهرىُّ[5] : قال جابرٌ : واحْتَجَمَ رسولُ اللَّهِ ﷺ يومئذٍ ، حجَمَه مولًى بنى بَياضةَ بالقَرْنِ والشَّفْرةِ ، وبقِىَ رسولُ اللَّهِ ﷺ بعدَه ثلاثَ سنين ، حتى كان وجَعُه الذى تُوُفِّىَ فيه ، فقال : « مازِلْتُ أجِدُ مِن الأُكْلةِ التى أكَلْتُ مِن الشاةِ يومَ خيبرَ عِدادًا[6] ، حتى كان هذا أوانَ انقطاعِ أبْهَرِى[7] » . فتُوُفِّىَ رسولُ اللَّهِ ﷺ شهيدًا .

وقال محمدُ بنُ إسحاقَ[8] : فلمَّا اطْمَأن رسولُ اللَّهِ ﷺ أَهْدَت له زينبُ بنتُ الحارثِ امرأةُ سَلَّامِ بنِ مِشكَمٍ شاةً مَصْلِيَّةً ، وقد سألت : أىُّ عُضْوٍ أَحَبُّ إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ ؟ فقيل لها : الذِّراعُ . فأكْثَرت فيها مِن السُّمِّ ، ثُم سَمَّت سائرَ الشاةِ ، ثُم جاءت بها ، فلمَّا وضَعَتْها بينَ يديه ، تَناوَل الذِّراعَ ، فَلاكَ

---

(١) فى الأصل : « أنى » .
(٢) فى م : « أبغضك » .
(٣) فى الأصل : « بنعى » . وفى الدلائل : « بغى » .
(٤) قال الحافظ : يعنى أصفر شديد الصفرة . فتح البارى ١٠/ ٢٤٧.
(٥) دلائل النبوة ٤/ ٢٦٤.
(٦) العِداد : وقت الموت . ويقال : هذا عِداد الحمَّى . أى وقتها الذى تعود فيه . وبه مرض عِداد : يدعُه زمنًا ثم يعاوِده . انظر الوسيط (ع د د) .
(٧) قال الحافظ : قال أهل اللغة : الأبهر : عرق مستبطن بالظهر متصل بالقلب ، إذا انقطع مات صاحبه . فتح البارى ٨/ ١٣١.
(٨) سيرة ابن هشام ٢/ ٣٣٧، ٣٣٨.

منها مُضْغَةً فلم يُسِغْها، ومعه بِشْرُ بنُ البَرَاءِ بنِ مَعْرورٍ، قد أخَذ منها كما أخَذ رسولُ اللَّهِ ﷺ؛ فأمَّا بِشْرٌ فأساغها، وأما رسولُ اللَّهِ ﷺ فلفَظها، ثُم قال: «إنَّ هذا العَظْمَ يُخْبِرُنى أنه مَسْمومٌ». ثُم دَعا بها، فاعْتَرفت، فقال: «ما حمَلكِ على ذلك؟» قالت: بلَغْتَ مِن قومى ما لم يَخْفَ عليك. فقلتُ: إن كان كذَّابًا[1] اسْتَرَحْتُ منه، وإن كان نبيًّا فسَيُخْبَرُ. قال: فتَجاوَز عنها رسولُ اللَّهِ ﷺ، ومات بِشْرٌ مِن أكْلتِه التى أكَل.

قال ابنُ إسحاقَ[2]: وحدَّثنى مَرْوانُ بنُ عثمانَ بنِ أبى سعيدِ بنِ المُعَلَّى قال: كان رسولُ اللَّهِ ﷺ قد قال فى مرضِه الذى تُوُفِّىَ فيه - ودَخَلَتْ عليه [3]أُمُّ بِشْرٍ بنتُ[3] البَرَاءِ بنِ مَعْرُورٍ -: «يا أُمَّ بِشْرٍ، إنَّ هذا الأَوانَ وجَدْتُ انقطاعَ أبْهَرِى مِن الأُكْلةِ التى أكَلْتُ مع أخيك[4] بخيبرَ». [5]قال ابنُ هشامٍ: الأبْهَرُ: العِرْقُ المُعَلَّقُ بالقَلْبِ[5]. قال: فإن كان المسلمون لَيَرَوْن أن رسولَ اللَّهِ ﷺ مات شهيدًا، مع ما أكْرَمه اللَّهُ به مِن النبوةِ.

وقال الحافظُ أبو بكرٍ البَزَّارُ[6]: حدَّثنا هِلالُ بنُ بِشْرٍ وسليمانُ بنُ سَيْفٍ[7]

---

(١) فى السيرة: «ملكا».

(٢) سيرة ابن هشام ٢/ ٣٣٨.

(٣ - ٣) فى الأصل: «أم بشر بن»، وفى م: «أخت بشر بن». والمثبت من السيرة. وانظر الاستيعاب ٤/ ١٩٢٦، ١٩٢٧، وأسد الغابة ٧/ ٣٠٥، ٣٠٦.

(٤) فى الأصل: «ابنك».

(٥ - ٥) كذا فى الأصل، م. وقول ابن هشام لم نجده فى مظانه من السيرة ولم يرد فى غريب السيرة لأبى ذر، ولا الروض الأنف.

(٦) كشف الأستار (٢٤٢٤).

(٧) فى م: «يوسف». وانظر تهذيب الكمال ١١/ ٤٥٠.

الحَرَّانيُّ قالا : ثنا أبو عَتَّابٍ[1] سهلُ بنُ حمادٍ ، ثنا عبدُ الملكِ بنُ أبي نَضْرةَ ، عن أبيه ، عن أبي سعيدٍ الخُدْريِّ ، أن يهوديَّةً أهْدَت إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ شاةً سَمِيطًا[2] ، فلما بسَط القومُ أيديَهم ، قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : [٣/٨٢ظ] « أمْسِكوا ، فإنَّ عُضْوًا مِن أعضائِها يُخْبِرُنى أنها مسمومةٌ » . فأرْسَل إلى صاحبتِها : « أسَمَمْتِ طعامَكِ ؟ » قالت : نعم . قال : « ما حمَلَكِ على ذلك ؟ » قالت : أَحْبَبْتُ[3] إن كنتَ كاذبًا أن أُرِيحَ الناسَ منك ، وإن كنتَ صادقًا علِمْتُ أن اللَّهَ سيُطْلِعُكَ عليه . فبسَط يدَه وقال : « كلوا بسمِ اللَّهِ » . قال : فأكَلْنا وذكَرْنا اسمَ اللَّهِ ، فلم يَضُرَّ أحدًا منا . ثُم قال[4] : لا يُرْوَى عن عبدِ الملكِ بنِ أبي نَضْرةَ إلَّا مِن هذا الوجهِ .

قلتُ : وفيه نَكارةٌ وغرابةٌ شديدةٌ . واللَّهُ أعلمُ .

وذكَر الواقديُّ[5] أن عُيَيْنةَ بنَ حِصْنٍ قبلَ أن يُسْلِمَ رأَى فى منامِه رُؤْيَا ورسولُ اللَّهِ ﷺ مُحاصِرٌ خيبرَ ، فطَمِع مِن رُؤْياه أنه يُقاتِلُ رسولَ اللَّهِ ﷺ فيَظْفَرُ به ، فلمَّا قَدِم على رسولِ اللَّهِ ﷺ خيبرَ وَجَده قد افتتَحها ، فقال : يا محمدُ ، أَعْطِنى ما غَنِمْتَ مِن حُلَفائى - يعنى أهلَ خيبرَ - فقال له رسولُ اللَّهِ ﷺ : « كذَبَتْ رُؤْياك » . وأخبَرَه بما رأَى ، فرجَع عُيَيْنةُ ، فلقِيَه الحارثُ بنُ عوفٍ فقال : ألم أَقُلْ إنك تُوضِعُ فى غيرِ شيءٍ ؟! واللَّهِ لَيَظْهَرَنَّ محمدٌ على ما

---

(١) فى م ، وكشف الأستار : « أبو غياث » . وانظر تهذيب الكمال ١٢/ ١٧٩.

(٢) سميطا : مشوية . اللسان (س م ط) .

(٣) سقط من : الأصل ، م . والمثبت من كشف الأستار .

(٤) أى الحافظ البزار .

(٥) مغازى الواقدى ٢/ ٦٧٥ ، ٦٧٦.

بينَ المشرقِ والمغربِ ، وإنَّ يهودَ كانوا يُخْبِروننا بهذا ، أَشْهَدُ لَسَمِعْتُ أبا رافعٍ سلَّامَ بنَ أبى الحُقَيْقِ يقولُ : إنا لَنَحْسُدُ محمدًا على النبوةِ حيث خرَجت مِن بنى هارونَ ، إنه لمُرْسَلٌ ، ويهودُ لا تُطاوِعُنى على هذا ، ولنا منه ذَبْحان ؛ واحدٌ بيثْرِبَ ، وآخرُ بخيبرَ . قال الحارثُ : قلتُ لسَلَّامٍ : يَمْلِكُ الأرضَ ؟! قال : نعم والتوراةِ التى أُنْزِلت على موسى ، وما أُحِبُّ أن تَعْلَمَ يهودُ بقولى فيه .

فصلٌ

قال ابنُ إسحاقَ[(1)] : فلمَّا فرَغ رسولُ اللَّهِ ﷺ مِن خيبرَ ، انصَرَف إلى وادى القُرَى ، فحاصَر أهلَها ليالىَ ، ثُم انصَرَف راجعًا إلى المدينةِ . ثُم ذكَر مِن قصةِ مِدْعَمٍ ، وكيف جاءه سَهْمٌ غارِبٌ فقتَله ، وقال الناسُ : هَنِيئًا له الشهادةُ . فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « كلَّا والذى نفسى بيدِه ، إن الشَّمْلَةَ التى أخَذها يومَ خيبرَ ، لم تُصِبْها المَقَاسِمُ ، لتَشْتَعِلُ عليه نارًا » . وقد تقدَّم فى « صحيحِ البخاريِّ » نحوُ ما ذكَره ابنُ إسحاقَ[(2)] . واللَّهُ أعلمُ . وسيأتى ذكرُ قتالِه ، عليه السلامُ ، بوادى القُرَى .

قال الإمامُ أحمدُ[(3)] : حدَّثنا يَحْيَى بنُ سعيدٍ ، (4)عن يحيى بنِ سعيدٍ(4) ، عن محمدِ بنِ يَحْيَى بنِ حَبَّانَ ، عن أبى عَمْرةَ ، عن زيدِ بنِ خالدٍ الجُهَنِىِّ ، أن رجلًا مِن أَشْجَعَ مِن أصحابِ رسولِ اللَّهِ ﷺ تُوُفِّىَ يومَ خَيْبرَ ، فذُكِر ذلك للنبىِّ ﷺ ، فقال : « صلُّوا على صاحبِكم » . فتغَيَّر [٣/٨٣و] وجوهُ الناسِ مِن ذلك ، فقال : « إن صاحبَكم غَلَّ فى سبيلِ اللَّهِ » . ففتَّشْنا مَتاعَه ، فوجَدْنا خرَزًا مِن

---

(١) سيرة ابن هشام ٢/ ٣٣٨، ٣٣٩.

(٢) تقدم تخريجه فى صفحة ٣٢٢ .

(٣) المسند ٥/ ١٩٢.

(٤ - ٤) سقط من: الأصل، م، والمسند. والمثبت من أطراف المسند ٢/ ٤١٣. ويحيى بن سعيد - الأول - هو ابن فروخ القطان، والثانى هو ابن قيس بن عمرو الأنصارى. وانظر ما سيأتى عن أبى داود والنسائى وابن ماجه. وتهذيب الكمال ٣١/ ٣٢٩- ٣٣٢، ٣٤٦- ٣٥١.

خَرَزٍ يهودَ ما يُساوِى دِرْهَمين. وهكذا رواه أبو داودَ والنَّسائىُّ مِن حديثِ يَحْيَى بنِ سعيدٍ القَطَّانِ - زاد[1] أبو داودَ: وبِشْرِ بنِ المُفَضَّلِ - وابنُ ماجه مِن حديثِ اللَّيثِ بنِ سعدٍ، ثلاثتُهم عن يحيى بنِ سعيدٍ الأنصارىِّ، به[2].

وقد ذكَر البيهقىُّ[3] أن بنى فَزارةَ أرادوا أن يُقاتِلوا رسولَ اللَّهِ ﷺ مَرْجِعَه مِن خيبرَ، وتجَمَّعوا لذلك، فبعَث إليهم يُواعِدُهم مَوضِعًا مُعَيَّنًا، فلمَّا تحَقَّقوا ذلك، هرَبوا كلَّ مَهْرَبٍ، وذهَبوا مِن طريقِه كلَّ مَذْهَبٍ. وتقدَّم أن رسولَ اللَّهِ ﷺ لما حَلَّت صفيةُ مِن استِبْرائِها، دخَل بها بمكانٍ يقالُ له: سَدُّ الصَّهْباءِ. فى أثناءِ طريقِه إلى المدينةِ، وأَوْلَم عليها بحَيْسٍ، وأقام ثلاثةَ أيامٍ يُبْنَى عليه بها، وأسْلَمت، فأعْتَقَها وتزَوَّجها، وجعَل عِتاقَها صَداقَها، وكانت إحدى أمهاتِ المؤمنين، كما فَهِمه الصحابةُ لَمّا مَدَّ عليها الحِجابَ وهو مُرْدِفُها وراءَه، رضِىَ اللَّهُ عنها.

وذكر محمدُ بنُ إسحاقَ فى «السيرةِ»[4] قال: لَمَّا أعْرَس رسولُ اللَّهِ ﷺ بصفيةَ بخيبرَ، أو ببعضِ الطريقِ، وكانت التى جَمَّلَتْها إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ، ومشَّطَتها، وأصْلَحت مِن أمرِها أمُّ سُلَيْمٍ بنتُ مِلْحانَ، أمُّ أنسِ بنِ مالكٍ، وبات بها رسولُ اللَّهِ ﷺ فى قُبَّةٍ له، وبات أبو أيوبَ مُتَوَشِّحًا سيفَه، يَحْرُسُ رسولَ اللَّهِ ﷺ، ويُطِيفُ بالقُبَّةِ حتى أصْبَح، فلمَّا رأى رسولُ اللَّهِ ﷺ مكانَه قال:

---

(١) فى م: «ورواه».

(٢) أبو داود (٢٧١٠)، والنسائى (١٩٥٨)، وابن ماجه (٢٨٤٨). ضعيف (ضعيف سنن أبى داود ٥٧٩).

(٣) دلائل النبوة ٤/ ٢٤٨، ٢٤٩.

(٤) سيرة ابن هشام ٢/ ٣٣٩، ٣٤٠.

« ما لك يا أبا أيوبَ ؟ » قال : خِفْتُ عليك مِن هذه المرأةِ ، وكانت امرأةً قد قتَلْتَ أباها وزوجَها وقومَها ، وكانت حديثةَ عهدٍ بكفرٍ ، فخِفْتُها عليك . فزعَموا أن رسولَ اللَّهِ ﷺ قال : « اللَّهم احفَظْ أبا أيوبَ كما بات يَحْفَظُنى » .

ثم قال[1] : حدَّثنى الزُّهْرِىُّ ، عن سعيدِ بنِ المُسَيَّبِ . فذكَر نومَهم عن صلاةِ الصُّبحِ مَرْجِعَهم مِن خيبرَ ، وأن رسولَ اللَّهِ ﷺ كان أولَهم استيقاظًا ، فقال : « ماذا صنَعْتَ بنا يا بلالُ ؟! » قال : يا رسولَ اللَّهِ ، أخَذ بنفسى الذى أخَذ بنفسِك . قال : « صدَقْتَ » . ثم اقْتادَ ناقتَه غيرَ كثيرٍ ، ثم نزَل فتوَضَّأَ ، وصلَّى كما كان يُصليها قبلَ ذلك . وهكذا رَواه مالكٌ ، عن الزهْرِىِّ ، عن سعيدٍ مرسلًا[2] . وهذا مرسلٌ مِن هذا الوجْهِ .

وقد قال أبو داودَ[3] : حدَّثنا أحمدُ بنُ صالحٍ ، ثنا ابنُ وَهْبٍ ، أخبرَنى [٣/ ٨٣ظ] يونُسُ ، عن ابنِ شِهابٍ ، عن سعيدِ بنِ المُسَيَّبِ ، عن أبى هريرةَ أن رسولَ اللَّهِ ﷺ حينَ قفَل مِن غزوةِ خيبرَ ، فسار ليلةً ، حتى إذا أدْرَكنا الكَرَى عرَّس[4] ، وقال لبلالٍ : « اكْلأْ لنا الليلَ » . قال : فغلَبَتْ بلالًا عيناه وهو مُسْتَنِدٌ إلى راحلتِه ، فلم يَسْتَيْقِظِ النبىُّ ﷺ ولا بلالٌ ، ولا أحدٌ مِن أصحابِه ، حتى ضرَبَتْهم الشمسُ ، وكان رسولُ اللَّهِ ﷺ أوَّلَهم استيقاظًا ، ففزِع رسولُ اللَّهِ ﷺ وقال : « يا بلالُ ! » قال : أخَذ بنفسى الذى أخَذ بنفسِك ، بأبى أنت وأمى يا رسولَ اللَّهِ . قال : فاقْتادوا رَواحلَهم شيئًا ، ثُم توَضَّأَ رسولُ اللَّهِ ﷺ ،

---

(١) سيرة ابن هشام ٢/ ٣٤٠.
(٢) الموطأ (٢٥) .
(٣) أبو داود (٤٣٥) صحيح (صحيح سنن أبى داود ٤٢٠) .
(٤) الكرى : النعاس . وعرَّس المسافرون : أعرسوا أى نزلوا آخر الليل للراحة . الوسيط (ك ر و) (ع ر س) .

وأمَر بلالًا فأقام لهم[1] الصلاةَ، وصلَّى بهم الصبحَ، فلمَّا أن قضَى الصلاةَ قال: «مَن نَسِيَ صلاةً فَلْيُصَلِّها إذا ذكَرها، فإن اللَّهَ تعالى قال: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ﴾» [طه: ١٤]. قال يونُسُ: وكان ابنُ شِهابٍ يَقْرَأُها كذلك.

وهكذا رَواه مسلمٌ، عن حَرْمَلَةَ بنِ يَحيى، عن عبدِ اللَّهِ بنِ وَهْبٍ، به[2]. وفيه: أن ذلك كان مَرْجِعَهم مِن خيبرَ.

وفى حديثِ شعبةَ، عن جامعِ بنِ شَدَّادٍ، عن عبدِ الرحمنِ بنِ أبى عَلْقَمةَ، عن ابنِ مسعودٍ أن ذلك كان مَرْجِعَهم مِن الحُدَيْبِيةِ، ففى روايةٍ عنه أن بلالًا هو الذى كان يكْلَؤُهم. وفى روايةٍ أنه هو الذى كان يَكْلَؤُهم[3].

قال الحافظُ البيهقىُّ[4]: فيَحْتَمِلُ أن ذلك كان مرتين. قال: وفى حديثِ عِمرانَ بنِ حُصَيْنٍ وأبى قَتادةَ نومُهم عن الصلاةِ، وفيه حديثُ الميضَأَةِ، فيَحْتَمِلُ أن ذلك إحدى هاتين المرتين، أو مرةٌ ثالثةٌ. قال: وذكَر الواقدىُّ فى حديثِ أبى قَتادةَ أن ذلك كان مَرْجِعَهم مِن غزوةِ تَبوكَ. قال: ورَوَى زافرُ بنُ سليمانَ، عن شعبةَ، عن جامعِ بنِ شَدَّادٍ، عن عبدِ الرحمنِ، عن ابنِ مسعودٍ

---

(١) سقط من: م.

(٢) مسلم (٦٨٠).

(٣) أخرج الرواية الأولى أبو داود (٤٤٧)، والإمام أحمد فى المسند ١/ ٣٨٦، والنسائى فى الكبرى (٨٨٥٣) عن شعبة به. صحيح (صحيح سنن أبى داود ٤٣٠).

وأخرج الرواية الثانية الإمام أحمد فى المسند ١/ ٣٩١، والنسائى فى الكبرى (٨٨٥٤)، وأبو يعلى فى مسنده (٥٢٨٥) كلهم من طريق عبد الرحمن بن عبد الله المسعودى عن جامع بن شداد به. قال الهيثمى فى المجمع ١/ ٣١٨، ٣١٩. رواه أحمد والبزار والطبرانى فى الكبير، وأبو يعلى باختصار عنهم، وفيه عبد الرحمن بن عبد الله المسعودى، قد اختلط فى آخر عمره.

(٤) دلائل النبوة ٤/ ٢٧٥.

أن ذلك كان مَرْجِعَهم مِن تبوكَ . فاللَّهُ أعلمُ .

ثُم أوْرَد البيهقىُّ[(١)] ما رَواه صاحبُ « الصَّحيحِ »[(٢)] مِن قصةِ عَوْفٍ الأعرابىِّ ، عن أبى رَجاءٍ ، عن عِمرانَ بنِ حُصَيْنٍ فى قصةِ نومِهم عن الصلاةِ ، وقصةِ المرأةِ صاحبةِ السَّطِيحَتَيْنْ[(٣)] ، وكيف أخَذوا منهما ماءً رَوَى الجيشَ بكَمالِه ، ولم يَنْقُصْ ذلك منهما شيئًا . ثم ذَكَر ما رَواه مسلمٌ[(٤)] من حديثِ ثابتٍ البُنانىِّ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ رَباحٍ ، عن أبى قَتادةَ ، وهو حديثٌ طويلٌ ، وفيه نومُهم عن الصلاةِ ، وتَكْثِيرُ الماءِ مِن تلك المِيضَأةِ . وقد رَواه عبدُ الرزاقِ ، عن مَعْمَرٍ ، عن قَتادةَ[(٥)] .

وقال البخارىُّ[(٦)] : حدَّثنا موسى بنُ إسماعيلَ ، ثنا عبدُ الواحدِ ، عن عاصمٍ ، عن أبى عُثمانَ ، [٣/٨٤و] عن أبى موسى الأشْعرىِّ قال : لما غَزا رسولُ اللَّهِ ﷺ خيبرَ - أو قال : لما توَجَّه رسولُ اللَّهِ ﷺ[(٧)] - أشرف الناسُ على وادٍ ، فرفعوا أصواتَهم بالتكبيرِ : اللَّهُ أكبرُ ، [(٨)]اللَّهُ أكبرُ[(٨)] ، لا إلهَ إلَّا اللَّهُ . فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « ارْبَعُوا[(٩)] على أنفسِكم ، إنكم لا تَدْعون أصَمَّ ولا غائبًا ، إنكم

---

(١) دلائل النبوة ٤/٢٧٧ - ٢٧٩.

(٢) البخارى (٣٤٤) .

(٣) السطيحة : المزادة . وهى القِربة .

(٤) دلائل النبوة ٤/٢٨٢ - ٢٨٥. والحديث فى صحيح مسلم (٦٨١) .

(٥) مصنف عبد الرزاق (٢٠٥٣٨) . وأخرجه البيهقى فى الدلائل ٤/ ٢٨٥، ٢٨٦، من طريق عبد الرزاق به .

(٦) البخارى (٤٢٠٥) .

(٧) بعده فى م : «إلى خيبر» . وهى زيادة مقحمة .

(٨ - ٨) سقط من : م .

(٩) اربعوا : أى ارفقوا ولا تجهدوا أنفسكم . فتح البارى ١١/ ١٨٨.

تدعون سميعًا قريبًا وهو معكم » . وأنا خلفَ دابةِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فسمِعنى وأنا أقولُ : لا حولَ ولا قوةَ إلَّا باللَّهِ . فقال : « يا عبدَ اللَّهِ بنَ قيسٍ » . قلتُ : لَبَّيْك يا رسولَ اللَّهِ . قال : « ألَا أَدُلُّك على كلمةٍ مِن كَنْزِ الجنةِ ؟ » قلتُ : بلى يا رسولَ اللَّهِ ، فِداك أبى وأمى . قال : « لا حولَ ولا قوةَ إلَّا باللَّهِ » . وقد رَواه بقيةُ الجماعةِ مِن طُرُقٍ ، عن عبدِ الرحمنِ بنِ ملٍّ[1] ، أبى عثمانَ النَّهْدىِّ ، عن أبى موسى الأشْعرىِّ[2] . والصوابُ أنه كان مَرْجِعَهم مِن خيبرَ ؛ فإنَّ أبا موسى إنَّما قَدِم بعدَ فتحِ خيبرَ ، كما تقدَّم .

قال ابنُ إسحاقَ[3] : وكان رسولُ اللَّهِ ﷺ ، فيما بلَغنى ، قد أعْطَى ابنَ لَقِيمٍ[4] العَبْسىَّ حينَ افتَتَح خيبرَ ما بها مِن دَجاجةٍ أو داجِنٍ ، وكان فتحُ خيبرَ فى صَفَرٍ ، فقال ابنُ لَقِيمٍ فى فتحِ خيبرَ :

رُمِيَتْ نَطاةُ مِن الرسولِ بفَيْلَقٍ ... شَهْباءَ ذاتِ مَناكِبٍ وفَقارِ[5]
واستَيْقَنَتْ بالذُّلِّ لمَّا شُيِّعَتْ ... ورجالُ أَسْلَمَ وَسْطَها وغِفارِ

---

(١) ملّ : بميم مثلثة . أى يقال فيه بالضم والفتح والكسر . انظر تقريب التهذيب ١/ ٤٩٩.

(٢) مسلم (٢٧٠٤) ، وأبو داود (١٥٢٦- ١٥٢٨) ، والترمذى (٣٤٦١) ، والنسائى فى الكبرى (٧٦٧٩- ٧٦٨١، ٨٨٢٣، ٨٨٢٤، ١٠٣٧١، ١٠٣٧٢، ١١٤٢٧) ، وابن ماجه (٣٠٨٢) .

(٣) سيرة ابن هشام ٢/ ٣٤٠، ٣٤١.

(٤) سماه الحافظ فى الإصابة ٥/ ٦٨٨، ٦٨٩: لقيم الدجاج . وذلك نقل عن الجاحظ فى كتابه « الحيوان » ٢/ ٢٧٨. قال الحافظ تعليل لهذا الخلف : فيحتمل أن يكون وافق اسمه اسم أبيه . أى أن يكون اسمه لقيم بن لقيم .

(٥) نطاة : قيل : هو اسم أرض خيبر . وقال الزمخشرى : نطاة : حصن بخيبر . وقيل : عين بها تسقى بعض نخيل قراها . معجم البلدان ٤/ ٧٩٢. والفيلق : الكتيبة . وشهباء : كثيرة السلح . وذات مناكب وفقار : يريد بذلك شدتها . شرح غريب السيرة ٣/ ٥٤.

صبَحَت بنى عمرِو بنِ زُرْعةَ غُدْوَةً   والشَّقُّ أظْلَمَ أهلُه بنَهارِ
جَرَّت بأبْطَحِها الذُّيولَ فلم تَدَعْ   إلا الدَّجاجَ تَصِيحُ بالأسحارِ
ولكلِّ حصنٍ شاغلٌ مِن خيلِهم   مِن عبدِ الاشْهلِ أو بنى النَّجَّارِ
ومُهاجرِينَ قدَ اعْلَموا سِيماهُمُ   فوقَ المَغافِرِ لم يَنُوا[1] لفِرارِ
ولقد عَلِمْتُ لَيَغْلِبَنَّ محمدٌ   ولَيَثْوِيَنَّ بها إلى أصفارِ[2]
فرَّتْ[3] يهودٌ عندَ ذلك فى الوَغَى   تحتَ العَجاجِ [4]غَمائمَ الأبْصارِ[4]

فصلٌ

مَن استُشْهِد بخيبرَ مِن الصحابةِ، على ما ذكَره ابنُ إسحاقَ ابنِ يَسارٍ، رحِمه اللَّهُ، وغيرُه مِن أصحابِ المَغازى[5]

فمِن خيرِ المهاجرين؛ رَبيعةُ بنُ أكْثَمَ بنِ سَخْبَرَةَ الأسَدىُّ، مَوْلى بنى أميةَ، وثَقِيفُ بنُ عمرٍو، ورِفاعةُ بنُ مَسْرُوحٍ، حلفاءُ بنى أميةَ، [٣/ ٨٤ظ] وعبدُ اللَّهِ

(١) ينوا: يضعفوا ويفتروا. شرح غريب السيرة ٣/ ٤ .
(٢) أصفار: جمع صَفَر، يعنى به الشهور. المصدر السابق.
(٣) قال ابن هشام فى السيرة ٢/ ٣٤٢: فرت: كشفت، كما تُفِر الدابة بالكشف عن أسنانها.
(٤ - ٤) فى الأصل: «عمائم الأنصار». قال أبو ذر: الغمائم: جفون العين. قال ابن سراج: ويصح أن تكون عمائم الأنصار. انظر شرح غريب السيرة ٣/ ٥٤.
(٥) سيرة ابن هشام ٢/ ٢٤٣، ٢٤٤، وانظر جوامع السيرة ص ٢١٥- ٢١٨.

ابنُ الهُبَيْبِ بنِ أُهَيْبِ بنِ سُحَيْمِ بنِ غِيَرَةَ ، مِن بنى سعدِ بنِ ليثٍ ، حليفُ بنى أسدٍ وابنُ أختِهم .

ومِن الأنصارِ ؛ بِشْرُ بنُ البَراءِ بنِ مَعْرورٍ - مِن أَكَلَةِ الشاةِ المسمومةِ مع رسولِ اللَّهِ ﷺ كما تقدَّم - وفُضَيْلُ بنُ النُّعمانِ السَّلَميَّانِ ، ومَسعودُ بنُ سعدِ ابنِ قيسِ بنِ خَلَدَةَ[1] بنِ عامرِ بنِ زُرَيْقٍ الزُّرَقىُّ ، ومحمودُ بنُ مَسلمةَ الأَشْهلىُّ ، وأبو ضَيَّاحِ[2] بنُ ثابتِ بنِ النُّعمانِ العَمْرىُّ ، والحارثُ بنُ حاطبٍ ، وعروةُ بنُ مُرَّةَ بنِ سُراقةَ ، وأوْسٌ الفائدُ[3] ، وأُنَيْفُ بنُ حَبِيبٍ ، وثابتُ بنُ أَثْلَةَ ، وطَلْحةُ[4] ، وعُمارةُ بنُ عُقْبةَ ، رُمِىَ بسهمٍ فقتَله ، وعامرُ بنُ الأَكْوعِ[5] ، أصابه طَرَفُ سيفِه فى ركبتِه فقتَله ، رحِمه اللَّهُ ، كما تقدَّم ، والأَسْودُ الراعى . وقد أفْرَد ابنُ إسحاقَ هـٰهنا قصتَه ، وقد أسْلَفْناها فى أوائلِ الغزوةِ ، وللَّهِ الحمدُ والمنةُ .

---

(١) فى الأصل ، م : « خالد » . والمثبت من سيرة ابن هشام ، وجوامع السيرة . وانظر أسد الغابة ٥/ ١٦٢ ، والإصابة ٦/ ٩٩ ، ٣٥٨ .

(٢) بعده فى الأصل : « وحارثة » ، وبعده فى م : « حارثة » . وهو خطأ فى كليهما . فاسم أبى الضياح : النعمان ، وقيل : عمير . انظر الروض الأنف ٦/ ٥٧٣ ، وأسد الغابة ٦/ ١٧٨ .

(٣) فى الأصل : « الفارض » . وفى السيرة : « القائد » . والمثبت موافق لبعض ما قيل فى اسمه فى أسد الغابة ١/ ١٧٤ ، ١٧٥ . والإصابة ١/ ١٥٩ .

(٤) هكذا ذكره ابن إسحاق غير منسوب . وكذلك فعل أبو عمر فى الاستيعاب ٢/ ٧٧١ ، وابن الأثير فى أسد الغابة ٣/ ٩٢ ، وابن حجر فى الإصابة ٣/ ٥٣٧ فقالوا جميعا : طلحة غير منسوب . وقال أبو ذر : هو طلحة بن يحيى بن إسحاق بن مُلَيل بن ضمرة . شرح غريب السيرة ٣/ ٥٤ .

(٥) بعده فى م : « ثم سلمة بن عمرو بن الأكوع » . وهو خطأ بيِّن ، فإن سلمة بن عمرو بن الأكوع - وقيل : سلمة بن الأكوع - عُمِّر طويلاً ، فقد توفى سنة أربع وسبعين وهو ابن ثمانين سنة . وقيل : توفى سنة أربع وستين . انظر أسد الغابة ٢/ ٤٢٣ ، ٤٢٤ .

قال ابنُ إسحاقَ[1] : وممَّن استُشْهِد بخيبرَ - فيما ذكَره ابنُ شِهابٍ - مِن بني زُهْرةَ ، مسعودُ بنُ ربيعةَ ، حليفٌ لهم مِن القارَةِ ، ومِن الأنصارِ ثُم مِن بنى عمرِو بنِ عوفٍ ، أوسُ بنُ قَتادةَ ، رضِىَ اللَّهُ عنهم أجمعين .

(١) سيرة ابن هشام ٢/ ٣٤٤.

(١) خبرُ الحجّاجِ بنِ عِلاطِ البَهْزِىّ، رضىَ اللَّهُ عنه (١)

قال ابنُ إسحاقَ(٢) : ولما فُتِحت خيبرُ، كلَّم رسولَ اللَّهِ ﷺ الحجاجُ بنُ عِلاطٍ السُّلَمىُّ ثُم البَهْزىُّ، فقال : يا رسولَ اللَّهِ، إن لى بمكةَ مالًا عندَ صاحبتى أمِّ شَيْبةَ بنتِ أبى طَلْحةَ - وكانت عندَه، له منها مُعَرِّضُ(٣) بنُ الحَجَّاجِ - ومالًا متفرقًا فى تُجَّارِ أهلِ مكةَ، فأْذَنْ لى يا رسولَ اللَّهِ. فأذِن له، فقال : إنه لابد لى يا رسولَ اللَّهِ مِن أن أقولَ. قال : «قُلْ». قال الحجاجُ : فخرَجْتُ حتى إذا قدِمْتُ مكةَ، وجَدْتُ بثَنِيَّةِ البَيْضاءِ(٤) رجالًا مِن قريشٍ يستَمِعون الأخبارَ، ويسْألون عن أمرِ رسولِ اللَّهِ ﷺ، وقد بلَغهم أنه قد سار إلى خيبرَ، وقد عرَفوا أنها قريةُ الحجازِ؛ رِيفًا ومَنَعةً(٥) ورجالًا، وهم يتَجَسَّسون الأخبارَ مِن الرُّكْبانِ، فلمَّا رَأَوْنى قالوا : الحجاجُ بنُ عِلاطٍ - قال : ولم يكونوا عَلِموا بإسْلامى - عندَه واللَّهِ الخبرُ، أَخْبِرْنا يا أبا محمدٍ، فإنه قد بلَغَنا أن القاطعَ قد سار إلى خيبرَ، وهى بلدُ يهودَ وريفُ الحِجازِ. قال : قلتُ : قد بلَغنى ذلك، وعندى مِن

(١ - ١) سقط من : الأصل.

(٢) سيرة ابن هشام ٢/٣٤٥ - ٣٤٧.

(٣) فى م : «معوض». انظر تبصير المنتبه ٤/ ١٣٠٠.

(٤) ثنية البيضاء : عقبة قرب مكة. معجم البلدان ١/ ٩٣٦.

(٥) فى ص : «سعة».

الخبرِ ما يَسُرُّكم . قال : فالْتَبَطوا بجنبَىْ ناقتى[1] يقولون : إيهِ[2] يا حجاجُ . قال : قلتُ : هُزِم هزيمةً لم تَسمَعوا بمثلِها قطُّ ، وقد قُتِل أصحابُه قَتْلًا لم تَسمَعوا بمثلِه قطُّ ، وأُسِر محمدٌ أسْرًا ، وقالوا : لا نَقْتُلُه [٣/ ٨٥و] حتى نَبْعَثَ به إلى مكةَ ، (٣ فيَقْتُلوه بينَ أظْهُرِهم بمَن كان أصاب مِن رجالِهم . قال : فقاموا وصاحوا بمكةَ ٣) ، وقالوا : قد جاءكم الخبرُ ، وهذا محمدٌ ، إنما تنتَظِرون أن يُقْدَمَ به عليكم ، فيُقْتَلَ بينَ أظْهُرِكم . قال : قلتُ : أعِينونى على جمعِ مالى بمكةَ وعلى غُرَمائى ، فإنى أُرِيدُ أن (٤ أَقْدَمَ خيبرَ ٤) ، فأُصِيبَ مِن فَلِّ[5] محمدٍ وأصحابِه قبلَ أن يَسْبِقَنى التُّجارُ (٦ إلى ما هنالك ٦) . قال : فقاموا فجَمَعوا لى ما كان لى كأحَثِّ جَمْعٍ[7] سمِعْتُ به . قال : وجِئْتُ صاحبتى فقلتُ : مالى - وكان عندَها مالٌ موضوعٌ - فلعلى ألْحَقُ بخيبرَ فأُصِيبَ مِن فُرَصِ البيعِ قبلَ أن يَسْبِقَنى التُّجارُ . قال : فلما سمِع العباسُ بنُ عبدِ المُطَّلِبِ الخبرَ وجاءه عنى ، أقْبَل حتى وقَف إلى جنبى وأنا فى خَيْمةٍ مِن خِيامِ التُّجارِ ، فقال : يا حجاجُ ، ما هذا الذى جِئْتَ به ؟! قال : قلتُ : وهل عندَك حِفْظٌ لما وَضَعْتُ عندَك ؟ قال : نعم .

---

(١) فالتبطوا بجنبى ناقتى : مشوا إلى جنبها كمشى العَرَجان - وهى مشية الأعرج - لازدحامهم حولها . شرح غريب السيرة ٣/ ٥٤.

(٢) إيه ، كلمة سُمى بها الفعل ومعناها حدثنا . المصدر السابق ٣/ ٥٤، ٥٥.

(٣ - ٣) سقط من : الأصل .

(٤ - ٤) فى ص : «ألحق بخيبر» .

(٥) الفل : القوم المنهزمون . أراد : لعلى أشترى مما أصيب من غنائمهم عند الهزيمة . المصدر السابق ٣/ ٥٥، النهاية ٣/ ٤٧٣.

(٦ - ٦) سقط من : ص .

(٧) كأحث جمع : كأسرعه ، والحثيث السريع . شرح غريب السيرة ٣/ ٥٥.

قال : قلتُ : فاسْتَأْخِرْ عنّى[1] حتى أَلْقاك على خَلاءٍ ؛ فإنى فى جمعِ مالى كما ترَى ، فانْصَرِفْ عنّى[1] حتى أفْرُغَ . قال : حتى إذا فرَغْتُ مِن جمعِ كلِّ شىءٍ كان لى بمكةَ ، وأجْمَعْتُ الخروجَ ، لَقِيتُ العباسَ فقلتُ : احْفَظْ علىَّ حديثى يا أبا الفَضْلِ ، فإنى أخْشَى الطَّلَبَ ، ثلاثًا ، ثُم قُلْ ما شِئْتَ . قال : أفْعَلُ . قلتُ : فإنى واللَّهِ لقد ترَكْتُ ابنَ أخيك عَرُوسًا على بنتِ ملِكِهم - يعنى صَفِيةَ بنتَ حُيَىٍّ - وقد افْتَتَح خيبرَ ، وانْتَثَل ما فيها[2] ، وصارت له ولأصحابِه . قال : ما تقولُ يا حجاجُ ؟! قال : قلتُ : إى واللَّهِ ، فاكْتُمْ عنى ، ولقد أسْلَمْتُ ، وما جئْتُ إلَّا لِآخُذَ مالى ؛ فرَقًا مِن أن أُغْلَبَ عليه ، فإذا مضَت ثلاثٌ فأظْهِرْ أمْرَك ، فهو واللَّهِ على ما تُحِبُّ . قال : حتى إذا كان اليومُ الثالثُ ، لبِس العباسُ حُلَّةً له وتخَلَّق[3] وأخَذ عصاه ، ثُم خرَج حتى أتَى الكعبةَ فطاف بها ، فلمَّا رَأَوْه قالوا : يا أبا الفَضْلِ ، هذا واللَّهِ التَّجَلُّدُ لحَرِّ المُصِيبةِ . قال : كلَّا واللَّهِ الذى حلَفْتُم به ، لقد افْتَتَح محمدٌ خيبرَ ، وتُرِكَ[4] عَرُوسًا على بنتِ ملِكِهم ، وأحْرَز أموالَهم وما فيها ، وأصْبَحَت له ولأصحابِه . قالوا : مَن جاءك بهذا الخبرِ ؟! قال : الذى جاءكم بما جاءكم به ، ولقد دخَل عليكم مُسْلِمًا وأخَذ مالَه ، فانْطَلَق لِيَلْحَقَ بمحمدٍ وأصحابِه فيكونَ معه . فقالوا : يا لَعبادِ اللَّهِ ، انفَلَت عدُوُّ اللَّهِ ، أمَا واللَّهِ لو علِمْنا لكان لنا وله شأنٌ . قال : ولم يَنْشَبوا[5] أن جاءهم الخبرُ بذلك . هكذا

---

(1) سقط من : الأصل ، م .

(2) فى الأصل : « استل » . وانتثل ما فيها : استخرج ما فيها . يقال : نثلت الشىء إذا استخرجته . شرح غريب السيرة ٣/ ٥٥.

(3) تخلق : تطيب بالخلوق وهو ضرب من الطيب . المصدر السابق .

(4) فى الأصل ، م : « نزل » .

(5) فى الأصل : « يلبثوا » .

ذكَر ابنُ إسحاقَ هذه القصةَ مُنْقطِعَةً.

وقد أسْنَد ذلك الإمامُ أحمدُ بنُ حنبلٍ فقال[1]: حدَّثنا عبدُ الرزاقِ، ثنا مَعْمَرٌ، سمِعْتُ ثابتًا يُحَدِّثُ عن أنسٍ قال: لما افْتَتَح رسولُ اللَّهِ ﷺ خيبرَ، قال الحجاجُ بنُ عِلاطٍ: [٣/ ٨٥ظ] يا رسولَ اللَّهِ، إن لى بمكةَ مالًا، وإن لى بها أهلًا، وإنى أريدُ أن آتيَهم، أفأنا فى حِلٍّ إن أنا نِلْتُ منك أو قلتُ شيئًا؟ فأذِن له رسولُ اللَّهِ ﷺ أن يقولَ ما شاء، فأتَى امرأتَه حينَ قدِم فقال: اجْمعى لى ما كان عندَك؛ فإنى أُريدُ أن أشتَرىَ مِن غَنائمِ محمدٍ وأصحابِه، فإنهم قد اسْتُبِيحوا وأُصِيبَت أموالُهم. قال: وفشَى ذلك بمكةَ، فانْقَمَع[2] المسلمون وأظْهَر المشركون فرَحًا وسرورًا. قال: وبلَغ الخبرُ العباسَ فعُقِرَ[3] وجعَل لا يَسْتطيعُ أن يقومَ. قال مَعْمَرٌ: فأخبَرَنى عثمانُ الجَزَرِىُّ[4]، عن مِقْسَمٍ قال: فأخَذ ابنًا له يقالُ له: قُثَمُ. واسْتَلْقَى ووضَعه على صدرِه وهو يقولُ:

حَىَّ[5] قُثَمْ [6]حَىَّ قُثَمْ[6]
شَبِيهُ ذى الأنفِ الأَشَمْ

---

(١) المسند ٣/ ١٣٨، ١٣٩، قال الهيثمى فى المجمع ٦/ ١٥٤، ١٥٥: ورواه أحمد... ورجاله رجال الصحيح.

(٢) فى ص: «فاجتمع»، وانقمع: أى ذلوا وكأنهم ضُربوا بالمقمعة وهى خشبة يضرب بها الإنسان على رأسه ليذل ويهان. بلوغ الأمانى ٢١/ ١٢٢.

(٣) فعقر: أى كأنه ضربت قوائمه بسيف. المصدر السابق.

(٤) فى الأصل، م: «الخزرجى». انظر تهذيب الكمال ٢٨/ ٤٦٢.

(٥) فى م: «حبى». وحَىَّ قثم: هَلُمّ إلىَّ وأقْبل ياقثم. بلوغ الأمانى ٢١/ ١٢٢.

(٦ - ٦) سقط من النسخ. والمثبت من المسند.

(١)يُرْغِـمُ مَن رَغِـــمْ(١)

قال ثابتٌ[٢]، عن أنسٍ: ثُم أرْسَل غلامًا له إلى الحجاجِ بنِ عِلاطٍ: ويلَك! ما جئتَ به وماذا تقولُ؟! فما وعَد اللَّهُ خيرٌ مما جئتَ به! فقال الحجاجُ بنُ عِلاطٍ لغلامِه[٣]: أَقْرِئْ على أبى الفَضْلِ السلامَ، وقُلْ له فلْيَخْلُ لى فى بعضِ بيوتِه لآتيَه، فإنّ الخبرَ على ما يَسُرُّه. فجاء غلامُه، فلمَّا بلَغ بابَ[٣] الدارِ قال: أبْشِرْ يا أبا الفَضْلِ. قال: فوثَب العباسُ فرَحًا حتى قبَّل بينَ عينيه، فأخْبرَه ما قال الحجاجُ فأَعْتَقه. قال: ثُم جاءه الحجاجُ فأخْبرَه أن رسولَ اللَّهِ ﷺ قد افتَتَح خيبرَ وغنِم أموالَهم، وجرَت سهامُ اللَّهِ فى أموالِهم، واصْطَفى رسولُ اللَّهِ ﷺ صفيةَ بنتَ حُيَيٍّ واتخَذها لنفسِه، وخيَّرها أن يُعْتِقَها وتكونَ زوجةً، أو تَلْحَقَ بأهلِها، فاخْتارت أن يُعْتِقَها وتكونَ زوجتَه. قال: ولكنى جئتُ لمالٍ كان لى هلهنا أرَدْتُ أن أجْمعَه فأذْهَبَ به، فاسْتَأْذَنْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ، فأذِن لى أن أقولَ ما شئتُ، فأخْفِ علىَّ ثلاثًا، ثُم اذْكُرْ ما بَدا لك. قال: فجمَعَت امرأتُه ما كان عندَها مِن حُلِيٍّ ومَتاعٍ، فجمَعَته ودفَعَته إليه، ثُم استمرَّ[٤] به، فلمَّا كان بعدَ ثلاثٍ أتَى العباسُ امرأةَ الحجاجِ، فقال: ما فعَل زوجُك؟ فأخْبَرَته أنه

(١ - ١) فى الأصل: «برغم من رغم». وفى م: «بزعم من زعم». ويرغم من رغم: يذل الله به من أراد ذله وينصره على أعدائه. بلوغ الأمانى ١٢٢/٢١.

(٢) بعده فى المسند: «عن حجاج». ولكن فى المصنف لعبد الرزاق (٩٧٧١)، والإحسان (٤٥٣٠)، وجامع المسانيد ١٢١/٢١ كلهم من طريق معمر به: «ثابت عن أنس».

(٣) سقط من: الأصل، م.

(٤) فى م: «انشمر».

ذهَب يومَ كذا وكذا ، وقالت : لا يُحْزِنْك[1] اللَّهُ يا أبا الفَضْلِ ، لقد شَقَّ علينا الذى بلَغك . قال : أجَلْ ، لا يُحْزِنْنى[2] اللَّهُ ، ولم يَكُنْ بحمدِ اللَّهِ إلا ما أحْبَبْنا ، فتَح اللَّهُ خيبرَ على رسولِه ، وجرَت فيها سهامُ اللَّهِ ، واصْطَفى رسولُ اللَّهِ ﷺ صفيةَ لنفسِه ، فإن كانت لكِ حاجةٌ فى زوجِكِ فالْحَقى به . قالت : أظُنُّك واللَّهِ صادقًا . قال : فإنى صادقٌ ، والأمرُ على ما أخْبَرْتُكِ . [٣/ ٨٦و] ثُم ذهَب حتى أتَى مجالسَ قريشٍ ، وهم يقولون إذا مَرَّ بهم : لا يُصِيبُك إلا خيرٌ يا أبا الفَضْلِ . قال : لم يُصِبْنى إلا خيرٌ بحمدِ اللَّهِ ، أخْبَرَنى الحجاجُ بنُ عِلاطٍ أن خيبرَ فتَحها اللَّهُ على رسولِه ، وجرَت فيها سهامُ اللَّهِ ، واصْطَفى صفيةَ لنفسِه ، وقد سأَلنى أن أُخْفِىَ عليه ثلاثًا ، وإنما جاء ليأْخُذَ مالَه وما كان له مِن شىءٍ هاهنا ، ثُم يَذْهَبَ . قال : فردَّ اللَّهُ الكآبةَ التى كانت بالمسلمين على المشركين ، وخرَج المسلمون ومَن كان دخَل بيتَه مُكْتَئِبًا حتى أتَوُا العباسَ ، فأخْبَرَهم الخبرَ ، فسُرَّ المسلمون ورَدَّ اللَّهُ ما كان مِن كآبةٍ أو غيظٍ أو حُزْنٍ على المشركين . وهذا الإسنادُ على شرطِ الشيخَيْن ، ولم يُخْرِجْه أحدٌ مِن أصحابِ الكتبِ الستةِ سوى النَّسائىِّ ، عن إسحاقَ بنِ إبراهيمَ ، عن عبدِ الرزاقِ ، به نحوَه[3] . ورَواه الحافظُ البيهقىُّ ، مِن طريقِ محمودِ بنِ غَيْلانَ ، عن عبدِ الرزاقِ[4] . ورَواه أيضًا مِن طريقِ يعقوبَ بنِ سفيانَ ، عن زيدِ بنِ المباركِ ، عن محمدِ بنِ ثَوْرٍ ، عن مَعْمَرٍ ، به نحوَه[5] .

---

(١) فى المسند : « لا يخزيك » .

(٢) فى المسند : « لا يخزينى » .

(٣) النسائى فى الكبرى (٨٦٤٦) ، مختصرًا .

(٤) دلائل النبوة ٤/ ٢٦٨.

(٥) المصدر السابق ٤/ ٢٦٦، ٢٦٧.

وكذلك ذكَر موسى بنُ عُقْبَةَ فى « مَغازيه »[1] أن قريشًا كان بينَهم تَراهُنٌ عظيمٌ وتَبايُعٌ، منهم مَن يقولُ: يَظْهَرُ محمدٌ وأصحابُه. ومنهم مَن يقولُ: يَظْهَرُ الحَلِيفانِ ويهودُ خيبرَ. وكان الحجاجُ بنُ عِلاطٍ السُّلَمىُّ ثُم البَهْزىُّ قد أسْلَم وشهِد مع رسولِ اللَّهِ ﷺ فتحَ خيبرَ، وكانت تحتَه أمُّ شَيْبَةَ أختُ بنى[2] عبدِ الدارِ بنِ قُصَىٍّ، وكان الحجاجُ مُكْثِرًا مِن المالِ، وكانت له مَعادِنُ أرضِ بنى سُلَيْمٍ، فلما ظهَر رسولُ اللَّهِ ﷺ على خيبرَ، اسْتَأْذن الحجَّاجُ رسولَ اللَّهِ ﷺ فى الذَّهابِ إلى مكةَ يَجْمَعُ أموالَه، فأذِن له، فذكَر[3] نحوَ ما تقدَّم. واللَّهُ أعلمُ[4].

قال ابنُ إسحاقَ[5]: ومما قيل مِن الشعرِ فى غزوةِ خيبرَ قولُ حسانَ:

بئس ما قاتَلَتْ خَيابِرُ[6] عمَّا ... جَمَّعوا مِن مَزارِعٍ ونَخيلِ
كرِهوا الموتَ فاسْتُبِيحَ حِماهمْ ... وأقَرُّوا فعلَ اللَّئيمِ[7] الذَّليلِ

---

(١) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٤/ ٢٦٥، ٢٦٦ عن موسى بن عقبة.
(٢) سقط من النسخ، والمثبت من الدلائل.
(٣) سقط من: الأصل، م.
(٤) بعده فى ص: «قال السهيلى، رحمه الله: وروينا فى سبب إسلام الحجاج هذا أمرا عجبا مع الجن. قال: وهو والد نصر بن حجاج الذى نفاه عمر بن الخطاب، رضى الله عنه، من المدينة بسبب افتتان بعض جوارى المدينة، وفيه تقول الفُرَيْعَة بنت هشام أم الحجاج بن يوسف الثقفى:

ألا سبيل إلى خمر فأشربها ... ولا سبيل إلى نصر بن حجاج

قال: فلما ذهب إلى الشام، فهوى امرأة أبى الأسود السلمى، وأضنى من حبها، وكان يقال له: الضنى. ومات بذلك.
(٥) سيرة ابن هشام ٢/ ٣٤٧، وانظر ديوان حسان بن ثابت ص ٢٥٠.
(٦) خيابر: جمع خيبر وأراد أهلها، كما تقول: اجتمعت المدينة. وإنما تريد أهل المدينة. شرح غريب السيرة ٣/ ٥٥.
(٧) فى الأصل، م: «الذميم».

أمِنَ الموتِ يَهْرُبون فإنَّ الـ ـموتَ موتَ الهُزالِ[1] غيرُ جَميلِ

وقال كعبُ بنُ مالكٍ فيما ذكَره ابنُ هشامٍ، عن أبى زيدٍ الأنصارىِّ[2]:

ونحن وردْنا خيبرًا وفُروضَه بكلِّ فَتًى عارِى الأشاجِعِ مِذْوَدِ[3]

جَوَادٍ لدَى الغاياتِ لا واهنِ القُوَى جَرِىءٍ على الأعداءِ فى كلِّ مَشْهَدِ

[٣/ ٨٦ظ] عظيمِ رَمادِ القِدْرِ فى كلِّ شَتْوَةٍ ضَروبٍ بنَصْلِ المَشْرَفِىِّ[4] المُهَنَّدِ

يرَى القتلَ مَدْحًا إن أصاب شَهادةً مِن اللَّهِ يَرْجوها وفوزًا بأحمدِ

يَذُودُ ويَحْمِى عن ذِمارِ[5] محمدٍ ويَدْفَعُ عنه باللسانِ وباليدِ

ويَنْصُرُه مِن كل أمرٍ يَرِيبُه يَجُودُ بنفسٍ دونَ نفسِ محمدِ

يُصَدِّقُ بالإنباءِ بالغيبِ مُخْلِصًا يُريدُ بذاك العزَّ والفوزَ فى غَدِ

---

(١) الهزال: الجوع وضعف الحال. شرح غريب السيرة ٣/٥٥ .

(٢) سيرة ابن هشام ٢/ ٣٤٨، ٣٤٩.

(٣) الفروض: المواضع التى يشرب منها من الأنهار. والأشاجع: عروق ظاهر الكتف. ومذود: مانع. شرح غريب السيرة ٣/ ٥٦.

(٤) المشرفى: السيف. المصدر السابق.

(٥) الذمار: ما يجب حمايته. المصدر السابق.

فصــل

في مُرورِه ﷺ بوادى القُرَى (١ومُحاصـرتِه قومًا من اليهودِ، (٢ومُصالَحةِ يَهودِ تَيْماءَ٢) على ما ذَكَرَه الواقدىُّ١)

قال الواقدىُّ(٣): حدَّثنى عبدُ الرحمنِ بنُ عبدِ العزيزِ، عن الزهرىِّ، عن أبى سَلَمةَ، عن أبى هريرةَ (٢قال: خرَجْنا مع رسولِ اللَّهِ ﷺ مِن خيبرَ إلى وادى القُرَى، وكان رِفاعةُ بنُ٢) زيدِ بنِ وَهْبٍ الجُذَامىُّ(٤) قد وهَب لرسولِ اللَّهِ ﷺ عبدًا أسودَ يقالُ له: مِدْعَمٌ. وكان يُرَحِّلُ لرسولِ اللَّهِ ﷺ، فلمَّا نزَلْنا بوادى القُرَى انتَهَيْنا إلى يهودَ، وقدِم إليها ناسٌ مِن العربِ، فبينا مِدْعَمٌ يَحُطُّ رَحْلَ رسولِ اللَّهِ ﷺ، وقد اسْتَقْبَلَتنا يهودُ بالرَّمْيِ حينَ نزَلْنا، ولم نَكُنْ على تَعْبِيَةٍ، وهم يَصِيحون فى آطامِهم، فيُقْبِلُ سهمٌ عائرٌ، فأصاب مِدْعَمًا فقتَله، فقال الناسُ: هَنِيئًا له بالجنةِ. فقال النبىُّ ﷺ: «كلَّا والذى نفسى بيدِه، إن الشَّمْلَةَ التى أخَذها يومَ خيبرَ مِن المَغانمِ لم تُصِبْها المَقاسمُ، لتَشْتَعِلُ عليه نارًا».

(١ - ١) سقط من: م.

(٢ - ٢) سقط من: الأصل.

(٣) مغازى الواقدى ٢/ ٧٠٩، ٧١٠.

(٤) فى الأصل: «الحرامى».

فلمَّا سمِع بذلك الناسُ ، جاء رجلٌ إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ بشِراكٍ أو شِراكَيْن ، فقال النبيُّ ﷺ : « شِراكٌ مِن نارٍ أو شِراكان مِن نارٍ » . وهذا الحديثُ فى « الصحيحين » مِن حديثِ مالكٍ ، عن ثَوْرِ بنِ زَيدٍ[1] ، عن أبى الغَيْثِ ، عن أبى هريرةَ ، عن النبىِّ ﷺ بنحوِه[2] .

قال الواقدىُّ[3] : فعَبَّى رسولُ اللَّهِ ﷺ أصحابَه للقِتالِ وصفَّهم ، ودفَع لواءَه إلى سعدِ بنِ عُبادةَ ، ورايةً إلى الحُبابِ بنِ المنذرِ ، ورايةً إلى سهلِ بنِ حُنَيْفٍ ، ورايةً إلى عَبَّادِ بنِ بِشْرٍ ، ثُم دعاهم إلى الإسلامِ ، وأخْبرهم أنهم إن أسْلَموا أحْرَزوا أموالَهم وحقَنوا دماءَهم ، وحسابُهم على اللَّهِ . قال : فبرَز رجلٌ منهم ، فبرَز إليه الزُّبيرُ بنُ العوامِ فقتَله ، ثُم برَز آخرُ ، فبرَز إليه علىٌّ فقتَله ، [4]ثم برَز آخرُ ، فبرَز إليه أبو دُجانةَ فقتَله[4] ، حتى قُتِل منهم أحدَ عشَرَ رجلًا ، كلَّما قُتِل منهم رجلٌ ، دعا مَن بقِىَ منهم إلى الإسلامِ ، ولقد كانت الصلاةُ تَحْضُرُ ذلك اليومَ ، فيُصَلِّى [٣/٨٧و] رسولُ اللَّهِ ﷺ بأصحابِه ، ثُم يعودُ فيَدْعوهم إلى الإسلامِ وإلى اللَّهِ عزَّ وجلَّ ورسولِه ، وقاتَلهم حتى أمْسَوا[5] ، وغَدا عليهم ، فلم ترْتَفِعِ الشمسُ قِيدَ رُمْحٍ حتى أَعْطَوا بأيديهم ، وفتَحها عَنْوَةً ، وغنَّمهم اللَّهُ أموالَهم ، وأصابوا أثاثًا ومَتاعًا كثيرًا ، وأقام رسولُ اللَّهِ ﷺ بوادى القُرَى أربعةَ أيامٍ ، فقسَم ما أصاب على أصحابِه ، وترَك الأرضَ والنَّخيلَ فى أيدى اليهودِ

---

(١) فى النسخ : « يزيد » . والمثبت من الصحيحين ، وانظر تهذيب الكمال ٤/ ٤١٦.

(٢) البخارى (٤٢٣٤، ٦٧٠٧) ، ومسلم (١١٥) .

(٣) مغازى الواقدى ٢/ ٧١٠، ٧١١.

(٤ - ٤) سقط من : الأصل ، م .

(٥) فى الأصل ، م : « أمسى » .

وعامَلهم عليها ، فلما بلَغ يهودَ تَيْماءَ ما وَطِئَ به رسولُ اللَّهِ ﷺ خيبرَ وفَدَكَ ووادىَ القُرَى ، صالحوا رسولَ اللَّهِ ﷺ على الجِزْيةِ ، وأقاموا بأيديهم أموالَهم ، فلمَّا كان عُمَرُ أَخْرَج يهودَ خيبرَ وفَدَكَ ، ولم يُخْرِجْ أهلَ تَيْماءَ ووادى القُرَى ؛ لأنهما داخلتان فى أرضِ الشامِ ، ويَرَى أن ما دون وادى القُرَى إلى المدينةِ حجازٌ ، وما[1] وراءَ ذلك مِن الشامِ . قال : ثُم انصرف رسولُ اللَّهِ ﷺ راجعًا إلى المدينةِ بعدَ أن فرَغ مِن خيبرَ ووادى القُرَى ، وغنَّمه اللَّهُ عزَّ وجلَّ .

قال الواقدىُّ[2] : حدَّثنى يعقوبُ بنُ محمدٍ ، عن عبدِ الرحمنِ بنِ عبدِ اللَّهِ ابنِ أبى صَعْصَعةَ ، عن الحارثِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ كعبٍ ، عن أمِّ عُمارةَ ، قالت : سمِعْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ بالجُرُفِ وهو يقولُ : « لا تَطْرُقوا[3] النساءَ بعدَ صلاةِ العشاءِ » . قالت : فذهَب رجلٌ مِن الحَىِّ ، فطرَق أهلَه فوجَد ما يَكْرَهُ ، فخلَّى سبيلَه[4] ولم يَهِجْه[5] ، وضنَّ بزوجتِه أن يُفارِقَها ، وكان له منها أولادٌ ، وكان يُحِبُّها ، فعصَى رسولَ اللَّهِ ﷺ ، فرأَى ما يَكْرَهُ .

فصلٌ

ثبَت فى « الصحيحين »[6] أن رسولَ اللَّهِ ﷺ لما افْتَتَح خيبرَ ، عامَل

---

(١) فى الأصل ، م : « من » .
(٢) مغازى الواقدى ٢/ ٧١٢، ٧١٣.
(٣) الطرق والطروق : القدوم على القوم ليلاً .
(٤) فى النسخ : « سبيلها » والمثبت من المغازى .
(٥) فى النسخ : « يهجر » والمثبت من المغازى . ولم يهجه : لم يُزْعِجه ولم يُنَفِّره . النهاية ٥/ ٢٨٦.
(٦) البخارى (٢٢٨٥، ٢٣٢٨، ٢٣٢٩، ٢٣٣١، ٤٢٤٨) ، ومسلم (١، ٢، ٣/١٥٥١) .

يهودَها[1] على شَطْرِ ما يَخْرُجُ منها مِن تمرٍ أو زرعٍ . وقد وَرَد فى بعضِ ألفاظِ هذا الحديثِ : على أن يَعْمَلوها مِن أموالِهم[2] . وفى بعضِها[3] : وقال لهم النبىُّ ﷺ : « نُقِرُّكم فيها[4] ما شِئْنا » .

وفى « السِّيَرِ » أنه كان يَبْعَثُ عليهم عبدَ اللَّهِ بنَ رَواحةَ ، يَخْرُصُها عليهم عندَ استواءِ ثِمارِها ، ثُم يُضَمِّنُهم إياه ، فلما قُتِل عبدُ اللَّهِ بنُ رَواحةَ بمُؤْتةَ ، بعَث جَبَّارَ بنَ صَخْرٍ ، كما تقدَّم . ومَوْضِعُ تحريرِ ألفاظِه وبيانِ طُرُقِه كتابُ المُزارعةِ مِن كتابِ « الأحكامِ الكبيرِ » ، إن شاء اللَّهُ وبه الثقةُ .

وقال محمدُ بنُ إسحاقَ[5] : سألْتُ ابنَ شِهابٍ : كيف (6كان إعطاءُ6) رسولِ اللَّهِ ﷺ يهودَ خيبرَ نَخْلَهم ؟ فأخبَرَنى أن رسولَ اللَّهِ ﷺ افْتَتَح خيبرَ عَنْوةً بعدَ القِتالِ ، وكانت خيبرُ مما أفاء اللَّهُ عليه ، خَمَّسَها وقسَمها بينَ المسلمين ، ونزَل مَن نزَل مِن أهلِها على الجَلاءِ بعدَ القِتالِ ، فدعاهم رسولُ اللَّهِ صلى اللَّهُ عليه [٣/٨٧ظ] وسَلَّم فقال : « إن شِئْتُم دفَعْتُ إليكم هذه الأموالَ ؛ على أن تَعْمَلوها وتكونَ ثِمارُها بينَنا وبينَكم ، فأُقِرُّكم ما أَقَرَّكم اللَّهُ » . فقبِلوا ، وكانوا على ذلك يَعْمَلونها ، وكان رسولُ اللَّهِ ﷺ يَبْعَثُ عبدَ اللَّهِ بنَ رَواحةَ فيَقْسِمُ ثمَرَها ، ويَعْدِلُ عليهم فى الخَرْصِ ، فلما تَوَفَّى اللَّهُ نبيَّه ﷺ ، أقَرَّها

---

(١) بعده فى الأصل ، م : « عليها » .
(٢) مسلم (٥/١٥٥١) . وفيه « يعتملوها » .
(٣) البخارى (٢٣٣٨، ٣١٥٢) . مسلم (٤، ٦/١٥٥١) .
(٤) سقط من : الأصل ، م .
(٥) سيرة ابن هشام ٢/٣٥٦، ٣٥٧.
(٦ - ٦) فى الأصل ، م : « أعطى » .

أبو بكرٍ بأيديهم ، على المُعاملةِ التى عامَلهم عليها رسولُ اللَّهِ ﷺ حتى تُوُفِّىَ ، ثُم أقَرَّهم عمرُ بنُ الخطابِ صَدْرًا مِن إمارتِه ، ثُم بلَغ عمرَ أن رسولَ اللَّهِ ﷺ قال فى وَجَعِه الذى قبَضه اللَّهُ فيه : « لا يَجْتَمِعَنَّ بجزيرةِ العربِ دينان » . ففحَص عمرُ عن ذلك حتى بلَغه الثَّبَتُ ، فأرْسَل إلى يهودَ فقال : إن اللَّهَ قد أذِن لى فى إجْلائِكم ، وقد بلَغنى أن رسولَ اللَّهِ ﷺ قال : « لا يَجْتَمِعَنَّ فى جزيرةِ العربِ دينان » . فمَن كان عندَه عهدٌ مِن رسولِ اللَّهِ ﷺ فلْيأْتِنى به أُنْفِذْه له ، ومَن لم يَكُنْ عندَه عهدٌ فلْيَتَجَهَّزْ للجَلاءِ . فأجْلَى عمرُ مَن لم يَكُنْ عندَه عهدٌ من[1] رسولِ اللَّهِ ﷺ .

قلتُ : قد ادَّعى يهودُ خيبرَ فى أزمانٍ متأخرةٍ بعدَ الثلاثِمائةِ ، أن بأيديهم كتابًا مِن رسولِ اللَّهِ ﷺ ؛ فيه أنه وضَع الجزيةَ عنهم ، وقد اغْتَرَّ بهذا الكتابِ بعضُ العلماءِ ، حتى قال بإسقاطِ الجزيةِ عنهم ؛ مِن الشافعيةِ الشيخُ أبو علىِّ بنُ خَيْرونَ ، وهو كتابٌ مُزَوَّرٌ مَكْذوبٌ مُفْتَعَلٌ لا أصلَ له ، وقد بيَّنْتُ بُطلانَه مِن وُجوهٍ عديدةٍ فى كتابٍ مُفرَدٍ ، وقد تعَرَّض لذكرِه وإبطالِه جماعةٌ مِن الأصحابِ فى كُتُبِهم ، كابنِ الصَّبَّاغِ فى « شامِله »[2] ، والشيخِ أبى حامدٍ فى « تعليقتِه »[3] ، وصنَّف فيه ابنُ المُسْلِمةِ جزءًا منفردًا للردِّ عليه . وقد تحَرَّكوا به بعدَ السبعِمائةِ ، وأظْهَروا كتابًا فيه نسخةُ ما ذكَره الأصحابُ فى كتبِهم ، وقد وقَفْتُ عليه ، فإذا هو مَكْذُوبٌ ؛ فإن فيه شهادةَ سعدِ بنِ مُعاذٍ ، وقد كان مات

---

(١) سقط من : م .

(٢) فى الأصل ، م : « مسائله » . وانظر سير أعلام النبلاء ١٨/ ٤٦٤، وطبقات الشافعية الكبرى ٥/ ١٢٢.

(٣) فى الأصل : « تعليقه » . وانظر الكلام على التعليقة فى ترجمة الشيخ أبى حامد الإسفراييني فى سير أعلام النبلاء ١٧/ ١٩٤. وانظر طبقات الشافعية الكبرى ٤/ ٦٨.

قبلَ زمنِ خَيْبرَ ، وفيه شهادةُ مُعاويةَ بنِ أبى سُفيانَ ، ولم يَكُنْ أسْلَم يومئذٍ ، وفى آخرِه : وكتَبه علىُّ بنُ أبو طالبٍ . وهذا لحْنٌ وخطأٌ ، وفيه وَضْعُ الجزيةِ ، ولم تَكُنْ شُرِعَت بعدُ ، فإنها إنما شُرِعت أولَ ما شُرِعت وأُخِذت مِن أهلِ نَجْرانَ . وذكَروا أنهم وفَدوا فى حدودِ سنةِ تسعٍ[1] . واللَّهُ أعلمُ .

ثم قال ابنُ إسحاقَ[2] : وحدَّثنى نافعٌ مَوْلى عبدِ اللَّهِ بنِ عمرَ ، عن ابنِ عمرَ قال : خرَجْتُ أنا والزبيرُ بنُ العوامِ والمِقْدادُ بنُ الأسْودِ إلى أمْوالِنا بخيبرَ نَتَعاهَدُها ، فلمَّا قدِمْنا تفَرَّقْنا فى أموالِنا . قال : فعُدِىَ علىَّ تحتَ الليلِ وأنا [٣/٨٨و] نائمٌ على فراشى ففُدِعَتْ يَدایَ مِن مِرْفقىَّ ، فلما اسْتَصْرَخْتُ علىَّ صاحبَىَّ ؛ فأتَيانى فسَألانى : مَن صنعَ هذا بك ؟ فقلتُ : لا أدْرى . فأَصْلَحا مِن يدىَّ ، ثُم قدِما بى على عمرَ ، فقال : هذا عملُ يهودَ . ثُم قام فى الناسِ خطيبًا فقال : أيها الناسُ ، إن رسولَ اللَّهِ ﷺ كان عامَل يهودَ خيبرَ على أنَّا نُخْرِجُهم إذا شِئْنا ، وقد عَدَوْا على عبدِ اللَّهِ بنِ عمرَ ، ففدَعوا يديه كما بلَغكم ، مع عَدْوِتِهم على الأنصارىِّ قبلَه ، لا نَشُكُّ أنهم كانوا أصحابَه ، ليس لنا هناك عَدُوٌّ غيرُهم ، فمَن كان له مالٌ مِن خيبرَ فلْيَلْحَقْ به ، فإنِّى مُخْرِجٌ يهودَ . فأخْرَجهم .

قلتُ : كان لعمرَ بنِ الخطابِ سَهْمُه الذى بخيبرَ ، وقد كان وقَفَه فى سبيلِ اللَّهِ ، وشرَط فى الوَقْفِ ما أشار به رسولُ اللَّهِ ﷺ ، كما هو ثابتٌ فى « الصحيحينِ »[3] ، وشرَط أن يكونَ النظرُ فيه للأرشدِ فالأرشدِ مِن بناتِه وبنيه[4] .

---

(١) أى ذكر علماء السير أن أهل نجران وفدوا على النبى ﷺ سنة تسع .

(٢) سيرة ابن هشام ٢/ ٣٥٧.

(٣) البخارى (٢٧٣٧، ٢٧٦٤، ٢٧٧٢)، ومسلم (١٦٣٢، ١٦٣٣).

(٤) بعده فى ص : « وأما قول عمر : مع عَدْوَتهم على الأنصارى . فيشير به إلى ما ثبت فى الصحيحين من رواية ... كذا ...» .

قال الحافظُ أبو بكرٍ البيهقيُّ في «الدلائلِ»[1] : جِماعُ أبوابِ السَّرايا التي تُذْكَرُ بعدَ فتحِ خيبرَ وقبلَ عُمْرةِ القَضِيَّةِ ، وإن كان تاريخُ بعضِها ليس بالواضحِ عندَ أهلِ المَغازى

سريَّةُ أبى بكرٍ الصّدّيقِ إلى بنى فَزارةَ

قال الإمامُ أحمدُ[2] : حدَّثنا بَهْزٌ ، ثنا عكرمةُ بنُ عَمَّارٍ ، ثنا إياسُ بنُ سَلَمةَ ، حدَّثنى أبى قال : خرَجْنا مع أبى بكرِ بنِ أبى قُحافةَ ، وأمَّره رسولُ اللَّهِ ﷺ علينا ، فغزَوْنا بنى فَزارةَ ، فلما دنَوْنا مِن الماءِ ، أمَرَنا أبو بكرٍ فعرَّسْنا ، فلمَّا صَلَّيْنا الصبحَ أمَرَنا أبو بكرٍ فشَنَنَّا الغارَةَ ، فقتَلْنا على الماءِ مَن قَتَلْنا[3] . قال سَلَمةُ : ثُم نظَرْتُ إلى عُنُقٍ مِن الناسِ[4] فيه مِن الذُّرِّيةِ والنساءِ ، نحوَ الجبلِ وأنا أعْدُو فى آثارِهم ، فخشِيتُ أن يَسْبقونى إلى الجبلِ ، فرَمَيْتُ بسهمٍ فوقَع بينَهم وبينَ الجبلِ . قال : فجِئْتُ بهم أسُوقُهم إلى أبى بكرٍ حتى أتَيْتُه على الماءِ ، وفيهم امرأةٌ مِن فَزارةَ عليها قَشْعٌ[5] مِن أَدَمٍ ، ومعها ابنةٌ لها مِن أحسنِ العربِ . قال : فنَفَّلَنى أبو بكرٍ بنتَها . قال : فما كشَفْتُ لها ثوبًا حتى قدِمْتُ المدينةَ ، ثُم بِتُّ فلم

---

(١) مترجما لجماع السرايا بعد فتح خيبر وقبل عمرة القضية . دلائل النبوة ٤/ ٢٩٠.

(٢) المسند ٤/ ٤٦.

(٣) فى م : «مر قبلنا» .

(٤) العنق من الناس : الجماعة . النهاية ٣/ ٣١٠.

(٥) القشع : الفرو الخلق . النهاية ٤/ ٦٥.

أَكْشِفْ لها ثوبًا . قال : فلقِيَنى رسولُ اللَّهِ ﷺ فى السوقِ ، فقال لى : « يا سَلَمةُ ، هَبْ لىَ المرأةَ » . قال : فقلتُ : واللَّهِ يا رسولَ اللَّهِ لقد أعْجَبَتْنى ، وما كشَفْتُ لها ثوبًا . قال : فسَكَت رسولُ اللَّهِ ﷺ وترَكنى ، حتى إذا كان مِن الغدِ لقِيَنى رسولُ اللَّهِ ﷺ فى السوقِ فقال : « يا سَلَمةُ ، هَبْ لىَ المرأةَ ، للَّهِ أبوك[(١)] » . قال : فقلتُ : يا رسولَ اللَّهِ ، واللَّهِ لقد أعْجَبَتْنى وما كشَفْتُ لها ثوبًا[(٢)] . وهى لك يا رسولَ اللَّهِ . قال : فبعَث بها رسولُ اللَّهِ ﷺ إلى أهلِ مكةَ ، وفى أيديهم أُسارَى مِن المسلمين ، ففَداهم رسولُ اللَّهِ ﷺ بتلك المرأةِ . وقد رَواه مسلمٌ والبيهقىُّ مِن حديثِ عِكْرمةَ بنِ عَمَّارٍ ، به[(٣)] .

سريَّةُ عمرَ بنِ الخطابِ ، رضى اللَّهُ عنه ، إلى تُرَبةَ [(٤)]مِن أرضِ هوازنَ[(٤)] ، وراءَ مكةَ بأربعةِ أميالٍ

ثم أوْرَد البيهقىُّ مِن طريقِ الواقدىِّ بأسانيدِه[(٥)] أن رسولَ اللَّهِ ﷺ بعَث عمرَ بنَ الخطابِ ، رضى اللَّهُ عنه ، فى ثلاثين راكبًا ، ومعه دليلٌ مِن بنى هِلالٍ ، وكانوا يسيرون الليلَ ويَكْمُنون النَّهارَ ، فلما انتَهَوا إلى بلادِهم هَربوا منهم ،

---

(١) لله أبوك : كلمة مدح تعتاد العرب الثناء بها ، مثل قولهم : لله درك . فإن الإضافة إلى العظيم تشريف ، فإذا وجد من الولد ما يحمد ؛ يقال : لله أبوك ؛ حيث أتى بمثلك . الفتح الربانى ٢١/ ١٢٨.

(٢) بعده فى النسخ تكرار : « قال : فسكت رسول الله ﷺ وتركنى ، حتى إذا كان من الغد [٣/ ٨٨ظ] لقينى رسول الله ﷺ فى السوق فقال : « يا سلمة ، هب لى المرأة ، لله أبوك » . قال : قلت : يا رسول الله ، والله ما كشفت لها ثوبًا » .

(٣) مسلم (١٧٥٥) ، ودلائل النبوة ٤/ ٢٩٠، ٢٩١.

(٤ - ٤) سقط من : م .

(٥) دلائل النبوة ٤/ ٢٩٢، وانظر مغازى الواقدى ٢/ ٧٢٢.

وكرَّ عمرُ راجعًا إلى المدينةِ ، فقيل له : هل لك فى قِتالِ خَثْعَمٍ ؟ فقال : إن رسولَ اللَّهِ ﷺ لم يأمُرْنى إلا بقِتالِ هَوازنَ فى أرضِهم .

سريَّةُ عبدِ اللَّهِ بنِ رَواحةَ إلى يُسَيْرِ[1] بنِ رِزامٍ اليهودىّ

ثُم أوْرد[2] مِن طريقِ[3] ابنِ لَهيعَةَ ، عن أبى الأسْودِ ، عن عروةَ ، ومِن طريقِ موسى بنِ عُقبةَ ، عن الزهرىِّ ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ بعَث عبدَ اللَّهِ بنَ رَواحةَ فى ثلاثين راكبًا ، فيهم عبدُ اللَّهِ بنُ أُنيسٍ[4] ، إلى يُسَيْرِ بنِ رِزامٍ اليهودىِّ ، حتى أتَوْه بخيبرَ ، وبلَغ رسولَ اللَّهِ ﷺ أنه يَجْمَعُ غَطَفانَ لِيَغْزُوَه بهم ، فأتَوْه فقالوا : أرْسَلَنا إليك رسولُ اللَّهِ ﷺ لِيَسْتَعْمِلَك على خيبرَ . فلم يَزالوا به حتى تبِعهم فى ثلاثين رجلًا ، مع كلِّ رجلٍ منهم رَديفٌ مِن المسلمين ، فلمَّا بلَغوا قَرْقَرةَ ثِبارَ ، وهى مِن خيبرَ على سِتةِ أميالٍ ، ندِم يُسَيرُ بنُ رِزامٍ ، فأَهْوى بيدِه إلى سيفِ عبدِ اللَّهِ بنِ أُنيسٍ[4] ، ففطِن له عبدُ اللَّهِ بنُ أُنيسٍ[4] ، فزجَر بعيرَه ، ثُم اقْتَحَم يَسُوقُ بالقومِ ، حتى إذا اسْتَمْكن مِن يُسَيرٍ ، ضرَب رجلَه فقطَعها ،

---

(١) فى الأصل ، ص : « بشر » .

(٢) أى البيهقى فى دلائل النبوة ٤/ ٢٩٣، ٢٩٤.

(٣) بعده فى الأصل ، م : « إبراهيم » . وابن لهيعة هو عبد الله بن لهيعة بن عقبة . انظر تهذيب الكمال ١٥/ ٤٨٧.

(٤) فى م : « رواحة » .

واقْتَحَم يُسَيْرٌ وفى يدِه مِخْرَشٌ[1] مِن شَوْحَطٍ، فضرَب به وجهَ عبدِ اللَّهِ بنِ أُنيسٍ[2] فشَجَّه شَجَّةً مأْمُومةً[3]، وانْكَفأَ كلُّ رجلٍ مِن المسلمين على رَديفِه فقتَله، غيرَ رجلٍ واحدٍ مِن اليهودِ أعْجَزهم شَدًّا، ولم يُصَبْ مِن المسلمين أحدٌ، وبصَق رسولُ اللَّهِ ﷺ فى شَجَّةِ عبدِ اللَّهِ بنِ أُنيسٍ[2]، فلم تَقِحْ ولم تُؤْذِه حتى مات.

سريَّةٌ أخرى مع بَشِيرِ بنِ سعدٍ

رَوَى[4] مِن طريقِ الواقدىِّ [٨٩/٣و] بإسنادِه، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ بعَث بَشيرَ بنَ سعدٍ فى ثلاثين راكبًا إلى بنى مُرَّةَ فى أرضِ فَدَكَ، فاستاق نَعَمَهم، فقاتَلوه وقتَلوا عامةَ مَن معه، وصبرَ هو يومئذٍ صبرًا عظيمًا، وقاتَل قتالًا شديدًا، ثُم لجأَ إلى فَدَكَ، فبات بها عندَ رجلٍ مِن اليهودِ، ثُم كَرَّ راجعًا إلى المدينةِ.

قال الواقدىُّ[5]: ثُم بَعث إليهم رسولُ اللَّهِ ﷺ غالبَ بنَ عبدِ اللَّهِ ومعه جماعةٌ مِن كبارِ الصحابةِ. فذكَر منهم أسامةَ بنَ زيدٍ، وأبا مسعودٍ البَدْرىَّ، وكَعْبَ بنَ عُجْرَةَ، ثُم ذكَر مَقْتَلَ أسامةَ بنِ زيدٍ لمِرْداسِ بنِ نَهِيكٍ حليفِ بنى مُرَّةَ، وقولَه حينَ عَلَاه بالسيفِ: لا إلهَ إلا اللَّهُ. وأن الصحابةَ لاموه على

---

(١) فى م: «مخراش». والمخراش والمخرش: عصا معوجة الرأس كالصولجان. اللسان (خ ر ش). والشوحط: ضرب من شجر الجبال تتخذ منه القِسِيُّ. النهاية ٢/ ٥٠٨.

(٢) فى م: «رواحة».

(٣) شجة مأمومة: شجة بلغت أم الرأس. المحيط (أ م م).

(٤) أى البيهقى فى دلائل النبوة ٤/ ٢٩٥.

(٥) مغازى الواقدى ٢/ ٧٢٣ - ٧٢٥.

ذلك، حتى سُقِط فى يدِه ونَدِم على ما فعَل. وقد ذكَر هذه القصةَ يونسُ بنُ بُكَيرٍ[1]، عن ابنِ إسحاقَ، عن شيخٍ مِن [2]بنى سَلِمَةَ[2]، عن رجالٍ مِن قومِه، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ بَعث غالبَ بنَ عبدِ اللَّهِ الكَلْبىَّ إلى أرضِ بنى مُرَّةَ، فأصاب مِرْداسَ بنَ نَهِيكٍ [3]حليفًا لهم مِن الحُرَقَةِ. قال: فقتَله أسامةُ.

قال ابنُ إسحاقَ[4]: فحدَّثنى محمدُ بنُ أسامةَ بنِ محمدِ بنِ أسامةَ، عن أبيه، عن جَدِّه أسامةَ بنِ زيدٍ قال: أدْرَكْتُه أنا ورجلٌ مِن الأنصارِ - يعنى مِرْداسَ بنَ نَهِيكٍ[3] - فلما شهَرْنا عليه السِّلاحَ قال: أشْهَدُ أن لا إلهَ إلا اللَّهُ. فلم نَنْزِعْ عنه حتى قتَلْناه، فلمَّا قدِمْنا على رسولِ اللَّهِ ﷺ أخبَرْناه، فقال: «يا أسامةُ، مَن لك بلا إلهَ إلا اللَّهُ؟» فقلتُ: يا رسولَ اللَّهِ، إنما قالها تَعَوُّذًا مِن القتلِ. قال: «فمَن لك يا أسامةُ بلا إلهَ إلا اللَّهُ؟» فوالذى بعَثه بالحقِّ ما زال يُرَدِّدُها علىَّ حتى تمنَّيْتُ أن ما مضَى مِن إسلامى لم يَكُنْ، وأنى أسْلَمْتُ يومئذٍ ولم أقْتُلْه. فقلتُ: إنى أُعْطِى اللَّهَ عهدًا أن لا أَقْتُلَ رجلًا يقولُ: لا إلهَ إلا اللَّهُ. أبدًا. فقال: «بعدى يا أسامةُ». فقلتُ: بعدَك.

قال الإمامُ أحمدُ[5]: حدثنا هُشَيْمُ بنُ بَشِيرٍ، أنبأنا حُصَيْنٌ، عن أبى ظَبْيانَ قال: سمِعْتُ أسامةَ بنَ زيدٍ يُحَدِّثُ قال: بعَثَنا رسولُ اللَّهِ ﷺ إلى الحُرَقَةِ مِن جُهَيْنَةَ. قال: فصبَّحْناهم، وكان منهم رجلٌ إذا أقْبَل القومُ كان مِن أشدِّهم

---

(١) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٤/ ٢٩٦، ٢٩٧، من طريق يونس بن بكير به.
(٢) كذا فى النسخ، وفى الدلائل: «أسلم».
(٣ - ٣) سقط من: الأصل.
(٤) المصدر السابق ٤/ ٢٩٧. وانظر سيرة ابن هشام ٢/ ٦٢٢، ٦٢٣.
(٥) المسند ٥/ ٢٠٠.

علينا، وإذا أدبَروا كان حامِيتَهم. قال: فغشيتُه أنا ورجلٌ مِن الأنصارِ، فلمَّا تَغَشَّيْناه قال: لا إلهَ إلا اللَّهُ. فكفَّ عنه الأنصاريُّ وقتَلْتُه، فبلَغ ذلك رسولَ اللَّهِ ﷺ، فقال: «يا أسامةُ، أقتَلْتَه بعدَ ما قال: لا إلهَ إلا اللَّهُ؟» قال: قلتُ: يا رسولَ اللَّهِ، إنما كان مُتَعَوِّذًا مِن القتلِ. قال: فكَرَّرها علىَّ حتى تَمَنَّيْتُ أنى لم أكُنْ أسْلَمْتُ إلَّا يومئذٍ. وأخرَجه البخاريُّ ومسلمٌ مِن حديثِ هُشَيْمٍ به [٣/ ٨٩ظ] نحوَه[(١)].

وقال ابنُ إسحاقَ[(٢)]: حدَّثنى يعقوبُ بنُ عُتبةَ، عن مسلمِ[(٣)] بنِ عبدِ اللَّهِ الجُهَنىِّ، عن جُنْدَبِ بنِ مَكِيثٍ الجُهَنىِّ قال: بعَث رسولُ اللَّهِ ﷺ غالبَ بنَ عبدِ اللَّهِ الكَلْبىَّ، كلبَ لَيْثٍ، إلى بنى المُلَوِّحِ بالكَدِيدِ، وأمَرَه أن يُغِيرَ عليهم، وكنتُ فى سريَّتِه، فمَضَيْنا حتى إذا كنا بالقُدَيْدِ، لقِيَنا الحارثُ بنُ مالكٍ ابنُ البَرْصاءِ اللَّيْثىُّ، فأخَذْناه فقال: إنى إنما جئتُ لِأُسْلِمَ. فقال له غالبُ بنُ عبدِ اللَّهِ: إن كنتَ إنما جئتَ لِتُسْلِمَ، فلا يَضُرُّك رِباطُ يومٍ وليلةٍ، وإن كنتَ على غيرِ ذلك اسْتَوْثَقْنا منك. قال: فأوْثَقَه رِباطًا وخلَّف عليه رُوَيْجِلًا أسودَ كان معنا، وقال: امكُثْ معه حتى نَمُرَّ عليك، فإن نازَعك فاحْتَزَّ رأسَه. ومضَيْنا حتى أتَيْنا بَطْنَ الكَدِيدِ، فنزَلْنا عَشِيَّةً بعدَ العصرِ، فبعَثنى أصحابى إليه، فعَمَدْتُ إلى تَلٍّ يُطْلِعُنى على الحاضرِ[(٤)] فانبَطَحْتُ عليه، وذلك قبلَ غروبِ الشمسِ، فخرَج

(١) البخارى (٤٢٦٩، ٦٨٧٢)، ومسلم (٩٦/١٥٩).

(٢) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٤/ ٢٩٨، ٢٩٩ من طريق محمد بن إسحاق به. وانظر سيرة ابن هشام ٢/٦٠٩ - ٦١١.

(٣) فى الأصل، ص: «سلمة». انظر تهذيب الكمال ٢٧/ ٥٢٤.

(٤) الحاضر: القوم النزول على ماء، يقيمون به ولا يرحلون عنه. الوسيط (ح ض ر).

رجلٌ منهم، فنظَر فرآنى مُنْبَطِحًا على التَّلِّ، فقال لامرأتِه: إنى لأَرَى سَوادًا على هذا التَّلِّ ما رأيْتُه فى أولِ النَّهارِ، فانظُرِى لا تكونُ الكِلابُ اجْتَرَّت بعضَ أَوْعِيتِكِ؟ فنظَرَت فقالت: واللَّهِ ما أَفْقِدُ منها شيئًا. قال: فناوِلِينى قوسى وسَهْمين مِن نَبْلى. فناوَلَتْه، فرمانى بسهمٍ فى جَبينى - أو قال: فى جَنْبى - فنزَعْتُه فوضَعْتُه ولم أتَحَرَّكْ، ثُم رَمانى بالآخرِ فوضَعه فى رأسِ مَنْكِبى، فنزَعْتُه فوضَعْتُه ولم أتَحَرَّكْ. فقال لامرأتِه: أمَا واللَّهِ لقد خالطَه سهمايَ، ولو كان رَبِيئَةً[1] لتَحَرَّك، فإذا أصْبَحْتِ فابْتَغى سهمَيَّ فخُذِيهما، لا تُمْضُغُهما علىَّ الكِلابُ.

قال: فأمْهَلْنا، حتى إذا راحت رَوايحُهم، وحتى احْتَلبوا وعطَّنوا[2] وسكَنوا، وذهَبَت عَتَمةٌ مِن الليلِ، شنَنَّا عليهم الغارةَ فقتَلْنا واسْتَقْنا النَّعَمَ، ووجَّهْنا قافِلِين به، وخرَج صَرِيخُ القومِ إلى قومِهم بقُربِنا. قال: وخرَجْنا سِراعًا حتى نَمُرَّ بالحارثِ بنِ مالكٍ ابنِ البَرْصاءِ وصاحبِه، فانْطَلَقْنا به معنا، وأتانا صَرِيخُ الناسِ، فجاءنا ما لا قِبَلَ لنا به، حتى إذا لم يَكُنْ بيننا وبينَهم إلا بطْنُ الوادى مِن قُدَيْدٍ، بعَث اللَّهُ مِن حيث شاء ماءً، ما رأَيْنا قبلَ ذلك مطرًا ولا حالًا، وجاء بما لا يَقْدِرُ أحدٌ أن يُقْدِمَ عليه، فلقد رأَيْتُهم وُقوفًا يَنْظُرون إلينا، ما يَقْدِرُ أحدٌ منهم أن يُقْدِمَ عليه، [٣/٩٠و] ونحن [3]نَجِدُّ بها أو نَحْدُوها[3] - شَكَّ

---

(١) فى م، والدلائل: «ربية». والربيئة: العين والطليعة الذى ينظر للقوم لِئَلا يدهمهم عدو، ولا يكون إلا على جبل أو شَرَفٍ ينظر منه. اللسان (ر ب أ).

(٢) عطنوا مواشيهم: أى أراحوها، سمى المُرَاحُ - وهو مأواها - عَطَنا، والعطن: مبرك الإبل حول الماء. النهاية ٣/ ٢٥٨.

(٣ - ٣) كذا فى النسخ، وفى الدلائل: «نحدوها أو نحذرها». ونجدُّ بها: نسرع بها. ونحدوها: نسوقها.

النُّفَيْلِىُّ - فذهَبْنا سِراعًا حتى أسْنَدْنا بها فى المَسْلَكِ، ثُم حدرْنا[1] عنه حتى أعْجَزْنا القومَ بما فى أيدينا. وقد رَواه أبو داودَ[2] مِن حديثِ محمدِ بنِ إسحاقَ، فقال فى روايتِه: عبدُ اللَّهِ بنُ غالبٍ. والصوابُ غالبُ بنُ عبدِ اللَّهِ كما تقدَّم.

وذكَر الواقدىُّ[3] هذه القصةَ بإسنادٍ آخرَ، وقال فيه: وكان معه مِن الصحابةِ مائةٌ وثلاثون رجلًا.

ثُم ذكَر البيهقىُّ[4] مِن طريقِ الواقدىِّ سريةَ بَشِيرِ بنِ سعدٍ أيضًا إلى ناحيةِ خيبرَ، فلَقُوا جَمعًا مِن العربِ، وغَنِموا نَعَمًا كثيرًا، وكان بَعْثُه فى هذه السريةِ بإشارةِ أبى بكرٍ وعمرَ، رضى اللَّهُ عنهما، وكان معه مِن المسلمين ثلاثُمائةِ رجلٍ، ودليلُه حُسَيْلُ بنُ نُوَيْرَةَ، وهو الذى كان دليلَ النبىِّ ﷺ إلى خيبرَ. قاله الواقدىُّ.

سريَّةُ أبى حَدْرَدٍ إلى الغابةِ[5]

قال يونسُ، عن محمدِ بنِ إسحاقَ[6]: كان مِن حديثِ قصةِ أبى حَدْرَدٍ

---

(1) فى الأصل، م: «حذرنا».
(2) أبو داود (٢٦٧٨). ضعيف (ضعيف سنن أبى داود ٥٧٣).
(3) مغازى الواقدى ٢/ ٧٢٦، ٧٢٧.
(4) دلائل النبوة ٤/ ٣٠١، ٣٠٢، وانظر مغازى الواقدى ٢/٧٢٧ - ٧٣١.
(5) الغابة: موضع قرب المدينة من ناحية الشام فيه أموال أهل المدينة. معجم البلدان ٣/ ٧٦٧.
(6) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٤/ ٣٠٣، ٣٠٤، من طريق يونس به. وانظر سيرة ابن هشام ٢/ ٦٢٩- ٦٣١.

وغزوتِه إلى الغابةِ ما حدَّثني جعفرُ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ أسْلَمَ، عن أبي حَدْرَدٍ قال: تزَوَّجْتُ امرأةً مِن قومي فأصْدَقْتُها مائتي درهمٍ. قال: فأتَيْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ أسْتعِينُه على نكاحي فقال: «كم أصْدَقْتَ؟» فقلتُ: مائتي درهمٍ. فقال: «سبحانَ اللَّهِ! واللَّهِ لو كنتُم تأخُذُونها مِن وادٍ ما زاد[1]، واللَّهِ ما عندي ما أُعِينُك به». فلبِثْتُ أيامًا، ثُم أقْبَل رجلٌ مِن جُشَمَ بنِ مُعاويةَ يقالُ له: رِفاعةُ بنُ قيسٍ، أو قيسُ بنُ رِفاعةَ. في بَطْنٍ عظيمٍ مِن جُشَمَ، حتى نزَل بقومِه ومَن معه بالغابةِ، يريدُ أن يَجْمَعَ قَيْسًا على محاربةِ رسولِ اللَّهِ ﷺ، وكان ذا اسمٍ وشرفٍ في جُشَمَ. قال: فدعاني رسولُ اللَّهِ ﷺ ورجلَيْن مِن المسلمين فقال: «اخْرُجوا إلى هذا الرجلِ حتى تأتوا منه بخبَرٍ وعلمٍ». وقدَّم لنا شارفًا عَجْفاءَ، فحُمِل عليها أحَدُنا، فواللَّهِ ما قامت به ضعفًا، حتى دَعَمها الرجالُ مِن خلفِها بأيديهم، حتى استقلت وما كادت، وقال: «تَبَلَّغوا على هذه». فخرَجْنا ومعنا سلاحُنا مِن النَّبْلِ والسيوفِ، حتى إذا جِئْنا قريبًا مِن الحاضرِ مع غروبِ الشمسِ، فكَمَنْتُ في ناحيةٍ، وأمَرْتُ صاحبيَّ فكَمَنا في ناحيةٍ أخرى مِن حاضرِ القومِ، وقلتُ لهما: إذا سمِعْتُماني قد كبَّرْتُ [٣/٩٠ظ] وشدَدْتُ في العَسْكَرِ فكَبِّرا وشُدَّا معي. فواللَّهِ إنا لكذلك ننْتَظِرُ أن نَرَى غِرَّةً أو نَرَى شيئًا، وقد غشِيَنا الليلُ حتى ذهَبَت فَحْمَةُ العِشاءِ[2]، وقد كان لهم راعٍ قد سرَّح في ذلك البلدِ، فأبْطَأ عليهم وتخَوَّفوا عليه، فقام صاحبُهم رِفاعةُ بنُ قيسٍ، فأخَذ

---

(١) في م: «زدتم».

(٢) فحمة العشاء: هي إقباله وأول سواده. يقال للظلمة التي بين صلاتي العشاء: الفحمة، وللظلمة التي بين العتمة والغداة: العسعسة. النهاية ٣/ ٤١٧.

سيفَه فجعَله فى عنقِه فقال : واللَّهِ (١)لأَتيقَّنَنَّ أمرَ(١) راعِينا ، ولقد أصابه شرٌّ . فقال نفَرٌ ممَّن معه : واللَّهِ لا تَذْهَبُ ، نحن نكْفِيك . فقال : لا يَذْهَبُ(٢) إلا أنا . قالوا : فنحن معك . فقال : واللَّهِ لا يتْبَعُنى منكم أحدٌ . وخرَج حتى يَمُرَّ بى ، فلمَّا أمْكَننى نفَحْتُه بسهمٍ ، فوضَعْتُه فى فؤادِه ، فواللَّهِ ما تكَلَّم ، فوثَبْتُ إليه فاحْتَزَزْتُ رأسَه ، ثُم شَدَدْتُ ناحيةَ العَسْكرِ وكبَّرْتُ ، وشَدَّ صاحباىَ وكبَّرا ، فواللَّهِ ما كان إلا النَّجاءُ ممَّن كان فيه ، عندَك عندَك(٣) ، بكلِّ ما قدَروا عليه مِن نسائِهم وأبنائِهم وما خَفَّ معهم مِن أموالِهم ، واسْتَقْنا إبلًا عظيمةً وغنمًا كثيرةً ، فجِئْنا بها إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ ، وجِئْتُ برأسِه أحْمِلُه معى ، فأعْطانى مِن تلك الإبلِ ثلاثةَ عشَرَ بعيرًا فى صداقى ، فجمَعْتُ إلىَّ أهلى .

السريَّةُ التى قتَل فيها مُحلِّمُ بنُ جَثَّامَةَ عامرَ بنَ الأضْبَطِ

قال ابنُ إسحاقَ(٤) : حدَّثنى يزيدُ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ قُسَيْطٍ ، عن ابنِ عبدِ اللَّهِ ابنِ أبى حَدْرَدٍ ، عن أبيه قال : بعَثَنا رسولُ اللَّهِ ﷺ إلى إضَمٍ(٥) فى نفرٍ مِن

(١ - ١) فى ص : « لأقفون أمر » ، وفى الدلائل : « لأتبعن أثر » .

(٢) زيادة من الدلائل .

(٣) زيادة من ص ، وسيرة ابن هشام . قال أبو ذر : عندك عندك : كلمتان بمعنى الإغراء . شرح غريب السيرة ٣/ ١٧٤.

(٤) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٤/ ٣٠٥، من طريق محمد بن إسحاق به . وانظر سيرة ابن هشام ٢/ ٦٢٦، ٦٢٧.

(٥) إضم : واد دون المدينة . معجم ما استعجم ١/ ١٦٥، ١٦٦.

المسلمين منهم ؛ أبو قَتادةَ الحارثُ بنُ رِبْعىٍّ ، ومُحَلِّمُ بنُ جَثَّامةَ بنِ قيسٍ ، فخرَجْنا حتى إذا كنا ببَطْنِ إِضَمٍ ، مَرَّ بنا عامرُ بنُ الأَضْبَطِ الأشْجعىُّ على قَعودٍ له[1] ، معه مُتَيِّعٌ[2] له ، ووَطْبٌ[3] مِن لبَنٍ ، فسلَّم علينا بتحيةِ الإسلامِ ، فأمْسَكْنا عنه ، وحمَل عليه مُحَلِّمُ بنُ جَثَّامةَ فقتَله لشىءٍ كان بينَه وبينَه ، وأخَذ بعيرَه ومُتَيِّعَه ، فلمَّا قدِمْنا على رسولِ اللَّهِ ﷺ أخبَرْناه الخبرَ ، فنزلَ فينا القرآنُ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾ [النساء: ٩٤] . وهكذا رَواه الإمامُ أحمدُ[4] ، عن يعقوبَ ، عن أبيه ، (٥عن محمدِ بنِ إسحاقَ ، عن يزيدَ ابنِ عبدِ اللَّهِ بنِ قُسَيْطٍ ، عن القَعْقاعِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ أبى حَدْرَدٍ ، عن أبيه٥) فذكَره .

قال ابنُ إسحاقَ[6] : حدَّثنى محمدُ بنُ جعفرٍ ، سمِعْتُ [٣/٩١و] زِيادَ بنَ ضُمَيْرةَ بنِ سعدٍ الضَّمْرىَّ يُحَدِّثُ[7] عروةَ بنَ الزبيرِ ، عن أبيه وجَدِّه ، قال -

---

(١) القعود : البعير المتخذ للركوب . شرح غريب السيرة ٣/ ١٧٣.
(٢) فى ص : « تبيع » . ومتيع : هو تصغير متاع . المصدر السابق .
(٣) الوطب : الزق الذى يكون فيه السمن واللبن ، وهو جلد الجذع فما فوقه . النهاية ٥/ ٢٠٣.
(٤) المسند ٦/ ١١. قال الهيثمى فى المجمع ٧/ ٨: رواه أحمد والطبرانى ، ورجاله ثقات .
(٥ - ٥) سقط من : ص .
(٦) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٤/ ٣٠٦، ٣٠٧ ، من طريق محمد بن إسحاق به ، وانظر سيرة ابن هشام ٢/ ٦٢٧.
(٧) بعده فى الأصل ، م : « عن » ، وانظر تهذيب الكمال ٩/ ٤٧٤.

وكانا شهِدا حُنَيْنًا - قال : فصلَّى رسولُ اللَّهِ ﷺ صلاةَ الظهرِ ، فقام إلى ظِلِّ شجرةٍ ، فقعَد فيه ، فقام إليه عُيَيْنةُ بنُ بَدْرٍ يطلُبُ بدمِ عامرِ بنِ الأَضْبطِ الأشْجعيِّ ، وهو سيدُ (١) قيسٍ ، وجاء الأقرعُ بنُ حابسٍ يرُدُّ عن مُحَلِّمِ بنِ جثَّامةَ وهو سيدُ خِنْدِفٍ ، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ لقومِ (١) عامرٍ : « هل لكم أن تأخُذوا منا الآنَ خمسين بعيرًا وخمسين إذا رجَعْنا إلى المدينةِ ؟ » فقال عيينةُ بنُ بدرٍ : واللَّهِ لا أدَعُه حتى أُذِيقَ نساءَه مِن الحُزْنِ (٢) مثلَ ما أذاق نسائى . فقام رجلٌ مِن بنى ليثٍ يقالُ له : ابنُ مُكَيْتِلٍ . وهو قَصْدٌ (٣) مِن الرجالِ ، فقال : يا رسولَ اللَّهِ ، ما أجِدُ لهذا القتيلِ مَثَلًا (٤) فى غُرَّةِ الإسلامِ إلا كغنمٍ ورَدَت فَرُمِيَتْ (٥) أُولاها فنفَرَتْ أُخْراها ، اسْنُنِ (٦) اليومَ وغَيِّرْ غدًا . فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « هل لكم أن تأخُذوا خمسين بعيرًا الآنَ وخمسين إذا رجَعْنا إلى المدينةِ ؟ » فلم يزَلْ بهم حتى رضُوا بالدِّيَةِ ، فقال قومُ مُحَلِّمِ بنِ جَثَّامةَ : ائْتُوا به حتى يَسْتَغْفِرَ له رسولُ اللَّهِ ﷺ . قال : فجاء رجلٌ طُوالٌ ضَرْبُ اللحمِ (٧) ، فى حُلَّةٍ قد تَهَيَّأَ فيها للقتلِ ، فقام بينَ يدىِ النبىِّ ﷺ ، فقال النبىُّ ﷺ : « اللهم لا تَغْفِرْ لمُحَلِّمٍ » . قالها ثلاثًا ، فقام وإنه ليتَلَقَّى دُموعَه بطرَفِ ثوبِه . قال محمدُ بنُ إسحاقَ : زعَم قومُه

(١ - ١) سقط من : م .

(٢) فى ص : « الحرب » ، وفى الدلائل : « الحرقة » .

(٣) فى م : « قصير » . والقصد : هو الذى ليس بطويل ولا قصير ولا جسيم . النهاية ٤/ ٦٧.

(٤) سقط من : الأصل ، وفى م : « شبهًا » .

(٥) فى الأصل ، م : « فشربت » .

(٦) فى م : « استن » . واسنن اليوم وغير غدًا : أى احكم لنا اليوم بالدم فى أمرنا هذا واحكم غدًا بالدية لمن شئت . شرح غريب السيرة ٣/ ١٧٤.

(٧) الضرب من الرجال : الخفيف اللحم . المصدر السابق .

أنه اسْتَغفَر له بعدَ ذلك . وهكذا رَواه أبو داودَ مِن طريقِ حمادِ بنِ سَلَمةَ ، عن ابنِ إسحاقَ[1] . ورَواه ابنُ ماجه ، عن أبى بكرِ بنِ أبى شَيْبةَ ، عن أبى خالدٍ الأحْمرِ ، عن ابنِ إسحاقَ ، عن محمدِ بنِ جعفرٍ ، عن زيدِ بن ضُمَيْرةَ ، عن أبيه وعمِّه ، فذكَر بعضَه[2] . والصوابُ كما رَواه ابنُ إسحاقَ ، عن محمدِ بنِ جعفرٍ ، عن زيادِ بنِ سعدِ بنِ ضُمَيْرةَ ، عن أبيه وجَدِّه . وهكذا رَواه أبو داودَ مِن طريقِ ابنِ وَهْبٍ ، عن عبدِ الرحمنِ بنِ أبى الزِّنادِ ، عن[3] عبدِ الرحمنِ بنِ الحارثِ ، عن محمدِ بنِ جعفرٍ ، عن زيادِ بنِ سعدِ بنِ ضُمَيْرةَ ، عن أبيه وجَدِّه ، بنحوِه[1] كما تقدَّم .

وقال ابنُ إسحاقَ[4] : حدَّثنى سالمٌ أبو النَّضْرِ أنه قال : لم [٣/٩١ظ] يَقْبَلوا الديةَ حتى قام الأقْرَعُ بنُ حابِسٍ فخَلَا بهم وقال : يا معشرَ قيسٍ ، سأَلكم رسولُ اللَّهِ ﷺ قَتيلًا تَتْرُكونه ليُصْلِحَ به بينَ الناسِ فمنَعْتُموه إيَّاه ، أفأَمِنْتُم أن يَغْضَبَ عليكم رسولُ اللَّهِ ﷺ فيَغْضَبَ اللَّهُ لغضبِه ، أو يَلْعَنَكم رسولُ اللَّهِ ﷺ فيَلْعَنَكم اللَّهُ بلعنتِه لكم ، واللَّهِ[5] لَتُسْلِمُنَّه إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ أو لآتِيَنَّ بخمسين مِن بنى تَميمٍ كلُّهم يَشْهَدون أن القتيلَ كافرٌ ما صلَّى قطُّ ، فلَأَطُلَّنَّ[6] دمَه . فلمَّا قال ذلك لهم ، أخَذوا الدِّيَةَ . وهذا منقَطِعٌ مُعْضَلٌ .

---

(١) أبو داود (٤٥٠٣) ضعيف (ضعيف سنن أبى داود ٩٧٠) .

(٢) ابن ماجه (٢٦٢٥) ضعيف (ضعيف سنن ابن ماجه ٥٧٤) .

(٣) فى م : « وعن » . انظر تهذيب الكمال ١٧/ ٩٥.

(٤) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٣٠٨/٤ ، من طريق محمد بن إسحاق به .

(٥) زيادة من الدلائل .

(٦) فى النسخ : « فلا يطلبن » . وطل دمه : أهدره . انظر النهاية ١٣٦/٣.

وقد رَوَى ابنُ إسحاقَ[1] ، عمَّن لا يَتَّهِمُ ، عن الحسنِ البصريِّ ، أن مُحَلِّمًا لما جلَس بينَ يديه ، عليه الصلاةُ والسلامُ ، قال له : « أَمَّنْتَه باللَّهِ[2] ثُم قتَلْتَه ؟! » ثُم دَعا عليه . قال الحسنُ : فواللَّهِ ما مكَث مُحَلِّمٌ إلا سَبْعًا حتى مات ، فلفَظَتْه الأرضُ ، ثُم دفَنوه ، فلفَظَتْه الأرضُ ، [3]ثم دَفَنوه ، فلفَظَتْه الأرضُ[3] ، فرضَموا عليه مِن الحجارةِ حتى وارَوْه ، فبلَغ رسولَ اللَّهِ ﷺ فقال : « إن الأرض لَتَطَّابَقُ على مَن هو شَرٌّ منه ، ولكنَّ اللَّهَ أراد أن يَعِظَكم فى حُرَمِ ما بينَكم بما أراكم منه » .

وقال ابنُ جريرٍ[4] : ثنا وَكِيعٌ ، ثنا جريرٌ ، عن ابنِ إسحاقَ ، عن نافعٍ ، عن ابنِ عمرَ قال : بعَث رسولُ اللَّهِ ﷺ مُحَلِّمَ بنَ جَثَّامةَ مَبْعثًا ، فلقِيَهم عامرُ بنُ الأَضْبَطِ فحيَّاهم بتحيةِ الإسلامِ - وكانت بينَهم حِنَةٌ[5] فى الجاهليةِ - فرَماه مُحَلِّمٌ بسهمٍ فقتَله ، فجاء الخبرُ إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فتكَلَّم فيه عُيَيْنةُ والأَقْرعُ ، فقال الأَقْرعُ : يا رسولَ اللَّهِ ، سُنَّ اليومَ وغَيِّر غدًا . فقال عُيَيْنةُ : لا واللَّهِ حتى تَذُوقَ نِساؤه [3]مِن الثُّكْلِ[3] ما ذاقَ نِسائى . فجاء مُحَلِّمٌ فى بُرْدَيْن ، فجلَس بينَ يَدَىْ رسولِ اللَّهِ ﷺ ليَستغفرَ له ، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « لا غفَرَ اللَّهُ لكَ » .

---

(١) سيرة ابن هشام ٢/ ٦٢٨. وأخرجه الطبرانى فى معجمه الكبير (٥٤٥٦) عن الحسن البصرى بنحوه . وقال الهيثمى ٧/ ٢٩٤: وإسناده منقطع .

(٢) سقط من : الأصل ، م .

(٣ - ٣) سقط من : ص .

(٤) تفسير الطبرى ٥/ ٢٢٢.

(٥) فى م : « هنة » . وفى تفسير الطبرى : « إحنة » . والحنة : العداوة ، وهى لغة قليلة فى الإحنة . النهاية ١/ ٤٥٣. والإحنة : الحقد . النهاية ١/ ٢٧.

فقام وهو يَتَلقَّى دُموعَه ببُردَيْه ، فما مضتْ له سابعةٌ حتى مات ، فدفَنوه فلَفَظَتْه الأرضُ ، فجاءوا النبيَّ ﷺ فذكَروا ذلك له ، فقال : « إنَّ الأرضَ تَقْبَلُ مَن هو شرٌّ مِن صاحبِكم ، ولكنَّ اللَّهَ أرادَ أن يَعِظَكم مِن حُرْمَتِكم » . ثُم طرَحوه [(١] بينَ صَدَفَىْ [١)] جبلٍ ، فألقَوا عليه من الحجارةِ ، ونزَلت : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ ﴾ الآية . وقد ذكَره موسى بنُ عقبةَ ، عن الزهْرىِّ ، ورَواه شعيبٌ ، عن الزهْرىِّ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ مَوْهَبٍ [(٢)] ، عن قَبِيصةَ ابنِ ذُؤَيْبٍ نحوَ هذه القصةِ [(٣)] ، إلا أنه لم يُسَمِّ [٣/ ٩٢و] مُحَلِّمَ بنَ جَثَّامةَ ، ولا عامرَ بنَ الأضْبَطِ . وكذلك رَواه البيهقىُّ [(٤)] ، عن الحسنِ البصْرىِّ بنحوِ هذه القصةِ ، وقال : وفيه نزَل قولُه تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ ﴾ الآية .

قلتُ : وقد تكلَّمْنا فى سببِ نزولِ هذه الآيةِ ومعناها فى « التفسيرِ » [(٥)] بما فيه الكفايةُ ، وللَّهِ الحمدُ والمنةُ .

(١ - ١) فى النسخ : « فى » . والمثبت من تفسير الطبرى .

(٢) فى الأصل ، م : « وهب » ، وانظر تهذيب الكمال ١٦/ ١٩١.

(٣) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٤/ ٣٠٩، ٣١٠ ، من طريق موسى بن عقبة وشعيب كلاهما عن الزهرى ، به .

(٤) المصدر السابق ٤/ ٣١٠.

(٥) التفسير ٢/٣٣٦ ، ٣٣٧ .

سريَّةُ عبدِ اللَّهِ بنِ حُذافَةَ السهميّ

ثبَت فى « الصحيحيْن »[(١)] مِن طريقِ الأعمشِ ، عن سعدِ بن عُبَيْدَةَ ، عن أبى عبدِ الرحمنِ السُّلَمىِّ[(٢)] ، عن علىِّ بنِ أبى طالبٍ قال : استعمَل النبىُّ ﷺ رجلًا مِن الأنصارِ على سريّةٍ ، بعَثهم وأمَرهم أن يَسْمَعوا له ويُطيعوا . قال : فأَغضَبوه فى شىءٍ فقال : اجْمَعوا لى حطَبًا . فجمَعوا ، فقال : أوْقِدوا نارًا . فأوْقَدوا ، ثُم قال : ألم يأْمُرْكم رسولُ اللَّهِ ﷺ أن تَسْمَعوا لى وتُطِيعوا ؟ قالوا : بلى . قال : فادخُلوها . قال : فنظَر بعضُهم إلى بعضٍ ، وقالوا : إنما فرَرْنا إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ مِن النارِ . قال : فسكَن غضبُه وطُفِئَت النارُ ، فلما قدِموا على النبىِّ ﷺ ، ذكَروا ذلك له ، فقال : « لو دخَلوها ما خرَجوا منها ، إنما الطاعةُ فى المعروفِ » . وهذه القصةُ ثابتةٌ أيضًا فى « الصحيحيْن » مِن طريقِ يَعْلَى بنِ مسلمٍ ، عن سعيدِ بنِ جبيرٍ ، عن ابنِ عباسٍ[(٣)] . وقد تكلَّمْنا على هذه الآيةِ[(٤)] بما فيه كفايةٌ فى « التفسيرِ »[(٥)] وللَّهِ الحمدُ والمنةُ .

---

(١) البخارى (٤٣٤٠، ٧١٤٥)، ومسلم (١٨٤٠/٤٠).
(٢) فى الأصل ، م : « الحبلى » ، وفى ص : « الجبلى » . والمثبت من مصادر ترجمته ، وانظر الأنساب ٣/ ٢٧٩ .
(٣) البخارى (٤٥٨٤)، ومسلم (١٨٣٤).
(٤) سقط من : م ، وهى الآية ٥٩ من سورة النساء والمشار إليها فى « الصحيحين » فى الحاشية السابقة .
(٥) التفسير ٢/ ٣٠١ - ٣٠٤.

عمرةُ القَضاءِ

ويقالُ : القِصاصِ . ورجَّحه السهيليُّ[1] . ويقالُ : عمرةُ القَضِيَّةِ . فالأولُ قضاءٌ عما كان أُحْصِر عامَ الحُدَيْبِيَةِ ، والثانى مِن قولِه تعالى : ﴿ وَٱلْحُرُمَٰتُ قِصَاصٌۚ ﴾ [البقرة : ١٩٤] . والثالثُ مِن المُقاضاةِ التى كان قاضاهم عليها ، على أن يرْجِعَ عنهم عامَه هذا ، ثم يأتىَ في العامِ القابلِ ، ولا يَدْخُلَ مكةَ إلا فى جُلْبانِ[2] السلاحِ ، وأن لا يُقيمَ أكثرَ مِن ثلاثةِ أيامٍ ، وهذه العمرةُ هى المذكورةُ فى قولِه تعالى فى سورةِ « الفتحِ » المُباركةِ : ﴿ لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّۖ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَۖ ﴾ الآية [الفتح : ٢٧] . وقد تكلَّمْنا عليها مُسْتَقْصًى فى كتابِنا « التفسيرِ »[3] بما فيه كفايةٌ . وهى الموعودُ بها فى قولِه ، عليه الصلاةُ والسلامُ ، لعمرَ بنِ الخطابِ حينَ قال له : ألم تَكُنْ تُحَدِّثُنا أنَّا سَنأتى البيتَ ونطوفُ به ؟ قال : « بلى ، أفأخبرتُك أنكَ تأْتيه عامَك هذا ؟ » قال : لا . قال : « فإنك آتيه ومُطَوِّفٌ به » . وهى المُشارُ إليها فى قولِ عبدِ اللَّهِ بنِ رَواحةَ [٣/ ٩٢ظ] حينَ دخَل بينَ يَدَىْ رسولِ اللَّهِ ﷺ إلى مكةَ ، يومَ عمرةِ القَضاءِ وهو يقولُ :

---

(١) الروض الأنف ٧/ ٢٥.

(٢) الجلبان : شِبْهُ الجراب من الأَدَم يُوضَع فيه السيف مغمودًا ، ويَطرح فيه الراكب سوطه وأداته ، ويُعلَّقه فى آخِرة الكُور أو واسطته واشتقاقه من الجُلْبة ، وهى الجلْدة التى تُجعل على القَتَب . النهاية ١/ ٢٨٢.

(٣) التفسير ٧/٣٣٧ - ٣٤١.

خَلُّوا بَنِى الكفارِ عن سبيلِهِ   اليومَ نَضْرِبكم على تأْوِيلِهِ

كما ضرَبْناكم على تنْزِيلِهِ

أى هذا تأويلُ الرُّؤْيا التى كان رآها رسولُ اللَّهِ ﷺ، جاءتْ مثلَ فَلَقِ الصبحِ .

قال ابنُ إسحاقَ[1] : فلما رجَع رسولُ اللَّهِ ﷺ مِن خيبرَ إلى المدينةِ ، أقام بها شَهْرَىْ ربيعٍ وجُمادَيَيْن ورجبًا وشعبانَ وشهرَ رمضانَ وشوَّالًا ، يَبْعَثُ فيما بينَ ذلك سَراياه ، ثم خرَج فى ذى القَعْدةِ ، فى الشهرِ الذى صدَّه فيه المشركون ، معتمرًا عمرةَ القضاءِ ، مكانَ عمرتِه التى صَدُّوه عنها - قال ابنُ هشامٍ : واستعمَل على المدينةِ عُوَيْفَ بنَ الأَضْبَطِ الدُّئِلىَّ - ويقالُ لها : عمرةُ القِصاصِ ؛ لأنهم صَدُّوا رسولَ اللَّهِ ﷺ فى ذى القَعْدةِ فى الشهرِ الحرامِ مِن سنةِ ستٍّ ، فاقتصَّ رسولُ اللَّهِ ﷺ منهم ، فدخَل مكةَ فى ذى القَعْدةِ ، فى الشهرِ الحرامِ الذى صدُّوه فيه مِن سنةِ سبعٍ . بلَغَنا عن ابنِ عباسٍ أنه قال : فأَنزَل اللَّهُ تعالى فى ذلك : ﴿ وَٱلْحُرُمَٰتُ قِصَاصٌ ﴾ .

وقال مُعْتَمِرُ بنُ سليمانَ[2] ، عن أبيه فى « مَغازيه » : لمَّا رجَع رسولُ اللَّهِ ﷺ مِن خيبرَ ، أقام بالمدينةِ وبَعَث سَراياه ، حتى استهلَّ ذو القَعْدةِ ، فنادَى فى الناسِ أن يَتَجَهَّزوا للعُمْرَةِ . فتجَهَّزوا وخرَجوا إلى مكةَ .

وقال ابنُ إسحاقَ[3] : وخرَج معه المسلمون ممن كان صُدَّ معه فى عمرتِه

---

(١) سيرة ابن هشام ٢/ ٣٧٠.

(٢) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٤/ ٣١٤، من طريق معتمر بن سليمان به .

(٣) سيرة ابن هشام ٢/ ٣٧٠.

تلكَ، وهى سنةُ سبعٍ، فلما سَمِع به أهلُ مكةَ خرَجوا عنه، وتحَدَّثتْ قريشٌ بينَها أن محمدًا (١ وأصحابَه ١) فى عُسْرَةٍ وجَهْدٍ وشِدَّةٍ.

قال ابنُ إسحاقَ(٢): فحدَّثنى مَن لا أتَّهِمُ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ عباسٍ قال: صَفُّوا له عندَ دارِ الندوةِ؛ لِيَنْظُروا إليه وإلى أصحابِه، فلما دَخل رسولُ اللَّهِ ﷺ المسجدَ، اضْطَبَع(٣) بردائِه، وأَخْرَج عَضُدَه اليُمنى، ثُم قال: «رَحِمَ اللَّهُ امرَأً أراهم اليومَ مِن نفسِه قوةً». ثم استلَم الركنَ، وخرَج يُهَرْوِلُ، ويُهَرْوِلُ أصحابُه معه، حتى إذا واراه البيتُ منهم واستلَم الركنَ اليَمانىَّ، مشَى حتى يَسْتَلِمَ الركنَ الأسودَ، ثم هَرْوَل كذلك ثلاثةَ أطْوافٍ ومشَى سائرَها. فكان ابنُ عباسٍ يقولُ: كان الناسُ يَظُنُّونَ أنها ليست عليهم؛ وذلك أن رسولَ اللَّهِ ﷺ إنما صنَعها لهذا [٩٣/٣و] الحىِّ مِن قريشٍ؛ للذى بلَغه عنهم، حتى حجَّ حِجَّةَ الوداعِ، فلزِمها، فمضَتِ السُّنَّةُ بها.

وقال البخارىُّ(٤): ثنا سليمانُ بنُ حربٍ، ثنا حمَّادٌ، هو ابنُ زيدٍ، عن أيوبَ، عن سعيدِ بنِ جُبَيرٍ، عن ابنِ عباسٍ قال: قَدِم رسولُ اللَّهِ ﷺ وأصحابُه، فقال المشركون: إنه يَقْدَمُ عليكم وفدٌ(٥) وهَنهم حُمَّى يَثْرِبَ.

(١ - ١) سقط من النسخ. والمثبت من السيرة.

(٢) سيرة ابن هشام ٢/ ٣٧١.

(٣) الاضطباع: هو أن يأخذ الإزار أو البُرْد، فيجعل وسطه تحت إبطه الأيمن، ويُلقى طرفيْه على كتفه الأيسر من جهتَىْ صدره وظهره. وسمى بذلك لإبداء الضَّبْعَين، ويقال للإبط: الضَّبْع؛ للمُجاورة. النهاية ٣/ ٧٣.

(٤) البخارى (٤٢٥٦).

(٥) فى م: «وقد».

فأمَرهم النبىُّ ﷺ أن يَرْمُلوا[1] الأشواطَ الثلاثةَ، وأن يَمْشُوا ما بينَ الرُّكنيْن، ولم يَمْنَعْه أن يَأْمُرَهم أن يَرْمُلُوا الأشواطَ كلَّها إلا الإبقاءُ عليهم. قال أبو عبدِ اللَّهِ: [2]وزاد ابنُ[2] سَلَمةَ - يَعنى حمَّادَ بنَ سَلَمةَ - عن أيوبَ، عن سعيدٍ، عن ابنِ عباسٍ قال: لمَّا قدِم النبىُّ ﷺ لعامِه[3] الذى استأمَن قال: «ارْمُلُوا». لِيَرَى المشركون قوَّتَهم[4]، والمشركون مِن قِبَلِ قُعَيْقِعانَ. ورَواه مسلمٌ، عن أبى الرَّبيعِ الزَّهْرانىِّ، عن حمادِ بنِ زيدٍ[5]. وأَسْند البيهقىُّ طريقَ حمادِ بنِ سَلَمةَ[6].

وقال البخارىُّ[7]: ثنا علىُّ بنُ عبدِ اللَّهِ، ثنا سفيانُ، ثنا إسماعيلُ بنُ أبى خالدٍ، سَمِع ابنَ أبى أوْفَى يقولُ: لما اعتَمَر رسولُ اللَّهِ ﷺ، ستَرْناه مِن غِلمانِ المشركين ومنهم؛ أن يُؤْذوا رسولَ اللَّهِ ﷺ. وسيأتى بقيةُ الكلامِ على هذا المَقامِ.

قال ابنُ إسحاقَ[8]: وحدَّثنى عبدُ اللَّهِ بنُ أبى بكرٍ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ حينَ دَخَل مكةَ فى تلك العمرةِ، دَخَلها وعبدُ اللَّهِ بنُ رَواحةَ آخذٌ بخِطامِ ناقتِه يقولُ:

خَلُّوا بنى الكُفَّارِ عن سبيلِهِ   خَلُّوا فكلُّ الخيرِ فى رسولِهِ

---

(١) يرملوا: يقال: رمَل يرمُل رَمَلًا ورملانًا. إذا أسرع فى المشى وهزّ منكبيه. انظر النهاية ٢/ ٢٦٥.

(٢ - ٢) فى الأصل: «زاد أبو». وفى م: «رواه أبو».

(٣) فى الأصل، م: «لعامهم».

(٤) فى م: «قوتكم».

(٥) مسلم (١٢٦٦).

(٦) دلائل النبوة ٤/ ٣٢٦.

(٧) البخارى (٤٢٥٥).

(٨) سيرة ابن هشام ٢/ ٣٧١.

يـاربِّ إنـى مـؤمـنٌ بـقِـيـلِـهِ أعْرفُ حقَّ اللَّـهِ فى قَـبـولِـهِ

نحنُ قتَلْنَاكم على تأْوِيلِهِ كما قتَلْنـاكـم علـى تَنْزيلِهِ

ضَرْبًا يُزيلُ الهامَ عن مَقِيلِهِ ويُذْهِلُ الخليلَ عن خَلِيلِهِ

قال ابنُ هشامٍ[(١)] : نحن قَتَلْناكم على تأويلِهِ . إلى آخرِ الأبياتِ لعَمَّارِ بنِ ياسرٍ فى غيرِ هذا اليومِ . يَعنى يومَ صِفِّينَ . قاله السهيلىُّ[(٢)] . قال ابنُ هشامٍ[(١)] : والدليلُ على ذلك أن ابنَ رَواحةَ إنما أراد المشركين ، والمشركون لم يُقِرُّوا بالتنزيلِ ، وإنما يُقْتَلُ[(٣)] على التأويلِ مَن أقرَّ بالتنزيلِ .

وفيما قاله ابنُ هشامٍ نظرٌ ؛ فإنَّ الحافظَ البيهقىَّ روَى مِن غيرِ وجهٍ[(٤)] ، عن عبدِ الرزاقِ ، عن مَعْمَرٍ ، عن الزهرىِّ ، عن أنسٍ قال : لمَّا دَخَل النبىُّ ﷺ [٣/ ٩٣ظ] مكةَ فى عمرةِ القَضاءِ ، مشَى عبدُ اللَّهِ بنُ رَواحةَ بينَ يَديه – وفى روايةٍ[(٥)] : وهو آخِذٌ بغَرْزِه – وهو يقولُ :

خَلُّوا بنى الكفارِ عن سبيلِهِ قد نزَّل الرحمنُ فى تنزيلِهِ

بأنَّ خيرَ القتلِ فى سبيلِهِ نحن قتَلْناكم على تأوِيلِهِ

وفى روايةٍ بهذا الإسنادِ بعينِه[(٥)] :

---

(١) سيرة ابن هشام ٢/ ٣٧١، ٣٧٢.

(٢) الروض الأنف ٧/ ٢٨.

(٣) فى النسخ : « يقاتل » . والمثبت من السيرة .

(٤) دلائل النبوة ٤/ ٣٢٢، ٣٢٣. وعنده : « قاتلناكم » بدل « قتلناكم » .

(٥) المصدر السابق ٤/ ٣٢٣.

خَلُّوا بنى الكفارِ عن سبيلِهِ   اليومَ نَضْرِبكم على تَنْزِيلِهِ
ضَرْبًا يُزِيلُ الهامَ عن مَقِيلِهِ   ويُذْهِلُ الخَلِيلَ عن خَلِيلِهِ
يا رَبِّ إنِّى مؤمنٌ بقِيلِهِ

وقال يونسُ بنُ بُكيرٍ[1]، عن هشامِ بنِ سعدٍ، عن زيدِ بنِ أسلمَ، أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ دَخَل عامَ القَضِيَّةِ مكةَ، فطَاف بالبيتِ على ناقتِه، واسْتَلم الرُّكنَ بمِحْجَنِه[2] - قال هشامٌ[3]: مِن غيرِ عِلَّةٍ - والمسلمون يَشْتَدُّون حولَه، وعبدُ اللَّهِ ابنُ رَوَاحةَ يقولُ:

بسمِ الذى لا دينَ إلا دينُهُ   بسمِ الذى محمدٌ رسولُهُ
خلُّوا بنى الكفَّارِ عن سبيلِهِ

قال موسى بنُ عُقبةَ، عن الزهرىِّ[4]: ثُم خرَج رسولُ اللَّهِ ﷺ مِن العامِ القابلِ مِن عامِ الحُدَيْبِيَةِ مُعْتَمِرًا، فى ذى القَعْدةِ سنةَ سبعٍ، وهو الشهرُ الذى صَدَّه المشركون عن المسجدِ الحرامِ، حتى إذا بلَغ يَأْجَجَ وضع الأداةَ كلَّها؛ الحَجَفَ والمِجَانَّ[5] والرِّماحَ والنَّبْلَ، ودخَلوا بسلاحِ الراكبِ؛ السيوفِ، وبعَث رسولُ اللَّهِ ﷺ بينَ يديه جعفرَ بنَ أبى طالبٍ إلى ميمونةَ بنتِ الحارثِ

---

(١) دلائل النبوة ٤/٣٢٥، من طريق يونس بن بكير به.
(٢) المحجن: عصا مُعَقَّفَة الرأس كالصَّوْلجان، والميم زائدة. النهاية ١/٣٤٧.
(٣) فى الأصل، م: «ابن هشام». وهشام هو ابن سعد شيخ يونس بن بكير.
(٤) أخرجه البيهقى فى الدلائل ٤/٣١٤ - ٣١٦، من طريق موسى بن عقبة به.
(٥) الحَجَف: جمع حَجَفَة؛ وهى التُّرس إذا كان من جلود ليس فيه خشب ولا عَقَب. والمِجَانّ: جمع مِجَنّ وهو التُّرس. انظر اللسان (ح ج ف)، (ج ن ن).

العامريَّةِ ، فخطَبها عليه ، فجعَلتْ أمْرَها إلى العباسِ ، وكان تحتَه أختُها أمُّ الفَضْلِ بنتُ الحارثِ ، فزوَّجها العباسُ رسولَ اللَّهِ ﷺ ، فلمَّا قَدِم رسولُ اللَّهِ ﷺ ، أمَر أصحابَه فقال : « اكْشِفوا عن المناكبِ ، واسْعَوا فى الطوافِ » . ليَرَى المشركون جَلَدَهم وقوَّتَهم ، وكان يُكايِدُهم بكلِّ ما استطاع ، فاستَكَفَّ[1] أهلُ مكةَ ؛ الرجالُ والنساءُ والصِّبْيانُ ، ينظُرون إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ وأصحابِه ، وهم يَطُوفون بالبيتِ ، وعبدُ اللَّهِ بنُ رَواحةَ يَرْتجزُ بينَ يدَىْ رسولِ اللَّهِ ﷺ مُتَوَشِّحًا بالسيفِ ، وهو يقولُ :

خَلُّوا بنى الكفارِ عن سبيلِهِ ... أنا الشَّهيدُ أنه رسولُهُ[2]
قد أنزَلَ الرحمنُ فى تنزيلِهِ ... فى صُحُفٍ تُتْلَى على رسولِهِ
فاليومَ نَضْرِبكم على تأويلِهِ ... كما ضَرَبْناكم على تنزيلِهِ
ضَرْبًا يُزيلُ الهامَ عن مَقِيلِهِ ... ويُذْهِلُ الخَليلَ عن خَليلِهِ

قال : وتغَيَّب رجالٌ مِن أشرافِ المشركين أن يَنْظُروا [٩٤/٣و] إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ ؛ غيظًا ، وحَنَقًا ، ونَفاسَةً ، وحسَدًا ، وخرَجوا إلى الخَنْدَمةِ ، فقام رسولُ اللَّهِ ﷺ بمكةَ ، وأقام ثلاثَ ليالٍ ، وكان ذلك آخرَ القَضِيةِ يومَ الحديبيةِ ، فلمَّا أن أَصبَح مِن اليومِ الرابعِ أتاه سُهَيْلُ بنُ عمرٍو ، وحُوَيْطِبُ بنُ عبدِ العُزَّى ، ورسولُ اللَّهِ ﷺ فى مجلسِ الأنصارِ يَتَحَدَّثُ مع سعدِ بنِ عُبادَةَ ، فصاح حُوَيْطِبُ بنُ عبدِ العُزَّى : نُناشِدُك اللَّهَ والعقدَ لَمَا خرَجْتَ مِن أرضِنا ، فقد مضَتِ الثلاثُ . فقال سعدُ بنُ عُبادةَ : كذَبْتَ ، لا أُمَّ لك ، ليس بأرضِك ولا

(١) استكف فلانٌ فلانًا : أى أحاط به واجتمع حوله . انظر النهاية ٤/ ١٩٠.
(٢) فى هذا البيت إقواء .

بأَرْضِ آبائِك ، واللَّهِ لا يَخْرُجُ . ثُم نادَى رسولُ اللَّهِ ﷺ سُهَيْلًا وحُوَيْطِبًا فقال : « إنى قد نكَحْتُ فيكم امرأةً ، فما يَضُرُّكم أن أمْكُثَ حتى أدْخُلَ بها ، ونَصْنَعُ الطعامَ فنأْكُلُ وتأكلون معنا ؟ » . فقالوا : نُناشِدُك اللَّهَ والعقدَ إلَّا خرَجْتَ عنا . فأمر رسولُ اللَّهِ ﷺ أبا رافعٍ فأذَّن بالرحيلِ ، ورَكِب رسولُ اللَّهِ ﷺ حتى نزَل بَطْنَ سَرِفٍ ، وأقام المسلمون ، وخلَّف رسولُ اللَّهِ ﷺ أبا رافعٍ لِيَحْمِلَ مَيْمونةَ ، وأقام بسَرِفٍ حتى قَدِمَت عليه مَيْمونةُ ، وقد لَقِيَت مَيْمونةُ ومَن معها عَناءً وأَذًى مِن سُفهاء المشركين ومِن صِبيانِهم ، فقَدِمَت على رسولِ اللَّهِ ﷺ بسَرِفٍ ، فبنَى بها ، ثُم أدْلَج ، فسار حتى قَدِم[(1)] المدينةَ ، وقدَّر اللَّهُ أن يكونَ موتُ مَيْمونةَ بسَرِفٍ بعدَ ذلك بحينٍ ، فماتت حيثُ بنَى بها رسولُ اللَّهِ ﷺ . ثُم ذكَر قصةَ ابنةِ حمزةَ ، إلى أن قال : وأنزَل اللَّهُ ، عزَّ وجلَّ ، فى تلك العُمْرةِ : ﴿ ٱلشَّهْرُ ٱلْحَرَامُ بِٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْحُرُمَٰتُ قِصَاصٌ ﴾ . فاعْتَمَر رسولُ اللَّهِ ﷺ فى الشهرِ الحرامِ الذى صُدَّ فيه . وقد رَوَى ابنُ لَهِيعةَ ، عن أبى الأسودِ ، عن عروةَ بنِ الزبيرِ نحوًا مِن هذا السِّياقِ[(2)] .

ولهذا السياقِ شَواهدُ كثيرةٌ مِن أحاديثَ متعددةٍ ، ففى « صحيحِ البخاريِّ »[(3)] مِن طريقِ فُلَيْحِ بنِ سليمانَ ، عن نافعٍ ، عن ابنِ عمرَ ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ خرَج مُعْتَمِرًا ، فحالَ كفارُ قريشٍ بينَه وبينَ البيتِ ، فنحَر هَدْيَه وحلَق رأسَه بالحُدَيْبيةِ ، وقاضاهم على أن يَعْتَمِرَ العامَ المُقْبِلَ ، [(4)]ولا يَحْمِلَ سلاحًا[(4)]

---

(١) فى م : « أتى » .

(٢) أخرجه البيهقى فى الدلائل ٣١٤/٤ - ٣١٦، من طريق ابن لهيعة به .

(٣) البخارى (٤٢٥٢) .

(٤ - ٤) سقط من : ص .

(١)إلا سيوفًا، ولا يُقيمَ بها إلَّا ما أحَبُّوا. فاعْتَمَر مِن العامِ المُقْبِلِ(١)، فدخَلها كما كان صالَحهم، فلمَّا أن أقام بها ثلاثًا أمَروه أن يَخْرُجَ فخرَج.

وقال الواقديُّ(٢): حدَّثنى عبدُ اللَّهِ بنُ [٣/٩٤ظ] نافعٍ، عن أبيه، عن ابنِ عمرَ قال: لم تَكُنْ هذه عمرةَ قَضاءٍ، وإنما كانت شرطًا على المسلمين أن يَعْتَمِروا مِن قابلٍ، فى الشهرِ الذى صدَّهم فيه المشركون.

وقال أبو داودَ(٣): ثنا النُّفَيْلىُّ، ثنا محمدُ بنُ سَلَمَةَ، عن محمدِ بنِ إسحاقَ، عن عمرِو بنِ مَيْمونٍ، سَمِعْتُ أبا حاضرٍ الحِمْيَرىَّ يُحَدِّثُ أبى(٤) مَيْمونَ بنَ مِهْرانَ قال: خرَجْتُ مُعْتَمِرًا عامَ حاصَر أهلُ الشامِ ابنَ الزبيرِ بمكةَ، وبعَث معى رجالٌ مِن قومى بهَدْيٍ. قال: فلما انتَهَيْنا إلى أهلِ الشامِ، منَعونا أن نَدْخُلَ الحرَمَ. قال: فنحَرْتُ الهَدْىَ مكانى، ثم أحْلَلْتُ، ثم رجَعْتُ، فلمَّا كان من العامِ المُقبلِ خرَجْتُ لأقْضِىَ عمرتى، فأتَيْتُ ابنَ عباسٍ فسأَلْتُه، فقال: أَبْدِلِ الهَدْىَ؛ فإن رسولَ اللَّهِ ﷺ أمَر أصحابَه أن يُبْدِلوا الهَدْىَ الذى نحَروا عامَ الحُدَيْبيةِ، فى عُمْرةِ القَضاءِ. تفرَّد به أبو داودَ مِن حديثِ أبى حاضِرٍ عثمانَ ابنِ حاضِرٍ الحِمْيرىِّ، عن ابنِ عباسٍ، فذكَره.

وقال الحافظُ البيهقىُّ(٥): أنبأنا الحاكمُ، أنبأنا الأصَمُّ، ثنا أحمدُ بنُ عبدِ الجبارِ، ثنا يونسُ بنُ بُكَيْرٍ، عن ابنِ إسحاقَ، حدَّثنى عمرُو بنُ مَيْمونٍ قال:

(١ - ١) سقط من: ص.

(٢) أخرجه البيهقى فى الدلائل ٤/ ٣١٨، من طريق الواقدى به.

(٣) أبو داود (١٨٦٤). ضعيف (ضعيف سنن أبى داود ٤٠٧).

(٤) سقط من: الأصل. وفى م: «أن».

(٥) دلائل النبوة ٤/ ٣١٩، ٣٢٠.

كان أبي يُسْأَلُ كثيرًا : هل كان رسولُ اللَّهِ ﷺ أبْدَل هَدْيَه الذى نحَر ، حيـنَ صَدَّه المشركون عن البيتِ؟ ولا يَجِدُ فى ذلك شيئًا ، حتى سَمِعْتُه يَسْأَلُ أبا حاضِرِ الحِمْيَرِيَّ عن ذلك ، فقال له : على الخَبِيرِ سقَطْتَ ، حَجَجْتُ عامَ ابنِ الزُّبَيرِ فى الحَصْرِ الأولِ ، فأهْدَيْتُ هَدْيًا ، فحالوا بينَنا وبيـنَ البيتِ ، فنحَرْتُ فى الحَرَمِ ، ورجَعْتُ إلى اليمنِ ، وقلتُ : لى برسولِ اللَّهِ ﷺ أُسوةٌ . فلمَّا كان العامُ المقبلُ حجَجْتُ ، فلَقِيتُ ابنَ عباسٍ ، فسأَلْتُه عما نحَرْتُ : عليَّ بَدَلُه أم لا ؟ قال : نعم فأبْدِلْ ، فإن رسولَ اللَّهِ ﷺ وأصحابَه قد أبْدَلوا الهَدْيَ الذى نحَروا عامَ صَدَّهم المشركون ، فأبْدَلوا ذلك فى عُمْرةِ القَضاءِ ، فعزَّتِ الإبلُ عليهم ، فرخَّص لهم رسولُ اللَّهِ ﷺ فى البقرِ .

وقال الواقديُّ(١) : حدَّثنى غانمُ بنُ أبى غانمٍ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ دِينارٍ ، عن ابنِ عمرَ قال : جعَل رسولُ اللَّهِ ﷺ ناجيةَ بنَ جُنْدُبٍ الأسْلَميَّ على هَدْيِه ، يَسِيرُ بالهَدْيِ أمامَه ، يَطْلُبُ الرَّعْيَ فى الشجرِ ، معه أربعةُ فتيانٍ مِن أسْلَمَ ، وقد ساق رسولُ اللَّهِ ﷺ فى عمرةِ القَضِيَّةِ ستين بَدَنةً .

فحدَّثنى(٢) محمدُ بنُ نُعَيْمٍ المُجْمِرُ ، عن أبيه ، عن أبى هريرةَ قال : كنتُ مع صاحبِ البُدْنِ أسُوقُها .

[٣/٩٥و] قال الواقديُّ(٣) : وسار رسولُ اللَّهِ ﷺ يُلَبِّى والمسلمون معه يُلَبُّون ، ومضَى محمدُ بنُ مَسْلَمةَ بالخيلِ إلى مَرِّ الظَّهْرانِ ، فيجِدُ بها نفَرًا مِن

---

(١) مغازى الواقدى ٢/ ٧٣٢، ٧٣٣. وأخرجه البيهقى فى الدلائل ٤/ ٣٢٠، من طريق الواقدى به .
(٢) القائل الواقدى .
(٣) مغازى الواقدى ٢/٧٣٤ - ٧٣٦. وأخرجه البيهقى فى الدلائل ٤/٣٢١ ، عن الواقدى .

قريشٍ ، فسألُوا محمدَ بنَ مَسْلَمةَ ، فقال : هذا رسولُ اللَّهِ ﷺ يُصَبِّحُ هذا المنزلَ غدًا إن شاء اللَّهُ . ورَأَوْا سلاحًا كثيرًا مع بَشِيرِ بنِ سعدٍ ، فخرَجوا سِراعًا حتى أتَوْا قريشًا ، فأخْبروهم بالذى رَأَوْا مِن السلاحِ والخيلِ ، ففَزِعت قريشٌ وقالوا : واللَّهِ ما أحْدَثْنا حَدَثًا ، وإنا على كتابِنا وهُدْنتِنا ، ففيمَ يغْزُونا محمدٌ فى أصحابِه ؟ ونزَل رسولُ اللَّهِ ﷺ مَرَّ الظَّهْرانِ ، وقدَّم رسولُ اللَّهِ ﷺ السلاحَ إلى بطنِ يَأْجَجَ ، حيثُ يَنْظُرُ إلى أنصابِ الحَرَمِ ، وبعَثت قريشٌ مِكْرَزَ بنَ حَفْصِ بنِ الأَحْنفِ فى نفَرٍ مِن قريشٍ ، حتى لَقُوه ببطنِ يَأْجَجَ ، ورسولُ اللَّهِ ﷺ فى أصحابِه والهَدْيِ والسلاحِ ، قد تَلاحَقوا ، فقالوا : يا محمدُ ، ما عُرِفْتَ صغيرًا ولا كبيرًا بالغَدْرِ ، تَدْخُلُ بِالسلاحِ فى الحرمِ على قومِك ، وقد شرَطْتَ لهم أن لا تَدْخُلَ إلا بسلاحِ المسافرِ ؛ السيوفِ فى القُرُبِ ؟! فقال النبيُّ ﷺ : « إنى لا أُدْخِلُ عليهم السلاحَ » . فقال مِكْرَزُ بنُ حفصٍ : هذا الذى تُعْرَفُ به ؛ البِرُّ والوَفاءُ . ثُم رجَع سريعًا بأصحابِه إلى مكةَ (١فقال : إن محمدًا لا يَدْخُلُ بسلاحٍ ، وهو على الشرطِ الذى شرَط لكم١) . فلما أن جاء مِكْرَزُ بنُ حفصٍ بخبرِ النبيِّ ﷺ ، خرَجَت قريشٌ مِن مكةَ إلى رُءُوسِ الجبالِ ، وخَلَّوا مكةَ ، وقالوا : لا نَنْظُرُ إليه ولا إلى أصحابِه . فأمَر رسولُ اللَّهِ ﷺ بالهَدْيِ أمامَه حتى حُبِس بذى طُوًى ، وخرَج رسولُ اللَّهِ ﷺ وأصحابُه وهو على ناقتِه القَصْواءِ ، وهم مُحْدِقون به يُلَبُّون ، وهم مُتَوَشِّحون السيوفَ ، فلما انتَهَى إلى ذى طُوًى ، وقَف على ناقتِه القَصْواءِ ، (٢والمسلمون حولَه ، ثم دخَل من الثَّنِيَّةِ التى تُطْلِعُه على الحَجُونِ على راحلتِه القَصواءِ٢) ، وابنُ رَواحةَ آخِذٌ بزِمامِها ، وهو يَرْتَجِزُ

(١ - ١) سقط من النسخ . والمثبت من المغازى والدلائل .

(٢ - ٢) سقط من النسخ : والمثبت من المغازى . وقد أثبته محقق الدلائل نقلًا عن المغازى .

بشعرِه ويقولُ :

خَلُّوا بنى الكفارِ عن سبيلِهِ

إلى آخرِه .

وفى « الصحيحين »[(1)] مِن حديثِ ابنِ عباسٍ قال : قَدِم رسولُ اللَّهِ ﷺ وأصحابُه صَبِيحةَ رابعةٍ - يعنى مِن ذى القَعْدةِ سنةَ سبعٍ - فقال المشركون : إنه يَقْدَمُ عليكم وفْدٌ قد وَهَنتْهم حُمَّى يثْرِبَ . فأمَر رسولُ اللَّهِ ﷺ أن يَرْمُلُوا الأشْواطَ الثلاثةَ ، وأن يَمْشُوا ما بينَ الرُّكْنين ، ولم يَمْنَعْه أن يَرْمُلوا الأشْواطَ كلَّها إلا الإبقاءُ عليهم .

وقال الإمامُ أحمدُ[(2)] : حدَّثنا محمدُ [٣/٩٥ظ] بنُ الصَّبَّاحِ ، ثنا إسماعيلُ ، يعنى ابنَ زكريا ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ عثمانَ ، عن أبى الطُّفَيْلِ ، عن ابنِ عباسٍ أن رسولَ اللَّهِ ﷺ لما نزَل مَرَّ الظَّهْرانِ فى[(3)] عُمْرتِه ، بلَغ أصحابَ رسولِ اللَّهِ ﷺ أن قريشًا تقولُ : ما يَتَباعَثون مِن العَجَفِ[(4)] . فقال أصحابُه : لو انتَحَرْنا مِن ظَهْرِنا[(5)] ، فأكَلْنا مِن لحمِه ، وحَسَوْنا مِن مَرَقِه ، أصْبَحْنا غدًا حينَ نَدْخُلُ على القومِ وبنا جَمَامَةٌ[(6)] . فقال : « لا تَفْعَلوا ، ولكنِ اجْمَعوا لى مِن أزْوادِكم » .

---

(1) تقدم تخريجه فى صفحتى ٣٧٥ ، ٣٧٦ .

(2) المسند ١/ ٣٠٥. (إسناده صحيح) .

(3) فى الأصل ، م : « من » .

(4) العَجَف : ذهابُ السِّمَن ، والهزالُ . اللسان (ع ج ف) .

(5) أى : لو نحرنا من الإبل التى نركبها .

(6) جمامة : راحة وشِبَع ورِىّ . النهاية ١/ ٣٠١.

فجمَعوا له ، وبسَطوا الأنْطاعَ ، فأكَلوا حتى تَرَكوا[1] ، وحَثا[2] كلُّ واحدٍ منهم فى جِرابِه ، ثم أقْبَل رسولُ اللَّهِ ﷺ حتى دخَل المسجدَ ، وقعَدَت قريشٌ نحوَ الحِجْرِ ، فاضْطَبَع بردائِه ثم قال : « لا يَرَى القومُ فيكم غَمِيزةً[3] » . فاسْتَلم الرُّكْنَ ثم رَمَل[4] ، حتى إذا تغيَّب بالركنِ اليَمانىِّ مشَى إلى الركنِ الأسودِ ، فقالت قريشٌ : ما يَرْضَون بالمشْيِ ، أمَا إنهم [5]لَيَنْقُزُون نقْزَ[5] الظِّباءِ ! ففعَل ذلك ثلاثةَ أطْوافٍ ، فكانت سُنَّةً . قال أبو الطُّفَيْلِ : وأخبرَنى ابنُ عباسٍ أن رسولَ اللَّهِ ﷺ فعَل ذلك فى حِجَّةِ الوَداعِ . تفرَّد به أحمدُ مِن هذا الوجهِ .

قال أبو داودَ[6] : ثنا أبو سَلَمةَ موسى ، ثنا حَمَّادٌ - يعنى ابنَ سَلَمةَ - أنبأَنا أبو عاصمٍ الغَنوىُّ ، عن أبى الطُّفَيْلِ قال : قلتُ لابنِ عباسٍ : يَزْعُمُ قومُك أن رسولَ اللَّهِ ﷺ قد رمَل بالبيتِ ، وأن ذلك سُنَّةٌ . فقال : صدَقوا وكذَبوا . قلتُ : ما صدَقوا وما كذَبوا ؟! قال : صدَقوا ؛ رمَل رسولُ اللَّهِ ﷺ ، وكذَبوا ؛ ليس بسُنةٍ ، إنَّ قريشًا قالت زمنَ الحديبيةِ : دَعُوا محمدًا وأصحابَه حتى يَمُوتوا موتَ النَّغَفِ[7] . فلمَّا صالَحوه على أن يَجيئوا مِن العامِ المقبلِ فيُقِيموا بمكةَ ثلاثةَ أيامٍ ، فقَدِم رسولُ اللَّهِ ﷺ والمشركون مِن قِبَلِ قُعَيْقِعانَ ، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ لأصحابِه : « ارْمُلوا بالبيتِ ثلاثًا » . قال : وليس بسُنةٍ . وقد رَواه مسلمٌ مِن

---

(١) فى المسند : « تولوا » .
(٢) فى النسخ : « حشى » . والمثبت من المسند .
(٣) الغميزة : العيب . اللسان (غ م ز) .
(٤) فى المسند : « دخل » .
(٥ - ٥) فى النسخ : « لينفرون نفر » . والمثبت من المسند . والنقز : الوثب والقفز . اللسان (ن ق ز) .
(٦) أبو داود (١٨٨٥) . صحيح (صحيح سنن أبى داود ١٦٦٠) .
(٧) النغف : دود يكون فى أنوف الإبل والغنم . النهاية ٥/ ٨٧.

حديثِ سعيدٍ الجُرَيْرِىِّ، وعبدِ اللَّهِ بنِ عبدِ الرحمنِ بنِ أبى حُسَيْنٍ، وعبدِ الملكِ ابنِ سعيدِ بنِ أَبْجَرَ، ثلاثتُهم عن أبى الطُّفَيْلِ عامرِ بنِ واثلةَ، عن ابنِ عباسٍ، به نحوَه[1].

وكونُ الرَّمَلِ فى الطَّوافِ سُنةً مذهبُ الجمهورِ، فإن رسولَ اللَّهِ ﷺ رمَل فى عُمرةِ القَضاءِ، وفى عمرةِ الجِعْرَانةِ أيضًا، كما رواه أبو داودَ وابنُ ماجه، مِن حديثِ عبدِ اللَّهِ بنِ عثمانَ بنِ خُثَيْمٍ، عن أبى الطُّفَيْلِ، عن ابنِ عباسٍ، فذكَره[2]. وثبَت فى حديثِ جابرٍ [٣/٩٦و] عند مسلمٍ وغيرِه، أنه صلَّى اللَّهُ عليه وسلم رمَل فى حِجةِ الوَداعِ فى الطوافِ[3]. ولهذا قال عمرُ بنُ الخطابِ: فيمَ الرَّمَلانُ وقد أَطَّأَ[4] اللَّهُ الإسلامَ؟ ومع هذا لا نَترُكُ شيئًا فعَله رسولُ اللَّهِ ﷺ[5]. وموضعُ تقريرِ هذا كتابُ «الأحكامِ».

وكان ابنُ عباسٍ فى المشهورِ عنه لا يرَى ذلك سُنةً، كما ثَبَت فى «الصحيحين»[6] مِن حديثِ سفيانَ بنِ عيينةَ، عن عمرِو بنِ دينارٍ، عن عطاءٍ، عن ابنِ عباسٍ قال: إنما سعَى النبىُّ ﷺ بالبيتِ (٧) وبينَ الصفا(٧) والمَرْوَةِ؛ لِيُرِىَ

---

(١) مسلم (٢٣٧، ١٢٦٤/٢٣٨)، (١٢٦٥).

(٢) أبو داود (١٨٩٠). وابن ماجه (٢٩٥٣). صحيح (صحيح سنن أبى داود ١٦٦٤).

(٣) مسلم (١٢١٨)، وأبو داود (١٩٠٥)، والنسائى (٢٩٣٩، ٢٩٤٤، ٢٩٦١، ٢٩٦٢، ٢٩٧٤، ٢٩٨٢، ٢٩٨٣)، وابن ماجه (٣٠٧٤).

(٤) فى الأصل، م: «أطال». وأطأ اللَّه الإسلام: أى ثبته وأرساه. النهاية ١/ ٥٣.

(٥) رواه أبو داود (١٨٨٧). وابن ماجه (٢٩٥٢). والإمام أحمد فى المسند ١/ ٤٥. حسن صحيح (صحيح سنن أبى داود ١٦٦٢).

(٦) البخارى (١٦٤٩، ٤٢٥٧)، ومسلم (١٢٦٦/٢٤١).

(٧ - ٧) فى النسخ: «وبالصفا». والمثبت من صحيح البخارى.

المشركين قوَّته. لفظُ البخاريِّ.

وقال الواقديُّ[(1)]: لما قضَى رسولُ اللَّهِ ﷺ نُسُكَه فى القَضاءِ، دخَل البيتَ، فلم يَزَلْ فيه حتى أذَّن بلالٌ الظهرَ فوقَ ظهرِ الكعبةِ، وكان رسولُ اللَّهِ ﷺ أمَره بذلك، فقال عكرمةُ بنُ أبى جهلٍ: لقد أكرم اللَّهُ أبا الحكَمِ حيثُ[(2)] لم يَسْمَعْ هذا العبدَ يقولُ ما يقولُ. وقال صفوانُ بنُ أميةَ: الحمدُ للَّهِ الذى أذْهَب أبى قبلَ أن يَرَى هذا. وقال خالدُ بنُ أَسِيدٍ: الحمدُ للَّهِ الذى أمات أبى ولم يَشْهَدْ هذا اليومَ، حينَ[(3)] يقومُ بلالُ [(4)]ابنُ أمِّ بلالٍ[(4)] يَنْهَقُ فوقَ الكعبةِ[(5)]. وأما سُهَيْلُ بنُ عمرٍو ورجالٌ معه، لمَّا سمِعوا بذلك غطَّوا وجوهَهم. قال الحافظُ البيهقيُّ[(6)]: قد أكْرم اللَّهُ أكثرَهم بالإسلامِ.

قلتُ: كذا ذكَره البيهقيُّ[(7)] مِن طريقِ الواقديِّ؛ أن هذا كان فى عمرةِ القَضاءِ. والمشهورُ أن ذلك كان فى عامِ الفتحِ. واللَّهُ أعلمُ.

---

(1) أخرجه الواقدى فى مغازيه ٢/ ٧٣٧، ٧٣٨، عن على بن عمر، عن عبد اللَّه بن محمد بن عقيل، عن سعيد بن المسيب مرسلًا.
(2) فى الأصل، م: «حين».
(3) فى الأصل، م: «حتى».
(٤ - ٤) سقط من: م.
(5) فى الأصل، م: «البيت».
(6) دلائل النبوة ٤/ ٣٢٩.
(7) أخرجه البيهقى فى الدلائل ٤/ ٣٢٨، ٣٢٩، من طريق الواقدى، بإسناد الواقدى السابق.

وأما[1] قصةُ تزويجِه، عليه الصلاةُ والسلامُ، بميمونةَ

فقال ابنُ إسحاقَ[2] : حدَّثنى أَبانُ بنُ صالحٍ وعبدُ اللَّهِ بنُ أبى نَجِيحٍ، عن عطاءٍ ومُجاهِدٍ، عن ابنِ عباسٍ، أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ تزَوَّج ميمونةَ بنتَ الحارثِ فى سفَرِه ذلك وهو حَرامٌ، وكان الذى زَوَّجه إيَّاها العباسُ بنُ عبدِ المُطَّلبِ. قال ابنُ هشامٍ[3] : كانت جعَلَتْ أمْرَها إلى أُخْتِها أمِّ الفَضْلِ، فجَعَلتْ أمُّ الفَضْلِ أمْرَها إلى زوجِها العباسِ، فزوَّجها رسولَ اللَّهِ ﷺ، وأصْدَقها عنه أربعَمائةِ درهمٍ. وذكَر السُّهَيْلِىُّ[4] أنَّه لمَّا انْتَهتْ إليها خِطْبةُ رسولِ اللَّهِ ﷺ لها وهى راكبةٌ بعيرًا قالت: الجملُ وما عليه لرسولِ اللَّهِ ﷺ. قال: وفيها نزَلت الآيةُ: ﴿ وَٱمْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ ٱلنَّبِيُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِن [٣/٩٦ظ] دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَۗ ﴾ [الأحزاب: ٥٠].

وقد رَوَى البخاريُّ[5] مِن طريقِ أيوبَ، عن عِكْرِمةَ، عن ابنِ عباسٍ، أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ تزَوَّج ميمونةَ وهو مُحْرِمٌ، وبنَى بها وهو حَلالٌ، وماتَتْ بسَرِفٍ.

---

(١) سقط من: م.

(٢) سيرة ابن هشام ٢/ ٣٧٢.

(٣) المصدر السابق.

(٤) الروض الأنف ٧/ ٢٩.

(٥) البخارى (٤٢٥٨).

قال السُّهَيْلِيُّ[1] : ورَوَى الدارَقُطْنِيُّ[2] مِن طريقِ أبى الأسْودِ يتيمِ عُرْوةَ، ومِن طريقِ مَطَرٍ الوَرَّاقِ، عن عِكرمةَ، عن ابنِ عباسٍ، أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ تزَوَّج ميمونةَ وهو حَلالٌ. قال: وتأَوَّلوا روايةَ ابنِ عباسٍ الأُولى أنَّه كان مُحْرِمًا ؛ أى فى شهرٍ حَرامٍ، كما قال الشاعرُ[3] :

قَتَلوا ابنَ عفانَ الخليفةَ مُحْرِمًا ... فدَعا فلم أرَ مثلَه مَخْذولَا

أى فى شهرٍ حَرامٍ.

قلتُ : وفى هذا التأويلِ نظَرٌ؛ لأنَّ الرواياتِ[4] مُتَظافرةٌ عن ابنِ عباسٍ بخلافِ ذلك، ولا سيَّما قولُه: تزوَّجها وهو مُحْرِمٌ، وبنَى بها وهو حَلالٌ. وقد كان فى شهرِ ذى القَعْدةِ أيضًا، وهو شهرٌ حَرامٌ.

وقال محمدُ بنُ يحيى الذُّهْلِيُّ[5] : ثنا عبدُ الرزاقِ قال: قال لى الثَّوْرِيُّ : لا تَلْتَفِتْ[6] إلى قولِ أهلِ المدينةِ ؛ أخبرَنى عمرٌو، عن أبى الشَّعْثاءِ، عن ابنِ عباسٍ، أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ تزَوَّج وهو مُحْرِمٌ. قال أبو عبدِ اللَّهِ[7] : قلتُ لعبدِ الرزاقِ: رَوَى سفيانُ الحديثَيْن جميعًا ؛ عن عمرٍو عن أبى الشَّعْثاءِ عن ابنِ عباسٍ[8] ، وابنِ خُثَيْمٍ

---

(١) فى م: «البيهقى». الروض الأنف ٧/ ٣٠.
(٢) سنن الدارقطنى ٣/ ٢٦٣. وقال عقب طريق مطر عن عكرمة: تفرد به محمد بن عثمان، عن أبيه، عن سلام أبى المنذر، وهو غريب، عن مطر.
(٣) هو الراعى النميرى. والبيت فى ديوانه ص ٢٠٧ .
(٤) فى الأصل، م: «الرواية».
(٥) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٣٣١/٤ ، من طريق محمد بن يحيى الذهلى به.
(٦) فى م: «يلتفت».
(٧) هو محمد بن يحيى الذهلى. انظر تهذيب الكمال ٢٦/ ٦١٧.
(٨) أخرجه أحمد فى المسند ٣٦٢/١ ، من طريق سفيان الثورى عن عمرو به (إسناده صحيح).

عن سعيدِ بنِ جبيرٍ عن ابنِ عباسٍ[1] ؟ قال : نعم ، أمَّا حديثُ ابنِ خُثَيْمٍ فحدَّثَنا هـٰهنا - يعنى باليمنِ - وأمَّا حديثُ عمرٍو فحدَّثَنا ثَمَّ - يعنى بمكةَ - وأخْرَجاه فى « الصحيحين » مِن حديثِ عمرِو بنِ دينارٍ به[2] .

وفى « صحيحِ البخاريِّ »[3] مِن طريقِ الأوْزاعيِّ ، أنبأَنا عطاءٌ ، عن ابنِ عباسٍ ، أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ تزوَّج ميمونةَ وهو مُحْرِمٌ .

فقال سعيدُ بنُ المسيَّبِ[4] : وَهِلَ[5] ابنُ عباسٍ ، وإن كانت خالتَه ؛ ما تزوَّجها إلَّا بعدَ ما أحَلَّ .

وقال يونُسُ[6] ، عن ابنِ إسحاقَ : حدَّثنى ثقةٌ[7] ، عن سعيدِ بنِ المسيَّبِ أنَّه قال : هذا عبدُ اللَّهِ بنُ عباسٍ ، يَزْعُمُ أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ [8]نكَح ميمونةَ وهو مُحْرِمٌ . فذكَر كلمتَه[9] : إنَّما قدِم رسولُ اللَّهِ ﷺ مكةَ[8] ، فكان الحِلُّ والنِّكاحُ جميعًا ، فشُبِّه ذلك على الناسِ[10] .

---

(١) أخرجه أحمد فى المسند ١/ ٢٨٣، ٣٣٢، ٣٦٢ ، من طريق الثورى عن عبد اللَّه بن عثمان بن خثيم به .

(٢) البخارى (٥١١٤)، ومسلم (١٤١٠) .

(٣) البخارى (١٨٣٧) .

(٤) القائل : « فقال » . هو البيهقى . انظر الدلائل ٤/ ٣٣٢. وأثر سعيد بن المسيب أخرجه أبو داود (١٨٤٥) عن إسماعيل بن أمية ، عن رجل ، عن سعيد قال : وهم ابن عباس فى تزويج ميمونة وهو محرم . صحيح مقطوع (صحيح أبى داود ١٦٢٨) .

(٥) فى م : « وهم » .

(٦) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٤/ ٣٣٦، من طريق يونس به نحوه .

(٧) فى الأصل ، م : « بقية » .

(٨ - ٨) فى الدلائل : « دخل مكة » .

(٩) فى ص : « كلمة » .

(١٠) فى الأصل ، م : « ابن عباس » .

ورَوَى مسلمٌ وأهلُ السُّنَنِ[(١)] مِن طُرُقٍ، عن يزيدَ بنِ الأَصَمِّ العامريِّ، عن خالتِه ميمونةَ بنتِ الحارثِ قالت: تزَوَّجنى رسولُ اللَّهِ ﷺ ونحنُ حَلالان[(٢)] بسَرِفٍ. لكنْ قال الترمذيُّ: رَوَى غيرُ واحدٍ هذا الحديثَ، عن يزيدَ بنِ الأَصَمِّ [٩٧/٣و] مُرْسلًا، أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ تزوَّج ميمونةَ [(٣)]وهو حلالٌ[(٣)].

وقال الحافظُ البيهقيُّ[(٤)]: [(٥)]أنبأنا أبو عبدِ اللَّهِ الحافظُ[(٥)]، أنبأنا أبو عبدِ اللَّهِ محمدُ بنُ عبدِ اللَّهِ الأَصْفهانيُّ الزاهدُ، ثنا إسماعيلُ بنُ إسحاقَ القاضى، ثنا سليمانُ بنُ حربٍ، ثنا حمادُ بنُ زيدٍ، ثنا مَطَرٌ الوَرَّاقُ، عن ربيعةَ بنِ أبى عبدِ الرحمنِ، عن سليمانَ بنِ يَسارٍ، عن أبى رافعٍ قال: تَزَوَّج رسولُ اللَّهِ ﷺ مَيْمونةَ وهو حَلالٌ، وبنَى بها وهو حَلالٌ، وكنتُ الرسولَ بينَهما. وهكذا رواه الترمذيُّ والنَّسائيُّ جميعًا، عن قُتَيْبةَ، عن حمادِ بنِ زيدٍ، به[(٦)]. ثُم قال الترمذيُّ: حسنٌ، ولا نعْلَمُ أحدًا أسْنَده غيرَ[(٧)] حمادٍ عن مَطَرٍ، ورَواه مالكٌ، عن ربيعةَ، عن سليمانَ مُرْسَلًا[(٨)]، [(٩)]ورواه سليمانُ بنُ بلالٍ، عن ربيعةَ[(٩)]

---

(١) مسلم (١٤١١)، وأبو داود (١٨٤٣) واللفظ له، والترمذى (٨٤٥). والنسائى فى الكبرى (٥٤٠٤)، وابن ماجه (١٩٦٤).
(٢) فى م: «حلال».
(٣ - ٣) سقط من النسخ. والمثبت من سنن الترمذى.
(٤) دلائل النبوة ٤/ ٣٣٦.
(٥ - ٥) سقط من: الأصل.
(٦) الترمذى (٨٤١). والنسائى فى الكبرى (٥٤٠٢). ضعيف، وصحح الشيخ الألبانى الشطر الأول منه - تزوج النبى ﷺ ميمونة وهو حلال - بطريق مالك مرسلًا. انظر ضعيف سنن الترمذى (١٤٣)، وإرواء الغليل ٦/ ٢٥٢، ٢٥٣ (١٨٤٩).
(٧) فى النسخ: «عن». والمثبت من سنن الترمذى.
(٨) ولفظه، كما ذكر الترمذى: أن النبى ﷺ تزوج ميمونة وهو حلال. والحديث عند مالك، فى الموطأ ١/ ٣٤٨.
(٩ - ٩) سقط من: ص.

(1) مُرْسَلًا .

قلتُ : وكانت وفاتُها بسَرِفٍ سنةَ ثلاثٍ وستين ، ويقالُ : سنةَ ستين . رَضِي اللَّهُ عنها(1) .

(1 - 1) سقط من : ص .

ذكرُ خُروجِه ﷺ مِن مكةَ بعدَ قضاءِ عُمْرَتِه

قد تقَدَّم ما ذكَره موسى بنُ عقبةَ؛ أنَّ قريشًا بعثوا إليه حُوَيْطِبَ بنَ عبدِ العُزَّى بعدَ مُضِيِّ أربعةِ أيامٍ لِيَرْحَلَ عنهم، كما وقَع به الشرطُ، فعَرَض عليهم أن يَعْمَلَ وَليمةَ عُرْسِه بميمونةَ عندَهم، وإنَّما أراد تأليفَهم بذلك، فأبَوْا عليه وقالوا: بل اخرُجْ عنا. فخرَج. وكذلك ذكَره ابنُ إسحاقَ[1].

وقال البخاريُّ[2]: حدَّثنا عُبيدُ اللَّهِ بنُ موسى، عن إسرائيلَ، عن أبي إسحاقَ، عن البراءِ قال: اعْتَمَر النبيُّ ﷺ في ذي القَعْدةِ، فأبَى أهلُ مكةَ أن يَدَعُوه يَدْخُلُ مكةَ، حتى قاضاهم على أن يُقِيموا بها ثلاثةَ أيامٍ، فلمَّا كتَبوا الكتابَ، كتَبوا: هذا ما قاضَى عليه محمدٌ رسولُ اللَّهِ. قالوا: لا نُقِرُّ بهذا، لو نَعْلَمُ أنَّك رسولُ اللَّهِ ما منَعْناك شيئًا، ولكنْ أنت محمدُ بنُ عبدِ اللَّهِ. قال: «أنا رسولُ اللَّهِ، وأنا محمدُ بنُ عبدِ اللَّهِ». ثم قال لعليِّ بنِ أبي طالبٍ: «امْحُ رسولَ اللَّهِ». قال: لا واللَّهِ لا أمْحوك أبدًا. فأخَذ رسولُ اللَّهِ ﷺ الكتابَ، وليس يُحْسِنُ يَكْتُبُ، فكَتَب: هذا ما قاضَى عليه محمدُ بنُ عبدِ اللَّهِ؛ لا يُدْخِلُ مكةَ إلَّا السيفَ في القِرابِ، وأن لا يَخْرُجَ مِن أهلِها بأحدٍ أراد أن يَتْبَعَه،

---

(١) سيرة ابن هشام ٢/ ٣٧٢. وعنده أنهم أرسلوا إليه في اليوم الثالث. وانظر تاريخ الطبري ٣/ ٢٥. حوداث السنة السابعة.

(٢) البخاري (٤٢٥١).

وأن لا يَمْنَعَ مِن أصحابِه أحدًا أراد أن يُقيمَ بها . فلمَّا دخَلها ومضَى الأجلُ ، أتَوْا عليًّا فقالوا : قلْ لصاحبِك : اخرُجْ عنا ، فقد مَضَى الأجلُ . فخرَج النبىُّ ﷺ فتبِعَتْه ابنةُ حمزةَ تُنادى : ياعمِّ ، يا عمِّ . فتَناوَلها علىٌّ فأخَذ بيدِها ، وقال لفاطمةَ : دونَكِ ابنةَ عمِّك . فحَمَلَتْها ، فاخْتَصَم فيها علىٌّ وزيدٌ وجعفرٌ ، فقال علىٌّ : أنا أخَذْتُها وهى ابنةُ عمى . وقال جعفرٌ : ابنةُ عمى ، وخالتُها [٣/٩٧ظ] تحتى . وقال زيدٌ : ابنةُ أخى . فقضَى بها النبىُّ ﷺ لخالتِها وقال : « الخالةُ بمنزلةِ الأُمِّ » . وقال لعلىٍّ : « أنت منى وأنا منك » . وقال لجعفرٍ : « أَشْبَهْتَ خَلْقى وخُلُقى » . وقال لزيدٍ : « أنت أخونا ومولانا » . قال علىٌّ : أَلَا تتزوَّجُ ابنةَ حمزةَ ؟ قال : « إنها ابنةُ أخى مِن الرَّضاعةِ » .

تفرَّد به البخارىُّ مِن هذا الوجهِ .

وقد روَى الواقدىُّ[(١)] قصةَ ابنةِ حمزةَ ، فقال : حدَّثنى ابنُ أبى حَبِيبةَ ، عن داودَ بنِ الحُصَيْنِ ، عن عكرمةَ ، عن ابنِ عباسٍ ، أن عُمارةَ ابنةَ حمزةَ بنِ عبدِ المطلبِ ، وأمُّها سَلْمَى بنتُ عُمَيْسٍ ، كانت بمكةَ ، فلمَّا قدِم رسولُ اللَّهِ ﷺ كلَّم علىُّ بنُ أبى طالبٍ رسولَ اللَّهِ ﷺ فقال : علامَ نَتْرُكُ ابنةَ عمِّنا يتيمةً بينَ ظَهْرانى المشركين ؟ فلم يَنْهَ النبىُّ ﷺ عن إخراجِها ، فخَرَج بها ، فتَكَلَّم زيدُ بنُ حارثةَ وكان وَصِىَّ حمزةَ ، وكان النبىُّ ﷺ قد آخَى بينَهما حينَ آخَى بينَ المهاجرين ، فقال : أنا أحقُّ بها ؛ ابنةُ أخى . فلمَّا سَمِع بذلك جعفرٌ قال : الخالةُ والدةٌ ، وأنا أحقُّ بها لمكانِ خالتِها عندى أسماءَ بنتِ عُمَيْسٍ . وقال علىٌّ : ألا أُراكم تَخْتصمون ! هى ابنةُ عمى ، وأنا أخْرَجْتُها مِن بينِ أظْهُرِ المشركين ، وليس

(١) مغازى الواقدى ٢/ ٧٣٨، ٧٣٩. وأخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٤/ ٣٣٩، ٣٤٠ عن الواقدى به .

لكم إليها سببٌ[1] دونى ، وأنا أحقُّ بها منكم . فقال النبىُّ ﷺ : « أنا أحْكُمُ بينَكم ، أمّا أنت يا زيدُ فمَوْلى اللَّهِ ومولَى رسولِ اللَّهِ ، [2]وأمّا أنت يا علىُّ فأخى وصاحبى[2] ، وأما أنت يا جعفرُ فتُشْبِهُ خَلْقِى وخُلُقِى ، وأنت يا جعفرُ أَوْلَى بها ؛ تحتَك خالتُها ، ولا تُنْكَحُ المرأةُ على خالتِها ولا على عَمَّتِها » . فقضَى بها لجعفرٍ .

قال الواقدىُّ[3] : فلما قضَى بها لجعفرٍ ، قام جعفرٌ فحجَل حولَ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فقال : « ما هذا يا جعفرُ ؟ » فقال : يا رسولَ اللَّهِ ، كان النَّجاشِىُّ إذا أرْضَى أحدًا ، قام فحَجَل حولَه . فقال للنبىِّ ﷺ : تزَوَّجْها . فقال : « ابنةُ أخى مِن الرَّضاعةِ » . فزوَّجها رسولُ اللَّهِ ﷺ سَلَمةَ بنَ أبى سَلَمةَ ، فكان النبىُّ ﷺ يقولُ : « هل جَزَيْتُ[4] سَلَمةَ ؟ » .

قلتُ : لأنَّه ذكَر الواقدىُّ وغيرُه[5] ، أنَّه هو الذى زوَّج رسولَ اللَّهِ ﷺ بأُمِّه أمِّ سَلَمةَ ؛ لأنَّه كان أكبرَ مِن أخيه عمرَ بنِ أبى سَلَمةَ . واللَّهُ أعلمُ .

قال ابنُ إسحاقَ[6] : ورجَع رسولُ اللَّهِ ﷺ إلى المدينةِ فى ذى [٣/٩٨و]

---

(١) كذا فى النسخ . وفى مصدرى التخريج : « نسب » . وما فى النسخ أنسب للسياق معنًى ، من حيث كونهم لم يتوصلوا إليها إلا بسبب إخراج على ، رضى اللَّه عنه ، لها من مكة .

(٢ - ٢) سقط من النسخ . والمثبت من المغازى والدلائل .

(٣) مغازى الواقدى ٢/ ٧٣٩. وأخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٣٤٠/٤ عن الواقدى .

(٤) بعده فى النسخ : « أبا » . وهو خطأ ؛ يدل عليه ما يأتى من كلام المصنف .

(٥) انظر سيرة ابن هشام ٢/ ٦٤٤، ٦٤٥. ولم نجده عند الواقدى ، لكن ذكر ابن سعد فى الطبقات ٨/ ٩٢ عن الواقدى بإسناده عن محمد بن عمر بن أبى سلمة ، أن عمر بن أبى سلمة هو الذى زوج أمَّه النبىَّ ﷺ . وانظر كلام المصنف على ذلك فيما تقدم فى ٥/ ٥٨٢.

(٦) سيرة ابن هشام ٢/ ٣٧٢، ٣٧٣.

الحِجَّةِ ، وتَوَلَّى المشركون تلك الحِجَّةَ . قال ابنُ هشامٍ[1] : وأنزَل اللَّهُ فى هذه العمرةِ ، فيما حدَّثنى أبو عُبَيْدةَ ، قولَه تعالى : ﴿ لَقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا۟ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾ [الفتح : ٢٧] . يعنى خيبرَ .

(١) سيرة ابن هشام ٢/٣٧٢ ، ٣٧٣ .

فصلٌ

ذكَر البيهقىُّ هـٰهُنا[1] سريَّةَ ابنِ أبى العَوْجاءِ السُّلَمىِّ إلى بنى سُلَيْمٍ، ثُم ساق بسندِه عن الواقدىِّ[2]: حدَّثنى محمدُ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ مسلمٍ، عن الزُّهْرىِّ قال: لمَّا رَجَع رسولُ اللَّهِ ﷺ مِن عُمرةِ القَضِيَّةِ، رجَع فى ذى الحِجَّةِ مِن سنةِ سبعٍ، فبَعَث ابنَ أبى العَوْجاءِ السُّلَمىَّ فى خمسين رجلًا[3]، فخرَج [4]إلى بنى سُلَيْمٍ، وكان عَينٌ لبنى سُلَيْمٍ معه، فلما فصَل مِن المدينةِ، خرَج[4] العَيْنُ إلى قومِه، فحذَّرَهم وأخْبرَهم، فجمَعوا جمعًا كثيرًا، وجاءهم ابنُ أبى العَوْجاءِ والقومُ مُعِدُّون، فلمَّا أن رآهم أصحابُ رسولِ اللَّهِ ﷺ ورَأَوْا جمعَهم، دَعَوْهم إلى الإسلامِ، فرَشَقوهم بالنَّبْلِ ولم يَسْمَعوا قولَهم، وقالوا: لا حاجةَ لنا إلى ما دَعَوْتُم إليه، فرَمَوْهم ساعةً، وجعَلت الأمْدادُ تأتى، حتى أحْدَقوا بهم مِن كلِّ جانبٍ، فقاتَل القومُ قتالًا شديدًا، حتى قُتِل عامَّتُهم، وأُصِيب ابنُ أبى العَوْجاءِ [5]بجِراحاتٍ كثيرةٍ[5]، فتَحامَل حتى رجَع إلى المدينةِ بمَن بَقِىَ معه مِن أصحابِه فى أولِ يومٍ مِن صفَرٍ سنةَ ثمانٍ.

---

(١) دلائل النبوة ٤/ ٣٤١، ٣٤٢.

(٢) المصدر السابق. وانظر مغازى الواقدى ٢/ ٧٤١.

(٣) فى م: «فارسا».

(٤ - ٤) سقط من النسخ. والمثبت من الدلائل والمغازى.

(٥ - ٥) فى الدلائل والمغازى: «جريحًا مع القتلى».

فصلٌ

قال الواقديُّ[1] : فى المُحرَّمِ[2] مِن هذه السنةِ - يعنى سنةَ سبعٍ - ردَّ رسولُ اللَّهِ ﷺ ابنتَه زينبَ على زوجِها أبى العاصِ بنِ الربيعِ - وقد قدَّمْنا الكلامَ على ذلك - وفيها قَدِم حاطبُ بنُ أبى بَلْتَعةَ مِن عندِ المُقَوْقِسِ ومعه ماريَةُ وسِيرينُ ، وقد أسْلَمَتا فى الطريقِ ، وغلامٌ خَصِيٌّ . قال الواقديُّ[3] : وفيها اتَّخذ رسولُ اللَّهِ ﷺ مِنبرَه درجتينِ ومَقعدَه . قال : والثَّبَتُ عندَنا أنَّه عُمِل فى سنةِ ثمانٍ .

---

(١) ذكره عنه الطبرى فى تاريخه ٣/ ٢١. حوادث السنة السابعة.

(٢) فى م : « الحجة » .

(٣) المصدر السابق ٣/ ٢٢.

بسم الله الرحمن الرحيم
ربّ يَسّرْ وأعِنْ بحولِك وقوتِك

سَنةُ ثمانٍ مِن الهجرةِ النبويةِ

[(١)(*)]فصلٌ فى[(١)] إسلامِ عمرِو بنِ العاصِ وخالدِ بنِ الوليدِ وعثمانَ بنِ طلحةَ ، [(١)]رضى اللَّه عنهم ، وكان قدومُهم أوائلَ سنةِ ثمانٍ ، على ما سيأتى[(١)]

قد تقدَّم طَرَفٌ مِن ذلك[(٢)] ، فيما ذَكَره ابنُ إسحاقَ بعدَ مَقْتلِ أبى رافعٍ اليهودىِّ ، وذلك فى سنةِ خمسٍ مِن الهجرةِ . وإنَّما ذَكَره الحافظُ البَيْهَقىُّ[(٣)] هاهنا بعدَ عُمرةِ القَضاءِ ، [٩٨/٣ظ] فروَى مِن طريقِ الواقدىِّ : أنبأَنا عبدُ الحميدِ ابنُ جعفرٍ ، عن أبيه قال[(٤)] : قال عمرُو بنُ العاصِ : كنتُ للإسلامِ مُجانِبًا

(١ - ١) سقط من : م .

(*) بداية النسخة الأولى من الجزء الرابع ، من نسخة أحمد الثالث ، ويشار إليها بـ (ا١) .

(٢) تقدم فى صفحة ١٤٠ وما بعدها .

(٣) دلائل النبوة ٣٤٣/٤ - ٣٤٦ وأخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٤٩٦/١٣ - ٤٩٨ مخطوط ، من طريق الواقدى به . وانظر مغازى الواقدى ٧٤١/٢ - ٧٤٥، وتاريخ الإسلام، جزء المغازى ص ٤٧٠ - ٤٧٣.

(٤) سقط من : م .

مُعانِدًا ، حَضَرْتُ بدرًا مع المشركين فنَجَوْتُ ، ثُم حضرتُ أُحدًا فنجوتُ ، ثُم حضرتُ الخندقَ فنجوتُ . قال : فقلتُ فى نفسى : كم أُوضِعُ[1] ! واللَّهِ لَيَظْهَرَنَّ محمدٌ على قريشٍ . فلَحِقْتُ بمالى بالوَهْطِ[2] ، وأقْلَلْتُ مِن الناسِ - أى من لقائِهم - فلمَّا حَضَر الحديبيةُ ، وانْصَرَف رسولُ اللَّهِ ﷺ فى الصُّلحِ ، ورجَعَتْ قريشٌ إلى مكةَ ، جَعَلتُ أقولُ : يَدْخُلُ محمدٌ قابلًا مكةَ بأصحابِه ، ما مكةُ بمنزِلٍ ولا الطائفُ ، ولاشيءَ خيرٌ مِن الخروجِ . وأنا بعدُ ناءٍ عن الإسلامِ ، وأَرَى لو أسْلَمَتْ قريشٌ كلُّها لم أُسْلِمْ ، فقدِمْتُ مكةَ وجَمعْتُ رجالًا مِن قومى ، وكانوا يرَوْن رأيى ، ويَسْمَعون منى ، ويُقَدِّموننى فيما نابهم ، فقلتُ لهم : كيف أنا فيكم ؟ قالوا : ذو رَأْيِنا ومِدْرَهُنا[3] فى يُمْنِ نَقِيبَةٍ[4] وبركةِ أمرٍ ، قال : قلتُ : تَعْلَمون أنِّى واللَّهِ لَأَرَى أمرَ محمدٍ أمرًا يعْلو الأمورَ عُلُوًّا مُنْكَرًا ، وإنِّى قد رأيْتُ رأيًا . قالوا : وما هو ؟ قلتُ : نَلْحَقُ بالنجاشىِّ فنكونُ معه ، فإن يَظْهَرْ محمدٌ كنا عندَ النجاشىِّ ، فنكونُ تحتَ يدِ النَّجاشىِّ أحبُّ إلينا مِن أن نكونَ تحتَ يَدِ محمدٍ ، وإن تَظْهَرْ قريشٌ فنحن مَن قد عرَفوا . قالوا : هذا الرأىُ . قال : قلتُ : فاجْمَعوا ما نُهْدِيه له . وكان أحبَّ ما يُهْدَى إليه مِن أرضِنا الأَدَمُ ، فجَمَعْنا[5] أدَمًا كثيرًا ، ثُم خرَجْنا حتى قدِمْنا على النجاشىِّ ، فواللَّهِ إنّا

---

(١) أوضع : أوضع فى الشر : أسرع . الوسيط (و ض ع) .

(٢) فى النسخ ، والدلائل والمغازى : « بالرهط » . والمثبت من تاريخ دمشق وتاريخ الإسلام . والوهط : مال كان لعمرو بن العاص بالطائف ... قال ابن موسى : الوهط : قرية بالطائف على ثلاثة أميال من وَجّ كانت لعمرو بن العاص . معجم البلدان ٤/ ٩٤٣، ٩٤٤.

(٣) المدره : السيِّد الشريف ، والمُقدَّم فى اللسان واليد عند الخصومة والقتال . المحيط (د ر هـ) .

(٤) فى م : « نفسه » .

(٥) فى م : « فحملنا » .

لعندَه إذْ جاء عمرُو بنُ أُمَيَّةَ الضَّمْرِيُّ ، وكان رسولُ اللَّهِ ﷺ قد بَعَثه بكتابِ كتبَه ، يُزوِّجُه أمَّ حَبِيبةَ بنتَ أبي سفيانَ ، فدَخَل عليه ثُم خرَج مِن عندِه ، فقلتُ لأصحابى : هذا عمرُو بنُ أُمَيَّةَ ، ولو قد دَخَلْتُ على النجاشيِّ فسألْتُه إيَّاه فأعْطانِيه فضرَبْتُ عنقَه ، فإذا فعلتُ ذلك (١ سَرَرْتُ قريشًا ١) ، وكنتُ قد أجزأْتُ عنها حينَ(٢) قتَلْتُ رسولَ محمدٍ . فدخَلْتُ على النجاشيِّ فسجَدْتُ له كما كنتُ أصنعُ ، فقال : مرحبًا بصَديقى ، أهْدَيْتَ لى مِن بلادِك شيئًا ؟ قال : قلتُ : نعم أيها الملكُ ، أهديتُ لك أَدَمًا كثيرًا . ثُم قدَّمتُه فأعْجَبه ، وفرَّق منه شيئًا بينَ بطَارِقتِه ، وأمَر بسائرِه فأُدخِل فى موضعٍ ، وأمَر أن يُكتَبَ ويُحتفَظَ به ، فلما رأيْتُ طِيبَ نفسِه قلتُ : أيها الملكُ ، إنى قد رأيتُ رجلًا خرَج مِن عندِك ، وهو رسولُ عدوٍّ لنا قد وَتَرَنا ، وقَتَل أشْرافَنا وخِيارَنا ، [٩٩/٣و] فأعْطِنِيه فأقتُلَه . فغضِب مِن ذلك ، ورفَع يدَه فضرَب بها أنْفى ضربةً ظَنَنْتُ أنَّه كسرَه ، فابتَدَر مَنْخَراىَ ، فجعلتُ أتلقَّى الدَّمَ بثيابِى ، فأصابَنى مِن الذُّلِّ ما لو انْشَقَّتْ بىَ الأرضُ دخلتُ فيها ؛ فَرَقًا منه . ثُم قلتُ : أيها الملكُ ، لو ظننتُ أنَّك تَكْرَهُ ما قلتُ ما سألتُك . قال : فاستحيا وقال : يا عمرُو ، تسألُنى أنْ أُعْطِيَك رسولَ مَن يأْتيه الناموسُ الأكبرُ الذى كان يأْتى موسى ، والذى كان يأتى عيسى لتقتُلَه ؟! قال عمرٌو : فغيَّر اللَّهُ قلبى عمَّا كنتُ عليه ، وقلتُ فى نفسِى : عرَف هذا الحقَّ العربُ(٣) والعجمُ وتُخالِفُ أنت ؟! ثُم قلتُ : أتشهَدُ أيُّها الملكُ بهذا ؟ قال : نعم ، أشهَدُ به عندَ اللَّهِ يا عمرُو ، فأطِعْنى واتَّبِعْه ، فواللَّهِ إنَّه لَعَلى الحقِّ ،

(١ - ١) فى م : « سرت قريش » .

(٢) فى م : « حتى » .

(٣) فى م : « والعرب » .

ولَيَظْهَرَنَّ على مَن خالَفه ، كما ظهرَ موسى على فرعونَ وجنودِه . قلتُ : أتُبايِعُنى له على الإسلامِ ؟ قال : نعم . فبسَط يدَه فبايَعنى على الإسلامِ ، ثُم دَعا بطَسْتٍ ، فغسَل عنى الدمَ وكَسانى ثيابًا ، وكانتْ ثِيابى قد امتلأتْ بالدمِ فألقيتُها ، ثم خرجتُ على أصْحابى ، فلمَّا رأَوْا كِسوةَ النجاشىِّ سُرُّوا بذلك وقالوا : هل أدْرَكْتَ مِن صاحِبِكَ ما أرَدْتَ ؟ فقلتُ لهم : كرِهْتُ أن أُكلِّمَه فى أولِ مرةٍ ، وقلتُ : أعودُ إليه . فقالوا : الرأىُ ما رأيْتَ . قال : ففارقْتُهم وكأنِّى أعْمِدُ لحاجةٍ ، فعَمَدْتُ إلى موضعِ السُّفُنِ ، فأجِدُ سفينةً قد شُحِنتْ تُدْفَعُ[1] . قال : فركِبْتُ معهم ودفَعُوها ، حتى انتهَوْا إلى الشُّعَيْبَةِ[2] ، وخرَجْتُ مِن السفينةِ ومعى نفقةٌ ، فابْتَعْتُ بعيرًا ، وخرَجْتُ أريدُ المدينةَ ، حتى مرَرْتُ على مَرِّ الظَّهْرانِ ، ثم مضَيتُ ، حتى إذا كنتُ بالهَدَةِ ، فإذا رَجُلان قد سبَقانى بغيرِ كثيرٍ يُرِيدَان مَنْزِلًا ، وأحدُهما داخلٌ فى الخيمةِ ، والآخرُ يُمْسِكُ الرَّاحِلَتَيْن . قال : فنظَرْتُ فإذا خالدُ بنُ الوليدِ . قال : قلتُ : أينَ تريدُ ؟ قال : محمدًا ؛ دخَل الناسُ فى الإسلامِ ، فلم يبقَ أحدٌ به طَعْمٌ[3] ، واللَّهِ لو أقمتُ لأُخِذَ برِقابِنا كما يُؤْخَذُ برقبةِ الضَّبُعِ فى مَغارتِها . قلتُ : وأنا واللَّهِ قد أرَدْتُ محمدًا ، وأرَدْتُ الإسلامَ . فخرَج عثمانُ بنُ طلحةَ فرحَّب بى ، فنزَلْنا جميعًا فى المنزلِ ، ثُم تَرافَقْنا[4] حتى أتَيْنا

---

(١) فى المغازى : « برَقَع » . والرقع : جمع رُقَعَة كهُمَزَة : وهى شجرة عظيمة كالجوزة . تاج العروس (ر ق ع) .

(٢) فى النسخ : « الشعبة » . والمثبت من مصادر التخريج . والشعيبة : مرفأ السفن من ساحل بحر الحجاز . معجم البلدان ٣/ ٣٠١ .

(٣) فى المغازى : « طمع » . فلم يبق أحدٌ به طعم : هذه استعارة ؛ أى بقى من لا اعتداد به ولا معرفة له ولا قدر . ويجوز فيه فتح الطاء وضمها ؛ لأن الشىء إذا لم يكن فيه طُعْم ولا له طَعْم فلا جدوى فيه للآكل ولا منفعة . انظر النهاية ٣/١٢٥ .

(٤) فى النسخ : « اتفقنا » ، وفى الدلائل: « رافقنا » . والمثبت من مصادر التخريج .

المدينةَ ، فما أنسَى قولَ رجلٍ لقِيناه ببئرِ أبى عِنَبَةَ[(١)] يصيحُ : يا رَبَاحُ ، يا رَبَاحُ ، [(٢)]يا رَبَاحُ[(٢)] . فتفاءَلْنا بقولِه وسُرِرْنا[(٣)] ، ثُم نظَر إلَيْنا فأسمَعُه يقولُ : قد أعطتْ مكةُ المَقادةَ بعدَ هذيْن . فظَنَنْتُ أنه يَعْنينى ويَعْنى خالدَ بنَ الوليدِ ، وولَّى مُدْبِرًا إلى المسجدِ [٩٩/٣ظ] سريعًا ، فظَنَنْتُ أنَّه بشَّر رسولَ اللَّهِ ﷺ بقُدومِنا ، فكان كما ظنَنْتُ ، وأنَخْنا بالحَرَّةِ ، فلَبِسْنا مِن صالحِ ثيابِنا ، ثُم نُودِىَ بالعصرِ ، فانطَلَقْنا [(٤)]حتى اطَّلَعْنا[(٤)] عليه وإنَّ لوجهِهِ تَهَلُّلًا ، والمسلمون حولَه قد سُرُّوا بإسلامِنا ، فتقدَّم خالدُ بنُ الوليدِ فبايَع ، ثُم تقدَّم عثمانُ بنُ طَلْحَةَ فبايَع ، ثُم تقدَّمْتُ ، فواللَّهِ ما هو إلَّا أنْ جَلَسْتُ بينَ يَدَيْه ، فما اسْتَطَعْتُ أن أَرْفَعَ طَرْفى إليه[(٥)] حياءً مِنه . قال : فبايعْتُه على أنْ يُغْفَرَ لى ما تقدَّم من ذنبى ، ولم يَحْضُرْنى ما تأخَّر ، فقال : « إنَّ الإسلامَ يَجُبُّ[(٦)] ما كان قبلَه ، والهِجْرَةَ تَجُبُّ ما كان قبلَها » . قال : فواللَّهِ ما عَدَل بى رسولُ اللَّهِ ﷺ وبخالدِ بنِ الوليدِ أحدًا مِن أصحابِه فى أمرٍ حَزَبَه[(٧)] منذ أسْلَمْنا ، ولقد كُنَّا عندَ أبى بكرٍ بتلك المنزلةِ ، ولقد كنتُ عندَ عمرَ بتلك الحالةِ ، وكان عمرُ على خالدٍ كالعاتبِ .

قال عبدُ الحميدِ بنُ جعفرٍ شيخُ الواقدىِّ[(٨)] : فذكَرْتُ هذا الحديثَ ليزيدَ بنِ

---

(١) فى الأصل : « غنية » . وفى م : « عتبة » . وفى ص غير منقوطة . وبئر أبى عنبة : بئر معروفة بالمدينة ، عرض رسول اللَّه ﷺ أصحابه عندها لمَّا سار إلى بدر . اللسان (ع ن ب) .

(٢ - ٢) ليست فى مصادر التخريج .

(٣) فى النسخ ، والدلائل ، والمغازى وتاريخ الإسلام : « سرنا » . والمثبت من تاريخ دمشق .

(٤ - ٤) فى الأصل : « على اطلعنا » . وفى م : « على أظلعنا » . واطَّلعنا عليه : أشرفنا عليه .

(٥) سقط من النسخ . والمثبت من مصادر التخريج .

(٦) يجب : يقطع ويمحو .

(٧) حزبه : نابه واشتدَّ عليه .

(٨) هو بالإسناد السابق فى دلائل البيهقى ٤/ ٣٤٦. وانظر مغازى الواقدى ٢/ ٧٤٥.

أبى[1] حَبيبٍ ، فقال : أخبرَنى راشدٌ مَولى حَبيبِ بنِ أبى أوسٍ[2] الثقفىّ ، عن مَولاه حَبيبٍ ، عن عمرِو بنِ العاصِ نحوَ ذلك .

قلْتُ : كذلك رَواه محمدُ بنُ إسحاقَ[3] ، عن يزيدَ بنِ أبى حَبيبٍ ، عن راشدٍ ، عن مَولاه حَبيبٍ قال : حدَّثنى عمرُو بنُ العاصِ مِن فِيهِ . فذكَر ما تقدَّم فى سنةِ خمسٍ بعدَ مقتلِ أبى رافعٍ . وسياقُ الواقدىِّ أبسطُ وأحسنُ . قال الواقدىُّ ، عن شيخِه عبدِ الحميدِ[4] : فقلتُ ليزيدَ بنِ أبى حَبيبٍ : وَقَّتَ لك متى قَدِم عمرٌو وخالدٌ ؟ قال : لا ، إلَّا أنَّه قال : قبلَ الفتحِ . قلتُ : فإنَّ أبى أخبرَنى أنَّ عمرًا وخالدًا وعثمانَ بنَ طلحةَ قدِموا[5] لهلالِ صفَرٍ سنةَ ثمانٍ .

وسيأتى عندَ وفاةِ عمرٍو مِن « صحيحِ مسلمٍ » ما يَشْهَدُ لسياقِ إسلامِه ، وكيفيةِ حُسْنِ صُحبتِه لرسولِ اللَّهِ ﷺ مدةَ حياتِه ، وكيف مات وهو يتأَسَّفُ على ما كان منه فى مدةِ مُباشرتِه الإمارةَ بعدَه ، عليه الصلاةُ والسلامُ ، وصفةُ موتِه ، رَضِى اللَّهُ عنه .

---

(١) سقط من : م . وانظر تهذيب الكمال ٣٢/ ١٠٢.

(٢) كذا فى النسخ . وفى الدلائل والمغازى : « أويس » . وهو حبيب بن أوس - ويقال : ابن أبى أوس - الثقفى المصرى . انظر تهذيب الكمال ٥/ ٣٥٧.

(٣) سيرة ابن هشام ٢/ ٢٧٦ - ٢٧٨.

(٤) الدلائل ٤/ ٣٤٦ بنفس الإسناد المتقدم . وانظر مغازى الواقدى ٢/ ٧٤٥.

(٥) بعده فى الدلائل والمغازى : « المدينة » .

طريقُ إسلامِ خالدِ بنِ الوليدِ

قال الواقديُّ[1]: حدَّثنى يحيى بنُ المغيرةِ بنِ عبدِ الرحمنِ بنِ الحارثِ بنِ هشامٍ قال: سمِعْتُ أبى يُحَدِّثُ عن خالدِ بنِ الوليدِ قال: لمَّا أرادَ اللَّهُ بى ما أرادَ مِن الخيرِ، قذَف فى قلبِىَ الإسلامَ، وحضَرنى رُشْدى، فقلت: قد شَهِدْتُ هذه المواطنَ كلَّها على محمدٍ ﷺ، فليس فى موطنٍ أشهَدُه إلَّا أنْصَرِفُ وأنا أَرَى فى نفسِى أنِّى مُوضِعٌ فى غيرِ شىءٍ، وأنَّ محمدًا سيَظْهَرُ، [٣/١٠٠و] فلمَّا خرَج رسولُ اللَّهِ ﷺ إلى الحُدَيْبِيَةِ خرَجْتُ فى خيلٍ مِن المشركين، فلَقِيتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ فى أصحابِه بعُسْفانَ، فقُمْتُ بإزائِه وتعرَّضْتُ له، فصَلَّى بأصحابِه الظُّهْرَ أمامَنا، فهَمَمْنا أن نُغِيرَ عليهم، ثُم لم يُعْزَمْ لَنا - وكانتْ فيه خِيَرَةٌ - فاطَّلَعَ على ما فى أنفسِنا مِن الهَمِّ به، فصَلَّى بأصحابِه صلاةَ العصرِ صلاةَ الخوفِ، فوقَع ذلك مِنَّا موقعًا، وقلتُ: الرجلُ ممنوعٌ. فاعْتَزَلَنا[2] وعَدَل عن سَنَنِ[3] خيلِنا[2]، وأخَذ ذاتَ اليمينِ، فلمَّا صالَحَ قريشًا بالحُدَيْبِيَةِ، ودافَعَتْه قريشٌ بالراحِ[4]، قلتُ فى نفسِى: أىُّ شىءٍ بَقِىَ؟ أين المَذْهَبُ[5]؟ إلى

---

(١) مغازى الواقدى ٢/٧٤٥ - ٧٤٩. وأخرجه البيهقى فى الدلائل ٤/٣٤٩ - ٣٥٢، وابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٦/٢٢٦ - ٢٢٩، كلاهما من طريق الواقدى به. وانظر تاريخ الإسلام جزء المغازى ص ٤٧٣ - ٤٧٦.

(٢ - ٢) سقط من: ا ٤.

(٣) فى الأصل، م: «سير».

(٤) فى الأصل، م: «بالرواح».

(٥) فى الأصل، م: «أذهب».

النجاشيِّ ؟ فقد اتَّبع محمدًا ، وأصحابُه عندَه آمِنون ، فأَخْرُجُ إلى هِرَقْلَ ؟ فأخرُجُ مِن دينِى إلى نصرانيَّةٍ أو يهوديةٍ ، فأُقيمُ مع عَجَمٍ تابعًا[(1)] ، فأقيمُ فى دارِى فيمَن بَقِىَ ؟ فأنا فى ذلك إذْ دخَل رسولُ اللَّهِ ﷺ مكةَ فى عمرةِ القَضِيَّةِ ، فتَغَيَّبْتُ ولم أَشْهَدْ دُخُولَه ، وكان أخى الوليدُ بنُ الوليدِ قد دَخَل مع النبيِّ ﷺ فى عمرةِ القضيةِ ، فطَلَبَنى فلم يَجِدْنى ، فكتَب إلىَّ كتابًا ، فإذا فيه : بسمِ اللَّهِ الرحمنِ الرحيمِ ، أمَّا بعدُ ، فإنِّى لم أرَ أعجبَ مِن ذَهابِ رأيِك عن الإسلامِ وعَقْلُكَ عَقْلُكَ ! ومِثْلُ الإسلامِ جَهِلَه أحدٌ ؟! وقد سألَنى رسولُ اللَّهِ ﷺ عنك ، وقال : « أين خالدٌ ؟ » فقلتُ : يأتى اللَّهُ به . فقال : « ما[(1)] مِثْلُه جَهِل الإسلامَ ، ولو كان جعَل نِكايتَه وحَدَّه[(2)] مع المسلمين كان خيرًا له ، ولَقَدَّمْناه على غيرِه » . فاسْتَدْرِكْ يا أخى ما قد فاتك ، [(3)]فقد فاتَك[(3)] مواطنُ صالحةٌ . قال : فلمَّا جاءنى كتابُه نَشِطْتُ للخروجِ ، وزادَنى رغبةً فى الإسلامِ ، وسرَّنى سؤالُ رسولِ اللَّهِ ﷺ عنى ، وأَرَى فى النومِ كأنِّى فى بلادٍ ضيِّقةٍ مُجْدِبةٍ ، فخَرَجْتُ إلى بلادٍ خضراءَ واسعةٍ ، فقلتُ : إنَّ هذه لرُؤْيا . فلمَّا أنْ قَدِمْتُ المدينةَ قلتُ : لأذْكُرَنَّها لأبى بكرٍ . فقال : مخْرَجُك الذى هَداك اللَّهُ للإسلامِ ، والضِّيقُ الذى كنتَ فيه مِن الشركِ . قال : فلمَّا أَجْمَعْتُ الخروجَ إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ ، قلتُ : مَن أُصاحِبُ إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ ؟ فلَقِيتُ صفوانَ بنَ أُمَيَّةَ ،

---

(1) سقط من النسخ . والمثبت من مصادر التخريج .

(2) فى م ، والمغازى ، والدلائل : « جِدَّه » . والحدّ : السيف .

(3 - 3) فى م : « من » .

فقلتُ : يا أبا وَهْبٍ ، أمَا ترَى ما نحن فيه ، إنَّما نحن (١أَكَلةُ رأسٍ١) ، وقد ظهَر محمدٌ على العربِ والعَجَمِ ، فلو قَدِمْنا على محمدٍ واتَّبَعْناه ؛ فإنَّ شرفَ محمدٍ لنا شرفٌ . فأبَى أشدَّ الإباءِ ، فقال : لو لم يَبْقَ غيرِى ما اتَّبَعْتُه أبدًا . فافْتَرَقْنا ، وقلتُ : هذا رجلٌ قُتِل أخوه وأبوه ببدرٍ . فلَقِيتُ عِكرِمةَ بنَ أبى [٣/١٠٠ظ] جهلٍ ، فقلتُ له مثلَ ما قلتُ لصفوانَ بنِ أميةَ ، فقال لى مثلَ ما قال صفوانُ بنُ أُميةَ ، قلتُ : فاكْتُمْ علىَّ . قال : لا أذْكُرُه . فخرَجْتُ إلى منزِلِى ، فأمرتُ براحلتِى ، فخرَجْتُ بها إلى أن لَقِيتُ عثمانَ بنَ طلحةَ ، فقلتُ : إنَّ هذا لى صديقٌ ، فلو ذكَرْتُ له ما أرجو . ثُم ذكرتُ مَن قُتِل مِن آبائِه ، فكرِهتُ أن أُذَكِّرَه ، ثُم قلتُ : وما علىَّ وأنا راحلٌ مِن ساعتِى . فذَكَرتُ له ما صارَ الأمرُ إليه ، فقلتُ : إنما نحن بمنزلةِ ثعلبٍ فى جُحْرٍ ، لو صُبَّ فيه ذَنوبٌ مِن ماءٍ لخرَج . وقلتُ له نحوًا ممَّا قلتُ لصاحِبَىَّ ، فأسْرَع الإجابةَ ، وقال[٢] : إنِّى غَدَوْتُ اليومَ وأنا أريدُ أن أغْدُوَ ، وهذه راحلتِى بفَخٍّ[٣] مُناخةٌ . قال : فاتَّعَدْتُ أنا وهو يَأْجَجَ ؛ إن سَبَقَنى أقام ، وإن سَبَقْتُه أقَمْتُ عليه . قال : فأدْلَجْنا سَحَرًا ، فلم يَطْلُعِ الفجرُ حتى التَقَيْنا بيَأْجَجَ ، فغَدَوْنا حتى انتهَيْنا إلى الهَدَةِ ، فنجِدُ عمرَو ابنَ العاصِ بها فقال : مرحبًا بالقومِ . فقلْنا : وبك . فقال : إلى أين مسيرُكم ؟ فقلنا : وما أخْرَجَك ؟ فقال : وما أخرجكم ؟ قلْنا : الدخولُ فى الإسلامِ واتِّباعُ

(١ - ١) فى النسخ ، والدلائل : « كأضراس » . وأكلة رأس : أى هم قليل يشبعهم رأس واحد ، وهو جمع آكِل . الصحاح واللسان (أ ك ل) .

(٢) فى الأصل ، م : « قلت له » . وفى ٤١ ، ص : « قلت » . والمثبت من مصادر التخريج .

(٣) سقط من : ٤١ . وفى الأصل ، م ، ص ، وتاريخ دمشق : « بفج » . والمثبت من المغازى والدلائل . وفخ : واد بمكة . معجم البلدان ٣/ ٨٥٤.

محمدٍ ﷺ . قال : وذاك الذى أَقْدَمَنى . فاصْطَحَبْنا جميعًا حتى دخَلْنا المدينةَ ، فأنخْنا بظهرِ[1] الحَرَّةِ ركابَنا ، فأُخْبِر بنا رسولُ اللَّهِ ﷺ فسُرَّ بنا ، فلَبِسْتُ مِن صالحِ ثيابِى ، ثُم عَمَدْتُ إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ فلَقِيَنى أخى ، فقال : أسْرِعْ ، فإنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قد أُخبِر بك ، فسُرَّ بقُدومِك ، وهو ينْتَظِرُكم . فأسْرَعْنا المشىَ ، فاطَّلَعْتُ عليه ، فما زالَ يَتَبَسَّمُ إلىَّ حتى وقفْتُ عليه ، فسلَّمْتُ عليه بالنبوةِ ، فردَّ علىَّ السلامَ بوَجْهٍ طَلْقٍ ، فقلتُ : إنِّى أشهَدُ أن لا إلهَ إلا اللَّهُ ، وأنَّك رسولُ اللَّهِ . فقال : « تعالَ » . ثُم قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « الحمدُ للَّهِ الذى هداك ، قد كنتُ أرَى لك عقلًا رجَوْتُ أن لا يُسْلِمَك إلَّا إلى خيرٍ » . قلتُ : يا رسولَ اللَّهِ[2] ، قد رأيْتَ ما كنتُ أشهَدُ مِن تلكَ المواطنِ عليك مُعانِدًا للحقِّ ، فادْعُ اللَّهَ أن يَغْفِرَها لى . فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « الإسلامُ يَجُبُّ ما كان قبلَه » . قلتُ : يا رسولَ اللَّهِ ، على ذلك[3] . قال : « اللهمَّ اغفِرْ لخالدِ بنِ الوليدِ كلَّ ما أَوْضَع فيه مِن صدٍّ عن سبيلِكَ » . قال خالدٌ : وتقدَّم عثمانُ وعمرٌو فبايَعا رسولَ اللَّهِ ﷺ . قال : وكان قدومُنا فى صفَرٍ سنةَ ثمانٍ . قال : فواللَّهِ ما كان رسولُ اللَّهِ ﷺ يَعْدِلُ بى أحدًا [٣/١٠١و] مِن أصحابِه فيما حَزَبه .

---

(١) فى المغازى وتاريخ دمشق : « بظاهر » .

(٢) بعده فى النسخ : « إنى » . وليست فى مصادر التخريج .

(٣) أى : ادع اللَّه أن يغفر لى هذا الأمر بعينه .

سريَّةُ شُجاعِ بنِ وهبٍ الأَسَدىّ
إلى (١)نفرٍ من(١) هَوازِنَ

قال الواقدىُّ(٢) : حدثنى ابنُ أبى سَبْرةَ ، عن إسحاقَ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ أبى فَرْوةَ ، عن عمرَ بنِ الحكَمِ قال : بعَث رسولُ اللَّهِ ﷺ شُجاعَ بنَ وهبٍ فى أربعةٍ وعشرينَ رجلًا إلى جَمْعٍ مِن هَوازِنَ ، وأمَره أن يُغِيرَ عليهم ، فخرَج وكان يسيرُ الليلَ ويَكْمُنُ النهارَ ، حتى صَبَّحَهم(٣) غارِّين ، وقد أَوْعَز إلى أصحابِه أن لا يُمعِنوا فى الطَّلَبِ ، فأصابوا نَعَمًا كثيرًا وشاءً ، فاسْتاقُوا ذلك حتى قدِموا المدينةَ ، فكانتْ سهامُهم خمسةَ عشَرَ بعيرًا ، كلَّ رجلٍ .

وزعَم غيرُه(٤) أنَّهم أصابوا سَبْيًا أيضًا ، وأنَّ الأميرَ اصْطَفى منه(٥) جاريةً وَضيئةً ، ثم قدِم أهلوهم مسلمين ، فشاوَر النبىُّ ﷺ أميرَهم فى ردِّهن إليهم ، فقال : نعم . فرَدُّوهن ، وخَيَّر التى عندَه(٦) فاختارت المُقامَ عندَه .

(١ - ١) سقط من : م .

(٢) مغازى الواقدى ٢/ ٧٥٣، ٧٥٤. وأخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٤/ ٣٥٣، من طريق الواقدى به .

(٣) سقط من : ا ٤١ . وفى الأصل : « تحينهم » ، وفى م : « جاءهم وهم » ، وفى ص : « فجئهم » . والمثبت من المغازى والدلائل . وغارين : أى غافلين . انظر النهاية ٣/ ٣٥٥.

(٤) مغازى الواقدى ٢/ ٧٥٤. والضمير فى « غيره » عائد على عمر بن الحكم المتقدم فى الإسناد السابق .

(٥) فى ا ٤١ : « منهم » ، وفى م : « عنهم » .

(٦) بعده فى م : « الجارية » .

وقد تكونُ هذه السَّريَّةُ هى المذكورةَ فيما روَاه الشافعىُّ[1] ، عن مالكٍ ، عن نافعٍ ، عن ابنِ عمرَ أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ بعَث سريَّةً قِبلَ نجدٍ ، فكان فيهم عبدُ اللَّهِ بنُ عمرَ . قال : فأَصبْنا إبلًا كثيرًا ، فبلَغتْ سهامُنا اثْنَىْ عشَرَ بعيرًا ، ونفَّلَنا رسولُ اللَّهِ ﷺ بعيرًا بعيرًا . أخرَجاه فى « الصحيحيْن » مِن حديثِ مالكٍ ، ورَواه مسلمٌ أيضًا مِن حديثِ الليثِ ، ومِن حديثِ عُبيدِ اللَّهِ ، كلُّهم عن نافعٍ ، عن ابنِ عمرَ ، بنحوِه[2] .

وقال أبو داودَ[3] : حدَّثَنا هَنَّادٌ ، حدَّثَنا عَبْدَةُ ، عن محمدِ بنِ إسحاقَ ، عن نافعٍ ، عن ابنِ عمرَ قال : بعَث رسولُ اللَّهِ ﷺ سريةً إلى نَجْدٍ ، فخرَجْتُ فيها ، فأَصَبْنا نَعَمًا كثيرًا ، فنفَّلَنا أميرُنا بعيرًا بعيرًا لكلِّ إنسانٍ ، ثُم قدِمْنا على رسولِ اللَّهِ ﷺ فقسَم بيننا غَنيمتَنا ، فأصاب كلُّ رجلٍ مِنا اثنَىْ عشَرَ بعيرًا بعدَ الخُمُسِ ، وما حاسبَنا رسولُ اللَّهِ ﷺ بالذى أعطانا صاحبُنا ، ولا عاب عليه ما صنَع ، فكان لكلٍّ مِنا ثلاثةَ عشَرَ بعيرًا بنفلِه .

---

(١) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٤/ ٣٥٥، من طريق الشافعى به .

(٢) البخارى (٣١٣٤)، ومسلم (١٧٤٩/٣٥)، كلاهما من طريق مالك به، ومسلم (٣٦، ٣٧/ ١٧٤٩)، من طريق الليث وعبيد الله كلاهما عن نافع به .

(٣) أبو داود (٢٧٤٣) . ضعيف (ضعيف سنن أبى داود ٥٨٩) .

سَرِيَّةُ كعبِ بنِ عُمَيْرٍ إلى بنى قُضاعةَ [(1)] مِن أرضِ الشامِ [(1)]

قال الواقدىُّ [(2)] : حدَّثنا محمدُ بنُ عبدِ اللَّهِ ، عن [(3)] الزهرىِّ ، قال : بعَث رسولُ اللَّهِ ﷺ كعبَ بنَ عُمَيْرٍ الغِفارىَّ فى خمسةَ عشَرَ رجلًا ، حتى انتهَوْا إلى ذاتِ أطْلاحٍ [(4)] مِن الشامِ ، فوجَدوا جَمْعًا مِن جمعِهم كثيرًا ، فدَعَوهم إلى الإسلامِ ، فلم يَسْتَجِيبوا لهم ورشَقوهم بالنَّبْلِ ، [١٠١/٣ظ] فلمَّا رَأَى ذلك أصحابُ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، قاتَلوهم أشدَّ القِتالِ حتى قُتِلوا ، فأفلتَ [(5)] منهم رجلٌ جريحٌ فى القَتْلَى ، فلمَّا أن برَد عليه الليلُ تَحامَل حتى أتَى رسولَ اللَّهِ ﷺ ، فهَمَّ بالبَعْثةِ إليهم ، فبلَغه أنهم ساروا إلى موضعٍ آخرَ [(6)] .

(١ - ١) سقط من : م .

(٢) مغازى الواقدى ٢/ ٧٥٢، ٧٥٣. وأخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٤/ ٣٥٧، من طريق الواقدى به .

(٣) سقط من : الأصل، ١ ٤، م .

(٤) ذات أطلاح : موضع من وراء ذات القرى إلى المدينة . معجم البلدان ١/ ٣١١.

(٥) سقط من : ٤١. وفى الأصل، م ، ص : « فارتث » . والمثبت من المغازى والدلائل .

(٦) بعده فى مصدرى التخريج : « فتركهم » .

غزوة مُؤْتَةَ

وهى سريةُ زيدِ بنِ حارثةَ ، فى نحوٍ مِن ثلاثةِ آلافٍ ، إلى أرضِ البَلْقاءِ مِن أرضِ[1] الشامِ .

قال محمدُ بنُ إسحاقَ بعدَ قصةِ عُمرةِ القَضِيَّةِ[2] : فأقام رسولُ اللَّهِ ﷺ بالمدينةِ بقيةَ ذى الحِجَّةِ - وولِى تلك الحِجةَ المشركون - والمُحَرَّمَ وصفَرًا وشهْرَىْ ربيعٍ ، وبعَث فى جُمادَى الأولى بَعْثَه إلى الشامِ ، الذين أُصِيبوا بمُؤْتةَ ، فحدَّثنى محمدُ بنُ جعفرِ بنِ الزبيرِ ، عن عروةَ بنِ الزبيرِ قال : بعَث رسولُ اللَّهِ ﷺ بعْثَه إلى مُؤْتةَ فى جُمادَى الأولى مِن سنةِ ثمانٍ ، واستعمل عليهم زيدَ بنَ حارثةَ ، وقال : « إنْ أُصِيب زيدٌ فجعفرُ بنُ أبى طالبٍ على الناسِ ، فإن أُصِيب جعفرٌ فعبدُ اللَّهِ بنُ رَواحةَ على الناسِ » . فتجَهَّز الناسُ ثُم تهَيَّئوا للخروجِ ، وهم ثلاثةُ آلافٍ .

وقال الواقدىُّ[3] : حدَّثنى ربيعةُ بنُ عثمانَ ، عن عمرَ[4] بنِ الحكَمِ ، [5]عن أبيه[5] قال : جاء النُّعمانُ بنُ فُنْحُصٍ[6] اليَهودىُّ ، فوقَف على رسولِ اللَّهِ ﷺ

---

(١) فى ص : « أطراف » .

(٢) سيرة ابن هشام ٢/ ٣٧٣.

(٣) مغازى الواقدى ٢/ ٧٥٥، ٧٥٦ مطولًا . وأخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٤/ ٣٦١، ٣٦٢، من طريق الواقدى به . وانظر تاريخ الإسلام جزء المغازى ص ٤٨٢.

(٤) فى الأصل ، م : « عمرو » .

(٥ - ٥) سقط من المغازى .

(٦) فى ١ ٤١: « حصن » . وفى ص غير واضحة . وفى الدلائل ومغازى الواقدى : « مهض » . وأثبت محقق المغازى : « فنحص » نقلًا عما عندنا هنا .

مع الناسِ، فقالَ رسولُ اللَّهِ ﷺ: «زيدُ بنُ حارثةَ أميرُ الناسِ، فإن قُتِل زيدٌ فجعفرُ بنُ أبى طالبٍ، فإن قُتِل جعفرٌ فعبدُ اللَّهِ بنُ رَواحةَ، فإن قُتِل عبدُ اللَّهِ بنُ رَواحةَ فلْيَرْتَضِ المسلمون بينَهم رجلًا، فلْيَجْعلوه عليهم». فقال النُّعمانُ: أبا القاسمِ، إن كنتَ نبيًّا، فلو سمَّيْتَ مَن سمَّيْتَ قليلًا أو كثيرًا، أُصِيبوا جميعًا، إن الأنبياءَ مِن بنى إسرائيلَ كانوا إذا سَمَّوُا الرجلَ على القومِ، فقالوا: إن أُصيب فلانٌ ففلانٌ. فلو سمَّوا مائةً أُصيبوا جميعًا. ثُم جعَل اليهوديُّ[1] يقولُ لزيدٍ: اعْهَدْ فإنَّك لا تَرْجِعُ أبدًا، إن كان محمدٌ نبيًّا. فقال زيدٌ: أشهَدُ أنه نبيٌّ صادقٌ بارٌّ. رَواه البيهقيُّ.

قال ابنُ إسحاقَ[2]: فلما حضَر خروجُهم، ودَّع الناسُ أُمراءَ رسولِ اللَّهِ ﷺ وسلَّموا عليهم، فلمَّا وُدِّعَ عبدُ اللَّهِ بنُ رَواحةَ مع مَن وُدِّعَ بَكَى، فقالوا: ما يُبْكيك يا بنَ رَواحةَ؟ فقال: أما واللَّهِ ما بى حُبُّ الدنيا ولا صَبابةٌ بكم، ولكنى سمِعْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقْرَأُ آيةً مِن كتابِ اللَّهِ [٣/١٠٢و] يَذْكُرُ فيها النارَ[3]: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا﴾ [مريم: ٧١]، فلسْتُ أدرى كيف لى بالصَّدَرِ[4] بعد الوُرودِ؟ فقال المسلمون: صحِبكم اللَّهُ ودفَع عنكم، وردَّكم إلينا صالحين. فقال عبدُ اللَّهِ بنُ رَواحةَ:

لكنَّنى أسألُ الرحمنَ مَغفرةً وضَرْبةً ذاتَ فَرْغٍ تَقْذِفُ الزَّبَدا[5]

---

(١) سقط من: الأصل، م.
(٢) سيرة ابن هشام ٢/ ٣٧٣، ٣٧٤.
(٣) التفسير ٥/ ٢٤٧ - ٢٥٢.
(٤) الصدر: الرجوع والانصراف.
(٥) ذات فرغ: يعنى ذات سعة. والزبد: رَغوة الدم. شرح غريب السيرة ٣/ ٦٠.

أو طعنةً بيَدَىْ حَرَّانَ مُجْهِزةً　　بحَرْبةٍ تُنْفِذُ الأحْشاءَ والكَبِدَا[1]

حتى يُقالَ إذا مَرُّوا على جَدَثى[2]　　أرْشَده اللَّهُ مِن غازٍ وقد رشَدَا

قال ابنُ إسحاقَ[3] : ثم إن القومَ تَهَيَّئوا للخروجِ ، فأتَى عبدُ اللَّهِ بنُ رَواحةَ رسولَ اللَّهِ ﷺ ، فودَّعه ثم قال :

فثبَّت اللَّهُ ما آتاك مِن حَسَنٍ　　تَثْبيتَ موسى ونَصْرًا كالذى نُصِروا

إنى تفَرَّسْتُ فيك الخيرَ نافلةً[4]　　اللَّهُ يَعْلَمُ أنى ثابتُ البصرِ[5]

أنت الرسولُ فمَن يُحْرَمْ نَوافِلَه　　والوجْهَ منه فقد أزْرَى به القَدَرُ[6]

قال ابنُ إسحاقَ[7] : ثُم خرَج القومُ وخرَج رسولُ اللَّهِ ﷺ يُشَيِّعُهم ، حتى إذا ودَّعهم وانصَرَف قال عبدُ اللَّهِ بنُ رَواحةَ :

خلَفَ السلامُ على امرئٍ ودَّعْتُهُ　　فى النَّخْلِ خيرِ مُشَيِّعٍ وخَليلِ

وقال الإمامُ أحمدُ[8] : حدَّثنا عبدُ اللَّهِ بنُ محمدٍ ، ثنا أبو خالدٍ الأَحْمَرُ ، عن الحَجَّاجِ ، عن الحكَمِ ، عن مِقْسَمٍ ، عن ابنِ عباسٍ أن رسولَ اللَّهِ ﷺ بعَث

---

(١) الحران : الملتهب الجوف . ومجهزة : يعنى سريعة القتل . شرح غريب السيرة ٣/ ٦٠ .
(٢) الجدث : القبر . المصدر السابق .
(٣) سيرة ابن هشام ٢/ ٣٧٤.
(٤) نافلة : أى هبة من الله وعَطِيَّة منه . شرح غريب السيرة ٣/ ٦٠.
(٥) فى هذا البيت إقواء .
(٦) النوافل : العطايا والمواهب . وأزرى به القدر : أى قَصَّر به . المصدر السابق .
(٧) سيرة ابن هشام ٢/ ٣٧٤.
(٨) المسند ١/ ٢٥٦. (إسناده ضعيف) انظر مسند أحمد بتحقيق الشيخ شعيب ١٩٦٦، ٢٣١٧.

إلى مُؤْتَةَ فاستعمل زيدًا ، فإن قُتِل زيدٌ فجعفرٌ ، فإن قُتِل جعفرٌ فابنُ رَواحةَ ، فتخَلَّف ابنُ رَواحةَ ، فجمَّع مع النبىِّ ﷺ ، فرآه فقال : « ما خلَّفك ؟ » فقال : أُجَمِّعُ معك[1] . قال : « لَغَدْوةٌ أو رَوْحةٌ خيرٌ مِن الدنيا وما فيها » .

وقال أحمدُ[2] : ثنا أبو مُعاوية ، ثنا الحَجَّاجُ ، عن الحكَمِ ، عن مِقْسَمٍ ، عن ابنِ عباسٍ قال : بعَث رسولُ اللَّهِ ﷺ عبدَ اللَّهِ بنَ رَواحةَ فى سريةٍ ، فوافقَ ذلك يومَ الجمُعةِ . قال : فقدَّم أصحابَه ، وقال : أتخَلَّفُ فأُصَلِّى مع رسولِ اللَّهِ ﷺ الجمُعةَ ، ثم ألْحَقُهم . قال : فلمَّا صلَّى رسولُ اللَّهِ ﷺ رآه فقال : « ما منَعك أن تَغْدُوَ مع أصحابِك ؟ » قال : فقال : أرَدْتُ أن أُصَلِّىَ معك الجمُعةَ ، [٣/١٠٢ظ] ثم ألْحَقَهم . قال : فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « لو أنْفَقْتَ ما فى الأرضِ جميعًا ما أدْرَكْتَ غَدْوَتَهم » .

وهذا الحديثُ قد رَواه الترمذىُّ[3] مِن حديثِ أبى مُعاويةَ ، عن الحَجَّاجِ - وهو ابنُ أَرْطاةَ - ثُم علَّله الترمذىُّ بما حكاه عن شُعبةَ أنه قال : لم يَسْمَع الحكَمُ عن مِقْسَمٍ إلا خمسةَ أحاديثَ ، وليس هذا منها .

قلتُ : والحجَّاجُ بنُ أَرْطاةَ فى روايتِه نظَرٌ . واللَّهُ أعلمُ . والمقصودُ مِن إيرادِ هذا الحديثِ ، أنه يقتضى أن خروجَ الأمراءِ إلى مُؤْتَةَ كان فى يومِ جمُعةٍ . واللَّهُ أعلمُ .

---

(١) فى الأصل : « جمعك » .

(٢) المسند ١/ ٢٢٤. إسناده ضعيف : انظر المصدر السابق .

(٣) الترمذى (٥٢٧) . ضعيف الإسناد (ضعيف سنن الترمذى ٨١) .

قال ابنُ إسحاقَ[(١)] : ثُم مضَوا حتى نزَلوا مَعانَ[(٢)] مِن أرضِ الشامِ ، فبلَغ الناسَ أن هِرَقْلَ قد نزَل مآبَ[(٣)] مِن أرضِ البَلْقاءِ ، فى مائةِ ألفٍ مِن الرومِ ، وانضمَّ إليه مِن لَخْمٍ وجُذامٍ والقَيْنِ وبَهْراءَ وبَلِيٍّ مائةُ ألفٍ منهم ، عليهم رجلٌ مِن بَلِيٍّ ، ثُم أحدُ إراشَةَ[(٤)] ، يُقالُ له : مالكُ بنُ زافِلَةَ[(٥)] - وفى روايةِ يونُسَ ، عن ابنِ إسحاقَ[(٦)] : فبلَغهم أن هِرَقْلَ نزَل بمآبَ[(٧)] ، فى مائةِ ألفٍ مِن الرومِ ومائةِ ألفٍ مِن المُسْتَعْرِبةِ . [(٨)]وقيل : كان الرومُ مائتَىْ ألفٍ ، ومَن عداهم خمسون ألفًا . وأقلُّ ما قيل : إن الرومَ كانوا مائةَ ألفٍ ، ومن العرب خمسون ألفًا . حكاه السهيلىُّ[(٩)] -[(٨)] فلما بلَغ ذلك المسلمينَ أقاموا على مَعانَ ليلتَيْن ينظُرون فى أمرِهم ، وقالوا : نَكْتُبُ إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ نُخْبِرُه بعددِ عدوِّنا ؛ فإما أن يُمِدَّنا بالرجالِ ، وإما أن يأمُرَنا بأمْرِه فنَمْضِىَ له . قال : فشجَّع الناسَ عبدُ اللَّهِ بنُ رَواحةَ وقال : يا قومِ ، واللَّهِ إن التى تَكْرَهون لَلَّتى خرَجْتم تطْلُبون ؛ الشهادةُ ، وما نُقاتِلُ الناسَ بعددٍ ولا قوةٍ ولا كثرةٍ ، ما نُقاتِلُهم إلَّا بهذا الدينِ الذى أكْرَمَنا اللَّهُ به ، فانطَلِقوا فإنما هى إحدى الحُسْنَيَيْن ؛ إما ظُهورٌ وإما شَهادةٌ . قال : فقال

---

(١) سيرة ابن هشام ٢/ ٣٧٥، ٣٧٦.

(٢) معان بالفتح وآخره نون ، والمحدِّثون يقولونه بالضم : مدينة فى طرف بادية الشام تلقاء الحجاز من نواحى البلقاء. انظر معجم البلدان ٤/ ٥٧١.

(٣) هى مدينة فى طرف الشام من نواحى البلقاء. المصدر السابق ٤/ ٣٧٧.

(٤) إراشة ، بالكسر : أبو قبيلة من بلىّ. تاج العروس ١٧/ ٦٤.

(٥) فى م ، ص : « رافلة » . وكذا فى الاشتقاق ص ٥٥١، وذكر أنه هو قاتِلُ زيدٍ يوم مؤتة .

(٦) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٤/٣٦٠ من طريق يونس به .

(٧) فى الدلائل : « بمأرب » .

(٨ - ٨) سقط من : الأصل ، م .

(٩) الروض الأنف ٧/ ٤١.

النَّاسُ : قد واللَّهِ صدَق ابنُ رَواحةَ . فمضَى الناسُ ، فقال عبدُ اللَّهِ بنُ رَواحةَ فى مَحْبِسِهم ذلك :

جَلَبْنا الخيلَ مِن أَجَأٍ وفَرْعٍ   تُغَرُّ مِن الحَشِيشِ لها[1] العُكومُ[2]
حَذَوْناها مِن الصَّوَّانِ سِبْتًا   أَزَلَّ كأنَّ صَفْحتَه أدِيمُ[3]
أقامَتْ لَيْلتَيْن على مَعانٍ[4]   فأُعْقِبَ بعدَ فَتْرَتِها جُمومُ[5]
فَرُحْنا والجِيادُ مُسَوَّماتٌ   تنَفَّسُ فى مَناخِرِها السَّمومُ[6]
فَلَا وأبى مَآبَ لنَأْتِيَنْها   وإن كانت بها عربٌ و رومُ
فعَبَّأْنا أعِنَّتَها فجاءَتْ   عَوابِسَ والغُبارُ لها بَرِيمُ[7]
بذِى لَجَبٍ كأنَّ البَيْضَ فيه   إذا برَزَتْ قَوانِسُها النجومُ[8]

---

(١) فى الأصل ، م : « إلى » .

(٢) قال أبو ذر : أجأ : أحد جبلى طيئ . وفرع ، يروى هنا بالعين والغين : اسم موضع . وتغر : أى تُطعَم شيئا بعد شيء ، يقال : غرَّ الطائرُ فَرْخَه . إذا أطعمه . اهـ . والعكوم : الأحمال التى تكون فيها الأمتعة وغيرها . انظر شرح غريب السيرة ٣/ ٦٠، ٦١. والنهاية ٣/ ٢٨٥.

(٣) حذوناها : جعلنا لها حذاء وهو النعل . والصوان : حجارة ملس واحدتها صوانة . والسبت : النعال التى تصنع من الجلود المدبوغة . وأزل : أملس . وصفحته : ظاهره . والأديم : الجلد . شرح غريب السيرة ٣/ ٦١.

(٤) الأصل فى « معان » المنع من الصرف ، وصُرفت ههنا لضرورة الشعر .

(٥) الجموم : استراحة الفرس . المصدر السابق .

(٦) مسومات : مرسلات . والسموم : الريح الحارة . المصدر السابق .

(٧) بريم : الحزام ، وأصل البريم خيط تنظمه المرأة ثم تشده على وسطها . المصدر السابق .

(٨) بذى لجب : يعنى جيشًا . واللجب : اختلاط الأصوات وكثرتها . والبيض هنا : الحديد . والقوانس : أعالى البيض . المصدر السابق .

[٣/١٠٣و] فراضيةُ المَعِيشةِ[(١)] طلَّقَتْها أسِـنَّتُنا[(٢)] فـتَنْكِـحُ أو تـئِـيـمُ[(٣)]

قال ابنُ إسحاقَ[(٤)] : فحدَّثني عبدُ اللَّهِ بنُ أبي بكرٍ أنه حُدِّث عن زيدِ بنِ أرْقمَ قال : كنتُ يتيمًا لعبدِ اللَّهِ بنِ رَواحةَ في حِجْرِه ، فخرَج بي في سفرِه ذلك ، مُرْدِفي على حقيبةِ رَحْلِه[(٥)] ، فواللَّهِ إنه لَيَسِيرُ ليلةً إذْ سمِعْتُه وهو يُنْشِدُ أبياتَه هذه :

إذا أدَّيتِني[(٦)] وحَمَلْتِ رَحْلي مـسيـرةَ أربعٍ بـعدَ الحِسـاءِ[(٧)]
فـشـأنُـكِ أنـعُـمٌ وخَـلاكِ ذَمٌّ[(٨)] ولا أرْجِـعْ إلـى أهـلـى وَرائـى
وجـاء المسـلـمـون وغـادَرونـى بأرضِ الشامِ مُشْتَهِيَ[(٩)] الثَّواءِ
ورَدَّكِ كـلُّ ذى نَـسَـبٍ قـريـبٍ إلى الرحـمنِ مُنْقَطِعَ الإخـاءِ
هـنـالـك لا أُبـالـى طَلْعَ بَعْلٍ ولا نَـخْـلٍ أَسـافـلُـهـا رِواءِ[(١٠)]

---

(١) فراضية المعيشة : أى المعيشة المرضية . الروض الأنف ٧/ ٣٤.
(٢) فى ص : « أشنتنا » . وفى السيرة : « أسنتها » .
(٣) تئيم : تبقى دون زوج . شرح غريب السيرة ٣/ ٦١.
(٤) سيرة ابن هشام ٢/ ٣٧٦.
(٥) حقيبة رحله : الحقيبة ما يجعله الراكبُ وراءه إذا ركب . شرح غريب السيرة ٣/ ٦١.
(٦) فى م : « أدنيتنى » .
(٧) الحساء : جمع حِسْى ، وهو ماء يغور فى الرمل إذا بُحِث عنه وُجِد . شرح غريب السيرة ٣/ ٦١، ٦٢.
(٨) خلاك ذم : أى فارقك الذم . الروض الأنف ٧/ ٣٤.
(٩) فى م : « مستنهى » . ومشتهى الثواء : أى لا أريد رجوعًا . ومن رواه : مُسْتَنْهِى الثواء . فمعناه : مستفعل ؛ من النهاية والانتهاء أى حيث انتهى مثواه . انظر المصدر السابق ٧/ ٣٥.
(١٠) البعل : الذى يشرب بعروقه من الأرض . ورواء : من رواه بكسر الهمزة فمعناه ممتلئة من الماء . ومن رواه بالرفع فهو إقواء . انظر شرح غريب السيرة ٣/ ٦٢.

قال: فلمَّا سمِعْتُهن منه بكَيْتُ، فخفَقنى بالدِّرَّةِ[١] وقال: ما عليك يا لُكَعُ[٢] أن يَرْزُقَنِى اللَّهُ الشهادةَ، وتَرْجِعَ بينَ شُعْبَتَىِ الرَّحْلِ؟! ثُم قال عبدُ اللَّهِ ابنُ رَواحةَ فى بعضِ سفرِه ذلك وهو يَرْتَجِزُ:

يا زيدُ زيدَ اليَعْمَلاتِ الذُّبَّلِ تَطاوَلَ الليلُ هُدِيتَ فانزِلِ[٣]

قال ابنُ إسحاقَ[٤]: ثم مضَى الناسُ، حتى إذا كانوا بتُخُومِ البَلْقاءِ، لَقِيَتْهم جُموعُ هِرَقْلَ مِن الرومِ والعربِ، بقريةٍ مِن قُرَى البَلْقاءِ يقالُ لها: مَشارِفُ. ثم دَنا العدوُّ، وانحاز المسلمون إلى قريةٍ يقالُ لها: مُؤْتَةُ. فالْتَقى الناسُ عندَها، فتعَبَّأَ لهم المسلمون، فجعَلوا على مَيْمَنَتِهم رجلًا مِن بنى عُذْرةَ يقالُ له: قُطْبةُ ابنُ قَتادةَ. وعلى مَيْسَرتِهم رجلًا مِن الأنصارِ يقالُ له: عَبايةُ بنُ مالكٍ.

وقال الواقدىُّ[٥]: حدَّثنى رَبيعةُ بنُ عثمانَ، عن المَقْبُرىِّ، عن أبى هريرةَ قال: شهِدْتُ مُؤْتةَ، فلمَّا دَنا منا المشركون، رأَيْنا ما لا قِبَلَ لأحدٍ به، مِن العُدَّةِ[٦]، والسلاحِ، والكُراعِ، والدِّيباجِ، والحريرِ، والذهبِ، فبَرِق بصرى، فقال لى ثابتُ بنُ أَقْرَمَ[٧]: يا أبا هريرةَ، كأنك ترَى جُموعًا كثيرةً! قلتُ: نعم. قال: إنك لم تَشْهَدْ معنا بدرًا، إنا لم نُنْصَرْ بالكثرةِ. رَواه البيهقىُّ.

---

(١) فخفقنى بالدرة: ضربنى بها. شرح غريب السيرة ٣/٦٢.
(٢) اللكع: اللئيم. المصدر السابق.
(٣) اليعملات: جمع يعملة وهى الناقة السريعة. والذبل: التى أضعفها السير فقل لحمها. انظر المصدر السابق.
(٤) سيرة ابن هشام ٢/ ٣٧٧.
(٥) مغازى الواقدى ٢/ ٧٦٠. وأخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٤/٣٦٢، من طريق الواقدى به.
(٦) كذا فى النسخ والدلائل. وفى المغازى: «العدد».
(٧) فى الأصل: «أبر قم». وفى ١، ٤، م: «أرقم».

قال ابنُ إسحاقَ[1] : ثم الْتَقَى الناسُ فاقْتَتَلوا ، فقاتَل زيدُ بنُ حارثةَ برايةِ رسولِ اللَّهِ ﷺ حتى شاط فى رماحِ القومِ[2] ، ثم أخَذها جعفرٌ ، فقاتَل [3]بها ، حتى إذا أَلْحَمه القتالُ[4] ، اقتحَم عن فرسٍ له شَقْراءَ فعقَرها ، ثم قاتَل[3] القومَ حتى قُتِل ، فكان جعفرٌ [٣/١٠٣ظ] أولَ [3]رجلٍ مِن[3] المسلمين عَقَر فى الإسلامِ .

وقال ابنُ إسحاقَ[5] : وحدَّثنى يحيىَ بنُ عَبَّادِ [6]بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ الزبيرِ ، عن أبيه عَبَّادٍ[6] ، حدَّثنى أبى الذى أرْضَعنى ، وكان أحدَ بنى مُرَّةَ بنِ عَوْفٍ ، وكان فى تلك الغزوةِ غزوةِ مؤتةَ ، قال : واللَّهِ لكأنى أَنظُرُ إلى جعفرٍ حين اقْتَحَم عن فرسٍ له شقراءَ ثم عقَرها ، ثُم قاتل القومَ حتى قُتِل وهو يقولُ :

يا حَبَّذَا الجنةُ واقترابُها طَيِّبةً وبارِدًا شرابُها
والرومُ رومٌ قد دَنا عذابُها [7]كافرةٌ بعيدةٌ أنسابُها[7]
علىَّ إن لاقَيْتُها ضِرابُها

وهذا الحديثُ قد رَواه أبو داودَ مِن حديثِ ابنِ إسحاقَ ، ولم يَذْكُر الشعرَ[8] .

---

(١) سيرة ابن هشام ٢/ ٣٧٨.
(٢) شاط فى رماح القوم: أى هلك. يقال: شاط الرجل. إذا سال دمه فهلك. شرح غريب السيرة ٣/ ٦٢.
(٣ - ٣) سقط من: الأصل، م.
(٤) ألحمه القتال، يقال: ألحم الرجلُ واسْتَلْحَم. إذا نَشِب فى الحرب فلم يجد له مَخْلَصًا. النهاية ٤/ ٢٣٩.
(٥) سيرة ابن هشام ٢/ ٣٧٨.
(٦ - ٦) سقط من: الأصل، ٤١، ص. وانظر تهذيب الكمال ١٤/ ١٣٦، ٣١/ ٣٩٣.
(٧ - ٧) سقط من: الأصل، ٤١، ص.
(٨) أبو داود (٢٥٧٣). حسن (صحيح سنن أبى داود ٢٢٤٣).

وقد استدل به[(1)] مَن جوَّز[(2)] قتلَ الحيوانِ خشيةَ أن يَنْتَفِعَ به العدوُّ، كما يقولُ أبو حنيفةَ فى الأغنامِ إذا لم تَتْبَعْ فى السَّيرِ، ويُخْشَى مِن لُحوقِ العدوِّ لها وانتفاعِهم بها، أنها تُذْبَحُ وتُحَرَّقُ؛ ليُحالَ بينَهم وبينَ ذلك. واللَّهُ أعلمُ.

قال السهيليُّ[(3)]: ولم يُنْكِرْ أحدٌ على جعفرٍ، فدل على جوازِه [(4)] إذا خِيفَ [(4)] أخْذُ العدوِّ له، ولا يَدْخُلُ ذلك فى النهيِ عن قتلِ الحيوانِ عَبَثًا.

قال ابنُ هشامٍ[(5)]: وحدَّثنى مَن أثِقُ به مِن أهلِ العلمِ أن جعفرًا أخَذ اللواءَ بيمينِه فقُطِعتْ، فأخَذه بشمالِه فقُطِعتْ، فاحْتَضَنه بعَضُدَيْه، حتى قُتِل وهو ابنُ ثلاثٍ وثلاثين سنةً، فأثابه اللَّهُ بذلك جَناحَيْن فى الجنةِ يَطيرُ بهما حيثُ شاء، ويقالُ: إن رجلًا مِن الرومِ ضرَبه يومَئذٍ ضربةً فقطَعه بنصفين.

قال ابن إسحاقَ[(6)]: وحدَّثنى يحيى بنُ عَبَّادِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ الزبيرِ، عن أبيه عَبَّادٍ قال: حدَّثنى أبى الذى أرْضَعنى، وكان أحدَ بنى مُرَّةَ بنِ عَوْفٍ، قال: فلما قُتِل جعفرٌ، أخَذ عبدُ اللَّهِ بنُ رَواحةَ الرايةَ، ثُم تقدَّم بها وهو على فرسِه، فجعَل يَسْتَنْزِلُ نفسَه، ويَتَرَدَّدُ بعضَ التَّرَدُّدِ، ثم قال:

أقْسَمْتُ يا نفسُ لتَنْزِلِنَّهْ   لَتَنْزِلِنَّ أو لتُكْرَهِنَّهْ

---

(1) سقط من: الأصل، م.

(2) فى م: «جواز».

(3) الروض الأنف ٧/ ٣٦.

(٤ - ٤) فى الأصل: «إذا من». وفى م: «إلا إذا أمن».

(5) سيرة ابن هشام ٢/ ٣٧٨.

(6) المصدر السابق ٢/ ٣٧٩، ٣٨٠.

إن أجْلَبَ الناسُ وشَدُّوا الرَّنَّهْ[1] مـالـى أراكِ تَـكْـرَهِـين الجنَّـهْ

قد طال ما قد كنتِ مُطْمَئِنَّهْ هل أنتِ إلا نُطفةٌ فى شَنَّهْ[2]

وقال أيضًا :

يا نفسُ إن لا تُقْتَلى تموتى هذا حِمامُ الموتِ قد صَلِيتِ

وما تمنَّيْتِ فقد أُعْطِيتِ إن تَفْعَلى فِعْلَهما هُدِيتِ

يريدُ صاحبَيْه ؛ زيدًا وجعفرًا ، ثُم نزَل ، فلمَّا نزَل أتاه ابنُ عمٍّ له بعَرْقٍ مِن لحمٍ فقال : [١٠٤/٣و] شُدَّ بهذا صُلْبَك ، فإنك قد لقِيتَ فى أيَّامِك هذه ما لَقِيتَ . فأخَذه مِن يدِه ، فانتَهَس منه نَهْسَةً ، ثُم سمِع الحَطْمةَ[3] فى ناحيةِ الناسِ فقال : وأنتَ فى الدنيا ؟ ! ثم ألْقاه مِن يدِه ، ثُم أخَذ سيفَه ، ثُم تقدَّم فقاتَل حتى قُتِل ، رضى اللَّهُ عنه . قال : ثُم أخَذ الرايةَ ثابتُ بنُ أقْرَمَ ، أخو بنى العَجْلانِ ، فقال : يا معشرَ المسلمينَ ، اصطَلِحوا على رجلٍ منكم . قالوا : أنت . قال : ما أنا بفاعلٍ . فاصطَلَح الناسُ على خالدِ بنِ الوليدِ ، فلما أخَذ الرايةَ دافع القومَ وحاشى[4] بهم ، ثم انحاز وانْحِيز عنه حتى انصَرف بالناسِ .

قال ابنُ إسحاقَ[5] : ولما أُصِيب القومُ ، قال رسولُ اللَّهِ ﷺ ، فيما بلَغنى :

---

(١) يقال : أجلب القوم : إذا صاحوا واجتمعوا . والرنة : صوت فيه ترجيع شِبهُ البكاء . شرح غريب السيرة ٣/ ٦٣.

(٢) النطفة : القليل من الماء . والشنة : السِّقاء البالى . فيوشك أن تُهَراق النطفة ، وينخرق السقاء . ضرب ذلك مثلًا لنفسه فى جسده . الروض الأنف ٧/ ٣٦.

(٣) الحطمة : صوت ازدحام الناس . انظر اللسان (ح ط م) .

(٤) فى م : « خاشى » . قال السهيلى : المحاشاة : المحاجزة ، وهى مفاعلة من الخشية ؛ لأنه خشى على المسلمين لقلة عددهم . ومن رواه : حاشى ، فهو من الحَشَى ، وهى الناحية . الروض الأنف ٧/ ٤١. وقال ابن قتيبة فى المعارف ص ١٦٣: حاشى بهم ، يعنى اتَّقى بهم .

(٥) سيرة ابن هشام ٢/ ٣٨٠ .

« أَخَذ الرايةَ زيدُ بنُ حارثةَ ، فقاتَل بها حتى قُتِل شهيدًا ، ثُم أخَذها جعفرٌ ، فقاتَل بها حتى قُتِل شهيدًا » . قال : ثُم صمَت رسولُ اللَّهِ ﷺ حتى تغيَّرَتْ وجوهُ الأنصارِ ، وظَنُّوا أنه قد كان فى عبدِ اللَّهِ بنِ رَواحةَ بعضُ ما يَكْرَهون ، ثُم قال : « ثم أخَذها عبدُ اللَّهِ بنُ رَواحةَ ، فقاتَل بها حتى قُتِل شهيدًا » . ثُم قال : « لقد رُفِعوا إلىَّ فى[1] الجنةِ ، فيما يَرَى النائمُ ، على سُرُرٍ مِن ذهبٍ ، فرأَيْتُ فى سَريرِ عبدِ اللَّهِ بنِ رَواحةَ ازْوِرارًا[2] عن سَريرَىْ صاحبَيْه ، فقلتُ : عَمَّ هذا ؟ » . فقيل لى : مَضَيا ، وترَدَّد عبدُ اللَّهِ بنُ رَواحةَ بعضَ التَّرَدُّدِ ثُم مضَى . هكذا ذكَر ابنُ إسحاقَ هذا مُنْقَطِعًا .

وقد قال البخارىُّ[3] : ثنا أحمدُ بنُ واقدٍ ، ثنا حمَّادُ بنُ زيدٍ ، عن أيوبَ ، عن حُمَيْدِ بنِ هِلالٍ ، عن أنسِ بنِ مالكٍ ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ نعَى زيدًا وجعفرًا وابنَ رَواحةَ للناسِ ، قبلَ أن يَأْتِيَهم خبرُهم[4] ، فقال : « أخَذ الرايةَ زيدٌ فأُصِيب ، ثُم أخَذها جعفرٌ فأُصِيب ، ثُم أخَذها ابنُ رَواحةَ فأُصِيب - وعَيْناه تَذْرِفان - حتى أخَذ الرايةَ سيفٌ مِن سُيوفِ اللَّهِ ، حتى فتَح اللَّهُ عليهم » . تفرَّد به البخارىُّ[5] ، ورَواه فى موضعٍ آخرَ[6] ، وقال فيه وهو على المنبرِ : « وما

---

(١) سقط من : م .

(٢) الازورار : الميل والعوج . شرح غريب السيرة ٣/ ٦٣ .

(٣) البخارى (٤٢٦٢) .

(٤) فى الأصل ، م ، ص : « خبر » .

(٥) قول المصنف : تفرد به البخارى . ليس كما قال ، فقد رواه النسائى فى الجنائز ، عن إسحاق بن إبراهيم ، عن سليمان بن حرب عن حماد به مختصرًا . سنن النسائى (١٨٧٧) . وانظر تحفة الأشراف ١/ ٢١٥ ، وجامع المسانيد ٢٢/ ٢٧٣ .

(٦) البخارى (٢٧٩٨ ، ٣٠٦٣) .

يَسُرُّهم أنهم عندَنا » .

وقال البخاريُّ[1] : ثنا أحمدُ بنُ أبى بكرٍ[2] ، ثنا مُغيرةُ بنُ عبدِ الرحمنِ - المَخْزوميُّ[3] ، وليس بالحِزاميِّ[4] - عن عبدِ اللَّهِ بنِ سعيدٍ ، عن نافعٍ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ عمرَ قال : أَمَّر رسولُ اللَّهِ ﷺ فى غزوةِ مُؤْتةَ زيدَ بنَ حارثةَ ، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : [٣/١٠٤ظ] « إن قُتِل زيدٌ فجعفرٌ ، وإن قُتِل جعفرٌ فعبدُ اللَّهِ بنُ رَواحةَ » . قال عبدُ اللَّهِ : كنتُ فيهم فى تلك الغزوةِ ، فالْتَمَسْنا جعفرَ بنَ أبى طالبٍ ، فوجَدْناه فى القَتْلَى ، ووجَدْنا فى جسدِه بضعًا وتسعين مِن طعنةٍ[5] ورَمْيةٍ . تفرَّد به البخاريُّ أيضًا .

وقال البخاريُّ أيضًا[6] : حدَّثنا أحمدُ ، ثنا ابنُ وهبٍ ، عن [7]عمرٍو ، عن ابنِ أبى هِلالٍ[7] - هو سعيدُ بنُ أبى هِلالٍ اللَّيْثىُّ - قال[8] : وأخبرَنى نافعٌ أن ابنَ عمرَ أخبرَه أنه وقَف على جعفرِ بنِ أبى طالبٍ يومَئذٍ وهو قتيلٌ ، فعَدَدْتُ به

---

(١) البخارى (٤٢٦١) .

(٢) فى م : « بكير » . وانظر تهذيب الكمال ١/ ٢٧٨.

(٣) هذه النسبة إضافة من المصنف نقلا عن شيخه المزى ، وليست فى صحيح البخارى . وانظر الحاشية القادمة .

(٤) سقط من : ٤١. وفى الأصل ، م : « الحرامى » . وفى ص : « الخزامى » . والمثبت من تحفة الأشراف ٦/ ١٠٦. وانظر ترجمة الحزامى هذا فى تهذيب الكمال ٢٨/ ٣٨٧. وترجمة المخزومى فى المصدر نفسه ٢٨/ ٣٨١.

(٥) فى الأصل ، م : « ضربة » .

(٦) البخارى (٤٢٦٠) .

(٧ - ٧) سقط من : ٤١. وفى الأصل ، م : « ابن عمرو عن أبى هلال » . وفى ص : « عمرو بن أبى هلال » . والمثبت من صحيح البخارى . وعمرٌو هو ابن الحارث بن يعقوب بن عبد اللَّه الأنصارى . تهذيب الكمال ٢١/ ٥٧٠.

(٨) فى م : « قالا » .

خمسين، بينَ طعنةٍ وضربةٍ، ليس منها شيءٌ فى دُبُره[1]. وهذا أيضًا مِن أفرادِ البخاريِّ. ووجهُ الجَمعِ بينَ هذه الروايةِ والتى قبلَها، أنَّ ابنَ عمرَ، رضى اللَّهُ عنهما، اطَّلَع على هذا العددِ، وغيرَه اطَّلَع على أكثرَ مِن ذلك. أو[2] أنَّ هذه فى قُبُلِه أُصيبَها قبلَ أنْ يُقتَلَ، فلمَّا صُرِع إلى الأرضِ، ضرَبوه أيضًا ضرَباتٍ فى ظهرِه، فعدَّ ابنُ عمرَ ما كان فى قُبُلِه وهو فى وجوهِ الأعداءِ قبلَ أنْ يُقْتَلَ، رَضِى اللَّهُ عنه.

ومما يَشهَدُ لِمَا ذكَره ابنُ هشامٍ مِن قطعِ يمينِه وهى مُمْسِكةٌ اللواءَ، ثُم شِمالِه، ما روَاه البخاريُّ[3]، ثنا محمدُ بنُ أبى بكرٍ، ثنا عمرُ بنُ علىٍّ، عن إسماعيلَ ابنِ أبى خالدٍ[4]، عن عامرٍ قال: كان ابنُ عمرَ إذا حَيَّا ابنَ جعفرٍ قال: السلامُ عليك يا بنَ ذى الجَناحيْن. ورَواه أيضًا فى المناقبِ، والنسائىُّ مِن حديثِ يزيدَ ابنِ هارونَ، عن إسماعيلَ بنِ أبى خالدٍ به[5].

وقال البخاريُّ[6]: ثنا أبو نُعَيْمٍ، ثنا سفيانُ، عن[7] إسماعيلَ، عن قيسِ بنِ أبى حازمٍ قال: سِمعْتُ خالدَ بنَ الوليدِ يقولُ: لقد انقَطَعتْ[8] فى يَدى يومَ مُؤْتَةَ تسعةُ أسيافٍ، فما بَقِىَ فى يَدى إلَّا صفيحةٌ[9] يمانِيَةٌ.

---

(١) فى دبره: يعنى فى ظهره. كما جاء بعده فى صحيح البخارى.
(٢) فى الأصل، ا ٤، م: «و».
(٣) البخارى (٣٧٠٩، ٤٢٦٤).
(٤) فى الأصل، م: «خلاد». وانظر تهذيب الكمال ٣/ ٦٩.
(٥) البخارى (٣٧٠٩)، والنسائى فى الكبرى (٨١٥٨).
(٦) البخارى (٤٢٦٥).
(٧) فى م: «بن».
(٨) فى الأصل، م: «دق».
(٩) فى الأصل، م، ص: «صفحة».

ثُم رَواه[1] عن محمدِ بنِ المُثَنَّى ، عن يحيى ، عن[2] إسماعيلَ ، حدَّثنى قيسٌ ، سَمِعْتُ خالدَ بنَ الوليدِ يقولُ : لقد دُقَّ فى يَدى يَومَ مُؤْتَةَ تسعةُ أسيافٍ ، وصَبَرَتْ فى يَدى صفيحةٌ يَمانِيَةٌ . انفرَد به البخاريُّ .

قال الحافظُ أبو بكرٍ البيهقىُّ[3] : أخبَرَنا أبو نَصْرِ بنُ قَتادةَ ، أخبَرَنا أبو عمرِو ابنُ[4] مَطَرٍ ، ثنا أبو خليفةَ الفَضْلُ بنُ الحُبابِ الجُمَحِىُّ ، ثنا سليمانُ بنُ حربٍ ، ثنا الأسودُ بنُ شَيْبانَ ، عن خالدِ بنِ سُمَيْرٍ قال : قَدِم علينا عبدُ اللَّهِ بنُ رَباحٍ الأنصارىُّ ، وكانت الأنصارُ تُفَقِّهُه ، فغَشِيَه الناسُ ، فغَشِيتُه فى مَن غَشِيه فقال : حدَّثَنا[4] أبو قتادةَ ، فارسُ رسولِ اللَّهِ ﷺ قال : بَعَث رسولُ اللَّهِ ﷺ جيشَ الأُمراءِ ، وقال : « عليكم زيدُ بنُ حارثةَ ، [٣/١٠٥و] فإن[5] أُصِيب زيدٌ فجعفرٌ ، فإن أُصِيب جعفرٌ فعبدُ اللَّهِ بنُ رَواحةَ » . قال : فوثَب جعفرٌ وقال : يارسولَ اللَّهِ ، ما كنتُ أَرْهَبُ أن تَستَعمِلَ زيدًا علىَّ . قال : « امضِ ، فإنَّك لا تَدْرِى أىُّ ذلك خيرٌ » . فانطَلَقوا ، فلَبِثوا ما شاء اللَّهُ ، فصَعِد رسولُ اللَّهِ ﷺ المنبرَ ، فأمَر فنُودِىَ : الصلاةُ جامعةٌ . فاجتَمع الناسُ إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ فقال : « أُخبِرُكم عن جيشِكم هذا ؛ إنَّهم انطلَقوا فلَقُوا العدوَّ ، فقُتِل زيدٌ شهيدًا - فاستغفَر له - ثمُ أخَذ اللواءَ جعفرٌ ، فشدَّ على القومِ حتى قُتِل شهيدًا - شَهِد له بالشهادةِ ، واستَغفَر له - ثُم أخَذ اللواءَ عبدُ اللَّهِ بنُ رواحةَ ، فأَثْبَت قدَمَيه حتى

---

(١) أى البخارى (٤٢٦٦) .

(٢) فى م : « بن » .

(٣) دلائل النبوة ٤/ ٣٦٧، ٣٦٨.

(٤) سقط من : م .

(٥) فى الأصل ، ٤١، م : « وقال إن » .

قُتِل شهيدًا - فاستغفر له - ثُم أخَذ اللواءَ خالدُ بنُ الوليدِ ولم يَكُنْ مِن الأُمراءِ، هو أمَّر نفسَه». ثُم قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «اللهمَّ إنه سيفٌ مِن سيوفِك، فأنت تَنْصُرُه». فمِن يومئذٍ سُمِّىَ خالدٌ سيفَ اللَّهِ. ورَواه النسائىُّ مِن حديثِ عبدِ اللَّهِ بنِ المباركِ، عن الأسودِ بنِ شيبانَ، به نحوَه[1]. وفيه زيادةٌ حسنةٌ، وهو أنه، عليه الصلاةُ والسلامُ، لمَّا اجتمَع إليه الناسُ قال: «ثابَ خبرٌ، ثابَ خبرٌ»[2]. وذكَر الحديثَ.

وقال الواقدىُّ[3]: حدَّثنى عبدُ الجبارِ بنُ عُمارةَ بنِ غَزِيَّةَ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ أبى بكرِ بنِ عمرِو بنِ حَزْمٍ قال: لمَّا التقَى الناسُ بمؤتةَ، جلَس رسولُ اللَّهِ ﷺ على المنبرِ، وكشَف اللَّهُ له ما بينَه وبينَ الشامِ، فهو يَنْظُرُ إلى مُعْتَرَكِهم، فقال: «أخَذ الرايةَ زيدُ بنُ حارثةَ، فجاءه الشيطانُ، فحبَّب إليه الحياةَ، وكرَّه إليه الموتَ، وحبَّب إليه الدُّنيا، فقال: الآنَ حينَ[4] استحْكَم الإيمانُ فى قلوبِ المؤمنين، تُحبِّبُ إلىَّ الدُّنيا؟! فمضَى قُدُمًا حتى استُشْهِد». فصلَّى عليه رسولُ اللَّهِ ﷺ، وقال: «استغفِروا له، فقد دخَل الجنةَ، وهو يَسْعَى[5]».

قال الواقدىُّ[6]: وحدَّثنى محمدُ بنُ صالحٍ، عن عاصمِ بنِ عمرَ بنِ قتادةَ،

---

(١) النسائى فى الكبرى (٨١٥٩).

(٢) فى النسخ: «باب خير باب خير». والمثبت من سنن النسائى. وثاب: أى رجع. انظر النهاية ١/ ٢٢٧.

(٣) مغازى الواقدى ٢/ ٧٦١، ٧٦٢. وأخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٤/ ٣٦٨، ٣٦٩، من طريق الواقدى به.

(٤) سقط من النسخ. والمثبت من المغازى والدلائل.

(٥) فى النسخ: «شهيد». والمثبت من مصدرى التخريج.

(٦) مغازى الواقدى ٢/ ٧٦١، ٧٦٢. وأخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٤/ ٣٦٩، من طريق الواقدى به.

أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال: «لمَّا قُتِل زيدٌ أخَذ الرايةَ جعفرُ بنُ أبى طالبٍ، فجاءَه الشيطانُ، فحبَّب إليه الحياةَ، وكرَّه إليه الموتَ، ومنَّاه الدُّنيا، فقال: الآنَ حينَ استَحكَم الإيمانُ فى قلوبِ المؤمنين تُمَنِّينى الدنيا؟! ثم مضَى قُدُمًا حتى استُشْهِد». فصلَّى عليه رسولُ اللَّهِ ﷺ، ثم قال: «استَغفِروا لأخِيكم، فإنَّه شهيدٌ، دخَل الجنةَ، فهو يَطِيرُ فى الجنةِ بجَناحيْن مِن ياقوتٍ، حيثُ يشاءُ من[1] الجنةِ». قال: [٣/١٠٥ظ] «ثُم أخَذ الرايةَ عبدُ اللَّهِ بنُ رَواحةَ، فاستُشْهِد، ثُم دخَل الجنةَ مُعْتَرِضًا». فشَقَّ ذلك على الأنصارِ، فقِيل: يا رسولَ اللَّهِ، ما اعترَضه؟ قال: «لمَّا أصابتْه الجِراحُ نكَل، فعاتَب نفسَه فتشَجَّع، واستُشْهِد فدخَل الجنةَ». فسُرِّىَ عن قومِه.

قال الواقدىُّ[2]: وحدَّثنى عبدُ اللَّهِ بنُ الحارثِ بنِ الفُضَيْلِ، عن أبيه قال: لمَّا أخَذ خالدُ بنُ الوليدِ الرايةَ، قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «الآنَ حَمِيَ الوَطِيسُ».

قال الواقدىُّ[3]: فحدَّثنى العَطَّافُ بنُ خالدٍ قال: لمَّا قُتِل ابنُ رواحةَ مساءً، بات خالدُ بنُ الوليدِ، فلمَّا أصبح، غَدَا وقد جعَل مُقَدِّمتَه ساقتَه، وساقتَه مُقَدِّمتَه، ومَيْمَنَتَه مَيْسَرتَه. قال: فأنكَروا[4] ما كانوا يَعْرِفون مِن راياتِهم وهيئتِهم، وقالوا: قد جاءَهم مَدَدٌ. فرُعِبوا وانكشَفوا مُنهَزِمين. قال: فقُتِلوا مَقْتَلَةً لم يُقْتَلْها قومٌ. وهذا يُوافِقُ ما ذكَره موسى بنُ عقبةَ، رحِمه اللَّهُ، فى

---

(١) فى م: «فى».

(٢) مغازى الواقدى ٢/ ٧٦٤. وأخرجه البيهقى فى الدلائل ٤/٣٦٩ ، من طريق الواقدى به.

(٣) مغازى الواقدى ٢/ ٧٦٤. وأخرجه البيهقى فى الدلائل ٤/ ٣٦٩، ٣٧٠ ، من طريق الواقدى به.

(٤) أى الروم وأعوانهم.

« مغازِيه »[1] ، فإنَّه قال بعدَ عمرةِ الحُدَيبِيَةِ : ثُم صدَر رسولُ اللَّهِ ﷺ إلى المدينةِ ، فمكَث بها ستةَ أشهرٍ ، ثُم إنه بعَث جيشًا إلى مؤتة ، وأَمَّرَ عليهم زيدَ ابنَ حارثةَ ، وقال : « إنْ أُصِيب فجعفرُ بنُ أبى طالبٍ أميرُهم ، فإن أُصِيب جعفرٌ فعبدُ اللَّهِ بنُ رَواحةَ أميرُهم » . فانطلَقوا ، حتى لَقُوا ابنَ أبى سَبْرةَ الغَسَّانىَّ بمؤتةَ ، وبها جموعٌ مِن نَصارَى العربِ والرومِ ، بها[2] تَنُوخُ وبَهْراءُ ، فأغْلَق ابنُ أبى سبرةَ دونَ المسلمين الحصنَ ثلاثةَ أيامٍ ، ثُم [3]خرَجوا فالتقَوْا[3] على [رَدَغٍ[4]] أحمرَ ، فاقتَتلوا قتالًا شديدًا ، فأخَذ اللواءَ زيدُ بنُ حارثةَ فقُتِل ، ثُم أخَذه جعفرٌ فقُتِل ، ثُم أخَذه عبدُ اللَّهِ بنُ رواحةَ فقُتِل ، ثُم اصطلَح المسلمون بعدَ أُمراءِ رسولِ اللَّهِ ﷺ على خالدِ بنِ الوليدِ المخزومىِّ ، فهزَم اللَّهُ العدوَّ ، وأظهَر المسلمين . قال : [5]وبعَثهم رسولُ اللَّهِ ﷺ فى جُمادَى الأولى ، يَعنى سنةَ ثمانٍ[5] . قال موسى بنُ عقبةَ : وزعَموا أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال : « مرَّ علىَّ جعفرٌ فى الملائِكةِ ، يَطِيرُ كما يَطِيرون ، له جَناحان » . قال : وزعَموا ، واللَّهُ أعلمُ ، أنَّ يَعْلَى بنَ أُمَيَّةَ[6] قَدِم على رسولِ اللَّهِ ﷺ بخبرِ أهلِ مؤتةَ ، فقال له رسولُ اللَّهِ ﷺ : « إن شئتَ فأَخْبِرْنى ، وإن شئتَ أَخبرتُك » . قال : أَخْبِرْنى يا

---

(١) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٤/ ٣٦٤، ٣٦٥ ، عن موسى بن عقبة .
(٢) زيادة من النسخ .
(٣ - ٣) فى الأصل ، م : « التقوا » .
(٤) فى الأصل ، م : « زرع » . وفى ٤١، ص : « ردع » . وفى الدلائل : « ذرع » . والمثبت ما يقتضيه السياق . والردغ : طين ووحل كثير . انظر النهاية ٢/ ٢١٥.
(٥ - ٥) سقط من : ٤١ . وفى ص غير واضحة . وفى الدلائل : « ونعتهم رسول الله ﷺ » . وانظر ما تقدم عن عروة فى الدلائل ٤/٣٥٨ ، ٣٥٩ .
(٦) فى الدلائل : « مُنْيَة » . وهو صواب أيضًا . فمنية أمه ، وقيل : أم أبيه . انظر الإصابة ٦/ ٦٨٥.

رسولَ اللَّهِ . قال : فأخبرَهم رسولُ اللَّهِ ﷺ خبرَهم كلَّه ، ووصَفه لهم . فقال : والذى بعَثك بالحقِّ ما ترَكْتَ مِن حديثِهم حرفًا لم تَذْكُرْه ، وإنَّ أمرَهم لكما ذكرْتَ . [٣/١٠٦و] فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « إنَّ اللَّهَ رفَع لىَ الأرضَ حتى رأيتُ مُعْتَرَكَهم » .

فهذا السياقُ فيه فوائدُ كثيرةٌ ليستْ عندَ ابنِ إسحاقَ ، وفيه مخالَفةٌ لِمَا ذكَره ابنُ إسحاقَ ، مِن أنَّ خالدًا إنَّما حاشَى بالقومِ ، حتى تخَلَّصوا مِن الرومِ وعربِ النصارَى فقط ، وموسى بنُ عقبةَ والواقدىُّ مُصَرِّحان بأنهم هزَموا جُموعَ الرومِ والعربِ الذين معهم ، وهو ظاهرُ الحديثِ المتقدمِ[(١)] عن أنسٍ مرفوعًا : « ثُم أخَذ الرايةَ سيفٌ مِن سُيوفِ اللَّهِ ، ففتَح اللَّهُ على يديه » . رَواه البخارىُّ . وهذا هو الذى رَجَّحه ومال إليه الحافظُ البيهقىُّ[(٢)] بعدَ حكايةِ القولين ؛ لِمَا ذكَره مِن الحديثِ .

[(٣)]قلتُ : ويُمْكِنُ الجمعُ بينَ قولِ ابنِ إسحاقَ وبينَ قولِ الباقين ، وهو[(٤)] أن خالدًا لمَّا أخَذ الرايةَ حاشَى بالقومِ المسلمين ، حتى خلَّصهم مِن أيدى الكافرين مِن الرومِ والمُسْتَعْرِبةِ ، فلمَّا أصْبح وحوَّل الجيشَ مَيْمنةً ومَيْسرةً ، ومُقَدِّمةً وساقةً ، كما ذكَره الواقدىُّ ، توَهَّم الرومُ أن ذلك عن مَدَدٍ جاء إلى المسلمين ، فلما حمَل عليهم خالدٌ ، هزَموهم بإذنِ اللَّهِ . واللَّهُ أعلمُ[(٣)] .

---

(١) تقدم بتخريجه ص ٤٢٣ حاشية (٣) .

(٢) دلائل النبوة ٤/ ٣٧٥.

(٣ - ٣) سقط من : ا ٤، ص .

(٤) يعنى المصنف بقوله : « وهو » . أى وهذا الجمع هو .

ولكن قال ابنُ إسحاقَ[1] : حدَّثنى محمدُ بنُ جعفرٍ ، عن عروةَ قال : لمَّا أقْبَل أصحابُ مُؤْتةَ ، تَلَقَّاهم رسولُ اللَّهِ ﷺ والمسلمون معه . [2]قال : ولَقِيَهم الصِّبيانُ يَشْتَدُّون ، ورسولُ اللَّهِ ﷺ مُقْبِلٌ مع القومِ على دابةٍ ، فقال : « خُذوا الصِّبيانَ فاحْمِلوهم ، وأعْطونى ابنَ جعفرٍ » . فأُتِىَ بعبدِ اللَّهِ ، فأخَذه فحمَله بين يديه[2] . [3]قال : وجَعَل الناسُ[3] يَحْثون عليهم بالترابِ ويقولون : يا فُرَّارُ ، فَرَرْتُم فى سبيلِ اللَّهِ ؟! . فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « ليسوا بالفُرَّارِ ، ولكنهم الكُرَّارُ إن شاء اللَّهُ تعالى » . وهذا مُرْسَلٌ مِن هذا الوجهِ ، وفيه غرابةٌ . [4]وعندى ، أن ابنَ إسحاقَ قد وَهِم فى هذا السياقِ ، فظنَّ أن هذا لجمهورِ[5] الجيشِ ، وإنما كان للذين فَرُّوا حينَ الْتَقَى الجَمْعانِ ، وأما بقيَّتُهم فلم يَفِرُّوا ، بل نُصِروا ، كما أخْبَر بذلك رسولُ اللَّهِ ﷺ المسلمين وهو على المنبرِ ، فى قولِه : « ثم أخَذ الرايةَ سيفٌ مِن سُيوفِ اللَّهِ ، ففتَح اللَّهُ على يديه » . فما كان المسلمون لِيُسَمُّوهم فُرَّارًا بعدَ ذلك ، وإنما تلَقَّوْهم ؛ إكرامًا لهم[6] وإعْظامًا ، وإنما كان التأنيبُ وحَثْىُ الترابِ للذين فَرُّوا وترَكوهم هنالك ، وقد كان فيهم عبدُ اللَّهِ بنُ عمرَ ، رضى اللَّهُ عنهما[4] .

وقد قال الإمامُ أحمدُ[7] : حدَّثنا حسنٌ ، ثنا زُهَيْرٌ ، ثنا يزيدُ بنُ أبى زِيادٍ ،

---

(1) سيرة ابن هشام ٢/ ٣٨٢.

(٢ - ٢) سقط من : الأصل ، ١ ٤ ، ص .

(٣ - ٣) فى النسخ : « فجعلوا » . والمثبت من السيرة .

(٤ - ٤) سقط من : ١ ٤ ، ص .

(٥) فى م : « الجمهور » .

(٦) سقط من : م .

(٧) المسند ٢/ ٧٠. (إسناده صحيح) .

عن عبدِ الرحمنِ بنِ أبى لَيْلَى ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ عمرَ قال : كنتُ فى سريةٍ مِن سَرايا رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فحاصَ الناسُ حَيْصَةً[1] ، وكنتُ فيمن حاصَ ، فقُلْنا : كيف [٣/١٠٦ظ] نَصْنَعُ وقد فرَرْنا مِن الزحفِ وبُؤْنا بالغضبِ ؟ ثم قلنا : لو دَخَلْنا المدينةَ فبِتْنا[2] . ثم قلنا : لو عرَضْنا أنفسَنا على رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فإن كانت لنا توبةٌ ، وإلَّا ذَهَبْنا . فأتَيْناه قبلَ صلاةِ الغَداةِ ، فخرَج فقال : « مَن القومُ ؟ » قال : فقُلْنا : نحن الفَرَّارون[3] . فقال : « لا ، بل أنتم العَكَّارون[4] ، أنا فِئَتُكم ، وأنا فِئَةُ المسلمين » . قال : فأتَيْناه حتى قَبَّلْنا يدَه .

ثُم رَواه[5] عن[6] غُنْدَرٍ ، عن شُعْبَةَ ، عن يزيدَ بنِ أبى زِيادٍ ، عن ابنِ أبى ليلى ، عن ابنِ عمرَ قال : كُنّا فى سَرِيَّةٍ ففَرَرْنا ، فأرَدْنا أن نرْكَبَ البحرَ ، فأتَيْنا رسولَ اللَّهِ ﷺ فقُلْنا : يارسولَ اللَّهِ ، نحن الفَرَّارون . فقال : « لا ، بل أنتم العَكَّارون » . [7]ورَواه أبو داودَ ، والترمذىُّ[7] ، وابنُ ماجه مِن حديثِ يزيدَ بنِ أبى زِيادٍ[8] ، وقال الترمذىُّ : حسنٌ ، لا نَعْرِفُه إلَّا مِن حديثِه .

وقال أحمدُ[9] : حدَّثنا إسحاقُ بنُ عيسى وأسودُ بنُ عامرٍ قالا : حدَّثنا

---

(١) فحاص الناس حيصة : أى جالوا جولة يطلبون الفرار . والمحيص : المهرب والمحيد . ويروى أيضا بالجيم والضاد المعجمة « فجاض ... جيضة » النهاية ١/ ٣٢٤، ٤٦٨.

(٢) فى الأصل ، م ، ص : « قتلنا » .

(٣) فى الأصل ، م : « فرارون » .

(٤) فى الأصل ، ا ٤١، م : « الكرارون » . والعكارون : أى الكرارون إلى الحرب والعَطَّافون نحوها . يقال للرجل يولِّى عن الحرب ثم يكُرُّ راجعًا إليها : عكَر واعْتَكر . النهاية ٣/ ٢٨٣.

(٥) أى أحمد . المسند ٢/ ٨٦. (إسناده صحيح) .

(٦) سقط من : الأصل ، م .

(٧ - ٧) فى م : « رواه الترمذى » .

(٨) أبو داود (٢٦٤٧، ٥٢٢٣) ، والترمذى (١٧١٦) ، وابن ماجه (٣٧٠٤) .

(٩) المسند ٢/ ١١٠، ١١١. (إسناده صحيح) .

شَرِيكٌ ، عن يزيدَ بنِ أبى زِيادٍ ، عن عبدِ الرحمنِ بنِ أبى لَيْلَى ، عن ابنِ عمرَ قال : بَعَثَنا رسولُ اللَّهِ ﷺ فى سريَّةٍ ، فلمَّا لَقِينا العدُوَّ انْهَزَمْنا فى أولِ غَادِيَةٍ[(١)] ، فقدِمْنا المدينةَ فى نفرٍ ليلًا فاختَفَيْنا ، ثُم قلْنا : لو خَرَجْنا إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ واعْتَذَرْنا إليه . فخرَجْنا إليه ، [(٢)]فلمَّا لَقِيناه[(٢)] قلْنا : نحن الفَرَّارون يا رسولَ اللَّهِ . قال : « بل أنتم العَكَّارون ، وأنا فِئَتُكم » . قال الأسودُ : « وأنا فِئَةُ كلِّ مسلمٍ » .

وقال ابنُ إسحاقَ[(٣)] : حدَّثنى عبدُ اللَّهِ بنُ أبى بكرِ بنِ عمرِو بنِ حَزْمٍ ، عن عامرِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ الزُّبيرِ ، [(٤)]عن بعضِ آلِ الحارثِ بنِ هشامٍ ، وهم أخوالُه[(٤)] أنَّ أمَّ سَلَمَةَ زوجَ النبيِّ ﷺ قالت لامرأةِ سَلَمَةَ بنِ هشامٍ [(٥)]بنِ المُغيرةِ[(٥)] : ما لى لا أَرَى سَلَمَةَ يَحْضُرُ الصلاةَ مع رسولِ اللَّهِ ﷺ ومع المسلمين؟ قالت : ما يَسْتَطِيعُ أن يخرُجَ ، كلَّما خَرَج صاح به الناسُ : يا فُرَّارُ ، فَرَرْتُم فى سبيلِ اللَّهِ ؟! حتى قَعَد فى بيتِه ما يخرُجُ . وكان فى غَزاةِ مُؤْتَةَ .

قلتُ : لعلَّ طائفةً منهم فَرُّوا لمَّا عايَنوا كثرةَ جُموعِ العدُوِّ ، [(٦)]وكانوا أكثرَ منهم بأضعافٍ مُضاعَفَةٍ ؛ فإنَّ الصحابةَ ، رَضِىَ اللَّهُ عنهم ، كانوا ثلاثةَ[(٦)]

---

(١) كذا فى النسخ . وفى المسند : « عادية » . قال الشيخ أحمد شاكر فى شرح المسند ٨/ ١٥٣: وفى نسخة بهامش م : « غادية » بالغين المعجمة . اهـ .

والعادية : الخيل تعدو . والغادية من الغُدُوّ وهو سَيْر أول النهار ، نقيضُ الرّواح . انظر النهاية ٣/ ١٩٤، ٣٤٦.

(٢ - ٢) فى الأصل ، م : « ثم التقينا » .

(٣) سيرة ابن هشام ٢/ ٣٨٢، ٣٨٣.

(٤ - ٤) سقط من النسخ . والمثبت من السيرة .

(٥ - ٥) كذا فى النسخ . وفى السيرة : « بن العاص بن المغيرة » . وانظر الاستيعاب ٢/ ٦٤٣، وأسد الغابة ٢/ ٤٣٥، والإصابة ٣/ ١٥٥.

(٦ - ٦) زيادة من : ٤١، ص .

(١) آلافِ، وكان العدوُّ(١) - على ما ذكَروه - مائتَىْ ألفٍ، ومثلُ هذا يُسَوِّغُ الفِرارَ، على ما قد تقرَّر، فلمَّا فرَّ هؤلاءِ، ثَبَت باقيهم، وفتَح اللَّهُ عليهم، وتَخَلَّصوا مِن أيدى أولئك، وقتَّلوا منهم مَقْتَلةً عَظيمةً، كما ذكَره الواقدىُّ وموسى بنُ عقبةَ مِن قبلِه.

ويُؤَيِّدُ ذلك ويُشاكِلُه بالصحةِ، ما رَواه الإمامُ أحمدُ(٢): حدَّثنا الوليدُ بنُ مسلمٍ، حدَّثنى صَفْوانُ بنُ عمرٍو، عن عبدِ الرحمنِ بنِ جُبَيْرِ بنِ [١٠٧/٣و] نُفَيْرٍ، عن أبيه، عن عوفِ بنِ مالكٍ الأشْجعىِّ قال: خرَجْتُ مع مَن خرَج مع زيدِ بنِ حارثةَ مِن المسلمين، فى غزوةِ مُؤْتَةَ، (٣)ورافَقَنى مَدَدِىٌّ(٣) مِن اليمنِ، ليس معه غيرُ سيفِه، فنَحَر رجلٌ مِن المسلمين جَزُورًا، فسأله المَدَدِىُّ(٤) طائِفَةً(٥) مِن جِلْدِه، فأعْطاه إيَّاه، فاتَّخذه كهيئةِ الدَّرَقةِ(٦)، ومَضَيْنا فلَقِينا جموعَ الرومِ، وفيهم رجلٌ على فرسٍ له أشْقَرَ، عليه سَرْجٌ مذهَّبٌ وسلاحٌ مُذَهَّبٌ، فجعل الرومىُّ يُغْرِى(٧) بالمسلمين، وقَعَد له المَدَدِىُّ خلفَ صخرةٍ، فمرَّ به الرومىُّ (٨)فعَرْقَب فرسَه(٨)، فخرَّ وعلاه، فقَتَلَه، وحاز فرسَه وسلاحَه، فلمَّا فتَح اللَّهُ

(١ - ١) زيادة من: ا ٤، ص.
(٢) المسند ٦/ ٢٧، ٢٨.
(٣ - ٣) فى الأصل: «مددى». وفى م: «ومدوى». وفى ص: «ووافقنى مدرى». والمددى منسوب إلى المَدَد، وهم الأعوان والأنصار الذين كانوا يَمُدُّون المسلمين فى الجهاد. انظر النهاية ٤/ ٣٠٨.
(٤) هنا وفيما يأتى فى م: «المدوى».
(٥) فى الأصل: «طابعة». وفى م: «طابقة».
(٦) فى المسند: «الدرق». والدرقة: الترس من جلد ليس فيه خشب ولا عقب.
(٧) فى الأصل، م: «يغزى».
(٨ - ٨) فى الأصل، م: «فعرقبه». وعرقب فرسه: أى قطع عُرْقُوبه، وهو الوتر الذى خلف الكعبين بين مفصل القدم والساق من ذوات الأربع، وهو من الإنسان فُوَيق العَقِب. انظر النهاية ٣/ ٢٢١.

للمسلمين ، بَعَث إليه خالدُ بنُ الوليدِ (١فأَخَذ منه١) السَّلَبَ . قال عَوْفٌ : فأتَيْتُه فقلتُ : يا خالدُ ، أمَا عَلِمْتَ أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قَضَى بالسَّلَبِ للقاتلِ ؟ قال : بلى ، ولكنِّى اسْتَكْثَرْتُه(٢) . فقلتُ : لتَرُدَّنَّه إليه أو لأُعَرِّفَنَّكَها عندَ رسولِ اللَّهِ ﷺ . فأبى أن يَرُدَّ عليه ، قال عوفٌ : فاجْتَمَعْنا عندَ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فقصَصْتُ عليه قصةَ المددِىِّ وما فَعَل خالدٌ(٣) ، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « يا خالدُ ، رُدَّ عليه ما أخَذْتَ منه » . قال عوفٌ : فقلتُ : دُونَك يا خالدُ ، ألم أفِ لك ؟! فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « وما ذاك؟ » فأخْبَرْتُه ، فغضِب رسولُ اللَّهِ ﷺ وقال : « يا خالدُ ، لا تَرُدَّ عليه ، هل أنتم تارِكُو لى(٤) أُمَرائى ، لكم صِفْوةُ(٥) أمْرِهم ، وعليهم كَدَرُه » . قال الوليدُ : سأَلْتُ ثَوْرًا عن هذا الحديثِ ، فحدَّثنى عن خالدِ بنِ مَعْدانَ ، عن جُبَيْرِ بنِ نُفَيْرٍ ، عن عوفٍ ، بنحوِه . ورَواه مسلمٌ وأبو داودَ ، مِن حديثِ جُبَيْرِ بنِ نُفَيْرٍ ، عن عوفِ بنِ مالكٍ ، به(٦) نحوَه .

وهذا يَقْتَضى أنَّهم غَنِموا منهم ، وسَلَبوا مِن أشرافِهم ، وقَتَلوا مِن أُمرائِهم ، وقد تقدَّم(٧) فيما رَواه البخارىُّ أنَّ خالدًا ، رَضِى اللَّهُ عنه ، قال : انْدَقَّتْ فى يَدِى يومَ مُؤْتةَ تسعةُ أسيافٍ ، وما ثَبَت فى يَدِى إلَّا صَفِيحَةٌ يَمانِيَةٌ . وهذا يقْتَضى أنَّهم أثْخَنوا فيهم قَتْلًا ، ولو لم يَكُنْ كذلك لَمَا قَدَروا على التخَلُّصِ

(١ - ١) فى الأصل ، م : « يأخذ من » . وفى ص : « فأخذ من » .
(٢) فى الأصل : « استكثر به » . وفى م : « استكثر به فقلت به » .
(٣) بعده فى المسند : « فقال رسول اللَّه ﷺ : يا خالد ، ما حملك على ما صنعت ؟ فقال : يا رسول اللَّه ، استكثرته » .
(٤) سقط من : الأصل ، م .
(٥) الصِّفوة هنا بكسر الصاد : خيار الشىء وخلاصته وما صفا منه ، وإذا حذفت الهاء فتحت الصاد . النهاية ٣/ ٤٠.
(٦) مسلم (١٧٥٣) . وأبو داود (٢٧١٩) .
(٧) تقدم فى صفحة ٤٢٦ .

منهم ، وهذا وحدَه دليلٌ مُسْتَقِلٌّ . واللَّهُ أعلمُ .

وهذا هو اختيارُ موسى بنِ عُقبةَ والواقدىِّ والبيهقىِّ ، وحكاه ابنُ هشامٍ عن الزهْرىِّ[1] .

قال البيهقىُّ[2] ، رَحِمه اللَّهُ : اخْتَلَف أهلُ المغازى فى فِرارِهم وانْحِيازِهم ، فمنهم مَن ذهَب إلى ذلك ، ومنهم مَن زَعَم أن المسلمين ظَهَروا على المشركين ، وأنَّ المشركين انهَزَموا . قال[3] : وحديثُ أنسِ بنِ مالكٍ ، عن النبىِّ ﷺ : [٣/ ١٠٧ظ] « ثُم أخَذها خالدٌ ، ففَتَح اللَّهُ عليه » . يَدُلُّ على ظُهورِهم عليهم . واللَّهُ أعلمُ .

قلتُ : وقد ذكَر ابنُ إسحاقَ[4] أنَّ قُطْبَةَ بنَ قَتَادةَ العُذْرِىَّ ، وكان رأسَ مَيْمَنةِ المسلمين ، حمَل على مالكِ بنِ زافِلَةَ - (٥قال ابنُ هشامٍ : ويُقالُ : رافلةُ[6] . بالراءِ٥) - (٧وهو أميرُ أعْرابِ النَّصارَى ، فقَتَلَه ، وقال يَفْتَخِرُ بذلك٧) :

طَعَنْتُ ابنَ زافلةَ بنِ الإراشِ ... برُمْحٍ مضَى فيه ثُم انحَطَمْ[8]

---

(١) تقدم تخريج رواية موسى بن عقبة والواقدى فى صفحتى ٤٢٨، ٤٢٩. ويأتى تخريج كلام البيهقى فى الحاشية التالية . وانظر حكاية ابن هشام كلام الزهرى فى سيرة ابن هشام ٢/ ٣٨٣.

(٢) دلائل النبوة ٤/ ٣٧٥.

(٣) القائل هو البيهقى . وحديث أنس تقدم تخريجه فى صفحة ٤٢٣ .

(٤) سيرة ابن هشام ٢/ ٣٨١.

(٥ - ٥) سقط من : ا ٤. وفى الأصل ، م : « ويقال : رافلة » .

(٦) سيرة ابن هشام ٢/ ٣٨٢.

(٧ - ٧) فى السيرة : « فقتله فقال قطبة بن قتادة » .

(٨) انحطم : أى انكسر . شرح غريب السيرة ٣/ ٦٤.

ضَـرَبْـتُ عـلـى جِـيـدِهِ ضَـرْبـةً فمال كما مال غُصنُ السَّلَمْ[1]
وسُـقْـنـا نـسـاءَ بـنـى عـمِّـه غَـداةَ رَقُـوقَـيْـن سَـوْقَ الـنَّـعَـمْ[2]

وهذا يُؤَيِّدُ ما نحن فيه؛ لأنَّ مِن عادةِ أميرِ الجيشِ إذا قُتِل، أن يَفِرَّ أصحابُه، ثُم إنَّه صَرَّح فى شعرِه بأنهم سَبَوا مِن نسائِهم، وهذا واضحٌ فيما ذكَرْناه. واللَّهُ أعلمُ. وأمَّا ابنُ إسحاقَ[3] فإنَّه ذهَب إلى أنَّه لم يَكُنْ إلَّا المُخاشاةُ[4] والتخلُّصُ مِن أيدى الرومِ، وسمَّى هذا نصرًا وفتحًا؛ أى باعتبارِ ما كانوا فيه مِن إحاطةِ العدوِّ بهم، وتَراكُمِهم وتَكاثُرِهم وتَكاثُفِهم عليهم، فكان مُقْتَضَى العادةِ[5] أَن يُصْطَلَمُوا[6] بالكُلِّيَّةِ، فلمَّا تخَلَّصُوا منهم وانْحازوا عنهم، كان هذا غايةَ المُرامِ فى هذا المُقامِ، وهذا مُحْتَمَلٌ، لكنَّه خلافُ الظاهرِ مِن قولِه عليه الصلاةُ والسلامُ: «ففَتَح اللَّهُ عليهم».

والمقصودُ أن ابنَ إسحاقَ يَسْتَدِلُّ على ما ذهَب إليه، فقال[7]: وقد قال - فيما كان من أمْرِ الناسِ، وأمْرِ خالدِ بنِ الوليدِ، ومُخاشاتِه بالناسِ، وانصرافِه

---

(١) الجيد: العنق. والسلم: ضربٌ من الشجر، والواحدة منه سَلَمة. المصدر السابق.

(٢) رقوقين: هو هنا اسم موضع. المصدر السابق.

(٣) سيرة ابن هشام ٢/ ٣٨٣.

(٤) فى الأصل، ا ٤١، ص: «المحاشاة» بالحاء المهملة. وانظر ما ذكرناه آنفًا فى حاشية (٤) من صفحة ٤٢٢.

(٥) فى م: «العادات».

(٦) فى م: «يصطلحوا». ويُصطلموا: يُستأصلوا ويُبادوا. انظر الوسيط (ص ل م). يشير المصنف إلى أن مقتضى عادة التقاءِ جيش كثير العَدد - كما فى حالة الروم ومن معهم - وجيش قليل العدد لا يكاد عدده يذكر فى جانب الجيش الأول، أن يُبيد الجيشُ الكبير المضاعف أضعافًا، هذا الجيشَ الصغير.

(٧) سيرة ابن هشام ٢/ ٣٨٣.

بهم - قيسُ بنُ المُحَسَّرِ[1] اليَعْمَرىُّ، يَعْتَذِرُ مِمَّا صَنَع يومَئذٍ وصنَع الناسُ:

فواللَّهِ لا تَنْفكُّ نفسى تَلُومُنى ... على مَوْقفى والخيلُ قابِعةٌ قُبْلُ[2]

وَقَفْتُ بها لا مُسْتَجِيرًا[3] فَنافِذًا ... ولا مانعًا مَن كان حُمَّ له القَتْلُ[4]

على أنَّنى آسَيْتُ نفسى بخالدٍ[5] ... ألا خالدٌ فى القومِ ليس له مِثْلُ

وجاشَتْ إلىَّ النفسُ مِن نَحْوِ جعفرٍ ... بمُؤْتَةَ إذْ لا يَنْفَعُ النَّابِلَ النَّبْلُ[6]

وضَمَّ إلينا حُجْزَتَيْهِم[7] كِلَيْهِما ... مُهاجِرَةٌ لا مُشْركون ولا عُزْلُ[8]

قال ابنُ إسحاقَ[9]: فبَيَّنَ قيسٌ ما اختلف فيه الناسُ مِن ذلك فى شعرِه؛ أنَّ القومَ حاجَزُوا وكَرِهوا الموتَ، وحَقَّق انحيازَ خالدٍ بمَن معه. قال ابنُ هشامٍ[9]: وأمَّا الزهْرىُّ فقال، فيما بلَغَنا عنه: أمَّر المسلمون عليهم خالدَ بنَ الوليدِ، ففَتَح اللَّهُ عليهم، وكان عليهم [١٠٨/٣و] حتى رجَع إلى المدينةِ.

---

(١) فى الأصل، ص: «المسجر». وفى السيرة: «المسحر». وقد ذكره الخشنى فى شرح غريب السيرة ٦٤/٣ بالجيم «المسجِّر» وأثار محققه فى الحاشية أنه فى إحدى النسخ «المحسر».

(٢) قابعة: منقبضة. وقُبْل: جمع أَقْبَلَ وقَبْلاء، وهو الذى يُميل عينه فى النظر إلى جهة العين الأخرى، وقد يفعل ذلك الخيلُ؛ حدَّةً ونشاطًا. شرح غريب السيرة ٣/ ٦٥.

(٣) فى النسخ: «مستجيزًا». والمثبت من السيرة. وأشار محققوها فى الحاشية إلى أن إحدى الروايات فيها: «مستحيزًا»، وهو ما سيشير إليه ابن إسحاق هنا فيما سيورده المصنف من كلامه عقب هذا الشعر.

(٤) حم له القتل: أى قُدِّر. شرح غريب السيرة ٣/ ٦٥.

(٥) آسيت نفسى بخالد: أى اقتديتُ به. من الأسوة، وهى القدوة. انظر المصدر السابق.

(٦) جاشت: أى ارتفعت. والنابل: صاحب النبل. المصدر السابق.

(٧) فى الأصل، ص: «حجرتيهم». وحجرتيهم وحجزتيهم: ناحِيَتَيْهم. انظر الوسيط (ح ج ر)، (ح ج ز).

(٨) فى م: «عذل». وعزل: جمع أعزل، وهو الذى لا سلاح له. شرح غريب السيرة ٣/ ٦٥.

(٩) سيرة ابن هشام ٢/ ٣٨٣.

فصل

قال ابنُ إسحاقَ[1] : حدَّثنى عبدُ اللَّهِ بنُ أبى بكرٍ، عن أمِّ عيسى الخُزاعِيَّةِ، عن أُمِّ جعفرٍ بنتِ محمدِ بنِ جعفرِ بنِ أبى طالبٍ، عن جَدَّتِها أسماءَ بنتِ عُمَيْسٍ قالت: لمَّا أُصِيب جعفرٌ وأصحابُه، دخَل علىَّ رسولُ اللَّهِ ﷺ، وقد دَبَغْتُ أربعين مَنًّا[2]، وعجَنْتُ عجينى، وغسَّلْتُ بنىَّ ودَهَّنْتُهم ونَظَّفْتُهم. قالت: فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «ائْتِينى ببنى جعفرٍ». فأتَيْتُه بهم فشَمَّهم وذَرَفَتْ عَيْناه، فقلتُ: يا رسولَ اللَّهِ، بأبى أنت وأُمِّى، ما يُبْكيك، أبَلَغَك عن جعفرٍ وأصحابِه شىءٌ؟ قال: «نعم، أُصِيبوا هذا اليومَ». قالت: فقُمْتُ أَصِيحُ، واجْتَمَع إلىَّ النساءُ، وخَرَج رسولُ اللَّهِ ﷺ إلى أهلِه فقال: «لا تَغْفُلوا عن آلِ جعفرٍ أن تَصْنَعوا لهم طعامًا؛ فإنَّهم قد شُغِلوا بأمرِ صاحبِهم». وهكذا رَواه الإمامُ أحمدُ[3] مِن حديثِ ابنِ إسحاقَ، [4]ورَواه ابنُ ماجه[5] مِن طريقِ محمدِ بنِ إسحاقَ، عن[4] عبدِ اللَّهِ بنِ أَبى بكرٍ، عن أُمِّ عيسى، عن أمِّ عَوْنٍ بنتِ محمدِ بنِ جعفرٍ، عن أسماءَ، فذَكَر الأمرَ بعملِ الطعامِ. والصوابُ أنَّها أمُّ

---

(١) سيرة ابن هشام ٢/ ٣٨٠، ٣٨١.

(٢) فى م: «مناء». والمَنُّ، والمَنَا - مقصورًا يكتب بالألف -: الكيل أو الميزان الذى يوزن به. وتعنى به أربعين رطلًا من دباغ. انظر اللسان (م ن و). وشرح غريب السيرة ٣/ ٦٣.

(٣) المسند ٦/ ٣٧٠. وعنده: «أم عيسى الجزار». وهى نفسها أم عيسى الخزاعية. انظر تهذيب الكمال ٣٥/ ٣٧٣، ٣٧٤، ٣٧٨.

(٤ - ٤) فى الأصل، م: «ورواه ابن إسحاق من طريق». وفى ٤١: «وابن ماجه عن ابن إسحاق أيضًا».

(٥) ابن ماجه (١٦١١). حسن (صحيح سنن ابن ماجه ١٣٠٧).

جعفرٍ وأمُّ عَوْنٍ[(١)] .

وقال الإمامُ أحمدُ[(٢)] : حدَّثنا سفيانُ ، ثنا جعفرُ بنُ خالدٍ ، عن أبيه ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ جعفرٍ قال : لمَّا جاء نَعْىُ جعفرٍ حينَ قُتِل ، قال النبىُّ ﷺ : « اصْنَعوا لآلِ جعفرٍ طعامًا ، فقد أتاهم أمْرٌ يَشْغَلُهم » . أو : « أتاهم ما يَشْغَلُهم » . وهكذا رَواه أبو داودَ والترمذىُّ وابنُ ماجه مِن حديثِ سفيانَ بنِ عُيَيْنةَ ، عن جعفرِ بنِ خالدِ بنِ سارَةَ المخزومىِّ المكىِّ ، عن أبيه ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ جعفرٍ[(٣)] ، وقال الترمذىُّ : حسنٌ .

ثُم قال محمدُ بنُ إسحاقَ[(٤)] : حدَّثنى عبدُ الرحمنِ بنُ القاسمِ ، عن أبيه ، عن عائشةَ زوجِ النبىِّ ﷺ قالت : لما أتَى نَعْىُ جعفرٍ ، عَرَفْنا فى وجهِ رسولِ اللَّهِ ﷺ الحُزْنَ . قالت : فدَخَل عليه رجلٌ ، فقال : يا رسولَ اللَّهِ ، إن النساءَ عَنَّيْنَنا[(٥)] وفَتَنَّنا . قال : « ارْجِعْ إليهنَّ فأسْكِتْهُنَّ » . قالت : فذَهَب ثُم رَجَع ، فقال له مِثْلَ ذلك . قالت[(٦)] : وربما ضَرَّ التَّكَلُّفُ . يعنى أهلَه . قالت : قال : « فاذْهَبْ فأَسْكِتْهن ، فإن أبَيْنَ فاحْثُ[(٧)] فى أفواهِهِنَّ الترابَ » . قالت : وقلتُ

---

(١) يعني المصنف ، رحمه اللَّه ، أن أم جعفر وأم عون اسمان لامرأة واحدة ، وقد ترجم الحافظ المزى ، رحمه اللَّه ، لأم عون ، وذكر أنه يقال لها : « أم جعفر » ، وروى الحديث بإسناده . انظر تهذيب الكمال ٣٥/٣٧٣ - ٣٧٥.

(٢) المسند ١/ ٢٠٥. (إسناده صحيح) .

(٣) أبو داود (٣١٣٢) . والترمذى (٩٩٨) وقال : حسن صحيح . وابن ماجه (١٦١٠) . حسن (صحيح سنن أبى داود ٢٦٨٦) .

(٤) سيرة ابن هشام ٢/ ٣٨١.

(٥) فى الأصل ، م : « عيينا » ، وفى ا ٤ : « غلبننا » . وعَنَّيْننا : كَلَّفْننا ما يشقُّ علينا . انظر الوسيط (ع ن و) .

(٦) بعده فى م : « يقول » .

(٧) فى الأصل : « فاحثو » . وفى م : « فاحثوا » . وحثا يحثو حَثْوا ، ويَحْثى حَثْيا : رمى . انظر النهاية ١/ ٣٣٩.

فى نفسى : أبْعَدَكَ اللَّهُ ، فواللَّهِ ما تَرَكْتَ نفسَك ، وما أنت بمُطِيعٍ رسولَ اللَّهِ ﷺ . قالت : وعَرَفْتُ أنَّه لا يَقْدِرُ (١ على أن ١) يَحْثِىَ فى أفواهِهِنَّ الترابَ . انْفَرَدَ به ابنُ إسحاقَ مِن هذا الوجهِ ، وليس فى شىءٍ مِن الكتبِ .

وقال البخارىُّ [٢] : ثنا قُتَيْبَةُ ، ثنا عبدُ الوهَّابِ ، سمِعْتُ يحيى بنَ [٣/ ١٠٨ظ] سعيدٍ قال : أخبَرَتْنى عَمْرةُ قالت : سمِعْتُ عائشةَ تقولُ : لمَّا قُتِل ابنُ حارثةَ وجعفرُ بنُ أبى طالبٍ وعبدُ اللَّهِ بنُ رَواحةَ ، جلَس رسولُ اللَّهِ ﷺ يُعْرَفُ فى وجهِه الحُزْنُ . قالت عائشةُ : وأنا أطَّلِعُ مِن صائرِ البابِ - شَقٌّ [٣] - فأتاه رجلٌ فقال : أىْ رسولَ اللَّهِ ، إن نساءَ جعفرٍ . وذَكَر بُكاءَهُنَّ ، فأمَرَه أن يَنْهاهُنَّ . قالت : فذَهَب الرجلُ ، ثُم أتَى فقال [٤] : واللَّهِ لقد غَلَبْننا . فزَعَمَتْ أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال : « فاحْثُ فى أفواهِهِنَّ مِن الترابِ » [٥] . قالت عائشةُ ، رَضِىَ اللَّهُ عنها : فقلتُ : أرْغَم اللَّهُ أنفَك ، فواللَّهِ ما أنت تَفْعَلُ [٦] ، وما ترَكْتَ رسولَ اللَّهِ ﷺ مِن العَناءِ . وهكذا رَواه مسلمٌ وأبو داودَ والنَّسائىُّ مِن طُرُقٍ ، عن يحيى بنِ سعيدٍ الأنصارىِّ ، عن عَمْرةَ ، عنها [٧] .

(١ - ١) سقط من : الأصل ، م . وفى ص : « أن » .

(٢) البخارى (٤٢٦٣) .

(٣) الشق : بالكسر وبالفتح أيضًا ، يقال : بالفتح هو الموضع الذى ينظر منه كالكُوّة ، وبالكسر : الناحية . انظر فتح البارى ٧/ ٥١٤.

(٤) بعده فى صحيح البخارى : « قد نهيتهن . وذكر أنه لم يطعنه . قال : فأمر أيضا ، فذهب ثم أتى فقال » .

(٥) قال الحافظ : ووجه المناسبة فى قوله : « احث فى أفواههن » دون أعينهن ، مع أن الأعين محلّ البكاء ، الإشارة إلى أن النهى لم يقع عن مجرد البكاء ، بل عن قدر زائد عليه من صياح أو نياحة ، واللَّه أعلم . فتح البارى ٧/ ٥١٥.

(٦) بعده فى الأصل ، م : « ذلك » .

(٧) مسلم (٩٣٥) ، وأبو داود (٣١٢٢) ، والنسائى (١٨٤٦) .

وقال الإمامُ أحمدُ[1] : حدَّثنا وهبُ بنُ جَريرٍ ، ثنا أبى ، سمِعْتُ محمدَ بنَ أبى يعقوبَ يُحَدِّثُ عن الحسنِ بنِ سعدٍ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ جعفرٍ قال : بعَث رسولُ اللَّهِ ﷺ جيشًا ، استَعْمَل عليهم زيدَ بنَ حارثةَ ، وقال : « إن قُتِل زيدٌ أو استُشْهِد فأميرُكم جعفرٌ ، فإن قُتِل أو اسْتُشْهِد فأميرُكم عبدُ اللَّهِ بنُ رَواحةَ » . فلَقُوا العدوَّ ، فأخَذ الرايةَ زيدٌ فقاتَل حتى قُتِل ، ثُم أخَذ الرايةَ جعفرٌ فقاتَل حتى قُتِل ، ثُم أخَذَها عبدُ اللَّهِ بنُ رَواحةَ فقاتَل حتى قُتِل ، ثُم أخَذ الرايةَ خالدُ بنُ الوليدِ ففَتَح اللَّهُ عليه ، وأتى خبرُهم النبيَّ ﷺ فخَرَج إلى الناسِ ، فحَمِد اللَّهَ وأثْنَى عليه وقال : إنَّ إخوانَكم لَقُوا العدوَّ ، وإنَّ زيدًا أخَذ الرايةَ فقاتَل حتى قُتِل أو اسْتُشْهِد ، ثُم أخَذ الرايةَ بعدَه جعفرُ بنُ أبى طالبٍ فقاتَل حتى قُتِل أو اسْتُشْهِد ، ثُم أخَذ الرايةَ عبدُ اللَّهِ بنُ رواحةَ فقاتَل حتى قُتِل أو اسْتُشْهِد ، ثُم أخَذ الرايةَ سيفٌ مِن سُيوفِ اللَّهِ ؛ خالدُ بنُ الوليدِ ، ففتَح اللَّهُ عليه » . قال : ثُم أمْهَل آلَ جعفرٍ ثلاثًا أن يَأْتِيَهم ، ثُم أتاهم فقال : « لا تَبْكُوا على أخى بعدَ اليومِ ، ادْعوا[2] لى ابْنَىْ[3] أخى » . قال : فجِىء بنا كأننا أفْرُخٌ ، فقال : « ادْعوا لىَ الحَلَّاقَ » . فجِىء بالحلاقِ ، فحَلَق رُءُوسَنا ، ثُم قال : « أمّا محمدٌ فشبيهُ عمِّنا أبى طالبٍ ، وأمَّا عبدُ اللَّهِ فشبيهُ خَلْقى وخُلُقى » . ثُم أخَذ بيدى فأَشالَها[4] وقال : « اللهم اخْلُفْ جعفرًا فى أهلِه ، وبارِكْ لعبدِ اللَّهِ فى صَفْقَةِ يَمِينِه » . قالها

---

(١) المسند ١/ ٢٠٤، ٢٠٥ بنحوه (إسناده صحيح) .

(٢) فى المسند : « أو غدا » . قال الشيخ أحمد شاكر فى شرح المسند ٣/١٩٣ فى الحاشية : وهو خطأ بيّن .

(٣) فى النسخ : « بنى » . والمثبت من المسند .

(٤) أشالها : رفعها . انظر الوسيط (ش و ل) .

ثلاثَ مراتٍ . قال : فجاءت أُمُّنا فذَكَرتْ له يُتْمَنا ، وجَعَلتْ تُفْرِحُ[1] [٣/١٠٩و] له ، فقال : « العَيْلَةَ[2] تخافين عليهم وأنا وليُّهم فى الدنيا والآخرةِ ؟! » ورَواه أبو داودَ ببعضِه ، والنَّسائىُّ[3] فى السِّيَرِ بتمامِه مِن حديثِ وهبِ بنِ جريرٍ ، به . وهذا يقْتَضى أنه ، عليه الصلاةُ والسلامُ ، أرْخَص لهم فى البكاءِ ثلاثةَ أيامٍ ، ثُم نهاهم عنه بعدَها .

ولعلَّه معنى الحديثِ الذى رَواه الإمامُ أحمدُ[4] ، مِن حديثِ الحَكَمِ ، عن[5] عبدِ اللَّهِ بنِ شَدَّادٍ ، عن أسماءَ ، أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال لها لمَّا أُصِيب جعفرٌ : « تَسَلَّبى[6] ثلاثًا ثُم اصْنَعى ما شئْتِ » . تفرَّد به أحمدُ . فيَحْتَمِلُ أنَّه أذِن لها فى التَّسَلُّبِ ، وهو المبالغةُ فى البكاءِ وشَقِّ الثيابِ ، ويكونُ هذا مِن بابِ التَّخْصيصِ لها بهذا ؛ لشِدَّةِ حُزنِها على جعفرٍ أبى أولادِها ، وقد يَحْتَمِلُ أن يكونَ أمرًا لها بالتَّسلُّبِ ، وهو المبالغةُ فى الإحدادِ ثلاثةَ أيامٍ ، ثُم تَصْنَعُ بعدَ ذلك ما شاءتْ ؛ ممّا يَفْعَلُه المُعْتَدَّاتُ على أزواجِهنَّ ، مِن الإحدادِ المُعتادِ . واللَّهُ أعلمُ . ويُرْوَى[7] :

---

(١) تُفرح له : مِن أفْرَحه إذا غَمَّه وأزال عنه الفرحَ ، وأفرحَه الدَّيْن إذا أثقله . النهاية ٣/ ٤٢٤.

(٢) العيلة : الفقر . انظر الوسيط (ع ى ل) .

(٣) أبو داود (٤١٩٢) . والنسائى فى الكبرى (٨٦٠٤) . صحيح (صحيح سنن أبى داود ٣٥٣٢) .

(٤) المسند ٦/ ٤٣٨. قال الهيثمى فى المجمع ٣/ ١٧: رجال أحمد رجال الصحيح .

(٥) فى م : « بن » . وانظر تهذيب الكمال ٧/ ١١٤.

(٦) كذا فى النسخ . وفى المسند : « أمى البسى ثوب الحداد » . وكذا فى جامع المسانيد ٢٥٣/١٥ بمثل ما فى المسند . وأخرجه البيهقى فى السنن الكبرى ٤٣٨/٧ من طريق الحكم بن عتيبة به ، ووقع عنده : « تسلبنى » ، فلعله محرَّف عن « تسلبى » . ويشهد له ما أورده ابن الأثير فى النهاية ٢/ ٣٨٧.

(٧) ذكرها الهيثمى فى مجمع الزوائد ٣/ ١٧، وعزاها لأحمد .

« تَسَلَّىْ ثلاثًا » . أى تصبَّرى ثلاثًا ، وهذا بخلافِ الروايةِ الأُخرى . واللَّهُ أعلمُ .

فأما الحديثُ الذى قال الإمامُ أحمدُ[1] : حدَّثنا يزيدُ ، ثنا محمدُ بنُ طلحةَ ، ثنا الحكَمُ بنُ عُتيْبَةَ[2] ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ شَدَّادٍ ، عن أسماءَ بنتِ عُمَيْسٍ قالت : دخَل علىَّ[3] رسولُ اللَّهِ ﷺ اليومَ الثالثَ مِن قَتْلِ جعفرٍ فقال : « لا تُحِدِّى بعدَ يومِكِ هذا » . فإنه مِن أفرادِ أحمدَ أيضًا ، وإسنادُه لا بأسَ به ، ولكنَّه مُشْكِلٌ إن حُمِل على ظاهرِه ؛ لأنَّه قد ثبَت فى « الصحيحين »[4] أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال : « لا يَحِلُّ لامرأةٍ تؤمِنُ باللَّهِ واليومِ الآخرِ أن تُحِدَّ على ميِّتِها أكثرَ مِن ثلاثةِ أيامٍ ، إلَّا على زوجٍ أربعةَ أشهرٍ وعشْرًا » . فإن كان ما رَواه الإمامُ أحمدُ محفوظًا ، فتكونُ مخصوصةً بذلك ، أو هو أمرٌ بالمبالغةِ فى الإحْدادِ هذه الثلاثةَ أيامٍ كما تقدَّم . واللَّهُ أعلمُ .

قلتُ : ورَثَتْ أسماءُ بنتُ عُمَيْسٍ زوجَها بقصيدةٍ تقولُ فيها :

فآليتُ لا تَنْفَكُّ نفسى حزينةً   عليكَ ولا يَنْفَكُّ جِلْدى أغْبَرا
فللَّهِ عينا مَن رَأى مثلَه فتًى   أكَرَّ وأحْمَى فى الهِيَاجِ وأصْبَرا

ثم لم تَنْشَبْ أن انقضَتْ عِدَّتُها ، فخطَبها أبو بكرٍ الصديقُ ، رَضِى اللَّهُ عنه ، فتَزَوَّجها ، فأوْلَم ، وجاء الناسُ للوَليمةِ ، فكان فيهم علىُّ بنُ أبى طالبٍ ،

---

(١) المسند ٦/ ٣٦٩. وقد جعل الهيثمى فى المجمع ٣/ ١٧ هذا الحديث روايةً من الحديث الذى أورده المصنف أولًا من طريق الحكم .
(٢) فى م ، ص : « عيينة » . وانظر تهذيب الكمال ٧/ ١١٤.
(٣) سقط من : م .
(٤) البخارى (١٢٨٠) . ومسلم (١٤٨٦) .

فلمَّا ذهَب الناسُ اسْتَأْذَن عليٌّ أبا بكرٍ ، رَضِى اللَّهُ عنهما ، فى أن يُكَلِّمَ أسماءَ مِن وراءِ السِّتْرِ ، فأذِن له ، فلمّا اقْتَرب مِن السِّتْرِ نَفَحه رِيحُ طِيبِها ، فقال لها عليٌّ ، على وجهِ البَسْطِ : مَن القائلةُ فى شعرِها :

فآليتُ لا تَنْفَكُّ نفسى حزينةً عليك ولا ينْفَكُّ جِلْدِىَ أغْبَرا

قالت : دَعْنا منك يا أبا الحسنِ ، فإنَّك امرُؤٌ فيك دُعابةٌ . فوَلَدَتْ للصديقِ محمدَ بنَ أبى بكرٍ ، ولَدَتْه [٣/١٠٩ظ] بالشَّجَرةِ بينَ مكةَ والمدينةِ ، ورسولُ اللَّهِ ﷺ ذاهبٌ إلى حِجَّةِ الوَداعِ ، فأمَرها أن تَغْتَسِلَ وتُهِلَّ ، وسيأتى فى موضعِه ، ثُم لمَّا تُوُفِّىَ الصديقُ ، تزوَّجها بعدَه علىُّ بنُ أبى طالبٍ ، ووَلَدَتْ له أولادًا ، رَضِى اللَّهُ عنه وعنها وعنهم أجمعين .

فصلٌ

قال ابنُ إسحاقَ[(١)] : فحدَّثنى محمدُ بنُ جعفرِ بنِ الزبيرِ ، عن عروةَ بنِ الزبيرِ قال : فلما دَنَوا مِن المدينةِ تلَقَّاهم رسولُ اللَّهِ ﷺ والمسلمون . قال : ولقِيَهم الصِّبيانُ يَشْتَدُّون ، ورسولُ اللَّهِ ﷺ مُقْبِلٌ مع القومِ على دابةٍ ، فقال : « خُذوا الصِّبيانَ فاحْمِلوهم وأعْطونى ابنَ جعفرٍ » . فأُتِىَ بعبدِ اللَّهِ بنِ جعفرٍ ، فأَخذه فحمَله بينَ يديه . قال : وجعَل الناسُ يَحْثُون على الجيشِ الترابَ ويقولون : يا فُرَّارُ ، فرَرْتُم فى سبيلِ اللَّهِ ؟! قال : فيقولُ رسولُ اللَّهِ ﷺ : « ليسوا بالفُرَّارِ ، ولكنهم الكُرَّارُ إن شاء اللَّهُ » . وهذا مُرْسَلٌ .

---

(١) سيرة ابن هشام ٢/ ٣٨٢.

(١) وقد قال الإمامُ أحمدُ(٢) : ثنا أبو مُعاويةَ ، ثنا عاصمٌ ، عن مُوَرِّقٍ(٣) العِجْليِّ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ جعفرٍ قال : كان رسولُ اللَّهِ ﷺ إذا قدِم مِن سفرٍ تُلُقِّيَ بالصبيانِ مِن أهلِ بيتِه ، وإنه قَدِم مِن سفرٍ فسُبِق بى إليه . قال : فحمَلنى بينَ يديه . قال : ثم جِيء بأَحدِ ابنَىْ فاطمةَ ، إما حَسنٌ وإما حُسَينٌ ، فأَرْدَفه خلفَه ، فدخَلْنا المدينةَ ثلاثةً على دابةٍ . وقد رَواه مسلمٌ وأبو داودَ والنسائيُّ وابنُ ماجه مِن حديثِ عاصمٍ الأحْولِ ، عن مُوَرِّقٍ به(٤)(١) .

وقال الإمامُ أحمدُ(٥) : ثنا رَوْحٌ ، حدَّثَنا ابنُ جُرَيْجٍ ، ثنا (٦) جعفرُ بنُ(٦) خالدِ ابنِ سارَةَ ، أن أباه أخبرَه أن عبدَ اللَّهِ بنَ جعفرٍ قال : لو رأيتَنى وقُثَمَ وعُبَيْدَ اللَّهِ ابنَىِ العباسِ ونحن صِبيانٌ نلْعَبُ ، إذ مَرَّ النبيُّ ﷺ على دابةٍ فقال : « ارْفَعوا هذا إليَّ » . فحمَلنى أمامَه وقال لقُثَمَ : « ارْفَعوا هذا إليَّ » . فجعَله وراءَه ، وكان عُبَيْدُ اللَّهِ أحبَّ إلى عباسٍ مِن قُثَمَ ، فما استَحَى مِن عمِّه أن حمَل قُثَمَ وترَكه . قال : ثم مسَح على رأسِى ثلاثًا ، وقال كُلَّما مسَح : « اللهم اخْلُفْ جعفرًا فى ولدِه » . قال : قلتُ لعبدِ اللَّهِ : ما فعَل قُثَمُ ؟ قال : استُشْهِد . قال : قلتُ : اللَّهُ ورسولُه أعلمُ بالخيرِ . قال : أجل . ورَواه النسائيُّ فى « اليومِ والليلةِ » مِن حديثِ ابنِ جُرَيْجٍ ، به(٧) .

(١ - ١) سقط من : ص .
(٢) المسند ١/ ٢٠٣. (إسناده صحيح) .
(٣) فى الأصل : « مروان » . وفى م : « مؤرق » . وانظر تهذيب الكمال ٢٩/ ١٦.
(٤) مسلم (٢٤٢٨) ، وأبو داود (٢٥٦٦) ، والنسائى فى الكبرى (٤٢٤٦) ، وابن ماجه (٣٧٧٣) .
(٥) المسند ١/ ٢٠٥. (إسناده صحيح) .
(٦ - ٦) سقط من : م . وانظر تهذيب الكمال ٥/ ٢٦.
(٧) النسائى فى الكبرى (١٠٩٠٥) .

وهذا كان بعدَ الفتحِ ؛ فإن العباسَ إنما قدِم المدينةَ بعدَ الفتحِ . فأما الحديثُ الذى[(1)] رَواه الإمامُ أحمدُ[(2)] : ثنا إسماعيلُ ، ثنا حَبيبُ بنُ الشَّهيدِ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ أبى مُلَيْكةَ ، قال : قال عبدُ اللَّهِ بنُ جعفرٍ لابنِ الزبيرِ : أتذْكُرُ إذْ تلقَّيْنا رسولَ اللَّهِ ﷺ أنا وأنت وابنُ عباسٍ ؟ قال : نعم . فحمَلَنا وترَكك[(3)] .

[(3)] هكذا رأيتُه فى المسندِ ، وكأنه غلطٌ فى النسخةِ ، فإنَّه مِن مسندِ عبدِ اللَّهِ ابنِ جعفرٍ ، فصوابُه : قال : قال عبدُ اللَّهِ بنُ الزبيرِ لعبدِ اللَّهِ بنِ جعفرٍ : أتَذْكُرُ إذ تَلَقَّيْنا رسولَ اللَّهِ ﷺ أنا وأنت وابنُ عباسٍ ؟ قال : نعم ، فحَمَلَنا وتَرَكَك[(3)] . وبهذا [٣/ ١١٠و] اللفظِ أخرَجه البخاريُّ ، ومسلمٌ[(4)] مِن حديثِ حَبيبِ بنِ الشَّهيدِ ، وهذا يُعَدُّ مِن الأجوبةِ المُسْكِتَةِ ، ويُرْوَى أن عبدَ اللَّهِ بنَ عباسٍ أجاب به ابنَ الزبيرِ أيضًا[(5)] ، وهذه القصةُ قصةٌ أخرى كانت بعدَ الفتحِ ، كما قدَّمنا بيانَه . واللَّهُ أعلمُ .

---

(١) سقط من : الأصل ، م .

(٢) المسند ١/ ٢٠٣. (إسناده صحيح) .

(٣ - ٣) سقط من : الأصل ، م . وإنما تعينَّ إثبات ما فى « ص ، ١ ٤ » ؛ لأن النسخ جميعًا هنا جاء آخر الحديث فيها هكذا : « قال : نعم ، فحملنا وتركك » . والظاهر من السياق أنه من كلام ابن الزبير ، وبهذا يصح تعقيب المصنف الذى أثبتناه من نسختي « ص ، ١ ٤ » . وفى المسند كان آخر الحديث هكذا : « قال : نعم . قال : فحملنا وتركك » . ففيه لفظ « قال » قبل « فحملنا » ، وبه يستقيم المعنى على أنه من ردِّ ابن جعفرٍ وليس ابن الزبير . وقال الإمام أحمد : وحدثنا به - يعنى إسماعيل بن علية - مرة أخرى فقال فيه : « قال : نعم فحملنا وتركك » . وهذه المرة الثانية الكلام فيها غير مستقيم ، وهى - على ما يبدو - النسخة التى وقعت للمصنف . وانظر كلام الحافظ على روايات الحديث فى فتح البارى ٦/ ١٩١، ١٩٢.

(٤) البخارى (٣٠٨٢) ، ومسلم (٢٤٢٧) . وإنما جاء عند مسلم مقلوبًا ، ونبَّه عليه الحافظ فى الفتح ٦/ ١٩٢ قائلًا : جعل - أى مسلم فى صحيحه - المستفهم عبد اللَّه بن جعفر ، والقائل « فحملنا » عبد اللَّه ابن الزبير ، والذى فى البخارى أصح .

(٥) أخرجه الإمام أحمد فى المسند ١/ ٢٤٠. (إسناده صحيح) .

فصلٌ فى فضلِ هؤلاءِ الأمراءِ الثلاثةِ ؛ زيدٍ وجعفرٍ وعبدِ اللَّهِ، رضِى اللَّهُ عنهم

أما زيدُ بنُ حارثةَ بنِ شَراحيلَ بنِ كعبِ بنِ عبدِ العُزَّى بنِ امرئِ القيسِ بنِ عامرِ بنِ النعمانِ بنِ عامرِ بنِ عبدِ وُدٍّ بنِ عوفِ بنِ كِنانةَ بنِ بَكْرِ بنِ عوفِ بنِ عُذْرةَ بنِ زيدِ اللاتِ بنِ رُفَيْدةَ بنِ ثَوْرِ بنِ كلبِ بنِ وَبَرَةَ بنِ تَغْلِبَ(١) بنِ حُلْوانَ ابنِ عِمْرانَ بنِ الحافِ بنِ قُضاعةَ الكَلْبىُّ القُضاعىُّ، مولى(٢) رسولِ اللَّهِ ﷺ ؛ وذلك أن أمَّه ذهَبت تَزورُ أهلَها، فأغارت عليهم خيلُ بَلْقَيْنِ(٣) فأخَذوه، فاشْتراه حَكِيمُ بنُ حِزامٍ لعمَّتِه خديجةَ بنتِ خُوَيْلِدٍ. وقيل: اشْتراه رسولُ اللَّهِ ﷺ لها، (٤)فوَهَبْتْه مِن رسولِ اللَّهِ ﷺ(٤) قبلَ النبوةِ، فوجَده أبوه، فاخْتار المُقامَ عندَ رسولِ اللَّهِ ﷺ، فأعْتَقه وتبَنَّاه، فكان يُقالُ له: زيدُ بنُ محمدٍ. وكان رسولُ اللَّهِ ﷺ يُحِبُّه حُبًّا شديدًا، وكان أولَ مَن أَسْلَمَ مِن المَوالى، ونزَل فيه آياتٌ مِن القرآنِ؛ منها قولُه تعالى: ﴿ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْ ﴾ [الأحزاب: ٤]. وقولُه تعالى: ﴿ ٱدْعُوهُمْ لِآبَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ ﴾ [الأحزاب: ٥]. وقولُه تعالى: ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ ﴾ [الأحزاب: ٤٠]. وقولُه: ﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ

---

(١) فى م: «ثعلب». وانظر الاستيعاب ٢/ ٥٤٢، وأسد الغابة ٢/ ٢٨١.

(٢) هكذا فى النسخ، ولعل الأولى: «فهو مولى ...» لأنه جواب «أما».

(٣) سقط من: «م». ويقال لبنى القَيْن: بَلْقَيْن. كما قالوا: بلحارث وبلهُجيم. وهو من شواذّ التخفيف. انظر اللسان (ق ى ن).

(٤ - ٤) كذا بالنسخ. ولعله: «فوهبته لرسول اللَّه ﷺ». انظر أسد الغابة ٢/ ٢٨١.

﴿ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا ﴾ الآية [الأحزاب: ٣٧]. أجْمَعوا أن هذه الآياتِ أُنْزِلت فيه، ومعنى ﴿ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ﴾ أي بالإسلامِ، ﴿ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ ﴾ أي بالعِتقِ، وقد تكلَّمْنا عليها في «التفسيرِ»(١).

والمقصودُ أن اللَّهَ تعالى لم يُسَمِّ أحدًا مِن الصحابةِ في القرآنِ غيرَه، وهداه إلى الإسلامِ، وأعْتَقه رسولُ اللَّهِ ﷺ، وزوَّجه مولاتَه أمَّ أيمَنَ، واسْمُها بَرَكةُ، فولَدت له أسامةَ بنَ زيدٍ، فكان يقالُ له: الحِبُّ بنُ الحِبِّ. ثُم زوَّجه بابنةِ عمَّتِه زينبَ بنتِ جحشٍ، وآخى بينَه وبينَ عمِّه حمزةَ بنِ عبدِ المطلبِ، وقدَّمه في الإمْرةِ على ابنِ عمِّه جعفرِ بنِ أبي طالبٍ يومَ مُؤْتةَ، كما ذكَرْناه.

وقد قال الإمامُ أحمدُ، والإمامُ [٣/ ١١٠ظ] الحافظُ أبو بكرِ بنُ أبي شيْبةَ(٢) - وهذا لفظُه -: ثنا محمدُ بنُ عُبَيْدٍ، عن وائلِ بنِ داودَ، سمِعْتُ البَهِيَّ يُحَدِّثُ أن عائشةَ كانت تقولُ: ما بعَث رسولُ اللَّهِ ﷺ زيدَ بنَ حارثةَ في سريةٍ إلَّا أمَّره عليهم، ولو بَقِيَ بعدَه(٣) لَاستَخْلَفَه. ورَواه النسائيُّ، عن أحمدَ بنِ سُليمانَ(٤)، عن محمدِ بنِ عُبَيْدٍ الطَّنافِسيِّ، به(٥). وهذا إسنادٌ جيدٌ قويٌّ على شرطِ الصحيحِ، وهو غريبٌ جدًّا. واللَّهُ أعلمُ.

---

(١) التفسير ٦/ ٣٧٧ - ٣٧٩، ٤١٩ - ٤٢٦.

(٢) المسند ٦/ ٢٢٦، ٢٢٧، ومصنف ابن أبي شيبة (١٨٨٢٤).

(٣) في م: «بعد».

(٤) في م: «سلمان». وانظر تهذيب الكمال ١/ ٣٢٠.

(٥) النسائي في الكبرى (٨١٨٢).

وقال الإمامُ أحمدُ[1] : ثنا سليمانُ ، ثنا إسماعيلُ ، أخبرنى ابنُ دينارٍ ، عن ابنِ عمرَ ، رَضِى اللَّهُ عنه ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ بعَث بعْثًا ، وأمَّر عليهم أسامةَ بنَ زيدٍ ، فطعَن بعضُ الناسِ فى إمْرتِه ، فقام رسولُ اللَّهِ ﷺ فقال : « إن تَطْعَنوا فى إمْرتِه فقد كنتم تطْعَنون فى إمرةِ أبيه مِن قبلُ ، وايمُ اللَّهِ إن كان لخَلِيقًا للإمارةِ ، وإن كان لمِن أحبِّ الناسِ إلىَّ ، وإن هذا لمن أحبِّ الناسِ إلىَّ بعدَه » .

وأخْرَجاه فى « الصحيحين » عن قُتَيْبةَ ، عن إسماعيلَ - هو ابنُ جعفرِ بنِ أبى كثيرٍ المدنىُّ - عن عبدِ اللَّهِ بنِ دينارٍ ، عن ابنِ عمرَ ، فذكَره[2] . ورواه البخاريُّ مِن حديثِ موسى بنِ عقبةَ ، عن سالمٍ ، عن أبيه[3] . ورواه البزارُ مِن حديثِ عاصمِ بنِ عمرَ ، عن عُبَيْدِ اللَّهِ بنِ عمرَ العُمَرىِّ ، عن نافعٍ ، عن ابنِ عمرَ[4] ، ثم استَغْرَبه مِن هذا الوجهِ .

وقال الحافظُ أبو بكرٍ البزارُ[5] : ثنا عمرُ بنُ إسماعيلَ [6]بنِ مُجالدٍ ، حدثنى أبى[6] ، عن مُجالدٍ ، عن الشعبىِّ ، عن مَسْروقٍ ، عن عائشةَ قالت : لما أُصِيب زيدُ بنُ حارثةَ ، جِيء بأسامةَ بنِ زيدٍ ، فأُوقِف بينَ يدَى رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فدمَعت عينا رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فأُخِّرَ ، ثم عاد مِن الغدِ فوقَف بينَ يديه فقال : « أُلاقِى منك اليومَ ما لقِيتُ منك أمسِ » . وهذا الحديثُ فيه غرابةٌ . واللَّهُ أعلمُ .

---

(١) المسند ٢/ ١١٠. (إسناده صحيح) .

(٢) البخارى (٦٦٢٧) ، ومسلم (٢٤٢٦) .

(٣) البخارى (٤٤٦٨) .

(٤) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٨/ ٦٠، من طريق عبيد الله بن عمر به .

(٥) كشف الأستار (٢٦٧٥) . قال الهيثمى فى المجمع ٩/ ٢٧٥: رواه البزار عن شيخه عمر بن إسماعيل ابن مجالد وهو كذاب .

(٦ - ٦) سقط من : الأصل ، م .

وقد تقدم فى « الصحيحين »[(١)] أنه لما ذكَر مُصابَهم وهو، عليه الصلاةُ والسلامُ، فوقَ المنبرِ، جعَل يقولُ: « أخَذ الرايةَ زيدٌ فأُصِيب، ثُم أخَذها جعفرٌ فأُصِيب، ثُم أخَذها عبدُ اللَّهِ بنُ رَواحةَ فأُصِيب، ثم أخَذها سيفٌ مِن سيوفِ اللَّهِ ففتَح اللَّهُ عليهم ». قال: وإن عينيه لتَذْرِفان. وقال: « وما يَسُرُّهم أنهم عندَنا ». وفى الحديثِ الآخرِ أنه شهِد لهم بالشهادةِ، فهم ممن يُقْطَعُ لهم بالجنةِ.

وقد قال حسانُ بنُ ثابتٍ يَرْثِى زيدَ بنَ حارثةَ وابنَ رَواحةَ[(٢)]:

عيـنُ جُودى بدمْعِك المَنْزورِ[(٣)] واذْكُرى فى الرَّخاءِ أهلَ القبورِ
[٣/ ١١١و] واذْكُرى مُؤْتةً وما كان فيها يومَ راحـوا فى وقعةِ التَّغْويرِ[(٤)]
حيـنَ راحـوا وغادروا ثَمَّ زيدًا نِعْمَ مأْوَى الضَّرِيكِ[(٥)] والمأْسُورِ
حِبَّ خيرِ الأنامِ طُرًّا[(٦)] جميعًا سيدِ الناسِ حُبُّه فى الصدورِ
ذاكـمُ أحـمـدُ الـذى لا سـواه ذاك حُزْنى لـه معًا وسُرورى

---

(١) تقدم الحديث فى صفحة ٤٢٣ حاشية (٥) وهو ليس فى صحيح مسلم، فقد أشار المصنف أن البخارى تفرد به دون مسلم. انظر تحفة الأشراف ١/ ٢١٥.

(٢) سيرة ابن هشام ٢/ ٣٨٧، ٣٨٨، وانظر ديوان حسان ص ٢٢١، ٢٢٢.

(٣) المنزور: القليل، وإنما أراد أنه بكى حتى قل دمعه، فأمر عينه أن تجود بذلك القليل. شرح غريب السيرة ٣/ ٦٩.

(٤) التغوير: هو مصدر غَوَّرت، إذا توسط القائلة من النهار. الروض الأنف ٧/ ٤٩. يقول: ورد القوم مغوِّرين. إذا وردوا فى وقت الظهيرة ساعة القائلة فى نصف النهار. الديوان ص ٢٢١.

(٥) الضريك: الفقير. شرح غريب السيرة ٣/ ٦٩.

(٦) طرا: جميعا. اللسان (ط ر ر).

إن زيدًا قد كان منا بأمْرٍ ليس أمرَ المُكَذِّبِ المَغْرورِ
ثُم جُودى للخَزْرجىِّ بدمْعٍ سيِّدًا كان ثَمَّ غيرَ نَزورِ[1]
قد أتانا مِن قتلِهم ما كفانا فبحُزْنٍ نَبيتُ غيرِ سُرورِ

وأما جعفرُ بنُ أبى طالبِ بنِ عبدِ المطلبِ بنِ هاشمٍ، فهو ابنُ عمِّ رسولِ اللَّهِ ﷺ، وكان أكبرَ مِن أخيه علىٍّ بعشرِ سِنِين، وكان عقيلٌ أسنَّ من جعفرٍ بعشرِ سنين، وكان طالبٌ أسنَّ مِن عَقِيلٍ بعشرِ سنين، أسلَم جعفرٌ قديمًا، وهاجَر إلى الحبشةِ، وكانتْ له هنالك مواقفُ مشهورةٌ، ومَقاماتٌ محمودةٌ، وأجوِبةٌ سَديدةٌ، وأحوالٌ رَشيدةٌ، وقد قدَّمْنا ذلك فى هجرةِ الحبشةِ، وللَّهِ الحمدُ. وقد قدِم على رسولِ اللَّهِ ﷺ يومَ خيبرَ فقال عليه الصلاةُ والسلامُ: «ما أدْرِى بأيِّهما أنا أُسَرُّ؛ أبقُدومِ جعفرٍ، أمْ بفتْحِ خيبرَ؟» وقام إليه واعتَنقه وقبَّل بينَ عَيْنيْهِ، وقال له يومَ خرَجوا مِن عمرةِ القضيةِ: «أشبَهْتَ خَلْقى وخُلُقى». فيقالُ: إنَّه حجَل عندَ ذلك فرَحًا. كما تقَدَّم ذلك فى موضعِه. وللَّهِ الحمدُ والمنةُ. ولمَّا بعَثه إلى مؤتةَ جعَله[2] فى الإمْرةِ مُصَلِّيًا - أىْ ثانيًا[3] - لزيدِ بنِ حارثةَ، ولمَّا قُتِل وجَدوا فيه بضعًا وتسعينَ ما بينَ ضَربةٍ بسيفٍ، وطَعنةٍ برُمحٍ، ورميةٍ بسهمٍ، وهو فى ذلك كلِّه مُقْبِلٌ غيرُ مُدْبِرٍ، وكانت قد

(١) نزور: قليل العطاء. شرح غريب السيرة ٣/ ٦٩.
(٢) فى الأصل، م: «جعل».
(٣) فى ا ٤: «تاليا»، وفى م: «نائبا».

قُطِعتْ[١] يدُه اليُمنَى ثُم اليُسرَى وهو مُمْسِكٌ اللواءَ، فلمَّا فقَدهما احتَضنه حتى قُتِل وهو كذلك. فيُقالُ: إنَّ رجلًا مِن الرومِ ضرَبه بسيفٍ فقطَعه باثنتيْنِ. رَضِيَ اللَّهُ عن جعفرٍ ولعَن قاتلَه، وقد أخبَر عنه رسولُ اللَّهِ ﷺ بأنَّه شهيدٌ، فهو مِمَّن يُقْطَعُ له بالجنةِ. وجاء فى الأحاديثِ تسميتُه بذِى الجَناحَيْن.

وروَى البخاريُّ[٢]، عن ابنِ عمرَ أنَّه كان إذا سَلَّم على ابنِه عبدِ اللَّهِ بنِ جعفرٍ يقولُ: السلامُ عليك يا بنَ ذِى الجَناحَيْن. [٣/ ١١١ظ] وبعضُهم يَرْوِيه عن عمرَ بنِ الخطابِ نفسِه[٣]، والصحيحُ ما فى «الصحيحِ» عن ابنِ عمرَ. قالوا: لأنَّ اللَّهَ تعالى عوَّضه عن يدَيه بجَناحيْن فى الجنةِ. وقد تقدَّم بعضُ ما رُوِىَ فى ذلك.

قال الحافظُ أبو عيسى الترمذىُّ[٤]: حدَّثنا علىُّ بنُ حُجْرٍ، ثنا عبدُ اللَّهِ بنُ جعفرٍ، عن العَلاءِ بنِ عبدِ الرحمنِ، عن أبيه، عن أبى هريرةَ قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «رأيتُ جعفرًا يَطِيرُ فى الجنةِ مع الملائكةِ». وتقدَّم فى حديثٍ أنَّه، رَضِيَ اللَّهُ عنه، قُتِل وعمْرُه ثلاثٌ وثلاثونَ سنةً. وقال ابنُ الأثيرِ فى «الغابةِ»[٥]: كان عمرُه يومَ قُتِل إحدَى وأربَعينَ سنةً. قال: وقيل غيرُ ذلك.

قلتُ: وعلى ما قِيل: إنَّه كان أسنَّ مِن علىٍّ بعشرِ سنينَ. يَقْتضِى أنَّ

---

(١) فى م: «طعنت».

(٢) تقدم فى الصفحة (٤٢٥).

(٣) ذكره ابن الأثير فى أسد الغابة ٣٤٤/١ ولم يَعْزُه لأحد.

(٤) الترمذى (٣٧٦٣). صحيح (صحيح سنن الترمذى ٢٩٦٣).

(٥) أسد الغابة ١/ ٣٤٤.

عمرَه يومَ قُتِل تسعٌ وثلاثون سنةً ؛ لأنَّ عليًّا أسلَم وهو ابنُ ثمانِ سنينَ على المشهورِ ، فأقام بمكةَ ثلاثَ عشْرةَ سنةً ، وهاجَر وعمرُه إحدَى وعشرون سنةً ، ويومُ مؤتةَ كان فى سنةِ ثمانٍ مِن الهجرةِ . واللَّهُ أعلمُ . وقد كان يقالُ لجعفرٍ بعدَ قتْلِه : الطَّيارُ . لِما ذكَرْنا ، وكان كريمًا جَوَادًا مُمَدَّحًا ، وكان لكرمِه يقالُ له (١ فى حياته ١) : أبو المساكينِ . لإحسانِه إليهم .

قال الإمامُ أحمدُ[٢] : حدَّثنا عفانُ ، ثنا[٣] وُهَيْبٌ ، ثنا خالدٌ ، عن عكرمةَ ، عن أبى هريرةَ قال : ما احتَذى النِّعالَ ولا انتعَل ، ولا ركِب المطَايا ، ولا لبِس الثيابَ مِن رَجلٍ بعدَ رسولِ اللَّهِ ﷺ أفضلُ مِن جعفرِ بنِ أبى طالبٍ . وهذا إسنادٌ جَيِّدٌ إلى أبى هريرةَ ، وكأنَّه إنَّما يُفَضِّلُه فى الكرمِ ، فأمَّا فى الفضيلةِ الدِّينيةِ فمعلومٌ أنَّ الصِّديقَ والفاروقَ بل وعثمانَ بنَ عفَّانَ أفضلُ منه ، وأمَّا أخوه عليٌّ ، رَضِىَ اللَّهُ عنهما ، فالظَّاهرُ أنَّهما مُتكافِئان ، أو عليٌّ أفضلُ منه .

وإنَّما أرَاد أبو هريرةَ تفضيلَه فى الكرمِ ، بدليلِ ما روَاه البخارىُّ[٤] ؛ ثنا أحمدُ ابنُ أبى بكرٍ ، ثنا محمدُ بنُ إبراهيمَ بنِ دينارٍ أبو عبدِ اللَّهِ الجُهَنىُّ ، عن ابنِ أبى ذِئْبٍ ، عن سعيدٍ المَقْبُرِىِّ ، عن أبى هريرةَ أنَّ الناسَ كانوا يقولونَ : أكثَر أبو هريرةَ . وإنِّى كنتُ ألزَمُ رسولَ اللَّهِ ﷺ بشِبَعِ بَطْنِى حينَ[٥] لا آكلُ الخَميرَ ، ولا ألبَسُ الحريرَ ، ولا يَخْدُمُنى فلانٌ وفلانةُ ، وكنتُ أُلْصِقُ بطنى بالحَصْباءِ مِن

(١ - ١) زيادة من : ص .
(٢) المسند ٢/ ٤١٣، ٤١٤.
(٣) فى م : « بن » . وانظر تهذيب الكمال ٣١/ ١٦٤.
(٤) البخارى (٣٧٠٨) .
(٥) فى م : « خبز » .

الجوعِ، وإنّى كنتُ لأستقرِئُ الرجلَ الآيةَ[1] هى معى؛ كى ينقَلِبَ بى فيُطْعِمَنى، وكان خيرَ الناسِ للمساكينِ جعفرُ بنُ أبى طالبٍ، وكان [٣/ ١١٢و] ينقَلِبُ بنا فيُطعِمُنا ما كان فى بيتِه، حتى إن كان لَيُخْرِجُ إلينا العُكَّةَ[2] التى ليس فيها شىءٌ فنَشُقُّها فنَلْعَقُ ما فيها. تفرَّد به البخاريُّ.

وقال حسانُ بنُ ثابتٍ يَرْثِى جعفرًا[3]:

ولقد بَكَيتُ وعَزَّ مَهْلِكُ جعفرٍ ... حِبِّ النبىِّ على البَرِيَّةِ كلِّها
ولقدْ جَزِعْتُ وقلتُ حينَ نُعِيتَ لى ... مَن للجِلادِ لَدَى العُقابِ[4] وظِلِّها
بالبِيضِ حينَ تُسَلُّ مِن أغمادِها ... ضرْبًا وإنْهالِ الرِّماحِ وعَلِّها[5]
بعدَ ابنِ فاطمةَ المُبارَكِ جعفرٍ ... خَيْرِ البَرِيَّةِ كلِّها وأجَلِّها
رُزْءًا وأكرَمِها جميعًا مَحْتِدًا[6] ... وأعَزِّها مُتَظَلَّمًا وأذَلِّها
للحقِّ حينَ ينوبُ غيرَ تَنَحُّلٍ ... كذِبًا وأنْدَاها يدًا وأقلِّها
فُحْشًا وأكثرِها إذا ما يُجْتَدَى[7] ... فضلًا [8]وأَبْذَلِها نَدًى[8] وأَبَلِّها

---

(١) أستقرئ الرجل الآية: أى أطلب منه أن يعلمنى قراءة الآية.
(٢) العكة: وعاء من جلود مستدير، يختص بالسمن والعسل، وهو بالسمن أخص. انظر النهاية ٣/ ٢٨٤.
(٣) سيرة ابن هشام ٢/ ٣٨٦، ٣٨٧. وانظر ديوان حسان ص ٢٢٢.
(٤) العقاب: الراية. شرح غريب السيرة ٣/ ٦٨.
(٥) الإنهال: الشرب الأول. والعل: الشرب الثانى. المصدر السابق.
(٦) الرزء: المصيبة. والمحتد: الأصل.
(٧) فى ص: «تحتذى». ويجتدى: يطلب جدْواه أى عطيته.
(٨ - ٨) فى النسخ، والسيرة: «وأنداها يدا». والمثبت من الديوان.

بالعُرْفِ غيرَ محمدٍ لا مِثلُه حيٌّ مِنَ احْياءِ البَرِيَّةِ كلِّها

وأمَّا ابنُ رَواحةَ ، فهو عبدُ اللَّهِ بنُ رواحةَ بنِ ثعلبةَ بنِ امرئِ القيسِ بنِ عمرِو ابنِ امرئِ القيسِ الأكبرِ بنِ مالكِ بنِ الأغرِّ بنِ ثعلبةَ بنِ كعبِ بنِ الخَزْرَجِ بنِ الحارثِ بنِ الخزرجِ أبو محمدٍ - ويقالُ : أبو رواحةَ . ويقالُ : أبو عمرٍو - الأنصاريُّ الخزرجيُّ ، وهو خالُ النعمانِ بنِ بَشِيرٍ ، أختُه عَمْرَةُ بنتُ رَواحةَ ، أسلَم قديمًا وشهِد العقبةَ ، وكان أحدَ النُّقَباءِ ليلتَئذٍ لبنى الحارثِ بنِ الخزرجِ ، وشهِد بدرًا وأُحدًا والخندقَ والحديبيةَ وخيبرَ ، وكان يَبْعَثُه صلى اللَّه عليه وسلم على خَرْصِها كما قدَّمنا ، وشهِد عُمرةَ القَضاءِ ، ودخَل يومئذٍ وهو مُمْسِكٌ بزِمامِ ناقةِ رسولِ اللَّهِ ﷺ - وقيل : بغَرزِها . يَعْنى الرِّكابَ - وهو يقولُ :

خلُّوا بَنى الكفارِ عن سبيلِهِ

الأَبياتِ ، كما تقدَّم . وكان أحدَ الأمراءِ الشهَداءِ يومَ مؤتةَ ، كما تقدَّم ، وقد شجَّع المسلمين للقاءِ الرومِ حينَ اشتَورُوا فى ذلك ، وشجَّع نفسَه أيضًا حتى نزَل بعدَما قُتِل صاحبَاه ، وقد شهِد له رسولُ اللَّهِ ﷺ بالشهادةِ ، فهو مِمَّن يُقْطَعُ له بدخولِ الجنةِ . ويُرْوَى أنَّه لمَّا أنشَد النبىَّ ﷺ شِعْرَه ، حينَ وَدَّعه ، الذى يَقولُ فيه :

فثبَّتَ اللَّهُ ما آتاك مِن حَسَنٍ تَثْبيتَ موسى ونصرًا كالَّذى نُصِروا

قال له رسولُ اللَّهِ ﷺ : « وأنت فثبَّتك اللَّهُ » . قال هشامُ بنُ عروةَ : فثبَّته اللَّهُ حتى قُتِل شهيدًا ودخَل الجنةَ[(1)] .

---

(1) ذكره ابن عبد البر بتمامه فى الاستيعاب ٣/ ٩٠٠. ورواه ابن أبى الدنيا بإسناده عن هشام بن عروة فى منازل الأشراف (٢٦٦) حتى قوله : « فثبتك اللَّه » .

وروَى حمادُ بنُ زيدٍ[(١)] ، عن ثابتٍ ، عن عبدِ الرحمنِ[٣/ ١١٢ظ] بنِ أبى ليلى ، أنَّ عبدَ اللَّهِ بنَ رواحةَ أتَى رسولَ اللَّهِ ﷺ وهو يخطُبُ فسمِعه يقولُ : « اجْلِسوا » . فجلَس مكانَه خارجًا مِن المسجدِ ، حتى [(٢)]فرَغ النبىُّ[(٢)] مِن خُطبتِه ، فبلَغ ذلك النبىَّ ﷺ فقال : « زادَك اللَّهُ حرصًا على طَواعيةِ اللَّهِ وطَواعيةِ رسولِه » .

وقال البخارىُّ فى « صحيحِه »[(٣)] : وقال مُعاذٌ[(٤)] : اجلِسْ بِنا نُؤْمِنْ ساعةً .

وقد ورد الحديثُ المرفوعُ فى ذلك ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ رَواحةَ بنحوِ ذلك ، فقال الإمامُ أحمدُ[(٥)] : حدَّثنا عبدُ الصمدِ ، عن عُمارةَ ، عن زِيادٍ النُّمَيرىِّ[(٦)] ، عن أنسٍ قال : كان عبدُ اللَّهِ بنُ رَواحةَ إذا لقِىَ الرجلَ مِن أصحابِه يقولُ : تعالَ نُؤْمِنْ بربِّنا ساعةً . فقال ذاتَ يومٍ لرجلٍ ، فغضِب الرجلُ فجاء فقال : يا رسولَ اللَّهِ ، ألَا ترَى ابنَ رواحةَ يَرغَبُ عن إيمانِك إلى إيمانِ ساعةٍ ! فقال النبىُّ ﷺ : « يَرْحَمُ اللَّهُ ابنَ رَواحةَ ، إنه يُحِبُّ المَجالسَ التى تَتَباهَى بها الملائكةُ » . وهذا حديثٌ غريبٌ جدًّا .

وقال البيهقىُّ[(٧)] : ثنا الحاكمُ ، ثنا أبو بكرٍ ، ثنا محمدُ بنُ أيوبَ ، ثنا أحمدُ

---

(١) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٦/ ٢٥٧، من طريق حماد بن زيد به .
(٢ - ٢) فى الأصل : « فزع الناس » . وفى م : « فرغ الناس » .
(٣) فتح البارى ١/ ٤٥، باب الإيمان وقول النبى : « بنى الإسلام على خمس » . من كتاب الإيمان .
(٤) فى م ، ص : « ابن معاذ » .
(٥) المسند ٣/ ٢٦٥.
(٦) فى م ، ص : « النحوى » .
(٧) شعب الإيمان ١/ ٧٥.

ابنُ يونُسَ ، ثنا شيخٌ مِن أهلِ المدينةِ ، عن صفوانَ بنِ سُلَيْمٍ ، عن عطاءِ بنِ يَسارٍ أنَّ عبدَ اللَّهِ بنَ رواحةَ قال لصاحبٍ له : تعالَ حتى نؤمِنَ ساعةً . قال : أوَ لسْنا بمؤمِنين ؟ قال : بلى ، ولكنَّا نذكُرُ اللَّهَ فنزدَادُ إيمانًا .

وقد روَى الحافظُ أبو القاسمِ اللَّالَكائِيُّ[1] ، مِن حديثِ أبي اليَمانِ ، عن صفوانَ بنِ سُليْمٍ ، عن شُرَيْحِ بنِ عُبَيْدٍ ، أنَّ عبدَ اللَّهِ بنَ رواحةَ كان يأخُذُ بيدِ الرجلِ مِن أصحابِه فيقولُ : قُمْ بنا نؤمنْ ساعةً فنجلِسَ في مجلِسِ ذِكْرٍ . وهذا مرسلٌ مِن هذيْن الوَجهيْن ، وقد استقصَيْنا الكلامَ على ذلك في أولِ « شرحِ البخاريِّ » . وللَّهِ الحمدُ والمنةُ .

وفي « صحيحِ البخاريِّ »[2] عن أبي الدَّرْداءِ قال : كنَّا مع رسولِ اللَّهِ ﷺ في سفرٍ في حَرٍّ شديدٍ ، وما فينا صائمٌ إلَّا رسولُ اللَّهِ ﷺ وعبدُ اللَّهِ بنُ رَواحةَ . رَضِيَ اللَّهُ عنه . وقد كان مِن شعَراءِ الصَّحابةِ المَشهورِينَ ، ومِمَّا نقَله البخاريُّ مِن شعرِه قولُه في رسولِ اللَّهِ ﷺ[3] :

وفينا رسولُ اللَّهِ يَتْلُو[4] كِتابَهُ إذا انشَقَّ مَعْروفٌ مِن الفجرِ ساطِعُ
يَبِيتُ يُجافِي جَنْبَه عن فِراشِه إذا استَثْقَلَتْ بالمُشرِكين المَضاجِعُ
[5]أَتَى بالهُدى[5] بعدَ العَمَى فقُلوبُنا به مُوقِناتٌ أنَّ ما قال واقِعُ

---

(١) في الأصل : « اللالكاني » . وفي م : « اللاكائي » . وقال السمعاني : بفتح اللام ألف واللام والكاف ، بعدها الألف ، وفي آخرها الياء آخر الحروف . هذه النسبة إلى بيع اللَّوالك ، وهي التي تلبس في الأرجل . الأنساب ٥/ ٦٦٩. والأثر لم نقف عليه فيما بين أيدينا من مصادر .

(٢) البخاري (١٩٤٥) .

(٣) البخاري (١١٥٥، ٦١٥١) .

(٤) في م : « نتلو » .

(٥ - ٥) كذا بالنسخ ، وفي البخاري : « أرانا الهدى » .

وقال البخاريُّ[(١)] : حدَّثنا عِمرانُ بنُ مَيْسَرَةَ ، ثنا محمدُ بنُ فُضَيْلٍ ، عن حُصَيْنٍ ، عن عامرٍ ، عن النعمانِ [٣/١١٣و] بنِ بَشِيرٍ قال : أُغْمِيَ على عبدِ اللَّهِ ابنِ رَواحةَ ، فجعَلَتْ أختُه عَمْرَةُ تَبْكِي : واجَبَلاه ، واكَذا ، واكَذا . تُعدِّدُ عليه ، فقال حينَ أفاقَ : ما قُلْتِ شيئًا إلَّا قِيل لى : أنت كذلك ؟!

حدَّثنا قُتَيْبَةُ ، ثنا عَبْثَرٌ[(٢)] ، عن حُصَيْنٍ ، عن الشعبىِّ ، عن النعمانِ بنِ بَشِيرٍ قال : أُغْمِيَ على عبدِ اللَّهِ بنِ رَواحةَ . بهذا ، فلمَّا مات لم تبكِ عليه .

وقد قدَّمْنا ما رَثاه به حسانُ بنُ ثابتٍ مع غيرِه .

وقال شاعرٌ مِن المسلمين مِمَّن رجَع مِن مؤتةَ مع مَن رجَع ، رَضِىَ اللَّهُ عنهم[(٣)] :

كَفى حَزَنًا أنِّى رجَعتُ وجعفرٌ ... وزيدٌ وعبدُ اللَّهِ فى رَمْسٍ[(٤)] أقبُرِ
قضَوْا نَحْبَهم لمَّا مضَوْا لِسبيلِهم ... وخُلِّفْتُ للبلْوَى مع المُتغَبِّرِ[(٥)]

وسَيأْتى إنْ شاء اللَّهُ تعالَى بقيةُ ما رُثِىَ به هَؤلاءِ الأمراءُ الثلاثةُ مِن شعرِ حسانَ بنِ ثابتٍ ، وكعبِ بنِ مالكٍ ، رَضِىَ اللَّهُ عنهما وأرْضَاهما .

---

(١) البخارى (٤٢٦٧، ٤٢٦٨) .

(٢) فى م ، ص : « خيثمة » . وهو عبثر بن القاسم الزبيدى . انظر تهذيب الكمال ٤/ ٢٦٩.

(٣) سيرة ابن هشام ٢/ ٣٨٨.

(٤) رمس : الرمس : خَفِيُّ القبر . شرح غريب السيرة ٣/ ٦٩.

(٥) فى النسخ : « المتغير » . والمثبت من السيرة . والمتغبر : الباقى . المصدر السابق .

فصلٌ فى ذكرِ[1] مَن استُشهِد يومَ مؤتةَ [2]مِن المسلمين[2]

فمِن المهاجرين؛ جعفرُ بنُ أبى طالبٍ، ومَوْلاهم زيدُ بنُ حارثةَ الكلبىُّ، ومسعودُ بنُ الأسودِ بنِ حارثةَ بنِ نَضْلةَ العَدَوىُّ، ووَهْبُ بنُ سعدِ بنِ أبى سَرْحٍ، فهَؤلاءِ أربَعةُ نفرٍ. ومِن الأنصارِ؛ عبدُ اللَّهِ بنُ رَواحةَ وعَبّادُ بنُ قيسٍ الخَزْرجيّان، والحارثُ بنُ النُّعمانِ بنِ إسافِ بنِ نَضْلَةَ النجّارىُّ، وسُراقةُ بنُ عمرِو بنِ عطِيّةَ بنِ خَنْساءَ المازنىُّ، أربعةُ نفرٍ. فمَجموعُ مَن قُتِل مِن المسلمين يومَئذٍ هَؤلاءِ الثَّمانيةُ، على ما ذكَره ابنُ إسحاقَ، لكنْ قال ابنُ هشامٍ[3]: ومِمَّن استُشهِد يومَ مؤتةَ، فيما ذكره ابنُ شهابٍ الزهرىُّ، أبو كُلَيْبٍ[4] وجابرٌ ابْنا عمرِو بنِ زيدِ بنِ عوفِ بنِ مَبْذولٍ المازِنيّان، وهما شَقيقان لأبٍ وأمٍّ، وعمرٌو وعامرٌ ابْنا سعدِ بنِ الحارثِ بنِ عَبّادِ بنِ سعدِ بنِ عامرِ بنِ ثَعْلَبَةَ بنِ مالكِ بنِ أفْصى. فَهَؤلاءِ أربعةٌ مِن الأنْصارِ أيضًا، فالمجْموعُ على القَوليْن اثْنا عشَرَ رجلًا، وهذا عظيمٌ جدًّا أنْ يَتَقاتلَ جيشان مُتَعادِيان فى الدِّينِ؛ أحدُهما، وهو الفِئةُ التى تُقاتِلُ[5] فى سبيلِ اللَّهِ، عِدّتُها ثلاثةُ آلافِ مقاتِلٍ، وأُخْرَى كافِرةٌ عِدَّتُها

(١) سقط من: م.
(٢ - ٢) سقط من: م.
(٣) سيرة ابن هشام ٢/ ٣٨٨، ٣٨٩.
(٤) فى ص: «كلاب». ويقال فيه بالاثنين، كما قال ابن هشام، وانظر الإصابة ٧/ ٣٤٥.
(٥) فى ص: «يتقابل».

مِائتا أَلْفِ مُقاتلٍ ؛ مِن الرومِ مائةُ ألفٍ ، ومِن نصارَى العرب مائةُ ألفٍ ، يتَبارَزون ويتَصاوَلون ، ثُم مع هذا كلِّه لا يُقْتَلُ مِن المسلِمين إلَّا اثْنا عشَرَ رجلًا ، وقد قُتِل مِن المشرِكين خَلْقٌ كثيرٌ . هذا خالدٌ وحدَه يقولُ : لقد اندقَّتْ في يَدى يومَئذٍ تسعةُ أَسْيافٍ ، وما صَبَرَتْ في يَدى إلَّا صفيحةٌ يمانيَةٌ . فماذا تُرَى قد قُتِل [٣/١١٣ظ] بهذه الأسيافِ كلِّها ؟! دَعْ غيرَه مِن الأبْطالِ والشُّجعانِ ، مِن حَملةِ القرآنِ ، وقد تحكَّموا في عَبَدَةِ الصُّلْبانِ ، عليهم لَعائنُ الرحمنِ ، في ذلك الزَّمانِ ، وفى كلِّ أوَانٍ . وهذا مما يَدْخُلُ في قولِه تعالَى[1] : ﴿ قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِى فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَٰتِلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْىَ ٱلْعَيْنِ وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِۦ مَن يَشَآءُ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُوْلِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴾ [آل عمران : ١٣] .

(١) التفسير ٢/١٢ - ١٤.

حديثٌ فيه فضِيلةٌ عظيمةٌ[1]

لأمَراءِ هذه السَّريَّةِ

وهم؛ زيدُ بنُ حارثةَ، وجعفرُ بنُ أبى طالبٍ، وعبدُ اللَّهِ بنُ رَواحةَ، رَضِىَ اللَّهُ عنهم.

قال الإمامُ العالِمُ الحافظُ أبو زُرْعَةَ عبدُ اللَّهِ بنُ عبدِ الكَريمِ الرَّازِىُّ، نضَّر اللَّهُ وجهَه، فى كِتابِه «دلائلِ النبوةِ»[2] - وهو كِتابٌ جليلٌ -: حدَّثنا صفوانُ بنُ صالحٍ الدمشقىُّ، ثنا الوليدُ، ثنا ابنُ جابرٍ، (ح) وحدَّثنا عبدُ الرحمنِ بنُ إبراهيمَ الدمشقىُّ، ثنا الوليدُ وعمرٌو - يعنِى ابنَ عبدِ الواحدِ - قالا: ثنا ابنُ جابرٍ، سمعتُ سُلَيْمَ بنَ عامرٍ الخَبائرىَّ يقولُ: أخبرَنى أبو أُمامةَ الباهِلِىُّ، سمِعْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ: «بينا أنا نائمٌ إذ أتانِى رَجُلان، فأخذا بضَبْعَىَّ[3] فأتَيا بى جبلًا وَعْرًا فقالا: اصعَدْ. فقلتُ: لا أُطيقُه. فقالا: إنَّا سنُسهِّلُه لك. قال: فصعِدْتُ حتى إذا كنتُ فى سَواءِ الجبلِ[4] إذا أنا بأصْواتٍ شَديدةٍ، فقلتُ: ما هَؤُلاءِ الأصواتُ؟ فقالا: عُواءُ أهلِ النارِ. ثُم انطلَقا بى، فإذا

---

(١) من هنا حتى نهاية الحديث سقط من: ص.

(٢) أخرجه ابن خزيمة فى صحيحه (١٩٨٦)، والطبرانى فى الكبير (٧٦٦٧)، كلاهما من طريق ابن جابر بنحوه. وقال الهيثمى فى المجمع ١/ ٧٦، ٧٧: رواه الطبرانى فى الكبير ورجاله رجال الصحيح. كما أخرجه الحاكم فى المستدرك ١/ ٤٣٠، من طريق ابن جابر به مختصرا، وصححه، ووافقه الذهبى.

(٣) الضبع: وسط العضد. وقيل هو ما تحت الإبط. النهاية ٣/ ٧٣.

(٤) سواء الجبل: السواء من الجبل ونحوه: ذروته. الوسيط (س و ى).

بقومٍ مُعَلَّقِين بعَراقيبِهم، مُشَقَّقَةٍ أَشْدَاقُهم، تَسيلُ أشدَاقُهم دمًا، فقلتُ: ما هَؤلاءِ؟ فقالا: هؤلاءِ الذين يُفْطِرون قبلَ تَحِلَّةِ صومِهم». فقال: خابت اليهودُ والنَّصارَى. قال سُلَيمٌ: "(١) لا أَدْرِى (١)" أسمِعه مِن رسولِ اللَّهِ ﷺ أمْ مِن رأْيِه «ثُم انطلَقا بى، فإذا قومٌ أشدُّ شىءٍ انْتِفاخًا، وأَنْتَنُ شىءٍ رِيحًا، كأَنَّ رِيحَهم المَراحيضُ، قلتُ: مَن هؤلاءِ؟ قالا: هؤلاءِ قَتْلى الكفارِ. ثُم انطلَقا بى، فإذا بقومٍ أشدِّ شىءٍ (٢) انتِفاخًا، وأَنْتَنِ شىءٍ رِيحًا، كأَنَّ رِيحَهم المَراحيضُ. قلتُ: مَن هؤلاءِ؟ قال: هَؤلاءِ الزَّانون والزَّوانِى. ثُم انطلَقا بى، فإذا بِنساءٍ تَنْهَشُ ثُدِيَّهنَّ الحيَّاتُ، فقلت: ما بالُ هؤلاءِ؟ قالا: هؤلاءِ اللاتى يمنَعْن أولادَهن ألبانَهن. ثُم انطلَقا بى، فإذا بغلمانٍ يلعَبون بينَ بَحرَيْن، قلتُ: مَن هؤلاء؟ قالا: هؤلاء ذَرارِىُّ المؤمِنين. ثُم أشرَفا بى شَرَفًا، فإذا بنفَرٍ ثلاثةٍ يشرَبون مِن خمرٍ لهم، فقلتُ: مَن هؤلاءِ؟ قالا: هؤلاء جعفرُ بنُ أبى [٣/١١٤و] طالبٍ، وزيدُ بنُ حارثةَ، وعبدُ اللَّهِ بنُ رواحةَ. ثُم أشرَفا بى شَرَفًا آخرَ، فإذا أنا بنفَرٍ ثلاثةٍ، فقلتُ: مَن هؤلاءِ؟ قالا: هؤلاء إبراهيمُ، وموسى، وعيسى، عليهم السلامُ، وهم ينتَظِرونك».

(١ - ١) سقط من: الأصل، ٤١، م. والمثبت من صحيح ابن خزيمة.

(٢) سقط من: الأصل، م.

فصلٌ فيما قِيل مِن الأشْعارِ فى غَزوةِ مؤتةَ

قال ابنُ إسحاقَ[1] : وكان مما بُكِيَ به أصحابُ مؤتةَ قولُ حسانَ :

تـأوَّبَنـى[2] لـيـلٌ بـيـثـرِبَ أعـسَـرُ ... وهَمٌّ إذا ما نَوَّمَ الناسُ مُسْهِرُ

لِذكْرَى حبيبٍ هيَّجتْ لىَ عَبْرةً ... سَفوحًا وأسبابُ البُكاءِ التَّذكُّرُ[3]

بَلى إنَّ فُقدانَ الحبيبِ بَلِيَّةٌ ... وكم مِن كريمٍ يُبتَلَى ثُمَّ يَصْبِرُ

رأيتُ خيارَ المسلمين تـوارَدُوا ... شَعوبًا وخَلْفًا بعدَهم يتأخَّرُ[4]

فلا يُبْعِدَنَّ اللَّهُ قَتْلَى تتابَعُوا[5] ... بمؤتةَ منهم ذو الجَناحيْن جعفرُ

وزيدٌ وعبدُ اللَّهِ حيـنَ تَتابَعُوا[5] ... جميعًا وأسبابُ المَنيَّةِ تَخْطِرُ[6]

غداةَ مضَوْا بالمؤمِنين يقودُهم ... إلى الموتِ مَيمونُ النَّقيبةِ أزهَرُ[7]

---

(١) سيرة ابن هشام ٣٨٣/٢ - ٣٨٥، وانظر ديوان حسان بن ثابت ص ٢٢٣، ٢٢٤.

(٢) فى ص : « يأوينى »، وتأوبنى : عاودنى . شرح غريب السيرة ٣/ ٦٥.

(٣) عبرة : دمعة . والسفوح : السائلة . المصدر السابق .

(٤) فى الأصل : « يتأخروا »، وفى ص : « متأخر »، وتواردوا شعوبًا : من رواه بضم الشين فهو جمع شَعْب وهى القبيلة . وقيل : هو أكثر من القبيلة . ومن رواه بفتح الشين فهو اسم للمَنيَّة من قولك : شَعَبْتُ الشيءَ ، إذا فَرَقْتُه ، ويجوز فيه الصرف وتركه . وخلفا : من يأتى بعده . المصدر السابق .

(٥) فى الأصل ، ص : « تبايعوا » .

(٦) تخطِر : يقال : خطر فى مشيته إذا تبختر فيها وتحرك واهتز . المصدر السابق .

(٧) ميمون النقيبة : مسعودٌ مُنْجَح فيما يطلبه . وأزهر : أبيض . المصدر السابق .

أغَرُّ كضَوءِ البَدْرِ مِن آلِ هاشمٍ   أبيٌّ إذا سِيمَ الظُّلامةَ مِجْسَرُ[1]
فطاعَنَ حتى مالَ غيرَ مُوَسَّدٍ   بمُعْتَرَكٍ[2] فيه القَنَا مُتَكَسِّرُ
فصار مع المُسْتشهِدين ثوابُه   جِنانٌ ومُلْتَفُّ الحَدائقِ أخضرُ
وكُنا نَرى في جعفرٍ مِن محمدٍ   وفاءً وأمرًا حازمًا حينَ يأمُرُ
ومازالَ فى الإسلامِ مِن آلِ هاشمٍ   دَعائمُ عِزٍّ لا يَزُلْنَ ومَفخَرُ
هُمُ جبلُ الإسلامِ والناسُ حولَهم   رِضامٌ إلى طَوْدٍ يَرُوقُ ويَقْهَرُ[3]
بَهالِيلُ[4] منهم جعفرٌ وابنُ أُمِّه   عليٌّ ومنهم أحمدُ المُتَخيَّرُ
وحمزةُ والعبَّاسُ منهم ومِنهمُ   عَقِيلٌ وماءُ العُودِ مِن حيثُ يُعْصَرُ
بهم تُفْرَجُ اللأْواءُ فى كلِّ مأزِقٍ   عَماسٍ إذا ما ضاقَ بالنَّاسِ مَصدَرُ[5]
همُ أوْلياءُ اللَّهِ أنزَل حُكْمَه   عليهم وفيهم ذا الكِتابُ المُطَهَّرُ

وقال كعبُ بنُ مالكٍ، رَضِيَ اللَّهُ عنه[6]:

---

(١) مجسر: كثير الجسارة، وهى الجراءة والإقدام على الشىء. النهاية ١/ ٢٧٢.

(٢) المعترك: موضع الحرب. شرح غريب السيرة ٣/ ٦٦.

(٣) فى م: «يبهر». ورضام جمع رضمة: وهو الكدس من الحجارة يجعل بعضها على بعض. وطود: جبل. ويروق: يعجب. المصدر السابق.

(٤) بهاليل: جمع بُهْلُول وهو الوضىء الوجه مع طول. الروض الأنف ٧/ ٤٣.

(٥) اللأواء: الشدة. والمأزق: المكان الضيق فى الحرب. والعماس: المظلم، يريد من ارتفاع الغبار فيه. شرح غريب السيرة ٣/ ٦٦.

(٦) سيرة ابن هشام ٢/ ٣٨٥، ٣٨٦.

نامَ العيونُ ودمعُ عينِك يَهْمُلُ ... سَحًّا كما وكَفَ الطِّبابُ المُخْضِلُ[1]

[٣/ ١١٤ظ] في ليلةٍ وردَتْ عليَّ همومُها ... طَورًا أَحِنُّ[2] وَتارةً أَتَمَلْمَلُ[3]

واعتادَني حُزْنٌ فبِتُّ كأنَّني ... ببَناتِ نَعْشٍ والسِّمَاكِ مُوَكَّلُ[4]

وكأنما بينَ الجَوانحِ[5] والحَشا ... ممَّا تأوَّبَني شِهابٌ مُدخَلُ

وَجْدًا على النَّفَرِ الذينَ تَتابَعوا ... يومًا بمؤتةَ أُسْنِدوا لم يُنْقَلوا

صلَّى الإلهُ عليهِمُ مِن فِتيَةٍ ... وسقَى عِظامَهمُ الغَمامُ المُسْبِلُ[6]

صبَروا بمؤتةَ للإلهِ نُفوسَهم ... حَذَرَ الرَّدَى ومخافةً أن يَنْكُلوا

فمضَوْا أمامَ المُسْلمين كأنَّهم ... فُنُقٌ عليهِنَّ الحَديدُ المُرْفَلُ[7]

إذْ يَهتَدون بجعفرٍ ولِوائِه ... قُدَّامَ أوَّلِهم فنِعْمَ الأوَّلُ

حتى تفرَّجتِ الصُّفوفُ وجعفرٌ ... حيثُ الْتَقى وَعْثُ الصُّفوفِ مُجَدَّلُ[8]

---

(١) يهمل: يسيل. وسحًّا: صبًّا. ووكف: قطر. والطباب: ثقب خرز المزادة التى يجعل فيها الماء. والمخضل: السائل الندى. شرح غريب السيرة ٣/ ٦٦، ٦٧.

(٢) فى م: أَخِن. قال أبو ذر: من رواه بالحاء المهملة فهو من الحنين، ومن رواه بالخاء المعجمة فهو من الخنين، وهو صوت يخرج من الأنف عند البكاء. المصدر السابق ٣/ ٦٧.

(٣) فى م: «أتمهل». وأتململ: أتقلب. المصدر السابق.

(٤) بنات نعش: سبعة كواكب تشاهد جهة القطب الشمالى شبهت بحملة النعش. الوسيط (ن ع ش). والسماك: نجم نير معروف. اللسان (س م ك).

(٥) الجوانح: عظام أسفل الصدر. شرح غريب السيرة ٣/ ٦٧.

(٦) المسبل: الممطر، يقال للمطر: سَبَلٌ. المصدر السابق.

(٧) فنق جمع فَنيق: وهو الفحل من الإبل. والمرفل: الذى تَنْجَرُّ أطرافه على الأرض، يعنى الدروع. المصدر السابق.

(٨) الوعث: الرمل الذى تغيب فيه الأرجل. ومجدل: مطروح بالجَدالة وهى الأرض. المصدر السابق.

فتَغيَّر القمرُ المُنيرُ لِفَقدِه		والشَّمسُ قد كَسَفتْ وكادتْ تأْفِلُ[1]
قَرْمٌ علا بُنْيانُه مِن هاشمٍ		فَرْعًا أشَمَّ وسُؤدَدًا ما يُنقَلُ
قومٌ بهم عصَم الإلهُ عِبادَهُ		وعليهمُ نزَل الكِتابُ المُنْزَلُ
فضَلُوا المَعاشرَ عِزَّةً وتَكرُّمًا		وتغمَّدتْ أحلامُهم[2] مَن يَجهَلُ
لا يُطلِقون إلى السَّفاهِ حُباهُمُ		ويُرَى خطيبُهمُ بحقٍّ يَفصِلُ
بِيضُ الوُجوهِ ترَى بُطونَ أكُفِّهم		تَنْدَى إذا اعتذَر الزمانُ المُمْحِلُ[3]
وبهَدْيِهم رَضِيَ الإلهُ لِخَلْقِه		وبجِدِّهِم[4] نُصِرَ النبيُّ المُرْسَلُ

---

(١) قال السهيلى : قوله - أى قول كعب فى هذا البيت - حق ؛ لأنه إن كان عنى بالقمر رسول الله ، فجعله قمرا ثم جعله شمسا ، فقد كان تغير بالحزن لفقد جعفر ، وإن كان أراد القمر نفسه ، فمعنى الكلام ومغزاه حق أيضا ؛ لأن المفهوم منه تعظيم الحزن والمصاب ، وإذا فهم مغزى الشاعر فى كلامه والمبالغ فى الشيء فليس بكذب . الروض الأنف ٧/ ٤٦.

(٢) تغمدت أحلامهم : سترت عقولهم .

(٣) الممحل : هو من المحل ، وهو شدة القحط . شرح غريب السيرة ٣/ ٦٨.

(٤) قال أبو ذر : من رواه بالحاء المهملة المفتوحة فمعناه بشجاعتهم وإقدامهم ، ومن رواه بالجيم المكسورة فهو معلوم . المصدر السابق .

بسمِ اللّهِ الرحمنِ الرحيمِ

كتابُ بعْثِ رسولِ اللّهِ ﷺ إلى ملوكِ الآفاقِ وكَتْبِه إليهم (١يَدْعُوهم إلى اللّهِ، عزَّ وجلَّ، وإلى الدخولِ فى الإسلامِ١)

ذكَر الواقدىُّ[٢] أن ذلك كان فى آخرِ سنةِ ستٍّ فى ذى الحِجَّةِ، بعدَ عمرةِ الحدَيبيةِ. وذكَر البيهقىُّ هذا الفصلَ فى هذا الموضعِ، بعدَ غزوةِ مؤتةَ[٣]. واللّهُ أعلمُ. ولا خلافَ بينَهم أن بَدءَ ذلك كان قبلَ فتحِ مكةَ وبعدَ الحدَيبيةِ؛ لقولِ أبى سفيانَ لِهِرَقْلَ حينَ سأَله: هل يَغْدِرُ؟ فقال: لا، ونحن منه فى مدةٍ لا نَدْرِى ما هو صانعٌ فيها. وفى لفظٍ للبخارىِّ[٤]: وذلك فى المدةِ [٣/١١٥و] التى مادَّ فيها أبو سفيانَ رسولَ اللّهِ ﷺ.

وقال محمدُ بنُ إسحاقَ[٥]: كان ذلك ما بينَ الحدَيبيةِ ووفاتِه، عليه الصلاةُ والسلامُ. ونحن نذكُرُ ذلك هٰهنا، وإن كان قولُ الواقدىِّ مُحتَمِلًا. واللّهُ أعلمُ.

(١ - ١) سقط من: م.

(٢) ذكره عنه الطبرى فى تاريخه ٢/ ٦٤٤، حوادث السنة السادسة.

(٣) دلائل النبوة ٤/٣٧٦ - ٣٩٦.

(٤) البخارى (٧).

(٥) ذكره عنه الطبرى فى تاريخه ٢/ ٦٤٥، حوادث السنة السادسة.

وقد روَى مسلمٌ[1] ، عن يوسُفَ بنِ حمَّادٍ المَعْنِيِّ ، عن عبدِ الأعْلَى بنِ عبدِ الأعْلَى ، عن سعيدِ بنِ أبي عَرُوبَةَ ، عن قتادةَ ، عن أنسِ بنِ مالكٍ ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ كتَب [2]قبلَ موتِه[2] إلى كِسْرَى وقَيْصَرَ وإلى النجاشيِّ ، وإلى كلِّ جبَّارٍ ؛ يَدْعُوهم إلى اللَّهِ ، عزَّ وجلَّ ، وليس بالنجاشيِّ الذي صلَّى عليه .

وقال يونسُ بنُ بُكيرٍ ، عن محمدِ بنِ إسحاقَ[3] ، حدَّثني الزُّهْريُّ ، عن عُبَيْدِ اللَّهِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ عُتبةَ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ عباسٍ ، حدَّثني أبو سفيانَ ، مِن فيه إلى فِيَّ ، قال : كنا قومًا تجارًا ، وكانت الحربُ قد حصَرتْنا حتى نهَكتْ أموالَنا ، فلمَّا كانت الهدنةُ - هدنةُ الحديبيةِ - بينَنا وبينَ رسولِ اللَّهِ ﷺ [4]لم نأْمَنْ أن وجَدْنا أمنًا[4] ، فخرَجتُ تاجرًا إلى الشامِ مع رهطٍ مِن قريشٍ ، فواللَّهِ ما علمتُ بمكةَ امرأةً ولا رجلًا إلَّا وقد حمَّلني بضاعةً ، وكان وجهُ مَتْجَرِنا مِن الشامِ غَزَّةَ مِن أرضِ فِلَسْطِينَ ، فخرَجْنا حتى قدِمْناها ، وذلك حينَ ظهَر قيصرُ صاحبُ الرومِ على مَن كان في بلادِه مِن الفرسِ ، فأخرَجهم منها ، ورَدَّ عليه صليبَه الأعظمَ ، وقد كان اسْتَلَبوه إياه ، فلمَّا أن بلَغه ذلك ، وقد كان منزلُه بحِمْصَ مِن أرضِ[4] الشامِ ، فخرَج منها يمشِي مُتَشكِّرًا[6] إلى بيتِ المقدسِ ؛

---

(1) مسلم (1774) .

(2 - 2) زيادة ليست في صحيح مسلم ، وفي م : « قبل مؤتة » . وقد ذكر الحافظ الذهبي هذا الحديث في تاريخ الإسلام ، جزء المغازي ص 501، وعزاه إلى مسلم ، مثبتا هذه الزيادة .

(3) أخرجه البيهقي في دلائل النبوة 4/381 - 383، وابن عساكر في تاريخ دمشق 23/428 - 431، كلاهما من طريق يونس بن بكير به . كما أخرجه الطبري في تاريخه 2/ 646، من طريق سلمة عن ابن إسحاق ، به نحوه .

(4) في تاريخ الطبري : « لم نأمن ألا نجد أمنا » .

(5) سقط من : م .

(6) عند الطبري : متشكرًا للَّه حين ردَّ عليه ما رَدّ .

لِيُصَلِّىَ فيه ، تُبْسَطُ له البُسُطُ ، وتُطْرَحُ له عليها الرياحينُ ، حتى انتهَى إلى إيلياءَ فصلَّى بها ، فأصبَح ذاتَ غداةٍ وهو مهمومٌ ، يُقَلِّبُ طَرْفَه إلى السماءِ ، فقالت بَطارِقتُه : أيها الملكُ ، لقد أصبحتَ مهمومًا . فقال : أجل . فقالوا : وما ذاك ؟ فقال : أُرِيتُ فى هذه الليلةِ أن مَلِكَ الخِتانِ ظاهرٌ . فقالوا : واللَّهِ ما نعلَمُ أمةً مِن الأممِ تختتِنُ إلَّا اليهودَ ، وهم تحتَ يدَيك وفى سلطانِك ، فإن كان قد وقَع هذا فى نفسِك منهم ، فابْعَثْ فى مملكتِك كلِّها ، فلا يَبْقَى يهودىٌّ إلا ضُرِبَتْ عنقُه ، فتَستَرِيحَ مِن هذا الهمِّ . فإنهم فى ذلك مِن رأيِهم يُدَبِّرُونَهُ[1] ، إذْ أتاهم رسولُ صاحبِ بُصْرَى [٣/ ١١٥ظ] برجلٍ مِن العربِ قد وقَع إليهم ، فقال : أيها الملكُ ، إن هذا رجلٌ مِن العربِ مِن أهلِ الشاءِ والإبلِ ، يُحَدِّثُك عن حَدَثٍ كان ببلادِه ، فاسأَلْه عنه . فلمَّا انتهَى إليه ، قال لتَرْجُمانِه : سَلْه ما هذا الخبرُ الذى كان فى بلادِه ؟ فسأله فقال : رجلٌ مِن العربِ مِن قريشٍ ، خرَج يَزْعُمُ أنه نبىٌّ ، وقد اتَّبَعَه أقوامٌ وخالَفه آخَرون ، وقد كانت بينَهم مَلاحِمُ فى مواطنَ ، فخرَجْتُ مِن بلادى وهم على ذلك . فلمَّا أخبَره الخبرَ قال : جرِّدُوه . فإذا هو مَخْتونٌ ، فقال : هذا واللَّهِ الذى قد أُرِيتُ ، لا ما تقولون ، أَعْطِه ثوبَه ، انطلِقْ لشأنِك . ثم إنه دعا صاحبَ شُرْطتِه ، فقال له : قلِّبْ لىَ الشامَ ظَهرًا لبَطنٍ ، حتى تأتىَ برجلٍ مِن قومِ هذا أسألُه عن شأنِه . قال أبو سفيانَ : فواللَّهِ إنِّى وأصحابِى لَبِغَزَّةَ ، إذْ هجَم علينا ، فسأَلَنا : مِمَّن أنتم ؟ فأخبرْناه ، فساقَنا إليه جميعًا ، فلمَّا انتَهيْنا إليه ، قال أبو سفيانَ : فواللَّهِ ما رأيتُ مِن رجلٍ قطُّ أزعُمُ أنه كان أدْهَى مِن ذلك الأغْلَفِ[2] - يريدُ هِرَقْلَ - قال : فلمَّا انتهيْنا إليه قال :

---

(١) مطموسة فى الأصل . وفى م ، ص : « يديرونه بينهم » .

(٢) الأغلف : الذى لم يختتن . اللسان (غ ل ف) .

أيُّكم أمَسُّ به رحِمًا؟ فقلت : أنا . قال : أَدْنُوه مِنِّى . قال : فأجلَسنى بينَ يدَيه ثم أمَر بأصْحابى ، فأجلَسهم خلفى ، وقال : إن كذَب فرُدُّوا عليه . قال أبو سفيانَ : فلقد عرَفْتُ أنى لو كذَبتُ ما رَدُّوا علىَّ ، ولكنِّى كنتُ امْرءًا سيِّدًا ، أتَكَرَّمُ وأسْتَحِى مِن الكذبِ ، وعرَفْتُ أنَّ أدنَى ما يكونُ فى ذلك أن يَرْوُوه عنِّى ، ثم (١) يَتَحَدَّثوا به (١) عنِّى بمكةَ ، فلم أَكْذِبْه . فقال : أخبِرْنى عن هذا الرجلِ الذى خرَج فيكم . فزهَّدْتُ له شأنَه ، وصَغَّرتُ له أمرَه ، (٢) فواللَّهِ ما الْتَفَتَ إلى ذلك مِنِّى ، وقال لى : أَخْبِرْنى عما أَسْأَلُك عنه مِن أمرِه (٢) . فقلتُ : سلْنى عما بَدَا لك؟ فقال : كيف نسبُه فيكم؟ فقلتُ : مَحْضًا [٣] ، مِن أوسَطِنا نسبًا . (٤) قال: فأخبِرْنى هل كان مِن أهلِ بيتِه أحدٌ يقولُ مثلَ قولِه ، فهو يَتَشَبَّهُ به؟ فقلتُ : لا . قال : فأخبِرْنى هل كان [٥] له مُلْكٌ فاستَلَبْتُموه إيَّاه ، فجاء بهذا الحديثِ لِتَرُدُّوه عليه؟ فقلتُ : لا . قال : فأخبِرْنى عن أتْباعِه ، مَن هم؟ فقلتُ : الأحْداثُ والضُّعفاءُ والمساكينُ ، فأمَّا أشرافُهم وذَوُو الأسنانِ [٦] فلا . قال : فأخبِرْنى عمَّن يَصْحَبُه ، أيُحِبُّه ويَلْزَمُه [٧] ، أم يَقلِيه ويُفارِقُه؟ قلتُ : قَلَّ [٨] ما صَحِبه رجلٌ ففارَقه . قال : فأخبِرْنى عن الحربِ بينَكم وبينَه؟ فقلتُ : (٤)

(١ - ١) فى م : « يتحدثونه » .

(٢ - ٢) سقط من : الأصل ، م .

(٣) المحض من كل شيء : الخالص . وعربى محض : خالص النسب . اللسان (م ح ض) .

(٤ - ٤) سقط من : ١ ٤ .

(٥) سقط من : الأصل ، م .

(٦) فى م ، ص : « الأنساب » . وذوو الأسنان : أى الكبار .

(٧) فى النسخ : « يكرمه » . والمثبت من الدلائل وتاريخ دمشق .

(٨) سقط من : النسخ . والمثبت من الدلائل وتاريخ دمشق .

(١) سِجالٌ ، يُدالُ علينا ونُدالُ(٢) عليه . قال : فأخبِرْنى هل يَغْدِرُ ؟ فلم أجِدْ شيئًا أغُرُّه به إلا هى ، قلتُ : [٣/١١٦و] لا ، ونحن منه فى مُدَّةٍ ، ولا نَأْمَنُ غَدْرَه فيها . فواللَّهِ ما التفَتَ إليها منى . قال : فأعاد علىَّ الحديثَ ، فقال : زعَمْتَ أنه مِن أمْحضِكم نسبًا ، وكذلك يَأْخُذُ اللَّهُ النبىَّ (٣) إذا أخَذه (٣) ، لا يأخُذُه إلَّا مِن أوسطِ قومِه ، وسألتُك هل كان مِن أهلِ بيتِه أحدٌ يقولُ مثلَ قولِه فهو يَتَشَبَّهُ به ، فقلتَ : لا . وسألتُك هل كان له مُلْكٌ فاسْتَلَبْتُموه إيَّاه ، فجاء بهذا الحديثِ لِتَرُدُّوا عليه مُلْكَه ، فقلتَ : لا . وسألتُك عن أتْباعِه ، فزعَمْتَ أنهم الأحْداثُ والمساكينُ والضعفاءُ ، وكذلك أتْباعُ الأنبياءِ فى كلِّ زمانٍ ، وسألتُك عمَّن يَتَّبِعُه ، أيُحِبُّه ويَلْزَمُه(٤) ، أم يَقْلِيه ويُفارِقُه ، فزعَمْتَ أنه قلَّ مَن يَصْحَبُه فيُفارِقُه ، وكذلك حَلاوَةُ الإيمانِ ، لا تَدْخُلُ قلبًا فتخرُجُ منه ، وسألتُك كيف الحربُ بينَكم وبينَه ، فزعمتَ أنها سِجالٌ ؛ يُدالُ عليكم وتُدالُون عليه ، وكذلك تكونُ حربُ الأنبياءِ ، ولهم تكونُ العاقِبةُ ، وسألتُك هل يغدِرُ ، فزعمتَ أنه لا يَغْدِرُ(١) ، فلَئِن كنتَ صَدَقْتَنى ، لَيَغْلِبنَّ علَى ما تحتَ قدَمَىَّ هاتيْن ، ولَوَدِدْتُ أنى عندَه فأغْسِلُ عن قدمَيْه . ثم قال : الحَقْ بشأنِك . قال : فقمتُ وأنا أضرِبُ بإحْدى يدىَّ على الأخْرى ، وأقولُ : يا عبادَ اللَّهِ ، لقد أَمِر أمْرُ(٥) ابنِ

(١ - ١) سقط من : ٤١.

(٢) فى ص ، الدلائل : « تدال » . ويدال علينا وندال عليه : يغلبنا مرة ونغلبه أخرى . انظر النهاية ٢/ ١٤١.

(٣ - ٣) سقط من النسخ . والمثبت من الدلائل وتاريخ دمشق .

(٤) فى النسخ : « يكرمه » . والمثبت من الدلائل وتاريخ دمشق .

(٥) أمر أمره : أى كثر وارتفع شأنه . النهاية ١/ ٦٥.

(1) أبى كَبْشَةَ ! أصبَح ملوكُ بنى الأصْفرِ يَخافُونه فى سلطانِهم.

قال ابنُ إسحاقَ[2] : وحدَّثنى(1) الزُّهْرىُّ قال : حدَّثنى أُسْقُفٌّ مِن النَّصارَى ، قد أدرَك ذلك الزمانَ قال : قَدِم دِحْيةُ بنُ خليفةَ على هِرَقْلَ بكتابِ رسولِ اللَّهِ ﷺ فيه : « بسمِ اللَّهِ الرحمنِ الرحيمِ ، مِن محمدٍ رسولِ اللَّهِ إلى هِرَقْلَ عظيمِ الرُّومِ ، سلامٌ على مَن اتَّبَع الهُدى ، أمَّا بعدُ ؛ فأسْلِمْ تَسْلَمْ ، (3) وأَسْلِمْ(3) يُؤْتِك اللَّهُ أجرَك مرَّتيْن ، فإن أبيْتَ فإنَّ إثْمَ الأكَّارِين[4] عليك » . قال : فلمَّا انتهَى إليه كِتابُه وقرَأه ، أخَذه فجعَله بينَ فخِذِه وخاصِرَتِه ، ثم كتَب إلى رجلٍ مِن أهلِ رُومِيَةَ ، كان يَقْرَأُ مِن العِبرانيَّةِ ما يَقْرَأُ ، يُخْبِرُه عما جاءَه مِن رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فكتَب إليه : إنه النبىُّ الذى يُنْتَظَرُ لا شكَّ فيه ، فاتَّبِعْه . فأمَر بعُظَماءِ الرومِ ، فجُمِعوا له فى دَسْكَرَةِ[5] مُلْكِه ، ثم أمَر بها فأُشْرِجَتْ[6] عليهم ، واطَّلَع عليهم مِن عِلِّيَّةٍ له وهو منهم خائفٌ ، فقال : يا معشرَ الرومِ ، إنَّه قد جاءَنى كتابُ أحمدَ ، وإنَّه واللَّهِ النبىُّ الذى كُنَّا نَنتظِرُ ونَجِدُ[7] ذِكْرَه فى كتابِنا ، نعرِفُه بعلاماتِه وزمانِه ، فأسلِموا واتَّبِعوه تَسْلَمْ لكم دُنياكم وآخِرتُكم . [٣/ ١١٦ظ] فنخَروا

(١ - ١) سقط من : الأصل .

(٢) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٤/ ٣٨٤، من طريق ابن إسحاق به .

(٣ - ٣) سقط من : الأصل ، ١٤، م .

(٤) فى الأصل ، م : « الأكاريين » . والأكارين : جمع أكار ، وهو الحرّاث ، والزّرّاع . اللسان (أ ك ر) .

(٥) الدسكرة : بناء على هيئة القصر ، فيه منازل وبيوت للخدم والحشم ، وليست بعربية مَحْضة . النهاية ٢/ ١١٧.

(٦) فى الأصل ، م : « فأشرحت » ، وفى ١٤: « فأسرجت » ، وفى ص : « فأسرحت » . والمثبت من الدلائل . والشَّرَج : عُرَى العَيبة والخِباء . وأشرجت العيبة : إذا شددتها بالشرج . اللسان (ش ر ج) . والمعنى هنا أنه أحكم غلق الدسكرة عليهم .

(٧) فى الأصل ، ١٤: « محل » ، وفى م ، ص : « مجمل » . والمثبت من الدلائل .

نَخْرةَ رجلٍ واحدٍ ، وابتَدَروا أبوابَ الدَّسْكَرةِ فوجَدُوها مغلَقةً دونَهم ، فخافَهم وقال : رُدُّوهم عليَّ . فردُّوهم عليه ، فقال لهم : يا معشرَ الرومِ ، إنى إنما قلتُ لكم هذه المقالةَ أخْتَبِرُكم بها ؛ لأنظُرَ كيف صَلابتُكم فى دينِكم ، فلقد رأيتُ منكم ما سرَّنى . فوقَعوا له سُجَّدًا ، ثم فُتِحتْ لهم أبوابُ الدَّسْكَرةِ فخرَجوا .

وقد روَى البخاريُّ قصةَ أبى سفيانَ مع هِرَقْلَ بزياداتٍ أُخَرَ ، أحبَبْنا أن نُورِدَها بسَندِها وحُروفِها مِن « الصحيحِ » ؛ ليُعلَمَ ما بينَ السِّياقَيْن مِن التبايُنِ ، وما فيهما مِن الفوائدِ .

قال البخاريُّ قبلَ الإيمانِ(١) مِن « صحيحِه »(٢) : حدَّثنا أَبو اليَمانِ الحكَمُ بنُ نافعٍ ، أخبَرَنا شُعَيبٌ ، عن الزُّهْرىِّ ، أخبَرنى عُبَيْدُ اللَّهِ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ عتبةَ بنِ مسعودٍ ، أن عبدَ اللَّهِ بنَ عبَّاسٍ أخبَره ، أن أبا سفيانَ أخبَره أن هِرَقْلَ أرْسَل إليه فى رَكْبٍ مِن قريشٍ ، وكانوا تُجَّارًا بالشامِ فى المُدَّةِ التى كان رسولُ اللَّهِ ﷺ مادَّ فيها أبا سفيانَ وكفارَ قريشٍ ، فأتَوْه وهم بإيلِياءَ ، فدَعاهم فى مجلِسِه وحولَه عُظماءُ الرومِ ، ثم دَعاهم ودَعا بالتَّرْجُمانِ فقال : أيُّكم أقربُ نَسَبًا بهذا الرجلِ الذى يَزعُمُ أنه نبىٌّ ؟ قال أبو سفيانَ : فقلتُ : أنا أقرَبُهم نسبًا . قال : أَدْنُوه منِّى ، وقرِّبوا أصحابَه ، فاجْعَلُوهم عندَ ظهرِه . ثم قال لتَرْجُمانِه : قلْ لهم : إنى سائلٌ هذا عن هذا الرجلِ ، فإن كذَبنى فكذِّبوه . فواللَّهِ لولا أن يَأْثِروا عنِّى كذِبًا لكذَبْتُ عنه ، ثم كان أوَّلَ ما سألنى عنه أن قال : كيف نسبُه فيكم ؟ قلتُ : هو فينا ذو نسبٍ . قال : فهل قال هذا القولَ منكم أحدٌ قطُّ

---

(١) أى قبل كتاب الإيمان .

(٢) البخارى (٧) كتاب بدء الوحى .

قبلَه ؟ قلتُ : لا . قال : فهل كان مِن آبائِه مِن مَلِكٍ ؟ قلتُ : لا . قال : فأشرافُ الناسِ اتَّبَعوه أم ضعفاؤُهم ؟ قلتُ : بل ضعفاؤُهم . قال : أيَزيدُون أمْ يَنقُصون ؟ قلتُ : بل يَزيدُون . قال : فهل يَرْتَدُّ أحدٌ منهم سَخْطةً لدينِه بعدَ أن يدخُلَ فيه ؟ قلتُ : لا . قال : فهل كنتُم تتَّهِمونه بالكذبِ قبلَ أن يقولَ ما قال ؟ قلتُ : لا . قال : فهل يغدِرُ ؟ قلتُ : لا ، ونحن منه فى مُدَّةٍ لا نَدرِى ما هو فاعلٌ فيها . قال : ولم تُمْكنِّى كلمةٌ أُدخِلُ فيها شيئًا غيرُ هذه الكلمةِ . قال : فهل قاتَلْتُموه ؟ قلت : نعم . قال : فكيف كان قتالُكم إياه ؟ قلتُ : الحربُ بينَنا وبينَه سِجالٌ ؛ يَنالُ مِنَّا ونَنالُ مِنه . قال : ماذا يَأمُرُكم ؟ قلتُ : يقولُ : [١١٧/٣و] اعبُدوا اللَّهَ وحدَه ولا تُشرِكوا به شيئًا ، واترُكوا ما يقولُ آباؤُكم . ويأمُرُنا بالصَّلاةِ والصِّدقِ والعَفافِ والصِّلةِ . فقال للتَّرْجُمانِ : قلْ له : سألْتُك عن نسَبِه ، فزعمْتَ أنه فيكم ذو نسبٍ ، وكذلك الرسلُ تُبْعَثُ فى نسبِ قومِها ، وسألْتُك هل قال أحدٌ منكم هذا القولَ قبلَه ، فذكَرتَ أن لا ، فقلتُ : لو كان أحدٌ قال هذا القولَ قبلَه ، لقلتُ : رجلٌ يَتَأَسَّى بقولٍ قِيل قبلَه . وسألْتُك هل كان مِن آبائِه مِن مَلِكٍ ، فذكَرْتَ أن لا ، فلو كان مِن آبائِه مِن مَلِكٍ ، قلتُ : رجلٌ يَطْلُبُ مُلْكَ أبيه . وسألْتُك هل كنتم تَتَّهِمونه بالكذبِ قبلَ أن يقولَ ما قال ، فذكَرْتَ أن لا ، فقد أَعْرِفُ أنه لم يكُنْ لِيَذَرَ الكذبَ على الناسِ ويَكْذِبَ على اللَّهِ . وسألْتُك أشْرافُ الناسِ اتَّبعوه أمْ ضعفاؤُهم ، فذكَرْتَ أن ضعفاءَهم اتَّبَعوه ، وهم أتْباعُ الرُّسلِ . وسألْتُك أيَزيدُون أمْ يَنقُصون ، فذكَرتَ أنهم يَزيدُون ، وكذلك أمرُ الإيمانِ حتى يَتِمَّ ، وسألْتُك أيرتَدُّ أحدٌ منهم سَخْطَةً لدِينِه بعدَ أن يَدْخُلَ فيه ، فذكَرتَ أن لا ، وكذلك الإيمانُ حينَ تُخالِطُ بَشاشتُه القلوبَ . وسألْتُك : هل يَغْدِرُ ، فذكَرتَ أن لا ، وكذلك الرُّسلُ لا تَغْدِرُ .

وسألتُك بما يأمُرُكم، فذكَرتَ أنه يأمُرُكم أن تَعبُدوا اللَّهَ ولا تُشرِكوا به شيئًا، ويَنْهاكم عن عبادةِ الأوْثانِ، ويأمُرُكم بالصَّلاةِ والصِّدقِ والعَفافِ، فإن كان ما تقولُ حقًّا، فسَيَمْلِكُ مَوضِعَ قَدميَّ هاتيْن، وقد كنتُ أعلَمُ أنه خارجٌ، لم أكُنْ أظُنُّ أنه منكم، فلو أعلَمُ أنِّى أخْلُصُ إليه، لَتَجَشَّمْتُ لِقاءَه، ولو كنتُ عندَه، لغسَلْتُ عن قدَمَيْه. ثم دَعا بكتابِ رسولِ اللَّهِ ﷺ الذى بعَث به مع دِحْيَةَ إلى عظيمِ بُصْرَى، فدَفَعَه إلى هِرَقْلَ، فإذا فيه: «بسمِ اللَّهِ الرحمنِ الرحيمِ، مِن محمدٍ[(١)] عبدِ اللَّهِ ورسولِه إلى هِرَقْلَ عظيمِ الرومِ، سلامٌ على مَن اتَّبَع الهُدَى، أمَّا بعدُ؛ فإنى أدْعُوك بدِعايةِ الإسلامِ، أسلِمْ تَسلَمْ، يُؤْتِك اللَّهُ أجرَك مرَّتيْن، فإن توَلَّيْتَ فإن عليك إثْمَ الأَرِيسِيِّين[(٢)]»، و: ﴿ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران: ٦٤]. قال أبو سفيانَ: فلمَّا قال ما قال، وفرَغ مِن قراءةِ الكتابِ، كَثُر عندَه الصَّخَبُ، [١١٧/٣ظ] وارتفَعت الأصواتُ، وأُخرِجْنا، فقلتُ لأصحابِى حينَ أُخْرِجْنا[(٣)]: لقد أَمِرَ أمْرُ ابنِ أبى كَبْشةَ! إنَّه يَخافُه مَلِكُ بَنى الأصْفرِ! فمازِلتُ مُوقِنًا أنَّه سيَظْهَرُ، حتى أدخَلَ اللَّهُ علىَّ الإسلامَ. قال: وكان ابنُ النَّاطورِ[(٤)] -

---

(١) بعده فى م: «بن».

(٢) قال ابن الأثير: قد اختلف فى هذه اللفظة صيغة ومعنى: فرُوى الأريسين بوزن الكريمين. وروى الإرِّيسين بوزن الشِّريبين. وروى الأريسيِّين بوزن العظيميِّين وروى بإبدال الهمزة ياء مفتوحة فى البخارى. وأما معناها فقال أبو عبيد: هم الخدم والخوَل، يعنى لصده إياهم عن الدين. النهاية ١/ ٣٨.

(٣) فى م: «خرجنا».

(٤) فى الأصل: «الناظور». قال الحافظ: هو بالطاء المهملة، وفى رواية الحموى بالظاء المعجمة، وهو بالعربية حارس البستان، ووقع فى رواية الليث عن يونس «ابن ناطورا» بزيادة ألف آخره، فعلى هذا هو اسم أعجمى. فتح البارى ١/ ٤٠.

صاحبُ إيلياءَ وهِرَقْلَ[(١)] - سُقُفًّا[(٢)] على نصارَى الشام ، يُحدِّثُ أن هِرَقْلَ حينَ قدِم إيلياءَ أصبَح يومًا خَبيثَ النَّفسِ ، فقال بعضُ بَطارِقتِه : قد استَنكَرْنا هَيئتَك . قال ابنُ النَّاطُورِ : وكان هِرَقْلُ حَزّاءً يَنْظُرُ فى النُّجومِ ، فقال لهم حينَ سأَلوه : إنِّى رأيتُ حينَ نظَرْتُ فى النُّجومِ مَلِكَ الخِتانِ قد ظهَر ، فمَن يَخْتَتِنُ مِن هذه الأمةِ ؟ قالوا : ليس يَخْتَتِنُ إلَّا اليهودُ ، فلا يُهِمَّنَّك شأنُهم ، واكتُبْ إلى مدائنِ مُلْكِك فلْيَقْتُلوا مَن فيهم مِن اليهودِ . فبينَما هم على أمرِهم ، أُتِىَ هِرَقْلُ برجلٍ أرسَلَ به ملكُ غسَّانَ ، يُخْبِرُ[(٣)] عن خبرِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فلمَّا استَخْبَره هِرَقْلُ قال : اذْهَبوا فانظُروا أمُخْتَتِنٌ هو أمْ لا ؟ فنظَروا إليه ، فحدَّثوه أنَّه مُخْتَتِنٌ . وسأله عن العربِ ، فقال : هم يَخْتَتِنون . فقال هِرَقْلُ : هذا مُلْكُ[(٤)] هذه الأمَّةِ قد ظهَر . ثم كتَب هِرَقْلُ[(٥)] إلى صاحبٍ له برُوميَةَ ، وكان نَظيرَه فى العلمِ ، وسارَ هِرَقْلُ إلى حِمْصَ ، فلم يَرِمْ حِمْصَ[(٦)] حتى أتاه كتابٌ مِن صاحبِه ، يُوافِقُ رأىَ هِرَقْلَ على خروجِ النبىِّ ﷺ وأنه نبىٌّ ، فأَذِن هِرَقْلُ لعُظماءِ الرومِ فى دَسْكَرَةٍ له بحِمْصَ ، ثم أمَر بأبْوابِها فغُلِّقتْ ، ثم اطَّلَع فقال : يا معشرَ الرومِ ، هل لكم فى الفَلاحِ والرُّشْدِ ، وأن يَثْبُتَ لكم مُلْكُكم ، فتُبايِعوا لهذا النبىِّ . فحاصُوا[(٧)] حَيْصةَ حُمُرِ الوَحْشِ إلى الأبْوابِ ، فوجَدوها قد غُلِّقتْ ، فلمَّا رأى هِرَقْلُ نَفْرَتَهم ، وأَيِس مِن الإيمانِ قال : رُدُّوهم علىَّ . وقال : إنِّى إنما قلتُ مَقالَتى آنِفًا

---

(١) قال الحافظ : هرقل معطوف على إيلياء . وأطلق عليه الصحبة له إما بمعنى التبع ، وإما بمعنى الصداقة . وفيه استعمال « صاحب » فى معنيين حقيقى ومجازى . فتح البارى ١/ ٤١.

(٢) فى الأصل ، ا ٤، ص : « سقف » ، وفى م : « أسقف » . والأسقفُ والسقفُ كلاهما بمعنًى .

(٣) فى الأصل ، م ، ص : « فخبرهم » .

(٤) قال الحافظ : كذا لأكثر الرواة بالضم ثم السكون ، وللقابس بالفتح ثم الكسر ، ولأبى ذر عن الكشميهنى وحده « يملك » فعل مضارع . المصدر السابق ١/ ٤٢.

(٥) سقط من : الأصل ، م .

(٦) فى الأصل ، م : « بحمص » . ولم يرم حمص : أى لم يبرح مكانه . المصدر السابق .

(٧) حاصوا : نفروا . المصدر السابق ٤٣/١ .

أخْتَبِرُ بها شِدَّتَكم على دينِكم ، فقد رأيتُ . فسجَدوا له ورضُوا عنه ، فكان ذلك آخرَ شأنِ هِرَقْلَ. قال البخاريُّ : ورواه صالحُ بنُ كَيْسانَ ، ويونُسُ ، ومَعْمَرٌ ، عن الزهْرِيِّ .

وقد رَواه البخاريُّ فى مواضعَ كثيرةٍ فى « صحيحِه »[(١)] بألفاظٍ يَطُولُ استِقْصاؤُها . وأخرَجه بقيةُ الجماعةِ ، إلَّا ابنَ ماجه ، مِن طُرُقٍ عن الزُّهْرِيِّ[(٢)] . وقد تكَلَّمْنا على هذا الحديثِ مطوَّلًا فى أوَّلِ شرْحِنا لصحيحِ البخاريِّ بما فيه كِفايةٌ ، وذكَرْنا فيه مِن الفَوائدِ والنُّكَتِ المَعنويةِ واللَّفظيةِ ، وللَّهِ الحمدُ والمِنَّةُ .

[١١٨/٣و] وقال ابنُ لَهِيعَةَ ، عن الأسودِ ، عن عُرْوَةَ قال[(٣)] : خرَج أبو سفيانَ بنُ حربٍ إلى الشامِ تاجرًا فى نفَرٍ مِن قريشٍ ، وبلَغ هِرَقْلَ شأنُ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فأرادَ أن يَعْلَمَ ما يُعْلَمُ مِن أمرِ[(٤)] رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فأرسَل إلى صاحبِ العربِ الذى بالشامِ فى مُلْكِه ، فأمَرَه أن يَبْعَثَ إليه برجالٍ مِن العربِ يَسْأَلُهم عنه ، فأرسَل إليه ثَلاثينَ رجلًا ، منهم أبو سفيانَ بنُ حربٍ ، فدَخَلوا عليه فى كَنيسةِ إيلِياءَ التى فى جوفِها ، فقال هِرَقْلُ : أرسَلْتُ إليكم لِتُخْبِرونى عن هذا الذى بمكةَ ، ما أمْرُه؟ قالوا : ساحرٌ كذابٌ ، وليس بنبيٍّ . قال : فأخبِرونى بأعلَمِكم[(٥)] به وأقرَبِكم منه رَحِمًا ؟ قالوا : هذا أبو سفيانَ ابنُ عمِّه ،

---

(١) البخارى (٢٩٤١، ٤٥٥٣) بطوله، و(٥١، ٢٦٨١، ٢٨٠٤، ٢٩٤١، ٢٩٧٨، ٣١٧٤، ٥٩٨٠، ٦٢٦٠، ٧١٩٦) ببعضه .

(٢) مسلم (١٧٧٣)، وأبو داود (٥١٣٦)، والترمذى (٢٧١٧)، والنسائى فى الكبرى (١١٠٦٤) .

(٣) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٣٨٤/٤، ٣٨٥، من طريق ابن لهيعة به .

(٤) فى الأصل، م: « شأن » .

(٥) فى الأصل: « ما علمكم »، وفى م: « من أعلكم » .

وقد قاتَله . فلمَّا أخبَروه ذلك ، أمَر بهم فأُخْرِجوا عنه ، ثم أَجلَس أبا سفيانَ فاستَخبَره ، قال : أخبِرْنى يا أبا سفيانَ . فقال : هو ساحرٌ كَذابٌ . فقال هِرَقْلُ : إنِّى لا أريدُ شَتْمَه ، ولكن كيف نسبُه فيكم ؟ قال : هو واللَّهِ مِن بيتِ قريشٍ . قال : كيف عقلُه ورأيُه ؟ قال : لم (1)نَعِبْ له عقْلًا ولا رأيًا(1) قطُّ . قال هِرَقْلُ : هل كان حَلَّافًا كَذَّابًا مُخادِعًا فى أمْرِه ؟ قال : لا واللَّهِ ما كان كذلك . قال : لعلَّه يطلُبُ مُلْكًا أو شَرَفًا كان لأحدٍ مِن أهلِ بيتِه قبلَه ؟ قال أبو سفيانَ : لا . ثم قال : مَن يَتَّبِعُه مِنكم هل يَرْجِعُ إليكم منهم أحدٌ ؟ قال : لا . قال هِرَقْلُ : هل يَغْدِرُ إذا عاهَد ؟ قال : لا ، إلَّا أن يَغْدِرَ مُدَّتَه هذه . فقال هِرَقْلُ : وما تخافُ مِن مُدَّتِه هذه ؟ قال : إن قومِى أمدُّوا حُلفاءَهم على حُلفائِه وهو بالمدينةِ . قال هِرَقْلُ : إن كنتُم أنتم بدَأْتُم فأنتم أغدَرُ . فغَضِب أبو سفيانَ وقال : لم يَغْلِبْنا إلَّا مرَّةً واحِدةً وأنا يومَئذٍ غائبٌ - وهو يومُ بدرٍ - ثم غزَوْتُه مرَّتيْن فى بُيوتِهم ، نَبقُرُ البُطونَ ، ونُجَدِّعُ الآذانَ والفُروجَ . فقال هِرَقْلُ : أكاذبًا تُرَاه أمْ صادقًا ؟ فقال : بل هو كاذِبٌ . فقال : إن كان فيكم نبىٌّ ، فلا تَقْتُلوه ، فإنَّ أفعلَ الناسِ لذلك اليهودُ . ثم رجَع أبو سفيانَ .

ففى هذا السياقِ غرابةٌ ، وفيه فَوائدُ ليست عندَ ابنِ إسحاقَ ، ولا البخارىِّ . وقد أورَد موسى بنُ عقبةَ فى « مغازيه »(2) قريبًا مما ذكَره عروةُ بنُ الزُّبيرِ . واللَّهُ أعلمُ .

وقال ابنُ جريرٍ فى « تاريخِه »(3) : حدَّثنا ابنُ حُمَيْدٍ ، ثنا سلمةُ ، ثنا محمدُ

(1 - 1) فى الأصل ، 41 ، ص : « نعب له رأيا » ، وفى م : « يغب له رأى » . والمثبت من الدلائل .
(2) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة 4/ 385 ، 386 ، عن موسى بن عقبة .
(3) تاريخ الطبرى 2/ 650 ، 651 . حوادث السنة السادسة .

ابنُ إسحاقَ ، عن بعضِ أهلِ العلمِ ، أن هِرَقْلَ قال لدِحْيَةَ بنِ خَلِيفةَ الكلبيِّ حينَ قَدِم عليه بكِتابِ رسولِ اللَّهِ ﷺ : [٣/١١٨ظ] واللَّهِ إنِّى لأعلَمُ أن صاحبَك نبيٌّ مرسلٌ ، وأنَّه الذى كُنَّا نَنتَظِرُ ونَجِدُه فى كتابِنا ، ولكنِّى أخافُ الرومَ على نفسِى ، ولولا ذلك لاتَّبَعتُه ، فاذهَبْ إلى ضَغاطِرَ[١] الأُسْقُفِّ ، فاذكُرْ له أمْرَ صاحبِكم ، فهو واللَّهِ فى الرُّومِ أعظمُ مِنِّى ، وأجوَزُ[٢] قولًا عندَهم مِنِّى ، فانظُرْ ماذا يقولُ لك ؟ قال : فجاءَه[٣] دِحيةُ ، فأخبَره بما جاء به مِن رسولِ اللَّهِ ﷺ إلى هِرَقْلَ ، وبما يَدْعُو إليه ، فقال ضغاطِرُ[١] : صاحبُك واللَّهِ نبيٌّ مُرسَلٌ ، نعرِفُه بصِفَتِه ، ونجِدُه فى كِتابِنا باسمِه . ثم دخَل وألْقَى ثيابًا كانتْ عليه سُودًا ، ولَبِس ثيابًا بَياضًا ، ثم أخَذ عَصاه فخرَج على الرُّومِ فى الكَنيسةِ فقال : يا معشرَ الرُّومِ ، إنَّه قد جاءَنا كِتابٌ مِن أحمدَ ، يدعُونا فيه إلى اللَّهِ ، وإنِّى أشْهَدُ أن لا إلهَ إلَّا اللَّهُ ، وأنَّ أحمدَ عبدُه ورسولُه . قال : فوَثَبوا إليه وَثْبةَ رجلٍ واحدٍ ، فضرَبوه حتى قَتَلوه . قال : فلمَّا رجَع دِحيةُ إلى هِرَقْلَ ، فأخبَره الخبرَ ، قال : قد قلتُ لك : إنَّا نخافُهم على أنفسِنا ، فضَغاطِرُ واللَّهِ كان أعظَمَ عندَهم ، وأجوَزَ قولًا مِنِّى .

(٤) وقد رَوَى الطبرانيُّ[٥] مِن طريقِ يَحيى بنِ سَلَمَةَ بنِ كُهَيْلٍ ، عن أبيه ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ شَدّادٍ ، عن دِحيةَ الكَلبيِّ قال : بعَثنى رسولُ اللَّهِ ﷺ إلى(٤)

---

(١) فى النسخ : « صفاطر » ، وفى تاريخ الطبرى : « صغاطر » . والمثبت من مصادر ترجمته . انظر أسد الغابة ٣/ ٥٥، ٥٦، والإصابة ٣/ ٥٠٠، ٥٠١.

(٢) فى م : « أجود » . وأجوز : أى أنفذُ وأمضى .

(٣) فى النسخ : « فجاء » . والمثبت من تاريخ الطبرى .

(٤ - ٤) سقط من : ا ٤، ص.

(٥) المعجم الكبير ٤/٢٦٦ (٤١٩٨). قال الهيثمى فى مجمع الزوائد ٥/ ٣٠٦: رواه الطبرانى وفيه يحيى بن عبد الحميد الحمانى وهو ضعيف .

(١) قيصرَ صاحبِ الرُّومِ بكِتابٍ ، فقلتُ : استأذِنوا لرسولِ رسولِ اللَّهِ ﷺ . فأُتِىَ قيصرُ فقِيل له : إنَّ على البابِ رجلًا يَزْعُمُ أنَّه رسولُ رسولِ اللَّهِ . ففزِعوا لذلك ، فقال : أدخِلْه . فأدخَلَنى عليه وعندَه بَطارقتُه ، فأعطَيتُه الكتابَ ، فإذا فيه : « بسمِ اللَّهِ الرحمنِ الرحيمِ ، مِن محمدٍ رسولِ اللَّهِ إلى قيصرَ صاحبِ الرُّومِ » . فنَخَر ابنُ أخٍ له أحمرُ أزرقُ سَبِطٌ ، فقال : لا تقرَأ الكتابَ اليومَ ، فإنه بدَأ بنفسِه ، وكتَب صاحبَ الرومِ ، ولم يَكْتُبْ ملكَ الرُّومِ . قال : فقُرِئَ الكتابُ حتى فُرِغ منه ، ثم أمَرهم فخرَجوا مِن عندِه ، ثم بعَث إلىَّ ، فدخَلْتُ عليه ، فسأَلنى فأخبَرْتُه ، فبعَث إلى الأُسْقُفِّ فدخَل عليه ، وكان صاحبَ أمرِهم ، يَصْدُرون عن رأيِه وعن قولِه ، فلمَّا قرَأ الكِتابَ قال الأُسْقُفُّ : هو واللَّهِ الذى بشَّرَنا به موسى وعيسى ، الذى كنا نَنتظِرُ . قال قيصرُ : فما تأمُرُنى ؟ قال الأُسْقُفُّ : أمَّا أنا فإنِّى مُصدِّقُه ومُتَّبِعُه . فقال قيصرُ : أعرِفُ أنَّه كذلك ، ولكنْ لا أستطِيعُ أن أفعَلَ ، إن فعَلْتُ ذهَب مُلْكِى وقتَلنىَ الرُّومُ (١) .

وبه [٣/١١٩و] قال محمدُ بنُ إسحاقَ (٢) ، عن خالدِ بنِ يَسارٍ ، عن رجلٍ مِن قُدَماءِ أهلِ الشامِ قال : لمَّا أرادَ هِرَقلُ الخروجَ مِن أرضِ الشامِ إلى القُسْطَنْطِينيَّةِ ؛ لِمَا بلَغَه مِن أمرِ النبىِّ ﷺ جمَع الرُّومَ فقال : يا معشرَ الرُّومِ ، إنى عارِضٌ عليكم أمورًا ، فانظُروا فيما أرَدْتُ بها . قالوا : ما هى ؟ قال : تعلَمون واللَّهِ أن هذا الرجلَ لَنبىٌّ مرسلٌ ، نجِدُه (٣) فى كتابِنا (٣) ، نعرِفُه بصفتِه التى وُصِف

(١ - ١) سقط من : ا ٤، ص .

(٢) أخرجه الطبرى فى تاريخه ٢/ ٦٥١، من طريق محمد بن إسحاق به .

(٣ - ٣) سقط من : النسخ . والمثبت من تاريخ الطبرى .

لنا ، فهَلُمَّ فلْنَتَّبِعْه ، فتَسْلَمَ لنا دنيانا وآخِرتُنا . فقالوا : نحن نكونُ تحتَ أيدِى العربِ ، ونحن أعظَمُ الناسِ مُلْكًا ، وأكثرُهم رجالًا ، وأقصَاهم بلدًا ؟! قال : فهَلُمَّ أُعْطِيه الجِزْيَةَ كلَّ سنةٍ ، أَكْسِرُ عنِّى[1] شوكتَه ، وأستريحُ مِن حربِه بما أُعْطِيه إيَّاه . قالوا : نحن نُعْطِى العربَ الذُّلَّ والصَّغارَ بخَرْجٍ يَأْخُذونه منَّا ، ونحن أكثرُ الناسِ عددًا ، [2]وأعظَمُهم مُلْكًا ، وأمنَعُهم[2] بلدًا ؟! لا واللَّهِ لا نفعَلُ هذا أبدًا . قال : فهَلُمَّ فلْأُصالِحْه على أن أُعْطِيَه أرضَ سُورِيَةَ ، ويَدَعَنى وأرضَ الشامِ - قال: وكانت أرضُ سُورِيَةَ ؛ فِلَسْطِينَ ، والأُرْدُنَّ ، ودمشقَ ، وحِمْصَ ، وما دونَ الدَّربِ [3]من أرضِ[3] سُورِيَةَ ، وما كان وراءَ الدَّربِ عندَهم فهو الشامُ - فقالوا : نحن نُعْطِيه أرضَ سُورِيَةَ وقد عرَفتَ أنها سُرَّةُ[4] الشامِ ؟! لا نَفْعَلُ هذا أبدًا . فلمَّا أبَوْا عليه قال : أمَا واللَّهِ لَتَوَدُّنَّ[5] أنَّكم قد ظَفِرْتم ، إذا امتنَعْتم منه فى مَدينتِكم . قال : ثم جلَس على بَغْلٍ له فانطلَق ، حتى إذا أشرَف على الدَّربِ ، استقبَل أرضَ الشامِ ، ثم قال : السلامُ عليكِ يا أرضَ سوريَةَ تسليمَ الوَداعِ . ثم ركَض حتى دخَل القُسْطَنْطِينِيَّةَ . واللَّهُ أعلمُ .

---

(١) سقط من : الأصل ، م .
(٢ - ٢) فى النسخ : « أعظمه ملكا وأمنعه » . والمثبت من تاريخ الطبرى .
(٣ - ٣) سقط من : الأصل ، م .
(٤) فى الأصل : « سوريَّة » ، وفى م ، ص : « أرض سورية » . والمثبت من تاريخ الطبرى .
(٥) فى تاريخ الطبرى : « لترون » .

ذِكرُ إرسَالِه ﷺ إلى ملكِ العربِ مِن النصارى الذين بالشامِ

قال ابنُ إسحاقَ[1] : ثم بعَث رسولُ اللَّهِ ﷺ شُجاعَ بنَ وهبٍ ، أخا بَنى أَسَدِ بنِ خُزَيمةَ ، إلى المُنْذِرِ بنِ الحارثِ بنِ أبى شَمِرٍ الغسانىِّ ، صاحبِ دمشقَ .

قال الواقدىُّ[2] : وكتَب معه : « سلامٌ على مَن اتَّبَع الهُدى وآمَن به ، وأَدْعُوك إلى أن تؤمِنَ باللَّهِ وحدَه لا شريكَ له ؛ يبقَى لك مُلْكُك » . فقدِم شجاعُ بنُ وهبٍ فقرَأه عليه فقال : ومَن يَنتزِعُ مُلْكِى ؟ إنِّى سأسيرُ إليه .

ذِكْرُ بَعْثِه ﷺ إلى كِسرى ملكِ الفرسِ

روَى البخارىُّ[3] مِن حديثِ الليثِ ، عن يونُسَ ، عن الزُّهْرىِّ ، عن عُبَيْدِ اللَّهِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ عُتبةَ ، عن ابنِ عبَّاسٍ أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ [٣/ ١١٩ظ] بعَث بكتابِه مع رجلٍ إلى كِسرى ، وأمَره أن يَدْفَعَه إلى عظيمِ البَحريْن ، فدفَعه عظيمُ البَحْرَيْن إلى كِسرى ، فلمَّا قرَأه كِسرى مزَّقه . قال : فحسِبْتُ أن ابنَ المُسَيَّبِ قال : فدَعا عليهم رسولُ اللَّهِ ﷺ أن يُمزَّقوا كلَّ مُمزَّقٍ .

وقال عبدُ اللَّهِ بنُ وهبٍ[4] ، عن يونُسَ ، عن الزُّهرىِّ ، حدَّثنى عبدُ الرحمنِ

---

(١) أخرجه الطبرى فى تاريخه ٢/ ٦٥٢، حوادث السنة السادسة . من طريق ابن إسحاق به .
(٢) تاريخ الطبرى ٢/ ٦٥٢.
(٣) البخارى (٧٢٦٤) .
(٤) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٣٨٧/٤، ٣٨٨، من طريق ابن وهب به نحوه .

ابنُ عبدِ القاريُّ ، أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قام ذاتَ يومٍ على المنبرِ خطيبًا ، فحمِد اللَّهَ وأثْنَى عليه وتشهَّد ثم قال : « أمَّا بعدُ ، فإنِّى أريدُ أن أبعَثَ بعضَكم إلى ملوكِ الأعاجِمِ ، فلا تختَلِفوا علىَّ كما اختَلَفَتْ بنو إسْرائيلَ على عيسى بنِ مريمَ » . فقال المُهاجِرون : يا رسولَ اللَّهِ ، إنَّا لا نختَلِفُ عليك فى شىءٍ أبدًا فمُرْنا وابعَثْنا . فبعَث شُجاعَ بنَ وهبٍ إلى كِسرى ؛ فأمَر كِسرى بإيوانِه أن يُزَيَّنَ ، ثم أَذِن لعظماءِ فارسَ ، ثم أَذِن لشجاعِ بنِ وهبٍ ، فلما أن دخَل عليه أمَر كسرى بكتابِ رسولِ اللَّهِ ﷺ أن يُقْبَضَ منه ، فقال شجاعُ بنُ وهبٍ : لا ، حتى أدْفَعَه أنا إليك كما أمَرنى رسولُ اللَّهِ ﷺ . فقال كسرى : ادْنُهْ . فدَنا فناوَله الكتابَ ، ثم دَعا كاتبًا له مِن أهلِ الحيرةِ فقرَأه ، فإذا فيه : « مِن محمدٍ[1] عبدِ اللَّهِ ورسولِه إلى كسرى عظيمِ فارسَ » . قال : فأغْضَبه حينَ بدَأ رسولُ اللَّهِ ﷺ بنفسِه ، وصاح وغضِب ومزَّق الكتابَ قبلَ أن يَعْلَمَ ما فيه ، وأمَر بشجاعِ ابنِ وهبٍ فأُخْرِج ، فلما رَأى ذلك قعَد على راحلتِه ، ثم سار ، ثم قال : واللَّهِ ما أُبالِى على أىِّ الطريقين أكونُ إذْ أدَّيْتُ كتابَ رسولِ اللَّهِ ﷺ . قال : ولما ذهَب عن كسرى سَوْرَةُ غضَبِه[2] بعَث إلى شجاعٍ ليدْخُلَ عليه ، فالتُمِس فلم يُوجَدْ ، فطُلِب إلى الحيرةِ فسَبَق[3] ، فلما قدِم شجاعٌ على النبىِّ ﷺ أخبَره بما كان مِن أمرِ كسرى وتَمْزيقِه لكتابِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « مَزَّق كسرى مُلْكَه » .

---

(١) بعده فى م : « بن » .

(٢) سورة غضبه : شدَّته وحدَّته وهياجه .

(٣) يعنى أنهم بحثوا عن شجاع وبلغوا فى ذلك الحيرة ، ولكنه كان قد تجاوزها فلم يلحقوا به .

ورَوى محمدُ بنُ إسحاقَ[1]، عن عبدِ اللَّهِ بنِ أبي بكرٍ، [2]عن الزُّهْرِيِّ[2]، عن أبي سَلَمةَ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ بَعَث عبدَ اللَّهِ بنَ حُذافةَ بكتابِه إلى كسرى، فلما قرأه مزَّقه، فلما بلَغ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال: «مَزَّق مُلْكَه».

وقال ابنُ جريرٍ[3]: حدَّثنا أحمدُ بنُ حُمَيْدٍ، ثنا سَلَمةُ، ثنا ابنُ إسحاقَ، عن يَزيدَ[4] بنِ أبي حَبيبٍ، قال: وبَعَث [٣/ ١٢٠و] عبدَ اللَّهِ بنَ حُذافةَ بنِ قيسِ ابنِ عديِّ بنِ سَعْدِ[5] بنِ سهمٍ إلى كسرى بنِ هُرْمُزَ ملكِ فارسَ، وكتَب معه: «بسمِ اللَّهِ الرحمنِ الرحيمِ، مِن محمدٍ رسولِ اللَّهِ ﷺ إلى كسرى عظيمِ فارسَ، سلامٌ على مَنِ اتبع الهُدَى، وآمَن باللَّهِ ورسولِه، وشهِد أن لا إلهَ إلا اللَّهُ وحدَه لا شريكَ له، وأن محمدًا عبدُه ورسولُه، وأدْعُوك بدعاءِ اللَّهِ، فإني أنا رسولُ اللَّهِ إلى الناسِ كافةً؛ لأُنذرَ مَن كان حيًّا، ويَحِقَّ القولُ على الكافرين، فإن تُسْلِمْ تَسْلَمْ، وإن أبَيْتَ فإنَّ إثمَ المجوسِ عليك». قال: فلما قرَأه شقَّه، وقال: يَكْتُبُ إليَّ بهذا وهو عبدي؟! قال: ثم كتَب كسرى إلى باذامَ[6]، وهو نائبُه على اليمنِ، أن ابْعَثْ إلى هذا الرجلِ بالحجازِ رجلين مِن عندِك جَلْدَيْن فلْيَأْتِياني به. فبعَث باذامُ قَهْرَمانَهُ[7]، وكان كاتبًا حاسِبًا بكتابِ فارسَ، وبعَث

---

(١) أخرجه الطبري في تاريخه ٢/ ٦٥٥. حوادث السنة السادسة. عن ابن إسحاق به.

(٢ - ٢) سقط من النسخ. والمثبت من تاريخ الطبري. وانظر تهذيب الكمال ١٤/ ٣٤٩، ٢٦/ ٤١٩.

(٣) تاريخ الطبري ٢/٦٥٤ - ٦٥٧، حوادث السنة السادسة، بنحوه.

(٤) في الأصل، م: «زيد». وانظر تهذيب الكمال ٣٢/ ١٠٢.

(٥) في النسخ: «سعيد». والمثبت من مصدر التخريج. وانظر أسد الغابة ٣/ ٢١١، والإصابة ٤/ ٥٧.

(٦) في تاريخ الطبري: «باذان». وفي ص: «باذانه». وسيأتي بعد ذلك في كل النسخ: «باذام». قال الحافظ في الإصابة ١/ ٣٣٨: باذان: آخره نون، ويقال: ميم.

(٧) القهرمان: أمين الملك ووكيله الخاص بتدبير دخله وخَرْجه. الوسيط (قهرم).

معه رجلًا مِن الفرسِ يقالُ له : خُرخرةُ[1] . وكتَب معهما إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ يأمُرُه أن يَنصرفَ معهما إلى كسرى ، وقال لأباذويه[2] : ائْت بلادَ هذا الرجلِ وكَلِّمْه وأْتِنى بخبرِه . فخرَجا حتى قدِما الطائفَ ، فوجَدا رجلًا مِن قريشٍ فى أرضِ الطائفِ ، فسأَلوه عنه فقال : هو بالمدينةِ . واستبشَر أهلُ الطائفِ - يَعْنى وقريشٌ بهما - وفرِحوا ، وقال بعضُهم لبعضٍ : أبْشِروا ، فقد نَصِب[3] له كسرى ملكُ الملوكِ ، كُفِيتُم الرجلَ . فخرَجا حتى قدِما على رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فكَلَّمه أباذويه[2] فقال : شاهَنْشَاهْ ملكُ الملوكِ كسرى ، قد كتَب إلى الملكِ باذامَ يأمُرُه أن يَبْعَثَ إليك مَن يأتيه بك ، وقد بعَثنى إليك لتَنْطَلِقَ معى ، فإن فعَلْتَ كتَب[4] لك إلى ملكِ الملوكِ ينفعُك ويكُفُّه عنك ، وإن أبَيْتَ فهو مَن قد علِمْتَ ، فهو مُهْلِكُك ومُهْلِكُ قومِك ومُخَرِّبُ بلادِك . ودخَلا على رسولِ اللَّهِ ﷺ وقد حَلَقَا لحاهما وأعْفَيا شواربَهما ، فكرِه النَّظرَ إليهما ، وقال : « ويلَكما ! مَن أمَركما بهذا ؟! » قالا : أمَرَنا ربُّنا . يعنيان كِسْرَى ، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « ولكنَّ ربى أمَرنى بإعفاءِ لحيتى وقصِّ شاربى » . ثُم قال : « ارْجِعا حتى تأتيانى غدًا » . قال : وأتَى رسولَ اللَّهِ ﷺ الخبرُ مِن السماءِ ، بأنَّ اللَّهَ قد سَلَّط على كِسْرَى ابنَه شيرَوَيْهِ ، فقتَله (5 فى شهرِ كذا وكذا ، فى ليلةِ كذا وكذا ؛ [٣/ ١٢٠ظ] مِن الليلِ ؛ سُلِّط عليه ابنُه شيرويه فقتَله 5) . قال : فدعاهما

---

(١) كذا فى النسخ هنا وفيما يأتى . وفى تاريخ الطبرى : « خر خسره » . وانظر الإصابة ١/ ٣٣٧، ٢/ ٣٦٠.
(٢) كذا فى النسخ . وفى تاريخ الطبرى : « بابويه » .
(٣) نصب : جدَّ واجتهد .
(٤) فى ص : « كتبت » . وفاعل : « كتب » يعود على « باذام » .
(٥ - ٥) سقط من : ص .

فأَخْبَرَهما فقالا : هل تدرى ما تقولُ ؟! إنا قد نقَمْنا عليك ما هو أيْسَرُ مِن هذا ، فنكْتُبُ عنك بهذا ونُخْبِرُ الملكَ باذامَ ؟ قال : « نعم أخْبراه ذلك عنى ، وقولا له : إن دينى وسلطانى سيَبْلُغُ ما بلَغ مُلْكُ[1] كسرى ، وينتهى إلى مُنتَهَى[1] الخُفِّ والحافرِ ، وقولا له : إن أسْلَمْتَ أعْطَيْتُك ما تحتَ يديك ، ومَلَّكْتُك على قومِك مِن الأبناءِ » . ثم أعْطَى خُرخرةَ مِنطقةً[2] فيها ذهبٌ وفضةٌ كان أهْداها له بعضُ الملوكِ ، فخرَجا مِن عندِه حتى قدِما على باذامَ فأخْبراه الخبرَ ، فقال : واللَّهِ ما هذا بكلامِ مِلِكٍ ، وإنى لَأَرَى الرجلَ نبيًّا كما يقولُ ، ولَيَكُونَنَّ[3] ما قد قال ، فلئن كان هذا حقًّا فإنه نبيٌّ مُرسَلٌ ، وإن لم يَكُنْ فسنرَى فيه رأيَنا[4] . فلم يَنْشَبْ باذامُ أن قدِم عليه كتابُ شيرويه : أما بعدُ ، فإنى قد قتَلْتُ كِسْرَى ، ولم أقْتُلْه إلا غضبًا لفارسَ ؛ لِمَا كان استَحَلَّ مِن قتلِ أشْرافِهم ونحرِهم[5] فى ثغورِهم ، فإذا جاءك كتابى هذا فخُذ لىَ الطاعةَ ممن قِبَلَك ، وانطلِقْ إلى الرجلِ الذى كان كِسْرَى قد كتَب فيه ، فلا تُهِجْه حتى يأتيَك أمرى فيه . فلما انتهى كتابُ شيرويه إلى باذامَ قال : إن هذا الرجلَ لَرسولٌ . فأسْلَم وأسْلَمتِ الأبناءُ مِن فارسَ مَن كان منهم باليمنِ . قال : وقد قال باذَوَيْهِ[6] لباذامَ : ما كلَّمْتُ أحدًا أَهْيَبَ عندى منه . فقال له باذامُ : هل معه شُرَطٌ ؟ قال : لا .

قال الواقدىُّ ، رحِمه اللَّهُ[7] : وكان قتْلُ كِسْرَى على يدىِ ابنِه شيرويه ليلةَ

---

(١) سقط من النسخ . والمثبت من تاريخ الطبرى .
(٢) المنطقة والمنطق والنطاق : كل ما يشدُّ به وسطه .
(٣) كذا فى النسخ . وفى تاريخ الطبرى : « لننظرن » .
(٤) فى الأصل ، م : « رأيًا » .
(٥) فى ص : « غيرهم » . وفى تاريخ الطبرى : « تجميرهم » .
(٦) كذا فى النسخ . وفى تاريخ الطبرى : « بابويه » .
(٧) ذكره الطبرى فى تاريخه ٢/ ٦٥٦، حوادث السنة السادسة .

الثلاثاءِ، لعشرِ ليالٍ مَضَين مِن جُمادَى الأُولَى[1] مِن سنةِ سبعٍ مِن الهجرةِ، لستٍّ ساعاتٍ مضَت منها.

قلتُ: وفى شعرِ بعضِهم ما يُرْشِدُ أن قتْلَه كان فى شهرٍ حرامٍ، وهو قولُ بعضِ الشعراءِ:

قَتَلُوا كِسْرَى بليلٍ مُحْرِمًا   فتولَّى لم يُمَتَّعْ بكَفَنْ

وقال بعضُ شعراءِ العربِ:

وكِسْرَى إذ تَقاسَمُه بنوهُ   بأسيافٍ كما اقْتُسِمَ اللِّحامُ
تَمَخَّضتِ المَنونُ له بيومٍ   أَنَى ولكلِّ حاملةٍ تَمامُ[2]

ورَوى الحافظُ البيهقيُّ[3] مِن حديثِ حمادِ بنِ سَلَمةَ، عن حميدٍ، عن الحسنِ، عن أبى بَكْرةَ، أن رجلًا مِن أهلِ فارسَ أتَى رسولَ اللَّهِ ﷺ، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «إن [٣/ ١٢١و] ربى قد قَتَل الليلةَ ربَّك». قال: وقيل له - يعنى النبيَّ ﷺ -: إنه قد استَخْلَف ابنتَه. فقال: «لا يُفْلِحُ قومٌ تَمْلِكُهم امرأةٌ». قال البيهقيُّ[4]: ورُوِىَ فى حديثِ دِحْيةَ بنِ خليفةَ، أنه لما رجَع مِن عندِ قيْصرَ وجَد عندَ رسولِ اللَّهِ ﷺ رسلَ عاملِ[5] كِسْرَى، وذلك أن كِسْرَى بعَث يتَوَعَّدُ صاحبَ صَنْعاءَ، ويقولُ له: ألا تَكْفِينى أمْرَ رجلٍ قد ظهَر بأرضِك

(١) فى النسخ: «الآخرة». والمثبت من تاريخ الطبرى. وانظر فتح البارى ٨/ ١٢٧.

(٢) هذا البيت وحده ينسب للنابغة الذبيانى. ملحقات ديوانه ص ٢٣٢، وهو من أبيات أربعة فى اللسان (م خ ض) لعمرو بن حسان، أحد بنى الحارث بن همام بن مرَّة. و«أنى» بالنون بمعنى حانَ.

(٣) دلائل النبوة ٤/ ٣٩٠.

(٤) دلائل النبوة ٤/ ٣٩٠، ٣٩١.

(٥) سقط من النسخ. والمثبت من الدلائل.

يَدْعونى إلى دينِه ؟ لَتَكْفِيَنَّه أو لأَفْعَلَنَّ بك . فبعَث إليه ، فقال لرسلِه : « أخْبروه أن ربى قد قتَل ربَّه الليلةَ » . فوجَدوه كما قال . قال[١] : ورَوَى داودُ بنُ أبى هِنْدَ ، عن عامرٍ الشعبىِّ نحوَ هذا .

ثُم رَوَى البيهقىُّ[٢] مِن طريقِ أبى بكرِ بنِ عَيَّاشٍ ، عن داودَ بنِ أبى هندَ ، عن أبيه ، عن أبى هريرةَ قال : أقْبَل سعدٌ إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ فقال : «[٢] إن فى وجهِ سعدٍ خبرًا[٢] » . فقال : يا رسولَ اللَّهِ ، هلَك كِسْرَى . فقال : « لعَن اللَّهُ كِسْرَى ، أولُ الناسِ هلاكًا فارسُ ثُم العربُ » .

قلتُ : الظاهرُ أنه لما أَخبَر رسولُ اللَّهِ ﷺ بهلاكِ كِسْرَى لِذَيْنِكَ الرجلين ، يعنى الأميرَين اللذين قدِما مِن نائبِ اليمنِ باذامَ ، فلما جاء الخبرُ بوَفْقِ ما أخْبَرَ به ، عليه الصلاةُ والسلامُ ، وشاع فى البلادِ ، وكان سعدُ بنُ أبى وقاصٍ أولَ مَن سِمع ، جاء إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ فأخْبَره بوَفْقِ إخبارِه ، عليه السلامُ ، وهكذا بنحوِ هذا التقديرِ ذكَره البيهقىُّ ، رحِمه اللَّهُ[٢] .

ثُم رَوَى البيهقىُّ مِن غيرِ وجهٍ[٣] ، عن الزهرىِّ ، أخبرنى أبو سَلَمةَ بنُ عبدِ الرحمنِ ، أنه بلَغه أن كِسْرَى بينما هو فى دَسْكَرَةِ مُلْكِه بُعِث له - أو قُيِّضَ له - عارضٌ يَعْرِضُ عليه الحقَّ ، فلم يَفْجَأْ كِسْرَى إلا برجلٍ يمشى وفى يدِه عصًا ، فقال : يا كِسْرَى ، هل لك فى الإسلامِ قبلَ أن أَكْسِرَ هذه العصا ؟ فقال كسرى : نعم ، لا تَكْسِرْها . فولَّى الرجلُ ، فلما ذهَب ، أرْسَل كسرى إلى

(١) أى البيهقى . دلائل النبوة ٣٩١/٤ .

(٢) المصدر السابق .

(٣ - ٣) فى الدلائل : «إن وجه سعد خير . أو قال : الخير» .

(٤) المصدر السابق ٤/ ٣٩١، ٣٩٢.

حُجّابِه فقال : مَن أذِن لهذا الرجلِ علىّ ؟ فقالوا : ما دخَل عليك أحدٌ . فقال : كذَبْتم . قال : فغضِب عليهم وتهَدَّدهم[(١)] ، ثُم ترَكهم . قال : فلما كان رأسُ الحَوْلِ ، أتى ذلك الرجلُ ومعه العصا ، قال : يا كِسْرَى ، هل لك فى الإسلامِ قبلَ أن أكْسِرَ هذه العصا ؟ قال : نعم ، لا تَكْسِرْها[(٢)] . فلما انصرَف عنه دَعا حُجّابَه ، فقال لهم كالمرةِ الأولى ، فلما كان العامُ المُسْتَقْبَلُ أتاه ذلك الرجلُ ، [٣/ ١٢١ظ] معه العصا ، فقال له : هل لك يا كسرى فى الإسلامِ قبلَ أن أكْسِرَ العصا ؟ فقال : لا تَكْسِرَها[(٣)] . فكسَرها ، فأهْلَكَ اللَّهُ كسرى عندَ ذلك .

وقال الإمامُ الشافعىُّ[(٤)] : أنبأنا ابنُ عُيَيْنةَ ، عن الزهرىِّ ، عن سعيدِ بنِ المُسَيَّبِ ، عن أبى هريرةَ أن رسولَ اللَّهِ ﷺ قال : « إذا هلَك كسرى فلا كسرى بعدَه ، وإذا هلَك قيصرُ فلا قيصرَ بعدَه ، والذى نفسى بيدِه لَتُنْفَقَنَّ كنوزُهما فى سبيلِ اللَّهِ » . أخْرَجه مسلمٌ من حديثِ ابنِ عيينةَ[(٥)] ، وأخْرَجاه مِن حديثِ الزهرىِّ ، به[(٦)] .

قال الشافعىُّ[(٧)] : ولما أُتِىَ كسرى بكتابِ رسولِ اللَّهِ ﷺ مزَّقه ، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « تمَزَّقَ مُلْكُه » . وحَفِظْنا أن قيصرَ أكْرَم كتابَ رسولِ اللَّهِ

(١) فى ص : « هددهم » . وفى الدلائل : « وتلتلهم » . وتلتلهم : زعزعهم وأقلقهم وزلزلهم . اللسان (ت ل ل) .
(٢) بعده فى الدلائل : « لا تكسرها » .
(٣) بعده فى الأصل ، م : « لا تكسرها » .
(٤) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٤/ ٣٩٣ ، من طريق الشافعى به .
(٥) مسلم (٧٥/٢٩١٨) .
(٦) البخارى (٣٦١٨ ، ٦٦٣٠) . ومسلم (٧٥/٢٩١٨) .
(٧) دلائل النبوة ٣٩٣/٤ بإسناد البيهقى السابق إلى الشافعى .

ﷺ ووضعه فى مَسْكٍ[1] ، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « ثبَت مُلْكُه » .

قال الشافعىُّ وغيرُه مِن العلماءِ[2] : ولَمَّا كانت العربُ تأتى الشامَ والعراقَ للتجارةِ ، فأسْلَم مَن أسْلَم منهم ، شَكَوا خوفَهم مِن مَلِكَي العراقِ والشامِ إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ فقال : « إذا هلَك كسرى فلا كسرى بعدَه ، وإذا هَلَك قيصرُ فلا قيصرَ بعدَه » . قال : فباد مُلْكُ الأكاسرةِ بالكليةِ ، وزال ملكُ قَيْصرَ عن الشامِ بالكليةِ ، وإن ثبَت لهم ملكٌ فى الجملةِ ببركةِ دُعاءِ رسولِ اللَّهِ ﷺ لهم حينَ عظَّموا كتابَه . واللَّهُ أعلمُ .

قلتُ : وفى هذا بِشارةٌ عظيمةٌ بأن مُلْكَ الرومِ لا يعودُ أبدًا إلى أرضِ الشامِ ، وكانت العربُ تُسَمِّى قيصرَ لمن ملَك الشامَ مع الجزيرةِ مِن الرومِ ، وكسرى لمن مَلَك الفرسَ ، والنجاشىَّ لمن ملَك الحبشةَ ، والمُقَوْقِسَ لمن ملَك الإسْكَنْدَرِيةَ ، وفرعونَ لمن مَلَك مصرَ كافرًا ، وبَطْلَيموسَ لمن مَلَك الهندَ ، ولهم أعلامُ أجناسٍ غيرُ ذلك ؛ وقد ذكَرْناها فى غيرِ هذا الموضعِ . واللَّهُ أعلمُ .

ورَوى مسلمٌ[3] ، عن قتيبةَ [4]وغيرِه ، عن أبى عَوانةَ ، عن سِماكٍ[4] ، عن جابرِ بنِ سَمُرةَ قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « لَتَفْتَحَنَّ عِصابةٌ مِن المسلمين كنوزَ كسرى[5] فى القصرِ الأبيضِ » . ورَوَى أسباطٌ ، عن سِماكٍ ، عن جابرِ بنِ سَمُرةَ مثلَ ذلك ، وزاد : وكنتُ أنا وأبى فيهم ، فأصَبْنا مِن ذلك ألفَ درهمٍ[6] .

---

(١) المسك : بالفتح وسكون السين : الجلد . اللسان (م س ك) .
(٢) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٣٩٤/٤ عن الشافعى . وانظر صحيح مسلم بشرح النووى ١٨/ ٤٢ .
(٣) مسلم (٢٩١٩/٧٨) .
(٤ - ٤) سقط من : ص .
(٥) فى صحيح مسلم : « كنز آل كسرى » .
(٦) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٤/ ٣٨٩، من طريق أسباط به .

[٣/ ١٢٢و] بعثُه ﷺ إلى المُقَوْقِسِ

صاحبِ مدينةِ الإسكَندريةِ، واسمُه جُرَيْجُ بنُ مِينا القِبْطيُّ

قال يونُسُ بنُ بُكَيْرٍ، عن ابنِ إسحاقَ: حدَّثني الزهريُّ، عن عبدِ الرحمنِ(١) بنِ عبدٍ القاريِّ، أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ بَعَث حاطبَ بنَ أبي بَلْتَعةَ إلى المُقَوْقِسِ صاحبِ الإسكَندريةِ، فمضَى بكتابِ رسولِ اللَّهِ ﷺ إليه، فقبَّل الكتابَ، وأكْرَم حاطبًا وأحسَن نُزُلَه، وسَرَّحه إلى النبيِّ ﷺ، وأهْدَى له مع حاطبٍ كُسْوةً، وبَغْلةً بسَرْجِها، وجاريتَيْن؛ إحداهما أمُّ إبراهيمَ، وأمّا الأُخرى فوَهَبها رسولُ اللَّهِ ﷺ لمحمدِ بنِ قيسٍ العَبْديِّ. رواه البيهقيُّ(٢).

ثم رَوى(٣) مِن طريقِ عبدِ الرحمنِ بنِ زيدِ بنِ أسْلَمَ، عن أبيه، ثنا يحيى بنُ عبدِ الرحمنِ بنِ حاطبٍ، عن أبيه، عن جَدِّه حاطبِ بنِ أبي بَلْتَعةَ، قال: بعَثني رسولُ اللَّهِ ﷺ إلى المُقَوْقِسِ ملكِ الإسكَندريةِ. قال: فجئتُه بكتابِ رسولِ اللَّهِ ﷺ فأنْزَلني في منزلِه وأقَمْتُ عندَه، ثم بعَث إليَّ وقد جَمَع بَطارِقتَه، وقال: إنِّي سائلُك عن كلامٍ، فأحِبُّ أن تَفْهَمَ عني. قال: قلتُ: هَلُمَّ. قال: أخْبِرْني عن صاحبِك، أليس هو نبيًّا؟ قلتُ: بلى(٤)، هو رسولُ اللَّهِ. قال: فما له

---

(١) في الأصل، م: «عبد الله». وانظر تهذيب الكمال ١٧/ ٢٦٣.

(٢) دلائل النبوة ٤/ ٣٩٥.

(٣) أي البيهقي. دلائل النبوة ٤/ ٣٩٥، ٣٩٦.

(٤) سقط من: ا ٤. وفي الأصل، م: «بل».

حيثُ كان هكذا ، لم يَدْعُ على قومِه حيث أخْرَجوه مِن بلدِه إلى غيرِها ؟ قال : فقلتُ : عيسى بنُ مريمَ ، أليس تَشْهَدُ أنّه رسولُ اللّهِ ؟ (١قال : بلى . قلتُ١) : فما له حيث أخَذه قومُه ، فأرادوا أن يَصْلُبوه ، ألّا يكونَ دَعا عليهم بأن يُهْلِكَهم اللّهُ حتى(٢) رفَعه اللّهُ إلى(٣) السماءِ الدنيا ؟ فقال لى : أنت حكيمٌ ، قد جاء مِن عندِ حكيمٍ ، هذه هدايا أبْعَثُ بها معك إلى محمدٍ ، وأُرْسِلُ معك ببَذْرَقةٍ يُبَذْرِقُونَـكَ(٤) إلى مَأْمَنِك . قال : فأَهْدَى إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ ثلاثَ جوارٍ ، منهنَّ أُمُّ إبراهيمَ بنِ رسولِ اللّهِ ﷺ ، (٥وواحدةٌ وَهَبها رسولُ اللّهِ ﷺ لأبى جَهْمِ بنِ حُذيفةَ العَدَوِىِّ٥) ، وواحدةٌ وَهَبها رسولُ اللّهِ ﷺ لحسانَ بنِ ثابتٍ الأنصارىِّ ، وأَرْسل إليه بطُرَفٍ مِن طُرَفِهم . وذكَر ابنُ إسحاقَ(٦) أنه أهْدَى إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ أربعَ جوارٍ ؛ إحداهنَّ ماريَةُ أمُّ إبراهيمَ ، والأُخرى سِيرينُ التى وَهَبَها لحسانَ بنِ ثابتٍ ، فولَدَتْ له عبدَ الرحمنِ بنَ حسانَ .

قلتُ : وكان فى جملةِ الهديَّةِ غلامٌ أسودُ [٣/١٢٢ظ] خَصِىٌّ ، اسمُه مَأبورُ ، وخُفّان ساذَجان(٧) أسوَدان ، وبغلةٌ بيضاءُ اسمُها الدُّلْدُلُ ، وكان مأبورُ هذا خَصِيًّا ، ولم يَعْلَموا بأمرِه بادئَ الأمرِ ، فصار يَدْخُلُ على ماريَةَ ، كما كان

(١ - ١) زيادة من النسخ .

(٢) فى م ، ص : « حيث » .

(٣) فى الدلائل : « إليه فى » .

(٤) البذرقة هى الخُفارة ، فارسىٌّ مُعرَّب . يقال : بعث السلطان بَذْرَقَةً مع القافلة . والمُبَذْرِق : الخفير - أى الحارس - انظر تاج العروس (بذرق) .

(٥ - ٥) سقط من : النسخ . والمثبت من الدلائل .

(٦) أخرجه الطبرى فى تاريخه ٢/٦٤٥ حوادث السنة السادسة . عن ابن إسحاق بنحوه .

(٧) الساذج : مُعرَّب سادَهْ . وهو الخالص غير المشوب وغير المنقوش . الوسيط (س ذ ج) .

مِن عاداتِهم ببلادِ مصرَ، فجعَل بعضُ الناسِ يتَكَلَّمُ فيهما بسببِ ذلك، ولا يعْلَمون بحقيقةِ الحالِ، وأنَّه خَصِيٌّ، حتى قال بعضُهم: إنَّه الذى أمَر رسولُ اللَّهِ ﷺ عليَّ بنَ أبى طالبٍ بقَتْلِه، فوَجَده خَصِيًّا فترَكَه، والحديثُ فى «صحيحِ مسلمٍ»[1].

قال ابنُ إسحاقَ[2]: وبَعَث [3]رسولُ اللَّهِ ﷺ[3] سَليطَ بنَ عمرٍو[4] بنِ عبدِ وُدٍّ، أخا بنى عامرِ بنِ لُؤَىٍّ، إلى هَوْذَةَ بنِ علىٍّ صاحبِ اليَمامةِ، وبَعَث العلاءَ بنَ الحَضْرَمىِّ، [5]إلى المنذرِ بنِ ساوى، أخى بنى عبدِ القَيْسِ، صاحبِ البحْرَيْن، وعمرَو بنَ العاصِ[5] إلى جَيْفَرِ بنِ الجُلَنْدَى وعَمَّارِ[6] بنِ الجُلَنْدَى الأَزْدِيَّيْن صاحبَىْ عُمَانَ.

---

(١) بعده فى الأصل، م: «من طريق». وبعده فى ص: «من طريق كذا». والحديث فى صحيح مسلم (٢٧٧١).

(٢) أخرجه الطبرى فى تاريخه ٢/ ٦٤٥، عن ابن إسحاق. وانظر سيرة ابن هشام ٢/ ٦٠٧.

(٣ - ٣) سقط من: الأصل، ا ٤، م.

(٤) بعده فى تاريخ الطبرى: «بن عبد شمس».

(٥ - ٥) سقط من: النسخ. والمثبت من تاريخ الطبرى. ولعله وقع انتقال نظر من المصنف أو الناسخ.

(٦) فى التاريخ: «عباد».

غزوةُ ذاتِ السَّلاسِلِ

ذكَرها الحافظُ البيهقىُّ[(١)] هـٰهنا قبلَ غزوةِ الفتحِ، فساق مِن طريقِ موسى ابنِ عقبةَ وعُروةَ بنِ الزبيرِ[(٢)] قالا: بَعَث رسولُ اللَّهِ ﷺ عمرَو بنَ العاصِ إلى ذاتِ السَّلاسِلِ مِن مَشارفِ الشامِ فى بَلِىٍّ، [(٣)]وعبدِ اللَّهِ[(٣)]، ومَن يليهم مِن قُضاعةَ - قال عروةُ بنُ الزُّبيرِ: بنو بَلِىٍّ أخوالُ العاصِ بنِ وائلٍ - فلمَّا صار إلى هناك خاف مِن كثرةِ عدوِّه، فبعَث إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ يَسْتَمِدُّه، فنَدَب رسولُ اللَّهِ ﷺ المهاجرين الأولين، فانْتَدَب أبو بكرٍ وعمرُ فى جماعةٍ مِن سَراةِ المهاجرين، رَضِىَ اللَّهُ عنهم أجمعين، وأمَّر عليهم رسولُ اللَّهِ ﷺ أبا عُبيدةَ بنَ الجَرَّاحِ. قال موسى بنُ عُقْبةَ: فلمَّا قَدِموا على عمرٍو قال: أنا أميرُكم، وأنا أَرْسَلْتُ إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ أسْتَمِدُّه بكم. فقال المهاجرون: بل أنت أميرُ أصحابِك، وأبو عُبيدةَ أميرُ المهاجرين. فقال عمرٌو: إنَّما أنتم مَدَدٌ أُمْدِدْتُه. فلمَّا رأَى ذلك أبو عُبَيْدةَ، وكان رجلًا حسَنَ الخُلُقِ ليِّنَ الشِّيمَةِ[(٤)]، قال: تَعَلَّمْ[(٥)] يا عمرُو أنَّ آخرَ ما عَهِد إلىَّ رسولُ اللَّهِ ﷺ أن قال: «إذا قَدِمْتَ على صاحبِك فتَطَاوَعا». وإنَّك إن عَصَيْتَنى لأُطِيعَنَّك.

---

(١) دلائل النبوة ٣٩٧/٤ - ٤٠٣.

(٢) المصدر السابق ٣٩٧/٤ - ٣٩٩.

(٣ - ٣) فى الدلائل: «وسعد اللَّه».

(٤) الشيمة: الخلق. الوسيط (ش ى م).

(٥) تَعَلَّمْ؛ بصيغة الأمر: اعْلَمْ.

فسَلَّم أبو عُبيدةَ الإمارةَ لعمرِو بنِ العاصِ[1]

وقال محمدُ بنُ إسحاقَ[2] : حدَّثني محمدُ بنُ عبدِ الرحمنِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ الحُصَينِ التَّميميُّ قال : بعَث رسولُ اللَّهِ ﷺ [٣/١٢٣و] عمرَو بنَ العاصِ يَسْتَنْفِرُ العربَ إلى الإسلامِ ، وذلك أنَّ أمَّ العاصِ بنِ وائلٍ كانت مِن بنى بَلِيٍّ ، فبعَثه رسولُ اللَّهِ ﷺ إليهم يَسْتَأْلِفُهم بذلك ، حتى إذا كان على ماءٍ بأرضِ جُذامَ يُقالُ له : السَّلاسلُ . وبه سُمِّيَتْ تلك الغزوةُ ذاتَ السَّلاسلِ . قال : فلمَّا كان عليه وخاف ، بَعَث إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ يَسْتَمِدُّه ، فبَعَث إليه أبا عُبيدةَ بنَ الجَرَّاحِ فى المهاجرين الأوَّلين ، فيهم أبو بكرٍ وعمرُ ، وقال لأبى عُبَيْدةَ حينَ وَجَّهه : « لا تَخْتَلِفا » . فخرَج أبو عُبَيدةَ ، حتى إذا قدِم عليه قال له عمرٌو : إنَّما جِئتَ مَدَدًا إلىَّ . فقال له أبو عُبَيدةَ : لا ، ولكنِّى على ما أنا عليه ، وأنت على ما أنت عليه . وكان أبو عُبَيْدةَ رجلًا لَيِّنًا سهلًا ، هَيِّنًا عليه أمرُ الدنيا ، فقال له عمرٌو : أنت مَدَدى . فقال له أبو عُبَيْدةَ : يا عمرُو ، إنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قد قال لى : « لا تَخْتَلِفا » . وإنَّك إن عَصَيْتَنى أَطَعْتُك . فقال له عمرٌو : فإنِّى أميرٌ عليك ، وإنَّما أنت مَدَدٌ لى . قال : فدُونَكَ . فصَلَّى عمرُو بنُ العاصِ بالناسِ .

وقال الواقدىُّ[3] : حدَّثنى ربيعةُ بنُ عثمانَ ، عن يزيدَ بنِ رُومانَ ، أنَّ أبا عُبَيدةَ لمَّا آب إلى عمرِو بنِ العاصِ ، فصاروا خمسَمائةٍ ، فساروا الليلَ والنهارَ

---

(١) قال البيهقى : لفظُ حديثِ موسى بن عقبة ، وحديثُ عروة بمعناه .

(٢) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٤/ ٣٩٩، ٤٠٠، من طريق محمد بن إسحاق به . قال الشيخ الألبانى فى تعليقه على فقه السيرة ص ٣٨٣: ضعيف ؛ رواه ابن إسحاق عن محمد بن عبد الرحمن بن عبد اللَّه بن الحصين التميمى مرسلًا .

(٣) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٤/ ٤٠١، من طريق الواقدى به .

حتى وَطِئ بلادَ بَلِيٍّ ودَوَّخها[١] ، وكلَّما انْتَهى إلى موضعٍ بَلَغه أنَّه قد كان بهذا الموضعِ جمعٌ ، فلمَّا سَمِعوا بك تفرَّقوا ، حتى انتهى إلى أقصى بلادِ بَلِيٍّ وعُذْرَةَ وبَلْقَيْنَ ، ولَقِيَ فى آخرِ ذلك جَمْعًا ليس بالكثيرِ ، فاقْتَتلوا ساعةً ، وتَرامَوْا بالنَّبْلِ[٢] ، ورُمِىَ يومَئذٍ عامرُ بنُ ربيعةَ وأُصِيب ذِراعُه ، وحَمَل المسلمون عليهم فهَرَبوا[٣] ، وأَعْجَزوا هرَبًا فى البلادِ وتفرَّقوا ، ودوَّخ[٤] عمرٌو ما هناك ، وأقام أيامًا لا يَسْمَعُ لهم بجمعٍ ولا مكانٍ صاروا فيه ، وكان يبْعَثُ أصحابَ الخيلِ فيأْتون بالشّاءِ والنَّعَمِ ، فكانوا يَنْحَرون ويَذْبَحون ، ولم يَكُنْ فى ذلك أكثرُ مِن ذلك ، ولم تَكُنْ غَنائمُ تُقْسَمُ[٥] .

وقال أبو داودَ[٦] : ثنا ابنُ المُثَنَّى ، ثنا وَهْبُ بنُ جريرٍ ، ثنا أبى ، سَمِعْتُ يحيى بنَ أيوبَ يُحَدِّثُ عن يزيدَ بنِ أبى حَبيبٍ ، عن عِمرانَ بنِ أبى أنسٍ ، عن عبدِ الرحمنِ بنِ جُبَيْرٍ ، عن عمرِو بنِ العاصِ ، قال : احْتَلَمْتُ فى ليلةٍ باردةٍ فى غزوةِ [٣/١٢٣ظ] ذاتِ السَّلاسلِ ، فأشْفَقْتُ إنِ اغْتَسَلْتُ أن أهْلِكَ . قال : فتَيَمَّمْتُ ثُم صَلَّيْتُ بأصحابى الصبحَ ، فذكَروا ذلك لرسولِ اللَّهِ ﷺ فقال : « يا عمرُو ، صَلَّيْتَ بأصحابِك وأنت جُنُبٌ ؟ » قال : فأخْبَرْتُه بالذى مَنَعَنى مِن الاغْتِسالِ وقلتُ : إنِّى سَمِعْتُ اللَّهَ يقولُ : ﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ

(١) دوَّخ البلاد : سار فيها حتى عرفها ، ولم تخف عليه طرقها . اللسان (د و خ) .
(٢) بعده فى الأصل ، م ، ص : « ساعة » .
(٣) فى ا ٤ : « فانهزموا » . وفى م ، ص : « فهزموا » .
(٤) دوخ ما هناك : وطئه . اللسان (د و خ) .
(٥) بعده فى الدلائل : « إلا ما لا ذكر له » .
(٦) أبو داود (٣٣٤) . صحيح (صحيح سنن أبى داود ٣٢٣) .

بِكُمْ رَحِيمًا ﴾ [النساء: ٢٩]. فضَحِك نبيُّ اللَّهِ ﷺ ولم يقُلْ شيئًا.

(١ حدَّثنا[٢] محمدُ بنُ سَلَمةَ، (٣ ثنا ابنُ وهبٍ ٣)، ثنا ابنُ لَهِيعةَ وعمرُو بنُ الحارثِ، عن يزيدَ بنِ أبى حَبيبٍ، عن عِمرانَ بنِ أبى أنسٍ، عن عبدِ الرحمنِ ابنِ جُبَيْرٍ، عن أبى قيسٍ مولى عمرِو بنِ العاصِ، (٤ أنَّ عمرَو بنَ العاصِ كان ٤) على سريَّةٍ. فذكَر الحديثَ بنحوِه، قال: فغَسَل مَغابِنَه[٥] وتَوَضَّأ وُضوءَه للصلاةِ، ثُم صلَّى بهم. فذكَر نحوَه، ولم يَذْكُرِ التَّيَمُّمَ. قال أبو داودَ: ورَوَى هذه القصةَ عن[٦] الأَوْزاعىُّ، عن حسانَ بنِ عَطِيةَ، وقال فيه: فتيَمَّم ١).

وقال الواقدىُّ[٧]: حدَّثنى أفْلَحُ بنُ سعيدٍ، عن ابنِ[٨] عبدِ الرحمنِ بنِ رُقَيْشٍ، عن أبى بكرِ بنِ حَزْمٍ قال: كان عمرُو بنُ العاصِ حيـنَ قَفَلوا، احْتَلَم فى ليلةٍ باردةٍ كأشدِّ ما يكونُ مِن البردِ، فقال لأصحابِه: ما تَرَوْن؟ قد واللَّهِ احتلَمْتُ، فإنِ اغْتَسَلْتُ مِتُّ. فدَعا بماءٍ فتَوَضَّأ، وغَسَل فرجَه وتَيَمَّم، ثُم قام فصَلَّى بهم، فكان أوَّلَ مَن بَعَث عوفُ بنُ مالكٍ بَرِيدًا، قال عوفٌ: فقَدِمْتُ

(١ - ١) سقط من: ٤١.

(٢) القائل أبو داود. والحديث أخرجه أبو داود فى سننه (٣٣٥). صحيح (صحيح سنن أبى داود ٣٢٤).

(٣ - ٣) سقط من النسخ، والمثبت من مصدرى التخريج.

(٤ - ٤) فى الأصل، م: «وكان».

(٥) المغابن: الآباط - جمع إبط - والأرفاغ، وهى بواطن الأفخاذ عند الحوالب، جمع مغبن. انظر النهاية ٣/ ٣٤١، والوسيط (غ ب ن).

(٦) كذا فى النسخ وسنن أبى داود. والصواب حذف «عن»، كما ذكره الشيخ الألبانى فى الإرواء ١/ ١٨٣ عن أبى داود فى السنن.

(٧) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٤/ ٤٠١، ٤٠٢، من طريق الواقدى به.

(٨) هو سعيد بن عبد الرحمن كما فى الدلائل.

على رسولِ اللَّهِ ﷺ فى السَّحَرِ وهو يُصَلِّى فى بيتِه ، فسَلَّمْتُ عليه ، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « عوفُ بنُ مالكٍ ؟ » فقلتُ : عوفُ بنُ مالكٍ يا رسولَ اللَّهِ . قال : « صاحبُ الجَزُورِ ؟ » قلتُ : نعم . ولم يَزِدْ على هذا بعدَ ذلك شيئًا ، ثُم قال : « أخْبِرْنى » . فأخبَرْتُه بما كان مِن مسيرِنا ، وما كان بينَ أبى عُبيدةَ وعمرٍو ، ومُطاوعةِ أبى عُبَيْدةَ ، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « يَرْحَمُ اللَّهُ أبا عُبَيْدةَ بنَ الجَرَّاحِ » . قال : ثم أخبَرْتُه أن عمرًا صَلَّى بالناسِ وهو جنبٌ ومعه ماءٌ ، لم يَزِدْ على أن غَسَل فرجَه وتَوَضَّأ[(1)] . فسَكَت رسولُ اللَّهِ ﷺ ، فلمَّا قدِم عمرٌو على رسولِ اللَّهِ ﷺ سأَله عن صلاتِه ، فأخْبَره فقال : والذى بَعَثك بالحقِّ ، إنِّى لو اغْتَسَلْتُ [٣/ ١٢٤و] لَمِتُّ ، لم أجِدْ بَرْدًا قطُّ مثلَه ، وقد قال اللَّهُ تعالى : ﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴾ . قال : فضحِك رسولُ اللَّهِ ﷺ ، ولم يَبْلُغْنا أنَّه قال له شيئًا .

وقال ابنُ إسحاقَ[(2)] : حدَّثنى يزيدُ بنُ أبى حَبِيبٍ ، عن عوفِ بنِ مالكٍ الأشْجعىِّ قال : كنتُ فى الغزوةِ التى بعَث فيها رسولُ اللَّهِ ﷺ عمرَو بنَ العاصِ ، وهى غزوةُ ذاتِ السَّلاسلِ ، فصَحِبْتُ أبا بكرٍ وعمرَ ، فمرَرْتُ بقومٍ وهم على جَزُورٍ قد نحروها ، وهم لا يَقْدِرون على أن يُعَضُّوها[(3)] ، وكنتُ امْرَأً جازِرًا[(4)] ، فقلتُ

---

(١) فى الدلائل : « وتيمم » .

(٢) سيرة ابن هشام ٢/ ٦٢٥، ٦٢٦. وأخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٤/ ٤٠٤، ٤٠٥، من طريق ابن إسحاق به نحوه .

(٣) فى الأصل ، م : « يبعضوها » . وفى ا ٤ : « يضعوها » . ويعضوها : أى يقسموها ويجعلوها أعضاء . انظر النهاية ٣/ ٢٥٦.

(٤) كذا فى النسخ والدلائل . وفى السيرة : « امرأ لبقا جازرا » .

لهم : تُعْطونى منها عَشِيرًا[(1)] على أن أَقْسِمَها بينَكم ؟ قالوا : نعم . فأَخَذْتُ الشَّفْرَةَ ، فجَزَّأْتُها مكانى ، وأَخَذْتُ منها جُزءًا فحمَلْتُه إلى أصحابى ، فاطَّبَخْناه وأَكَلْناه ، فقال أبو بكرٍ وعمرُ : أنَّى لك هذا اللحمُ يا عوفُ ؟ فأَخْبَرْتُهما[(2)] فقالا : لا[(3)] واللَّهِ ما أحسَنْتَ حينَ أطْعَمْتَنا هذا . ثُم قاما يتَقَيَّآن ما فى بطونِهما منه ، فلمّا أنْ قَفَل الناسُ مِن ذلك السفرِ ، كنتُ أولَ قادمٍ على رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فجِئتُه وهو يُصَلِّى فى بيتِه فقلتُ : السلامُ عليك يا رسولَ اللَّهِ ورحمةُ اللَّهِ وبركاتُه . فقال : « أعوفُ بنُ مالكٍ ؟ » فقلت : نعم ، بأبى أنت وأُمِّى . فقال : « صاحبُ الجَزورِ ؟ » ولم يَزِدْنى على ذلك شيئًا . هكذا رَواه محمدُ بنُ إسحاقَ ، عن يزيدَ بنِ أبى حَبِيبٍ ، عن عوفِ بنِ مالكٍ ، وهو مُنْقَطِعٌ ، بل مُعْضَلٌ .

قال الحافظُ البَيْهَقِىُّ[(4)] : وقد رواه ابنُ لَهِيعةَ وسعيدُ بنُ أبى أيوبَ ، عن يزيدَ ابنِ أبى حَبِيبٍ ، عن رَبيعةَ بنِ لَقِيطٍ ، عن مالكِ بنِ هِدْمٍ[(5)] ، أظنُّه عن عوفِ بنِ مالكٍ ، فذكَر نحوَه ، إلَّا أنَّه قال : فعَرَضْتُه على عمرَ فسأَلنى عنه ، فأَخْبَرْتُه فقال : قد تَعَجَّلْتَ أجرَك . ولم يَأْكُلْه . ثم حَكَى[(6)] عن أبى عُبيدةَ مثلَه ، ولم يَذْكُرْ فيه أبا بكرٍ ، وتمامُه كنحوِ ما تقدَّم .

---

(1) فى ا ٤١ : « جزءا » . وفى م : « عشرا » . والعشير : النصيب ؛ لأن الجزور كانت تُقسم على عشرة أجزاء ، فكل جزء منها عشير . شرح غريب السيرة ٣/ ١٧٣ .
(2) بعده فى السيرة : « خبره » .
(3) كذا فى النسخ والدلائل . وليست فى السيرة .
(4) دلائل النبوة ٤/ ٤٠٥ .
(5) فى النسخ : « زهدم » . والمثبت من الدلائل .
(6) أى عوف .

وقال الحافظُ البيهقيُّ[(١)] : أنبأنا أبو عبدِ اللَّهِ الحافظُ وأبو سعيدِ بنُ أبى عمرٍو قالا : حدَّثنا أبو العباسِ محمدُ بنُ يعقوبَ الأصَمُّ ، ثنا يحيَى بنُ أبى طالبٍ ، ثنا علىُّ بنُ عاصمٍ ، ثنا خالدٌ الحَذَّاءُ ، عن أبى عثمانَ النَّهْدىِّ ، سَمِعْتُ عمرَو بنَ العاصِ يقولُ : بعَثَنى رسولُ اللَّهِ ﷺ على جيشِ ذاتِ السَّلاسلِ ، وفى القومِ أبو بكرٍ وعمرُ ، فحَدَّثْتُ نفسى أنَّه لم يَبْعَثْنى على أبى بكرٍ وعمرَ إلَّا لمنزلةٍ لى عندَه . قال : فأتَيْتُه حتى قَعَدْتُ بينَ يديْه ، فقلتُ : يا رسولَ اللَّهِ ، مَن أحبُّ الناسِ إليك ؟ قال : « عائشةُ » . قلتُ : إنِّى لستُ [٣/ ١٢٤ظ] أسألُك عن أهلِك . قال : « فأبوها » . قلتُ : ثُم مَن ؟ قال : « عمرُ » . قلت : ثم مَن ؟ حتى عدَّد[(٢)] رهطًا ، قال : قلتُ فى نفسى : لا أعودُ أسألُ عن هذا .

وهذا الحديثُ مُخَرَّجٌ فى « الصحيحين »[(٣)] مِن طريقِ خالدِ بنِ مِهْرانَ الحَذَّاءِ ، عن أبى عثمانَ النَّهْدىِّ ، واسمُه عبدُ الرحمنِ بنُ مَلٍّ ، حدَّثنى عمرُو بنُ العاصِ أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ بَعَثه على جيشِ ذاتِ السَّلاسلِ ، فأتَيْتُه فقلتُ : أىُّ الناسِ أحبُّ إليك ؟ قال : « عائشةُ » . قلتُ : فمِن الرجالِ ؟ قال : « أبوها » . قلتُ : ثم مَن ؟ قال : « ثم عمرُ بنُ الخطابِ » . فعدَّ[(٤)] رجالًا . وهذا لفظُ البخارىِّ . وفى روايةٍ[(٥)] : قال عمرٌو : فسَكَتُّ مَخافةَ أن يجْعَلَنى فى آخرِهم .

---

(١) دلائل النبوة ٤/ ٤٠٠، ٤٠١.

(٢) فى الدلائل : « عد » .

(٣) البخارى (٣٦٦٢، ٤٣٥٨)، ومسلم (٢٣٨٤) .

(٤) سقط من : ٤١. وفى م : « فعدد » .

(٥) البخارى (٤٣٥٨) .

سريَّةُ أبى عُبَيْدةَ بنِ الجرّاحِ
إلى سِيفِ البحرِ

قال الإمامُ مالكٌ[(١)] ، عن وهبِ بنِ كَيْسانَ ، عن جابرٍ قال : بَعَث رسولُ اللَّهِ ﷺ بَعْثًا قِبَلَ الساحلِ ، وأمَّر عليهم أبا عُبيدةَ بنَ الجرَّاحِ ، وهم ثلاثُمائةٍ . قال جابرٌ : وأنا فيهم ، فخَرَجْنا حتى إذا كُنّا ببعضِ الطريقِ فَنِىَ الزادُ ، فأَتَوْا أبا عُبَيْدةَ بأزْوادِ ذلك الجيشِ ، فجُمِع كلُّه ، فكان مِزْوَدَىْ تمرٍ[(٢)] ، فكان يَقُوتُنا كلَّ يومٍ قليلًا قليلًا حتى فَنِىَ ، فلم يَكُنْ يصيبُنا إلَّا تَمْرَةٌ تمرةٌ . قال : فقلتُ : وما تُغْنى تمرةٌ ؟ فقال : لقد وَجَدْنا فَقْدَها حينَ فَنِيَتْ . قال : ثُم انتَهَيْنا إلى البحرِ ، فإذا حُوتٌ مثلُ الظَّرِبِ[(٣)] . قال : فأَكَل منه ذلك الجيشُ ثمانىَ عشْرَةَ ليلةً ، ثُم أمَر أبو عُبَيْدةَ بضِلَعَيْنِ مِن أضلاعِه فنُصِبا ، ثُم أمَرَ براحِلَةٍ[(٤)] فرُحِلَتْ[(٥)] ، ثُم مَرَّتْ[(٦)] [(٧)] تحتَهما فلم تُصِبْهما[(٧)] . أخْرَجاه فى « الصحيحين » مِن حديثِ مالكٍ ، بنحوِه .

وهو فى « الصحيحينِ » أيضًا[(٨)] مِن طريقِ سفيانَ بنِ عُيَيْنةَ ، عن عمرِو بنِ

---

(١) أخرجه البخارى (٢٤٨٣، ٤٣٦٠)، ومسلم (٢١/١٩٣٥)، من طريق مالك به نحوه.

(٢) مزودى تمر: المِزْوَد: ما يجعل فيه الزاد. فتح البارى ٨/ ٧٩.

(٣) الظرب: الجبل الصغير. المصدر السابق.

(٤) فى م: « براحلته ».

(٥) رحلت: أى وضع عليها الرحل. وقيل: رُكبت. انظر صحيح مسلم بشرح النووى ١٣/ ٨٧، والنهاية ٢/ ٢١٠.

(٦) فى الأصل، م، ص: « مر ».

(٧ - ٧) فى ١٤: « تحتها فلم تصبها ». وفى م: « تحتها فلم يصبهما ». وفى ص: « تحتها فلم تصبهما ».

(٨) البخارى (٤٣٦١، ٥٤٩٤)، ومسلم (١٨/١٩٣٥). بنحوه عندهما.

دينارٍ ، عن جابرٍ قال : بَعَثَنا رسولُ اللَّهِ ﷺ فى ثلاثِمائةِ راكبٍ ، وأميرُنا أبو عُبَيْدةَ بنُ الجَرَّاحِ ، نَرْصُدُ عِيرًا لقُرَيشٍ ، فأصابنا جوعٌ شديدٌ ، حتى أكَلْنا الخَبَطَ(١) ، فسُمِّىَ ذلك الجيشُ جيشَ الخَبَطِ . قال : ونحَر رجلٌ ثلاثَ جَزائرَ ، ثم نحَر ثلاثَ جَزائرَ ، ثُم ثلاثًا ، فنَهاه أبو عُبيدةَ . قال : وألْقَى البحرُ دابةً يقالُ لها : العَنْبَرُ . فأكَلْنا منها نصفَ شهرٍ وادَّهَنّا ، حتى ثابَتْ إلينا أجسامُنا وصَلَحَتْ . ثُم ذكَر قصةَ الضِّلَعِ . فقولُه فى الحديثِ : نَرْصُدُ عيرًا لقريشٍ . دليلٌ على أنَّ هذه السريَّةَ كانت قبلَ صُلحِ الحديبيةِ . واللَّهُ أعلمُ . والرجلُ الذى نحَر لهم الجَزائرَ هو قيسُ بنُ سعدِ بنِ [٣/ ١٢٥و] عُبادةَ ، رَضِىَ اللَّهُ عنهما(٢) .

وقال الحافظُ البَيْهَقِىُّ(٣) : (٤)أنبأنا أبو عبدِ اللَّهِ الحافظُ(٤) ، (٥)أنبأنا أبو بكرِ بنُ إسحاقَ ، ثنا إسماعيلُ بنُ قُتيبةَ ، ثنا يحيىَ بنُ يحيَى ، ثنا أبو خَيْثَمةَ ، وهو زُهَيرُ ابنُ معاويةَ ، عن أبى الزبيرِ(٥) ، عن جابرٍ قال : بَعَثَنا رسولُ اللَّهِ ﷺ ، وأمَّر علينا أبا عُبيدةَ ، نَتَلَقَّى عِيرًا لقريشٍ ، وزَوَّدَنا جِرابًا مِن تمرٍ ، لم يَجِدْ لنا غيرَه ، فكان أبو عُبَيْدةَ يُعْطِينا تمرةً تمرةً . قال : فقلتُ : كيف كنتم تَصْنَعون بها ؟ قال : كُنّا نَمُصُّها كما يَمُصُّ الصبىُّ ، ثم نَشْرَبُ عليها الماءَ ، فتَكْفِينا يومَنا إلى الليلِ ، وكُنّا

---

(١) الخبط : من الخَبْط ، وهو ضَرْب الشجر بالعصا ليتناثر ورقها ، واسم الورق الساقط : خَبَط . انظر النهاية ٢/ ٧.

(٢) هذا التصريح باسم الذى نحر الجزائر ، فى البخارى (٤٣٦١) من حديث عمرو بن دينار عن أبى صالح السمان أن قيس بن سعد قال لأبيه :... الحديث . قال الحافظ فى الفتح ٨/ ٨١: وهذا صورته مرسل لأن عمرو بن دينار لم يدرك زمان تحديث قيس لأبيه ، لكنه فى مسند الحميدى موصول . انظر مسند الحميدى (١٢٤٤) .

(٣) دلائل النبوة ٤/ ٤٠٨، ٤٠٩.

(٤ - ٤) سقط من : ٤١، م.

(٥ - ٥) سقط من : ٤١.

نَضْرِبُ بعِصِيِّنا الخَبَطَ، ثُم نَبُلُّه بالماءِ فنَأْكُلُه. قال: فانْطَلَقْنا إلى ساحلِ البحرِ، فرُفِع لنا على ساحلِ البحرِ كهيئةِ الكَثِيبِ الضخمِ، فأتَيْناه فإذا به دابَّةٌ تُدْعَى العَنْبَرَ، فقال أبو عُبيدةَ: مَيْتَةٌ. ثُم قال: لا، بل نحنُ رُسُلُ رسولِ اللَّهِ ﷺ وفى سبيلِ اللَّهِ، وقد اضْطُرِرْتُم؛ فكُلُوا. قال: فأقَمْنا عليه شهرًا ونحن ثلاثُمائةٍ حتى سَمِنَّا، ولقد كُنّا نَغْرِفُ مِن وَقْبِ[1] عينِه بالقِلالِ[2] الدُّهْنَ، ونَقْتَطِعُ منه الفِدَرَ[3] كالثَّوْرِ، أو كقَدْرِ الثورِ، ولقد أخَذ مِنّا أبو عُبَيدةَ ثلاثةَ عشَرَ رجلًا، فأقْعَدَهم فى عينِه، وأخَذ ضِلَعًا مِن أضلاعِه، فأقامها ثُم رَحَل أعظمَ بعيرٍ منها، فمرَّ تحتَها، وتزَوَّدْنا مِن لحمِها وَشائقَ[4]، فلمَّا قدِمنا المدينةَ، أتَيْنا رسولَ اللَّهِ ﷺ فذكَرْنا ذلك له، فقال: «هو رِزقٌ أخرَجه اللَّهُ لكم، فهل معكم شىءٌ مِن لحمِه تُطْعِمونا؟» قال: فأرْسَلْنا إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ فأكَل منه. ورَواه مسلمٌ، عن يحيى بنِ يحيى وأحمدَ بنِ يونسَ، وأبو داودَ، عن النُّفَيْلىِّ، ثلاثتُهم عن أبى خَيْثَمةَ زُهَيْرِ بنِ مُعاويةَ الجُعْفىِّ الكُوفىِّ، عن أبى الزُّبيرِ محمدِ بنِ مُسْلمِ بنِ تَدْرُسَ المكىِّ، عن جابرِ بنِ عبدِ اللَّهِ الأنصارىِّ، به[5].

قلتُ: ومُقتضَى أكثرِ هذه السياقاتِ، أنَّ هذه السريَّةَ كانت قبلَ صُلحِ

---

(١) الوقب: هو النُّقْرة التى تكون فيها العين. النهاية ٥/ ٢١٢.

(٢) القلال: جمع قُلَّة، وهى الحُبّ - أى الجَرَّة - العظيم. والقلال معروفة بالحجاز. انظر النهاية ٤/ ١٠٤. والقاموس المحيط (ح ب ب).

(٣) سقط من: ا ٤. وفى الأصل، م: «القدر». والفدر: جمع فِدْرة. وهى القطعة من كل شىء. انظر النهاية ٣/ ٤٢٠.

(٤) الوشائق: جمع وشيقة، والوشيقة هى اللحم الذى يُغلى قليلًا ولا يُنضَج، ويحمل فى الأسفار. وقيل: هى القديد. انظر النهاية ٥/ ١٨٨.

(٥) مسلم (١٧/١٩٣٥). وأبو داود (٣٨٤٠).

الحديبيةِ ، ولكن أوْرَدْناها هـٰهنا تَبَعًا للحافظِ البَيْهَقىِّ ، رَحِمه اللَّهُ ، فإنَّه أوْرَدها بعدَ مؤتةَ وقبلَ غزوةِ الفتحِ . واللَّهُ أعلمُ .

وقد ذكَر البخارىُّ[1] بعدَ غزوةِ مُؤْتةَ سريَّةَ أسامةَ بنِ زيدٍ إلى الحُرَقاتِ مِن جُهَيْنةَ ، فقال : حدَّثنا عمرُو بنُ محمدٍ ، ثنا هُشَيْمٌ ، أنبأنا حُصَيْنُ بنُ جُنْدَبٍ ، ثنا أبو ظَبْيانَ ، قال : سَمِعْتُ أسامةَ بنَ زيدٍ يقولُ : بَعَثَنا رسولُ اللَّهِ [٣/١٢٥ظ] ﷺ إلى الحُرَقةِ ، فصَبَّحْنا القومَ فهزَمْناهم ، ولحِقْتُ أنا ورجلٌ مِن الأنصارِ رجلًا منهم ، فلمَّا غَشِيناه قال : لا إلهَ إلا اللَّهُ . فكَفَّ الأنصارىُّ ، فطَعَنْتُه برُمحى حتى قَتَلْتُه ، فلمّا قَدِمْنا بَلَغ النبىَّ ﷺ فقال : « يا أسامةُ ، أقَتَلْتَه بعدَ ما قال : لا إلهَ إلا اللَّهُ ؟ » قلتُ : كان مُتَعَوِّذًا . فمازال يُكَرِّرُها ، حتى تَمَنَّيْتُ أنِّى لم أكُنْ أسْلَمْتُ قبلَ ذلك اليومِ . وقد تَقَدَّم هذا الحديثُ والكلامُ عليه فيما سَلَف[2] .

ثُم روَى البخارىُّ[3] مِن حديثِ يزيدَ بنِ أبى عُبيدٍ ، عن سَلَمةَ بنِ الأكوعِ قال : غَزَوْتُ مع رسولِ اللَّهِ ﷺ سبعَ غَزَواتٍ ، وخَرَجْتُ فيما يَبْعَثُ مِن البُعوثِ تسعَ غَزَواتٍ ، علينا مرةً أبو بكرٍ ، ومرةً أسامةُ بنُ زيدٍ ، رَضِى اللَّهُ عنهما .

ثُم ذكَر الحافظُ البَيْهَقِىُّ[4] هـٰهنا موتَ النجاشىِّ - صاحبِ الحبشةِ - على الإسلامِ ، ونَعْىَ رسولِ اللَّهِ ﷺ له إلى المسلمين ، وصلاتَه عليه ، فروَى[5] مِن

---

(١) البخارى (٤٢٦٩) .

(٢) تقدم فى صفحة ٢٢٢.

(٣) البخارى (٤٢٧٠) .

(٤) دلائل النبوة ٤/٤١٠ - ٤١٢.

(٥) المصدر السابق ٤/ ٤١٠.

طريقِ مالكٍ، عن الزهريِّ، عن سعيدِ بنِ المسيَّبِ، عن أبى هريرةَ، أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ نَعَى إلى الناسِ النجاشيَّ فى اليومِ الذى مات فيه، وخَرَج بهم إلى المُصَلَّى، فصَفَّ بهم وكبَّر أربعَ تَكْبيراتٍ. أخْرجاه[1] مِن حديثِ مالكٍ، وأخْرَجاه أيضًا[2] مِن حديثِ الليثِ، عن عُقَيْلٍ، عن الزهريِّ، عن سعيدٍ وأبى سَلَمَةَ، عن أبى هريرةَ بنحوِه.

وأخْرجاه[3] مِن حديثِ ابنِ جُرَيْجٍ، عن عطاءٍ، عن جابرٍ قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «مات اليومَ رجلٌ صالحٌ». فصَلُّوا على أصْحَمَةَ. وقد تقَدَّمت هذه الأحاديثُ أيضًا والكلامُ عليها[4]، وللَّهِ الحمدُ.

قلتُ: والظاهرُ أن موتَ النجاشيِّ كان قبلَ الفتحِ بكثيرٍ؛ فإنَّ فى «صحيحِ مسلمٍ»[5] أنَّه لمَّا كَتَب إلى ملوكِ الآفاقِ، كتَب إلى النَّجاشيِّ، وليس هو بالمسلمِ. وزعَم آخرون كالواقديِّ أنَّه هو. واللَّهُ أعلمُ.

ورَوى الحافظُ البيهقيُّ[6] مِن طريقِ مسلمِ بنِ خالدٍ الزَّنْجيِّ، عن موسى بنِ عقبةَ، عن أبيه، عن أمِّ كُلْثومٍ قالت: لمَّا تزوَّج النبيُّ ﷺ أُمَّ سَلَمَةَ قال: «قد أَهْدَيْتُ إلى النجاشيِّ أواقِيَ مِن مِسْكٍ وحُلَّةً، وإنِّى (٧لا أُراه إلَّا٧) قد مات،

---

(١) البخارى (١٢٤٥، ١٣٣٣). ومسلم (٦٢/٩٥١). من حديث مالك عن الزهرى به.
(٢) البخارى (١٣٢٧، ١٣٢٨). ومسلم (٦٣/٩٥١). من حديث الليث عن عقيل به.
(٣) البخارى (١٣٢٠، ٣٨٧٧). ومسلم (٦٥/٩٥٢).
(٤) تقدم فى ٤/١٩٠ - ١٩٤.
(٥) مسلم (١٧٧٤).
(٦) دلائل النبوة ٤/ ٤١٢.
(٧ - ٧) فى ٤١: «أراه». وفى م: «لأراه».

[١٢٦/٣و] ولا أرى الهديةَ إلَّا ستُرَدُّ عليَّ، فإن رُدَّت عليَّ - أظُنُّه قال - قَسَمْتُها بيْنَكُنَّ» أو «فهى لكِ». قال: فكان كما قاله رسولُ اللَّهِ ﷺ؛ مات النجاشيُّ ورُدَّتِ الهديةُ، فلمَّا رُدَّت عليه، أعْطَى كلَّ[١] امرأةٍ مِن نسائِه أُوقِيَّةً مِن ذلك المِسْكِ، وأعْطَى سائرَه أُمَّ سَلَمةَ، وأعْطاها الحُلَّةَ. واللَّهُ أعلمُ.

(١) سقط من: م. وفى الأصل: «كله». وفى ص: «ذلك».

بسم الله الرحمن الرحيم

غزوةُ الفتحِ الأعْظمِ، وكانت فى رمضانَ سنةَ ثمانٍ

وقد ذكَرها اللَّهُ تعالى فى القرآنِ فى غيرِ موضعٍ، فقال تعالى: ﴿ لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُوا۟ ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ ﴾ الآيةَ [الحديد: ١٠]. وقال تعالى: ﴿ إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ۝١ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ۝٢ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا ﴾ [النصر].

وكان سببَ الفتحِ بعدَ هُدْنةِ الحديبيةِ ما ذكَره محمدُ بنُ إسحاقَ[(١)]، حدَّثنى الزُّهْرىُّ، عن عُرْوَةَ بنِ الزُّبيرِ، عن المِسْوَرِ بنِ مَخرمةَ ومَرْوانَ بنِ الحَكَمِ أنهما حدَّثاه جميعًا قالا: كان فى صلحِ الحديبيةِ أنه مَن شاء أن يَدْخُلَ فى عقدِ محمدٍ وعهدِه دخَل، ومَن شاء أن يَدْخُلَ فى عقدِ قريشٍ وعهدِهم [(٢)]دخَل[(٣)]، فتَواثَبَت خُزاعةُ وقالوا: نحن ندْخُلُ فى عقدِ محمدٍ وعهدِه. وتَواثَبت بنو بكرٍ وقالوا: نحن ندْخُلُ فى عقدِ قريشٍ وعهدِهم[(٢)]. فمكَثوا فى تلك الهُدْنةِ نحوَ السبعةَ أو الثمانيةَ عشَرَ شهرًا، ثم إن بنى بكرٍ وثَبوا على خُزاعةَ ليلًا، بماءٍ يقالُ

---

(١) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٥/٥ - ٧، من طريق ابن إسحاق به.

(٢ - ٢) سقط من: الأصل.

(٣) سقط من: م.

له : الوَتِيرُ . وهو قريبٌ مِن مكةَ ، وقالت قريشٌ : ما يَعْلَمُ بنا محمدٌ ، وهذا الليلُ وما يَرانا أحدٌ . فأعانوهم عليهم بالكُراعِ والسلاحِ ، وقاتَلوهم معهم ؛ للضِّغْنِ على رسولِ اللَّهِ ﷺ ، وإنَّ عمرَو بنَ سالمٍ رَكِب عندَما كان مِن أمرِ خُزاعةَ وبنى بكرٍ بالوَتِيرِ ، حتى قدِم على رسولِ اللَّهِ ﷺ يُخْبِرُه الخبرَ ، وقد قال أبياتَ شعرٍ ، فلما قدِم على رسولِ اللَّهِ ﷺ أنشَدَه إياها :

لاهُمَّ إنى ناشدٌ محمدًا ... حِلْفَ أبيهِ وأبينا الأَتْلَدَا
قد كنتُمُ وُلْدًا وكنا والِدَا ... ثُمَّتَ أَسلَمْنا فلم نَنْزِعْ يدَا[1]
فانصُرْ رسولَ اللَّهِ نصْرًا أعْتَدَا[2] ... وادْعُ عبادَ اللَّهِ يأتوا مَدَدَا
فيهم رسولُ اللَّهِ قد تجَرَّدا ... إنْ سِيمَ خَسْفًا وجهُه ترَبَّدَا[3]
[٣/ ١٢٦ظ] فى فَيْلَقٍ كالبحرِ يجرى مُزْبِدَا ... إنَّ قريشًا أخْلَفوك المَوْعِدَا
ونقَضُوا ميثاقَك المُؤَكَّدا ... وجَعَلوا لى فى كَداءٍ رُصَّدَا
وزعَموا أن لستُ أدْعو أحدَا ... فهم أذَلُّ وأقلُّ عدَدَا
هم بَيَّتونا بالوَتِيرِ هُجَّدا ... وقَتَّلونا رُكَّعًا وسُجَّدَا

فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « نُصِرْتَ يا عمرَو بنَ سالمٍ » . فما بَرِح رسولُ اللَّهِ

---

(١) يريد أن بنى عبد مناف أُمُّهم من خزاعة ، وكذلك قُصَىٌّ أمُّه فاطمة بنت سعد الخزاعية . والوُلْد بمعنى الوَلَد . وأسلمنا : هو من السِّلْم ؛ لأنهم لم يكونوا آمنوا بعد ، غير أنه قال : رُكَّعا وسُجَّدا . فدل على أنه كان فيهم من صلى له ، فقتل . واللَّه أعلم . الروض الأنف ٧/ ٨٤.

(٢) فى الأصل : « أيِّدا » ، وفى م : « أبدا » ، وفى الدلائل : « أعتدا » . ونصرا أعتدا : أى حاضرا . شرح غريب السيرة ٣/ ٧٥.

(٣) سيم : طُلب منه وكُلِّف . والخسف : الذل . وتربد : أى تغير إلى السواد . شرح غريب السيرة ٣/ ٧٥.

ﷺ حتى مرَّت بنا عَنانةٌ[(١)] فى السماءِ، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «إنَّ هذه السحابةَ لَتَستهِلُّ بنصرِ بنى كعبٍ». وأمَر رسولُ اللَّهِ ﷺ الناسَ بالجَهازِ، وكتَمَهم مَخْرَجَه، وسأَل اللَّهَ أن يُعَمِّىَ على قريشٍ خبرَه، حتى يَبْغَتَهم فى بلادِهم.

قال ابنُ إسحاقَ[(٢)]: وكان السببَ الذى هاجَهم، أنَّ رجلًا مِن بنى الحَضْرَمىِّ، اسمُه مالكُ بنُ عبَّادٍ، مِن حُلفاءِ الأسودِ بنِ رَزْنٍ خرَج تاجرًا، فلمَّا توسَّط أرضَ خُزاعةَ، عدَوْا عليه، فقتَلُوه وأخَذُوا مالَه، فعَدَتْ بنو بكرٍ على رجلٍ مِن بَنى خُزاعةَ فقتَلُوه، فعَدَت خُزاعةُ قُبَيلَ الإسلامِ على بنى الأسودِ بنِ رَزْنٍ [(٣)] الدُّئِلىِّ - وهم مَنْخَرُ[(٤)] بَنى كِنانةَ وأشْرافُهم؛ سَلْمَى وكُلْثومٌ وذُؤَيْبٌ - فقتَلُوهم بعَرَفةَ عندَ أنْصابِ الحَرَمِ[(٥)]. قال ابنُ إسحاقَ[(٦)]: وحدَّثنى رجلٌ مِن الدُّئِلِ قال: كان بَنو الأسودِ بنِ رَزْنٍ[(٣)] يُودَوْن فى الجاهليةِ دِيَتَيْن دِيَتَين[(٧)].

قال ابنُ إسحاقَ: فبينا بنو بكرٍ وخُزاعةُ على ذلك، إذْ حجَز بينَهم الإسلامُ، فلمَّا كان يومُ الحديبيةِ، ودخَل بنو بكرٍ فى عقدِ قريشٍ، ودخَلتْ

---

(١) العنانة: السحابة. اللسان (ع ن ن).
(٢) سيرة ابن هشام ٢/ ٣٨٩.
(٣ - ٣) سقط من: الأصل.
(٤) فى م: «مفخر». قال أبو ذر: هم منخر كنانة: يعنى المتقدِّمين منهم؛ لأن الأنف هو المقدم من الوجه. شرح غريب السيرة ٣/ ٧١.
(٥) أنصاب الحرم: حدوده. اللسان (ن ص ب). وقال أبو ذر: حجارة تُجعَل علامات بين الحِل والحرم. شرح غريب السيرة ٣/ ٧١.
(٦) سيرة ابن هشام ٢/ ٣٩٠، ٣٩١.
(٧) بعده فى السيرة: «ونُودَى دية دية؛ لفضلهم فينا».

خُزاعةُ فى عقدِ رسولِ اللَّهِ ﷺ، وكانت الهُدنةُ، اغتَنَمها بنو الدُّئِلِ مِن بَنى بكرٍ، وأرادُوا أن يُصيبُوا مِن خُزاعةَ ثأْرًا بأولئك[1] النفرِ، فخرَج نَوْفَلُ بنُ مُعاويةَ الدُّئِلىُّ فى قومِه، وهو يومَئذٍ سيدُهم وقائدُهم، وليس كلُّ بنى بكرٍ تابَعَه، فبيَّتَ خُزاعةَ وهم على الوَتِيرِ - ماءٍ لهم - فأصابوا رجلًا منهم، وتَحاوَزوا[2] واقْتتَلوا، ورفَدتْ قريشٌ بنى بكرٍ بالسلاحِ، وقاتَل معهم مِن قريشٍ مَن قاتَل بالليلِ مستخفيًا، حتى حازُوا[3] خُزاعةَ إلى الحرمِ، فلمَّا انتهَوْا إليه، قالت بنو بكرٍ: [4]يا نَوْفَلُ[4]، إنَّا قد دخَلْنا الحرمَ! إلهَك إلهَك. فقال كلمةً عظيمةً: لا إلهَ اليومَ، يا بَنى بكرٍ أصِيبوا ثأْرَكم، فلَعَمْرِى [٣/١٢٧و] إنَّكم لَتَسْرِقون فى الحرمِ، أفلا تُصِيبون ثأْرَكم فيه؟! ولجأَتْ خُزاعةُ إلى دارِ بُدَيْلِ بنِ وَرْقاءَ بمكةَ، وإلى دارِ مَولًى لهم يقالُ له: رافعٌ.

وقد قال الأخْزَرُ بنُ لُعْطٍ الدُّئِلىُّ فى ذلك[5]:

ألَا هل أتَى قُصْوَى الأحَابيشِ أنَّنا ... رَدَدْنا بنى كعبٍ بأفوقَ ناصِلِ[6]

---

(١) سقط من: ١٤، وفى الأصل، م، ص: «من أولئك». والمثبت من السيرة.

(٢) فى النسخ: «تجاوزوا». والمثبت من السيرة. وتحاوز الفريقان فى الحرب: انحاز كل فريق منهم عن الآخر، أى تركوا مركزهم ومعركة قتالهم ومالوا إلى موضع آخر. اللسان (ح و ز).

(٣) فى الأصل: «تجاوزوا»، وفى ١٤، م: «جاوزوا»، وفى ص: «جازوا». والمثبت من السيرة. وحازوهم: ساقوهم. اللسان (ح و ز).

(٤ - ٤) سقط من النسخ. والمثبت من السيرة.

(٥) سيرة ابن هشام ٢/ ٣٩٢، ٣٩٣.

(٦) قصوى: أبعد. والأحابيش: من حالف قريشا ودخل فى عهدها من القبائل. والأفوق: السهم الذى انكسر فُوقه، وهو طرفه الذى يلى الوتر. والناصل: الذى زال نصله، وتقول: رددته بأفوق ناصل: إذا رددته خائبا. شرح غريب السيرة ٣/ ٧٢، ٧٣.

حبَسْناهمْ فى دَارةِ العبدِ رافِعٍ وعندَ بُدَيْلٍ مَحْبِسًا غيرَ طائِلِ

بدارِ الذَّليلِ الآخذِ الضَّيْمَ بعدَما شفَيْنا النُّفوسَ مِنهمْ بالمَناصِلِ

حبَسْناهمْ حتى إذا طالَ يومُهم نفَحْنا لهم مِن كلِّ شِعْبٍ بوابلِ

نُذَبِّحهمْ ذَبْحَ التُّيُوسِ كأنَّنا أُسُودٌ تَبارَى فيهمْ بالقَواصِلِ[1]

همْ ظلَمونا واعتدَوْا فى مَسيرِهم وكانوا لَدَى الأنْصابِ أوَّلَ قاتلِ

كأنَّهمْ بالجِزْعِ[2] إذ يَطرُدُونهم قَفَا ثَوْرَ[3] حَفَّانُ النَّعامِ الجَوافلِ[4]

قال : فأجابه بُدَيْلُ بنُ عبدِ مَناةَ بنِ سَلَمةَ بنِ عمرِو بنِ الأَجَبِّ ، وكان يقالُ له : بُديلُ بنُ أمِّ أصْرَمَ ، فقال :

تَعاقَد قومٌ يَفْخَرُون ولم نَدَعْ لهم سيِّدًا يَنْدُوهمْ غيرَ نافلِ[5]

أمِنْ خِيفَةِ القومِ الأُلَى[6] تَزدَريهِمُ تُجيزُ الوَتِيرَ خائِفًا[7] غيرَ آيلِ[8]

وفى كلِّ يومٍ نحن نحْبُو حِباءَنا لِعَقْلٍ ولا يُحْبَى لنا فى المَعاقلِ[9]

---

(١) القواصل : الأنياب . شرح غريب السيرة ٣/٧٣ .

(٢) الجزع : ما انعطف من الوادى . المصدر السابق .

(٣) فى ص : « وماثور » ، وفى السيرة : « بفاثور » . قال أبو ذر : من رواه : قفا ثور : فثور اسم جبل بمكة . ومنعه الشاعر من الصرف لأنه قصد به البقعة . وقفاه : هو وراؤه . وفاثور : ظاهره أنه اسم موضع . انظر المصدر السابق .

(٤) حفان النعام : صغارها . والجوافل : الذاهبة المسرعة . المصدر السابق ٣/ ٧٣.

(٥) يندوهم : يجمعهم فى النَّدِىّ وهو المجلس . ونافل : رجل . المصدر السابق ٣/ ٧٣، ٧٤.

(٦) الألى : بمعنى الذين .

(٧) فى الأصل ، ص : « آمنا » .

(٨) آيل : راجع .

(٩) نحبو : نعطى . والعقل : الدية . المصدر السابق .

ونحن صبَحْنا بالتَّلاعةِ[1] دارَكم بأسيافِنا يَسْبِقْنَ لَوْمَ العَواذلِ
ونحن منَعْنا بينَ بَيْضٍ وعَتْوَدٍ إلى خَيْفِ رَضْوَى مِن مَجَرِّ القَنابلِ[2]
ويومَ الغَميمِ قد تكَفَّتَ ساعيًا عُبَيْسٌ فَجَعْناه بجَلْدٍ حُلاحِلِ[3]
أأنْ أجْمَرَتْ فى بيتِها أمُّ بعضِكم بجُعْمُوسِها تَنْزُون إن لم نُقاتِلِ[4]
كذَبْتُم وبيتِ اللَّهِ ما إنْ قتَلْتُمُ ولكنْ ترَكْنا أمرَكم فى بَلابِلِ[5]

قال ابنُ إسحاقَ[6] : فحدَّثنى عبدُ اللَّهِ بنُ أبى سَلَمةَ أن رسولَ اللَّهِ ﷺ قال : « كأنكم بأبى سفيانَ قد جاءَكم يَشُدُّ فى العَقدِ ويَزيدُ فى المدةِ » .

قال ابنُ إسحاقَ[7] : ثم خرَج بُدَيْلُ بنُ وَرْقاءَ فى نفرٍ مِن خُزاعةَ ، حتى [٣/١٢٧ظ] قدِموا على رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فأخبَروه بما أُصِيب منهم ، ومُظاهرةِ قريشٍ بنى بكرٍ عليهم ، ثم انصرَفوا راجِعِين ، حتى لَقُوا أبا سفيانَ بعُسْفَانَ ، قد بعَثَتْه قريشٌ إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ يَشُدُّ العقدَ ويَزيدُ فى المدةِ ، وقد رَهِبوا للذى صنَعوا ، فلمَّا لَقِى أبو سفيانَ بُدَيْلًا قال : مِن أين أقبلتَ يا بُدَيْلُ ؟ وظَنَّ أنه قد

---

(١) فى الأصل ، ص : « بالبلاغة » . والتلاعة : اسم ماء لبنى كنانة بالحجاز . معجم البلدان ١/ ٨٩٤.
(٢) فى الأصل ، م : « القبائل » . والقنابل : جمع قنبلة ، وهى القطعة من الخيل . وبيض وعتود : موضعان . وخيف رضوى : ما انحدر من جبل رضوى . شرح غريب السيرة ٣/ ٧٤.
(٣) تكفت : حاد عن طريقه . وعبيس : اسم رجل . وحلاحل : سيد . المصدر السابق .
(٤) الجعموس : العَذِرة ، وما يطرحه الإنسان من ذى بطنه . وتنزون : تثبون وترتفعون . اللسان (جعمس) ، وشرح غريب السيرة ٣/ ٧٤.
(٥) البلابل : الاختلاط ووساوس الهموم . المصدر السابق .
(٦) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٥/ ٧، من طريق ابن إسحاق به .
(٧) المصدر السابق ٥/ ٧، ٨. وانظر سيرة ابن هشام ٢/٣٩٥ - ٣٩٧، وتاريخ الطبرى ٣/٤٥ - ٤٧. حوادث السنة الثامنة .

أتى رسولَ اللَّهِ ﷺ، فقال: سرتُ فى خُزاعةَ فى هذا الساحلِ وفى بطنِ هذا الوادِى. قال: فعمَد أبو سفيانَ إلى مَبْرَكِ راحلتِه فأخَذ مِن بَعْرِها ففَتَّه، فرأَى فيه النَّوَى، فقال: أحْلِفُ باللَّهِ لقد جاء بُدَيْلٌ محمدًا. ثم خرَج أبو سفيانَ حتى قدِم على رسولِ اللَّهِ ﷺ المدينةَ، فدخَل على ابنتِه أمِّ حَبيبةَ، فلمَّا ذهَب ليَجْلِسَ على فراشِ رسولِ اللَّهِ ﷺ طوَتْه، فقال: يا بُنيةُ، ما أَدْرِى أرغِبْتِ بى عن هذا الفراشِ أو رَغِبْتِ به عنِّى؟ فقالت: هو فِراشُ رسولِ اللَّهِ ﷺ، وأنت مُشركٌ نَجِسٌ، فلم أُحِبَّ أن تَجْلِسَ على فِراشِه. فقال: يا بُنيةُ، واللَّهِ لقد أصابَك بعدِى شرٌّ. (١ثم خرَج فأتَى رسولَ اللَّهِ ﷺ فكلَّمه، فلم يَرُدَّ عليه شيئًا١)، ثم ذهَب إلى أبى بكرٍ فكلَّمه أن يُكَلِّمَ له رسولَ اللَّهِ ﷺ، فقال: ما أنا بفاعلٍ. ثم أتَى عمرَ بنَ الخطابِ فكلَّمه، فقال عمرُ: أنا أَشْفَعُ لكم إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ؟! فواللَّهِ لو لم أجِدْ لكم إلَّا الذَّرَّ[2] لجاهَدْتُكم به. ثم خرَج فدخَل على علىِّ بنِ أبى طالبٍ، وعندَه فاطمةُ بنتُ رسولِ اللَّهِ ﷺ، وعندَها حَسَنٌ، غلامٌ يَدِبُّ بينَ يَدَيْهِما، فقال: يا علىُّ، إنك أَمَسُّ القومِ بى رَحِمًا، وأقرَبُهم منى قَرابةً، وقد جئْتُ فى حاجةٍ، فلا أرْجِعَنَّ كما جئْتُ خائبًا، فاشفَعْ لى إلى (٣رسولِ اللَّهِ ﷺ٣). فقال: وَيْحَك أبا سفيانَ! واللَّهِ لقد عزَم رسولُ اللَّهِ ﷺ على أمرٍ ما نَسْتَطيعُ أن نُكَلِّمَه فيه. فالْتفَتَ إلى فاطمةَ فقال: يا بنتَ محمدٍ، هل لكِ أن تَأْمُرِى بُنَيَّكِ هذا فيُجيرَ بينَ الناسِ، فيكونَ سيِّدَ العربِ إلى آخرِ الدَّهرِ؟ فقالت: واللَّهِ ما بلَغ بنىَّ [٣/١٢٨و] ذلك أن يُجيرَ بينَ

(١ - ١) سقط من النسخ، والمثبت من مصادر التخريج.

(٢) الذر: النمل الأحمر الصغير، واحدتها ذرَّة. النهاية ٢/ ١٥٧.

(٣ - ٣) كذا بالنسخ ومصادر التخريج.

الناسِ ، وما يُجيرُ أحدٌ على النبىِّ ﷺ . فقال : يا أبا الحسنِ ، إنِّى أرَى الأمورَ قد اشْتدَّت علىَّ ، فانصَحْنى ؟ قال : واللَّهِ ما أعلَمُ شيئًا يُغْنى عنك ، ولكنَّك سيِّدُ بنى كِنانةَ ، فقُمْ فأَجِرْ بينَ الناسِ ، ثم الْحَقْ بأرضِك . فقال : أوَ ترَى ذلك مُغْنِيًا عنِّى شيئًا ؟ قال : لا واللَّهِ ما أظنُّ ، ولكن لا أجِدُ لك غيرَ ذلك . فقامَ أبو سفيانَ فى المسجدِ ، فقال : أيُّها الناسُ ، إنِّى قد أجَرْتُ بينَ الناسِ . ثم رَكِب بعيرَه فانطَلَق ، فلمَّا قدِم على قريشٍ قالوا : ما وراءَك ؟ قال : جئتُ محمدًا فكلَّمتُه ، فواللَّهِ ما ردَّ علىَّ شيئًا ، ثم جئتُ ابنَ أبى قُحافةَ ، فواللَّهِ ما وجَدْتُ فيه خيرًا ، ثم جئتُ عمرَ فوجَدْتُه أعْدَى العدُوِّ ، ثم جئتُ عليًّا فوجَدتُه ألينَ القومِ ، وقد أشارَ علىَّ بأمرٍ صنَعْتُه ، فواللَّهِ ما أدْرِى هل يُغْنِى عنَّا شيئًا أم لا ؟ قالوا : بماذا أمَرك ؟ قال : أمَرنى أن أُجِيرَ بينَ الناسِ ففعَلْتُ . قالوا : هل أجازَ ذلك محمدٌ ؟ قال : لا . قالوا : وَيْحَك ! ما زادَك الرجلُ على أن لَعِب بك ، فما يُغْنِى عنَّا ما قلتَ . فقال : لا واللَّهِ ما وجَدْتُ غيرَ ذلك .

(1) **فائدةٌ ذكَرها السُّهيلىُّ**(2) ، تكلَّم على قولِ فاطمةَ فى هذا الحديثِ : وما يُجِيرُ أحدٌ على رسولِ اللَّهِ ﷺ . على ما جاء فى الحديثِ : « ويُجِيرُ على المسلمين أدْناهم »(3) . قال : وَجْهُ الجمعِ بينَهما ، بأن المرادَ بالحديثِ مَن يُجِيرُ واحدًا أو نفرًا يسيرًا ، وقولُ فاطمةَ فيمن(4) يُجِيرُ عدوًّا(5) مِن غَزْوِ الإمامِ(1)

(1 - 1) سقط من : الأصل ، 41.

(2) الروض الأنف 7/ 85، 86.

(3) رواه أبو داود (2751، 4531) ، وابن ماجه (2685) ، والإمام أحمد فى المسند 2/ 365، 4/ 197، 5/ 250، 6/ 190، 315. صحيح (صحيح سنن أبى داود 2390) .

(4) فى م : « فمن » .

(5) فى م : « عددا » .

(1) إيَّاهم، فليس له ذلك. قال: كان سُحْنُونُ وابنُ الماجِشُونَ يقولان: إن أمانَ المرأةِ مَوقوفٌ على إجازةِ الإمامِ؛ لقولِه ﷺ لأمِّ هانئٍ: «قد أجَرْنا مَن أجَرْتِ يا أمَّ هانئٍ». قال: ويُرْوَى هذا عن عمرِو بنِ العاصِ، وخالدِ بنِ الوليدِ، وقال أبو حنيفةَ: لا يجوزُ أمانُ العبدِ. وفى قولِه عليه الصلاةُ والسلامُ: «ويُجيرُ عليهم أدْنَاهم». ما يَقْتَضى دخولَ العبدِ والمرأةِ. واللَّهُ أعلمُ (1).

وقد رَوَى البيهقىُّ (2) مِن طريقِ حمَّادِ بنِ سَلَمةَ، عن محمدِ بنِ عمرٍو، عن أبى سَلَمةَ، عن أبى هريرةَ قال: قالت بنو كعبٍ:

لاهُمَّ إنِّى ناشدٌ محمدا حِلْفَ أبِينا وأبيه الأتْلَدا
فانصُرْ هَدَاك اللَّهُ نصرًا أعْتَدا وادعُ عبادَ اللَّهِ يأْتُوا مَدَدَا

وقال موسى بنُ عقبةَ فى فتحِ مكَّةَ (3): ثم إن بَنى نُفاثَةَ مِن بَنى الدُّئِلِ أغاروا على بنى كعبٍ، وهم فى المُدَّةِ التى بينَ رسولِ اللَّهِ ﷺ وبينَ قريشٍ، وكانت بنو كعبٍ فى صُلحِ رسولِ اللَّهِ ﷺ، وكانت بنو نُفاثَةَ فى صُلحِ قريشٍ، فأعَانت بنو بكرٍ بنى نُفاثَةَ، وأعانَتْهم قريشٌ بالسِّلاحِ والرَّقيقِ، واعتزَلَتْهم بنو مُدْلِجٍ، ووفَوا بالعهدِ الذى كانوا عاهَدوا عليه رسولَ اللَّهِ ﷺ، وفى بنى الدُّئِلِ رجلان هما سيِّداهم؛ سَلْمُ (4) بنُ الأسودِ، وكُلثومُ بنُ الأسودِ، ويذكُرون أن مِمَّن أعانَهم صفوانَ بنَ أميةَ، وشيبةَ بنَ عثمانَ، وسهيلَ بنَ عمرٍو، فأغارَت بَنو الدُّئِلِ على بنى عمرٍو، وعامَّتُهم - زعَموا - [3/128ظ] نساءٌ وصِبيانٌ وضعفاءُ

(1 - 1) سقط من: الأصل، 41.
(2) دلائل النبوة 5/13.
(3) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة 4/9 - 12، عن موسى بن عقبة.
(4) فى م: «سلمى».

الرجالِ ، فألْجَئُوهم وقتَلوهم حتى أدخَلوهم إلى دارِ بُدَيلِ بنِ وَرْقاءَ بمكَّةَ ، فخرَج رَكْبٌ مِن بنى كعبٍ حتى أتَوْا رسولَ اللَّهِ ﷺ ، فذكَروا له الذى أصابَهم ، وما كان مِن[1] قريشٍ عليهم فى ذلك ، فقال لهم رسولُ اللَّهِ ﷺ : « ارجِعوا فتفرَّقوا فى البُلدانِ » . وخرَج أبو سفيانَ مِن مكَّةَ إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ ، وتخوَّف الذى كان ، فقال : يا محمدُ ، اشدُدِ العَقدَ ، وزِدْنا فى المدةِ . فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « ولذلك قدِمْتَ ؟ هل كان مِن حَدَثٍ قِبَلَكم ؟ » فقال : معاذَ اللَّهِ ، نحن على عهدِنا وصُلحِنا يومَ الحديبيةِ ، لا نُغَيِّرُ ولا نُبَدِّلُ . فخرَج مِن عندِ رسولِ اللَّهِ ﷺ فأتَى أبا بكرٍ فقال : جدِّدِ العقدَ ، وزِدْنا فى المدةِ . فقال أبو بكرٍ : جِوارِى فى جِوارِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، واللَّهِ لو وجَدْتُ الذَّرَّ تُقاتِلُكم لأعَنْتُها عليكم . ثم خرَج فأتَى عمرَ بنَ الخطابِ فكلَّمه ، فقال عمرُ بنُ الخطابِ : ما كان مِن حِلْفِنا جَديدًا فأخلَقه اللَّهُ ، وما كان منه مَتينًا[2] فقطعَه اللَّهُ ، وما كان منه مَقْطوعًا فلا وصَله اللَّهُ . فقال له أبو سفيانَ : جُزيتَ مِن ذِى رَحِمٍ شرًّا . ثم دخَل على عثمانَ فكلَّمه ، فقال عثمانُ : جِوارِى فى جِوارِ رسولِ اللَّهِ ﷺ . ثم اتَّبَع أشْرافَ قريشٍ[3] يُكَلِّمُهم ، فكلُّهم يقولُ : عقدُنا فى عقدِ رسولِ اللَّهِ ﷺ . فلمَّا يَئِس ممَّا عندَهم ، دخَل على فاطمةَ بنتِ رسولِ اللَّهِ ﷺ فكلَّمها ، فقالت : إنما أنا امرأةٌ ، وإنَّما ذلك إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ . فقال لها : فأْمُرى أحدَ ابنَيْكِ . فقالت : إنَّهما صَبيَّان ، وليس مثلُهما يُجيرُ . قال : فكلِّمى عليًّا .

---

(١) بعده فى م : « أمر » .
(٢) فى النسخ والدلائل : « مثبتا » . والمثبت من إحدى نسخ الدلائل كما فى هامش الدلائل ٥/ ١٠. وانظر سبل الهدى والرشاد ٥/ ٣١٤.
(٣) بعده فى الدلائل : « والأنصار » .

فقالت : أنت فكلِّمه . فكلَّم عليًّا ، فقال له : يا أبا سفيانَ ، إنَّه ليس أحدٌ مِن أصحابِ رسولِ اللَّهِ ﷺ يَفْتاتُ على رسولِ اللَّهِ ﷺ بجِوارٍ ، وأنت سيِّدُ قريشٍ وأكبرُها وأمنعُها ، فأَجِرْ بينَ عَشيرتِك . قال : صدقتَ ، وأنا كذلك . فخرَج فصاحَ : ألا إنِّى قد أجَرْتُ بينَ الناسِ ، ولا واللَّهِ ما أظنُّ أن يُخْفِرَنى أحدٌ . ثم دخَل على النبيِّ ﷺ فقال : يا محمدُ ، إنِّى قد أجَرْتُ بينَ الناسِ ، ولا واللَّهِ ما أظنُّ أن يُخفِرَنى أحدٌ ولا يَرُدَّ جِوارِى . فقال : « أنت تقولُ ذلك يا أبا حَنْظلةَ ؟! » فخَرَج أبو سفيانَ على ذلك ، فزعَموا - واللَّهُ أعلمُ - أن رسولَ اللَّهِ [٣/١٢٩و] ﷺ قال حينَ أدبَر أبو سفيانَ : « اللهمَّ خُذْ على أسماعِهم وأبْصارِهم ، فلا يَرَوْنا إلَّا بَغْتةً ، ولا يَسْمَعُوا بِنا إلَّا فَجْأَةً » . وقدِم أبو سفيانَ مكةَ ، فقالتْ له قريشٌ : ما وراءَك ؟ هل جئتَ بكتابٍ مِن محمدٍ أو عهدٍ ؟ قال : لا واللَّهِ ، لقد أبَى علَيَّ ، وقد تتبَّعْتُ أصحابَه ، فما رأيتُ قومًا لملِكٍ عليهم أطوعَ مِنهم له ، غيرَ أنَّ عليَّ بنَ أبى طالبٍ قد قال لى : (١) لِمَ تَلْتَمِسُ جِوارَ الناسِ على محمدٍ (١) ، ولا تُجيرُ أنت عليه وعلى قومِك ، وأنت سيِّدُ قريشٍ وأكبرُها وأحقُّها أن لا يُخْفَرَ جِوارُه ؟ فقُمْتُ بالجِوارِ ، ثم دخَلتُ على محمدٍ ، فذكَرتُ له أنِّى قد أجَرْتُ بينَ الناسِ ، وقلتُ : ما أظُنُّ أن تُخْفِرَنى . فقال : « أنت تقولُ ذلك يا أبا حنظلةَ ؟! » فقالوا مُجيبِين له : رَضِيتَ بغيرِ رِضًا ، وجِئْتَنا بما لا يُغنِى عنَّا ولا عنك شيئًا ، وإنما لَعِب بك عَلِىٌّ ، لَعَمْرُ اللَّهِ ما جِوارُك بجائزٍ ، وإنَّ إخْفارَك عليهم لهَيِّنٌ . ثم دخَل على امرأتِه فحدَّثها الحديثَ فقالت : قبَّحَك اللَّهُ مِن وافدِ قومٍ ، فما جِئتَ بخيرٍ . قال : ورأَى رسولُ اللَّهِ

(١ - ١) فى النسخ : « التمس جوار الناس عليك » . والمثبت من الدلائل .

ﷺ سَحابًا فقال: «إنَّ هذه السَّحابَ لَتَبِضُّ بنصرِ بنى كعبٍ». فمكَث رسولُ اللَّهِ ﷺ ما شَاء اللَّهُ أن يمكُثَ بعدَما خَرَج أبو سفيانَ، ثم أخَذ فى الجَهازِ، وأمَر عائشةَ أن تُجَهِّزَه وتُخْفِىَ ذلك، ثم خرَج رسولُ اللَّهِ ﷺ إلى المسجدِ أو إلى بعضِ حاجاتِه، فدخَل أبو بكرٍ على عائشةَ، فوجَد عندَها حِنْطةً تُنْسَفُ[1] وتُنَقَّى، فقال لها: يا بُنَيَّةُ، لماذا تَصْنَعِين هذا الطعامَ؟ فسكَتَت، فقال: أيُريدُ رسولُ اللَّهِ ﷺ أن يَغْزوَ؟ فصمَتَت، فقال: يريدُ بنى الأصفرِ؟- وهم الرُّومُ - فصمَتت، قال: فلعلَّه يريدُ أهلَ نجدٍ؟ فصمَتت، قال: فلعلَّه يريدُ قريشًا؟ فصمَتت. قال: فدخَل رسولُ اللَّهِ ﷺ، فقال له: يا رسولَ اللَّهِ، أتريدُ أن تَخرُجَ مخرجًا؟ قال: «نعم». قال: فلعلَّك تريدُ بنى الأصفرِ؟ قال: «لا». قال: أتريدُ أهلَ نجدٍ؟ قال: «لا». قال: فلعلَّك تريدُ قريشًا؟ قال: «نعم». قال أبو بكرٍ: يا رسولَ اللَّهِ، أليس بينَك وبينَهم مدَّةٌ؟ قال: «ألم يَبْلُغْك ما صنَعوا ببَنى كعبٍ؟» قال: وأذَّن رسولُ اللَّهِ ﷺ فى الناسِ بالغزوِ، وكتَب حاطبُ بنُ أبى بَلْتَعَةَ إلى قريشٍ، وأطْلَع اللَّهُ رسولَه ﷺ على الكتابِ. وذكَر القصةَ كما سيأتى.

وقال محمدُ بنُ إسحاقَ[2]: حدَّثنى محمدُ بنُ جعفرٍ، عن عُرْوةَ، عن عائشةَ أن أبا بكرٍ دخَل [٣/ ١٢٩ظ] على عائشةَ وهى تُغَرْبِلُ حِنْطةً، فقال: ما هذا؟ أمَركم رسولُ اللَّهِ ﷺ بالجَهازِ؟ قالت: نعم فتَجَهَّزْ. قال: وإلى أين؟ قالتْ: ما سَمَّى لنا شيئًا، غيرَ أنَّه قد أمَرَنا بالجَهازِ.

---

(١) نسَف الشىء: غربله.

(٢) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٥/ ١٢، من طريق ابن إسحاق به.

قال ابنُ إسحاقَ[1] : ثم إن رسولَ اللَّهِ ﷺ أعلَم الناسَ أنَّه سائرٌ إلى مكَّةَ ، وأمَر بالجِدِّ والتَّهَيُّؤ ، وقال : « اللهم خُذِ العُيونَ والأخْبارَ عن قريشٍ ، حتى نَبْغَتَها في بلادِها » . فتَجهَّز الناسُ، فقال حسانُ يُحَرِّضُ الناسَ ، ويذكُرُ مُصابَ خُزاعةَ[2] :

عَنانِى ولم أشهَدْ بِبَطْحاءِ مكَّةٍ ... رجالُ بنى كعبٍ تُحَزُّ رِقابُها
بأيدِى رجالٍ لم يَسُلُّوا سُيوفَهم ... وقَتْلى كَثيرٌ لم تُجَنَّ ثِيابُها[3]
ألَا ليتَ شِعْرِى هل تَنالَنَّ نُصْرَتى ... سُهَيلَ بنَ عمرٍو حَرُّها[4] وعِقابُها
وصَفْوانُ عَوْدٌ حُزَّ مِن شُفْرِ اسْتِهِ ... فهذا أوَانُ الحربِ شُدَّ عِصابُها[5]
فلا تَأْمَنَنَّا يا بنَ أمِّ مُجَالِدٍ ... إذا احتُلِبَتْ صِرْفًا وأعْصَلَ نَابُها[6]
ولا تَجْزَعُوا منها فإنَّ سيوفَنا ... لها وَقْعَةٌ بالموتِ يُفْتَحُ بَابُها

(١) سيرة ابن هشام ٢/ ٣٩٧، ٣٩٨.
(٢) ديوان حسان ص ٣٣٠، ٣٣١.
(٣) أى لم تُستَر ، يريد أنهم قُتلوا ولم يدفنوا . شرح غريب السيرة ٣/ ٧٦.
(٤) كذا بالنسخ . وفى السيرة والديوان : « وخزها » .
(٥) العود : المُسن من الإبل . والشفر : الناحية . وعصابها : ما تُعصَب به ، أى تشد . شرح غريب السيرة ٣/ ٧٦.
(٦) أم مجالد : أم عكرمة ابن أبى جهل . والصرف : اللبن الخالص . وأعصل : أعوج . ديوان حسان ص ٣٣١، وشرح غريب السيرة ٣/ ٧٦.

قصةُ حاطبِ بنِ أبى بَلْتَعَةَ

قال محمدُ بنُ إسحاقَ[1] : حدَّثنى محمدُ بنُ جعفرٍ ، (2)عن عروةَ(2) بنِ الزُّبيرِ وغيرِه مِن علمائِنا قالوا : لمَّا أجمَع رسولُ اللَّهِ ﷺ المَسيرَ إلى مكَّةَ ، كتَب حاطبُ بنُ أبى بَلْتَعَةَ كِتابًا إلى قريشٍ ، يُخْبِرُهم بالَّذى أجمَع عليه رسولُ اللَّهِ ﷺ مِن الأمرِ فى السَّيرِ إليهم ، ثُم أعطَاه امرأةً - زعَم محمدُ بنُ جعفرٍ أنَّها مِن مُزَيْنَةَ ، وزعَم لى غيرُه أنَّها سارَةُ ، مَوْلاةٌ لبَعضِ بَنى عبدِ المُطَّلبِ - وجعَل لها جُعْلًا على أن تُبَلِّغَه قريشًا ، فجعَلَتْه فى رأْسِها ، ثُم فتَلتْ عليه قُرونَها ثم خرَجتْ به ، وأتَى رسولَ اللَّهِ ﷺ الخبرُ مِن السماءِ بما صنَع حاطبٌ ، فبعَث عليَّ بنَ أبى طالبٍ ، والزُّبيرَ بنَ العوَّامِ فقال : «أدْرِكا امرأةً قد كتَب معها حاطبُ بنُ أبى بَلْتَعَةَ بكِتابٍ إلى قريشٍ ، يُحَذِّرُهم ما قد أجمَعْنا له مِن أمرِهم» . فخرَجا حتى أدْرَكاها (3)بالخَلِيقَةِ خَلِيقَةِ(3) بَنى أبى أحمدَ ، فاسْتَنْزَلاها ، فالتَمَساه فى رَحْلِها فلم يَجِدَا فيه شيئًا ، فقال لها عليٌّ : إنِّى أحلِفُ باللَّه ما كُذِب رسولُ اللَّهِ ﷺ ولا كُذِبْنا ، ولَتُخْرِجِنَّ لنا هذا الكتابَ أو لَنَكْشِفَنَّكِ . فلمَّا رأتِ الجِدَّ مِنه قالت : أعرِضْ . فأعرَض ، فحلَّتْ قرونَ [٣/ ١٣٠و] رأْسِها ،

---

(١) سيرة ابن هشام ٢/ ٣٩٨، ٣٩٩.

(٢ - ٢) سقط من : ص .

(٣ - ٣) فى ٤١ : «بحديقة» ، وفى الأصل ، م ، ص : «بالحليفة حليفة» . والمثبت من السيرة وشرح غريب السيرة ٣/ ٧٦. قال ياقوت : خَليقة ... بالقاف : منزل على اثنى عشر ميلا من المدينة . معجم البلدان ٢/ ٤٦٧.

فاستَخرَجت الكتابَ منها فدَفَعتْه إليه ، فأتَى به رسولَ اللَّهِ ﷺ ، فدَعا رسولُ اللَّهِ ﷺ حاطبًا فقال : « يا حاطبُ ، ما حمَلك على هذا ؟ » فقال : يا رسولَ اللَّهِ ، أمَا واللَّهِ إنِّى لَمؤمنٌ باللَّهِ وبرسولِه ، ما غيَّرْتُ ولا بدَّلْتُ ، ولكنَّنى كنتُ امْرَأً ليس لى فى القومِ مِن أصلٍ ولا عشيرةٍ ، وكان لى بينَ أظْهُرِهم ولدٌ وأهلٌ فصانَعْتُهم عليهم . فقال عمرُ بنُ الخطابِ : يا رسولَ اللَّهِ ، دَعْنِى فلأَضْرِبْ عُنُقَه ؛ فإنَّ الرَّجلَ قد نافَق . فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « وما يُدْرِيك يا عمرُ ، لعلَّ اللَّهَ قد اطَّلَع إلى أصحابِ بدرٍ يومَ بدرٍ فقال : اعمَلوا ما شِئْتُم فقد غفَرْتُ لكم » . وأنزَل اللَّهُ تعالى فى حاطبٍ[1] : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَٰدًا فِى سَبِيلِى وَٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِى تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ ﴾ إلى آخرِ القصةِ [الممتحنة : ١- ٩] . هكذا أورَد ابنُ إسحاقَ [٢]هذه القصةَ مُرسلةً ، وقد ذكَر السهيلىُّ[٣] أنه كان فى كتابِ حاطبٍ : إنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قد توجَّه إليكم بجيشٍ كالليلِ يَسيرُ كالسَّيلِ ، وأُقْسِمُ باللَّهِ لو سارَ إليكم وحدَه لنصَره اللَّهُ عليكم ، فإنَّه مُنْجِزٌ له ما وعَده . قال : وفى « تفسيرِ ابنِ سلَّامٍ »[٤] أنَّ حاطبًا كتَب : إن محمدًا قد نفَر ؛ فإمَّا إليكم وإمَّا إلى غيْرِكم ، فعليكم الحذَرَ[٢] .

---

(١) التفسير ٨/١٠٨ - ١١٧.

(٢ - ٢) سقط من : الأصل .

(٣) الروض الأنف ٧/ ٨٦.

(٤) ابن سلّام هو يحيى بن سلّام بن أبى ثعلبة ، قال أبو عمرو الدانى عن تفسيره : ليس لأحد من المتقدمين مثله . توفى فى صفر سنة مائتين . طبقات المفسرين ٢/ ٣٧١.

وقد قال البخاريُّ[1] : ثنا قتيبةُ ، ثنا سفيانُ ، عن عمرِو بنِ دينارٍ ، أخبَرَنى الحسنُ بنُ محمدٍ ، أنَّه سمِع عُبَيْدَ اللَّهِ بنَ أبى رافعٍ ، سمِعْتُ عليًّا يقولُ : بَعَثنى رسولُ اللَّهِ ﷺ أنا والزُّبيرَ والمِقْدادَ فقال : « انطلِقُوا حتى تأتُوا رَوْضَةَ خاخٍ[2] ، فإنَّ بها ظَعِينةً معها كِتابٌ فخُذُوه منها » . فانطَلَقْنا تَعادَى[3] بنا خَيْلُنا حتى أتيْنا الرَّوْضةَ ، فإذا نحن بالظَّعِينةِ ، فقلنا : أخْرِجى الكتابَ . فقالت : ما معى كتابٌ[4] . فقلنا : لَتُخْرِجِنَّ الكتابَ أو لَنُلْقِيَنَّ الثِّيابَ . قال : فأخرَجَتْه مِن عِقاصِها[5] ، فأتَيْنا به رسولَ اللَّهِ ﷺ ، فإذا فيه : مِن حاطبِ بنِ أبى بَلْتَعةَ . إلى ناسٍ بمكَّةَ مِن المُشْرِكين ، يُخْبِرُهم ببعضِ أمْرِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فقال : « يا حاطبُ ، ما هذا ؟ » فقال : يا رسولَ اللَّهِ ، لا تَعْجَلْ علىَّ ، إنِّى كنتُ امرأً مُلْصَقًا فى قريشٍ - يقولُ : كنتُ حَلِيفًا ولم أكُنْ مِن أنفُسِها - وكان مَن معك مِن المُهاجرين مَن لهم قراباتٌ يَحْمُون بها أهْلِيهم وأمْوالَهم ، فأحبَبْتُ إذْ فاتَنِى ذلك مِن النسبِ فيهم أن أتَّخِذَ عندَهم يدًا يَحْمُون قَرابَتى ، ولم أفعَلْه ارْتدادًا عن دينِى ، ولا رضًا بالكُفرِ بعدَ الإسلامِ . فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « أمَا إنَّه قد صدَقكم » . فقال عمرُ : يا رسولَ اللَّهِ ، دَعْنى أضْرِبْ عُنُقَ هذا المُنافقِ . فقال : « إنَّه قد شهِد بدرًا ، وما يُدْريك لعلَّ اللَّهَ قد اطَّلَع على مَن شهِد بدرًا فقال : اعمَلُوا ما شِئتُم فقد غفَرتُ لكم » . فأنزَل اللَّهُ السورةَ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ

---

(١) البخارى (٤٢٧٤) .

(٢) خاخ : موضع بين الحرمين ويقال له : روضة خاخ بقرب حمراء الأسد من المدينة . معجم البلدان ٢/ ٣٨٤.

(٣) تعادى : تتبارى فى العَدْو .

(٤) سقط من : الأصل ، م .

(٥) عقاصها : أى ضفائرها ، جمع عَقِيصة أو عِقْصة . النهاية ٢٧٦/٣ .

[٣/ ١٣٠ظ] ﴿أَوْلِيَآءَ﴾ إلى قوله : ﴿فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾ .

وأخرَجه بقيةُ الجماعةِ ، إلَّا ابنَ ماجَه مِن حديثِ سفيانَ بنِ عُيَينةَ[(١)] ، وقال الترمذيُّ : حسنٌ صحيحٌ .

وقال الإمامُ أحمدُ[(٢)] : ثنا حُجَينٌ ويونُسُ قالا : حدَّثنا ليثُ بنُ سعدٍ ، عن أبى الزُّبيرِ ، عن جابرِ بنِ عبدِ اللَّهِ ، أنَّ حاطبَ بنَ أبى بَلْتعةَ كتَب إلى أهلِ مكَّةَ يَذكُرُ أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ أرادَ غزوَهم ، فدُلَّ رسولُ اللَّهِ ﷺ على المرأةِ التى معها الكِتابُ ، فأرْسَل إليها ، فأخَذ كتابَها مِن رأْسِها ، وقال : « يا حاطبُ ، أفعَلْتَ ؟ » قال : نعم . قال : أمَا إنِّى لم أفعَلْه غِشًّا لرسولِ اللَّهِ ﷺ ولا نِفاقًا ، قد علِمْتُ أنَّ اللَّهَ مُظْهِرٌ رسولَه ، ومُتِمٌّ له أمْرَه ، غيرَ أنِّى كنتُ عَرِيرًا[(٣)] بينَ ظهْرَيهم ، وكانتْ والدَتى معهم ، فأرَدتُ أنْ أتَّخِذَ هذا[(٤)] عندَهم . فقال له عمرُ : ألَا أضرِبُ رأسَ هذا ؟ فقال : « أتقتُلُ رجلًا مِن أهلِ بدرٍ ، وما يُدْرِيك لعلَّ اللَّهَ قد اطَّلَع إلى[(٥)] أهلِ بدرٍ فقال : اعمَلوا ما شِئْتُم » . تفرَّد بهذا الحديثِ مِن هذا الوجْهِ الإمامُ أحمدُ ، وإسْنادُه على شَرْطِ مسلمٍ ، وللَّهِ الحمدُ .

---

(١) مسلم (٢٤٩٤) ، وأبو داود (٢٦٥٠) ، والترمذى (٣٣٠٥) ، والنسائى فى الكبرى (١١٥٨٥) .

(٢) المسند ٣/ ٣٥٠. قال الهيثمى فى المجمع ٩/ ٣٠٣: رواه أبو يعلى وأحمد ، ورجال أحمد رجال الصحيح .

(٣) سقط من : ١٤ ، وفى الأصل ، م : « غريبا » ، وفى ص : « حرسا » ، وفى المسند : « عزيزا » . والمثبت من الفتح الربانى ٢١/ ١٤٨. قال فى بلوغ الأمانى : فى الأصل « عزيزا » بزايين بدل الرائين ، وهو خطأ من الطابع أو الناسخ ؛ لأنه يناقض حديث بعث على والزبير . بلوغ الأمانى ٢١/ ١٤٨. قال ابن الأثير : عريرا : أى دخيلا غريبا ولم أكن من صميمهم . النهاية ٣/ ٢٠٤.

(٤) فى م : « يدًا » .

(٥) كذا فى النسخ ، وفى المسند : « على » .

فصلٌ

قال ابنُ إسحاقَ[1] : فحدَّثنى محمدُ بنُ مسلمِ بنِ شِهابٍ الزهْرِىُّ ، عن عُبَيْدِ اللَّهِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ عتبةَ ، عن ابنِ عباسٍ قال : ثُم مضَى رسولُ اللَّهِ ﷺ لسفرِه ، واستَخْلَف على المدينةِ أبا رُهْمٍ كُلْثومَ بنَ حُصَيْنِ بنِ عُتْبةَ بنِ خَلَفٍ الغِفارىَّ ، وخرَج لعشرٍ مَضَين مِن شهرِ رمضانَ ، فصامَ وصامَ الناسُ معه ، حتى إذا كان بالكَدِيدِ ، بينَ عُسْفَانَ وأَمَجَ أَفْطَر ، ثُم مضَى حتى نزَل مَرَّ الظَّهْرَانِ فى عشَرةِ آلافٍ مِن المسلمين - [2]وقال عُروةُ بنُ الزُّبيرِ[3] : كان معه اثْنا عشَرَ ألفًا . وكذا قال الزهْرِىُّ وموسى بنُ عُقْبةَ[4][2] - فسَبَّعَتْ سُلَيْمٌ ، وبعضُهم يقولُ : أَلَّفَتْ سُلَيمٌ[5] - وأَلَّفَتْ مُزَيْنَةُ ، وفى كلِّ القَبائلِ عَددٌ وإسلامٌ، وأَوْعَب[6] مع رسولِ اللَّهِ ﷺ المهاجرون والأنصارُ فلم يَتخلَّفْ عنه منهم أحدٌ . وروَى البخارىُّ ، عن محمودٍ ، عن عبدِ الرَّزَّاقِ ، عن مَعْمَرٍ ، عن الزهرىِّ نحوَه[7] .

وقد روَى البيهقىُّ[8] مِن حديثِ عاصمِ بنِ علىٍّ ، عن الليثِ بنِ سعدٍ ، عن عُقَيْلٍ ، عن الزهرىِّ ، أخبَرَنى عُبَيْدُ اللَّهِ بنُ عبدِ اللَّهِ ، عن ابنِ عباسٍ ، أنَّ

---

(١) سيرة ابن هشام ٢/ ٣٩٩، ٤٠٠.

(٢ - ٢) سقط من : الأصل .

(٣) ذكره البيهقى فى دلائل النبوة ٥/ ٣٦، عن عروة .

(٤) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٥/ ٣٩، عن الزهرى وموسى بن عقبة .

(٥) سبعت سليم ؛ أى كانت سبع مائة ، وألفت : أى كانت ألفًا . شرح غريب السيرة ٣/ ٧٦.

(٦) أوعب المهاجرون والأنصار : خرجوا بأجمعهم فى الغزو . انظر النهاية ٥/ ٢٠٦.

(٧) البخارى (٤٢٧٦) .

(٨) دلائل النبوة ٥/ ٢١.

رسولَ اللَّهِ ﷺ غزَا غزوةَ الفتحِ فى رمضانَ. قال[1]: وسمِعتُ سعيدَ بنَ المُسَيَّبِ يقولُ مثلَ ذلك، لا أَدْرِى أخرَجَ فى ليالٍ مِن شعبانَ فاسْتَقبَل رمضانَ، أو خرَجَ فى رمضانَ بعدَ ما دخَل؟ غيرَ أنَّ عُبَيْدَ اللَّهِ بنَ عبدِ اللَّهِ أخبَرنى أنَّ ابنَ عباسٍ قال: صامَ رسولُ اللَّهِ ﷺ حتى بلَغ الكَدِيدَ - الماءَ الذى بينَ قُدَيْدٍ وعُسْفانَ - أفطَر، فلم يَزَلْ [٣/ ١٣١و] يُفْطِرُ حتى انصَرَم الشهرُ. ورواه البخاريُّ[2]، عن عبدِ اللَّهِ بنِ يوسفَ، عن الليثِ، غيرَ أنَّه لم يذكُرِ التَّرديدَ بينَ شعبانَ ورمضانَ.

وقال البخاريُّ[3]: ثنا علىُّ بنُ عبدِ اللَّهِ، ثنا جَرِيرٌ، عن منصورٍ، عن مجاهدٍ، عن طاوُسٍ، عن ابنِ عباسٍ قال: سافَر رسولُ اللَّهِ ﷺ فى رمضانَ، فصامَ حتى بلَغ عُسْفَانَ، ثم دعَا بإناءٍ فشَرِب نهارًا ليَرَاه الناسُ، فأفطَر حتى قدِم مكةَ. قال: وكان ابنُ عباسٍ يقولُ: صامَ رسولُ اللَّهِ ﷺ فى السَّفرِ وأفطَر، فمَن شاء صامَ، ومَن شاء أفطَر.

وقال يونُسُ[4]، عن ابنِ إسحاقَ، عن الزهرىِّ، عن عُبَيدِ اللَّهِ بنِ عبدِ اللَّهِ، عن ابنِ عباسٍ قال: مضَى رسولُ اللَّهِ ﷺ لسَفْرةِ الفتحِ، واستَعمَل على المدينةِ أبا رُهْمٍ كُلْثومَ بنَ الحُصَينِ الغِفارىَّ، وخرَج لعَشْرٍ مضَيْن مِن رمضانَ، فصامَ وصامَ الناسُ معه، حتى أتَى الكَدِيدَ - ماءٌ بينَ عُسْفَانَ وأَمَجَ - فأفطَر، ودخَل مكةَ مُفْطِرًا، فكان الناسُ يَرَوْن أنَّ آخِرَ الأمْرَيْن مِن رسولِ اللَّهِ ﷺ الفِطْرُ، وأنَّه

---

(١) القائل هو الزهرى.

(٢) البخارى (٤٢٧٥).

(٣) البخارى (٤٢٧٩).

(٤) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٥/ ١٩، ٢٠، من طريق يونس به.

نَسَخ ما كان قبلَه .

قال البيهقيُّ[(1)] : فقولُه : خرَج لعَشْرٍ مِن رمضانَ . مُدْرَجٌ فى الحديثِ ، وكذلك ذكَره عبدُ اللَّهِ بنُ إدريسَ ، عن ابنِ إسحاقَ . ثُم روَى[(2)] مِن طريقِ يعقوبَ بنِ سفيانَ ، عن [(3)]حامدِ بنِ يَحيى[(3)] ، عن صَدَقةَ ، عن ابنِ إسحاقَ ، أنَّه قال : خرَج رسولُ اللَّهِ ﷺ لعَشْرٍ مَضَيْن مِن رمضانَ سنةَ ثَمانٍ .

ثُم روَى البيهقيُّ[(4)] مِن حديثِ أبى إسحاقَ الفَزارىِّ ، عن محمدِ بنِ أبى حَفْصةَ ، عن الزهرىِّ ، عن عُبَيدِ اللَّهِ بنِ عبدِ اللَّهِ ، عن ابنِ عباسٍ قال : كان الفتحُ لثلاثَ عشْرةَ خَلَتْ مِن شهرِ رمضانَ . قال البيهقىُّ : وهذا الإدْراجُ وَهْمٌ ، إنما هو مِن كلامِ الزهرىِّ .

ثُم روَى[(5)] مِن طريقِ ابنِ وهبٍ ، عن يونُسَ ، عن الزهرىِّ قال : غزا رسولُ اللَّهِ ﷺ غزوةَ الفتحِ - فتحِ مكةَ - فخرَج مِن المدينةِ فى رمضانَ ومعه مِن المسلمين عشَرةُ آلافٍ ، وذلك على رأسِ ثَمانِى سِنينَ ونصفِ سنةٍ مِن مَقْدَمِه المدينةَ ، وافْتتَح مكةَ لِثلاثَ عشْرةَ بقِينَ مِن رمضانَ .

وروَى البيهقيُّ[(6)] مِن طريقِ عبدِ الرزاقِ ، [(7)]عن مَعْمرٍ[(7)] ، عن الزهرىِّ ، عن

---

(١) دلائل النبوة ٥/ ٢٠.

(٢) أى البيهقى ، المصدر السابق ٥/ ٢٠، ٢١، وهو فى المعرفة والتاريخ ٣/ ٢٩٤.

(٣ - ٣) فى الأصل : « جابر يحيى » ، وفى ا ٤١، م : « جابر عن يحيى » ، وفى ص : « جابر بن يحيى » ، والمثبت من مصدرى التخريج . وانظر تهذيب الكمال ٥/ ٣٢٥.

(٤) دلائل النبوة ٥/ ٢٣.

(٥) المصدر السابق ٥/ ٢٣، ٢٤.

(٦) المصدر السابق ٥/ ٢١، ٢٢.

(٧ - ٧) سقط من : الأصل .

عُبَيدِ اللَّهِ بنِ عبدِ اللَّهِ، عن ابنِ عباسٍ أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ خرَج فى رمضانَ ومعه عشَرةُ آلافٍ مِن المسلمين، فصام حتى بلَغ الكَدِيدَ ثُم أفطَر. فقال الزهرىُّ: وإنَّما يُؤخذُ (1) بالأحْدَثِ فالأحْدَثِ (1). قال الزهرىُّ: فصبَّح رسولُ اللَّهِ ﷺ مكةَ لِثلاثَ عشْرةَ ليلةً خَلَتْ مِن رمضانَ. [3/ 131ظ] ثُم عزَاه إلى «الصَّحيحيْن» (2) مِن طريقِ عبدِ الرزاقِ. واللَّهُ أعلمُ.

ورَوَى البيهقىُّ (3) مِن طريقِ سعيدِ بنِ عبدِ العزيزِ التَّنُوخِىِّ، عن عطيةَ بنِ قيسٍ، (4) عن قَزَعَةَ بنِ يحيى (4)، عن أبى سعيدٍ الخدرىِّ قال: آذَنَنا رسولُ اللَّهِ ﷺ بالرَّحيلِ عامَ الفتحِ للَيلتيْن خَلَتا مِن رمضانَ، فخَرَجْنا صُوَّامًا حتى بلَغْنا الكَدِيدَ، فأمَرَنا رسولُ اللَّهِ ﷺ بالفِطرِ، فأصبَح الناسُ شَرْجَين (5)؛ مِنهم الصَّائمُ ومِنهم المُفْطِرُ، حتى إذا بلَغْنا المنزلَ الذى نَلْقَى العدوَّ فيه (6)، أمَرَنا بالفطرِ فأفطَرْنا (7) أجْمَعون.

وقد روَاه الإمامُ أحمدُ (8)، عن أبى المُغيرةِ، عن سعيدِ بنِ عبدِ العزيزِ، حدَّثنى عطيةُ بنُ قيسٍ، عمَّن حـدَّثه، عن أبى سعيدٍ الخدرِىِّ قال: آذَنَنا (7)

(1 - 1) فى الدلائل: «الآخِر فالآخر».
(2) البخارى (4276)، ومسلم (88/ 1113).
(3) دلائل النبوة 5/ 24.
(4 - 4) سقط من: النسخ. والمثبت من الدلائل. وانظر تهذيب الكمال 23/ 597.
(5) سقط من: ا 1، وفى م: «مرحى»، وفى ص: «مرضى». وشرجين: نصفين؛ نصف صيام ونصف مفاطير. النهاية 2/ 456.
(6) سقط من: الأصل، م.
(7 - 7) سقط من: الأصل.
(8) المسند 3/ 87. والحديث أصله فى صحيح مسلم (1120).

(١) رسولُ اللَّهِ ﷺ بالرَّحيلِ عامَ الفتحِ لِلَيلتيْن خَلَتا مِن رمضانَ ، فخرَجْنا صُوَّامًا حتى بلَغْنا الكَدِيدَ ، فأمَرَنا رسولُ اللَّهِ ﷺ بالفطرِ ، فأصبَح الناسُ مِنهم الصَّائمُ ومِنهم المُفطِرُ ، حتى إذا بلَغ أدْنَى مَنْزِلٍ تِلْقاءَ(٢) العدوِّ ، أَمَرَنا(٣) بالفِطْرِ ، فأفطَرْنا أجْمَعُون(١) .

قلتُ : فعلى ما ذكَره الزهريُّ مِن أنَّ الفتحَ كان يومَ الثالثَ عشَرَ مِن رمضانَ ، وما ذكَره أبو سعيدٍ مِن أنَّهم خرَجوا مِن المدينةِ فى ثانِى شهرِ رمضانَ ، يَقْتَضِى أنَّ مسيرَهم كان بينَ مكةَ والمدينةِ فى إحْدَى عشْرةَ ليلةً .

ولكن روَى البيهقيُّ(٤) ، عن أبى الحُسَيْنِ بنِ الفَضْلِ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ جعفرٍ ، عن يعقوبَ بنِ سفيانَ ، عن الحسنِ بنِ الربيعِ ، عن ابنِ إدْريسَ ، عن محمدِ بنِ إسحاقَ ، عن الزهريِّ ، ومحمدِ بنِ عليِّ بنِ الحسينِ ، وعاصمِ بنِ عمرَ بنِ قتادةَ ، وعمرِو بنِ شعيبٍ ، وعبدِ اللَّهِ بنِ أبى بكرٍ وغيرِهم قالوا : كان فتحُ مكةَ فى عَشْرٍ بقِيَتْ مِن شهرِ رمضانَ سنةَ ثمانٍ .

وقال أبو داودَ الطَّيالسيُّ(٥) : ثنا وُهَيْبٌ ، عن جعفرِ بنِ محمدٍ ، عن أبيه ، عن جابرِ بنِ(٦) عبدِ اللَّهِ قال : خرَج رسولُ اللَّهِ ﷺ عامَ الفتحِ صائمًا حتى أتَى كُراعَ الغَميمِ ، والناسُ معه مُشَاةً ورُكْبانًا ، وذلك فى شهرِ رمضانَ ، فقيل : يا رسولَ اللَّهِ ، إنَّ الناسَ قد اشتَدَّ عليهم الصومُ ، وإنَّما يَنْظُرُون إليك

(١ - ١) سقط من : الأصل .
(٢) فى ا ٤١ ، م ، ص : « يلقى » . والمثبت من المسند .
(٣) فى المسند : « وأمرنا » .
(٤) دلائل النبوة ٥/ ٢٤ .
(٥) مسند أبى داود (١٦٦٧) .
(٦) فى الأصل ، م : « عن » .

(1) كيف فعَلْتَ. فدعا رسولُ اللَّهِ ﷺ بقَدَحٍ فيه ماءٌ فرفَعه، فشرِب والناسُ يَنْظُرُون(1)، فصامَ بعضُ الناسِ وأفطَر البعضُ، حتى أُخْبِر النبيُّ ﷺ أنَّ بعضَهم صائمٌ، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «أولئك العُصَاةُ». وقد روَاه مسلمٌ مِن حديثِ الثَّقَفيِّ والدَّراوَرْديِّ، عن جعفرِ بنِ محمدٍ(2).

وروَى الإمامُ أحمدُ(3) مِن حديثِ محمدِ بنِ إسحاقَ، حدَّثنى بَشِيرُ بنُ يَسارٍ، عن ابنِ عباسٍ قال: خرَج رسولُ اللَّهِ ﷺ عامَ الفتحِ فى رمضانَ، فصامَ وصام المسلمون معه، حتى إذا كان بالكَدِيدِ دعَا بماءٍ فى قَعْبٍ وهو على رَاحِلتِه، فشرِب والناسُ يَنْظُرُون؛ يُعْلِمُهم أنَّه قد أفطَر، فأفطَر المسلمون. تفرَّد به أحمدُ.

(1 - 1) سقط من: ص.

(2) مسلم (1114).

(3) المسند 1/ 261. (إسناده صحيح).

فصلٌ

فى إسلامِ العبَّاسِ بنِ عبدِ المُطَّلِبِ [٣/١٣٢و] عمِّ النبيِّ ﷺ ، وأبى سفيانَ بنِ الحارثِ بنِ عبدِ المُطَّلِبِ ابنِ عمِّ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، وعبدِ اللَّهِ بنِ أبى أميةَ بنِ المغيرةِ المخْزُوميِّ أخى أمِّ سَلَمةَ أمِّ المؤمنين ، وهِجْرتِهم إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فوجَدوه فى أثْناءِ الطريقِ وهو ذاهبٌ إلى فتحِ مكةَ

قال ابنُ إسحاقَ[1] : وقد كان العبَّاسُ بنُ عبدِ المُطَّلِبِ لَقِيَ رسولَ اللَّهِ ﷺ ببعضِ الطريقِ . قال ابنُ هشامٍ : لَقِيه بالجُحْفَةِ مُهاجِرًا بعيالِه ، وقد كان قبلَ ذلك مُقِيمًا بمكةَ على سِقايتِه ، ورسولُ اللَّهِ ﷺ عنه راضٍ ، فيما ذكَره ابنُ شهابٍ الزهريُّ .

قال ابنُ إسحاقَ[2] : وقد كان أبو سفيانَ بنُ الحارثِ بنِ عبدِ المُطَّلِبِ وعبدُ اللَّهِ بنُ أبى أميةَ قد لقِيا رسولَ اللَّهِ ﷺ أيضًا (٣ بنِيقِ العُقَابِ ٣) فيما بينَ مكَّةَ والمدينةِ ، والتَمَسا الدُّخولَ عليه ، فكلَّمَتْه أمُّ سَلَمَةَ فيهما ، فقالتْ :

---

(١) سيرة ابن هشام ٢/ ٤٠٠، ٤٠١.

(٢) المصدر السابق.

(٣ - ٣) فى الأصل : « بفيق العقاب » ، وفى ص : « بنيق العقيق » ، وفى ٤١ : « بثق العقاب » ، وانظر معجم ما استعجم ٤/ ١٣٤١، ومعجم البلدان ٤/ ٨٦٠.

يا رسولَ اللَّهِ[1] ، ابنُ عمِّك ، وابنُ عَمَّتِك وصِهْرُك . قال : « لا حاجةَ لى بهما ؛ أمَّا ابنُ عمِّى فهَتَكَ عِرْضِى[2] ، وأمَّا ابنُ عمَّتى فهو الذى قال لى بمكةَ ما قال[3] » . قال : فلمَّا خَرَج إليهما الخبرُ بذلك ومع أبى سفيانَ بُنَيٌّ له ، فقال : واللَّهِ ليَأْذَنَنَّ لى أو لآخُذَنَّ بيَدِ بُنَيَّ هذا ، ثم لَنَذْهَبَنَّ فى الأرضِ حتى[4] نموتَ عطشًا وجوعًا . فلمَّا بلَغ ذلك النبيَّ ﷺ رقَّ لهما ، ثُم أَذِن لهما فدَخَلا عليه فأسلَما ، وأنشَد أبو سفيانَ قولَه فى إسلامِه ، واعتَذَر إليه ممَّا كان مضَى منه :

لَعَمرُك إنِّى يومَ أحمِلُ رايةً ... لِتَغْلِبَ خيلُ اللَّاتِ خيلَ محمدِ
لَكَالمُدْلِجِ[5] الحَيْرانِ أَظْلَم ليلُهُ ... فهذا أوَانِى حينَ أُهْدَى وأَهْتَدِى
هَدَانِىَ هادٍ غيرُ نفسى ونالنى ... مع اللَّهِ مَن طَرَّدْتُ كلَّ مُطَرَّدِ
أصُدُّ وأنْأَى جاهِدًا عن محمدٍ ... وأُدْعَى وإنْ لم أنْتَسِبْ مِن محمدِ
هُمُ ما هُمُ مَن لم يَقُلْ بِهَواهُمُ ... وإن كان ذَا رأْيٍ يُلَمْ ويُفَنَّدِ[6]
أُرِيدُ لأُرْضِيهِمْ ولَستُ بِلَائِطٍ[7] ... مع القومِ ما لم أُهْدَ فى كلِّ مَقْعَدِ

---

(١) بعده فى الأصل ، م : « إن » .
(٢) قوله صلى اللَّه عليه وسلم : « أما ابن عمى فهتك عرضى » لأنه كان ممن يؤذى رسول اللَّه ﷺ ويهجوه . انظر الاستيعاب ٧/ ١٧٩، ١٨٠، وأسد الغابة ٦/ ١٤٤، ١٤٥.
(٣) قال السهيلى : يعنى حين قال له : واللَّه لا آمنت بك حتى تتخذ سُلَّما إلى السماء فتعرج فيه وأنا أنظر ، ثم تأتى بصَكٍّ وأربعة من الملائكة يشهدون أن اللَّه قد أرسلك . الروض الأنف ٧/ ٨٩.
(٤) فى الأصل ، م : « ثم » .
(٥) المدلج : الذى يسير ليلا . شرح غريب السيرة ٣/ ٧٦.
(٦) يفند : يُكَذَّب . المصدر السابق ٣/ ٧٧.
(٧) لائط : ملصَق . المصدر السابق .

فقُلْ لثَقِيفٍ لا أُرِيدُ قِتالَها وقُلْ لِثَقِيفٍ تلك غَيْرِىَ أَوْعِدِى[(1)]

فما كنتُ فى الجيشِ الذى نالَ عامرًا وما كان عن جَرًا[(2)] لِسانى ولا يَدِى

[٣/ ١٣٢ظ] قَبائلُ جاءَت مِن بلادٍ بَعيدةٍ نَزائِعُ جَاءت مِن سِهامٍ وسَرْدُدِ[(3)]

قال ابنُ إسحاقَ[(4)] : فزعَموا أنَّه حينَ أنشَد رسولَ اللَّهِ ﷺ :

.... ونالَنِى مع اللَّهِ مَن طَرَّدْتُ كلَّ مُطَرَّدِ

ضرَب رسولُ اللَّهِ ﷺ بيَدِه فى صدْرِه وقال : «أنت طرَّدْتَنى كلَّ مُطَرَّدِ ! » .

فصلٌ

ولمَّا انتَهى رسولُ اللَّهِ ﷺ إلى مَرِّ الظَّهْرَانِ ، نزَل فيه فأقامَ ؛ كما روَى البخاريُّ عن يَحيى بنِ بُكيرٍ ، عن اللَّيْثِ ، ومسلمٌ عن أبى الطَّاهرِ ، عن ابنِ وَهْبٍ كِلاهما[(5)] ، عن يونُسَ ، عن الزهريِّ ، عن أبى سَلَمةَ ، عن جابرٍ قال : كُنَّا مع رسولِ اللَّهِ ﷺ بمَرِّ الظَّهْرَانِ نَجْتَنِى الكَبَاثَ[(6)] ، وإنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال : « عليكم بالأسْودِ منه فإنَّه أطيَبُ » . قالوا : يا رسولَ اللَّهِ ، أكنتَ ترْعَى الغنمَ ؟ قال: « نعم ، وهل مِن نبيٍّ إلا وقد رعَاها ؟ » .

---

(١) أوعِدِى : هدِّدى . المصدر السابق .
(٢) عن جرا : عن جراء . سهلت الهمزة لضرورة الوزن .
(٣) نزائع : غرباء . وسهام وسردد : واديان باليمن . المصدر السابق .
(٤) سيرة ابن هشام ٢/ ٤٠١.
(٥) البخارى (٣٤٠٦)، ومسلم (٢٠٥٠).
(٦) الكباث : ثمر الأراك . الفتح ٦/ ٤٣٩.

وقال البيهقيُّ[(١)] : عن الحاكمِ ، عن الأصمِّ ، عن أحمدَ بنِ عبدِ الجبَّارِ ، عن يونُسَ بنِ بكيرٍ ، عن سِنانِ بنِ إسماعيلَ ، عن أبي الوليدِ سعيدِ بنِ مِينا قال : لمَّا فرَغ أهلُ مُؤْتَةَ[(٢)] ورجَعوا ، أمَرَهم رسولُ اللَّهِ ﷺ بالمَسيرِ إلى مكةَ ، فلمَّا انتَهى إلى مَرِّ الظَّهْرانِ نزَل بالعَقَبةِ ، فأرْسَل الجُناةَ يَجْتَنُون الكَباثَ ، فقُلْتُ لسعيدٍ : وما هو؟ قال : ثَمَرُ الأَراكِ . قال : فانطَلَق ابنُ مسعودٍ فيمَن يَجْتَنِي . قال : فجعَل أحدُهم إذا أصابَ حبةً طَيِّبةً قذَفها في فِيه ، وكانوا يَنْظُرون إلى دِقَّةِ ساقَي ابنِ مسعودٍ وهو يَرْقَى في الشَّجرةِ فيَضْحَكُون ، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « تَعْجَبُون مِن دِقَّةِ ساقَيْه ؟ فوالذي نفسِي بيَدِه لَهما أثقَلُ في الميزانِ مِن أُحُدٍ » . وكان ابنُ مسعودٍ ما اجْتَنَى مِن شيءٍ ، جاء به وخِيَارُه فيه إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فقال في ذلك :

هــذا جَنــايَ وخِيَــارُه فيهْ إذْ كلُّ جانٍ يدُهُ إلى فِيهْ[(٣)]

وفي « الصَّحيحيْن »[(٤)] عن أنسٍ قال : أنفَجْنا[(٥)] أرنبًا ونحن بمَرِّ الظَّهْرانِ ، فسَعَى القومُ فلَغِبُوا[(٦)] ، فأدْرَكْتُها فأخَذْتُها ، فأتيْتُ بها أبا طَلْحةَ فذبَحها ، وبعَث إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ بوَرِكِها أو[(٧)] فَخِذَيْها فقَبِلَه .

وقال ابنُ إسحاقَ[(٨)] : ونزَل رسولُ اللَّهِ ﷺ مَرَّ الظَّهْرانِ ، وقد عُمِّيَتِ

---

(١) دلائل النبوة ٥/ ٢٩.

(٢) في النسخ : « مكة » . والمثبت من الدلائل .

(٣) هذا من أمثال عمرو بن عديّ ، ابن أخت جَذيمة الأبرش . مجمع الأمثال ٢/ ١٣٨.

(٤) البخاري (٢٥٧٢، ٥٤٨٩، ٥٥٣٥)، ومسلم (١٩٥٣).

(٥) أنفج : أثار ، وأنفجتُ الأرنبَ : أثرته ، فثار من جحره . اللسان (ن ف ج).

(٦) لغبوا : تعبوا . فتح الباري ٥/ ٢٠٢.

(٧) في النسخ وصحيح مسلم : « و » . والمثبت كما في صحيح البخاري وإحدى روايات مسلم . وهو شك من الراوي . انظر فتح الباري ٥/ ٢٠٢ ، ٩/ ٦٦٢ .

(٨) سيرة ابن هشام ٢/ ٤٠٠.

الأَخْبارُ عن قريشٍ، فلا يأتِيهم خبرٌ عن رسولِ اللَّهِ ﷺ، ولا يَدْرُون ما رسولُ اللَّهِ ﷺ [٣/١٣٣و] فاعلٌ، وخرَج فى تلك اللَّيالى أبو سفيانَ بنُ حربٍ، وحَكيمُ بنُ حزامٍ، وبُدَيْلُ بنُ وَرْقاءَ، يَتَحَسَّسُون(١) الأَخْبارَ، ويَنْظُرُون هل يَجِدُون خبرًا أو يَسْمَعون به.

وذكَر ابنُ لَهِيعَةَ(٢)، عن أبى الأَسْودِ، عن عُرْوةَ أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ بعَث بينَ يَدَيْه(٣) خَيْلًا يَقْتَصُّون العُيونَ، وخُزَاعةُ لا تَدَعُ أحدًا يَمْضِى وراءَها، فلمَّا جاء أبو سفيانَ وأصْحابُه أخَذَتْهم خيلُ المسلمين، وقامَ إليه عمرُ يَجَأُ فى عُنُقِه، حتى أجارَه العبَّاسُ بنُ عبدِ المُطَّلِبِ، وكان صاحبًا لأبى سفيانَ.

قال ابنُ إسحاقَ(٤): وقال العبَّاسُ حينَ نزَل رسولُ اللَّهِ ﷺ مَرَّ الظَّهْرانِ: قلتُ: واصَباحَ قريشٍ، واللَّهِ لَئن دخَل رسولُ اللَّهِ ﷺ مكةَ عَنْوةً قبلَ أن يأتوه فيسْتَأْمِنوه، إنه لَهلاكُ قريشٍ إلى آخرِ الدهرِ. قال: فجلَسْتُ على بغلةِ رسولِ اللَّهِ ﷺ البيضاءِ، فخرَجْتُ عليها حتى جئْتُ الأراكَ، فقلتُ: لَعَلِّى أجِدُ بعضَ الحَطَّابةِ، أو صاحبَ لبنٍ، أو ذا حاجةٍ يأتى مكةَ فيُخْبِرَهم بمكانِ رسولِ اللَّهِ ﷺ؛ ليخرُجوا إليه فيستَأْمِنوه قبلَ أن يَدْخُلَ عليهم عَنْوةً. قال: فواللَّهِ إنى لأَسيرُ عليها وأَلْتَمسُ ما خرَجْتُ له، إذ سمِعْتُ كلامَ أبى سفيانَ وبُدَيْلِ بنِ وَرْقاءَ وهما يتَراجعان، وأبو سفيانَ يقولُ: ما رأَيْتُ كالليلةِ نيرانًا قطُّ ولا

---

(١) فى ا ٤١، م، ص: «يتجسسون». قيل: معناهما واحد فى تَطَلُّب معرفة الأخبار. انظر النهاية ١/ ٢٧٢، واللسان (ج س س، ح س س).
(٢) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٥/٣٦ - ٣٩، من طريق ابن لهيعة به.
(٣) بعده فى الأصل ا ٤١، م: «عيونا».
(٤) سيرة ابن هشام ٢/ ٤٠٢.

عَسْكرًا ! قال : يقولُ بُدَيْلٌ : هذه واللَّهِ خُزاعةُ حمشَتْها الحربُ[1] . قال : يقولُ أبو سفيانَ : خُزاعةُ أذَلُّ وأقلُّ مِن أن تكونَ هذه نيرانَها وعَسْكرَها . قال : فعَرَفتُ صوتَه فقلتُ : يا أبا حنْظَلَةَ . فعرَف صوتى ، فقال : أبو الفَضْلِ ؟ قال : قلتُ : نعم . قال : ما لك ، فِدًى لك أبى وأمى ؟ قال : قلتُ : ويحَك يا أبا سفيانَ ! هذا رسولُ اللَّهِ ﷺ فى الناسِ ، واصباحَ قريشٍ واللَّهِ . قال : فما الحيلةُ ، فِداك أبى وأمى ؟ قال : قلتُ : واللَّهِ لئن ظفِر بك لَيَضْرِبَنَّ عنقَك ، فارْكَبْ فى عَجُزِ هذه البغلةِ حتى آتِيَ بك رسولَ اللَّهِ ﷺ فأسْتَأْمِنَه لك . قال : فركِب خلفى ورجَع صاحباه - [2]وقال عروةُ : بل ذهَبا إلى النبىِّ ﷺ فأسْلَما ، وجعَل يسْتَخْبِرُهما عن أهلِ مكةَ . وقال الزهرىُّ وموسى بنُ عقبةَ[3] : بل دخَلوا مع العباسِ على رسولِ اللَّهِ ﷺ - قال ابنُ إسحاقَ[2] : قال : فجئتُ به كلما مرَرْتُ بنارٍ مِن نيرانِ المسلمين قالوا : مَن هذا ؟ فإذا رأَوا بغلةَ رسولِ اللَّهِ ﷺ وأنا عليها قالوا : عمُّ رسولِ اللَّهِ ﷺ على بغلةِ رسولِ اللَّهِ ﷺ . حتى مرَرْتُ بنارِ عمرَ بنِ الخطابِ فقال : مَن هذا ؟ وقام إلىَّ ، فلما رأى أبا سفيانَ [٣/ ١٣٣ظ] على عَجُزِ الدابةِ قال : أبو سفيانَ عدوُّ اللَّهِ ! الحمدُ للَّهِ الذى أمْكَن منك بغيرِ عَقدٍ ولا عهدٍ . [2]وزعَم عروةُ بنُ الزبيرِ أن عمرَ وجَأ فى رقبةِ أبى سفيانَ ، وأراد قتْلَه فمنَعه منه العباسُ .

وهكذا ذكَر موسى بنُ عقبةَ ، عن الزهرىِّ أن عيونَ رسولِ اللَّهِ ﷺ[2]

(١) حمشتها الحرب : أحرقتها وهَيَّجتها . شرح غريب السيرة ٣/ ٧٧.

(٢ - ٢) سقط من : الأصل ، ٤١.

(٣) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٣٩/٥ - ٤٩ ، عن الزهرى وموسى بن عقبة .

(١)أخذوهم بأَزِمَّةِ جمالِهم، فقالوا: مَن أنتم؟ قالوا: وفدُ رسولِ اللَّهِ ﷺ. فلقِيَهم العباسُ، فدخَل بهم على رسولِ اللَّهِ، فحادثَهم عامَّةَ الليلِ، ثم دَعاهم إلى شهادةِ أن لا إلهَ إلا اللَّهُ، فشهِدوا، وأن محمدًا رسولُ اللَّهِ، فشهِد حَكيمٌ وبُدَيْلٌ، وقال أبو سفيانَ: ما أعْلَمُ ذلك. ثم أسْلَم بعدَ الصبحِ، ثم سألوه أن يُؤَمِّنَ قريشًا، فقال: «مَن دخَل دارَ أبى سفيانَ فهو آمِنٌ - وكانت بأعلى مكةَ - ومَن دخَل دارَ حكيمِ بنِ حِزامٍ فهو آمِنٌ - وكانت بأسفلِ مكةَ - ومَن أغْلَق بابَه فهو آمِنٌ».

قال العباسُ(٢)(١): ثم خرَج عمرُ يشْتَدُّ نحوَ رسولِ اللَّهِ ﷺ وركَضَت البغلةُ، فسبَقَتْه بما تَسْبِقُ الدابةُ البطيئةُ الرجلَ البطىءَ. قال: فاقْتَحَمْتُ عن البغلةِ، فدخَلْتُ على رسولِ اللَّهِ ﷺ ودخَل عليه عمرُ، فقال: يا رسولَ اللَّهِ، هذا أبو سفيانَ قد أمْكَن اللَّهُ منه بغيرِ عقدٍ ولا عهدٍ، فدَعْنى فلأَضْرِبْ عنقَه. قال: قلتُ: يا رسولَ اللَّهِ، إنى قد أجَرْتُه. ثم جلَسْتُ إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ فأخَذْتُ برأسِه، فقلتُ: واللَّهِ لا يُناجيه الليلةَ دونى رجلٌ. فلما أكثر عمرُ فى شأنِه. قال: قلتُ: مهْلًا يا عمرُ، فواللَّهِ أن لو كان مِن رجالِ بنى عَدِىِّ بنِ كعبٍ ما قلتَ هذا، ولكنك قد عرَفْتَ أنه مِن رجالِ بنى عبدِ مَنافٍ. فقال: مهْلًا يا عباسُ، فواللَّهِ لَإسْلامُك يومَ أسلَمْتَ كان أحبَّ إلىَّ مِن إسلامِ الخطابِ لو أسْلَم، وما بى إلا أنى قد عرَفْتُ أن إسلامَك كان أحبَّ إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ مِن إسلامِ الخطابِ لو أسْلَم. فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «اذْهَبْ به يا عباسُ إلى

(١ - ١) سقط من: الأصل، ٤١.

(٢) سيرة ابن هشام ٢/ ٤٠٢، ٤٠٣.

رَحْلِك ، فإذا أصْبَحْتَ فأْتِنى به » . قال : فذَهَبْتُ به إلى رحلى ، فبات عندى ، فلما أصبَح غدَوْتُ به إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فلما رآه رسولُ اللَّهِ ﷺ قال : « ويحَك يا أبا سفيانَ ! ألم يَأْنِ لك أن تعْلَمَ أنه لا إلهَ إلا اللَّهُ ؟ » فقال : بأبى أنت وأمى ، ما أحْلَمَك وأكْرَمَك وأوْصَلَك ، واللَّهِ لقد ظنَنْتُ أن لو كان مع اللَّهِ غيرُه لقد أغْنَى عنى شيئًا بعدُ . قال : « ويحَك يا أبا سفيانَ ! ألم يَأْنِ لك أن تعْلَمَ أنى رسولُ اللَّهِ ؟ » قال : بأبى أنت وأمى ، ما أحْلَمَك وأكْرَمَك وأوْصَلَك ، أمَّا هذه واللَّهِ فإن فى النفسِ منها حتى الآنَ شيئًا . فقال له العباسُ : ويحَك ! أسْلِمْ واشْهَدْ أن لا إلهَ إلا اللَّهُ ، وأن محمدًا رسولُ اللَّهِ ، قبلَ أن تُضْرَبَ عنقُك . قال : فشهِد شهادةَ الحقِّ فأسْلَم . قال العباسُ : فقلتُ : يا رسولَ اللَّهِ ، إن أبا سفيانَ رجلٌ يُحِبُّ هذا الفخْرَ ، فاجْعَلْ له شيئًا . قال : « نعم ، مَن دخَل دارَ أبى سفيانَ فهو آمِنٌ – (1) زاد عروةُ : « ومَن دخَل دارَ حَكيمِ بنِ حِزامٍ فهو آمِنٌ » . وهكذا قال موسى بنُ عقبةَ عن الزهرىِّ (1) – ومَن أغْلَق عليه بابَه فهو آمِنٌ ، ومَن دخَل المسجدَ فهو آمِنٌ » . فلما ذهَب لِينْصَرِفَ قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « يا عباسُ ، احْبِسْه بمَضيقِ الوادى عندَ خَطْمِ الجبلِ (2) ؛ حتى تمُرَّ به جنودُ اللَّهِ فيَراها » .

(1) وذكر موسى بنُ عقبةَ ، عن الزهرىِّ أن أبا سفيانَ وبُدَيْلًا وحَكيمَ بنَ حِزامٍ كانوا وقوفًا مع العباسِ عندَ خَطْمِ الجبلِ ، وذكَر أن سعدًا لما قال لأبى سفيانَ : اليومُ يومُ المَـلْحَمةِ ، اليومَ تُسْتَحَلُّ الحُرْمةُ . فشكَى أبو سفيانَ إلى (1)

(1 – 1) سقط من : الأصل ، 41.

(2) ويروى « حطم الجبل » و « حطم الخيل » . وخطم الجبل : أنف الجبل ... وإنما حبسه هناك لكونه مَضِيقًا ، ليرى الجميع ولا يفوته رؤية أحد منهم . انظر فتح البارى 8/ 8، والنهاية 1/ 403، وما يأتى ص 542.

(1) رسولِ اللَّهِ ﷺ، فعزَله عن رايةِ الأنصارِ، وأعْطاها الزبيرَ بنَ العَوَّامِ، فدخَل بها مِن أعْلى مكةَ وغرَزها بالحَجونِ[2]، ودخَل خالدٌ مِن أسفلِ مكةَ، فلقِيَه بنو بكرٍ وهُذَيْلٌ، فقتَل مِن بنى بكرٍ عشرين ومِن هُذَيْلٍ ثلاثةً أو أربعةً، وانهَزموا فقُتِلوا بالحَزْوَرةِ[3] حتى بلَغ قتلُهم بابَ المسجدِ (1).

قال العباسُ[4]: فخرَجْتُ بأبى سفيانَ حتى حبَسْتُه بمَضيقِ الوادى حيث أمَرَنى [٣/١٣٤و] رسولُ اللَّهِ ﷺ أن أحْبِسَه. قال: ومَرَّت القبائلُ على راياتِها، كلما مَرَّت قبيلةٌ قال: يا عباسُ، مَن هؤلاء؟ فأقولُ: سُلَيْمٌ. فيقولُ: ما لى ولسليمٍ. ثُم تمُرُّ به القبيلةُ فيقولُ: يا عباسُ، مَن هؤلاء؟ فأقولُ: مُزَيْنةُ. فيقولُ: ما لى ولمزينةَ. حتى نَفِدَت القبائلُ، ما تمُرُّ به قبيلةٌ إلا سألنى عنها، فإذا أخبَرْتُه قال: ما لى ولبنى فلانٍ. حتى مرَّ رسولُ اللَّهِ ﷺ فى كَتيبتِه الخضْراءِ[5] وفيها المهاجرون والأنصارُ، لا يُرَى منهم إلا الحَدَقُ[6] مِن الحديدِ، فقال: سبحانَ اللَّهِ! يا عباسُ، مَن هؤلاء؟ قال: قلتُ: هذا رسولُ اللَّهِ ﷺ فى المهاجرين والأنصارِ. قال: ما لأحدٍ بهؤلاءِ مِن قِبَلٍ ولا طاقةٍ، واللَّهِ يا أبا الفَضْلِ لقد أصْبَح مُلْكُ ابنِ أخيك الغَداةَ عظيمًا. قال: قلتُ: يا أبا سفيانَ،

(١ - ١) سقط من: الأصل، ا ٤١.

(٢) الحجون: جبل بأعلى مكة عنده مدافن أهلها. معجم البلدان ٢/ ٢١٥.

(٣) الحزورة: سوق مكة وقد دخلت فى المسجد لمّا زِيد فيه. المصدر السابق ٢/ ٢٩٢.

(٤) سيرة ابن هشام ٢/ ٤٠٤، ٤٠٥.

(٥) قال ابن هشام فى السيرة ٢/ ٤٠٤: وإنما قيل لها: الخضراء. لكثرة الحديد وظهوره فيها.

(٦) الحدق جمع حدقة، وهى السواد المستدير وسط العين. الوسيط (ح د ق).

إنها النبوةُ . قال : فنعم إذن . قال : قلتُ : النَّجاءَ[1] إلى قومِك . حتى إذا جاءهم صرَخ بأعْلى صوتِه : يا معشرَ قريشٍ ، هذا محمدٌ قد جاءكم فيما لا قِبَلَ لكم به ، فمن دخَل دارَ أبى سفيانَ فهو آمِنٌ . فقامت إليه هندُ بنتُ عتبةَ ، فأخَذت بشارِبِه فقالت : اقْتُلوا الحَمِيتَ الدَّسِمَ الأحْمَسَ[2] ، قُبِّح مِن طَليعةِ قومٍ . فقال أبو سفيانَ : ويلَكم لا تَغُرَّنَّكم هذه مِن أنفسِكم ، فإنه قد جاءكم ما لا قِبَلَ لكم به ، مَن دخَل دارَ أبى سفيانَ فهو آمِنٌ . قالوا : قاتَلَك اللَّهُ ، وما تُغْنى عنا دارُك ؟ قال : ومَن أغْلَق عليه بابَه فهو آمِنٌ ، ومَن دخَل المسجدَ فهو آمِنٌ . فتفرَّق الناسُ إلى دُورِهم وإلى المسجدِ .

[3] وذكَر عروةُ بنُ الزبيرِ أن رسولَ اللَّهِ ﷺ لما مَرَّ بأبى سفيانَ قال له : إنى لَأَرَى وجوهًا كثيرةً لا أعْرِفُها ، لقد كثُرَت هذه الوجوهُ علىَّ . فقال له رسولُ اللَّهِ ﷺ : « أنت فعَلْتَ هذا وقومُك ، إنّ هؤلاءِ صدَّقونى إذ كذَّبْتُمونى ، ونصَرونى إذ أخْرَجْتُمونى » . ثم شكَى إليه قولَ سعدِ بنِ عُبادةَ حينَ مرَّ عليه فقال : يا أبا سفيانَ ، اليومُ يومُ المَلْحَمةِ ، اليومَ تُسْتَحَلُّ الحُرْمةُ . فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « كذَب سعدٌ ، بل هذا يومٌ يُعَظِّمُ اللَّهُ فيه الكعبةَ ، ويومٌ تُكْسَى فيه الكعبةُ » .

وذكَر عروةُ أن أبا سفيانَ لما أصبَح صَبِيحةَ تلك الليلةِ التى كان عندَ[3]

---

(١) النجاء : السرعة . يقال : مرّ ينجو نجاء . إذا أسرع . شرح غريب السيرة ٣/ ٧٧.

(٢) الحميت : زِقُّ السَّمْن . والدسم : الكثير الوَدَك . والأحمس : الذى لا خير عنده . شرح غريب السيرة ٣/ ٧٧، والروض الأنف ٧/ ٩٤.

(٣ - ٣) سقط من : الأصل، ا ٤.

(1) العباسِ، ورَأى الناسَ يُحَشْحِشُون(2) للصلاةِ، ويَنْتَشِرون فى استعمالِ الطَّهارةِ خاف وقال للعباسِ: ما بالُهم؟ قال: إنهم سمِعوا النداءَ، فهم ينْتَشِرون للصلاةِ. فلما حضَرَت الصلاةُ ورآهم يرْكَعون بركوعِه، ويسْجُدون بسجودِه قال: يا عباسُ، ما يأمُرُهم بشىءٍ إلا فعَلوه! قال: نعم، واللَّهِ لو أمَرهم بتركِ الطعامِ والشرابِ لَأطاعوه.

وذَكَر موسى بنُ عقبةَ(3)، عن الزهرىِّ، أنه لما توَضَّأ رسولُ اللَّهِ ﷺ جعَلوا يتَكَفَّفون(4)، فقال: يا عباسُ، ما رأيْتُ كالليلةِ ولا مُلْكَ كسرى وقيْصَرَ(1).

وقد روَى الحافظُ البيهقىُّ(5)، عن الحاكمِ وغيرِه، عن الأصَمِّ، عن أحمدَ ابنِ عبدِ الجبارِ، عن يونُسَ بنِ بكيرٍ، عن ابنِ إسحاقَ، حدَّثنى الحسينُ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ عُبَيْدِ اللَّهِ بنِ عباسٍ، عن عكرمةَ، عن ابنِ عباسٍ، فذكَر هذه القصةَ بتمامِها كما أوْرَدها زِيادٌ البَكَّائىُّ، عن ابنِ إسحاقَ مُنْقَطِعةً(6). فاللَّهُ أعلمُ. على أنه قد روَى البيهقىُّ(7) مِن طريقِ أبى بلالٍ الأشْعرىِّ، عن زِيادٍ البَكَّائىِّ، عن محمدِ بنِ إسحاقَ، عن الزهرىِّ، عن عُبَيْدِ اللَّهِ، عن ابنِ عباسٍ

(1 - 1) سقط من: الأصل، 41.

(2) فى م: «يجنحون»، وفى ص: «يحححون» هكذا رسمت، وفى الدلائل «تحشحش الناس». والمثبت - حملا على رسم الكلمة فى نسخة ص - يوافق سياق رواية عروة عند البيهقى. وحشحشوا وتحشحشوا: تحركوا للنهوض. والحشحشة: الحركة. ويقال: الحشحشة: دخول القوم بعضهم فى بعض. انظر تاج العروس (ح ش ش).

(3) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة 5/ 40، عن الزهرى.

(4) فى الدلائل: «يتلقون وضوء رسول اللَّه ﷺ». وتكفف: إذا أخذ بباطن كفه. النهاية 4/ 190.

(5) دلائل النبوة 5/32 - 35.

(6) وهى ما روى ابن هشام عن ابن إسحاق كما تقدم ص 534 وما بعدها.

(7) دلائل النبوة 5/ 31، 32.

قال : جاء العباسُ بأبى سفيانَ إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ ، قال . فذكَر القصةَ ، إلا أنه ذكَر أنه أسْلَم من ليلتِه قبلَ أن يُصْبِحَ بينَ يدَىْ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، وأنه لما قال له رسولُ اللَّهِ ﷺ : « مَن دخَل دارَ أبى سفيانَ فهو آمِنٌ » . قال أبو سفيانَ : وما تَسَعُ دارى ؟ فقال : « ومَن دخَل الكعبةَ فهو آمِنٌ » . قال : وما تسَعُ الكعبةُ ؟ فقال : « ومَن دخَل المسجدَ [٣/ ١٣٤ظ] فهو آمِنٌ » . قال : وما يَسَعُ المسجدُ ؟ فقال : « ومَن أغْلَق عليه بابَه فهو آمِنٌ » . فقال أبو سفيانَ : هذه واسعةٌ .

وقال البخاريُّ[(١)] : حدَّثنا عبَيْدُ بنُ إسماعيلَ ، ثنا أبو أسامةَ ، عن هشامٍ ، عن أبيه قال : لما سار رسولُ اللَّهِ ﷺ عامَ الفتحِ فبلَغ ذلك قريشًا ، خرَج أبو سفيانَ بنُ حربٍ ، وحَكِيمُ بنُ حِزامٍ ، وبُدَيْلُ بنُ وَرْقاءَ ، يلْتَمِسون الخبرَ عن رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فأقْبَلوا يَسيرون حتى أتَوْا مَرَّ الظَّهْرانِ ، فإذا هم بنيرانٍ كأنها نيرانُ عرَفةَ ، فقال أبو سفيانَ : ما هذه ؟ كأنها نيرانُ عرفةَ ! فقال بُدَيْلُ بنُ وَرْقاءَ : نيرانُ بنى عمرٍو . فقال أبو سفيانَ : عمرٌو أقلُّ مِن ذلك . فرآهم ناسٌ مِن حَرَسِ رسولِ اللَّهِ ﷺ فأدْرَكوهم فأخَذوهم ، فأتَوْا بهم رسولَ اللَّهِ ﷺ ، فأسْلَم أبو سفيانَ ، فلما سار ، قال للعباسِ : « احْبِسْ أبا سفيانَ عندَ [(٢)] خَطْمِ الجبلِ [(٢)] حتى ينْظُرَ إلى المسلمين » . فحبَسه العباسُ ، فجعَلت القبائلُ تمُرُّ مع رسولِ اللَّهِ ﷺ ، تمُرُّ كتيبةٌ كتيبةٌ على أبى سفيانَ ، فمرَّت كتيبةٌ فقال : يا عباسُ ، مَن هذه ؟ قال : هذه غِفارٌ . قال : ما لى ولغفارٍ . ثم مرَّت جُهَيْنةُ فقال

---

(١) البخارى (٤٢٨٠) .

(٢ - ٢) فى الأصل : « حطم الخيل » ، وهو إحدى نسخ البخارى ، وعند حطم الخيل : معناه ، أنه يحبسه عند الموضع المتضايق الذى تتحطم فيه الخيل ، أى يدوس بعضها بعضا ، ويزحم بعضها بعضا ، فيراها جميعا ، وتكثر فى عينه بمرورها فى ذلك الموضع الضيق . النهاية ١/ ٤٠٤ .

مثلَ ذلك ، ثم مرَّت سعدُ بنُ هُذَيْمٍ فقال مثلَ ذلك ، ومرَّت سُلَيْمٌ فقال مثلَ ذلك ، حتى أقبَلَت كتيبةٌ لم يَرَ مثلَها فقال : مَن هذه ؟ قال : هؤلاء الأنصارُ ، عليهم سعدُ بنُ عُبادةَ معه الرايةُ . فقال سعدُ بنُ عُبادةَ : يا أبا سفيانَ ، اليومُ يومُ المَلْحَمةِ ، اليومَ تُسْتَحَلُّ الكعبةُ . فقال أبو سفيانَ : يا عباسُ ، حبذا يومُ الذِّمارِ[(1)] . ثم جاءت كتيبةٌ ، وهى أقلُّ الكَتائبِ ، فيهم رسولُ اللَّهِ ﷺ وأصحابُه ، ورايةُ رسولِ اللَّهِ ﷺ مع الزبيرِ بنِ العوامِ ، فلما مرَّ رسولُ اللَّهِ ﷺ بأبى سفيانَ قال : ألم تعْلَمْ ما قال سعدُ بنُ عُبادةَ ؟ فقال : « ما قال ؟ » قال : كذا وكذا . فقال : « كذَب سعدٌ ، ولكن هذا يومٌ يُعَظِّمُ اللَّهُ فيه[(2)] الكعبةَ ، ويومٌ تُكْسَى فيه الكعبةُ » . وأمَر رسولُ اللَّهِ ﷺ أن تُرْكَزَ رايتُه بالحَجُونِ . قال عروةُ : وأخبَرنى نافعُ بنُ جُبَيْرِ بنِ مُطْعِمٍ ، قال : سمِعْتُ العباسَ يقولُ للزبيرِ بنِ العَوَّامِ[(3)] : هاهنا أمرك رسولُ اللَّهِ ﷺ أن تَرْكِزَ الرايةَ ؟ [(4)]قال : نعم[(4)] . قال : وأمَر رسولُ اللَّهِ ﷺ خالدَ بنَ الوليدِ أن يَدْخُلَ مِن أعْلى مكةَ [٣/ ١٣٥و] مِن كَدَاءٍ ، ودخَل رسولُ اللَّهِ ﷺ مِن كُدًى[(5)] فقُتِل مِن خيلِ خالدِ بنِ الوليدِ يومئذٍ رجلان ؛ حُبَيْشُ[(6)] بنُ الأشْعَرِ ، وكُرْزُ بنُ جابرٍ الفِهْرِيُّ .

---

(١) حبذا يوم الذمار : يريد الحربَ ؛ لأن الإنسان يقاتل على ما يلزمه حفظه . النهاية ٢/ ١٦٧.

(٢) سقط من : الأصل ، م .

(٣) بعده فى الصحيح : « يا أبا عبد اللَّه » .

(٤ - ٤) كذا فى النسخ ، وليست فى صحيح البخارى .

(٥) قال ابن حزم : كداء الممدودة بأعلى مكة ... وكدى بضم الكاف وتنوين الدال بأسفل مكة . معجم البلدان ٤/ ٢٤١.

(٦) فى م : « حنيش » . وهو حبيش بن خالد ، والأشعر لقبه أو لقب أبيه . انظر الاستيعاب ١/ ٤٠٦، وأسد الغابة ١/ ٤٥١، والإصابة ٢/ ٢٧.

وقال أبو داودَ[1] : ثنا عثمانُ بنُ أبى شَيْبةَ ، ثنا يحيَى بنُ آدمَ ، ثنا ابنُ[2] إدْريسَ ، عن محمدِ بنِ إسحاقَ ، عن الزهرىِّ ، عن عُبَيْدِ اللَّهِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ عُتْبةَ ، عن ابنِ عباسٍ أن رسولَ اللَّهِ ﷺ عامَ الفتحِ جاءه العباسُ بنُ عبدِ المطلبِ بأبى سفيانَ بنِ حَرْبٍ ، فأَسْلَم بمَرِّ الظَّهْرانِ ، فقال له العباسُ : يا رسولَ اللَّهِ ، إن أبا سفيانَ رجلٌ يُحِبُّ هذا الفخرَ ، فلو جعَلْتَ له شيئًا ؟ قال : « نعم ، مَن دخَل دارَ أبى سفيانَ فهو آمِنٌ ، ومَن أغْلَق بابَه فهو آمِنٌ » .

---

(1) أبو داود (٣٠٢١) حسن (صحيح سنن أبى داود ٢٦١٠) .
(2) سقط من : م ، ص . وانظر تهذيب الكمال ١٤/ ٢٩٣.

صفةُ دخولِه ﷺ مكةَ

ثبَت فى « الصحيحين »[(١)] مِن حديثِ مالكٍ ، عن الزهرىِّ ، عن أنسٍ ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ دخَل مكةَ وعلى رأسِه المِغْفَرُ ، فلما نزَعه ، جاءه رجلٌ فقال : إن ابنَ خَطَلٍ مُتَعلِّقٌ بأستارِ الكعبةِ . فقال : « اقْتُلوه » . قال مالكٌ : ولم يكنْ رسولُ اللَّهِ ﷺ فيما نرَى ، واللَّهُ أعلمُ ، مُحْرِمًا .

وقال أحمدُ[(٢)] : ثنا عفانُ ، ثنا حمادٌ ، أنا أبو الزبيرِ ، عن جابرٍ ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ دخَل يومَ فتحِ مكةَ وعليه عِمامةٌ سوداءُ . ورَواه أهلُ السننِ الأربعةِ ، مِن حديثِ حمادِ بنِ سَلَمةَ[(٣)] ، وقال الترمذىُّ : حسنٌ صحيحٌ .

ورَواه مسلمٌ[(٤)] ، عن قُتَيْبةَ ويحيى بنِ يحيى ، عن معاويةَ بنِ عَمَّارٍ الدُّهْنىِّ ، عن أبى الزُّبَيرِ ، عن جابرٍ ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ دخَل مكةَ وعليه عِمامةٌ سوداءُ ، مِن غيرِ إحْرامٍ .

وروَى مسلمٌ[(٥)] مِن حديثِ أبى أسامةَ ، عن مُساوِرٍ الوَرَّاقِ ، عن جعفرِ بنِ عمرِو بنِ حُرَيْثٍ ، عن أبيه قال : كأنِّى أنظُرُ إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ يومَ فتحِ مكةَ

---

(١) البخارى (٤٢٨٦)، ومسلم (١٣٥٧) .

(٢) المسند ٣/ ٣٦٣.

(٣) أبو داود (٤٠٧٦)، والترمذى (١٧٣٥)، والنسائى فى الكبرى (٩٧٥٧)، وابن ماجه (٢٨٢٢، ٣٥٨٥). صحيح (صحيح سنن أبى داود ٣٤٣٦) .

(٤) مسلم (١٣٥٨) .

(٥) مسلم (١٣٥٩/٤٥٣) .

وعليه عِمامةٌ حَرَقانِيَّةٌ[1] سَوداءُ قد أرْخَى طرَفَيْها بيـنَ كَتِفَيْه .

وروَى مسلمٌ فى « صحيحِه » والتِّرمذىُّ والنَّسائىُّ[2] مِن حديثِ عَمَّارٍ الدُّهْنىِّ ، عن أبى الزُّبيرِ ، عن جابرٍ ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ دخَل مكةَ وعليه عِمامةٌ سوداءُ .

وروَى أهلُ السننِ الأربعةِ[3] مِن حديـثِ يَحْيَى بنِ آدمَ ، عن شَرِيكٍ القاضى [٣/ ١٣٥ظ] ، عن عَمَّارٍ الدُّهْنىِّ ، عن أبى الزُّبيرِ ، عن جابرٍ قال : كان لواءُ رسولِ اللَّهِ ﷺ يومَ دخَل مكةَ أبيضَ .

وقال ابنُ إسحاقَ[4] ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ أبى بكرٍ ، عن عائشةَ قالت : كان لواءُ رسولِ اللَّهِ ﷺ يومَ الفتحِ أبيضَ ، ورايتُه سَوداءَ تُسَمَّى العُقَابَ ، وكانت قطعةً مِن مِرْطٍ مُرَحَّلٍ[5] .

---

(١) كذا فى النسخ . وليست فى صحيح مسلم . فلعله تابع ما ذكره الحافظ المزى فى التحفة ٨/ ١٤٣، ١٤٤ حيث ذكر هذا اللفظ من رواية عبد اللَّه بن محمد بن عبد الرحمن الزهرى عن سفيان عن مساور ، به ، وقال عقب ذلك - أى المزى - : زاد أبو أسامة : قد أرخى طرفها بين كتفيه . فاعتبره المصنف - رحمه اللَّه - عند مسلم . وليس فيه . والرواية التى ذكرها الحافظ المزى هى عند النسائى فى المجتبى (٥٣٥٨)، وفى الكبرى (٩٧٥٩). ووقع عند النسائى فى الموضعين السابقين: « عبد الرحمن بن محمد » . والصواب « عبد اللَّه بن محمد » . انظر تهذيب الكمال ١٦/ ٦٩.

والحرقانية ؛ قال الزمخشرى : هى التى على لون ما أحرقته النار ، كأنها منسوبة بزيادة الألف والنون إلى الحرَق ، يقال : الحرْق بالنار والحرَق معًا . وقال ابن الأثير : جاء تفسيرها فى الحديث أنها السوداء ، ولا يدرى ما أصله . انظر الفائق للزمخشرى ١/ ٢٧١، والنهاية لابن الأثير ١/ ٣٧٢.

(٢) مسلم (١٣٥٨/٠٠٠) ، والترمذى (١٦٧٩) ، والنسائى (٥٣٦٠) .

(٣) أبو داود (٢٥٩٢) ، والترمذى (١٦٧٩) ، والنسائى (٢٨٦٦) ، وابن ماجه (٢٨١٧) . صحيح (صحيح سنن أبى داود ٢٢٥٩) .

(٤) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٥/ ٦٨، من طريق ابن إسحاق به .

(٥) فى م : « مرجل » . والمرحل : الذى قد نقش فيه تصاوير الرِّحال . النهاية ٢/ ٢١٠.

وقال البخارىُّ[(١)] : ثنا أبو الوليدِ ، ثنا شعبةُ ، عن مُعاوِيةَ[(٢)] بنِ قُرَّةَ قال : سمِعْتُ عبدَ اللَّهِ بنَ مُغَفَّلٍ يقولُ : رأيْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يومَ فتحِ مكةَ على ناقتِه وهو يقرَأُ سورةَ « الفتحِ » يُرَجِّعُ[(٣)] . وقال[(٤)] : لولا أن يَجْتَمِعَ الناسُ حولِى لرجَّعْتُ كما رجَّع .

وقال محمدُ بنُ إسحاقَ[(٥)] : حدَّثنى عبدُ اللَّهِ بنُ أبى بكرٍ ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ لمَّا انتهى إلى ذى طُوًى ، وقَف على راحلتِه مُعْتَجِرًا بشُقَّةِ بُرْدٍ حِبَرَةٍ[(٦)] حمراءَ ، وإن رسولَ اللَّهِ ﷺ لَيَضَعُ رأسَه تواضعًا للَّهِ ، حينَ رأَى ما أكرَمه اللَّهُ به مِن الفتحِ ، حتى إن عُثْنونَه[(٧)] لَيكادُ يَمَسُّ واسِطةَ الرَّحْلِ .

وقال الحافظُ البيهقىُّ[(٨)] : أنبأنا أبو عبدِ اللَّهِ الحافظُ ، أنبأنا دَعْلَجُ بنُ أحمدَ ، ثنا أحمدُ بنُ علىٍّ الأَبَّارُ ، ثنا عبدُ اللَّهِ بنُ أبى بكرٍ المُقَدَّمىُّ[(٩)] ، ثنا جعفرُ بنُ سليمانَ ، عن ثابتٍ ، عن أنسٍ قال : دخَل رسولُ اللَّهِ ﷺ مكةَ يومَ الفتحِ وذَقَنُه

---

(١) البخارى (٤٢٨١) .

(٢) فى م ، ص : « عبد اللَّه » . انظر تهذيب الكمال ٢٨/ ٢١٠ .

(٣) الترجيع : ترديد القارئُ الحرف فى الحلق . فتح البارى ٨/ ١٤.

(٤) القائل هو معاوية بن قرة راوى الحديث . وقوله : كما رجَّع . يعنى كما رجع ابنُ مغفلٍ حاكيًا النبىَّ ﷺ . انظر المصدر السابق .

(٥) سيرة ابن هشام ٢/ ٤٠٥.

(٦) الحبرة : ضرب من ثياب اليمن . شرح غريب السيرة ٣/ ٧٧.

(٧) العثنون : اللحية ، أو طرَفها . اللسان (ع ث ن) .

(٨) دلائل النبوة ٥/ ٦٨، ٦٩. كما أخرجه الحاكم فى المستدرك ٣/ ٤٧، وقال : هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه . وسكت عنه الذهبى .

(٩) فى النسخ : « المقدسى » . والمثبت من الدلائل والمستدرك . وانظر الأنساب ٥/ ٣٦٤، والمغنى فى الضعفاء ١/ ٤٧٥.

على رَحْلِه[1] مُتَخَشِّعًا .

وقال[2] : أنبأَنا أبو عبدِ اللَّهِ الحافظُ ، ثنا أبو بكرِ بنُ بالَوَيْه ، ثنا أحمدُ بنُ صاعدٍ ، ثنا إسماعيلُ بنُ أبى الحارثِ ، ثنا جعفرُ بنُ عونٍ ، ثنا إسماعيلُ بنُ أبى خالدٍ ، عن قيسٍ ، عن أبى مسعودٍ[3] أن رجلًا كلَّم رسولَ اللَّهِ ﷺ يومَ الفتحِ ، فأخَذته الرِّعْدةُ ، فقال : « هوِّنْ عليك ، فإنَّما أنا ابنُ امرأةٍ مِن قريشٍ كانت[4] تأكُلُ القَدِيدَ[5] » . قال : وهكذا رواه محمدُ بنُ سليمانَ بنِ فارسٍ ، وأحمدُ بنُ يَحيى بنِ زُهيرٍ ، عن إسماعيلَ بنِ أبى الحارثِ ، موصولًا . ثم روَاه[6] عن أبى زَكريا المُزَكِّى ، عن أبى عبدِ اللَّهِ محمدِ بنِ يعقوبَ ، عن محمدِ بنِ عبدِ الوهابِ ، عن جعفرِ بنِ عونٍ ، عن إسماعيلَ ، عن[7] قيسٍ ، مرسلًا . قال[8] : وهو المحفوظُ .

وهذا التواضعُ فى هذا الموطنِ عندَ دخولِه ﷺ مكةَ ، فى مثلِ هذا الجيشِ الكثيفِ العَرَمْرَمِ ، بخلافِ ما اعتَمَده سفهاءُ بنى إسرائيلَ ، حينَ أُمِروا أن يَدخُلُوا بابَ بيتِ [٣/١٣٦و] المقدسِ وهم سجودٌ ، أىْ رُكَّعٌ ، يقولون : حِطَّةٌ .

---

(١) فى الأصل ، ا ٤ ، م : « راحلته » .
(٢) دلائل النبوة ٥/ ٦٩. كما أخرجه الحاكم فى المستدرك ٣/ ٤٧، ٤٨، وقال : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه . ووافقه الذهبى .
(٣) فى النسخ : « ابن مسعود » . والمثبت من الدلائل والمستدرك .
(٤) سقط من النسخ . والمثبت من الدلائل والمستدرك .
(٥) القديد : اللحم المملوح المجفف فى الشمس . النهاية ٤/ ٢٢.
(٦) دلائل النبوة ٥/ ٦٩.
(٧) فى الأصل ، م : « بن » .
(٨) سقط من : الأصل ، م ، ص .

فدخَلُوا يزحَفُون على أَسْتَاهِهِم وهم يقولون: حِنْطَةٌ فى شَعِيرةٍ[1].

وقال البخاريُّ[2]: ثنا الهَيثَمُ[3] بنُ خارجةَ، ثنا حفصُ بنُ مَيْسرةَ، عن هشامِ بنِ عروةَ، عن أبيه، أن عائشةَ أخبَرَتْه أن رسولَ اللَّهِ ﷺ دخَل عامَ الفتحِ مِن كَداءٍ التى بأعْلى مكةَ. وتابَعَه أبو أسامةَ ووُهَيْبٌ[4]: فى كَداءٍ.

حدَّثنا[5] عُبَيْدُ بنُ إسماعيلَ، ثنا أبو أُسامةَ، عن هشامٍ، عن أبيه: دخَل رسولُ اللَّهِ ﷺ عامَ الفتحِ مِن أعلى مكةَ مِن كَداءٍ. وهو أصحُّ.

إن أرادَ أن المرسلَ أصحُّ مِن المُسْنَدِ المتقدمِ انتظَم الكلامُ، وإلَّا فكَدَاءٌ بالمدِّ هى المذكورةُ فى الروايتيْن، وهى فى أعلى مكَّة، وكُدًى مقصورًا فى أسفلِ مكةَ، وهذا هو المشهورُ والأنسبُ، وقد تقدَّم أنَّه، عليه السلامُ، بعَث خالدَ بنَ الوليدِ مِن أعلى مكةَ، ودخَل هو، عليه السلامُ، مِن أسفلِها مِن كُدًى. وهو فى «صحيحِ البخاريِّ». فاللَّهُ أعلمُ.

وقد قال البيهقيُّ[6]: أنبأنا أبو الحسنِ[7] بنُ عَبْدانَ، أنبأنا أحمدُ بنُ عُبَيدٍ الصَّفَّارُ، (8)ثنا عبدُ اللَّهِ بنُ (9)الصَّقْرِ، عن(9) إبراهيمَ بنِ المنذرِ الحِزاميِّ، ثنا(8)

---

(١) فى الأصل، م، ص: «شعرة».

(٢) البخارى (٤٢٩٠).

(٣) فى النسخ: «القاسم». والمثبت من صحيح البخارى. وانظر تهذيب الكمال ٣٠/ ٣٧٤.

(٤) فى م، ص: «وهب». وهو وهيب بن خالد بن عَجْلان. انظر تهذيب الكمال ٣١/ ١٦٤.

(٥) البخارى (٤٢٩١).

(٦) دلائل النبوة ٥/ ٦٦.

(٧) فى م: «الحسين». وانظر سير أعلام النبلاء ١٧/ ٣٩٧.

(٨ - ٨) سقط من: ا، ص.

(٩ - ٩) سقط من: الأصل، م. والمثبت من الدلائل. وانظر تاريخ بغداد ٩/ ٤٨٢، وسير أعلام النبلاء ١٤/ ١٧٣.

(1)مَعْنٌ، ثنا عبدُ اللَّهِ بنُ عمرَ بنِ حَفْصٍ، عن نافعٍ، عن ابنِ عمرَ قال(1): لمَّا دخَل رسولُ اللَّهِ ﷺ عامَ الفتحِ رأَى(2) النساءَ يُلَطِّمْنَ وجُوهَ الخيلِ(3)، فتبسَّم إلى أبى بكرٍ وقال: «يا أبا بكرٍ، كيف قال حسانُ؟» فأنشَده أبو بكرٍ، رَضِىَ اللَّهُ عنه:

عَدِمْتُ بُنَيَّتى إن لم تَرَوْها ... تُثِيرُ النَّقْعَ مِن كَتِفَىْ(4) كَداءِ(5)

يُنازِعْنَ الأعِنَّةَ مُسْرَجاتٍ ... يُلَطِّمُهن بالخُمُرِ النساءُ

فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «ادخُلوها مِن حيث قال حسانُ».

وقال محمدُ بنُ إسحاقَ(6): حدَّثنى يَحيى بنُ عبَّادِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ الزُّبيرِ، عن أبيه، عن جدَّتِه أسماءَ بنتِ أبى بكرٍ، قالت: لمَّا وقَف رسولُ اللَّهِ ﷺ بذِى طُوًى، قال أبو قُحافةَ لابنةٍ له مِن أصغرِ ولدِه: أىْ بُنَيَّةُ، اظْهَرى بى على أبى قُبَيْسٍ. قالت: وقد كُفَّ بصرُه. قالتْ(7): فأشرَفَتْ به عليه، فقال: أىْ بنيةُ، ماذا تَرَينَ؟ قالتْ: أرَى سَوادًا مُجْتَمِعًا. قال: تلك الخيلُ. قالت: وأرَى رجلًا يَسْعَى بينَ [3/136ظ] يَدَى ذلك السَّوادِ مُقْبِلًا ومُدْبِرًا. قال: أىْ بنيةُ، ذلك الوازِعُ. يعنِى الذى يأمُرُ الخيلَ ويَتَقَدَّمُ إليها. ثم قالت: قد واللَّهِ انتَشَر السَّوادُ.

(1 - 1) سقط من: ا4، ص.
(2) فى الأصل، م: «وأتى».
(3) يلطمن وجوه الخيل: ينفضن ما عليها من الغبار. انظر النهاية 4/ 251.
(4) فى الأصل، م: «كنفى».
(5) فى هذا البيت إقواء. والقصيدة قافيتها الهمزة المضمومة. انظر ديوان حسان ص 71 - 77.
(6) سيرة ابن هشام 2/ 405، 406.
(7) أى أسماء بنت أبى بكر.

فقال: قد واللَّهِ إذنْ دَفَعتِ الخيلُ[1]، فأسرِعى بى إلى بيتى. فانحطَّتْ به، وتلَقَّاه الخيلُ قبلَ أن يَصِلَ إلى بيتِه. قالت: وفى عُنُقِ الجاريةِ طَوْقٌ مِن وَرِقٍ[2]، فتَلَقَّاها رجلٌ فيَقْتَطِعُه مِن عنقِها. قالت: فلمَّا دخَل رسولُ اللَّهِ ﷺ مكةَ ودخَل المسجدَ، أتَى أبو بكرٍ بأبيه يَقُودُه، فلمَّا رآه رسولُ اللَّهِ ﷺ قال: «هلَّا ترَكْتَ الشَّيخَ فى بيتِه حتى أكونَ أنا آتِيه فيه؟» قال أبو بكرٍ: يا رسولَ اللَّهِ، هو أحقُّ أن يَمْشِىَ إليك مِن أن تَمْشِىَ أنت إليه. [3]قال: فقالت[3]: فأجلَسه بينَ يَدَيه، ثُم مسَح صدرَه، ثُم قال: «أسلِمْ». فأسلَم. قالت: ودخَل به أبو بكرٍ، وكان رأسُه كالثَّغامةِ[4] بَياضًا، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «غَيِّرُوا هذا مِن شَعْرِه». ثُم قام أبو بكرٍ، فأخَذ بيدِ أختِه، وقال: أنشُدُ اللَّهَ والإسلامَ طَوْقَ أختى. فلم يُجِبْه أحدٌ، قالت[5]: فقال: أىْ أُخَيَّةُ، احتَسِبى طَوْقَكِ، فواللَّهِ إن الأمانةَ فى الناسِ اليومَ لَقليلٌ. يعنِى الصِّدِّيقُ ذلك اليومَ على التَّعيِينِ؛ لأن الجيشَ فيه كثرةٌ، ولا يَكادُ أحدٌ يَلْوِى على أحدٍ مع انتِشارِ الناسِ، ولعل الذى أخَذه تأوَّل أنَّه مِن حربىٍّ. واللَّهُ أعلمُ.

وقال الحافظُ البيهقىُّ[6]: ثنا أبو عبدِ اللَّهِ الحافظُ، ثنا أبو العبَّاسِ الأصَمُّ، ثنا بحرُ بنُ نصرٍ، ثنا ابنُ وهبٍ، أخبرَنى ابنُ جُرَيْجٍ، عن أبى الزُّبيرِ، عن جابرٍ أن عمرَ بنَ الخطابِ أخَذ بيدِ أبى قُحافةَ، فأتَى به النبىَّ ﷺ، فلمَّا وقَف به على

---

(١) دفعت الخيل: أى بدأت السير. انظر النهاية ٢/ ١٢٤.

(٢) أى فضّة.

(٣ - ٣) سقط من: م.

(٤) الثغامة: شجرة، وجمعها ثَغام، إذا يبست ابيضت أغصانها، فيُشَبَّه بها الشيب. شرح غريب السيرة ٣/ ٧٨.

(٥) سقط من: ١ ٤. وفى الأصل، م، ص: «قال». والمثبت من السيرة.

(٦) دلائل النبوة ٥/ ٩٦.

رسولِ اللَّهِ ﷺ قال : « غيِّروه ولا تُقرِّبوه سَوادًا » . قال ابنُ وهبٍ : وأخبَرنى عمرُ ابنُ محمدٍ ، عن زيدِ بنِ أسلمَ ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ هنَّأ أبا بكرٍ بإسلامِ أبيه .

قال ابنُ إسحاقَ(١) : فحدَّثنى عبدُ اللَّهِ بنُ أبى نَجيحٍ ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ حينَ فرَّق جيشَه مِن ذى طُوًى ، أمَر الزُّبيرَ بنَ العوَّامِ أن يَدْخُلَ فى بعضِ الناسِ مِن كُدًى(٢) ، وكان الزُّبيرُ على المُجَنِّبةِ اليُسْرَى ، وأمَر سعدَ بنَ عُبادةَ أن يدخُلَ فى بعضِ الناسِ مِن كَدَاءٍ(٣) .

قال ابنُ إسحاقَ(٤) : فزعَم بعضُ أهلِ العلمِ أن سعدًا حينَ وَجَّه داخلًا قال : اليومُ يومُ المَلْحمةِ ، [١٣٧/٣و] اليومَ تُسْتَحَلُّ الحُرْمةُ . فسمِعَها رجلٌ - قال ابنُ هشامٍ : يقالُ : إنه عمرُ بنُ الخطابِ - فقال : يا رسولَ اللَّهِ ، أتسْمَعُ ما يقولُ سعدُ بنُ عُبادةَ ؟! ما نأْمَنُ أن يكونَ له فى قريشٍ صَوْلَةٌ . فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ لعلىٍّ : « أدْرِكْه فخُذِ الرايةَ منه ، فكُن أنت تَدْخُلُ بها » .

قلتُ : وذكَر غيرُ محمدِ بنِ إسحاقَ(٥) ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ لما شَكَى إليه أبو سفيانَ قولَ سعدِ بنِ عُبادةَ حينَ مَرَّ به . وقال : يا أبا سفيانَ ، اليومُ يومُ المَلْحمةِ ، اليومَ تُسْتَحَلُّ الحُرْمةُ - يعنى الكعبةَ - فقال النبىُّ ﷺ : « بل هذا يومٌ تُعَظَّمُ فيه الكعبةُ » . وأمَر بالرايةِ - رايةِ الأنصارِ - أن تُؤْخَذَ مِن سعدِ بنِ عُبادةَ

---

(١) سيرة ابن هشام ٤٠٦/٢.

(٢) فى م : « كداء » .

(٣) فى م : « كُدى » .

(٤) سيرة ابن هشام ٤٠٦/٢، ٤٠٧.

(٥) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٣٨/٥ معلقًا ، عن عروة بن الزبير .

كالتأديبِ له ، ويقالُ : إنها دُفِعت إلى ابنِه قيسِ بنِ سعدٍ[1] . وقال موسى بنُ عقبةَ ، عن الزهريِّ[2] : دفَعها إلى الزُّبيرِ بنِ العوّامِ . فاللَّهُ أعلمُ .

[3] وذكَر الحافظُ ابنُ عساكرَ في ترجمةِ يعقوبَ بنِ إسحاقَ بنِ دينارٍ[4] ، ثنا عبدُ اللَّهِ بنُ السَّرِيِّ الأنطاكيُّ ، ثنا عبدُ الرحمنِ بنُ أبي الزِّنادِ ، وحدَّثني موسى ابنُ عقبةَ ، عن أبي الزبيرِ ، عن جابرِ بنِ عبدِ اللَّهِ ، قال : دفَع رسولُ اللَّهِ ﷺ الرايةَ يومَ فتحِ مكةَ إلى سعدِ بنِ عُبادةَ ، فجعَل يَهُزُّها ويقولُ : اليومُ يومُ المَلْحَمةِ ، يومٌ تُسْتَحَلُّ الحُرْمةُ . قال : فشَقَّ ذلك على قريشٍ وكبُر في نفوسِهم . قال : فعارَضت امرأةٌ رسولَ اللَّهِ ﷺ في مَسيرِه وأنشَأَت تقولُ :

يا نبيَّ الهُدَى إليك لَجَا[5] حَـ ـيُّ قريشٍ [6] ولاتَ حينَ لَجاءِ [6]
حينَ ضاقتْ عليهمُ سَعةُ الأر ضِ وعاداهمُ إلهُ[7] السماءِ
والتقَت حَلْقَتا البِطانِ على القو مِ ونُودُوا بالصَّيْلَمِ الصَّلْعاءِ[8][3]

---

(1) عزاه الحافظ في الفتح ٨/٩ إلى الأموي في مغازيه .
(2) أخرجه البيهقي في دلائل النبوة ٥/ ٤٤، عن موسى بن عقبة ، عن الزهري .
(٣ - ٣) سقط من : ا ٤، ص .
(4) لم نجد له ترجمة في تاريخ دمشق ، ولا في المختصر ، وعزاه الحافظ في الفتح ٨/٩ إلى ابن عساكر . وذكر السهيلي الأبيات - عدا بيتين - في الروض الأنف ٧/ ٩٩، ١٠٠، وذكر أن قائلها ضرار بن الخطاب . وقال الحافظ في الفتح في ذلك : وكأنه - أي ضرارا - أرسل به المرأة ؛ ليكون أبلغ في المعاطفة عليهم .
(5) لجا : أي لجأ بالهمز ، والتسهيل للوزن .
(٦ - ٦) في الأصل : « وأنت خير جاء » . ومعنى لات حين لجاء : أي ليس الوقت وقت لجوء .
(7) في الأصل : « أهل » .
(8) هذا البيت زيادة من : م . والبطان : الحزام الذي يجعل تحت بطن البعير ، يقال : التقت حلقتا البطان . للأمر إذا اشتدَّ . والصيلم : الداهية . والصلعاء : الداهية أيضا . انظر سبل الهدى والرشاد ٥/ ٤٢٤، والقاموس المحيط (ص ل ع) .

(١)إن سعدًا يريدُ قاصِمةَ الظَّهـ ـرِ بأهلِ الحَجونِ والبَطْحاءِ

خزرجىٌّ لو يستطيعُ مِن (٢)الغيـ ـظِ رَمانا بالنَّسْرِ والعَوَّاءِ(٢)

فانهَيَنْهُ فإنه الأسدُ الأسْـ ـوَدُ والليثُ والِغٌ فى الدماءِ

فلئن أقْحَم اللواءَ ونادى يا حُماةَ اللواءِ أهلَ اللواءِ

لتَكونَنَّ بالبِطاحِ قريشٌ بُقْعةَ(٣) القاعِ فى أكُفِّ الإماءِ

إنه مُصْلَتٌ يريدُ لها الرأْ ىَ صموتٌ كالحَيَّةِ الصَّمَّاءِ

قال: فلما سمِع رسولُ اللَّهِ ﷺ هذا الشعرَ دخَله رحمةٌ لهم ورأفةٌ بهم، وأمَر بالرايةِ فأُخِذت مِن سعدِ بنِ عُبادةَ، ودُفِعت إلى ابنِه قيسِ بنِ سعدٍ. قال: فيُرْوَى أنه، عليه الصلاةُ والسلامُ، أحَبَّ أن لا يُخَيِّبَها إذ رَغِبت إليه واستغاثت [٣/ ١٣٧ظ] به، وأحَبَّ (٤)أن لا يَغْضَبَ(٤) سعدٌ، فأخَذ الرايةَ منه فدفَعها إلى ابنِه(١).

قال ابنُ إسحاقَ(٥): وذكَر ابنُ أبى نَجِيحٍ فى حديثِه أن رسولَ اللَّهِ ﷺ أمَر خالدَ بنَ الوليدِ، فدخَل مِن اللِّيطِ أسفلَ مكةَ فى بعضِ الناسِ، وكان خالدٌ على المُجَنِّبَةِ اليمنى، وفيها: أسْلَمُ، وسُلَيْمٌ، وغِفارٌ، ومُزَيْنةُ، وجُهَيْنةُ، وقبائلُ مِن

(١ - ١) سقط من: ٤١، ص.

(٢ - ٢) فى الأصل: «البغض رمانا بالحم والعواء». والنسر: اسم نجم. والعواء: خمسة أنجم يقال لها: ورك الأسد. وقال السهيلى: قال أبو على القالى: من مد العوّاء فهى عنده فَعّال من عويت الشىء إذا لويت طرفه. وهذا حسن جدا ... والأصح: أن العواء من العُوَّة، والعُوَّة هى الدبر، فكأنهم سموها بذلك لأنها دبر الأسد من البروج. انظر سبل الهدى والرشاد ٥/ ٤٢٥، والروض الأنف ٧/ ١٠١.

(٣) فى الأصل: «نقعة».

(٤ - ٤) فى الأصل: «أن يسبق».

(٥) سيرة ابن هشام ٢/ ٤٠٧.

قبائلِ العربِ ، وأقْبَل أبو عُبَيدةَ بنُ الجَرَّاحِ بالصَّفِّ مِن المسلمين ، يَنْصَبُّ لمكةَ بينَ يَدَى رسولِ اللَّهِ ﷺ ، ودخَل رسولُ اللَّهِ ﷺ مِن أَذاخِرَ ، حتى نزَل بأعلى مكةَ ، فضُرِبت له هنالك قُبَّتُه .

ورَوى البخاريُّ[1] ، مِن حديثِ الزهريِّ ، عن عليِّ بنِ الحُسَيْنِ ، عن عمرِو ابنِ عثمانَ ، عن أسامةَ بنِ زيدٍ ، أنه قال زمَن الفتحِ : يا رسولَ اللَّهِ ، أين تَنْزِلُ غدًا ؟ فقال : « وهل ترَك لنا عَقِيلٌ مِن رِباعٍ ؟ »[2] . ثم قال : « لا يَرِثُ المؤمنُ الكافرَ ولا الكافرُ المؤمنَ » .

ثم قال البخاريُّ[3] : ثنا أبو اليَمانِ ، ثنا شُعَيبٌ ، ثنا أبو الزِّنادِ[4] ، عن عبدِ الرحمنِ ، عن أبي هريرةَ ، عن النبيِّ ﷺ قال : « منزِلُنا - إن شاء اللَّهُ ، إذا فتَح اللَّهُ - الخَيْفُ ، حيثُ تَقاسَموا على الكفرِ » .

وقال الإمامُ أحمدُ[5] : ثنا يونُسُ ، ثنا إبراهيمُ ، يعنى ابنَ سعدٍ ، عن الزُّهْرىِّ ، عن أبى سَلَمةَ ، عن أبى هريرةَ قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « منزِلُنا غدًا ، إن شاء اللَّهُ ، بخَيْفِ بنى كِنانةَ حيث تَقاسَموا على الكفرِ » . ورواه البخاريُّ مِن حديثِ إبراهيمَ بنِ سعدٍ ، به نحوَه[6] .

وقال ابنُ إسحاقَ[7] : وحدَّثنى عبدُ اللَّهِ بنُ أبى نَجِيحٍ وعبدُ اللَّهِ بنُ أبى

---

(١) البخارى (١٥٨٨، ٤٢٨٢) .
(٢) الرباع : جمع رَبْع ، وهو المنزل المشتمل على أبيات . وقيل : هو الدار . فتح البارى ٣/ ٤٥٢.
(٣) البخارى (٤٢٨٤) .
(٤) فى النسخ : « أبو الزبير » . والمثبت من صحيح البخارى .
(٥) المسند ٢/ ٣٥٣.
(٦) البخارى (٤٢٨٥) .
(٧) سيرة ابن هشام ٢/ ٤٠٧، ٤٠٨.

بكرٍ، أن صَفْوانَ بنَ أمية، وعِكْرِمةَ بنَ أبى جهلٍ، وسُهَيْلَ بنَ عمرٍو كانوا قد جَمعوا ناسًا بالخَنْدَمةِ[1] ليُقاتِلوا، وكان حِماسُ بنُ قيسِ بنِ خالدٍ، أخو بنى بكرٍ يُعِدُّ سلاحًا قبلَ قدومِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ويُصْلِحُ منه، فقالت له امرأتُه: لماذا تُعِدُّ ما أَرَى؟ قال: لمحمدٍ وأصحابِه. فقالت: واللَّهِ ما أَرَى يقومُ لمحمدٍ وأصحابِه شىءٌ. قال: واللَّهِ إنى لأَرْجو أن أُخْدِمَكِ بعضَهم. ثم قال:

إن يُقْبِلوا اليومَ فما لى عِلَّهْ ... هـذا سـلاحٌ كـامـلٌ وأَلَّـهْ[2]

وذو غِـرارَيْن[3] سـريعُ السَّـلَّهْ

قال: ثم شهِد الخَنْدَمةَ مع صفوانَ وعكرمةَ وسُهَيلٍ، فلما لَقِيَهم المسلمون مِن أصحابِ خالدٍ، ناوَشوهم شيئًا مِن قتالٍ، فقُتِل كُرْزُ بنُ جابرٍ، أحدُ بنى مُحارِبِ بنِ فِهْرٍ، وخُنَيْسُ[4] بنُ خالدِ بنِ رَبيعةَ بنِ أَصْرَمَ، حليفُ بنى مُنْقِذٍ، وكانا فى جيشِ[5] خالدٍ، فشَذَّا [٣/١٣٨و] عنه، فسلَكا غيرَ طريقِه، فقُتِلا جميعًا، (6)وكان قبلَ كُرْزٍ قُتِلَ خُنَيْسٌ(6). قالا[7]: وقُتِل مِن خيلِ خالدٍ أيضًا

(١) الخندمة، بفتح أوله: جبل بمكة. معجم البلدان ٢/ ٤٧٦.

(٢) الألة: الحربة لها سنان طويل. شرح غريب السيرة ٣/ ٧٨.

(٣) ذو غرارين: يعنى سيفا، والغرار: حد السيف. المصدر السابق.

(٤) سقط من: ا ٤. وفى الأصل، م: «حنيش»، وفى ص: «حنيس». والمثبت من السيرة، وقد اختلف فى اسمه، فجزم فى الاستيعاب ١/ ٤٠٦ بأنه «حبيش»، وذكره فى أسد الغابة والإصابة فى «حبيش» و «خنيس». انظر أسد الغابة ١/ ٤٥١، ٢/ ١٤٧، والإصابة ٢/ ٢٧، ٣٨٢. وانظر ما تقدم فى صفحة ٥٤٣.

(٥) فى السيرة: «خيل».

(٦ - ٦) فى النسخ: «وكان قتل كرز قبل خنيس». ولعله حدث إبدال بين قبل وقتل، فالجملة رويت بالمعنى، ففى السيرة: قُتِل خنيس بن خالد قبل كرز بن جابر، فجعله كرز بن جابر بين رجليه، ثم قاتل عنه حتى قتل.

(٧) أى عبد اللَّه بن أبى نجيح وعبد اللَّه بن أبى بكر.

سَلَمةُ بنُ المَيْلاءِ الجُهَنيُّ ، وأُصِيب مِن المشركين قريبٌ مِن اثنَىْ عشَرَ أو ثلاثةَ عشَرَ ، ثم انهَزَموا ، فخرَج حِماسٌ مُنْهزِمًا حتى دخَل بيتَه ، ثم قال لامرأتِه : أغْلقى علىَّ بابى . قالت : فأين ما كنتَ تقولُ ؟ فقال :

إنكِ لو شَهِدْتِ يومَ الخَنْدَمَهْ ... إذ فرَّ صفوانُ وفرَّ عكرمَهْ
وأبو يزيدَ قائمٌ كالمُوتَمَهْ[1] ... واستقْبَلَتْهم بالسيوفِ المُسْلِمَهْ
يقْطَعْنَ كلَّ ساعِدٍ وجُمْجُمَهْ ... ضَرْبًا فلا يُسْمَعُ إلا غَمْغَمَهْ[2]
لهم نَهِيتٌ خلفَنا وهَمْهَمَهْ[3] ... لم تَنْطِقى فى اللوْمِ أدنى كَلِمَهْ

قال ابنُ هشامٍ[4] : وتُرْوَى هذه الأبياتُ للرَّعَّاشِ الهُذَلىِّ .

قال[5] : وكان شِعارُ المهاجرين يومَ الفتحِ وحُنَيْنٍ والطائفِ : يا بنى عبدِ الرحمنِ . وشِعارُ الخزرجِ : يا بنى عبدِ اللَّهِ . وشِعارُ الأوسِ : يا بنى عُبَيْدِ اللَّهِ .

وقال الطبرانىُّ[6] : ثنا علىُّ بنُ سعيدٍ الرازىُّ ، ثنا أبو حسانَ الزِّيادىُّ ، ثنا شعيبُ بنُ صفوانَ ، عن عطاءِ بنِ السائبِ ، عن طاوُسٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، عن رسولِ اللَّهِ ﷺ قال : « إن اللَّهَ حرَّم هذا البلدَ يومَ خلَق السمواتِ والأرضَ

---

(١) الموتمة ، بفتح التاء : هى التى قتل زوجها فبقى لها أيتام . ومن قاله بكسر التاء ؛ فيعنى التى لها أيتام ، يقال منه : أيتَمَتْ ، فهى موتِم . شرح غريب السيرة ٣/ ٧٨.

(٢) الغمغمة : الكلام الذى لا يَبِين . وغمغم الأبطال : صوَّتوا عند القتال . انظر الوسيط (غ م م) .

(٣) النهيت : نوعٌ من صياح الأسد . والهمهمة : صوتٌ فى الصدر . شرح غريب السيرة ٣/ ٧٨، ٧٩.

(٤) سيرة ابن هشام ٢/ ٤٠٩.

(٥) أى ابن إسحاق . المصدر السابق .

(٦) المعجم الأوسط (٣٨٧٨) . قال الهيثمى فى المجمع ٣/ ٢٨٤: فيه عطاء بن السائب وقد اختلط .

وصاغه يومَ صاغ الشمسَ والقمرَ، وما حِيالَه مِن السماءِ حَرامٌ[1]، وإنه لا يَحِلُّ لأحدٍ قبلى، وإنما حَلَّ لى ساعةً مِن نَهارٍ، ثم عاد كما كان». فقيل له: هذا خالدُ بنُ الوليدِ يَقْتُلُ. فقال: «قمْ يا فلانُ فأْتِ خالدَ بنَ الوليدِ، فقل له فلْيَرْفَعْ يديه مِن القتلِ». فأتاه الرجلُ فقال: إن النبىَّ ﷺ يقولُ: اقْتُلْ مَن قدَرْتَ عليه. فقتَل سبعين إنسانًا، فأتَى النبىَّ ﷺ فذكَر ذلك له، فأَرْسَل إلى خالدٍ فقال: «ألم أنْهَك عن القتلِ؟» فقال: جاءنى فلانٌ فأمَرنى أن أَقْتُلَ مَن قدَرْتُ عليه. فأَرْسَل إليه[2]: «ألم آمُرْك؟» قال: أرَدْتَ أمرًا، وأراد اللَّهُ أمرًا، فكان أمْرُ اللَّهِ فوقَ أمرِك، وما استطَعْتُ إلا الذى كان. فسكَت عنه النبىُّ ﷺ، فما رَدَّ عليه شيئًا.

قال ابنُ إسحاقَ[3]: وقد كان رسولُ اللَّهِ ﷺ عهِد إلى أمرائِه أن لا يُقاتِلوا إلا مَن قاتَلهم، غيرَ أنه أهْدَر دمَ نفَرٍ سمَّاهم، وإن وُجِدوا تحتَ أَسْتارِ الكعبةِ، [١٣٨/٣ظ] وهم عبدُ اللَّهِ بنُ سعدِ بنِ أبى سَرْحٍ؛ كان قد أسْلَم وكتَب الوَحْىَ ثم ارْتَدَّ، فلما دخَل رسولُ اللَّهِ ﷺ مكةَ وقد أهْدَر دمَه، فرَّ إلى عثمانَ، وكان أخاه مِن الرَّضاعةِ، فلما جاء به ليَسْتَأْمِنَ له، صمَت عنه رسولُ اللَّهِ ﷺ طويلًا، ثم قال: «نعم». فلما انصرف مع عثمانَ قال رسولُ اللَّهِ ﷺ لمَن حولَه: «أما كان فيكم رجلٌ رَشيدٌ يقومُ إلى هذا حينَ رآنى قد صمَتُّ فيقْتُلَه». فقالوا: يا رسولَ اللَّهِ، هَلَّا أَوْمَأْتَ إلينا؟ فقال: «إن النبىَّ لا يقتُلُ

(١) وما حياله من السماء: أى ما قُبالَته فى السماء. انظر الوسيط (ح و ل).
(٢) أى أرسل إلى الرجل الذى بعثه إلى خالدٍ.
(٣) سيرة ابن هشام ٤٠٩/٢.

بالإشارةِ » . وفى روايةٍ[١] : « إنه لا ينْبَغى لنبىٍّ أن تكونَ له خائنةُ الأعينِ » .

قال ابنُ هشامٍ[٢] : وقد حسُن إسلامُه بعدَ ذلك ، وولَّاه عمرُ بعضَ أعمالِه ، ثم ولَّاه عثمانُ .

قلتُ : ومات وهو ساجدٌ فى صلاةِ الصبحِ ، أو بعدَ انقضاءِ صلاتِها فى بيتِه[٣] ، كما سيأتى بيانُه .

قال ابنُ إسحاقَ[٤] : وعبدُ اللَّهِ بنُ خَطَلٍ؛ رجلٌ مِن بنى تَيْمِ بنِ غالبٍ - قلتُ : ويقالُ : إن اسمَه عبدُ العُزَّى بنُ خَطَلٍ . ويَحْتَمِلُ أنه كان كذلك ، ثم لما أسلَم سُمِّىَ عبدَ اللَّهِ - ولما أسلم بعَثه رسولُ اللَّهِ ﷺ مُصَدِّقًا[٥] وبعَث معه رجلًا مِن الأنصارِ ، وكان معه مولًى له فغضِب عليه غَضْبةً فقتَله ، ثم ارتَدَّ مشركًا ، وكان له قَيْنَتان ؛ فَرْتَنَى وصاحبتُها ، فكانتا تُغَنِّيان بهجاءِ رسولِ اللَّهِ ﷺ والمسلمين ، فلهذا أهْدَر دمَه ودمَ قَيْنَتَيْه ، فقُتِل وهو مُتَعلِّقٌ بأسْتارِ الكعبةِ ، اشترك فى قتلِه أبو بَرْزَةَ الأسْلمىُّ وسعيدُ بنُ حُرَيْثٍ المخزومىُّ[٦] ، وقُتِلت إحدى قَيْنَتَيْه ، واسْتُؤْمِن للأخرى . قال[٧] : والحُوَيْرِثُ بنُ نُقَيْذِ[٨] بنِ وهبِ بنِ عبدِ بنِ[٩]

---

(١) بعده فى الأصل ، ص : « لهذا » . والرواية فى سنن أبى داود (٢٦٨٣، ٤٣٥٩) . صحيح (صحيح سنن أبى داود ٢٣٣٤، ٣٦٦٤) .
(٢) سيرة ابن هشام ٢/ ٤٠٩.
(٣) فى الأصل : « سنه » .
(٤) المصدر السابق ٢/ ٤٠٩ ، ٤١٠ .
(٥) المُصَدِّق : هو عامل الزكاة الذى يستوفيها من أربابها . النهاية ٣/ ١٨.
(٦) فى الأصل : « الأسلمى » .
(٧) سيرة ابن هشام ٢/ ٤١٠، ٤١١.
(٨) فى الأصل : « نفيل » .
(٩) سقط من : النسخ . والمثبت من سيرة ابن هشام .

قُصَيٍّ ، وكان ممن يُؤْذِى رسولَ اللَّهِ ﷺ بمكةَ ، ولما تحَمَّل العباسُ بفاطمةَ وأمِّ كُلْثومٍ ليذهَبَ بهما إلى المدينةِ يُلْحِقُهما برسولِ اللَّهِ ﷺ أولَ الهجرةِ ، نخَس بهما الحُوَيْرِثُ هذا ، الجملَ الذى هما عليه ، فسقَطتا إلى الأرضِ ، فلما أُهْدِر دمُه قتَله علىُّ بنُ أبى طالبٍ . قال : ومِقْيَسُ بنُ صُبَابةَ ؛ لأنه قتَل قاتلَ أخيه خطأً بعدَ ما أخَذ الديَةَ ، ثم ارتدَّ مُشْركًا ، قتَله رجلٌ مِن قومِه يقالُ له : نُمَيْلةُ بنُ عبدِ اللَّهِ . قال : وسارَةُ مَوْلاةٌ لبنى عبدِ المطلبِ ولعكرمةَ بنِ أبى جهلٍ ؛ لأنها كانت تُؤْذِى رسولَ اللَّهِ ﷺ وهى [٣/١٣٩و] بمكةَ .

قلتُ : وقد تقدم عن بعضِهم أنها التى تحَمَّلَت الكتابَ مِن حاطبِ بنِ أبى بَلْتَعَةَ[١] ، وكأنها عُفِىَ عنها أو هرَبت ثم أُهْدِر دمُها . واللَّهُ أعلمُ . فهرَبت حتى اسْتُؤْمِن لها مِن رسولِ اللَّهِ ﷺ فأمَّنها ، فعاشت إلى زمنِ عمرَ فأوْطَأها رجلٌ فرسًا[٢] فماتت . وذكَر السُّهيلىُّ[٣] أن فَرْتَنَى أسْلَمت أيضًا .

قال ابنُ إسحاقَ[٤] : وأما عكرمةُ بنُ أبى جهلٍ فهَرَب إلى اليمنِ ، وأسْلَمت امرأتُه أمُّ حَكِيمٍ بنتُ الحارثِ بنِ هشامٍ ، واستَأْمَنَت له مِن رسولِ اللَّهِ ﷺ فأمَّنه ، فذهَبت فى طَلَبِه ، حتى أتَتْ به رسولَ اللَّهِ ﷺ ، فأسْلَم .

وقال البيهقىُّ[٥] : أنبأنا أبو طاهرٍ محمدُ بنُ محمدِ بنِ مَحْمِشٍ[٦] الفقيهُ ،

---

(١) تقدم فى صفحة ٥٢١ .
(٢) سقط من : الأصل ، ص .
(٣) الروض الأنف ٧/ ١١١.
(٤) سيرة ابن هشام ٢/ ٤١٠.
(٥) دلائل النبوة ٥/ ٥٩، ٦٠.
(٦) فى م ، ص : « محمس » . وانظر سير أعلام النبلاء ١٧/ ٢٧٦.

أنبأنا أبو بكرٍ محمدُ بنُ الحسينِ القَطَّانُ ، أنبأنا أحمدُ بنُ يوسفَ السُّلَميُّ ، ثنا أحمدُ بنُ المُفضَّلِ ، ثنا أسْباطُ بنُ نَصْرٍ الهَمْدانيُّ ، قال : زعَم السُّدِّيُّ ، عن مُصْعَبِ بنِ سعدٍ ، عن أبيه ، قال : لما كان يومُ فتحِ[1] مكةَ آمن رسولُ اللَّهِ ﷺ الناسَ إلا أربعةَ نفَرٍ وامرأتين ، وقال : « اقتُلوهم وإن وجَدْتموهم مُتعلِّقِين بأسْتارِ الكعبةِ » . وهم عكرمةُ بنُ أبى جهلٍ ، وعبدُ اللَّهِ بنُ خَطَلٍ ، ومِقْيَس بنُ صُبابةَ ، وعبدُ اللَّهِ بنُ سعدِ بنِ أبى سَرْحٍ . فأما عبدُ اللَّهِ بنُ خَطَلٍ فأُدْرِك وهو مُتعلِّقٌ بأسْتارِ الكعبةِ ، فاسْتَبَق إليه سعيدُ بنُ حُرَيْثٍ وعَمَّارُ بنُ ياسرٍ ، فسبَق سعيدٌ عَمَّارًا ، وكان أشَبَّ الرجُلَيْن ، فقتَله ، وأما مِقْيَسٌ فأدْرَكه الناسُ فى السوقِ فقتَلوه ، وأما عكرمةُ فركِب البحرَ فأصابتهم قاصفٌ[2] ، فقال أهلُ السفينةِ [3]لأهلِ السفينةِ[3] : أخْلِصوا فإن آلهتَكم لا تُغْنِى عنكم شيئًا هلهنا . فقال عكرمةُ : واللَّهِ لئن لم يُنْجِ فى البحرِ إلا الإخلاصُ فإنه لا يُنْجِى فى البَرِّ غيرُه ، اللهم إنَّ لك علىَّ عهدًا إن أنت عافيْتَنى مما أنا فيه ، أن آتىَ محمدًا حتى أضَعَ يدى فى يدِه فلأَجِدَنَّه عفُوًّا كريمًا . فجاء فأسلم ، وأما عبدُ اللَّهِ بنُ سعدِ بنِ أبى سَرْحٍ فإنه اخْتَبأ عندَ عثمانَ بنِ عفانَ ، فلما دَعا رسولُ اللَّهِ ﷺ الناسَ إلى البيعةِ جاء به حتى أوْقَفه على النبىِّ ﷺ فقال : يا رسولَ اللَّهِ ، بايِعْ عبدَ اللَّهِ . فرفَع رأسَه فنظَر إليه ثلاثًا ، كلُّ ذلك يأْبَى ، فبايَعه بعدَ ثلاثٍ ، ثم أقْبَل على

---

(١) سقط من : الأصل ، م .

(٢) فى الدلائل : « عاصف » . والقاصف : من القَصْف ؛ وهو شدة صوت الرعد . وقد يكون القصف صفة للريح ، فيكون معناه : شدة هبوب الريح بصوت قوى ، أو هبوبها شديدة مع كسر ما تمر به من شجر ونحوه . انظر الوسيط (ق ص ف) .

(٣ - ٣) سقط من : الأصل ، ١ ٤ . ومعناه : قال بعض أهل السفينة لبعضهم الآخر . كما فسرته رواية الحاكم فى المستدرك ٣/٢٤١ من حديث عروة .

أصحابِه فقال : « أما كان فيكم رجلٌ رَشيدٌ يقومُ إلى هذا حينَ رآنى كففْتُ يدى عن بيعتِه [٣/ ١٣٩ظ] فيقتُلَه ؟ » فقالوا : ما يُدْرِينا يا رسولَ اللَّهِ ما فى نفسِك ، هَلَّا أوْمَأْتَ إلينا بعينِك ؟ فقال : « إنه لا ينْبَغى لنبىٍّ أن تكونَ له خائنةُ الأعْيُنِ » . ورَواه أبو داودَ والنَّسائىُّ مِن حديثِ أحمدَ بنِ المُفَضَّلِ[١] به نحوَه[٢] .

وقال البيهقىُّ[٣] : أنبأنا أبو عبدِ اللَّهِ الحافظُ ، أنبأنا أبو العباسِ الأصَمُّ ، أنبأنا أبو زُرْعَةَ الدِّمَشقىُّ ، ثنا الحسنُ بنُ بشرٍ الكوفىُّ ، ثنا الحَكَمُ بنُ عبدِ الملكِ ، عن قتادةَ ، عن أنسِ بنِ مالكٍ قال : أمَّن رسولُ اللَّهِ ﷺ الناسَ يومَ فتحِ مكةَ إلا أربعةً ؛ عبدَ العُزَّى بنَ خَطَلٍ ، ومِقْيَسَ بنَ صُبابةَ ، وعبدَ اللَّهِ بنَ سعدِ بنِ أبى سَرْحٍ ، وأمَّ سارَةَ ؛ فأمَّا عبدُ العُزَّى بنُ خَطَلٍ فإنه قُتِل وهو مُتَعلِّقٌ بأسْتارِ الكعبةِ . قال : ونذَر رجلٌ [٤]مِن الأنصارِ[٤] أن يقْتُلَ عبدَ اللَّهِ بنَ سعدِ بنِ أبى سَرْحٍ إذا رآه ، وكان أخا عثمانَ بنِ عفانَ مِن الرَّضاعةِ ، فأتَى به رسولَ اللَّهِ ﷺ ليَشْفَعَ له ، فلما بَصُر به الأنصارىُّ اشْتَمل على السيفِ ، ثم أتاه فوجَده فى حَلْقةِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فجعَل يتَرَدَّدُ ويَكْرَهُ أن يُقْدِمَ عليه[٥] ، فبسَط النبىُّ ﷺ يدَه[٦] فبايَعه ، ثم قال للأنصارىِّ : « قد انتَظَرْتُك أن تُوفِىَ بنذرِك » . قال : يا رسولَ اللَّهِ ، هِبْتُك[٧] ، أفلا أومَضْتَ[٨] إلىَّ ؟ قال : « إنه ليس للنبىِّ

---

(١) فى الأصل : « الفضل » . وانظر تهذيب الكمال ١/ ٤٨٧ .
(٢) أبو داود (٢٦٨٣) ، والنسائى (٤٠٧٨) . صحيح (صحيح سنن أبى داود ٢٣٣٤) .
(٣) دلائل النبوة ٥/ ٦٠، ٦١ .
(٤ - ٤) سقط من النسخ . والمثبت من الدلائل .
(٥) بعده فى الدلائل : « لأنه فى حلقة النبى ﷺ » .
(٦) سقط من : الأصل ، ١ ، ٤١ ، م .
(٧) سقط من : ٤١ ، ص .
(٨) كذا فى النسخ . وفى الدلائل : « أومأت » . أفلا أومضت : أفلا أشرت إلىّ إشارة خفية . يقال :=

أن يُومِضَ[1] » . وأما مِقْيَسُ بنُ صُبابةَ ، فذكَر[2] قصتَه فى قتلِه رجلًا مسلمًا بعدَ إسلامِه ، ثم ارْتدادِه بعدَ ذلك . قال : وأما أمُّ سارَةَ فكانت مَوْلاةً لقريشٍ ، فأتَت النبيَّ ﷺ فشكَت إليه الحاجةَ [3]فأعْطاها شيئًا[3] ، ثم بعَث معها رجلٌ بكتابٍ إلى أهلِ مكةَ . فذكَر[4] قصةَ حاطبِ بنِ أبى بَلْتَعةَ .

ورَوى محمدُ بنُ إسحاقَ[5] ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ أبى بكرِ بنِ محمدِ بنِ عمرِو ابنِ حَزْمٍ ، أن مِقْيَسَ بنَ صُبابةَ قُتِل أخوه هشامٌ يومَ بنى المُصْطَلِقِ ، قتَله رجلٌ مِن المسلمين وهو يَظُنُّه مُشْركًا ، فقدِم مِقْيَسٌ مُظْهِرًا للإسلامِ ليَطْلُبَ ديةَ أخيه ، فلما أخَذها عدَا على قاتلِ أخيه فقتَله ، ورجَع إلى مكةَ مُشْركًا ، فلما أَهْدر رسولُ اللَّهِ ﷺ دمَه قُتِل وهو بينَ الصَّفا والمروةِ .

وقد ذكَر ابنُ إسحاقَ والبيهقىُّ[6] شعرَه حينَ قتَل قاتلَ أخيه ، وهو قولُه :

شفَى النفسَ مَن[7] قد بات بالقاعِ مُسْنَدًا ... يُضَرِّجُ ثَوْبَيْه دماءُ الأخادِعِ[8]

وكانت همومُ النفسِ مِن قبلِ قتلِه ... تُلِمُّ وتُنْسِينى[9] وِطاءَ المَضاجعِ[10]

= أومض البرق وومض إيماضًا ووميضًا . إذا لمع لمعًا خفيا ولم يَعْتَرِض . انظر النهاية ٥/ ٢٣٠.

(١) كذا فى النسخ . وفى الدلائل : « يومئ » .

(٢) أى البيهقى .

(٣ - ٣) سقط من : الأصل ، ١٤.

(٤) هذا لفظ البيهقى ، والضمير عائد على أنس .

(٥) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٥/ ٦١، من طريق محمد بن إسحاق به .

(٦) سيرة ابن هشام ٢/ ٢٩٣، ٢٩٤، ودلائل النبوة للبيهقى ٥/ ٦١ بإسناده السابق .

(٧) كذا فى النسخ . وفى السيرة والدلائل : « أن » .

(٨) القاع : المنخفض من الأرض . ويضرج : يلطخ . والأخادع : عروق فى القفا ، وإنما هما أخدعان ، فجَمَعَهما مع ما يليهما . انظر شرح غريب السيرة ٣/ ٤٠، ٤١.

(٩) كذا فى النسخ والدلائل . وفى السيرة : « تحمينى » . وتحمينى : أى تمنعنى . المصدر السابق ٣/ ٤١.

(١٠) تلم : تنزل وتزور . ووطاء المضاجع : ليِّناتُها . المصدر السابق .

[٣/ ١٤٠و] قتَلْتُ[١] به فِهْرًا وغرَّمْتُ[٢] عَقْلَه ... سَراةَ بنى النَّجَّارِ أرْبابَ فارِعِ[٣]
حلَلْتُ به نَذْرى[٤] وأدْرَكْتُ ثُؤْرتى[٥] ... وكنتُ إلى الأوثانِ أولَ راجِعِ

قلتُ: وقيل[٦]: إن القَيْنَتَيْن اللتين أُهْدِر دمُهما كانتا لمِقْيَسِ بنِ صُبابةَ هذا، وإن ابنَ عمِّه قتَله بينَ الصفا والمروةِ. وقال بعضُهم[٧]: قتَل ابنَ خَطَلٍ الزبيرُ بنُ العوامِ، رَضِىَ اللَّهُ عنه.

قال ابنُ إسحاقَ[٨]: حدَّثنى سعيدُ بنُ أبى هندَ، عن أبى مُرَّةَ مولى عَقيلِ ابنِ أبى طالبٍ، أن أمَّ هانئٍ ابنةَ أبى طالبٍ قالت: لما نزَل رسولُ اللَّهِ ﷺ بأعْلى مكةَ فرَّ إلىَّ رجلان مِن أحْمائى[٩] (١٠ مِن بنى مَخْزومٍ ١٠). قال ابنُ هشامٍ: هما الحارثُ بنُ هشامٍ وزهيرُ بنُ أبى أميةَ بنِ المغيرةِ. قال ابنُ إسحاقَ: وكانت عندَ هُبَيْرَةَ بنِ أبى وهبٍ المخزومىِّ، قالت: فدخَل علىَّ أخى علىُّ بنُ أبى طالبٍ فقال: واللَّهِ لأقتُلُهما. فأغْلَقْتُ عليهما بابَ[١١] بيتى، ثم جئتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ وهو بأعلى مكةَ، فوجَدْتُه يغْتَسِلُ مِن جَفْنةٍ، إنَّ فيها لأثَرَ

---

(١) كذا فى النسخ والدلائل. وفى السيرة: «ثأرت».
(٢) كذا فى النسخ والدلائل. وفى السيرة: «حملت».
(٣) العقل هنا: الدِّيَة. وسراة بنى النجار: خيارهم. وفارع: اسم حصن لهم. المصدر السابق.
(٤) كذا فى النسخ والدلائل. وفى السيرة: «وترى». والوتر: طلب الثأر. المصدر السابق.
(٥) الثؤرة: الثأر. المصدر السابق.
(٦) انظر ما أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٥/ ٦٢، ٦٣.
(٧) المصدر السابق.
(٨) سيرة ابن هشام ٢/ ٤١١.
(٩) حَمْوُ المرأة وحَمُوها وحماها: أبو زوجها وأخو زوجها، وكذلك من كان من قِبَله. وكل من وَلِى الزوج من ذى قرابته فهم أحماء المرأة. اللسان (ح م و).
(١٠ - ١٠) سقط من: ص.
(١١) سقط من: الأصل، ا ٤، ص.

العجينِ ، وفاطمةُ ابنتُه تسترُه بثوبِه ، فلما اغتسل أخَذ ثوبَه فتوشَّح به ، ثم صلى ثمانيَ رَكَعاتٍ مِن الضُّحَى ، ثم انصرف إلىَّ ، فقال : « مرحبًا وأهلًا بأمِّ هانئٍ، ما جاء بكِ ؟ » فأخبَرْتُه خبرَ الرجلين وخبرَ علىٍّ ، فقال : « قد أجَرْنا مَن أجَرْتِ وأمَّنَّا مَن أمَّنْتِ ، فلا يَقْتُلُهما » .

وقال البخاريُّ[1] : ثنا أبو الوليدِ ، ثنا شعبةُ ، عن عمرِو بنِ مُرَّةَ ، عن ابنِ أبى ليلى قال : ما أخبَرَنا أحدٌ أنه رَأَى النبىَّ ﷺ يُصَلِّى الضُّحَى غيرَ أمِّ هانئٍ، فإنها ذكَرت أنه[2] يومَ فتحِ مكةَ[3] اغتَسَل فى بيتِها، ثم صلَّى ثمانىَ رَكَعاتٍ . قالت : ولم أرَه صلَّى صلاةً أخفَّ منها ، غيرَ أنه يُتِمُّ الركوعَ والسجودَ .

وفى « صحيحِ مسلمٍ »[4] مِن حديثِ الليثِ ، عن يزيدَ بنِ أبى حَبيبٍ ، عن سعيدِ[5] بنِ أبى هندَ ، أن أبا مُرَّةَ مولى عَقيلٍ حدَّثه أن أمَّ هانئٍ بنتَ أبى طالبٍ حدَّثته أنه لما كان عامُ الفتحِ ، فرَّ إليها رجلان مِن بنى مخزومٍ فأجارتْهما ، قالت : فدخَل علىَّ علىٌّ فقال : أقتُلُهما . فلما سمِعْتُه أتيتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ وهو بأعْلى مكةَ ، فلما رآنى رحَّب ، وقال : « ما جاء بكِ ؟ » قلتُ : يا نبىَّ اللَّهِ ، كنتُ أمَّنْتُ رجلين مِن أحْمائى ، فأراد علىٌّ قتلَهما . فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « قد أجَرْنا مَن أجَرْتِ (6يا أمَّ هانئٍ 6) » . ثم قام رسولُ اللَّهِ ﷺ إلى

---

(1) البخارى (٤٢٩٢) .
(2) سقط من : ٤١، م ، ص .
(3) بعده فى ٤١، م ، ص : « أن النبى ﷺ » .
(4) مسلم (٣٣٦/٧١) مختصرًا ، ومن طريق الليث أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٥/ ٨٠، ٨١، واللفظ له .
(5) فى م : « سعد » . وانظر تهذيب الكمال ١١/ ٩٣.
(6 - 6) زيادة من النسخ عما فى الدلائل .

غُسْلِه فستَرَت عليه فاطمةُ ، ثم أخَذ ثوبًا فالتَحَف به ، ثم صلى ثمانىَ رَكَعاتٍ سُبْحةَ الضُّحَى .

وفى روايةٍ[1] : أنها دخَلت عليه وهو يغْتَسِلُ وفاطمةُ ابنتُه تسْتُرُه بثوبٍ ، فقال : [٣/١٤٠ظ] « مَن هذه ؟ » قالت : أمُّ هانئٍ. قال : « مرحبًا بأمِّ هانئٍ » . قالت : يا رسولَ اللَّهِ ، زعَم ابنُ أمِّى علىُّ بنُ أبى طالبٍ أنه قاتلٌ [(٢] رجلين قد أجَرْتُهما[٢)] . فقال : « قد أجَرْنا مَن أجَرْتِ يا أمَّ هانئٍ » . قالت : ثم صلى ثمانىَ رَكَعاتٍ ، وذلك ضُحًى . فظَنَّ كثيرٌ مِن العلماءِ أن هذه كانت صلاةَ الضحى . وقال آخرون[3] : بل كانت هذه صلاةَ الفتح . وجاء التصريحُ بأنه كان يُسَلِّمُ مِن كلِّ ركعتين[4] . وهو يَرُدُّ على السهيلىِّ[5] وغيرِه ممن يزْعُمُ أن صلاةَ الفتح تكونُ ثمانيًا بتسليمةٍ واحدةٍ ، وقد صلى سعدُ بنُ أبى وقاصٍ يومَ فتحِ المَدائنِ[6] فى إيوانِ كسرى ، ثمانىَ رَكَعاتٍ[7] ، [(٨]يُسَلِّمُ مِن كلِّ ركعتين[٨)] ، ولِلَّهِ الحمدُ .

قال ابنُ إسحاقَ[9] : وحدَّثنى محمدُ بنُ جعفرِ بنِ الزبيرِ ، عن عُبَيْدِ اللَّهِ بنِ

(١) البخارى (٣٥٧، ٣١٧١، ٦١٥٨) ، ومسلم (٣٣٦/٨٢) باب استحباب صلاة الضحى ..، من كتاب صلاة المسافرين وقصرها . واللفظ هنا بنحوه مع تقديم وتأخير .

(٢ - ٢) كذا فى النسخ . وفى الصحيحين : « رجلًا قد أجرته ؛ فلان بن هبيرة » .

(٣) انظر الروض الأنف ٧/ ١٠٨، وتاريخ الطبرى ٤/ ١٦، حوادث السنة السادسة عشرة .

(٤) أبو داود (١٢٩٠) . وقد صحح إسناده الإمام النووى ؛ قال : إسناد أبى داود فى هذا الحديث صحيح على شرط البخارى . انظر عون المعبود ١/ ٤٩٢.

(٥) انظر الروض الأنف ٧/ ١٠٨.

(٦) انظر تاريخ الطبرى ٤/ ١٦، حوادث السنة السادسة عشرة .

(٧) بعده فى ا ٤: « بتسليمة واحدة » .

(٨ - ٨) كذا فى النسخ . وفى تاريخ الطبرى : « لا يفصل بينهن » . وعلى هذا فليس يصلح ذلك بدليل للمصنف هنا ، على أنه يكفيه الاستدلال بما أورده من الحديث الذى فى سنن أبى داود . واللَّه تعالى أعلم .

(٩) سيرة ابن هشام ٢/ ٤١١، ٤١٢.

عبدِ اللَّهِ بنِ أبى ثَوْرٍ، عن صفيةَ بنتِ شَيْبَةَ أن رسولَ اللَّهِ ﷺ لما نزَل بمكةَ واطْمَأَنَّ الناسُ، خرَج حتى جاء البيتَ فطاف به سبعًا على راحلتِه، يَسْتَلِمُ الركنَ بِمِحْجَنٍ[1] فى يدِه، فلما قضَى طوافَه دعا عثمانَ بنَ طلحةَ فأخَذ منه مِفتاحَ الكعبةِ، ففُتِحتْ له فدخَلها فوجَد فيها حَمامةً مِن عِيدانٍ، فكسَرها بيدِه ثم طرَحها، ثم وقَف على بابِ الكعبةِ وقد استَكَفَّ[2] له الناسُ فى المسجدِ.

وقال موسى بنُ عقبةَ[3]: ثم سجَد سجدتين، ثم انصرف إلى زمزمَ فاطَّلع فيها ودَعا بماءٍ فشرِب منها وتوضأ، والناسُ يَبْتَدِرون وَضوءَه، والمشركون يتَعَجَّبون مِن ذلك، ويقولون: ما رأينا مَلِكًا قطُّ ولا سمِعْنا به - يعنى مثلَ هذا - . وأخَّر المَقامَ إلى مَقامِه اليومَ وكان مُلْصَقًا بالبيتِ.

قال محمدُ بنُ إسحاقَ[4]: فحدَّثنى بعضُ أهلِ العلمِ أن رسولَ اللَّهِ ﷺ قام على بابِ الكعبةِ فقال: «لا إلهَ إلا اللَّهُ وحدَه لا شريكَ له، صدَق وعْدَه، ونصَر عبدَه، وهزَم الأحزابَ وحدَه، ألا كلُّ مَأْثُرةٍ[5] أو دمٍ أو مالٍ يُدَّعَى فهو موضوعٌ[6] تحتَ قدمَىَّ هاتين، إلا سِدانةَ البيتِ وسِقايةَ الحاجِّ، ألا وقتيلُ الخطأ شبهِ العمْدِ بالسَّوْطِ والعَصا ففيه الديةُ مُغَلَّظةٌ؛ مائةٌ مِن الإبلِ؛ أربعون منها فى

---

(١) المحجن: عود معوج الطرف يمسكه الراكب للبعير فى يده. شرح غريب السيرة ٣/ ٧٩.

(٢) فى الأصل: «استلف». وفى ا ٤١: «اصطف». واستكف له الناس: أى أحدقوا به وتجمعوا حوله ينظرون إليه. انظر شرح غريب السيرة ٣/ ٧٩، والنهاية ٤/ ١٩٠.

(٣) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٥/ ٤٥، ٤٦، عن موسى بن عقبة.

(٤) سيرة ابن هشام ٢/ ٤١٢.

(٥) المأثرة: الخصلة المحمودة التى تُتوارث ويُتحدَّث بها. شرح غريب السيرة ٣/ ٧٩.

(٦) زيادة من النسخ عما فى السيرة.

بطونِها أولادُها ، يا معشرَ قريشٍ ، إن اللَّهَ قد أذْهَب عنكم نَخْوَةَ الجاهليةِ وتَعَظُّمَها بالآباءِ ، الناسُ مِن آدمَ وآدمُ مِن ترابٍ » ثم تلا هذه الآيةَ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ [٣/ ١٤١و] إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ ﴾ الآية كلَّها [الحجرات : ١٣] . ثم قال : « يا معشرَ قريشٍ ، ما ترَوْن أني فاعلٌ فيكم ؟ » قالوا : خيرًا ؛ أخٌ كريمٌ وابنُ أخٍ كريمٍ . قال : « اذْهَبوا فأنتم الطُّلَقاءُ » . ثم جلَس رسولُ اللَّهِ ﷺ في المسجدِ ، فقام إليه عليُّ بنُ أبي طالبٍ ومِفتاحُ الكعبةِ في يدِه ، فقال : يا رسولَ اللَّهِ ، اجْمَعْ لنا الحِجابةَ مع السِّقايةِ ، صلَّى اللَّهُ عليك . فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « أين عثمانُ بنُ طلحةَ ؟ » فدُعِيَ له فقال : « هاك مِفتاحَك يا عثمانُ ، اليومُ يومُ بِرٍّ ووَفاءٍ » .

وقال الإمامُ أحمدُ[1] : حدَّثنا سفيانُ ، عن ابنِ جُدْعانَ ، عن القاسمِ بنِ رَبيعةَ ، عن ابنِ عمرَ ، قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ ، يومَ فتحِ مكةَ ، وهو على دَرَجِ الكعبةِ : « الحمدُ للَّهِ الذي صدَق وعدَه ، ونصَر عبدَه ، وهزَم الأحْزابَ وحدَه ، ألا إن قتيلَ العمدِ الخطأَ بالسَّوْطِ أو العصا فيه مائةٌ مِن الإبلِ » . وقال مرةً أخرى : « مُغَلَّظةً فيها ، أربعون خَلِفةً[2] في بطونِها أولادُها ، ألا إن كلَّ مَأْثُرَةٍ كانت في الجاهليةِ ودمٍ ودَعْوى - وقال مرةً[3] : ومالٍ - تحتَ قدَميَّ هاتين ، إلا ما كان مِن سِقايةِ الحاجِّ وسِدانةِ البيتِ ، فإني[4] أمْضَيْتُهما لأهلِهما على ما كانت » . وهكذا رواه أبو داودَ والنَّسائيُّ وابنُ ماجه مِن حديثِ عليِّ بنِ زيدِ بنِ

---

(١) المسند ٢/ ١١. (صحيح) .

(٢) الخلفة : الحامل من النوق . النهاية ٢/ ٦٨.

(٣) بعده في المسند : « ودم » .

(٤) في الأصل ، ١٤، م : « فإنهما » .

جُدْعانَ، عن القاسمِ بنِ ربيعةَ بنِ جَوْشَنٍ الغَطفانيِّ، عن ابنِ عمرَ به[1].

قال ابنُ هشامٍ[2]: وحدَّثنى بعضُ أهلِ العلمِ أن رسولَ اللَّهِ ﷺ دخَل البيتَ يومَ الفتحِ، فرأى فيه صُوَرَ الملائكةِ وغيرِهم، ورأى إبراهيمَ، عليه السلامُ، مُصَوَّرًا فى يدِه الأَزْلامُ يسْتَقْسِمُ بها، فقال: «قاتَلهم اللَّهُ، جعَلوا شيخَنا يستَقْسِمُ بالأَزْلامِ، ما شأنُ إبراهيمَ والأزْلامِ؟! ﴿مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾» [آل عمران: ٦٧]. ثم أمَر بتلك الصُّورِ كلِّها فطُمِست.

وقال الإمامُ أحمدُ[3]: حدَّثنا سليمانُ، أنبأ عبدُ الرحمنِ، عن موسى بنِ عقبةَ، عن أبى الزبيرِ، عن جابرٍ قال: كان فى الكعبةِ صورٌ، فأمَر رسولُ اللَّهِ ﷺ (٤)عمرَ بنَ الخطابِ(٤) أن يَمْحُوَها، فبَلَّ عمرُ ثوبًا ومحاها به، فدخَلها رسولُ اللَّهِ ﷺ وما فيها منها شىءٌ.

وقال البخارىُّ[5]: حدَّثنا صَدَقةُ بنُ الفَضْلِ، ثنا ابنُ عُيَينةَ، عن ابنِ أبى نَجِيحٍ، عن مُجاهدٍ، عن أبى مَعْمَرٍ، عن عبدِ اللَّهِ - هو ابنُ مسعودٍ - قال: [٣/١٤١ظ] دخَل رسولُ اللَّهِ ﷺ مكةَ يومَ الفتحِ، وحولَ البيتِ ستون

---

(١) أبو داود (٤٥٤٩)، والنسائى (٤٨١٣)، وابن ماجه (٢٦٢٨). حسن (صحيح سنن ابن ماجه ٢١٢٧).

(٢) سيرة ابن هشام ٢/ ٤١٣.

(٣) المسند ٣/ ٣٩٦. وله شاهد من حديث جابر عند أبى داود (٤١٥٦). حسن صحيح (صحيح سنن أبى داود ٣٥٠٢).

(٤ - ٤) سقط من: الأصل، ا ٤١، م.

(٥) البخارى (٤٢٨٧).

وثلاثُمائةِ نُصُبٍ ، فجعَل يطْعُنُها بعُودٍ في يدِه ، ويقولُ : « جاء الحقُّ وزهَق الباطلُ ، جاء الحقُّ وما يُبْدِئُ الباطلُ وما يُعِيدُ » . وقد رَواه مسلمٌ مِن حديثِ ابنِ عُيَينةَ[1] .

ورَوَى البَيْهَقِيُّ[2] ، عن ابنِ إسحاقَ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ أبى بكرٍ ، عن عليِّ ابنِ عبدِ اللَّهِ بنِ عباسٍ ، عن أبيه قال : دَخَل رسولُ اللَّهِ ﷺ يومَ الفتحِ مكةَ ، وعلى الكعبةِ ثلاثُمائةِ صنمٍ ، فأخَذ قَضِيبَه فجعَل يَهْوِى به[3] إلى الصنمِ ، وهو يَهْوِى ، حتى مرَّ عليها كلِّها .

ثُم مِن طريقِ سُوَيْدٍ[4] ، عن القاسمِ بنِ عبدِ اللَّهِ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ دينارٍ ، عن ابنِ عمرَ ، أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ لمَّا دخَل مكةَ وجَد بها ثلاثَمائةٍ وستين صنمًا ، فأشار إلى كلِّ صنمٍ بعصًا وقال : « جاء الحقُّ وزَهَق الباطلُ ، إنَّ الباطلَ كان زَهُوقًا » . فكان لا يُشيرُ إلى صنمٍ إلا ويسْقُطُ مِن غيرِ أن يَمَسَّه بعصاه . ثُم قال[5] : وهذا وإن كان ضعيفًا ، فالذى قبلَه يُؤَكِّدُه .

وقال حنبلُ بنُ إسحاقَ[6] : أنبأنا أبو الربيعِ ، عن يعقوبَ القُمِّيِّ ، ثنا جعفرُ ابنُ أبى المغيرةِ ، عن ابنِ أبْزَى قال : لمَّا افْتَتَح رسولُ اللَّهِ ﷺ مكةَ ، جاءتْ عجوزٌ شَمْطاءُ حَبَشِيَّةٌ تَخْمِشُ وجهَها ، وتَدْعو بالويلِ ، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ :

---

(١) مسلم (١٧٨١) .
(٢) دلائل النبوة ٥/ ٧١، ٧٢.
(٣) سقط من : الأصل ، م .
(٤) بعده فى النسخ : « بن » . والحديث أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٧٢/٥ من طريق سويد به .
(٥) أى البيهقى .
(٦) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٥/ ٧٥، من طريق حنبل به .

« تلك نائلةُ ، أيِسَتْ أن تُعْبَدَ ببلدِكم هذا أبدًا » .

وقال ابنُ هشامٍ[(١)] : حدَّثنى مَن أثِقُ به مِن أهلِ الروايةِ فى إسنادٍ له ، عن ابنِ شهابٍ ، عن عُبَيْدِ اللَّهِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ عُتْبَةَ ، عن ابنِ عباسٍ أنَّه قال : دَخَل رسولُ اللَّهِ ﷺ مكةَ يومَ الفتحِ على راحلتِه ، فطاف عليها ، وحولَ الكعبةِ أصنامٌ مَشْدودةٌ بالرَّصاصِ ، فجعَل النبىُّ ﷺ يُشيرُ بقَضِيبٍ فى يدِه إلى الأصنامِ ويقولُ : « جاء الحقُّ وزهَق الباطلُ ، إنَّ الباطلَ كان زَهوقًا » . فما أشار إلى صنمٍ منها فى وجهِه إلَّا وَقَع لِقَفاهُ ، ولا أشار إلى قفاه إلّا وقَع لوجهِه ، حتى ما بَقِىَ منها صنمٌ إلَّا وقَع ، فقال تَميمُ بنُ أسدٍ الخُزاعىُّ :

وفى الأصنامِ مُعْتَبَرٌ وعِلْمٌ　　لِمَن يَرْجو الثوابَ أو العِقابَا

(٢)وفى « صحيحِ مسلمٍ »[(٣)] عن شَيْبانَ[(٤)] بنِ فَرُّوخَ ، عن سليمانَ بنِ المغيرةِ ، عن ثابتٍ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ رَباحٍ ، عن أبى هُريرةَ ، فى حديثِ فتحِ مكةَ ، قال : وأقْبَل رسولُ اللَّهِ ﷺ [٣/١٤٢و] حتى أقْبَل إلى[(٥)] الحَجَرِ فاسْتَلَمَه ، وطاف بالبيتِ ، وأتَى إلى صنمٍ إلى جنبِ البيتِ كانوا يَعْبُدُونه ، وفى يدِ رسولِ اللَّهِ ﷺ قوسٌ ، وهو آخذٌ بسِيَتِها[(٦)] ، فلمَّا أتَى على الصنمِ ، جَعَل[(٧)] يَطْعُنُ(٢)

---

(١) سيرة ابن هشام ٢/٤١٦، ٤١٧.

(٢ - ٢) سقط من : ا ٤.

(٣) مسلم (١٧٨٠) .

(٤) فى م : « سنان » . وانظر تهذيب الكمال ١٢/٥٩٨.

(٥) فى م : « على » .

(٦) سِيَة القوس : ما عُطِف من طرفيها . الوسيط (س ى ى) .

(٧) فى الأصل ، م : « فجعل » .

في عينِه ويقولُ: «جاء الحقُّ وزَهَق الباطلُ، إنَّ الباطلَ كان زَهوقًا». فلمّا فَرَغ مِن طَوافِه أتَى الصفا، فعلَا عليه، حتى نظَر إلى البيتِ، فرَفَع يديْه وجَعَل يَحْمَدُ اللَّهَ ويَدْعو بما شاء أن يَدْعُوَ[1].

وقال البخاريُّ[2]: ثنا إسحاقُ بنُ منصورٍ، ثنا عبدُ الصمدِ، ثنا أبى، ثنا أيوبُ، عن عكرمةَ، عن ابنِ عباسٍ، أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ لمَّا قَدِم مكةَ، أبَى أن يَدْخُلَ البيتَ وفيه الآلهةُ، فأَمَر بها فأُخْرِجَتْ، فأُخْرِج صورةُ إبراهيمَ وإسماعيلَ، عليهما السلامُ، وفى أيدِيهما مِن[3] الأزْلامِ، فقال: «قاتَلَهم اللَّهُ، لقد عَلِموا ما اسْتَقْسَما بها قطُّ». ثُم دخَل البيتَ، فكَبَّر فى نواحى البيتِ، وخَرَج ولم يُصَلِّ. تفرَّد به البخاريُّ دونَ مسلمٍ.

وقال الإمامُ أحمدُ[4]: ثنا عبدُ الصمدِ، ثنا هَمّامٌ، ثنا عطاءٌ، عن ابنِ عباسٍ، أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ دخَل الكعبةَ وفيها سِتُّ سَوارٍ، فقام إلى كلِّ ساريةٍ، فدعا ولم يُصَلِّ فيه. ورواه مسلمٌ، عن شَيْبانَ بنِ فَرُّوخَ، عن همامِ بنِ يحيى العَوْذىِّ، عن عطاءٍ به[5].

وقال الإمامُ أحمدُ[6]: حدَّثنا هارونُ بنُ مَعْروفٍ، ثنا ابنُ وهبٍ، أخبرَنى عمرُو بنُ الحارثِ، أنَّ بُكيرًا حدَّثه عن كُرَيْبٍ، عن ابنِ عباسٍ، أنَّ رسولَ اللَّهِ

(١ - ١) سقط من: ١٤.

(٢) البخارى (٤٢٨٨).

(٣) سقط من: الأصل، م.

(٤) المسند ١/ ٣١١. (إسناده صحيح).

(٥) مسلم (١٣٣١). وعنده: «فقام عند سارية».

(٦) المسند ١/ ٢٧٧. (إسناده صحيح).

ﷺ حينَ دخَل البيتَ وَجَد فيه صورةَ إبراهيمَ وصورةَ مريمَ، فقال: «أمَّا هم فقد سَمِعوا أنَّ الملائكةَ لا تَدْخُلُ بيتًا فيه صورةٌ، هذا إبراهيمُ مُصَوَّرًا، فما باله يَسْتَقْسِمُ ؟!». (١ وقد روَاه البخاريُّ والنسائيُّ مِن حديثِ ابنِ وهبٍ به ١)(٢).

وقال الإمامُ أحمدُ(٣): ثنا عبدُ الرزاقِ، أخبرَنا مَعْمرٌ، أخبرَنى عثمانُ الجَزَرِيُّ(٤)، أنَّه سَمِع مِقْسَمًا يُحدِّثُ عن ابنِ عباسٍ قال: دَخَل رسولُ اللَّهِ ﷺ البيتَ فدَعا فى نَواحِيه، ثُم خرَج فصَلَّى ركعتيْن. تفرَّد به أحمدُ.

وقال الإمامُ أحمدُ(٥): ثنا إسماعيلُ، أخبرَنا ليثٌ، عن مجاهدٍ، عن ابنِ عمرَ، أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ صَلَّى فى البيتِ ركعتيْن.

قال البخاريُّ(٦): وقال الليثُ: ثنا يونسُ، أخبرَنى نافعٌ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ عمرَ، أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ أقْبَل يومَ الفتحِ مِن أعلى [٣/ ١٤٢ظ] مكةَ على راحلتِه، مُرْدِفًا أسامةَ بنَ زيدٍ، (٧ ومعه بلالٌ ٧)، ومعه عثمانُ بنُ طلحةَ، مِن الحَجَبَةِ، حتى أناخ فى المسجدِ، فأمَرَه(٨) أن يَأْتِىَ(٩) بمِفتاحِ الكعبةِ، فدخَل ومعه أسامةُ بنُ زيدٍ

(١ - ١) سقط من: ا ٤.

(٢) البخارى (٣٣٥١). والنسائى فى الكبرى (٩٧٧٢).

(٣) المسند ١/ ٢٨٣. (صحيح لغيره). انظر المسند بتحقيق الشيخ شعيب ٤/ ٣٤١.

(٤) فى الأصل، م، ص: «الخزرجى». والمثبت من المسند. انظر الجرح والتعديل ٦/ ١٧٤.

(٥) المسند ٢/ ٥٠. (إسناده صحيح).

(٦) البخارى (٤٢٨٩) معلقا. قال الحافظ فى الفتح ٨/ ١٨: وهذه الطريق وصلها المؤلف فى الجهاد. انظر (٢٩٨٨) باب الردف على الحمار، من كتاب الجهاد.

(٧ - ٧) سقط من النسخ. والمثبت من صحيح البخارى.

(٨) فى النسخ: «فأمر». والمثبت من صحيح البخارى. والضمير فى قوله: «فأمره» يعود إلى عثمان بن طلحة.

(٩) فى ا ٤، م: «يؤتى».

وبلالٌ وعثمانُ بنُ طلحةَ، فمكَث فيه نهارًا طويلًا، ثُم خرَج فاسْتَبَق الناسُ، فكان عبدُ اللَّهِ بنُ عمرَ أولَ مَن دَخَل، فوجَد بلالًا وراءَ البابِ قائمًا، فسأَلَه: أين صلَّى رسولُ اللَّهِ ﷺ؟ فأشار له إلى المكانِ الذى صَلَّى فيه. قال عبدُ اللَّهِ: فنَسِيتُ أن أسأَلَه كم صلَّى مِن سجدةٍ.

ورَواه الإمامُ أحمدُ[١]، عن هُشَيْمٍ، ثنا غيرُ واحدٍ وابنُ عونٍ، عن نافعٍ، عن ابنِ عمرَ قال: دَخَل رسولُ اللَّهِ ﷺ البيتَ[٢] ومعه الفَضْلُ بنُ عباسٍ، وأسامةُ بنُ زيدٍ، وعثمانُ بنُ طَلْحةَ، وبلالٌ، فأَمَر بلالًا فأجاف عليهم البابَ[٣]، فمَكَثَ فيه ما شاء اللَّهُ، ثُم خرَج. قال ابنُ عمرَ: فكان أَوَّلُ مَن لَقِيتُ منهم بلالًا، فقلتُ: أين صَلَّى رسولُ اللَّهِ ﷺ؟ قال: هاهنا بينَ الأُسْطُوانتَيْن.

قلتُ: وقد ثَبَت فى «صحيحِ البخاريِّ» وغيرِه[٤]، أنَّه ﷺ صَلَّى فى الكعبةِ تِلْقاءَ وِجْهةِ بابِها مِن وراءِ ظهرِه، فجعَل عمودَيْن عن يمينِه، وعمودًا عن يسارِه، وثلاثةَ أعمدةٍ وراءَه، وكان البيتُ يومَئذٍ على ستةِ أعْمِدَةٍ، وكان بينَه وبينَ الحائطِ الغربيِّ مقدارُ ثلاثةِ أذْرُعٍ.

قال ابنُ هشامٍ[٥]: وحدَّثنى بعضُ أهلِ العلمِ، أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ دَخَل

---

(١) المسند ٢/ ٣. (إسناده صحيح).

(٢) سقط من: الأصل، ٤١، م.

(٣) أجاف عليهم الباب: أى رَدَّه عليهم. انظر النهاية ١/ ٣١٧.

(٤) البخارى (٥٠٥، ٥٠٦)، وأبو داود (٢٠٢٣، ٢٠٢٤)، والنسائى (٧٤٨) عن ابن عمر.

(٥) سيرة ابن هشام ٢/ ٤١٣.

الكعبةَ عامَ الفتحِ ومعه بلالٌ ، فأمَره أن يُؤَذِّنَ ، وأبو سفيانَ بنُ حربٍ وعَتَّابُ بنُ أَسِيدٍ والحارثُ بنُ هشامٍ جُلُوسٌ بفناءِ الكعبةِ ، فقال عَتَّابٌ : لقد أكْرَم اللَّهُ أَسِيدًا أن لا يكونَ سَمِع هذا ، فيَسْمَعَ[1] منه ما يَغِيظُه . فقال الحارثُ بنُ هشامٍ : أمَا واللَّهِ لو أعْلَمُ أنه مُحِقٌّ لَاتَّبَعْتُه . فقال أبو سفيانَ : لا أقولُ شيئًا ، لو تَكَلَّمْتُ لَأَخْبَرَتْ عنى هذه الحَصا . فخرَج عليهم رسولُ اللَّهِ ﷺ فقال : « قد علِمْتُ الذى قلتُم » . ثُم ذَكَرَ ذلك لهم ، فقال الحارثُ وعَتَّابٌ : نَشْهَدُ أنَّك رسولُ اللَّهِ ، ما اطَّلَع على هذا أحدٌ كان معنا فنقولَ : أخْبَرَك .

وقال يونسُ بنُ بُكيرٍ[2] ، عن ابنِ إسحاقَ ، حدَّثنى والدى ، حدَّثنى بعضُ آلِ جُبَيْرِ بنِ مُطْعِمٍ ، أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ لمَّا دَخَل مكةَ أمَر بلالًا ، فعلَا على الكعبةِ على ظهرِها ، فأذَّن عليها بالصلاةِ ، فقال بعضُ بنى سعيدِ بنِ العاصِ : لقد أكرَم اللَّهُ سعيدًا إذْ قَبَضه قبلَ أن يَرَى[3] هذا [٣/١٤٣و] الأسودَ على ظهرِ الكعبةِ .

وقال عبدُ الرزاقِ[4] ، عن معمرٍ ، عن أيوبَ قال : قال ابنُ أبى مُلَيْكةَ : أمَر رسولُ اللَّهِ ﷺ بلالًا فأذَّن يومَ الفتحِ فوقَ الكعبةِ ، فقال رجلٌ مِن قريشٍ للحارثِ بنِ هشامٍ : ألَا ترَى إلى هذا العبدِ أين صَعِد ؟! فقال : دَعْه ، فإن يكنِ اللَّهُ يَكْرَهْه ، فسيُغَيِّرُه .

---

(١) فى م : « سمع » .

(٢) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٥/ ٧٨، من طريق يونس بن بكير به .

(٣) فى النسخ : « يسمع » . والمثبت من الدلائل .

(٤) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٥/ ٧٩، من طريق عبد الرزاق به .

وقال يونسُ بنُ بكيرٍ وغيرُه[(1)]، عن هشامِ بنِ عروةَ، عن أبيه، أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ أَمَر بلالًا عامَ الفتحِ فأذَّن على الكعبةِ ليَغِيظَ به المشركين.

وقال محمدُ بنُ سعدٍ[(2)]، عن محمدِ بنِ عبيدٍ[(3)]، عن إسماعيلَ بنِ أبى خالدٍ، عن أبى إسحاقَ، أنَّ أبا سفيانَ بنَ حربٍ بعدَ فتحِ مكةَ كان جالسًا، فقال فى نفسِه: لو جَمَعْتُ لمحمدٍ جمعًا. فإنَّه لَيُحَدِّثُ نفسَه بذلك، إذ ضَرَب رسولُ اللَّهِ ﷺ بينَ كَتِفَيْه وقال: «إذًا يُخزِيَك اللَّهُ». قال: فرَفَع رأسَه، فإذا رسولُ اللَّهِ ﷺ قائمٌ على رأسِه، فقال: ما أيْقَنْتُ أنَّك نبيٌّ حتى الساعةِ.

قال البَيْهَقِيُّ[(4)]: وقد أخبَرنا أبو عبدِ اللَّهِ الحافظُ إجازةً، أنبأنا أبو حامدٍ أحمدُ (5)بنُ عليٍّ(5) بنِ الحسنِ المُقْرِئُ، أنبأنا أحمدُ بنُ يوسفَ السُّلَمِيُّ، ثنا محمدُ بنُ يوسفَ الفِرْيابيُّ، ثنا يونسُ بنُ أبى إسحاقَ، عن أبى السَّفَرِ، عن ابنِ عباسٍ قال: رَأَى أبو سفيانَ رسولَ اللَّهِ ﷺ يمشِي والناسُ يَطَئُون عَقِبَه، فقال بينَه وبينَ نفسِه: لو عاوَدْتُ هذا الرجلَ القِتالَ. فجاء رسولُ اللَّهِ ﷺ حتى ضَرَب بيدِه فى صدرِه فقال: «إذًا يُخْزِيَك اللَّهُ». فقال: أتوبُ إلى اللَّهِ، وأستَغفِرُ اللَّهَ مما تَفَوَّهْتُ به.

---

(1) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٥/ ٧٨، من طريق يونس بن بكير، وابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٠/ ٤٦٦، من طريق أبى معاوية، كلاهما عن هشام بن عروة به.

(2) بعده فى الأصل، م: «عن الواقدى». وبعده فى ص: «الواقدى». والحديث أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٥/ ١٠٢، وابن عساكر فى تاريخ دمشق ٢٣/ ٤٥٨، كلاهما من طريق ابن سعد به.

(3) فى الأصل، م: «حرب». وهو محمد بن عبيد الطنافسى، كما فى تاريخ دمشق. وانظر تهذيب الكمال ٢٦/ ٥٤.

(4) دلائل النبوة ٥/ ١٠٢.

(5 - 5) سقط من: م، ص. انظر سير أعلام النبلاء ١٥/ ٥٤٨ - ٥٥٠.

ثم روَى البيهقىُّ[(١)] ، مِن طريقِ ابنِ خُزَيْمَةَ وغيرِه ، عن أبى حامدٍ ابنِ الشَّرْقِىِّ ، عن محمدِ بنِ يَحْيَى الذُّهْلىِّ ، ثنا (٢محمدُ بنُ٢) موسى بنِ أَعْيَنَ الجَزَرِىُّ ، ثنا أبى ، عن إسحاقَ بنِ راشدٍ ، (٣عن الزُّهْرِىِّ٣) ، عن سعيدِ بنِ المسيَّبِ قال : لمَّا كان ليلةُ دَخَل الناسُ مكةَ ليلةَ الفتحِ ، لم يَزَالوا فى تكبيرٍ وتهليلٍ وطوافٍ بالبيتِ حتى أصْبَحوا ، فقال أبو سفيانَ لهندَ : أَتَرَيْن هذا مِن اللَّهِ ؟ قالتْ : نعم ، هذا مِن اللَّهِ . قال : ثُم أصبَح أبو سفيانَ فغدَا إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فقال له رسولُ اللَّهِ ﷺ : « قُلتَ لهندَ : أَتَرَيْنَ هذا مِن اللَّهِ ؟ قالت : نعم ، هذا مِن اللَّهِ » . فقال أبو سفيانَ : أشْهَدُ أنَّك عبدُ اللَّهِ ورسولُه ، والذى يُحْلَفُ به ما سَمِع قولى هذا أحدٌ مِن الناسِ غيرُ هندَ .

وقال البخارىُّ[(٤)] : ثنا إسحاقُ ، ثنا [٣/١٤٣ظ] أبو عاصمٍ ، عن ابنِ جُرَيْجٍ ، أخبَرنى حسنُ بنُ مسلمٍ ، عن مجاهدٍ ، أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال : « إنَّ اللَّهَ حَرَّم مكةَ يومَ خَلَق السماواتِ والأرضَ ، فهى حرامٌ بحَرامِ اللَّهِ إلى يومِ القيامةِ ، لم تَحِلَّ لأحدٍ قبلى ، ولا تَحِلُّ لأحدٍ بعدِى ، ولم تَحْلِلْ لى إلَّا ساعةً مِن الدَّهرِ ، لا يُنَفَّرُ صيدُها ، ولا يُعْضَدُ شَوْكُها ، ولا يُخْتَلَى خَلاها[(٥)] ، ولا تَحِلُّ لُقَطَتُها إلَّا لمُنْشِدٍ » . فقال العباسُ بنُ عبدِ المطلبِ : إلَّا الإذْخِرَ يا رسولَ اللَّهِ ؛ فإنَّه لابُدَّ منه

---

(١) دلائل النبوة ٥/ ١٠٢، ١٠٣.

(٢ - ٢) سقط من النسخ . والمثبت من الدلائل . انظر ترجمته فى تهذيب الكمال ٢٦/ ٥٢٢. وترجمة أبيه موسى فى ٢٩/ ٢٧.

(٣ - ٣) سقط من : م .

(٤) البخارى (٤٣١٣) .

(٥) فى م : « خلاؤها » . ولا يعضد : أى لا يُقطع بالمعضد ، وهو آلة كالفأس . ولا يختلى خلاها : الخلا هو الرطب من النبات . واختلاؤه : قطْعه واحتشاشه . انظر فتح البارى ١/ ١٩٨، ٤/ ٤٨.

للقَيْنِ[1] والبيوتِ . فسَكَت ثُم قال : « إلَّا الإذْخِرَ ، فإنَّه حَلالٌ » .

وعن ابنِ جُرَيْجٍ[2] ، أخبَرنى عبدُ الكريمِ - هو ابنُ مالكٍ الجَزَرِىُّ - عن عكرمةَ ، عن ابنِ عباسٍ بمِثْلِ هذا أو نحوِ هذا . ورواه أبو هريرةَ عن النبىِّ ﷺ[3] .
تفرَّد به البخارىُّ مِن الوجهِ الأوَّلِ ، وهو مرسلٌ ، ومِن الوجهِ الثانى أيضًا .

وبهذا الحديثِ[4] وأمثالِه اسْتَدَلَّ مَن ذهَب إلى أن مكةَ فُتِحت عَنْوةً ، وللوقعةِ التى كانت فى الخَنْدَمةِ ، كما تقدَّم ، وقد قُتِل فيها قريبٌ مِن عشرين نفْسًا مِن المسلمين والمشركين ، وهى ظاهرةٌ فى ذلك ، وهو مذهبُ جمهورِ العلماءِ . والمشهورُ عن الشافعىِّ أنها فُتِحت صُلحًا[5] ؛ لأنها لم تُقْسَمْ ، ولقولِه ﷺ ليلةَ الفتحِ : « مَن دخَل دارَ أبى سفيانَ فهو آمِنٌ ، ومَن دخَل الحَرَمَ فهو آمِنٌ ، ومَن أغلَق بابَه فهو آمنٌ » . وموضعُ تقريرِ هذه المسألةِ فى كتابِ « الأحكامِ الكبيرِ » ، إن شاء اللَّهُ تعالى .

وقال البخارىُّ[6] : ثنا سعيدُ بنُ شُرَحْبِيلَ ، ثنا الليثُ ، عن المَقْبُرِىِّ ، عن أبى شُرَيْحٍ العَدَوِىِّ[7] ، أنَّه قال لعمرِو بنِ سعيدٍ ، وهو يَبْعَثُ البُعُوثَ إلى مكةَ : ائْذَنْ

---

(١) فى الأصل : « القين » ، وفى م ، ص : « للدفن » . والقين : الحداد . قال الحافظ : قال ابن البيطار : والذى بمكة أجوده - أى الإذخر - وأهل مكة يَسْقُفون به البيوت بين الخشبِ ، ويسدون به الخلل بين اللبنات فى القبور ، ويستعملونه بدلا من الحَلْفَاء فى الوقود . فتح البارى ٤/ ٤٩.

(٢) قال الحافظ فى الفتح ٨/ ٤٩: هو موصول بالإسناد الذى قبله .

(٣) البخارى (١١٢) .

(٤) زيادة من : ا ٤، ص .

(٥) انظر الجوهر النقى بذيل السنن الكبرى للبيهقى ٩/ ١٢١.

(٦) البخارى (٤٢٩٥) .

(٧) فى م : « الخزاعى » .

لى أيُّها الأميرُ، أُحَدِّثْك قولًا قام به رسولُ اللَّهِ ﷺ الغدَ مِن يومِ الفتحِ، سَمِعَتْه أُذُنايَ ووَعاه قلبى وأبْصَرَتْه عيناىَ حينَ تكلَّم به؛ إنَّه حَمِد اللَّهَ وأثْنَى عليه ثُم قال: «إنَّ مكةَ حَرَّمها اللَّهُ ولم يُحَرِّمْها الناسُ، لا يَحِلُّ لامْرِئٍ يُؤْمِنُ باللَّهِ واليومِ الآخِرِ أن يَسْفِكَ بها دمًا، ولا يَعْضِدَ بها شجرًا، فإنْ أحدٌ تَرَخَّص لقتالِ[1] رسولِ اللَّهِ ﷺ فقولوا: إنَّ اللَّهَ أذِن لرسولِه ولم يَأْذَنْ لكم. وإنما أَذِن لى فيها ساعةً مِن نهارٍ، وقد عادتْ حُرمتُها اليومَ كحُرمتِها بالأمسِ، فلْيُبَلِّغِ الشاهدُ الغائبَ». فقيل لأبى شُرَيْحٍ: ماذا قال لك عمرٌو؟ قال: قال: أنا أعلَمُ بذلك منك يا أبا شُرَيْحٍ، إن الحَرَمَ لا يُعِيذُ عاصيًا ولا فارًّا بدمٍ، ولا فارًّا بخَرْبَةٍ[2].

ورَوى البخاريُّ [٣/١٤٤و] أيضًا ومسلمٌ، عن قتيبةَ، عن الليثِ بنِ سعدٍ به نحوَه[3].

وذَكَر ابنُ إسحاقَ[4] أن رجلًا يقالُ له: ابنُ الأثْوَعِ. قَتَل رجلًا فى الجاهليةِ مِن خُزاعةَ يقالُ له: أحمرُ بأْسًا. فلمَّا كان يومُ الفتحِ قتَلت خزاعةُ ابنَ الأثْوَعِ[5] وهو بمكةَ، قَتَله خِراشُ بنُ أميةَ، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «يا معشرَ خُزاعةَ، ارفَعوا أيديَكم عن القتلِ، لقد كثُر القتلُ إن نفَع[6]، لقد قتَلْتُم رجلًا لَأَدِيَنَّه».

---

(١) فى النسخ: «بقتال». والمثبت من صحيح البخارى.

(٢) فى النسخ: «بجزية». والمثبت من صحيح البخارى. وقد فسرها أبو عبد اللَّه البخارى كما فى بعض نسخ الصحيح قائلا: الخربة: البلِيَّة. انظر صحيح البخارى طبعة الشعب ٥/ ١٩٠.

(٣) البخارى (١٨٣٢)، ومسلم (١٣٥٤).

(٤) سيرة ابن هشام ٢/ ٤١٤، ٤١٥.

(٥) هنا وفيما يأتى، فى النسخ: «الأثوغ». والمثبت من السيرة.

(٦) فى ص: «يقع».

قال ابنُ إسحاقَ[1] : وحدَّثنى عبدُ الرحمنِ بنُ حَرْمَلَةَ الأسْلمىُّ ، عن سعيدِ بنِ المسيَّبِ قال : لمَّا بَلَغ رسولَ اللَّهِ ﷺ ما صنَع خِراشُ بنُ أميَّةَ قال : « إنَّ خِراشًا لَقتَّالٌ » .

وقال ابنُ إسحاقَ[2] : وحدَّثنى سعيدُ بنُ أبى سعيدٍ المَقْبُرىُّ ، عن أبى شُرَيْحٍ الخُزاعىِّ العَدَوىِّ قال : لمَّا قَدِم عمرُو بنُ الزبيرِ مكةَ لقتالِ أخيه عبدِ اللَّهِ بنِ الزبيرِ ، جِئتُه فقلتُ له : يا هذا ، إنّا كُنّا مع رسولِ اللَّهِ ﷺ حينَ افْتَتَح مكةَ ، فلمَّا كان الغدُ مِن يومِ الفتحِ ، عَدَتْ خُزاعةُ على رجلٍ مِن هُذَيْلٍ فقَتَلوه وهو مشركٌ ، فقام رسولُ اللَّهِ ﷺ فينا خطيبًا فقال : « يا أَيُّها الناسُ ، إن اللَّهَ قد حرَّم مكةَ يومَ خَلَق السماواتِ والأرضَ ، فهى حَرامٌ مِن حَرامِ اللَّهِ إلى يومِ القيامةِ ، فلا يَحِلُّ لامْرِئٍ يُؤمِنُ باللَّهِ واليومِ الآخرِ أن يَسْفِكَ فيها دمًا ، ولا يَعْضِدَ فيها شجرًا ، لم تَحْلِلْ لأحدٍ كان قبلى ، ولا تَحِلُّ لأحدٍ يكونُ بعدِى ، ولم تَحْلِلْ لى إلَّا هذه الساعةَ ؛ غضَبًا على أهلِها ، ألَا ثُمَّ قد رَجَعَتْ كحُرْمتِها بالأمسِ ، فلْيُبَلِّغِ الشاهدُ منكم الغائبَ ، فمَن قال لكم : إنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قد قاتَل فيها . فقولوا : إنَّ اللَّهَ قد أحلَّها لرسولِه ، ولم يُحِلَّها لكم . يا معشرَ خُزاعةَ ، ارفَعوا أيديَكم عن القتلِ فلقد كثُر إن نَفَع[3] ، لقد قتَلْتُم قتيلًا لَأَدِيَنَّه ، فمَن قُتِل بعدَ مقامى هذا فأهلُه بخيرِ النَّظَرَيْن ؛ إن شاءُوا فَدَمُ قاتِله ، وإن شاءُوا فعَقْلُه » . ثُم وَدَى رسولُ اللَّهِ ﷺ ذلك الرجلَ الذى قَتَلَتْه خُزاعةُ ، فقال عمرٌو لأبى شُرَيْحٍ :

---

(١) سيرة ابن هشام ٢/ ٤١٥.

(٢) المصدر السابق ٢/ ٤١٥، ٤١٦.

(٣) فى ص : « يقع ».

انصَرِفْ أيها الشيخُ، فنحن أعلمُ بحُرْمَتِها منك، إنَّها لا تَمْنَعُ سافكَ دمٍ، ولا خالِعَ طاعةٍ، ولا مانِعَ جِزْيةٍ. فقال أبو شُرَيْحٍ: إنِّى كنتُ شاهدًا، وكنتَ غائبًا، وقد أمَرَنا رسولُ اللَّهِ ﷺ أن يُبَلِّغَ شاهدُنا غائبَنا، وقد أبْلَغْتُك، فأنت وشأنُك.

قال ابنُ هشامٍ[1]: وبَلَغَنى أنَّ أوَّلَ قتيلٍ وَداه رسولُ اللَّهِ ﷺ يومَ الفتحِ جُنَيْدِبُ بنُ الأكْوعِ، قَتَلَتْه بنو كعبٍ، فوَدَاه رسولُ اللَّهِ ﷺ بمائةِ ناقةٍ.

وقال الإمامُ أحمدُ[2]: [٣/١٤٤ظ] حدَّثنا يحيى، عن حسينٍ، عن عمرِو ابنِ شعيبٍ، عن أبيه، عن جدِّه قال: لمَّا فُتِحت مكةُ على رسولِ اللَّهِ ﷺ قال: «كُفُّوا السلاحَ، إلَّا خزاعةَ عن[3] بنى بكرٍ». فأذِن لهم حتى صَلَّى العصرَ، ثُم قال: «كفُّوا السلاحَ». فلَقِىَ رجلٌ مِن خُزاعةَ رجلًا مِن بنى بكرٍ مِن غدٍ بالمُزْدَلِفةِ فقتَلَه، فبَلَغ ذلك رسولَ اللَّهِ ﷺ فقام خطيبًا فقال - فرأيتُه وهو مُسنِدٌ ظهرَه إلى الكعبةِ قال -: «إنَّ أعْدَى الناسِ على اللَّهِ مَن قَتَل فى الحرمِ، أو قَتَل غيرَ قاتِله، أو قتَل بذُحُولِ[4] الجاهليةِ». وذكَر تمامَ الحديثِ، وهذا غريبٌ جدًّا. وقد رَوَى أهلُ السننِ بعضَ هذا الحديثِ[5]، فأمَّا ما فيه مِن أنه رَخَّص لخزاعةَ أن تأخُذَ بثأْرِها مِن بنى بكرٍ إلى العصرِ مِن يومِ الفتحِ، فلم أرَه

---

(١) سيرة ابن هشام ٢/ ٤١٦.

(٢) المسند ٢/ ١٧٩. (إسناده صحيح).

(٣) فى النسخ: «من». والمثبت من المسند.

(٤) الذحول: جمع ذَحْل، وهو الوَتْر، وطلب المكافأة بجناية جُنيت عليه مِن قَتْلٍ أو جَرْح ونحو ذلك. والذحل: العداوة أيضًا. انظر النهاية ٢/ ١٥٥.

(٥) أبو داود (٣٥٤٦، ٤٥٦٢، ٤٥٦٦)، والترمذى (١٣٩٠، ١٥٨٥)، والنسائى (٢٥٣٩، ٣٧٦٦، ٤٨٦٥، ٤٨٦٦)، وابن ماجه (٢٦٥٥).

إلَّا فى هذا الحديثِ ، وكأنَّه - إن صَحَّ - مِن بابِ الاخْتِصاصِ لهم ممَّا كانوا أصابوا منهم ليلةَ الوَتِيرِ . واللَّهُ أعلمُ .

ورَوى الإمامُ أحمدُ[1] ، عن يحْيَى بنِ سعيدٍ ، وسفيانَ بنِ عُيَينةَ ، ويزيدَ بنِ هارونَ ، ومحمدِ بنِ عُبَيْدٍ ، كلُّهم عن زكريا بنِ أبى زائدةَ ، عن عامرٍ الشعبىِّ ، عن الحارثِ بنِ مالكِ بنِ البَرْصاءِ الخُزاعىِّ ، سمِعْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ يومَ فتحِ مكةَ : « لا تُغْزَى هذه بعدَ اليومِ إلى يومِ القيامةِ » . ورَواه الترمذىُّ ، عن بُنْدارٍ ، عن يحيى بنِ سعيدٍ القَطَّانِ به[2] ، وقال : حسنٌ صحيحٌ .

قلتُ : فإن كان نَهْيًا ، فلا إشكالَ ، وإن كان نَفْيًا ، فقال البيهقىُّ[3] : معناه على كفرِ أهلِها .

وفى « صحيحِ مسلمٍ »[4] مِن حديثِ زكريا بنِ أبى زائدةَ ، عن عامرٍ الشعبىِّ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ مُطِيعٍ ، عن أبيه مُطِيعِ بنِ الأسودِ العَدَوىِّ قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ يومَ فتحِ مكةَ : « لا يُقْتَلُ قُرَشِىٌّ صَبْرًا بعدَ اليومِ إلى يومِ القيامةِ » . والكلامُ عليه كالأولِ سواءً .

قال ابنُ هشامٍ[5] : وبَلَغَنى[6] أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ حينَ افْتَتَح مكةَ ودَخَلَها ،

---

(١) المسند ٣/ ٤١٢، من طريق يحيى بن سعيد ومحمد بن عبيد ، و٤/ ٣٤٣، من طريق سفيان بن عيينة ويزيد بن هارون .
(٢) الترمذى (١٦١١) . صحيح (صحيح سنن الترمذى ١٣١٢) .
(٣) دلائل النبوة ٥/ ٧٥.
(٤) مسلم (١٧٨٢) .
(٥) سيرة ابن هشام ٢/ ٤١٦.
(٦) بعده فى السيرة : « عن يحيى بن سعيد » .

قام على الصفا يَدْعو وقد أحْدَقَتْ به الأنصارُ ، فقالوا فيما بينَهم : أتُرَوْن رسولَ اللَّهِ ﷺ إذ فَتَح اللَّهُ عليه أرضَه وبلدَه يُقيمُ بها ؟ فلمَّا فَرَغ مِن دُعائِه قال : « ماذا قلْتُم ؟ » قالوا : لا شيءَ يا رسولَ اللَّهِ . فلم يَزَلْ بهم حتى أخْبَروه ، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « مَعاذَ اللَّهِ ، المحْيا مَحْياكم ، والمَماتُ مَماتُكم » .

وهذا الذى علَّقه ابنُ هشامٍ قد أسْنَدَه الإمامُ أحمدُ بنُ حنبلٍ فى « مسندِه »[(١)] فقال : ثنا بَهْزٌ وهاشمٌ ، قالا : حدَّثنا سليمانُ بنُ المغيرةِ ، عن ثابتٍ ، وقال [٣/١٤٥و] هاشمٌ : حدَّثنى ثابتٌ البُنانىُّ ، ثنا عبدُ اللَّهِ بنُ رَباحٍ ، قال : وَفَدَتْ وفودٌ إلى معاويةَ أنا فيهم وأبو هريرةَ ، وذلك فى رمضانَ ، فجعَل بعضُنا يصْنَعُ لبعضِ الطعامَ . قال : وكان أبو هريرةَ يُكْثِرُ ما يَدْعونا – قال هاشمٌ : يُكْثِرُ أن يدْعُوَنا – إلى رَحْلِه . قال : فقلتُ : ألا أصْنَعُ طعامًا فأدْعُوَهم إلى رَحْلى ؟ قال : فأمَرْتُ بطعامٍ يُصْنَعُ ، ولَقِيتُ أبا هريرةَ مِن العِشاءِ . قال : قلتُ : يا أبا هريرةَ ، الدَّعْوَةُ[(٢)] عندى الليلةَ . قال : أسَبَقْتَنى ؟! – قال هاشمٌ : قلتُ : نعم – قال : فدعَوْتُهم فهم عندى . قال : فقال أبو هريرةَ : ألا أُعْلِمُكم بحديثٍ مِن حديثِكم يا معشرَ الأنصارِ ؟ قال : فذكَر فتحَ مكةَ . قال : أقْبَل رسولُ اللَّهِ ﷺ فدخَل مكةَ . قال: فبعَث الزبيرَ على إحدى المُجَنِّبَتَيْن ، وبعَث خالدًا على المُجَنِّبةِ الأخرى ، وبعَث أبا عبيدةَ على الحُسَّرِ[(٣)] ، وأخَذوا بطْنَ الوادى ، ورسولُ اللَّهِ ﷺ فى كَتيبتِه . قال : وقد وَبَّشَت قريشٌ أوْباشَها[(٤)] .

---

(١) المسند ٢/ ٥٣٨.

(٢) فى م ، ص : « الدعوى » .

(٣) فى ا ٤ : « الجيش » ، وفى م : « الجسر » . والحسر : الذين لا دروع عليهم . بلوغ الأمانى ٢١/ ١٤٩.

(٤) وبشت : جمعت جموعا من قبائل شتى . المصدر السابق .

قال : قالوا : نُقَدِّمُ هؤلاء ، فإن كان لهم شيءٌ كنا معهم ، وإن أُصِيبوا أعْطَيْناه الذى سُئِلْنا[(١)] . قال أبو هريرةَ : فنظَر فرآنى فقال : « يا أبا هريرةَ » . فقلتُ : لبيك رسولَ اللَّهِ . فقال : « اهْتِفْ لى بالأنصارِ ، ولا يأْتِينى إلا أنصاريٌّ » . فهتَفْتُ بهم ، فجاءوا فأطافوا برسولِ اللَّهِ ﷺ . قال : فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « أتَرَوْن إلى أوباشِ قريشٍ وأتْباعِهم ؟ » ثم قال بيديه[(٢)] إحداهما على الأخرى : « احْصُدوهم حَصْدًا حتى تُوافونى بالصفا » . قال : فقال أبو هريرةَ : فانطَلَقْنا ، فما يشاءُ أحدٌ منا أن يَقْتُلَ منهم ما شاء ، وما أحدٌ منهم يُوَجِّهُ إلينا منهم شيئًا . قال : فقال أبو سفيانَ : يا رسولَ اللَّهِ ، أُبِيحَت خضراءُ قريشٍ[(٣)] ، لا قريشَ بعدَ اليومِ . قال : فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « مَن أغْلَق بابَه فهو آمِنٌ ، ومَن دخَل دارَ أبى سفيانَ فهو آمِنٌ » . قال : فغلَّق الناسُ أبوابَهم . قال : وأقْبَل رسولُ اللَّهِ ﷺ إلى الحَجَرِ فاسْتَلَمه ثم طاف بالبيتِ . قال : وفى يدِه قوسٌ ؛ آخِذٌ بسِيَةِ القوسِ . قال : فأتَى فى طوافِه على صنمٍ إلى جنبِ البيتِ يَعْبُدونه . قال : فجعَل يَطْعُنُ بها فى عينِه ويقولُ : جاء الحقُّ وزهَق الباطلُ . قال : ثم أتَى الصفا فعلَاه حيث يَنْظُرُ إلى البيتِ ، فرفَع يديه ، فجعَل يذْكُرُ اللَّهَ بما شاء أن يذْكُرَه ويدْعُوَه . قال : والأنصارُ تحتَه . قال : يقولُ بعضُهم لبعضٍ : أما الرجلُ فأدْرَكَتْه رغبةٌ فى قريتِه ورأفةٌ بعشيرتِه . قال أبو هريرةَ : وجاء الوحْىُ ، وكان إذا جاء لم يَخْفَ [٣/١٤٥ظ] علينا ، فليس أحدٌ مِن الناسِ يرْفَعُ طرْفَه إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ حتى

(١) فى م ، ص : « سألنا » . وفى المسند : « قال » .
(٢) قال بيديه : فيه إطلاق القول على الفعل ، أى أشار إلى هيئتهم المجتمعة أو إلى حصدهم واستئصالهم . بلوغ الأمانى ٢١/١٤٩ .
(٣) أبيحت خضراء قريش : استؤصلت قريش بالقتل وأفنيت . المصدر السابق .

يقْضِيَ. قال هاشمٌ: فلما قضَى الوحيُ رفَع رأسَه، ثم قال: «يا معشرَ الأنصارِ، أقلْتُم: أما الرجلُ فأدْرَكَتْه رغبةٌ فى قريتِه ورأفةٌ بعشيرتِه؟» قالوا: قلنا ذلك يا رسولَ اللَّهِ. قال: «فما اسمِى إذًا[1]؟! كلا، إنى عبدُ اللَّهِ ورسولُه، هاجَرْتُ إلى اللَّهِ وإليكم، فالمحْيا مَحْياكم والمَماتُ مَماتُكم». قال: فأقْبلوا إليه يبْكون ويقولون: واللَّهِ ما قلنا الذى قلنا إلا الضِّنَّ[2] باللَّهِ ورسولِه. قال: فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «إن اللَّهَ ورسولَه يُصَدِّقانِكم ويَعْذِرانِكم». وقد رَواه مسلمٌ والنَّسائىُّ مِن حديثِ سليمانَ بنِ المغيرةِ، زاد النَّسائىُّ: وسلَّامِ بنِ مِسْكينٍ، ورواه مسلمٌ أيضًا مِن حديثِ حمادِ بنِ سَلَمَةَ، ثلاثتُهم عن ثابتٍ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ رَباحٍ الأنصارىِّ نزيلِ البصرةِ، عن أبى هريرةَ به نحوَه[3].

وقال ابنُ هشامٍ[4]: وحدَّثنى - يَعْنى بعضَ أهلِ العلمِ - أن فَضالةَ بنَ عُمَيْرِ ابنِ المُلَوَّحِ، يَعْنى الليثىَّ، أراد قتلَ النبىِّ ﷺ وهو يطوفُ بالبيتِ عامَ الفتحِ، فلما دَنا منه قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «أفَضالةُ؟» قال: نعم، فَضالةُ يا رسولَ اللَّهِ. قال: «ماذا كنتَ تُحَدِّثُ به نفسَك؟» قال: لا شىءَ، كنتُ أذْكُرُ اللَّهَ.

---

(١) قال النووى: قال القاضى: يحتمل هذا وجهين؛ أحدهما، أنه أراد ﷺ: إنى نبى؛ لإعلامى إياكم بما تحدثتم به سرا. والثانى: لو فعلت هذا الذى خفتم منه وفارقتكم ورجعت إلى استيطان مكة لكنت ناقضا لعهدكم فى ملازمتكم، ولكان هذا غير مطابق لما اشتق منه اسمى وهو الحمد، فإنى كنت أوصف حينئذ بغير الحمد. شرح صحيح مسلم ١٢/ ١٣١.

(٢) فى الأصل، ا ٤١: «الظن». والضن بالله ورسوله: بخلا به وشحا أن يشاركنا فيه غيرنا. النهاية ٣/ ١٠٤.

(٣) مسلم (٨٤، ٨٥/ ١٧٨٠) من حديث سليمان بن المغيرة، والنسائى فى الكبرى (١١٢٩٨) من حديث سليمان بن المغيرة وسلام بن مسكين، ومسلم (٨٦/ ١٧٨٠) من حديث حماد بن سلمة.

(٤) سيرة ابن هشام ٢/ ٤١٧.

قال : فضحِك النبىُّ ﷺ ثم قال : « اسْتغفِرِ اللَّهَ » . ثم وضَع يدَه على صدرِه ، فسكَن قلبُه ، فكان فَضالةُ يقولُ : واللَّهِ ما رفَع يدَه عن صدرى حتى ما مِن خلْقِ اللَّهِ شىءٌ أحبَّ إلىَّ منه . قال فَضالةُ : فرجَعْتُ إلى أهلى ، فمرَرْتُ بامرأةٍ كنتُ أتحَدَّثُ إليها فقالت : هلُمَّ إلى الحديثِ . فقال : لا . وانبَعث فَضالةُ يقولُ :

قالت هَلُمَّ إلى الحديثِ فقلتُ لا ... يأْبَى عليكِ اللَّهُ والإسلامُ

أوَ ما رأيتِ محمدًا وقَبِيلَه ... بالفتحِ يومَ تَكَسَّرُ الأصنامُ

لرأيتِ دينَ اللَّهِ أضْحَى بَيِّنًا ... والشِّرْكَ يَغْشَى وجهَه الإظلامُ

قال ابنُ إسحاقَ(1) : وحدَّثنى محمدُ بنُ جعفرِ بنِ الزبيرِ ، عن عروةَ ، قال(2) : خرَج صفوانُ بنُ أميةَ يُريدَ جُدَّةَ ليَرْكَبَ منها إلى اليمنِ ، فقال عميرُ بنُ وهبٍ : يا نبىَّ اللَّهِ ، إن صفوانَ بنَ أميةَ سيدُ قومِه ، وقد خرَج هاربًا منك ليَقْذِفَ نفسَه فى البحرِ ، فأمِّنْه يا رسولَ اللَّهِ ، صلَّى اللَّهُ عليك . فقال : « هو آمِنٌ » . فقال : يا رسولَ اللَّهِ ، فأعْطِنى آيةً يَعْرِفُ بها أمانَك . فأعْطاه رسولُ اللَّهِ ﷺ عِمامتَه التى دخَل فيها مكةَ ، فخرَج بها عميرٌ حتى أدْرَكه وهو يُريدُ أن يرْكَبَ فى البحرِ ، فقال : يا صفوانُ ، فداك أبى وأمى ، اللَّهَ اللَّهَ فى نفسِك أن تُهْلِكَها ، هذا أمانٌ مِن [٣/١٤٦و] رسولِ اللَّهِ ﷺ وقد جئْتُك به ، قال : (3)ويلَك ! اغْرُبْ(3) عنى فلا تُكَلِّمْنى . قال : أىْ صفوانُ ، فداك أبى وأمى ،

---

(1) سيرة ابن هشام ٢/٤١٧، ٤١٨.

(2) فى الأصل ، م : « عن عائشة قالت » .

(3 - 3) فى السيرة : « ويحك اغرب » .

أفضلُ الناسِ وأبَرُّ الناسِ وأحْلَمُ الناسِ وخيرُ الناسِ ابنُ عمِّك ، عِزُّه عِزُّك وشرفُه شرفُك ومُلْكُه مُلْكُك . قال : إنى أخافُه على نفسى . قال : هو أحْلَمُ مِن ذلك وأكْرمُ . فرجَع معه حتى وقَف على رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فقال صفوانُ : إن هذا يزْعُمُ أنك قد أمَّنْتنى . قال : « صدَق » . قال : فاجْعَلْنى بالخيارِ فيه شهرين . قال : « أنت بالخيارِ أربعةَ أشهرٍ » .

ثم حكَى ابنُ إسحاقَ[1] ، عن الزهرىِّ أن فاخِتةَ[2] بنتَ الوليدِ امرأةَ صفوانَ ، وأمَّ حَكِيمٍ بنتَ الحارثِ بنِ هشامٍ امرأةَ عكرمةَ بنِ أبى جهلٍ [أسلمَتا[3]] ، وقد ذهَبت وراءَه[4] إلى اليمنِ ، فاسْتَرْجَعَته فأسْلَم ، فلما أسْلَما[5] أقرَّهما رسولُ اللَّهِ ﷺ تحتَهما بالنكاحِ الأولِ .

قال ابنُ إسحاقَ[6] : وحدَّثنى سعيدُ بنُ عبدِ الرحمنِ بنِ حسانَ بنِ ثابتٍ قال : رمَى حسانُ ابنَ الزِّبَعْرَى وهو بنَجْرانَ ببيتٍ واحدٍ ما زاد عليه :

لا تَعْدَمَنْ رَجُلًا أحَلَّك بُغْضُه ... نَجْرانَ فى عيشٍ أحَذَّ[7] لئيمِ

فلما بلَغ ذلك ابنَ الزِّبَعْرَى ، خرَج إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ فأسْلَم ، وقال حينَ أسلم :

يا رسولَ المليكِ إن لسانى ... راتِقٌ ما فَتَقْتُ إذْ أنا بُورُ[8]

---

(١) سيرة ابن هشام ٢/ ٤١٨. مفصلا .

(٢) فى م : « فاخة » .

(٣) زيادة من السيرة ليستقيم السياق .

(٤) أى ذهبت أم حكيم وراء عكرمة .

(٥) أى صفوان وعكرمة .

(٦) المصدر السابق ٢/ ٤١٨، ٤١٩.

(٧) فى الأصل : « أجد » ، وفى ص : « أجذ » . والأحذ : القليل المنقطع . ومن رواه « أجد » بالجيم والدال المهملة فمعناه منقطع أيضا ، وقد يكون معناه : فى عيش لئيم جدا . شرح غريب السيرة ٣/ ٨٠.

(٨) الراتق : السادّ ، تقول : رتقت الشىء . إذا سددته . والبور : الهلاك . المصدر السابق ٣/ ٨١.

إذ أُبــارِى الشيطـــانَ فى سَنَنِ الْـ ... غَـــىِّ ومَن مالَ مَيْلَهُ مَثْبورُ[1]
آمَنَ الـلحـمُ والـعِـظامُ لـربِّى ... ثم قلبى الشهيدُ أنت النذيرُ
إنـنـى عـنـك زاجرٌ ثَـمَّ حَـيًّـا ... مِـن لُـؤَىٍّ وكـلُّـهـم مَـغْـرورُ

قال ابنُ إسحاقَ[2] : وقال عبدُ اللَّهِ بنُ الزِّبَعْرَى أيضًا حينَ أسلم :

مـنَـع الـرُّقـادَ بـلابـلٌ وهـمـومُ ... والـليلُ مُـعْـتَـلِـجُ الـرِّواقِ بَـهِـيـمُ[3]
ممـا أتـانـى أنَّ أحـمـدَ لامَـنـى ... فيه فـبِـتُّ كـأنـنـى مَـحْـمـومُ
يا خيرَ مَن حَمَلَتْ على أوصالِها ... عَـيْرانةٌ سُرُحُ الـيَدْين غَشُومُ[4]
إنـى لَمُـعْـتـذِرٌ إليـك مِـن الـذى ... أسْدَيْتُ إذ أنا فى الضَّلالِ أَهِيمُ
أيـامَ تـأمُـرُنـى بـأغْـوَى خُـطَّـةٍ ... سَـهْـمٌ وتـأْمُـرُنـى بـهـا مَـخْـزومُ
وأمُـدُّ أسـبـابَ الـرَّدَى ويَـقـودُنـى ... أمْـرُ الـغُـواةِ وأمْـرُهـم مَـشْـئُـومُ
فـالـيـومَ آمَـن بـالـنـبىِّ مـحـمـدٍ ... قـلـبى ومُـخْـطِـئُ هـذه مَـحْـرومُ
[٣/١٤٦ظ] مضَتِ العداوةُ وانقضَتْ أسبابُها ... ودَعَـتْ أواصـرُ بـيـنَـنـا وحُـلُـومُ

---

(١) فى الأصل : « معدود » ، وفى ص : « مغرور » . وأبارى : أعارض وأجارى . والسنن : وسط الطريق . والمثبور : الهالك . المصدر السابق .
(٢) سيرة ابن هشام ٢/ ٤١٩، ٤٢٠ .
(٣) البلابل : الوساوس المختلطة والأحزان . ومعتلج : مضطرب يركب بعضه بعضا . ورواقا الليل : مقدَّمه وجوانبه . انظر شرح غريب السيرة ٣/ ٨١، واللسان (ر و ق) .
(٤) عيرانة : ناقة تشبه العَيْر فى شدته ونشاطه ، والعير هنا : حمار الوحش . وسرح اليدين : خفيفة اليدين . وغشوم : ظلوم ؛ يعنى أن مشيها فيه جفاء . وقال السهيلى : الغشوم : التى لا تُرَدُّ عن وجهها . انظر شرح غريب السيرة ٣/ ٨١، ٨٢، والروض الأنف ٧/ ١٤٦ .

فاغفِرْ فِدًى لك والداى كلاهما زَلَلِـى فـإنـك راحـمٌ مَـرْحـومُ
وعليك مِن عِلْمِ المَليكِ عَلامةٌ نـورٌ أغَـرُّ وخـاتَمٌ مَـخْـتـومُ
أعـطـاك بـعـدَ مـحـبـةٍ بُـرْهـانَـه شـرفًـا وبُـرْهـانُ الإلـهِ عـظـيـمُ
ولقد شَهِدْتُ بأن دينَك صادقٌ حقٌّ وأنك فى العبادِ[(١)] جَسيمُ[(٢)]
واللَّهُ يَشْهَدُ أن أحمدَ مُصْطَفًى مُسْتَقْبَلٌ[(٣)] فى الصالحين كريمُ
قَـرْمٌ عَـلا بـنـيـانُـه مِـن هـاشـمٍ فَـرْعٌ تَمَـكَّـن فـى الـذُّرا وأُرُومُ[(٤)]

قال ابنُ هشامٍ: وبعضُ أهلِ العلمِ بالشعرِ يُنْكِرُها له.

قلتُ: كان عبدُ اللَّهِ بنُ الزِّبَعْرَى السهميُّ مِن أكبرِ أعداءِ الإسلامِ، ومِن الشعراءِ الذين استعملوا قُواهم فى هِجاءِ المسلمين، ثم مَنَّ اللَّهُ عليه بالتوبةِ والإنابةِ والرجوعِ إلى الإسلامِ والقيامِ بنصرِه والذَّبِّ عنه.

---

(١) سقط من: ١، ٤، وفى م، ص: «المعاد».
(٢) جسيم: عظيم. شرح غريب السيرة ٣/ ٨٢.
(٣) مستقبل: أى منظور إليه ملحوظ. المصدر السابق.
(٤) قرم: أى سيِّد. والأروم: الأصول. المصدر السابق.

فصلٌ

قال ابنُ إسحاقَ[(1)] : وكان جميعُ مَن شَهِد فتحَ مكةَ مِن المسلمين عشَرةَ آلافٍ ؛ مِن بنى سُلَيْمٍ سبعُمائةٍ ، ويقولُ بعضُهم : ألفٌ . ومِن بنى غِفارٍ أربعُمائةٍ ، [(2)] ومِن أسْلَمَ أربعُمائةٍ[(2)] ، ومِن مُزَيْنةَ ألفٌ وثلاثةُ نفَرٍ ، وسائرُهم مِن قريشٍ والأنصارِ وحلفائِهم وطوائفِ العربِ مِن تَميمٍ وقيسٍ وأسدٍ . وقال عروةُ والزهريُّ وموسى بنُ عقبةَ[(3)] : كان المسلمون يومَ الفتحِ الذين مع رسولِ اللَّهِ ﷺ اثنَىْ عشَرَ ألفًا . فاللَّهُ أعلمُ .

قال ابنُ إسحاقَ[(4)] : وكان مما قيل مِن الشعرِ فى يومِ الفتحِ قولُ حسانَ بنِ ثابتٍ[(5)] :

عفَتْ ذاتُ الأصابعِ فالجِواءُ ... إلى عَذْراءَ منزِلُها خَلاءُ[(6)]

---

(1) سيرة ابن هشام ٢/ ٤٢١.

(٢ - ٢) سقط من : الأصل ، ١٤، ص .

(٣) أخرج البيهقى هذه الآثار عنهم فى الدلائل ؛ فأخرج أثر عروة فى ٥/ ٣٥، ٣٦، وأثر الزهرى وموسى ابن عقبة فى ٥/ ٣٩.

(٤) سيرة ابن هشام ٢/٤٢١ - ٤٢٤.

(٥) ديوان حسان ص ٧١ - ٧٧.

(٦) عفت : دَرَسَتْ وتغيَّرتْ . وذات الأصابع : موضع بالشام ، والجواء كذلك . وكان حسان كثيرًا ما يَرِد على ملوك غسان بالشام يمدحهم ، فلذلك يذكر هذه المنازل . وعذراء : قرية عند دمشق . انظر شرح غريب السيرة ٣/ ٨٣، والروض الأنف ٧/ ١٤٦، ١٤٧.

دِيارٌ مِن بنى الحَسْحاسِ قَفْرٌ   تُعَفِّيها الرَّوامِسُ والسماءُ[1]

وكانت لا يزالُ بها أنيسٌ   خلالَ مُرُوجِها[2] نَعَمٌ وشاءُ

فدَعْ هذا ولكن مَن لِطَيْفٍ   يُؤَرِّقُنى إذا ذَهَب العِشاءُ

لِشَعْثاءَ[3] التى قد تَيَّمَتْهُ   فليس لقلبِه منها شِفاءُ

كأن خَبِيئَةً مِن بيتِ رأسٍ   يكونُ مِزاجَها عسلٌ وماءُ[4]

إذا ما الأَشْرِباتُ ذُكِرْن يومًا   فهنَّ لطَيِّبِ الراحِ[5] الفِداءُ

[٣/١٤٧و] نُوَلِّيها المَلامةَ إن أَلَمْنا[6]   إذا ما كان مَغْثٌ[7] أو لِحاءُ

ونَشْرَبُها فتَتْرُكُنا مُلوكًا   وأُسْدًا ما يُنَهْنِهُنا[8] اللقاءُ

---

(١) تعفيها : تُغيِّرها . والروامس : الرياح التى ترمس الآثار ؛ أى تغطيها . والسماء : المطر . انظر شرح غريب السيرة ٣/ ٨٤، والروض الأنف ٧/ ١٤٧.

(٢) المروج : جمع مَرْج ، والمرج : أرض واسعة ذات نبات ومرعى للدوابّ . انظر الوسيط (م ر ج) .

(٣) شعثاء : هى بنت سلّام بن مِشْكم اليهودى . وقد كان تحت حسان أيضا امرأة اسمها شعثاء . انظر الروض الأنف ٧/ ١٤٩.

(٤) الخبيئة : الخمر المخبوءة ؛ أى المصونة فى دِنانها . وبيت رأس : موضع بالشام . شرح غريب السيرة ٣/ ٨٤، ٨٥.

(٥) الراح : الخمر .

(٦) إن ألمنا : أى إن أتينا بما نُلام عليه صرفنا اللوم إلى الخمر واعتذرنا بالسُّكر . الروض الأنف ٧/ ١٥١.

(٧) فى م : « مغت » . والمغث : الضرب باليد . واللحاء : الملاحاة باللسان . ويروى أن حسانَ مرَّ بفتية يشربون الخمر فى الإسلام فنهاهم ، فقالوا : واللّه لقد أردنا تركها ، فيزينها لنا قولك :

* ونشربها فتتركنا ملوكا *

فقال : واللّه لقد قلتها فى الجاهلية وما شربتها منذ أسلمت . وكذلك قيل : إن بعض هذه القصيدة قالها فى الجاهلية وقال آخرَها فى الإسلام . الروض الأنف ٧/ ١٥١.

(٨) ما ينهنهنا : أى ما يزجرنا وما يَرُدّنا . شرح غريب السيرة ٣/ ٨٥.

عَدِمْنا خيلَنا إن لم تَرَوْها تُثِيرُ النَّقْعَ موعدُها كَداءُ
يُنازِعْنَ الأعِنَّةَ مُصْغِياتٍ على أكتافِها الأَسَلُ الظِّماءُ[1]
تَظَلُّ جِيادُنا مُتَمَطِّراتٍ[2] يُلَطِّمُهن بالخُمُرِ النساءُ
فإما تُعْرِضوا عنا اعتَمَرْنا وكان الفتحُ وانكَشَف الغِطاءُ
وإلا فاصْبِروا لجِلادِ يومٍ يُعِزُّ اللَّهُ فيه مَن يشاءُ
وجبريلٌ رسولُ اللَّهِ فينا ورُوحُ القُدْسِ ليس له كِفاءُ[3]
وقال اللَّهُ قد أرْسَلْتُ عبدًا يقولُ الحقَّ إن نَفَعَ البَلاءُ
شَهِدْتُ به فقُوموا صدِّقوه فقلْتُم لا نقومُ ولا نَشاءُ
وقال اللَّهُ قد سيَّرْتُ جُنْدًا همُ الأنصارُ عُرْضَتُها اللقاءُ[4]
لنا فى كلِّ يومٍ مِن مَعَدٍّ سِبابٌ أو قِتالٌ أو هِجاءُ
فنُحْكِمُ بالقوافى مَن هَجانا ونَضْرِبُ حينَ تَخْتَلِطُ الدِّماءُ
ألا أَبْلِغْ أبا سفيانَ عنى مُغَلْغَلَةً[5] فقد بَرِح الخَفاءُ
بأنَّ سيوفَنا ترَكَتْك عبدًا وعبدَ الدارِ سادتُها الإماءُ
هَجَوْتَ محمدًا فأجَبْتُ عنه وعندَ اللَّهِ فى ذاكَ الجزاءُ

---

(١) الأسل: الرماح. والظماء: العطاش. شرح غريب السيرة ٣/٨٥ .
(٢) متمطرات: أى مصونات، ويقال: يسبق بعضها بعضا. المصدر السابق.
(٣) كفاء: مِثْلٌ. المصدر السابق.
(٤) عرضتها اللقاء: أى عادتها أن تتعرَّض للقاء عدوها. المصدر السابق .
(٥) المغلغلة: الرسالة ترسل من بلد إلى بلد. المصدر السابق.

أتَهْجُوه ولسْتَ له بكُفءٍ فشَرُّكما لخيرِكما الفِداءُ
هَجَوْتَ مُبارَكًا بَرًّا حَنيفًا أمينَ اللَّهِ شِيمتُه الوَفاءُ
أمَن يهْجو رسولَ اللَّهِ منكم ويَمْدَحُه ويَنْصُرُه سواءُ
فإنَّ أبى ووالِدَه وعِرْضى لعِرْضِ محمدٍ منكم وِقاءُ
لسانى صارمٌ لا عَيْبَ فيه وبَحْرى لا تُكَدِّرُه الدِّلاءُ

قال ابنُ هشامٍ(١) : قالها حسانُ قبلَ(٢) الفتحِ .

قلتُ : والذى قاله مُتَوَجِّهٌ ؛ لِمَا فى أثناءِ هذه القصيدةِ مما يَدُلُّ على ذلك ، وأبو سفيانَ المذكورُ فى البيتِ هو أبو سفيانَ بنُ الحارثِ بنِ عبدِ المطلبِ .

قال [٣/١٤٧ظ] ابنُ هشامٍ(١) : وبلَغَنى عن الزُّهْرىِّ أنه قال : لما رَأَى رسولُ اللَّهِ ﷺ النساءَ يُلَطِّمْنَ الخيلَ بالخُمُرِ ، تبَسَّم إلى أبى بكرٍ ، رضى اللَّهُ عنه .

قال ابنُ إسحاقَ(٣) : وقال أنسُ بنُ زُنَيْمٍ الدِّيلِىُّ ، يَعْتَذِرُ إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ مما كان قال فيهم عمرُو بنُ سالمٍ الخُزاعىُّ - يعنى لما جاء يَسْتَنْصِرُ عليهم ، كما تقَدَّم - :

أأنت الذى تُهْدَى مَعَدٌّ بأمْرِه بل اللَّهُ يَهْديهم وقال لك اشْهَدِ
وما حمَلَتْ مِن ناقةٍ فوقَ رَحْلِها أبَرَّ وأوْفَى ذِمَّةً مِن محمدِ

---

(١) سيرة ابن هشام ٢/ ٤٢٤.
(٢) فى السيرة : « يوم » .
(٣) المصدر السابق ٢/ ٤٢٤، ٤٢٥.

أحَثَّ على خيرٍ وأسْبَغَ نائِلًا إذا راح كالسيفِ الصَّقِيلِ المُهَنَّدِ[1]
وأكْسَى لبُرْدِ الخالِ قبلَ ابْتِذالِه وأعْطَى لرأسِ السابقِ المُتَجَرِّدِ[2]
تعَلَّمْ رسولَ اللَّهِ أنك مُدْرِكى وأن وَعيدًا منك كالأخْذِ باليدِ[3]
تعَلَّمْ رسولَ اللَّهِ أنك قادرٌ على كلِّ صِرْمٍ مُتْهِمِينَ ومُنْجِدِ[4]
تَعَلَّمْ بأنَّ[5] الرَّكْبَ رَكْبَ عُوَيْمِرٍ هم الكاذبون المُخْلِفو كلِّ مَوْعِدِ
ونَبَّوْا رسولَ اللَّهِ أنى هَجَوْتُه فلا حمَلَتْ سوطى إلىَّ إذَنْ يدى
سوى أننى قد قلتُ ويلُ امِّ فِتْيةٍ أُصِيبوا بنحْسٍ لا بطَلْقٍ وأسْعُدِ[6]
أصابهُمُ مَن لم يكُنْ لدمائِهم كِفاءً فَعَزَّت عَبْرتى وتَبَلُّدى[7]
وإنك قد [8]أخْفَرْتَ إن كنتَ[8] ساعِيًا بعبدِ بنِ عبدِ اللَّهِ وابنةِ مَهْوَدِ

---

(١) أحثّ : أسرع . وأسبغ : أكمل . والنائل : العطاء . انظر شرح غريب السيرة ٣/ ٨٥، ٨٦.
(٢) الخال هنا : ضرب من برود اليمن . والسابق هنا : الفرس . والمتجرد : الذى يتجرَّد من الخيل فيسبقها . المصدر السابق ٣/ ٨٦.
(٣) تعلم : معناه اعْلَمْ . والوعيد : التهديد . المصدر السابق .
(٤) الصرم : بيوت مجتمعة . والمتهمون : الذين سكنوا تِهامة ؛ وهى ما انخفض من أرض الحجاز . والمنجد : من سكن نجدًا ؛ وهو المرتفع من الأرض . المصدر السابق .
(٥) سقط من : ا ٤١. وفى م : «أن» .
(٦) الطلق : الأيام السعيدة . يقال : يوم طلق . إذا لم يكن فيه حر ولا برد ولا شيء يؤذى . وكذلك ليلة طلقة . المصدر السابق .
(٧) الكفاء : المماثل . وعزت : اشتدَّتْ . والعَبْرة : الدَّمْعة . وتبلدى : تحيُّرى . انظر الوسيط (ك ف ا) . وشرح غريب السيرة ٣/ ٨٦.
(٨ - ٨) فى الأصل ، م : «أخبرت أنك» . وفى ص : «أجزت إن كنت» . والمثبت من السيرة . وأخفرت : أى نقضت عهده . المصدر السابق .

ذُؤَيْبٌ وكُلْثومٌ وسَلْمَى تَتابَعوا جميعًا فإن لا تَدْمَعِ العينُ أَكْمَدِ[1]

وسَلْمَى وسَلْمَى ليس حيٌّ كمثلِه وإخوتُه وهل ملوكٌ كأَعْبُدِ

فإنِّىَ لا دِينًا[2] فتقْتُ[3] ولا دمًا هرَقْتُ تَبَيَّنْ عالمَ الحقِّ واقْصِدِ

قال ابنُ إسحاقَ[4]: وقال بُجَيْرُ بنُ زهيرِ بنِ أبى سُلْمَى فى يومِ الفتحِ:

نفَى أهلَ الحَبَلَّقِ[5] كلَّ فَجٍّ مُزَيْنةُ غُدْوةً وبنو خُفافِ

ضرَبْناهم بمكةَ يومَ فتحِ النَّبىِّ الخيرِ بالبِيضِ الخِفافِ

صَبَحْناهم بسبْعٍ مِن سُلَيْمٍ وألْفٍ مِن بنى عُثمانَ وافِ

نَطَأُ أكْتافَهم[6] ضرْبًا وطعْنًا ورَشْقًا بالمُرَيَّشةِ[7] اللِّطافِ

[٣/ ١٤٨و] ترَى بينَ الصفوفِ لها حَفِيفًا كما انْصاعَ الفُواقُ مِن الرِّصافِ[8]

فرُحْنا والجِيادُ تجولُ فيهم بأرْماحٍ مُقَوَّمةِ الثِّقافِ

فأُبْنا غانمين بما اشْتَهَيْنا وآبُوا نادمين على الخِلافِ

---

(١) أكمد: من الكَمَد وهو الحزن. شرح غريب السيرة ٣/ ٨٦.

(٢) فى م: «ذنبا».

(٣) فتقت: أى أحدَثتُ فيه أو خرَجتُ منه. المصدر السابق.

(٤) سيرة ابن هشام ٢/ ٤٢٥، ٤٢٦.

(٥) الحبلق: الغنم الصغار. شرح غريب السيرة ٣/ ٨٧.

(٦) فى ص: «أكنافهم».

(٧) الرشق: الرَّمْى السريع. والمريشة: السهام ذوات الرِّيش. المصدر السابق ٣/ ٨٨.

(٨) الحفيف: الصوت. وانصاع: ذهب. والفواق: طرف السهم الذى يلى الوتر. والرصاف: عُصْبَة تُلْوَى على فُوق السهم. انظر المصدر السابق، والروض الأُنف ٧/ ١٥٥.

وأعْطَيْنا رسولَ اللَّهِ مِنَّا مَواثِقَنا على حُسْنِ التَّصافى
وقد سَمِعوا مَقالتَنا فهَمُّوا غَداةَ الرَّوْعِ منا بانْصِرافِ

وقال ابنُ هشامٍ[1] : وقال عباسُ بنُ مِرْداسٍ السُّلَمِيُّ فى فتحِ مكةَ :

مِنَّا بمكةَ يومَ فتحِ محمدٍ أَلْفٌ تَسِيلُ به البِطاحُ مُسَوَّمُ[2]
نصَروا الرسولَ وشاهدوا آياتِه[3] وشِعارُهم يومَ اللِّقاءِ مُقَدَّمُ
فى منزلٍ ثَبَتَتْ به أقدامُهم ضَنْكٍ كأنَّ الهامَ فيه الحَنْتَمُ[4]
جرَّت سنابِكَها بنَجْدٍ قبلَها حتى استقام لها الحجازُ الأدْهَمُ[5]
اللَّهُ مكَّنه له وأذَلَّه حُكْمُ السيوفِ لنا وجَدٌّ مِزْحَمُ[6]
عَوْدُ الرِّياسةِ شامخٌ عِرْنِينُه مُتَطَلِّعٌ ثُغَرَ المكارِمِ خِضْرِمُ[7]

وذكَر ابنُ هشامٍ[8] فى سببِ إسلامِ عباسِ بنِ مِرْداسٍ، أن أباه كان يَعْبُدُ صنمًا مِن حجارةٍ يقالُ له : ضِمارٌ. فلما حضَرَتْه الوفاةُ أوْصاه به، فبينما هو

---

(١) سيرة ابن هشام ٢/ ٤٢٦، ٤٢٧.
(٢) مسوم : أى مُرسَل، ويقال : مُعلم بعلامة، وشعارهم علامتهم فى الحرب. شرح غريب السيرة ٣/ ٨٨.
(٣) سقط من : ٤١. وفى السيرة : « أيامه ».
(٤) ضنك : ضيّق. والهام : الرءوس. والحنتم : الفَخّار المطلىُّ بالزجاج. المصدر السابق ٣/ ٨٨.
(٥) سنابكها : أطراف حوافرها من مُقدَّمها. والأدهم هنا : المجتمِع، من الدَّهْماء، وهى جماعة الناس. المصدر السابق.
(٦) جد مزحم : أى يُزاحِم الأمور ولا يهابها. المصدر السابق.
(٧) عود الرياسة : أى قديمها، وأصله المسُّ من الإبل. والعرنين : طرف الأنف. والخضرم : الجواد الكثير العطاء. المصدر السابق.
(٨) سيرة ابن هشام ٢/ ٤٢٧.

يومًا يَخْدِمُه إذ سَمِع صوتًا مِن جوفِه وهو يقولُ :

قلْ للقبائلِ مِن سُلَيْمٍ كلِّها أَوْدَى[1] ضِمارُ وعاش أهلُ المسجدِ
إن الذى وَرِث النبوةَ والهُدَى بعدَ ابنِ مَرْيَمَ مِن قريشٍ مُهْتَدِى
أَوْدَى ضِمارُ وكان يُعْبَدُ مَرَّةً[2] قبلَ الكتابِ إلى النبىِّ محمدِ

قال : فحرَّق عباسٌ ضِمارًا ، ثم لَحِق برسولِ اللَّهِ ﷺ فأَسْلَم . وقد تقَدَّمت هذه القصةُ بكَمالِها فى بابِ هَواتفِ الجانِّ ، مع أمثالِها وأشْكالِها ، وللَّهِ الحمدُ والمنةُ .

---

(١) أودى : هلك .

(٢) فى م : « مدة » . وانظر ما تقدم فى ٥٨٠/٣ - ٥٨٢.

بعْثه صلَّى اللَّهُ عليه وسلَّم خالدَ بنَ الوليدِ بعدَ الفتحِ إلى بنى جَذِيمةَ مِن كِنانةَ

قال ابنُ إسحاقَ[1] : فحدَّثنى [2]حَكِيمُ بنُ حَكيمِ[2] بنِ عَبَّادِ بنِ حُنَيْفٍ ، عن أبى جعفرٍ محمدِ بنِ علىٍّ قال : بعَث رسولُ اللَّهِ ﷺ خالدَ بنَ الوليدِ حينَ افتتَح مكةَ داعيًا ، ولم يبعَثْه مُقاتلًا ، ومعه قبائلُ مِن العربِ ؛ سُلَيْمُ بنُ منصورٍ ومُدْلِجُ بنُ مُرَّةَ ، فوَطِئوا بنى جَذِيمةَ بنَ [٣/١٤٨ظ] عامرِ بنِ عبدِ مَناةَ بنِ كِنانةَ ، فلمَّا رآه القومُ أخَذوا السلاحَ ، فقال خالدٌ : ضَعوا السلاحَ ، فإن الناسَ قد أسْلَموا .

قال ابنُ إسحاقَ[3] : وحدَّثنى بعضُ أصحابِنا مِن أهلِ العلمِ مِن بنى جَذِيمةَ قال : لمَّا أمَرَنا خالدٌ أن نضَعَ السلاحَ ، قال رجلٌ مِنا - يقالُ له : جَحْدَمٌ -: ويلَكم يا بنى جَذِيمةَ ، إنه خالدٌ ، واللَّهِ ما بعدَ وضْعِ السلاحِ إلَّا الإسارُ[4] ، وما بعدَ الإسارِ إلَّا ضربُ الأعْناقِ ، واللَّهِ لا أضَعُ سلاحِى أبدًا . قال : فأخَذه رجالٌ مِن قومِه ، فقالوا : يا جَحْدَمُ ، أتريدُ أن تَسْفِكَ دماءَنا ؟ إن الناسَ قد أسلَموا[5]

---

(١) سيرة ابن هشام ٢/ ٤٢٨، ٤٢٩.

(٢ - ٢) فى ص : « حليم بن حليم ». وانظر تهذيب الكمال ٧/ ١٩٣.

(٣) سيرة ابن هشام ٢/ ٤٢٩.

(٤) الإسار : الأسر .

(٥) بعده فى السيرة : « ووضعوا السلاح ». وأشار محققوها إلى أن هذه العبارة سقطت من إحدى نسخ السيرة .

ووُضِعَت الحربُ ، وأَمِنَ[1] الناسُ . فلم يزالُوا به حتى نزَعوا سلاحَه ، ووضَع القومُ سلاحَهم لقولِ خالدٍ .

قال ابنُ إسحاقَ[2] : فحدثنى[3] حَكِيمُ بنُ[4] حكيمٍ ، عن أبى جعفرٍ قال : فلمّا وضَعوا السلاحَ أمَر بهم خالدٌ (٥عندَ ذلك٥) ، فكُتِفوا[6] ، ثم عرَضهم على السَّيفِ ، فقتَل مَن قتَل منهم ، فلمَّا انتهى الخبرُ إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ رفَع يدَيه إلى السماءِ ثم قال : « اللهمَّ إنى أَبْرَأُ إليك ممَّا صنَع خالدُ بنُ الوليدِ » .

قال ابنُ هشامٍ[7] : حدَّثنى بعضُ أهلِ العلمِ أنه انفلَت رجلٌ مِن القومِ ، فأتَى رسولَ اللَّهِ ﷺ فأخبَره الخبرَ ، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « هل أنكَر عليه أحدٌ ؟ » فقال : نعم ، قد أنكَر عليه رجلٌ أبيضُ رَبْعَةٌ[8] ، فنهَمه[9] خالدٌ ، فسكَت عنه ، وأنكَر عليه رجلٌ آخرُ طويلٌ مُضْطَرِبٌ[10] ، فراجَعَه[11] فاشتدَّتْ مُراجعتُهما ، فقال عمرُ بنُ الخطابِ : أمَّا الأولُ يا رسولَ اللَّهِ ، فابْنى عبدُ اللَّهِ ، وأمَّا الآخرُ

---

(١) سقط من : ١ ٤١. وفى الأصل ، م ، ص : « وآمن » . والمثبت من السيرة .
(٢) سيرة ابن هشام ٢/ ٤٢٩.
(٣) سقط من : ١ ٤١. وفى الأصل ، م : « فقال » .
(٤) بعده فى ص : « أبى » .
(٥ - ٥) سقط من : الأصل ، ١ ٤١، م .
(٦) فكتفوا : أى شُدَّتْ أيديهم من خلفهم بالكِتاف ؛ وهو ما شُدَّ به من حبلٍ ونحوه . انظر الوسيط (ك ت ف) .
(٧) سيرة ابن هشام ٢/ ٤٢٩، ٤٣٠.
(٨) الربعة من الرجال : الذى بين الطويل والقصير . شرح غريب السيرة ٣/ ٩٠.
(٩) فى ١ ٤١: « فشتمه » . وفى ص : « فهمه » . ونهمه : زجره . المصدر السابق .
(١٠) مضطرب : أى ليس بمستوى الخلْق . المصدر السابق .
(١١) سقط من النسخ . والمثبت من السيرة .

فسالمٌ مولى أبى[1] حُذيفةَ .

قال ابنُ إسحاقَ[2] : فحدَّثنى حَكيمُ بنُ حَكيمٍ ، عن أبى جعفرٍ قال : ثم دعا رسولُ اللَّهِ ﷺ عليَّ بنَ أبى طالبٍ فقال : « يا عليُّ ، اخرُجْ إلى هؤلاء القومِ ، فانظُرْ فى أمرِهم ، واجعَلْ أمْرَ الجاهليةِ تحتَ قدمَيْك » . فخرَج عليٌّ حتى جاءهم ومعه مالٌ قد بعَث به رسولُ اللَّهِ ﷺ ، فودَى لهم الدماءَ وما أُصِيب لهم مِن الأموالِ حتى إنه لَيَدِى مِيلَغَةَ الكلبِ[3] ، حتى إذا لم يبقَ شىءٌ مِن دمٍ ولا مالٍ إلَّا وَداه ، بقِيَتْ معه بقيةٌ مِن المالِ ، فقال لهم عليٌّ حينَ فرَغ منهم : هل بَقِىَ لكم[4] دمٌ أو مالٌ لم يُودَ لكم؟ قالوا : لا . قال : فإنى أُعْطِيكم هذه البقيةَ مِن هذا المالِ احْتياطًا لرسولِ اللَّهِ ﷺ (5)مما لا نعْلَمُ(5) ولا تعلَمون . ففعَل ، ثم رجَع إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ فأخبَره الخبرَ ، فقال : « أَصَبتَ وأحسَنتَ » . ثم قام رسولُ اللَّهِ ﷺ فاستَقبل القبلةَ قائمًا شاهرًا يدَيه ، حتى إنه ليُرى ما تحتَ مَنْكِبَيْه [٣/١٤٩و] يقولُ : « اللهمَّ إنى أبرَأُ إليك مما صنَع خالدُ بنُ الوليدِ » . ثلاثَ مراتٍ .

قال ابنُ إسحاقَ[6] : وقد قال بعضُ مَن يَعْذِرُ خالدًا : إنه قال : ما قاتَلْتُ حتى أمَرَنى بذلك عبدُ اللَّهِ بنُ حُذافةَ السَّهْمىُّ وقال : إن رسولَ اللَّهِ ﷺ قد

---

(١) سقط من : ص . وانظر أسد الغابة ٢/ ٣٠٧.

(٢) سيرة ابن هشام ٢/ ٤٣٠.

(٣) ميلغة الكلب : شيء يُحفر من خشب ويُجعل فيه الماء ليَلَغ فيه الكلب ، يكون عند أصحاب الغنم وعند أهل البادية ، ويقال : ولغ الكلب فى الإناء . إذا شرب منه . شرح غريب السيرة ٣/ ٩٠.

(٤) بعده فى السيرة : « بقية من » .

(٥ - ٥) فى ١٤١، ص : « فيما لا يعلم » . وفى م : « مما لا يعلم » . وفى السيرة : « مما يعلم » .

(٦) سيرة ابن هشام ٢/ ٤٣٠.

أَمَرك أن تُقاتِلَهم لامتناعِهم مِن الإسلامِ. قال ابنُ هشامٍ[1]: قال أبو عمرٍو المَدِينيُّ: لمَّا أتاهم خالدُ بنُ الوليدِ قالوا: صبَأْنا صبَأْنا. وهذه مُرْسَلاتٌ ومُنْقطِعاتٌ.

وقد قال الإمامُ أحمدُ[2]: حدَّثنا عبدُ الرَّزَّاقِ، ثنا معمرٌ، عن الزهريِّ، عن سالمِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ عمرَ، عن ابنِ عمرَ قال: بعَث رسولُ اللَّهِ ﷺ خالدَ بنَ الوليدِ إلى بنى - أحسَبُه قال - جَذِيمةَ. فدَعاهم إلى الإسلامِ، فلم يُحْسِنوا أن يقولوا: أسلَمْنا. فجعَلوا يقولون: صبَأْنا صبَأْنا. (3)وجعل خالدٌ(3) بهم أسْرًا وقتلًا. قال: ودفَع إلى كلِّ رجلٍ مِنّا أسيرًا، حتى إذا أصبَح يومًا أمَر خالدٌ أن يَقْتُلَ كلُّ رجلٍ مِنَّا أسيرَه. قال ابنُ عمرَ: فقلتُ: واللَّهِ لا أقتُلُ أسيرِى، ولا يقتُلُ أحدٌ مِن أصْحابى أسيرَه. قال: فقدِمُوا على النبيِّ ﷺ فذكَروا له صَنيعَ خالدٍ، فقال النبيُّ ﷺ (4)ورفَع يدَيه(4): «اللهم إنى أَبْرَأُ إليك ممَّا صنَع خالدٌ». مرتيْن. ورَواه البخاريُّ والنسائيُّ مِن حديثِ عبدِ الرزاقِ به نحوَه[5].

قال ابنُ إسحاقَ[6]: وقد قال لهم جَحْدَمٌ لمَّا رأَى ما يصنَعُ بهم خالدٌ: يا بنى جَذِيمةَ، ضاع الضَّرْبُ، قد كنتُ حذَّرْتُكم ما وقَعْتُم فيه. قال ابنُ إسحاقَ: وقد كان بينَ خالدٍ وبينَ عبدِ الرحمنِ بنِ عوفٍ - فيما بلَغنى -

---

(1) سيرة ابن هشام ٢/ ٤٣١.
(2) المسند ٢/ ١٥٠، ١٥١. (إسناده صحيح).
(٣ - ٣) فى ١ ٤: «وجعل خالد يفعل»، وفى م: «وخالد يأخذ».
(٤ - ٤) سقط من: الأصل.
(٥) البخارى (٧١٨٩)، والنسائى فى الكبرى (٨٥٩٦).
(٦) سيرة ابن هشام ٢/ ٤٣١، ٤٣٢.

كلامٌ فى ذلك، فقال له عبدُ الرحمنِ: عمِلْتَ بأمرِ الجاهليةِ فى الإسلامِ؟ فقال: إنما ثأَرْتُ بأبيك. فقال عبدُ الرحمنِ: كذَبْتَ، قد قتَلْتُ قاتلَ أبى، ولكنك ثأَرْتَ بعمِّك الفاكهِ بنِ المغيرةِ. حتى كان بينَهما شرٌّ، فبلَغ ذلك رسولَ اللَّهِ ﷺ فقال: «مهلًا يا خالدُ، دَعْ عنك أصْحابى، فواللَّهِ لو كان لك أُحُدٌ ذهبًا ثم أنفَقْتَه فى سبيلِ اللَّهِ، ما أدرَكْتَ غَدْوَةَ رجلٍ مِن أصْحابى ولا رَوْحتَه». ثم ذكَر ابنُ إسحاقَ قصةَ الفاكهِ بنِ المغيرةِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ عمرَ بنِ مخزومٍ، عمِّ خالدِ بنِ الوليدِ، فى خروجِه هو وعوفِ بنِ عبدِ عوفِ بنِ عبدِ الحارثِ بنِ زُهْرَةَ، ومعه ابنُه عبدُ الرحمنِ، وعفَّانِ بنِ أبى العاصِ بنِ أميةَ بنِ عبدِ شمسٍ، ومعه ابنُه عثمانُ فى تجارةٍ إلى اليمنِ، ورجوعِهم ومعهم مالٌ لرجلٍ مِن بنى جَذِيمةَ كان هلَك باليمنِ، فحمَلوه إلى وَرَثَتِه، فادَّعاه رجلٌ منهم يقالُ له: خالدُ بنُ هشامٍ. ولقِيَهم بأرضِ بنى جَذِيمةَ فطلَبه منهم [٣/١٤٩ظ] (١)قبلَ أن يصِلُوا إلى أهلِ الميِّتِ(١)، فأبَوْا عليه، فقاتَلهم فقاتَلوه، حتى قُتِل عوفٌ والفاكهُ وأُخِذَت أموالُهما، وقتَل عبدُ الرحمنِ قاتلَ أبيه خالدَ بنَ هشامٍ، وفرَّ منهم عفَّانُ ومعه ابنُه عثمانُ إلى مكةَ، فهمَّتْ قريشٌ بغزوِ بنى جَذِيمةَ، فبعَثَتْ بنو جَذِيمةَ يَعْتَذِرون إليهم بأنه لم يكُنْ عن ملأٍ منهم، ووَدَوْا لهم القتيلَيْن وأموالَهما، ووضَعُوا الحربَ بينَهم.

يَعْنِى فلهذا قال خالدُ بنُ الوليدِ لعبدِ الرحمنِ: إنما ثأَرْتُ بأبيك. يعنى حينَ قتَلَتْه بنو جَذِيمةَ، فأجابه بأنه قد أخَذ ثأْرَه وقتَل قاتلَه، وردَّ عليه بأنه إنما ثأَر

(١ - ١) سقط من: الأصل، ٤١، ص.

بعمِّه الفاكهِ بنِ المغيرةِ حينَ قتَلوه وأخَذوا أموالَه، والمظنونُ بكلٍّ منهما أنه لم يَقْصِدْ شيئًا مِن ذلك، وإنما يقالُ هذا فى وقتِ المُخاصمةِ، فإنما أرادَ خالدُ بنُ الوليدِ نُصْرَةَ الإسلامِ وأهلِه، وإن كان قد أخطَأ فى أمرٍ، واعتَقد أنهم ينْتَقِصون الإسلامَ بقولِهم: صبَأْنا صبَأْنا. ولم يَفْهَمْ عنهم أنهم أسلَموا، فقتَل طائفةً كثيرةً منهم وأسَر بقيَّتَهم، وقتَل أكثرَ الأسْرَى أيضًا، ومع هذا لم يَعْزِلْه رسولُ اللَّهِ ﷺ، بل استَمرَّ به أميرًا، وإن كان قد تبرَّأ منه فى صَنيعِه ذلك، ووَدَى ما كان جَناه خطأً فى دمٍ أو مالٍ، ففيه دليلٌ لأحدِ القولَيْن بينَ العلماءِ فى أن خطأَ الإمامِ يكونُ فى بيتِ المالِ لا فى مالِه. واللَّهُ أعلمُ. ولهذا لم يَعْزِلْه الصِّدِّيقُ حينَ قتَل مالكَ بنَ نُوَيْرَةَ أيامَ الرِّدَّةِ، وتأوَّل عليه ما تأوَّل حينَ ضرَب عنقَه واصطَفى امرأتَه أمَّ تميمٍ، فقال له عمرُ بنُ الخطابِ: اعزِلْه؛ فإن فى سيفِه رَهَقًا[1]. فقال الصديقُ: لا أَغْمِدُ سيفًا سَلَّه اللَّهُ على المشركين[2].

وقال ابنُ إسحاقَ[3]: حدَّثنى يعقوبُ بنُ عُتْبَةَ بنِ المغيرةِ بنِ الأَخْنَسِ، عن الزهرىِّ، عن ابنِ أبى حَدْرَدٍ الأسلمىِّ قال: كنتُ يومَئذٍ فى خيلِ خالدِ بنِ الوليدِ، فقال فتًى مِن بنى جَذِيمَةَ، وهو فى سنِّى[4]، وقد جُمِعتْ يداه إلى عُنُقِه برُمَّةٍ[5]، ونسوةٌ مجتمعاتٌ غيرَ بعيدٍ منه: يا فتى. فقلتُ: ما تشاءُ؟ قال: هل

---

(١) رهقًا: أى عجلة. النهاية ٢/ ٢٨٣.

(٢) انظر تاريخ الطبرى ٣/ ٢٧٩، حوادث السنة الحادية عشرة، وتاريخ دمشق ١٦/ ٢٤٠، ٢٥٧.

(٣) سيرة ابن هشام ٢/ ٤٣٣، ٤٣٤.

(٤) فى الأصل: «سبى».

(٥) الرمة: الحبل البالى. شرح غريب السيرة ٣/ ٩٢.

أنت آخذٌ بهذه الرُّمَّةِ ، فقائِدِى إلى هؤلاء النِّسوةِ حتى أقضِىَ إليهن حاجةً ، ثم تردَّنى بعدُ ، فتصنَعوا بى[1] ما بَدا لكم ؟ قال : قلتُ : واللَّهِ لَيسِيرٌ ما طلَبتَ . فأخَذْتُ برُمَّتِه فقُدْتُه بها ، حتى وقَفْتُه عليهن فقال : اسْلَمى حُبَيْشُ على نَفَدِ العيشْ :

أرَيتُكِ إذْ طالَبْتُكم فوجَدْتُكم ... بِحَلْيَةَ أو أَلْفَيْتُكم بالخَوانِقِ[2]

ألم يكُ أهْلًا أن يُنَوَّلَ عاشِقٌ ... تَكَلَّفَ إدْلاجَ السُّرَى والوَدَائِقِ[3]

فلا ذنْبَ لى قد قلتُ إذْ أهلُنا معًا ... أَثِيبى بوُدٍّ قبلَ إحدَى الصَّفائِقِ[4]

[٣/ ١٥٠و] أثِيبى بوُدٍّ قبلَ أن تَشْحَطَ النَّوى ... ويَنأَى الأميرُ بالحبيبِ المُفارِقِ[5]

فإنِّىَ لا ضيَّعتُ سِرَّ أمانةٍ ... ولا راقَ[6] عينِى عنكِ بعدَكِ رائقُ

سوى أنَّ ما نال العشيرةَ شاغِلٌ ... عن الوُدِّ إلَّا أن يكونَ التَّوامُقُ[7]

قالت : وأنت فحُيِّيتَ عشْرًا ، وتِسْعًا وَتْرًا ، وثمانيًا تَتْرَى[8] .

قال : ثم انصرَفْتُ به ، فضُرِبتْ عنقُه . قال ابنُ إسحاقَ : فحدَّثنى أبو فِراسِ

---

(١) سقط من : الأصل ، ا ٤ ، م .

(٢) الحلية والخوانق : اسمان لموضعين . شرح غريب السيرة ٣/ ٩٢ .

(٣) الإدلاج : سير الليل . والودائق : جمع وديقة وهى شدة الحر . المصدر السابق .

(٤) الصفائق : صوارف الخطوب وحوادثها ، الواحدة صَفيقة . اللسان (ص ف ق) .

(٥) تشحط : تبعد ، والشحط : البعد . وينأى : يبعد أيضًا . شرح غريب السيرة ٣/ ٩٢.

(٦) لا راق : ما أعجبَ . المصدر السابق .

(٧) التوامق : الحب . المصدر السابق . وفى هذين البيتين الأخيرين إقواء . وقال ابن هشام فى السيرة ٢/ ٤٣٤ : وأكثر أهل العلم بالشعر ينكر البيتين الأخيرين منها له .

(٨) أى : متتابعة .

ابنُ أبى سُنْبُلةَ الأسْلَمِىُّ ، عن أشياخٍ منهم ، عمَّن كان حضَرها منهم ، قالوا : فقامتْ إليه حينَ ضُرِبَتْ عنقُهُ فأكبَّتْ عليه ، فمازالتْ تقبِّلُه حتى ماتتْ عندَه .

ورَوَى الحافظُ البيهقىُّ[(١)] مِن طريقِ الحُمَيدىِّ ، عن سفيانَ بنِ عيينةَ ، عن عبدِ الملكِ بنِ نوفلِ بنِ مُساحِقٍ[(٢)] ، أنه سمِع رجلًا مِن مُزَيْنةَ يقالُ له : ابنُ عِصامٍ . عن أبيه قال : كان رسولُ اللَّهِ ﷺ إذا بعَث سريةً قال : « إذا رأَيتُم مسجدًا أو سمِعتُم مؤذِّنًا فلا تقتُلُوا أحدًا » . قال : فبعَثَنا رسولُ اللَّهِ ﷺ فى سريةٍ وأمَرَنا بذلك ، فخرَجْنا قِبَلَ تِهامةَ ، فأدرَكْنا رجلًا يَسُوقُ بظَعائنَ ، فقلْنا له : أسْلِمْ . فقال : وما الإسلامُ ؟ فأخبَرْناه به ، فإذا هو لا يعرِفُه ، قال : أفرأَيْتُم إن لم أفعَلْ ، ما أنتم صانِعون ؟ قال : قلْنا : نقتُلُك . فقال : فهل أنتم مُنْظِرِىَّ حتى أُدْرِكَ الظَّعائنَ ؟ قال : قلْنا : نعم ،ونحن مُدْرِكوك . قال : فأدرَك الظَّعائنَ فقال : اسْلَمِى[(٣)] حُبَيشْ قبلَ نَفادِ العيشْ . فقالت الأُخْرى : اسْلَمْ عشْرًا ، وتسعًا وَتْرًا ، وثمانيًا تَتْرَى . ثم ذكَر الشعرَ المتقدِّمَ إلى قولِه : وينأَى الأميرُ بالحبيبِ المفارقِ . ثُم رجَع إلينا فقال : شأنُكم . قال : فقدَّمْناه ، فضرَبْنا عنقَه . قال : فانحدَرتِ الأُخْرى مِن هَوْدَجِها ، فحنَت[(٤)] عليه حتى ماتت .

ثم روَى البيهقىُّ[(٥)] مِن طريقِ أبى عبدِ الرحمنِ النسائىِّ ، ثنا محمدُ بنُ علىٍّ

---

(١) دلائل النبوة ٥/ ١١٦، ١١٧.

(٢) فى الأصل : « ماحق » . انظر تهذيب الكمال ١٨/ ٤٢٩.

(٣) فى ص ، والدلائل : « اسلم » .

(٤) سقط : من ١٤. وفى م ، ص : « فجثت » .

(٥) دلائل النبوة ٥/ ١١٧، ١١٨.

ابنِ حربٍ المَرْوَزيُّ ، ثنا عليُّ بنُ الحسينِ بنِ واقدٍ ، عن أبيه ، عن يزيدَ النحويِّ ، عن عكرمةَ ، عن ابنِ عباسٍ ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ بعَث سريةً فغنِموا ، وفيهم رجلٌ فقال لهم : إنِّى لستُ منهم ، إنِّى عشِقْتُ امرأةً فلحِقْتُها ، فدَعونى أنظُرْ إليها نظرةً ، ثم اصنَعوا بى ما بدَا لكم . قال : فإذا امرأةٌ أَدْماءُ[1] طويلةٌ ، فقال لها : اسْلَمى حُبَيشْ قبلَ نَفادِ العيشْ . ثم ذكَر البيتيْن بمعناهما . قال : فقالت : نعم فدَيتُك . قال : فقدَّموه فضرَبُوا عنقَه ، فجاءت المرأةُ فوقَعَت [٣/ ١٥٠ظ] عليه ، فشهِقتْ شَهْقةً أو شَهْقتيْن ثم ماتتْ ، فلمَّا قدِموا على رسولِ اللَّهِ ﷺ أخبَروه الخبرَ ، فقال : « أمَا كان فيكم رجلٌ رحيمٌ ؟ » .

---

(١) أدماء : اشتدت سمرتها . الوسيط (أ د م) .

بعثُ خالدِ بنِ الوليدِ لهَدْمِ العُزَّى

قال ابنُ جريرٍ[1] : وكان هدمُها لخمسٍ بَقِين مِن رمضانَ عامَئِذٍ .

[2]قال ابنُ إسحاقَ[3] : ثم بعَث رسولُ اللَّهِ ﷺ خالدَ بنَ الوليدِ إلى العُزَّى ، وكانت بيتًا بنَخْلةَ يُعَظِّمُه قريشٌ وكِنانةُ ومُضَرُ[2] ، وكان سَدَنَتُها وحُجَّابُها مِن بنى شَيبانَ مِن بنى سُليمٍ حُلفاءِ بنى هاشمٍ ، فلمَّا سمِع حاجِبُها السُّلَمىُّ بمسيرِ خالدِ بنِ الوليدِ إليها علَّق سيفَه عليها ، ثم اشتدَّ فى الجبلِ الذى هى فيه وهو يقولُ :

أيا عُزَّ شُدِّى شَدَّةً لا شَوَى لها[4] على خالدٍ أَلْقِى القِناعَ وشَمِّرِى

أيا عُزَّ إن لم تقتُلى المرءَ خالدًا فبُوئِى بإثْمٍ عاجِلٍ أو تَنَصَّرِى

قال : فلمَّا انتَهى خالدٌ إليها هدَمها ، ثم رجَع إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ .

وقد روَى الواقدىُّ وغيرُه[5] أنه لمَّا قدِمها خالدٌ لخمسٍ بَقِين مِن رمضانَ فهدَمها ، ورجَع فأخبَرَ رسولَ اللَّهِ ﷺ ، فقال : « ما رأيتَ ؟ » قال : لم أرَ

---

(١) تاريخ الطبرى ٣/ ٦٥. حوادث السنة الثامنة .

(٢ - ٢) سقط من : الأصل .

(٣) سيرة ابن هشام ٢/ ٤٣٦، ٤٣٧.

(٤) لا شوى لها : لا بُقْيا لها . شرح غريب السيرة ٣/ ٩٥.

(٥) مغازى الواقدى ٣/ ٨٧٣، ٨٧٤، وطبقات ابن سعد ٢/ ١٤٥، ١٤٦.

شيئًا . فأمَره بالرُّجوعِ ، فلمَّا رجَع خرَجت إليه مِن ذلك البيتِ امرأةٌ سوداءُ ناشرةٌ شعرَها تُوَلْوِلُ ، فعلَاها بالسيفِ وجعَل يقولُ :

يا عُزَّ كُفْرانَكِ لا سبحانَكِ إنى رأيتُ اللَّهَ قد أهانَكِ

ثم خرَّب ذلك البيتَ الذى كانت فيه ، وأخَذ ما كان فيه مِن الأموالِ ، رَضِىَ اللَّهُ عنه وأرضاه ، ثم رجَع فأخبَر رسولَ اللَّهِ ﷺ ، فقال : « تلك العُزَّى ولا تُعْبدُ أبدًا » .

وقال البيهقىُّ[1] : أنبأَنا محمدُ بنُ أبى بكرٍ الفقيهُ ، أنبأنا محمدُ بنُ أبى جعفرٍ ، أنبأنا أحمدُ بنُ علىٍّ ، ثنا أبو كُرَيْبٍ ، عن ابنِ فُضَيْلٍ ، عن الوليدِ بنِ جُمَيْعٍ ، عن أبى الطُّفَيلِ قال : لمَّا فتَح رسولُ اللَّهِ ﷺ مكةَ بعَث خالدَ بنَ الوليدِ إلى نَخْلةَ ، وكانت بها العُزَّى ، فأتاها ، وكانت على ثلاثِ سَمُراتٍ[2] ، فقطَع السَّمُراتِ وهدَم البيتَ الذى كان عليها ، ثم أتَى رسولَ اللَّهِ ﷺ فأخبَره ، فقال : « ارجِعْ فإنك لم تَصْنَعْ شيئًا » . فرجَع خالدٌ ، فلمَّا نظَرَتْ إليه السَّدَنةُ وهم حُجَّابُها ، أَمْعَنوا هربًا فى الجبلِ وهم يقولون : يا عُزَّى خبِّلِيه ، يا عُزَّى عوِّرِيه ، وإلَّا فموتى برُغْمٍ . قال : فأَتاها خالدٌ ، فإذا امرأةٌ عُرْيانةٌ ناشرةٌ شعرَها ، تَحثو الترابَ على رأسِها ووجهِها ، فعمَّمها بالسيفِ حتى قتَلها ، ثم رجَع إلى النبىِّ ﷺ فأخبَره ، فقال : « تلك العُزَّى » .

---

(١) دلائل النبوة ٥/ ٧٧.

(٢) سمرات : مفردها سمرة . وهى ضرب من شجر الطلح . الوسيط (س م ر) .

فصلٌ فى مـدَّةِ إقامــتِه
عليه السلامُ، بمكةَ

[٣/ ١٥١و] لا خلافَ أنه، عليه الصلاةُ والسلامُ، أقام بقيةَ شهرِ رمضانَ يقصُرُ الصلاةَ ويُفطِرُ، وهذا دليلُ مَن قال مِن العلماءِ: إن المسافرَ إذا لم يُجْمِعِ الإقامةَ فله أن يقصُرَ ويُفطِرَ إلى ثمانيةَ عشَرَ يومًا فى أحدِ القولَيْن، وفى القولِ الآخرِ، كما هو مقرَّرٌ فى موضعِه.

قال البخاريُّ[١]: ثنا أبو نُعَيمٍ، ثنا سفيانُ (ح) وحدَّثنا قَبِيصةُ، ثنا سفيانُ، عن يَحيى بنِ أبى إسحاقَ، عن أنسِ بنِ مالكٍ قال: أقَمْنا مع رسولِ اللَّهِ ﷺ عشْرًا نقصُرُ الصلاةَ. وقد رَواه بقيةُ الجماعةِ مِن طرقٍ متعددةٍ، عن يحيى بنِ أبى إسحاقَ الحَضْرَمىِّ البصرىِّ، عن أنسٍ به نحوَه[٢].

ثم قال البخاريُّ[٣]: ثنا عَبْدانُ، ثنا عبدُ اللَّهِ، أنبأنا عاصمٌ، عن عكرمةَ، عن ابنِ عباسٍ قال: أقامَ رسولُ اللَّهِ ﷺ بمكةَ[٤] تسعةَ عشَرَ يومًا يصلِّى ركعتيْن. ورَواه البخاريُّ أيضًا مِن وجهٍ آخرَ - زادَ البخاريُّ: وحُصَينٌ[٥]

---

(١) البخارى (٤٢٩٧).

(٢) مسلم (٦٩٣)، وأبو داود (١٢٣٣)، والترمذى (٥٤٨)، والنسائى (١٤٣٧، ١٤٥١)، وابن ماجه (١٠٧٧).

(٣) البخارى (٤٢٩٨).

(٤) سقط من النسخ. والمثبت من البخارى.

(٥) سقط من: ١٤، وفى م، ص: «أبو حصين»، وانظر تهذيب الكمال ٦/ ٥١٩.

كلاهما - وأبو داودَ[(١)] ، والترمذيُّ ، وابنُ ماجه ، مِن حديثِ عاصمِ بنِ سليمانَ الأحْولِ ، عن عكرمةَ ، عن ابنِ عباسٍ به[(٢)] . وفى لفظٍ لأبى داودَ[(٣)] : سبعَ عَشْرةَ .

وحدَّثنا[(٤)] أحمدُ بنُ يونسَ ، ثنا [(٥)]أبو شِهابٍ[(٥)] ، عن عاصمٍ ، عن عكرمةَ ، عن ابنِ عباسٍ قال : أقَمْنا مع رسولِ اللَّهِ ﷺ فى سفرٍ تسعَ عشْرةَ نقصُرُ الصلاةَ . وقال ابنُ عباسٍ : فنحن نقصُرُ ما [(٦)]بيننا وبينَ[(٦)] تسعَ عشْرةَ ، فإذا زِدْنا أتْمَمْنا .

وقال أبو داودَ[(٧)] : ثنا إبراهيمُ بنُ موسى ، ثنا ابنُ عُليَّةَ ، ثنا علىُّ بنُ زيدٍ ، عن أبى نَضْرةَ ، عن عِمرانَ بنِ حُصينٍ قال : غزَوْتُ مع رسولِ اللَّهِ ﷺ وشهِدتُ معه الفتحَ ، فأقامَ[(٨)] ثمانىَ عشْرَةَ ليلةً لا يصلِّى إلَّا ركعتيْن ، يقولُ : « يا أهلَ البلدِ ، صلُّوا أربعًا فإنا سَفْرٌ »[(٩)] . وهكذا رَواه الترمذىُّ[(١٠)] مِن حديثِ علىٍّ

---

(١) رواية أبى داود من طريق عاصم عن عكرمة عن ابن عباس بلفظ « سبع عشرة » .

(٢) البخارى (١٠٨٠) ، وأبو داود (١٢٣٠) ، والترمذى (٥٤٩) ، وابن ماجه (١٠٧٥) .

(٣) ذكره أبو داود عقب الحديث السابق معلقا من طريق عباد بن منصور عن عكرمة عن ابن عباس بلفظ « تسع عشرة » . فلعله وقع خطأ من الناسخ فى إبدال النبرة فى كلتا الروايتين قبل السين وبعدها ، فوقع فى رواية عاصم (تسع) بدلاً من (سبع) ، وفى رواية منصور (سبع) بدلا من (تسع) . وانظر تحفة الأشراف ٥/ ١٤٤.

(٤) البخارى (٤٢٩٩) .

(٥ - ٥) سقط من : ٤١ ، وفى م ، ص : « أحمد بن شهاب » . وانظر تهذيب الكمال ١٦/ ٤٨٥.

(٦ - ٦) فى م : « بقينا بين » .

(٧) أبو داود (١٢٢٩) . ضعيف (ضعيف سنن أبى داود ٢٦٤) .

(٨) بعده فى أبى داود : « بمكة » .

(٩) السفر : جمع سافر ، كصاحب وصحب . والسفر والمسافرون بمعنى . انظر النهاية ٢/ ٣٧١.

(١٠) الترمذى (٥٤٥) . صحيح بما قبله (صحيح سنن الترمذى ٤٥٠) . والذى فى متن الترمذى : حججت مع رسول اللَّه ﷺ فصلَّى ركعتين . فهو ليس دليلًا مباشرًا على مراد المصنف . واللَّه تعالى أعلم .

ابنِ زيدِ بنِ جُدْعانَ، وقال: هذا حديثٌ حسنٌ صحيحٌ[1].

ثُم [2]روى أبو داودَ[3][2] مِن حديثِ محمدِ بنِ إسحاقَ، عن الزهريِّ، عن عُبيدِ اللَّهِ بنِ عبدِ اللَّهِ، عن ابنِ عباسٍ قال: أقامَ رسولُ اللَّهِ ﷺ[4] عامَ الفتحِ خمسَ عشْرةَ ليلةً يقصُرُ الصلاةَ. ثم قال: [5]رَواه غيرُ واحدٍ[5]، عن ابنِ إسحاقَ، لم يذكُروا ابنَ عباسٍ.

وقال ابنُ إدريسَ[6]، عن محمدِ بنِ إسحاقَ، عن الزهريِّ، ومحمدِ بنِ عليِّ بنِ الحسينِ[7]، وعاصمِ بنِ عمرَ[8] بنِ قتادةَ، وعبدِ اللَّهِ بنِ أبى بكرٍ، وعمرِو بنِ شعيبٍ، وغيرِهم قالوا: أقامَ رسولُ اللَّهِ ﷺ بمكةَ خمسَ عشْرةَ ليلةً.

---

(1) سقط من: الأصل، م، ص. وانظر تحفة الأشراف ٨/ ١٩٣.

(٢ - ٢) فى م: «رواه».

(٣) أبو داود (١٢٣١). ضعيف منكر (ضعيف سنن أبى داود ٢٦٥).

(٤) بعده فى سنن أبى داود: «بمكة».

(٥ - ٥) الذى فى سنن أبى داود: «روى هذا الحديث». ثم ذكر أسماءهم.

(٦) أخرجه الفسوى فى المعرفة والتاريخ ٣/ ٢٩٦، من طريق ابن إدريس به، إلا أن لفظه عنده: «خمسة عشر». وأخرجه البيهقى فى الدلائل ٥/ ١٠٦، من طريق الفسوى به، وعنده: «عبد اللَّه بن أبى رهم» بدل «ابن أبى بكر» - وهو خطأ. وانظر اسمه فيمن روى ابنُ إسحاق عنهم فى تهذيب الكمال ٢٤/ ٤٠٧، ٤٠٨ - وقال عَقِبَهُ: هذا منقطع، والأصح رواية ابن المبارك عن عاصم الأحول التى اعتمدها البخارى.

(٧) فى ص: «الحسن». وانظر اسمه فيمن روى ابن إسحاق عنهم فى تهذيب الكمال ٢٤/ ٤٠٩.

(٨) فى الأصل، م، ص: «عمرو». وانظر المصدر السابق ٢٤/ ٤٠٧.

فصلٌ فيما حكَمَ به
صلَّى اللَّهُ عليه وسلَّم بمكةَ مِن الأحكامِ

[٣/ ١٥١ظ] قال البخاريُّ(١) : حدَّثنا عبدُ اللَّهِ بنُ مَسْلَمةَ(٢) ، عن مالكٍ ، عن(٣) ابنِ شهابٍ ، عن عروةَ ، عن عائشةَ ، عن النبيِّ ﷺ (ح) وقال الليثُ(٤) : حدَّثني يونسُ ، عن ابنِ شهابٍ ، أخبرَنى عروةُ بنُ الزبيرِ ، أن عائشةَ قالت : كان عتبةُ بنُ أبى وقَّاصٍ عهِد إلى أخيه سعدٍ أن يقبِضَ ابنَ وَلِيدةِ زَمْعةَ ، وقال عتبةُ : إنه ابنى . فلمَّا قدِم رسولُ اللَّهِ ﷺ مكةَ فى الفتحِ ، أخَذ سعدُ بنُ أبى وقَّاصٍ ابنَ وَليدةِ زَمْعةَ ، فأقبَل به إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ ، وأقبَل معه عبدُ بنُ زَمْعةَ ، فقال سعدُ بنُ أبى وقَّاصٍ : هذا ابنُ أخى عهِد إلىَّ أنه ابنُه . قال عبدُ بنُ زَمْعةَ : يا رسولَ اللَّهِ ، هذا أخى ، هذا ابنُ زمعةَ وُلِد على فِراشِه . فنظَر رسولُ اللَّهِ ﷺ إلى ابنِ وَليدةِ زَمْعةَ ، فإذا هو أشبَهُ الناسِ بعتبةَ بنِ أبى وقَّاصٍ ، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « هو لك ، هو أخوك يا عبدَ بنَ زمعةَ ، مِن أجلِ أنه وُلِد على فراشِه » . وقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « احتَجِبى منه يا سَوْدةُ » . لِما رأَى مِن شَبَهِ عتبةَ بنِ أبى وقَّاصٍ . قال ابنُ شهابٍ : قالت عائشةُ : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ :

---

(١) البخارى (٤٣٠٣) .

(٢) فى النسخ : « مسلم » . وانظر تهذيب الكمال ١٦/ ١٣٦ .

(٣) سقط من : ا ٤، م ، ص . وانظر تهذيب الكمال ٢٦/ ٤١٩، ٢٧/ ٩١ .

(٤) قال الحافظ ابن حجر : وصله الذهلى فى الزهريات ، وساقه المصنف هنا - يعنى البخاريَّ - على لفظ يونس ، وأورده مقرونًا بطريق مالك وفيه مخالفة شديدة له . انظر فتح البارى ٨/ ٢٤ .

« الولدُ للفراشِ وللعاهرِ الحَجَرُ » . قال ابنُ شهابٍ[1] : وكان أبو هريرةَ يُصَرِّحُ[2] بذلك . وقد رَواه البخاريُّ أيضًا ، ومسلمٌ ، وأبو داودَ ، والترمذيُّ ، جميعًا عن قتيبةَ ، عن الليثِ به[3] . وابنُ ماجه مِن حديثِه[4] ، وانفرَد البخاريُّ بروايتِه له مِن حديثِ مالكٍ ، عن الزهريِّ[5] .

ثم قال البخاريُّ[6] : ثنا محمدُ بنُ مُقاتِلٍ ، أنبأنا عبدُ اللَّهِ ، أنا يونُسُ ، عن ابنِ شِهابٍ ، أخبرَنى عروةُ بنُ الزبيرِ ، أن امرأةً سرَقت فى عهدِ رسولِ اللَّهِ ﷺ فى غزوةِ الفتحِ ، ففزِع قومُها إلى أسامةَ بنِ زيدٍ يستَشْفِعونه . قال عروةُ : فلمَّا كلَّمه أسامةُ فيها ، تلوَّن وجهُ رسولِ اللَّهِ ﷺ وقال : « أتكلِّمُنى فى حدٍّ مِن حدودِ اللَّهِ ؟! » فقال أسامةُ : استغفِرْ لى يا رسولَ اللَّهِ . فلمَّا كان العَشِيُّ قام رسولُ اللَّهِ ﷺ خطيبًا فأثنى على اللَّهِ بما هو أهلُه ، ثم قال : « أمَّا بعدُ ، فإنما أَهْلَكَ[7] الناسَ قبلَكم أنهم كانوا إذا سرَق فيهم الشريفُ ترَكوه ، وإذا سرَق

---

(١) قال الحافظ ابن حجر : كذا هنا ، وهذا القدر موصول فى رواية مالك بذكر عروة فيه . المصدر السابق .

(٢) كذا فى النسخ . وفى البخارى : « يصيح » . قال الحافظ فى الفتح ٨/ ٢٤: يصيح بذلك ؛ أى يعلن بهذا الحديث ، وهذا موصول إلى ابن شهاب ومنقطع بين ابن شهاب وأبى هريرة ، وهو حديث مستقل أغفل المزى التنبيه عليه فى الأطراف ... قلت : وسيأتى فى الفرائض من وجه آخر عن أبى هريرة باختصار لكن من غير طريق ابن شهاب . اهـ كلام الحافظ .

(٣) البخارى (٢٢١٨، ٦٧٦٥، ٦٨١٧) ، ومسلم (١٤٥٧) . وعندهما عن الليث عن الزهرى به ، لا عن الليث عن يونس عن الزهرى كما ذكر المصنف . وانظر تحفة الأشراف ١٢/ ٧٣. وأما أبو داود فإن الحديث عنده ليس من طريق قتيبة عن الليث ، ولكن من طريق سفيان بن عيينة عن الزهرى به (٢٢٧٣) . وانظر تحفة الأشراف ١٢/ ٣٦، ٣٧. وأما الترمذى فلم نعثر على الحديث فيه وانظر التحفة فى المواضع المذكورة قبل .

(٤) ابن ماجه (٢٠٠٤)، من طريق سفيان بن عيينة عن الزهرى به .

(٥) البخارى (٢٧٤٥، ٤٣٠٣، ٦٧٤٩، ٧١٨٢) .

(٦) البخارى (٤٣٠٤) .

(٧) فى النسخ : « هلك » . والمثبت من صحيح البخارى .

فيهم الضعيفُ أقامُوا عليه الحدَّ، والذى نفسُ محمدٍ بيدِه لو أن فاطمةَ بنتَ محمدٍ سرَقت لَقطَعْتُ يدَها». ثم أمَر رسولُ اللَّهِ ﷺ بتلك المرأةِ فقُطِعت يدُها، فحسُنت توبتُها بعدَ ذلك وتزوَّجت، قالت عائشةُ: فكانت تأتينى[1] بعدَ ذلك فأرفعُ [٣/١٥٢و] حاجتَها إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ. وقد رَواه البخارىُّ فى موضعٍ آخرَ، ومسلمٌ مِن حديثِ ابنِ وهبٍ، عن يونسَ، عن الزهرىِّ، عن عروةَ، عن عائشةَ به[2].

وفى «صحيحِ مسلمٍ»[3] مِن حديثِ سَبْرةَ بنِ مَعْبَدٍ الجُهَنىِّ قال: أمَرَنا رسولُ اللَّهِ ﷺ بالمتعةِ عامَ الفتحِ حيـنَ دخَل مكةَ، ثم لم يخْرُجْ حتى نهانا[4] عنها. وفى روايةٍ فقال[5]: «ألَا إنها حرامٌ[6] مِن يومِكم هذا إلى يومِ القيامةِ». وفى روايةٍ فى «مسندِ أحمدَ» و«السننِ» أن ذلك كان فى حِجَّةِ الوداعِ[7]. فاللَّهُ أعلمُ.

وفى «صحيحِ مسلمٍ»[8] عن أبى بكرِ بنِ أبى شيبةَ، عن يونسَ بنِ محمدٍ، عن عبدِ الواحدِ بنِ زِيادٍ، عن أبى العُمَيْسِ، عن إياسِ بنِ سلمةَ بنِ الأكْوعِ،

---

(١) فى الأصل، م، ص: «تأتى».
(٢) البخارى (٢٦٤٨، ٦٨٠٠)، ومسلم (٩/١٦٨٨).
(٣) مسلم (٢٢/١٤٠٦).
(٤) فى الأصل، م: «نهى».
(٥) مسلم (٢٨/١٤٠٦).
(٦) بعده فى الأصل، م، ص: «حرام».
(٧) المسند ٣/٤٠٤، ٤٠٥، وأبو داود (٢٠٧٢)، والنسائى فى الكبرى (٥٥٤١)، وابن ماجه (١٩٦٢). (شاذ بهذا اللفظ) انظر السنن الكبرى للبيهقى ٧/٢٠٣، ٢٠٤، وإرواء الغليل ٦/٣١٢-٣١٥.
(٨) مسلم (١٨/١٤٠٥).

عن أبيه أنه قال : رخَّص لنا رسولُ اللَّهِ ﷺ عامَ أوطاسٍ فى متعةِ النساءِ ثلاثًا ، ثم نهَانا عنها .

قال البيهقىُّ[1] : وعامُ أوطاسٍ هو عامُ الفتحِ ، فهو وحديثُ سَبْرَةَ سواءٌ .

قلتُ : مَن أثبَت النَّهىَ عنها فى غزوةِ خيبرَ قال : إنها أُبيحَت مرتيْن وحُرِّمت مرتيْن ، وقد نصَّ على ذلك الشافعىُّ وغيرُه . وقد قيل : إنها أُبيحت وحُرِّمت أكثرَ مِن مرتيْن . فاللَّهُ أعلمُ . وقيل : إنها إنما حُرِّمت مرةً واحدةً ، وهى هذه المرةُ فى غزوةِ الفتحِ . وقيل : إنها إنما أُبيحت للضرورةِ . فعلى هذا إذا وُجِدت ضرورةٌ أُبيحت ، وهذا روايةٌ عن الإمامِ أحمدَ ، وقيل : بل لم تُحَرَّمْ مطلقًا ، وهى على الإباحةِ . هذا هو المشهورُ عن ابنِ عباسٍ وأصحابِه وطائفةٍ مِن الصحابةِ ، وموضعُ تحريرِ ذلك فى « الأحكامِ »[2] .

---

(١) دلائل النبوة ٥/ ٨٩.

(٢) وانظر ما تقدم فى صفحة ٢٨١ - ٢٨٥ .

فصلٌ

قال الإمامُ أحمدُ[1] : حدَّثنا عبدُ الرزاقِ ، ثنا ابنُ جُرَيْجٍ ، أنبأَنا عبدُ اللَّهِ ابنُ عثمانَ بنِ خُثَيْمٍ ، أن محمدَ بنَ الأسودِ بنِ خَلَفٍ أخبَره أن أباه الأسودَ رأَى رسولَ اللَّهِ ﷺ يُبايِعُ الناسَ يومَ الفتحِ . قال : جلَس عندَ قَرْنِ مَسْقَلَةَ[2] ، فبايَع الناسَ على الإسلامِ والشهادةِ . قال[3] : قلتُ : وما الشهادةُ ؟ قال : أخبَرنى محمدُ بنُ الأسودِ بنِ خلفٍ أنه بايَعهم على الإيمانِ باللَّهِ ، وشهادةِ أن لا إلهَ إلا اللَّهُ وأن محمدًا عبدُه ورسولُه . تفرَّد به أحمدُ . وعندَ البيهقيِّ[4] : فجاءَه الناسُ ؛ الكبارُ والصغارُ ، والرجالُ والنساءُ ، فبايَعَهم على الإسلامِ والشهادةِ .

وقال ابنُ جريرٍ[5] : ثم اجتمع الناسُ بمكةَ لبيعةِ رسولِ اللَّهِ ﷺ على الإسلامِ ، فجلَس لهم - فيما بلَغنى - على الصَّفا ، وعمرُ بنُ الخطابِ أسفلَ مِن مجلسِه ، [٣/١٥٢ظ] فأخَذ على الناسِ السمعَ والطاعةَ للَّهِ ولرسولِه فيما استطاعوا . قال : فلما فرَغ مِن بيعةِ الرجالِ بايَع النساءَ ، وفيهن هندُ بنتُ عتبةَ

---

(١) المسند ٣/ ٤١٥.

(٢) فى م ، ص : « مستقبله » . قال الأزرقى : قرن مسقلة : هو قرن قد بقيت منه بقيةٌ بأعلى مكة ... ومسقلة : رجل كان يسكنه فى الجاهلية . انظر أخبار مكة ص ٤٨٠.

(٣) سقط من النسخ . والمثبت من المسند .

(٤) دلائل النبوة ٥/ ٩٤، من طريق ابن جريج به .

(٥) تاريخ الطبرى ٣/ ٦١، ٦٢، بنحوه . حوادث السنة الثامنة .

مُتنقِّبةً مُتنكِّرةً بحديثِها[1]؛ لِما[2] كان مِن صنيعِها بحمزةَ، [3]فهى تَخافُ أن يأخُذَها رسولُ اللَّهِ ﷺ بحدَثِها ذلك، فلما دنَيْن مِن رسولِ اللَّهِ ﷺ ليُبايِعَهن قال: «بايِعْنَنى على أن لا تُشرِكْن باللَّهِ شيئًا». فقالت هندُ: واللَّهِ إنك لَتأخُذُ علينا ما لا تأخُذُه على[4] الرجالِ[5]. قال: «ولا تَسْرِقْن». فقالت: واللَّهِ إنى كنتُ أصَبْتُ مِن مالِ أبى سفيانَ الهَنَةَ بعدَ الهَنَةِ، وما كنتُ أَدْرِى أكان ذلك[6] حلالًا لى[7] أم لا؟ فقال أبو سفيانَ، وكان شاهدًا لما تقولُ: أمّا ما أَصَبْتِ فيما مضَى فأنت منه فى حِلٍّ. فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «وإنكِ لَهندُ بنتُ عُتبةَ؟!» قالت: نعم، فاعْفُ عما سلَف، عفَا اللَّهُ عنكَ. ثم قال: «ولا تَزْنِين». فقالت: يا رسولَ اللَّهِ، وهل تَزْنى الحرةُ؟! ثم قال: «ولا تقْتُلْن أولادَكن». قالت: قد ربَّيْناهم صغارًا، وقتلْتَهم ببدرٍ كبارًا، [8]فأنت وهم أعلمُ[8]. فضحِك عمرُ بنُ الخطابِ حتى استغْرَب[9]، ثم قال: «[10]ولا تَأْتِين ببُهتانٍ تَفْتَرِينَه بينَ أيدِيكن وأرجلِكن[10][11]». فقالت: واللَّهِ إنَّ إتيانَ البُهتانِ لَقبيحٌ، ولَبعضُ[3]

---

(١) سقط من: ا ٤. وفى الأصل: «بحدثها». وفى م، وتاريخ الطبرى: «لحدثها».
(٢) فى تاريخ الطبرى: «وما».
(٣ - ٣) سقط من: ص.
(٤) فى الأصل، م: «من».
(٥) بعده فى تاريخ الطبرى: «وسنؤتيكه». قال على بن برهان الدين الحلبى: لأن الرجال كان صلى اللَّه عليه وسلم يبايعهم على الإسلام وعلى الجهاد فقط. السيرة الحلبية ٣/ ٤٦.
(٦) بعده فى الأصل، م: «علينا».
(٧) سقط من: الأصل، م.
(٨ - ٨) سقط من: م.
(٩) فى الأصل، ا ٤، م: «استغرق». والمثبت من تاريخ الطبرى. وضحك حتى استغرب: أى بالغ فيه. يقال: أغرب فى ضَحِكه واستَغْرب وكأنه من الغَرْب: البُعْد. وقيل: هو القهقهة. النهاية ٣/ ٣٥٢.
(١٠ - ١٠) فى الأصل، ا ٤، م: «ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن». والمثبت من تاريخ الطبرى.
(١١) بعده فى ا ٤: «إلى آخره».

(١التَّجاوُزِ أمثَلُ. ثم قال: «ولا تَعْصِينني». (٢فقالت: في معروفٍ٢). فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ لعمرَ: «بايِعْهن واستغْفِرْ لهن اللَّهَ، إن اللَّهَ غفورٌ رحيمٌ». فبايَعَهن عمرُ، وكان رسولُ اللَّهِ ﷺ لا يُصافِحُ النساءَ، ولا يَمَسُّ إلا امرأةً أحَلَّها اللَّهُ له، أو ذاتَ مَحْرَمٍ منه.

وثبَت في «الصحيحين»[٣] عن عائشةَ، رَضِيَ اللَّهُ عنها، أنها قالت: لا واللَّهِ ما مسَّت يدُ رسولِ اللَّهِ ﷺ يدَ امرأةٍ قطُّ. وفي روايةٍ[٤]: ما كان يُبايِعُهن إلا كلامًا ويقولُ: «إنما قَولى لامرأةٍ واحدةٍ كقولى لمائةِ امرأةٍ».

وفي «الصحيحين»[٥] عن عائشةَ، أن هندَ بنتَ عتبةَ امرأةَ أبى سفيانَ أتَت رسولَ اللَّهِ ﷺ فقالت: يا رسولَ اللَّهِ، إن أبا سفيانَ رجلٌ شَحيحٌ، لا يُعْطِينى مِن النفقةِ ما يَكْفِينى ويكْفى بَنىَّ، فهل علىَّ مِن حَرَجٍ إذا أخَذْتُ مِن مالِه بغيرِ علمِه؟ قال: «خذى مِن مالِه بالمعروفِ ما يَكْفيك ويَكْفى بَنِيك».

وروى البيهقىُّ[٦]، مِن طريقِ يحيى بنِ بُكَيْرٍ، عن الليثِ، عن [٣/١٥٣و] يونُسَ، عن ابنِ شِهابٍ، عن عروةَ، عن عائشةَ، أن هندَ بنتَ عتبةَ قالت: (١

(١ - ١) سقط من: ص.

(٢ - ٢) كذا في: الأصل، م. وفي تاريخ الطبرى: «في معروفٍ. قالت: ما جلسنا هذا المجلس ونحن نريد أن نعصيك في معروف».

(٣) البخارى (٤٨٩١، ٥٢٨٨، ٧٢١٤)، ومسلم (١٨٦٦).

(٤) رواه الترمذى (١٥٩٧)، والنسائى (٤١٩٢) من حديث أميمة بنت رُقَيْقة، والإمام أحمد في المسند ٦/٣٥٧. صحيح. (صحيح سنن الترمذى ١٣٠٠).

(٥) البخارى (٢٢١١، ٥٣٦٤، ٥٣٧٠، ٧١٨٠)، ومسلم (١٧١٤).

(٦) دلائل النبوة ٥/١٠٠.

(١) يا رسولَ اللَّهِ، ما كان مما على وجهِ الأرضِ أخْباءٌ[٢] أو أهلُ[٣] خِباءٍ - الشكُّ من (٤) ابنِ بكيرٍ (٤) - أحبَّ إليَّ مِن أن يَذِلُّوا مِن أهلِ أخْبائِك - أو خِبائِك - ثم ما أصبح اليومَ على ظهرِ الأرضِ أهلُ أخْباءٍ - أو خِباءٍ - أحبَّ إليَّ مِن أن يَعِزُّوا مِن أهلِ أخْبائِك - أو خِبائِك -. فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «وأيضًا والذى نفسُ محمدٍ بيدِه». قالت: يا رسولَ اللَّهِ، إن أبا سفيانَ رجلٌ مَسِيكٌ[٥]، فهل علىَّ حَرَجٌ أن أُطْعَمَ مِن الذى له؟ قال: «لا، إلَّا[٦] بالمعروفِ». ورواه البخارىُّ، عن يحيى بنِ بكيرٍ بنحوِه[٧]، وتقدَّم ما يتَعَلَّقُ بإسلامِ أبى سفيانَ (١).

وقال أبو داودَ[٨]: ثنا عثمانُ بنُ أبى شيبةَ، ثنا جريرٌ، عن منصورٍ، عن مجاهدٍ، عن طاوُسٍ، عن ابنِ عباسٍ قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ يومَ فتحِ مكةَ: «لا هجرةَ ولكن جهادٌ ونيةٌ، وإذا استُنْفِرْتم[٩] فانفِروا». ورواه البخارىُّ، عن عثمانَ بنِ أبى شيبةَ[١٠]، ومسلمٌ عن يحيى بنِ يحيى، عن جريرٍ[١١].

(١ - ١) سقط من: ص.

(٢) قال الحافظ فى الفتح ١١/ ٥٢٩: أهل أخباء أو خباء. كذا فيه بالشك هل هو بصيغة الجمع أو الإفراد. انتهى كلامه. وقال ابن الأثير فى النهاية ٢/ ٩: الخباء أحد بيوت العرب من وبر أو صوف ولا يكون من شعر، ويكون على عمودين أو ثلاثة ... وقد يستعمل فى المنازل والمساكن.

(٣) سقط من: الأصل، ا ٤، م. والمثبت من الدلائل.

(٤ - ٤) سقط من: ا ٤. وفى م: «أبى بكر».

(٥) سقط من: ا ٤، وفى م: «شحيح»، وفى الدلائل: «ممسك». وانظر النهاية ٤/ ٣٣٢.

(٦) سقط من: ا ٤، م.

(٧) البخارى (٦٦٤١).

(٨) أبو داود (٢٤٨٠). صحيح (صحيح سنن أبى داود ٢١٦٧).

(٩) بعده فى ا ٤، م: «ألا».

(١٠) البخارى (١٨٣٤).

(١١) مسلم (٨٥/ ١٣٥٣). باب المبايعة على فتح مكة ...، من كتاب الإمارة.

وقال الإمامُ أحمدُ[(١)] : ثنا عفانُ ، ثنا وُهَيبٌ[(٢)] ، ثنا ابنُ طاوُسٍ ، عن أبيه ، عن صفوانَ بنِ أميةَ أنه قيل له : إنه لا يدْخُلُ الجنةَ إلا مَن هاجَر . فقلتُ له : لا أدْخُلُ منزلى حتى آتىَ[(٣)] رسولَ اللَّهِ ﷺ فأسأَلَه . فأتَيتُه[(٤)] فذكَرْتُ له فقال : « لا هجرةَ بعدَ فتحِ مكةَ ، ولكن جهادٌ ونيةٌ ، وإذا استُنْفِرْتم فانفِروا » . تفرد به أحمدُ[(٥)] .

وقال البخاريُّ[(٦)] : ثنا محمدُ بنُ أبى بكرٍ ، ثنا الفُضَيْلُ بنُ سليمانَ ، ثنا عاصمٌ ، عن أبى عثمانَ النَّهْدىِّ ، عن مُجاشِعِ بنِ مسعودٍ قال : انطَلَقْتُ بأبى مَعْبَدٍ إلى النبىِّ ﷺ ليُبايِعَه على الهجرةِ ، فقال : « مضَت الهجرةُ لأهلِها ، أُبايِعُه على الإسلامِ والجهادِ » . فلقِيتُ أبا مَعْبَدٍ فسأَلْتُه ، فقال : صدَق مُجاشِعٌ . وقال خالدٌ ، عن أبى عثمانَ عن مجاشعٍ ، أنه جاء بأخيه مُجالِدٍ .

وقال البخاريُّ[(٧)] : ثنا عمرُو بنُ خالدٍ ، ثنا زُهَيْرٌ ، ثنا عاصمٌ ، عن أبى عثمانَ قال : حدَّثنى مُجاشِعٌ قال : أتيتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ بأخى بعدَ يومِ الفتحِ فقلتُ : يا رسولَ اللَّهِ ، جئتُك بأخى لتُبايِعَه على الهجرةِ ، قال : « ذهَب أهلُ

---

(١) المسند ٣/ ٤٠١، ٦/ ٤٦٥، ٤٦٦. بنحوه.
(٢) فى ١ ٤، م، ص: « وهب » . وانظر تهذيب الكمال ٣١/ ١٦٤.
(٣) فى ١ ٤، م، ص: « أسأل » .
(٤) بعده فى المسند: « فقلت: يا رسول اللَّه، إن هذا سرق خميصة لى لرجل معه. فأمر بقطعه. فقال: يا رسول اللَّه، إنى قد وهبتها له. قال: فهلا قبل أن تأتينى به » . وانظر ما رواه الإمام أحمد فى المسند ٣/ ٤٠١ (١٥٣٣٨).
(٥) قلت: لم يتفرد به أحمد؛ بل رواه النسائى فى المجتبى (٤١٨٠)، وفى الكبرى (٨٧٠٤)، من طريق وهيب به. صحيح (صحيح سنن النسائى ٣٨٨٦).
(٦) البخارى (٤٣٠٧، ٤٣٠٨).
(٧) البخارى (٤٣٠٥، ٤٣٠٦).

الهجرةِ بما فيها » . فقلتُ : على أيِّ شيءٍ تُبايِعُه ؟ قال : « أُبايِعُه على الإسلامِ والإيمانِ والجهادِ » . فلقِيتُ أبا مَعْبَدٍ بعدُ ، وكان أكبرَهما سنًّا ، [٣/١٥٣ظ] فسأَلْتُه ، فقال : صدَق مُجاشِعٌ .

وقال البخاريُّ[(١)] : ثنا محمدُ بنُ بَشَّارٍ ، ثنا غُنْدَرٌ ، ثنا شعبةُ ، عن أبي بشرٍ ، عن مُجاهدٍ قال : قلتُ لابنِ عمرَ : أُريدُ أن أهاجرَ إلى الشامِ . فقال : لا هجرةَ ، ولكن جهادٌ[(٢)] ، انطَلِقْ فاعْرِضْ نفسَك ، فإن وجَدْتَ شيئًا وإلا رجَعْتَ . وقال النَّضْرُ[(٣)] : أنا شعبةُ ، أنا أبو بشرٍ ، سمِعْتُ مجاهدًا قال : قلتُ لابنِ عمرَ ، فقال : لا هجرةَ اليومَ - أو بعدَ رسولِ اللَّهِ ﷺ -... مثلَه .

حدَّثنا[(٤)] إسحاقُ بنُ يزيدَ ، ثنا يحيى بنُ حمزةَ ، حدَّثنى أبو عمرٍو الأَوْزاعيُّ ، عن عَبْدَةَ بنِ أبي لُبابةَ ، عن مُجاهدِ بنِ جبرٍ[(٦)] ، أن عبدَ اللَّهِ بنَ عمرَ قال : لا هجرةَ بعدَ الفتحِ .

وقال البخاريُّ[(٧)] : ثنا إسحاقُ بنُ يزيدَ ، أنا يحيى بنُ حمزةَ ، أنا الأَوْزاعيُّ ، عن عطاءِ بنِ أبي رَباحٍ قال : زُرْتُ عائشةَ مع عُبَيْدِ بنِ عُميرٍ ، فسأَلها عن الهجرةِ

---

(١) البخاری (٤٣٠٩، ٤٣١٠).

(٢) سقط من النسخ. والمثبت من البخاری.

(٣) سقط من : ا ٤. وفی الأصل ، م ، ص : « أبو النضر » . والمثبت من البخاری . وانظر تهذيب الكمال ٢٩/ ٣٧٩. قال الحافظ فی الفتح ٨/ ٢٦: وصله الإسماعيلی من طريق أحمد بن منصور عنه .

(٤) البخاری (٤٣١١) .

(٥) سقط من : ا ٤. وفی الأصل ، م : جبير . ومطموسة فی ص . والمثبت من البخاری . وهو مما يقال فی اسمه . انظر تهذيب الكمال ٢٧/ ٢٢٨.

(٦) البخاری (٤٣١٢) .

فقالت : لا هجرةَ اليومَ ، كان المؤمنُ[1] يَفِرُّ أحدُهم بدينِه إلى اللَّهِ ، عزَّ وجلَّ ، وإلى رسولِه ﷺ ؛ مخافةَ أن يُفْتَنَ عليه ، فأما اليومَ فقد أظْهَر اللَّهُ الإسلامَ ، فالمؤمنُ يعْبُدُ ربَّه حيث يشاءُ ، ولكن جهادٌ ونيةٌ .

وهذه الأحاديثُ والآثارُ دالةٌ على أن الهجرةَ - إما الكاملةَ أو مطلقًا - قد انقطَعَت بعدَ فتحِ مكةَ ؛ لأن الناسَ دخَلوا فى دينِ اللَّهِ أفواجًا ، وظهَر الإسلامُ وثَبتت أركانُه ودَعائمُه ، فلم تَبْقَ هجرةٌ ، اللهمَّ إلا أن يَعْرِضَ حالٌ يَقْتَضِى الهجرةَ بسببِ مجاورةِ أهلِ الحربِ ، وعدمِ القدرةِ على إظهارِ الدينِ عندَهم ، فتجِبُ الهجرةُ إلى دارِ الإسلامِ ، وهذا ما لا خلافَ فيه بينَ العلماءِ ، ولكنَّ هذه الهجرةَ ليست كالهجرةِ قبلَ الفتحِ ، كما أن كُلًّا مِن الجهادِ والإنفاقِ فى سبيلِ اللَّهِ مشروعٌ ومرغَّبٌ فيه إلى يومِ القيامةِ ، ولكن[2] ليس كالإنفاقِ ولا الجهادِ قبلَ الفتحِ ، فتحِ مكةَ . قال اللَّهُ تعالى[3] : ﴿ لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُواْ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُواْ ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ ﴾ الآية [الحديد : ١٠] .

وقد قال الإمامُ أحمدُ[4] : ثنا محمدُ بنُ جعفرٍ ، ثنا شعبةُ ، عن عمرِو بنِ مُرَّةَ ، عن أبى البَخْتَرىِّ الطَّائىِّ ، عن أبى سعيدٍ الخُدْرىِّ ، عن رسولِ اللَّهِ ﷺ أنه قال : لما نزَلت هذه السورةُ الكريمةُ : ﴿ إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ۝١ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ۝٢ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ ۚ

(١) فى الأصل ، م ، ص : « المؤمنون » .
(٢) زيادة من : ١ ٤.
(٣) التفسير ٨/٣٧ - ٤٠.
(٤) المسند ٣/ ٢٢. قال الهيثمى فى المجمع ١٠/ ١٧: رواه الطبرانى وأحمد ، ورجالهما رجال الصحيح .

﴿ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا ﴾ [النصر: ١- ٣]. قرأها رسولُ اللَّهِ ﷺ حتى ختَمها، وقال: «الناسُ حَيِّزٌ[(١)] وأنا وأصحابي حَيِّزٌ[(١)]». وقال: «لا هجرةَ بعدَ الفتحِ ولكن جهادٌ ونيةٌ». فقال له مَرْوانُ: كذَبْتَ. [٣/ ١٥٤و] وعندَه رافعُ بنُ خَدِيجٍ وزيدُ بنُ ثابتٍ قاعدان معه على السَّريرِ، فقال أبو سعيدٍ: لو شاء هذان لحدَّثاك، ولكن هذا يَخافُ أن تنْزِعَه عن عِرافةِ قومِه[(٢)]، وهذا يَخْشَى أن تَنْزِعَه عن الصدقةِ[(٣)]. فرفَع مَرْوانُ عليه الدِّرَّةَ ليَضْرِبَه، فلما رأيا ذلك قالا: صدَق. تفرَّد به أحمدُ.

وقال البخاريُّ[(٤)]: ثنا موسى بنُ إسماعيلَ، ثنا أبو عَوانةَ، عن أبي بشرٍ، عن سعيدِ بنِ جبيرٍ، عن ابنِ عباسٍ قال: كان عمرُ يُدْخِلُني مع أشياخِ بدرٍ، فكأنَّ بعضَهم وجَد في نفسِه، فقال: لِمَ تُدْخِلُ هذا معنا ولنا أبناءٌ مثلُه؟ فقال عمرُ: إنه [(٥)]ممن قد[(٥)] علِمْتُم. فدعاهم ذاتَ يومٍ فأدْخَله معهم، فما رُئِيتُ أنه أدْخَلني فيهم يومئذٍ إلا ليُرِيَهم، فقال: ما تقولون في قولِ اللَّهِ عزَّ وجلَّ: ﴿ إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ﴾؟ فقال بعضُهم: أُمِرْنا أن نحْمَدَ اللَّهَ ونسْتَغْفِرَه إذا نُصِرْنا وفُتِح علينا. وسكَت بعضُهم فلم يقُلْ شيئًا، فقال لي: أكذاك تقولُ يا بنَ عباسٍ؟ فقلتُ: لا. فقال: ما تقولُ؟ فقلتُ: هو أجلُ رسولِ اللَّهِ ﷺ

---

(١) في النسخ: «خير». والمثبت من المسند. وكل ناحية على حدة: حيز. اللسان (ح و ز).
(٢) العرافة: عمل العَريف، والعريف هو القَيِّم بأمور القبيلة أو الجماعة من الناس، يلي أمورهم ويتعرَّف الأمير منه أحوالهم. انظر النهاية ٣/ ٢١٨.
(٣) بعده في المسند: «فسكتا».
(٤) البخاري (٤٩٧٠).
(٥ - ٥) سقط من: ٤١. وفي ص: «ممن». وفي البخاري: «من حيث». ولكن في إحدى نسخ البخاري: «من قد». انظر البخاري طبعة الشعب ٦/ ٢٢١.

أعْلَمَه له ؛ قال : ﴿ إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ﴾ . فذلك علامةُ أجلِك ؛ ﴿ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا ﴾ . قال عمرُ بنُ الخطابِ : لا أعْلَمُ منها إلا ما تقولُ . تفرَّد به البخاريُّ . وهكذا رُوِىَ مِن غيرِ وجهٍ ، عن ابنِ عباسٍ أنه فسَّر ذلك بنَعْيِ رسولِ اللَّهِ ﷺ فى أجَلِه . وبه قال مجاهدٌ وأبو العاليةِ والضَّحَّاكُ وغيرُ واحدٍ[1] كما قال ابنُ عباسٍ وعمرُ بنُ الخطابِ ، رَضِىَ اللَّهُ عنهما .

فأما الحديثُ الذى قال الإمامُ أحمدُ[2] : ثنا محمدُ بنُ فُضَيْلٍ ، ثنا عطاءٌ ، عن سعيدِ بنِ جبيرٍ ، عن ابنِ عباسٍ قال : لما نزلت : ﴿ إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ﴾ . قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « نُعِيتُ إلىَّ نفسى » . بأنه مقبوضٌ فى تلك السنةِ . تفرَّد به الإمامُ أحمدُ ، وفى إسنادِه عطاءُ بنُ أبى مسلمٍ الخُراسانىُّ[3] ، وفيه ضعفٌ ، تكَلَّم فيه غيرُ واحدٍ مِن الأئمةِ ، وفى لفظِه نَكارةٌ شديدةٌ[4] ، وهو قولُه بأنه مقبوضٌ فى تلك السنةِ ، وهذا باطلٌ ؛ فإن الفتحَ كان فى سنةِ ثمانٍ فى رمضانَ منها ، كما تقدَّم بيانُه ، وهذا ما لا خلافَ فيه . وقد تُوُفِّىَ رسولُ اللَّهِ ﷺ فى ربيعٍ الأولِ مِن سنةِ إحْدَى عشْرةَ ، بلا خلافٍ أيضًا .

---

(١) روى هذه الآثار الطبرىُّ فى تفسيره ٣٠/٣٣٣ - ٣٣٥.

(٢) المسند ١/ ٢١٧. إسناده ضعيف ، انظر المسند بتحقيق الشيخ شعيب ٣/ ٣٦٦، ٣٦٧.

(٣) كذا فى النسخ ، وليس كذلك بل هو عطاء بن السائب . وأخرجه الطبرى فى تفسيره ٣٠/ ٣٣٤، من طريق محمد بن فضيل عن عطاء بن السائب به .

(٤) قال الإمام أحمد : كان يرفع - أى عطاء بن السائب - عن سعيد بن جبير أشياء لم يكن يرفعها . وقال أبو حاتم : وما روى عنه ابن فضيل ففيه غلط واضطراب ؛ رفع أشياء كان يرويها عن التابعين فرفعها إلى الصحابة . الجرح والتعديل ٦/ ٣٣٣، ٣٣٤.

وهكذا الحديثُ الذى رواه الحافظُ أبو القاسمِ الطَّبَرانىُّ[1] ، رحِمه اللَّهُ : ثنا إبراهيمُ بنُ أحمدَ بنِ عمرَ الوَكِيعىُّ ، ثنا أبى ، ثنا جعفرُ بنُ عونٍ ، عن أبى العُمَيْسِ ، [٣/ ١٥٤ظ] عن أبى بكرِ بنِ أبى الجَهْمِ ، عن عُبَيْدِ اللَّهِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ عتبةَ ، عن ابنِ عباسٍ قال : آخرُ سورةٍ نزَلت مِن القرآنِ جميعًا : ﴿ إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ﴾ . فيه نكارةٌ أيضًا ، وفى إسنادِه نظرٌ أيضًا ، ويَحْتَمِلُ أن يكونَ أنها آخرُ سورةٍ نزلَت جميعَها كما قال . واللَّهُ أعلمُ . وقد تكَلَّمنا على تفسيرِ هذه السورةِ الكريمةِ[2] بما فيه كفايةٌ ، وللَّهِ الحمدُ والمنةُ .

وقال البخارىُّ[3] : ثنا سليمانُ بنُ حربٍ ، ثنا حمادُ بنُ زيدٍ ، عن أيوبَ ، عن أبى قِلابةَ ، عن عمرِو بنِ سَلِمةَ - قال لى أبو قِلابةَ : ألا تَلْقاه فتَسْأَلَه فلقِيتُه فسأَلْتُه - قال : كنا بماءٍ مَمَرَّ الناسِ ، وكان يمُرُّ بنا الرُّكْبانُ فنسأَلُهم ما للناسِ ما للناسِ ؟ ما هذا الرجلُ ؟ فيقولون : يزْعُمُ أن اللَّهَ أرْسَله [4]وأوْحَى إليه[4] كذا . فكنتُ أحْفَظُ ذاك الكلامَ ، فكأنما يَغْرَى[5] فى صدرى ، وكانت العربُ تَلَوَّمُ[6] بإسلامِهم الفتحَ ، فيقولون : اتْرُكوه وقومَه ، فإنه إن ظهَر عليهم فهو نبىٌّ صادقٌ . فلما كانت وقعةُ أهلِ الفتحِ بادَر كلُّ قومٍ بإسلامِهم ، وبدَر أبى قومى بإسلامِهم . فلما قدِم قال : جئتُكم واللَّهِ مِن عندِ النبىِّ حقًّا ، قال : « صَلُّوا

---

(١) المعجم الكبير ٣٦٩/١٠ (١٠٧٣٦) .

(٢) التفسير ٥٢٩/٨ - ٥٣٣ .

(٣) البخارى (٤٣٠٢) .

(٤ - ٤) سقط من : ٤١ . وفى الأصل : « وأوحى اللَّه إليه » . وفى ص : « أوحى اللَّه إليه » . وفى البخارى : « أوحى إليه ، أو أوحى اللَّه » .

(٥) يغرى : يلصق بالغراء . انظر فتح البارى ٨/ ٢٣ .

(٦) تلوم : تنتظر . المصدر السابق .

صلاةَ كذا فى حينِ كذا ، وصلاةَ كذا فى حينِ كذا ، فإذا حضَرَت الصلاةُ فلْيُؤَذِّنْ أحدُكم ، ولْيَؤُمَّكم أكثرُكم قرآنًا » . فنظَروا فلم يَكُنْ أحدٌ أكثرَ قرآنًا منى ؛ لِما كنتُ أتَلَقَّى مِن الرُّكْبانِ ، فقدَّمونى بينَ أيديهم وأنا ابنُ ستٍّ أو سبعِ سنين ، وكانت علىَّ بُرْدَةٌ إذا سجَدْتُ تقَلَّصَتْ[1] عنِّى . فقالت امرأةٌ مِن الحىِّ : ألا تُغَطُّون عنا اسْتَ قارِئِكم ؟ فاشْتَرَوا ، فقطَعوا لى قميصًا ، فما فرِحْتُ بشىءٍ فرَحى بذلك القميصِ . تفَرَّد به البخارىُّ دونَ مسلمٍ .

---

(١) تقلصت : انجمعت وارتفعت . فتح البارى ٨/٢٣ .

فهـــرس

الجزء السادس من البداية والنهاية

الموضوع | الصفحة

تم بحمد الله وتوفيقه الجزء السادس ،

ويليه الجزء السابع ، وأوله :

غزوة هوازن يوم حنين

رقم الإيداع ١٩٩٧/٩٩٤٦
I . S . B . N : 977 - 256 - 159 - X

هجر

للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان

المكتب : ٤ ش ترعة الزمر – المهندسين – جيزة
☎ ٣٤٥٢٥٧٩ – فاكس ٣٤٥١٧٥٦
المطبعة : ٢ ، ٦ ش عبد الفتاح الطويل
أرض اللواء – ☎ ٣٤٥٢٩٦٣
ص . ب ٦٣ إمبابة